

الملف الوثائقي

للكتورة

حائِسة عَبدِ الرَّحمنِ

(بنت الشاطئ)

المجلد الثالث

التاريخ: ٦ / ١ / ١٩٦١

قضايا أدبية

حبر على ورق

لماذا صدرت انجلترا كتاب الليدي
شاترلي

ولم تصدر أفلام الحركة والمجون ؟

جيوش المخرجين والممثلين
لا تستطيع أن تقف أمام
قلم كاتب ملهم فتوى

((اتصالتنا بقضايا الفكر والأدب ، شرقية أو غربية ، ضرورة لا يجوز أن نخلف عليها ، وإنما يكون الخلاف حول موقفنا من هذه القضايا وقد ثارت معركة بين كتاب الصحافة عندنا ، حول قضية « عشيق اللادي شاترلي » ثم هدأت وفترت ، دون أن نستخلص من هذه القضية مغزاها الذي يعنيها بل دون أن نلتفت الى دلالتها على خطر القصة حين تنشر حبرا على ورق ، فتتصدى الدولة لمصادرتها ، ولا تفكر في مصادرة مشاهد الاغراء اذ تعرض على الشاشة مجسمة مرئية ، حافلة بدواعي الاثارة ، مستغلة لها الاضواء والظلال ، والالوان والانغام ، والاصوات والحركات))

التاريخ: ٦ / ١ / ١٩٦١

(٢)



الامبراطورة اثيوبيا

الملكة مرجريت

لقد يبدو من الغريب في عصرنا ، أن تنصدي دولة مثل إنجلترا ، لتحول دون نشر القصة كاملة كما كتبها لورانس . والقصة لاتصل بالسياسة من قريب أو بعيد . لكنها تتصل بالاخلاق . وهذه واحدة : قضية الصراع بين الفن والخلق ، قضية عامة مشتركة ، لم يبت فيها برأي حاسم قاطع ، ومن هنا تخرج القصة الانجليزية من دائرتها المحدودة في لندن ، الى المجال الادبي العام . . . فليست قصة لورانس ، الا حلقة من ذلك الصراع الطويل العتيد ، واي حكم فضائي عليها ، يجب ان تهتم به الدوائر الادبية في شرق وغرب . . . وأخرى . . . ان دولة ما ، تصدرت

لندن ، ويرى فيه « مثلاً على انسياننا وراء بعض القضايا ، لا لاهمية خاصة بها ، ولكن كمجرد صدى لضجة مماثلة تحدث في لندن أو باريس أو روما ، وهو انحاء تكاد بنفسه أن نقف أنفسنا والارض التي نقف عليها » كنعى عبادة الدكتور ادريس . والواقع أن لكل قضية ادبية أو فكرية ، أهميتها ومنزاتها . وتتبع أمثالها أمر ضروري ، لا لكي نقف عندها ، أو نرددها مايتال هناك ، ولكن لنهتدي الى ماوراءها من دلالة تعنيها ، ولنتخلص منها ماقد يصحح فهمنا خاطئاً ، أو مايجدي على حياتنا الادبية بصفة خاصة . ولناخذ قضية « عشيق اللادي شاترلي » مثلاً .

تضاييا الادب والفكر ، غير محدود ، بزمان ولا مكان ، ولا هي مختصة بالتعليم أو عصر . . . ذلك لأن اتساع الفن ، تجعل من هذا التضاييا موضوعاً مشتركاً لايفرد به شرق أو غرب ، وثرانا عاماً لايفرد جيلاً دون جيل . والذين يشفقون على شرقيتنا من نقل امسءاء التضاييا الادبية في الغرب ، ينسون أن هذه التضاييا ملك للانسانية جميعاً . ومن عجب أن تشغل الصحف زماناً ، بفراميات الامرات لوريا ومرجريت وجريس ، ومغامرات نجوم الجاذبية وملكات الاغراء ، دون أن نسمع من ينكر شغلنا بذلك الميث ، كما سمعنا « الدكتور بولف ادريس » ينقش لاهتمام بعض الكتاب بقضية ادبية في

التاريخ: ٦ / ١ / ١٩٦١

(٣)

لمصادرة عمل أدبي . وهذا بدوره ،
بثقت الى نزاع لوبل حاد ، حول حرية
الاديب وحق الدولة في مصادرتها ، اذا
قدرت ان في ممارسة هذه الحرية خطرا
على سلامة الجماعة .
وبهذا ايضا ، تخرج القضية من
نطاقه الاتليمي ، وتفتقد صفة الخصوصية
التي تجعلها من شأن الانجليز وحدهم .

ثم يبتى بعد ذلك كله مغزى ذو خطرة
فلسف ان يسأل : اين لادي لتاتولي ،
من جين مانسفيلد مثلا ، في خلاصتها
وتفتتها في الاثارة الجنسية ؟
و « جين » انجليزية لحما ودما ،
ولم تفكر انجلترا في مصادرة افلامها
التي ، كما صادرت فعلا ، قصة
لورانس
بل انها لتستورد من باريس
وهوليوود وروما ، مزيدا من « البضاعة
اباها » في غير تخرج أو حذر
لماذا ؟

لماذا والشهد على الناشئة احفل
بالاغراء وادعى الى الاثارة ، لما فيه
من جسيم وتشخيص ، وتفنن في التصوير
والاخراج ، واستغلال للاجواء والالوان
والظلال ، والانغام والاصوات والحركات ؟
لماذا والقصة على الشدة ، يحنس
لها جيش من ذوي الخبرة والبراعة في
الاخراج والتشيل والدعاية ، بينما
لا تعدو القصة المطبوعة ، عملا لرديا
يسجله صاحبه جبرا على ورق !!

والجواب : لان الكتاب اخطر من
الفيلم . .
والورقة ابقيت اثارا من الشائنة . .
والحبر الاسود امتق تأثيرا من الاضواء
والالوان والانغام مجتمعة . .
وقلم الاديب لردا ، انوى من جيش
المخرجين والمصورين والمثليين ، والمثلات
والراقصات . .
وللبيان سحره ، لا ينافسه فيه غيره
وللسكينة المقروءة ، سلطانها الذي
ما بعده سلطان . .
فالفيلم يشاهد ، ثم ينسى . .
واثره عابر ، لا يلبث ان يتوه في فسجيج
الحياة وزحمة الشواغل والشاغل .
وليس الامر كذلك في قصة قريبة بقلم
نادر ملهم ، مطبوعة في كتاب يشتريه
القاري ، ويحمله معه ، ويستيقظ
ليخلو اليه كلما اراد ، بعيدا عن كل
فسجيج ، ومشغولا به عن كل ما سواه
فليس بمستغرب ان تصدر انجلترا
قصة لورانس مطبوعة جبرا على ورق ،
ولا تفكر في مصادرتها لو انها مرست
في نيلها على الناشئة « مع غيرها » . .
الافلام العاصجة المثيرة .
وقد امتدنا ان نستبين بما هو جبر
على ورق ، ونضربه مثلا على ثقافة الوقع
ولسالة الامر ، ونضية قصة لورانس
جديرة بان تصحح هذا الفهم الخاطي ،
ولفتنا الى خطر مانستبين به وتحدثت
قيمة جديدة للحبر على الورق !
بنت الشاطيء

التاريخ: ١٣ / ١ / ١٩٦١

اللغة المستعارة .. في حديقة النبي

هل قدر الدكتور ثروت عكاشة
في ترجمته الباهرة لحديقة النبي
أنه يعيدها إلى لغتها الأم؟

يكتب جبران بالانجليزية ، وهو شرقي الروح والمزاج ، عربي
الفكر والوجدان . ولهذا كانت ترجمة آثاره إلى العربية ، أخرجها
للنص من لغته المستعارة ، ورجوعاً به إلى الأصل . فهل تنبه
الدكتور ثروت عكاشة إلى هذا حين ترجم حديقة النبي ؟



خليل
جبران



ثروت
عكاشة

لم أومن قط بقدرة الترجمة على نقل
نص أدبي من لغة الأولى إلى لغة ثانية.
إنما يطلع الترجمة حين يكون النص
علمياً، إذ هو بطبيعته موضوعي، ودلالة
اللفظ فيه محددة، أو يجب أن تكون
كذلك، وعلينا تتدخل ذاتية العالم في الأداء
- لفظاً أو عبارة - لا بمقدار إذا جازته
أخلت بعلية الموضوع وجازت عليه.
وليس الأمر كذلك في النص الأدبي
الذي يصدر عن ذات الأديب، ويؤدي
مشحوناً بمشاعره وأفكاره، ويتحرر
اللفظ فيه من جمود الدلالة المعجمية
وقيودها، بما يحمل من روح الأديب،
وما يحف به من ظلال موحية، تأتيه من
التجربة الذاتية لصاحبه، في استعمال
هذا اللفظ، وتربط بذكرات وأجواء
وظروف، في دنياه الخاصة.
ومن أجل هذا كانت دلالة اللفظ في
النص الأدبي، محددة بشعرية صاحبه،
بحيث يصعب أن تستبدل فيه كلمة بأخرى
وأن اشتركتا في الدلالة المعجمية. ونحن
في دراسة النصوص الأدبية لعاني
لعاني حين نحاول تفسير لفظ، بأخر من
لفته، فكيف إذا كانت المحاولة لنقل النص
إلى لغة أخرى، ولكل لغة أسرارها
الخاصة في التعبير، وأسلوبها المتميز في
الأداء؟
سؤال خطير يبالى حين تلقت «حديقة
النبي» مترجمة إلى العربية، من
الإنجليزية التي كتبها بها «جبران»
وكنت مشفقة من مجز «الدكتور
لروت مكاشة» من نقل هذا النص الأدبي
العالي، متأثرة في هذا الإشفاق برأيي في
الترجمة، بوجه عام.
وحين وجدت الترجمة العربية مرفقة
بالاصل الإنجليزي، ظننت أن الفرصة
- - - - -
أما هي مهياة، لكنني استشهد بحديقة
النبي، على مدى جون الترجمة على
روح النص في لغته الأولى. غير أنني لم
أكد أتابع قراءة الحديقة في الترجمة
العربية، متقابلة على الأصل الإنجليزي،
حتى لفتني من البداية، أن الترجمة
مختلفة بروح النص، أمينة على دلالة
مبينة على رمزيتها بكل أبحاثها النيرة.
وكدت أنهم رأيت الأول في الترجمة.
لولا أن تنبئت إلى السر الذي من أجله
استبقت «حديقة النبي» في العربية
كل ما لها من روعة وسحر وإيحاء.
ذلك أن «جبران» وهو يكتبها
بالإنجليزية، كان شرقي الروح والمزاج،
عربي الفكر والوجدان. فترجمته إلى
العربية أخرج للنص من لغته المستعاره،
ورجع به إلى الأصل، والعربية هنا
أقدر على التعبير من وجدان «جبران»
وأفكاره وأفكاره، من تلك الإنجليزية التي
استعارها وأتقنها وكتب بها بأقنطار.
ومنذ تنبئت إلى هذا السر، لم بعد
يذهبني أن أجد «جبران» في الترجمة
العربية لحديقة النبي، أقرب إلى أفكاره
وروحها ومزاجها، من قراءته في الإنجليزية
المستعاره.
لعل يرى «الدكتور لروت مكاشة»
قد تنبه إلى هذا السر، وقدر أنه إنما
يعيد «حديقة النبي» إلى أصلها العربي
ولغتها الأم.
أنه لم يشر إلى هذا، على ما له من
أهمية وخطر، بل صرح في المقدمة، بأن
«جبران» في الحديقة كان مستلهماً روح
الشرق، وهي عبارة تشعرنا بأن الدكتور
لروت لم يلمح أصالة جبران عربياً شرقياً،
وليس مجرد مستلهم روح هذا الشرق.
والمقدمة ذاتها، ترجع أن الدكتور
المترجم قد فاتته أن يلتفت إلى هذه الأصالة،

التي هي مهياة، لكنني استشهد بحديقة
النبي، على مدى جون الترجمة على
روح النص في لغته الأولى. غير أنني لم
أكد أتابع قراءة الحديقة في الترجمة
العربية، متقابلة على الأصل الإنجليزي،
حتى لفتني من البداية، أن الترجمة
مختلفة بروح النص، أمينة على دلالة
مبينة على رمزيتها بكل أبحاثها النيرة.
وكدت أنهم رأيت الأول في الترجمة.
لولا أن تنبئت إلى السر الذي من أجله
استبقت «حديقة النبي» في العربية
كل ما لها من روعة وسحر وإيحاء.
ذلك أن «جبران» وهو يكتبها
بالإنجليزية، كان شرقي الروح والمزاج،
عربي الفكر والوجدان. فترجمته إلى
العربية أخرج للنص من لغته المستعاره،
ورجع به إلى الأصل، والعربية هنا
أقدر على التعبير من وجدان «جبران»
وأفكاره وأفكاره، من تلك الإنجليزية التي
استعارها وأتقنها وكتب بها بأقنطار.
ومنذ تنبئت إلى هذا السر، لم بعد
يذهبني أن أجد «جبران» في الترجمة
العربية لحديقة النبي، أقرب إلى أفكاره
وروحها ومزاجها، من قراءته في الإنجليزية
المستعاره.
لعل يرى «الدكتور لروت مكاشة»
قد تنبه إلى هذا السر، وقدر أنه إنما
يعيد «حديقة النبي» إلى أصلها العربي
ولغتها الأم.
أنه لم يشر إلى هذا، على ما له من
أهمية وخطر، بل صرح في المقدمة، بأن
«جبران» في الحديقة كان مستلهماً روح
الشرق، وهي عبارة تشعرنا بأن الدكتور
لروت لم يلمح أصالة جبران عربياً شرقياً،
وليس مجرد مستلهم روح هذا الشرق.
والمقدمة ذاتها، ترجع أن الدكتور
المترجم قد فاتته أن يلتفت إلى هذه الأصالة،

(٣)

والا لما مر سريعاً بالدور الذي لعبته
الحديث في عقائد الشرق وفي خيالهم
وادابهم وانطلق بحدائق اطالة وعلى مهل
عن المذاهب الفلسفية والادبية والفنية في
الغرب ، وموقف كل منها من الطبيعة .
وهو حديث شيق بلا ريب ، لكنه باء
بيننا وبين خبران في حديقة النبي ، وخجل
البا اننا سوف نقرأ الرا ادباً من ادب
الطبيعة ، وان هذه الحديقة ليست الا
كما قال الدكتور ثروت ، رمزا الى الطبيعة
وقد برزت هذه الرمزية فيه ، ذلك الحديث
الطويل عن المذاهب الادبية والعنفة
والفلسفية ، وبررت كذلك استطراداً الى
الكلام عن تنسيق الحدائق في بلدان اوروبا ،
وذكر حدائق نصر فرساي وبساتين اللوار
وحديقة الحمراء بفرنطة ، ناذاً طالعت
حديقة النبي بعد هذا كله ، الفبا
« جبران » لا يرمز بها الى الطبيعة ،
بقدر ما يرمز بها الى ثمار الحكمة والنسوة
وهو فيه شرقي صميم ، يترنم بأناسيد
« المصطفى » في حديثه ، ويردها خلاصة
حكيمته واسرار تأملاته . والحديقة هنا
- فيما ارى - اقرب الى الجو الديني
والائق الروحي ، منها الى جوارث الطبيعة
في الفلسفة والادب والفن . ولعل الدكتور
ثروت لو تنبه الى اصالة الشريعة العربية
في جبران ، لما شغل بحديثه هذا عن تلك
المذاهب الغربية ، ولو تف طويلاً عند
الحديقة الشريعة الكبرى التي لم ينس
اليها الدكتور ثروت ، واعنى بها « الجنة »
التي مسورتها ادياننا ، وتمثلها المؤمنون
بنا ، واطناب في وصفها الشراح والمفسرون
للكتب السماوية ، وتأثر بها الادب العربي
في مثل جنة « الغفران » لابي العلاء
المعري ، ذلك الاثر الفريد الذي انتقل
الى اوروبا عن طريق اسبانيا ، وكان هناك
عندما ابدع « دانتي » فردوسه في
« الكوميديا » الالهية التي لم يذكرها
المترجم مع . ذكر من حدائق فرساي
واللوار وفرنطة .
وعلى قدر ما وفق الدكتور ثروت ، في
ترجمة النص الانجليزي بعربية بارعة ،
يتألق فيها فن جبران وتتجل براعته
البيانية وشاعريته الملهمة ، اقلت منه سر
« جبران » في مواقف قتيلة ، وكان جديراً
بالا يخطئه ، لو قدر انه يترجمته حديقة
النبي الى العربية ، انما يثقلها من لغة
مستعارة ، ويردها الى اصلها !
ويبدو هذا بوضوح ، في التشبيد الذي
اختاره « الدكتور ثروت » نفسه ، وصدر
به الكتاب

« To be robbed , cheated ,
deceived »

وبين الترجمة العربية:

« عيشوا نهبا لسرق السارق ، وغش
الغاش .. أجل كونوا صيد الخديعة
وارتدوا في حبالها »
وحسب لو نرسلنا ان النص الانجليزي،
يحتل مثل هذا التصرف ، فان الذي
نصرفه من روح جبران - في التشديد
المصطنع - ياباه .

وما يعنى قطان احاسب على حرية
الترجمة ، فالاصل فيها ان نلذوق روح
النص الادبي في اللغة المكتوب بها ، ثم
نؤديه باللغة التي نترجمه اليها . ولكن
السيد المترجم هنا ، ينصرفه الذي يبدو
لاول وهلة هيننا يسرا ، غير المعنى
واضاح حكمة المصطفى . ولو قدر انه
انما بعيد تشديد جبران الى اصله العربي،
لما اخطاه في هذا الموقف حس المعنى
وجوهر الفكرة ، وروح المصطفى الثالثة
في شقيقها الاصيلة ، وراء ذلك الزى
المستعار .



اقول هذا وانا اعلم ان السيد المترجم
لن يغيبق به ، لما هو منى الا فرط حرص
على كمال هذا الانثر الرائع الذي انرى به
« الدكتور ثروت عكاشة » حباننا الادبية،
وهيا به في اربحية لنية وبدل سخى ،
زادا روحيا ووجدانيا لابناء هذا الجبل
من لم يدركوا عصر « جبران »

بنت الشاطئ

تقادوا خطا الى الفخ ليسخر بكم ، وان
تطلوا - مع ذلك كله - من علياء نفسمكم
الكبيرة وبتسموا .. »

ولم يتم الكلام بعد ...
لان تميزه في المتطوع التالي من التشديد
حيث يقول جبران :

« عاين ان الربيع سبواني حديقتم من
بعد ، ليرقص على اوراق الشجر ، وار
الخريف سيقبل لينفج اعنابكم ، مدركين
ان ايديكم لن تختر من الرزق ما دامت
نافذة واحدة من نوافنا . تطل على الشرق ،
مدركين ان جميع من بعدهم الناس اشرا
ولموصا وغاشين ومخادعين هم اخوانكم
في الحاجة . ولعلكم انتم على شكلة
هؤلاء جميعا ، في عين اهل النعيم الذين
يسكنون المدينة المحببة فوق هذه المدينة »

والايبان بالقطع الاول - في صدر
الكتاب - ميتوا هكذا ، افقده كل سر
والتصرف في الصياغة ، يجعل المصدر
نمل امر ، اضاع حكمة المصطفى ، فجعله
يحضنا على الغفلة ، ويأمرنا بان نعيش
نهبا لسرق السارق وغش الخادع ،
ويدقنا الى ان نرتع في حبال الخديعة
ونكون سيدا لها ! مع انه في « النص »
يفرنا بالناسخ والاحتمال ، ويلفتنا الى
ان كنوز الخير لن تغد بالسرقة مادامت
هناك في حديقتنا نافذة تطل على الشرق
الوضاء ، ثم ياخذنا بشيء من التواضع،
حين يذكرنا بان الصومس والخادعين هم
اخواننا في الحاجة ، وربما لم تكن عند
السماء خيرا من هؤلاء الذين يسبهم
الناس لصومسا وخادعين !

وشتان بين قول جبران بلغته المستمرة:

« هيموا وراء الجمال واتبعوه ، وان
تادكم الى شفا الهاوية .. »

« اتبعوه ، فان التقدم الجمال افتقدته
كل شيء .. »

« وكونوا حذيقه غير ذات اسوار
وكرمة لا حارس لها ، وكنزا مباحا ينال
منه كل هابر .. »

« عيشوا نهبا لسرق السارق ، وغش
الغاش وخداع الخدوع .. »

« أجل كونوا صيد الخديعة وارتموا
في حبالها ، ولو سخر منكم الناس
فليس هذا كله بفائركم .. انكم عندها
سوف تشركون من عليانكم ، وبتسمون !
وحين تقابل هذه الترجمة ، على النص
الانجليزي للتشديد ، لن نكر منها - في
الظاهر - الا عدول المترجم من المصدر
الى فعل الامر ، ومثل هذا التصرف قد
يكون من حق ، لولا انه هنا اضاع جوهر
المعنى وروح جبران :

لنص الانجليزي

« To be robbed , cheated ,
deceived,ay, misled and trapped
and then mocked , yet with il
all to look down from the
height of your larger self and
smile . »

ومن هذا النص ، يبدو لنا ان التشديد
لم يتم ، وان القطع الذي اختاره المترجم
منه ، مبثور لم ينته بهذا الانقسام ممن
يشركون من عليانهم ، لان السياق متصل
بين كل هذه الجمل هكذا:

« ان تسرقوا ، وان تخدموا .. » وان

التاريخ: ١٣ / ١ / ١٩٦١



بريد الأدب

السباعي

المعقباد

طه حسين

المقال الذي نشرته مجلة الادب منذ اسبوعين ، بهذا العنوان للدكتورة بنت الشاطئ ، لم يرش كثيرا من القراء ، وليسوا سواء ؛ لفريق منهم انكر على الكاتبة قسوة النقد ، واخرون لم يجيبهم ترتيبها فيه ، والصفحة تقدم للقراء خلاصة من انوال الفريقين ، دون حاجة الى الرد على هؤلاء او اولئك ، لان كل فريق تولى - في الواقع - مهمة الرد على الفريق الاخر .

كبدوات الادب المعاصر :

« السيد عاطف نصار » باخذ على الكاتبة انها حملت الدكتور طه حسين مسؤولية كبرى من حياتنا الادبية ، بوصفه مبيدا للادب العربي « ولانها ان زمن هذه المصادفة قد انقضى ، وان قيادة الادب العربي انتقلت الى مدارس الادب الجديدة التي يحمل الويتها ادباء هذا الجيل »

« اما العقاد فاريد ان انصفه : لقد كان شاعرا وثاقدا واديبا ومفكرا ، ثم انتفى هذا كله ولم يبق لنا منه الا العقاد المتكرر . وليس بوسعنا ان نشارك اليوم في حياتنا الثقافية الا بمؤلفاته .

« ثم باتى الحديث عن يوسف السباعي ، وقضيته سهلة يسيرة : فقد مرتناه ادبيا ولا ادرى لماذا لطالبه الكاتبة بان يكون ثاقدا ! بل لا ادرى لماذا لم تلتفت الى مجالس عليا للفنون والاداب ، جعلت ههنا انشاء الجوائز امثالا وانواعا ، وخلقت تكايا للكتاب والمترجمة ، مع ان اصدار مجلة ادبية ناجحة ، اجدى على الادب والفن من مجلس يعين فيه كبار الادباء والفنانين المتقاعدين ! »

الى احاديث نجوم الادب في الاذاعة ، حيث يبدو على اكثرها طابع السطحية والاستخفاف . وحين كان المرجو منهم ان يقدوا الاذاعة بما يرفع مستواها ، وجدناهم لا يكتفون حتى بصحة اللغة وقد احصى السيد لاديب كبير ثمانية اخطاء لغوية في حديث اذاعي نصير « واولادنا يمتدحون ان كل ما يسمونه او يقرأونه للادباء الكبار ، تنزلي من التنزيل . وحرام ان نجعلهم يمتدحون مرابا ما ليس بصواب ! »

لل شيء هادىء في الميدان الادبي « والسيد طلعت همام : باداب عين شمس » بلغت كذلك الى جانب اخر من الموقف لم يتعرض له المثال ، وذلك هو تزعم كل ادب مشهور لشنة من اتباعه ، فاذا الف احدهم كتابا ، انبرى الكاتب المشهور يركيه ويظهره ، ويحيل له المدح بلا حساب ، اما اذا ظهر في السوق كتاب مؤلف لابن شمس الى شنة من السنين ، فان نجوم الادب يطوون اوراقهم ويتقون اقلامهم ، وكل شيء هادىء في الميدان الادبي »

نيام على القمة !

« والاستاذ محمد امين : من مليح » يشارك كل محاولة لتسحيح موقف ادبيات الكبار من قضايا الفن ومردك الادب واخذات الوطن ، ويخشى ان يكون هؤلاء الكبار « قد راحوا في سبات عميق »

حرام !

و « الاستاذ عبد الحميد هم » يرى ان الكاتبة ظلمت الموضوع حين تسمته على الصحافة ، « ولم تلتفت »

(٢)

ياخذ من كل فن بطرف

« والسيد عبد الحليم عويس »
بتهم الكنية بالتجنس على الاستاذ العقاد
حين « ارادت له ان يكون آلة صماء
تحركها السياسة (!) مع ان الاديب
الحق هو من ياخذ من كل فن بطرف .
وهذا هو شأن الاستاذ العقاد ، افما كان
الاولى ان تنصر الناقدة كلمتها على
الدكتور طه حسين ؟ »

منظومة

وربما كان من الامانة ابشاً ، ان نشر
الى ماجاها من « الاستاذ محمد حسين
جيرة : رئيس القسم الجنائي بشيخة مصر
سابقاً » الذي رآته شاعريته في الموقف ،
فالر ان يقول ليه كلمته بمنظومة خمس
بها الاستاذ العقاد وحده ، ونبيها يقول :
الا من مبلغ عباس عني
تهاني المجد والادب الربيع ا
تبارك من حباك بفضيل ذهن
يفض خواني الحثك المربع ا
اذا ذكروا ذكائك ضاء نورا
على الدنيا كبدور في سطوع
ذكاء ذاع في الاقطار حتى
شكاه الفدوء من سبق الدبوع
نياله كم جميع المساني
نصار كمنتهى جمع الجموع
قدم في المجد مرقوعا مكانا
على هام العلى فوق الجميع ا



ومبادرة الى الشمر والى القراء ا و

منذما وصلوا الى القبة ، فلم يعودوا
يشعرون بما يجري على السطح ، او
يشغلون انفسهم بما نواجهه من ازمات
ومشكلات ، في حياتنا الفكرية والادبية
والقومية .
ثم يعتذر الكاتب للاستاذ يوسف
السباعي بكثرة ما يحمل من اعباء وقال
ويخص باللوم الدكتور طه حسين
والاستاذ العقاد قائلاً :
« لقد تحدثت الكاتبة عن الدكتور
طه بترفق ، وهي آمنة من غضبه ، لكن
وددت ان نراه فانسيا كي يخرج من
عزلته التي خبيث وجاء كثير من المنجيين
به ، ظنوا انه حين اخذ مكانه في
المصاحفة ، سوف يهز الشرق هزايسم
صداء في انصى الشمال . في السويد
مثلاً وانظروا وطال الانتظار ، ولم
يهتز الشرق ، ولم يسمع الشمال ...
» اما ماكتبته عن المصالح لكنه حق
ومصدق ، لكن فاتها ان يرميها المصاحف
تمثله كما هو قناء : مصنف كتب ا وكذلك
اخطاء الكاتبة في الحديث عنه شاعراً
ويظهر انها لا تعرفه على حقيقته التي
كشف عنها بصراحة ، حين مرر لندوب
احدى الجلات ، الر نيله الجائزة ،
بأنه يستطيع ان يؤلف الساعة الفبيت
من الشمر ، يتحدث من يانه ، يمثلها او
حتى بفهمها . »

التاريخ: ٢٠ / ١ / ١٩٦١

رقابة النقد

عل قلنت الترجمة الرائعة لحديقة النسي .
بعض الذين احترم رأيهم قاتلوا هذا ونسروه بانى اظنت الوقوف عند عشرات قلية - مما لا يسلم منه عمل
ادى - ولم يعفوها للمترجم خندق ، جهده البادل الناجح .
واشفق مشفقون ، من ان اكبر قد تمعدت الضم ، لاشتهر بالمدل ...
وما ابرى نفسى ، فانا بشر ، يجوز على ما يجوز على كل بشر من خضاً وسهر وقصور ...

لنصته الرائقة « بعد الفروب » مضى
يكرر نفسه فيها بشمس الشريف ،
ثم استمر هذا التكرار - في غيبه
الرقابة النقدية - فكانت قصته «افسن
الزيتون المن وادى « شجرة اللبلاب»
مع ان الاصل ان يكون حاضر الاديب
افضل من اسمه ، وان تكون البداية
الناجحة خطوة في طريق مساعد ، الى
ما هو الذى وانضج !

لكن النجاح السريع ، مع تعطل
الرقابة النقدية ، مسر في دنياها ،
بعض عن مزيد من التجويد والابداع ،
كما سارت الشهرة عندنا ، تعلى من
متابعة الجديد ومواسلة الكفاح !

وبعيدا من اثناء الشهرة ونجيب
النجاح السريع ، استطاع اديب مفكر ،
مثل استاذنا « الدكتور محمد كامل
حسين » ان يتابع كفاحه الدائب ، دون
ان يفسد الغرور او يعطه النجاح !
كتب اول ما كتب « منشوعات »
وقدم ليها بعض قيم جديدة للدراسات
الادبية وتراثنا الفكرى ، فكانت بداية
توارت خلف العنوان المتواضع للكتاب ،
ثم يتح لها ان تشهر وتذيع

وابدع بعدها « لربة ظالمه » فلم يم
و نجاحها الا نعمة باهظة ، تدفقه الى
مواصلة الكفاح ، وتقتضيه مزيدا من
الجهود .

لقلنا نخره ، كما خسنا ادباء من
قباه ، حرمانهم فرصة الرقابة النقدية ،
وانسما عليهم نعمة الكفاح في سجيل
الكمال .

ولا اريد الان ان اعرض لاعمال
المشهورين من ادبائنا الشيوخ ، لاثبت
بها الى اى حد جنى عليهم وعيشنا ،
تعدل الرقابة النقدية عندنا ، بل اكتفى
بشهادة كبير منهم على نفسه ، اد
يباهى بانه لا يتقدم ولا يتراجع ، ولا
يتأثر بهديد من التيم او الاراء لوم .
سبق له من قول في موضوع عالجه او
راى ارتآه . ثم يسجل على نفسه ان
قديمه هو خير بضاعته ، فيؤلف كتابا
جديدا من كتب الفها مثل اكثر من ربع
قرن ، ويطلع ديوانا من دواوين له

سابقا !
وما كان هذا ليحدث ، لو قامت
نينا رقابة ادبية ، تحس ادباءنا من
الركود والتجبد ، وتحاسبهم على
الوقوف المنشبت بتقديم ما كتبوا !

وندع طبة الشيوخ المشهورين الى
من يليهم ، فتعدنا الطائفة نفسها :
ظاهرة الفوارق بين القديم والجديد
من آثارهم . فلم اقرأ للاديب « يحيى
حقى » اروع من « فتدبيل ام هاشم »
التي عرفته بها لأول مرة . و « محمد
عبد الحليم عبد الله » الذى خللنا

لكنى ، اذا كنت حقا قد قلنت
الدكتور تروت عكاشة ، لما كان ذلك
منى لاشتهر بالمدل ، وانما اردت به ان
احقق شيئا من التوازن في تقويم الامار
الادبية ، وان اقرر حق النقد في الرقابة
على الادباء ، من كانوا !

وترجمة « حديقة النسي » لم تكن
تظهير ، حتى اسرع بعض الزملاء
لناستنبوحها - ولما يمشى على ظهوره
في ايام معدودات - بالتكبير والتهليل ،
قبل ان يتاح لهم الوقت الكافى لما هي
جديرة به من دراسة متأنية . وبالحق
احدهم فقال عن مقدمة الكتاب : « انها
دراسة من اعظم الدراسات الجمالية
التي ظهرت في هذا العصر » ثم سجل
شهادة بأنه لم يستمتع بجبران
ولم ينترب من روحه ، كما استمتع
بعد ان اتم قراءة هذه الدراسة وهذه
الترجمة للدكتور تروت عكاشة .

ولم يدرك الزملاء انهم ظنوا السيد
المترجم . من حيث ارادوا ان يتصفوه .
حين لم يتدروا انهم يمثل هذه الاحكام
السريمة المثلثة ، يتزود الثقة في حرما
السقد ، وعدالة موازين التقدير للادباء
والدكتور عكاشة ، محدث عهد
بدخول الميدان الادبى ، ومن حقه عليه
ان نقانى في الحكم عليه ، وان نتتبع
اعماله الادبية في دقة لا ينكث منها
اى ماخذ ، بالغة ما بلغت بدايته
الناجحة .

التاريخ: ٢٠ / ١ / ١٩٦١

(٢)

حياتنا الأدبية يعوزها كثير من الحمة والاعتزان، ولن يتوفر لها شيء منهما الا برقابة نقدية نزيهة صارمة، يحسب لها الأدباء ألف حساب، ولا يجروون معها على التهاون في شرف الكلمة، أو التخفف من تبعات النجاح!



يحيى حفي



الدكتور محمد كامل حسين

من قيم عادلة، ورقابة نزيهة صارمة،
تجبر بكلمة الحق ولو كانت ناسية
مرة، وتسر على أن حماية أدبائنا
من التجمد، والتهاون، والخمول...
والرقابة النقدية منها قسند في
صرامتها وقسرتها، لا يسكن أن تجنى
على الأدباء، بقدر ما يجنى عليهم وعلى
وجودنا المعنوي العام، تعطيل هذه
الرقابة، أو ضعفها واختلال موازينها.
بل قد تجني هذه الرقابة إلى ما
يشبه الظلم، نحقق به شيئا من التوازن
في تقويم الانار الادبية، فلا يضار بهذا
النظام أديب موهوب، قدر ما يضار
بالفض عن عنائه، واتساعه بأنه بلغ
- من البداية - الكمال الذي لا مجال
بمده لمزيد!

بنت الشاطئ

وجاء بعدها كتابه « التفسير
البيولوجي للتاريخ » ثمرة نافجة
لمتنية من طراز رفيع، تفديها ثقافة
واسالة.
ثم ظهر كتابه عن « وحدة المعرفة »
ممن ضجيج أو اعلان، فأشرف بنا على
آفاق من الفكر، لا عهد لنا بمثلها
رحابة وعارا.
وانلام النقاد رائدة نائمة، لم تتحرك
لتنكب من هذه الانار الفلدة، بل
تستمرى الراحة، في انتظار مؤلف
لا ديب لامع، تهب له من ردتها، في
انفعال رحاس!
وهان عليهم ان يتجاهلوا الكتاب
الاصيل المبدع، لانه يشواري - في زعد
وعقة - خلف الضجيج النار!
وهكذا تسيحياتنا الادبية، محرومة



محمد عبد الحليم عبد الله

اللغة "المصباح الزرقاء" اختفى في ضوئها والحياة الخافتة محمد نعيم

«لم نخسر تيمور لشيخوخة وجدانه أو غنى فنه، ولكن المتساة فيها أرى أنه ترك ما يحسن إلى ما لا يحسن وجارى التيسار فتكف ما ليس من طبيعته ل الإشارة المنتمة، ثم كانت عقدة العتداء أن يفرض الجسمى سلطانته على فنائيت ودلايل وتنوش ونواعم، فيتجاوزون في ساحة الرقص وركر الدعارة، بلغة الأثمة الجيبين ا»

بقلم الدكتور بنت الساطع



عن نفسها، أهل تراء قد استغدد الصنف الطيب الجيد، الذى لا يحتاج إلى الاعلان الصارخ والالوان الفاتحة؟

موضوع القصة صراع بين بتايا الارستقراطية، وبين الارضاع الجديدة، لجنمنا الديمقراطية، وبطلاها «بتى» بنت الاكابر - باعتبار ما كان - وسعد مديولى نتي المسنح الجاد الطامح، وهو موضوع كان يمكن أن تخرج منه - بتلم تيمور الذى عرفناه - قصة باومة مثيرة، لكن جئت عليه رغبة طارئة في الإشارة الفنتلية، لنكف ما ليس من طبيعته، واتحم هنا وهناك، عبارات لم نلقها من ادبنا الوفور، مثل قوله على لسان سذواه:

«ما اروع الشجعة بين حشنيه، وهو حوطني بذراعه ويضمنى الى صدره .
ريوى على وجهى يغمزنى بانفاسه
ويتحسس رقبتى بشفتيه، ويدنى ثم
من لمى لنشقق مما رقيق الحياة ونشوء
المر . لى تلك الشجعة تكمن سمادة
الازل ومهمة الابد ا ما اروع ساعة
استسلامى اليه . . . « من ٢٦
« لو ان سعد مديولى منحى القلب
المشتهة لتغيرت حياتى على الاثر . .
انى لامر هذه القلة المشتهة جدا
ماملا بين دنيا ودنيا، انها القول
الفصل، فيها تقرير المصير . . اما انت
باسم مديولى، فلن اغتر ايدا لعلتك
الشعاع . . « - ١٢٦

(٢)



فتافيت

ودلاديل

ونشوش

ينطقون بلغة
المجتمع

الى اللقاء ايها الحب ، صدى من الصوت
المؤثر الذى طابا اجنذب مسعى وها
رجداني ..



ولقد انكرته في احداث آثاره ، من
الحظة الاولى التي رقت نبها عيناى
على سورة الغلاف تحت عنوان « الى
اللقاء ايها الحب » ولولا ان اسم
محمود تيمور مطبوع بجانب الصورة ،
لظننت ان في الامر خطأ او التباسا ، فما
مهدت تيمور بلوذة بهذا المثلث من الصور
الماوخة بالاغراء لترويح بضاعته ، وما
مهدته يضع القلب الابيض وراء الجسد
المثير على هذا النحو المتذل !

ومن حجب انى ثرات القصة كلها
للم اجد بين شخصياتها ، واحدة تليد
سورة الغلاف !

لا ميو الاعلان عن البضاعة اذن
اقتضى ابراز الفتنة الجسدية ونجسيم
الاعراء على الغلاف ، ليجذب انظار
« الزبائن » !

وبضاعة تيمور الاولى ، كانت تعلن

التصاميم الرائد ، الذى طابا بهرنا
روائع من فنه ، في تلك الاتاسيس
القميص التي تعوض نماذج حيلة من
عجم بيننا ، وصورا امينة من واقع
سافتنا ..

الكاتب العليق المذهب ، الذى اتعب
افق الحياة امامه فلم يلجأ في ماغيب
النفس الى استهواء ترائفه ببضاعة
مبتذلة من الهوى الرخيص والشبهوات
الجامحة ..

الاديب الاميل ، الذى استغنى قديما
باصالته عن التهربج والتهويش ، وظفر
في الطليعة يحل قلمه مشعلا مفيها
في الطريق ، دون ضجيج او ادعاء ،

هذا الاديب الرائد الاميل « محمود
تيمور » يبدو لنا اليوم في الجديد من
مؤلفاته ، شخصا آخر غير الذى عرفناه ،
ركانيا غريبا غير من الفناء واحيائه ،

انزل هذا ، بتن حزن واسى ، بعد
ان امضيت اياما وليالي ، افتش عيشا
في النسوء الكابي للعصايع الزرق عن
اي اثر لماكون ملامح تيمور ، واحاول دون
جدوى ، ان استرجع في صيخته الاخيرة

(٣)

عساكر الانجليز . وينكر في الزواج
منها ولكنها ترفض ، لانهم يحزنون عن اشيائهم
نهبها الى المال . وينصرل الشاب عن
« نواعم » غانما ليلتها بعد ايام في
زى محتشم ، وبمنها فيعلم انها تعيش
بالنهار ، باسم « بيبه » الام المسالحة
النقية البسمة التي تكاثر لخرى وحدها ؛
« رنيق » وتدعى انها تشتغل «مرغمة»
في الليل .

وغاب الشاب عن الاسكندرية حينما
ثم عاد فلم يجد « نواعم » ولا « بيبه »
وانما وجدها باسم « اشجان » التي
نكحت وحدها برساش عسكري انجليزى ،
في مناعرة مبيان . وما زال الشاب
بها حتى اقتنعا بالاشترار معه في الانتاح
« مشغل رنيق للحبابة والتلويح » يكون
«درسة لتربية بنات الوطن وتلقين دروس
القومية والثورة (١١) وفي حفل الانتاح
« تلغيت اشجان بالرابية الخشبية بدم
ولدها ، ومثلت على المنصة بثقل بحياة
الوطن وتحدث الاطمين على الجهاد ا
وتكاثر الجمع حول اشجان وخرجوا بها
محسرة على الاكثار الى الحديث ،
فماستها رصاصة انجليزية ، وتساوت
ردمها يتدفق من بين جوانحها متزجا
دم ولدها الشهيد على دبابجة السراية
الحمر ، راية الوطن »

انتهت القصة ، لم اكدر في هذه
الاسطر املت شيئا جوهريا فيها ،
لكن الاستاذ تيمور عكى عليها بشدها
وبسطها وبقردها وبسطها ، لتخرج في
كتاب كبير على قد المقام . وحين لم تعد
تحتل مزيدا من المط والشد ، عمد الى
طبها بحروف كبيرة ، وباعد بين الاسطر ،
مع ترك فراغ كبير في مستهل كل فصل
واخيره ..

ولم تكن محميتها هنا بالتدخل في
الانفاذ والاساليب ، بل اوفت عليه
ان يضبط كل حروف الكتاب حتى ما لا
يحتاج منها الى ضبط لانه غير مثله خطأ
او اختلاق ، فهو يضبط ناء الثابت
بالسكون او بالكسر عند التثنية يساكن
ويضبط حروف : انا ، وهو ، وهم ،
وهذا ، وهذه ، واذا ، ولم ، ومن ،
ومنى ، ولا ، وليس ، وكان ، وهناك ا

وشغل هذا الضبط عن سر النساء ،
في امرأة تبغ اللذة لعساكر الانجليز من
اجل ولدها ، ثم يسرع الولد برساشهم !
وبعد لماذا اتول ؟

الاسأل الاستاذ تيمور انيك من
كتابة القصة اكتفاء بعبد ماضيه فيها ،
وليفرغ للانفاذ اللثوية التي تشغل هذا
دخل الجميع ؟

كلا .. فليست «نساء تيمور» ناشئة

وافلتت فكرة الصراع البارعة من يدى
الكاتب ، فاذا هي قصة فتاة تنكر على
الشاب الذي احبته ، انه لم يمنحها
القبلة المشتهاة ، وتندلع في احضان
« السوهاجى » صاحب جريدة « اللبالي
الملاح » في حفل ملهى « وما عثم ان
شعبها الى صدره نمة مناحدة ، ثلاثت
على اثرها شفاعهما ، فلما دعا في قبلة
عميقة حائلة - ١٩١ » انزعجتا منها
يد سعد «مدولى» لتثقل تحمل بها من بعد
فتقول : « قبلة السوهاجى » انها القبلة
الاولى التي استقبلتها شغافى من رجل ،
واى رجل ؟ انه فاجر عريبي ا قبلة ..
وبالها من قبلة ! ما زلت اجد على فمي
حرارتها لم يخد لها اوار . واقت با
سعد ، فلتعت يا صاحبي بقبلة السعد
القاترة ، وتروك لفيرك الشفاه غنيمة
معتة - ١٩٣ »

ويهرب سعد محزونا الى اوربا ،
لتدرك « تبتى » بعد سنوه انها تحبه
بتكتب له رسالة غرام تقول في ختامها :
« ها انا ذى قد نفقت بين يدك جمعتي ..
نالى اللقاء يا حبي الكبير ا » ومن هنا
جاء العنوان ..

ثم تدخل « المجمعى » في اصرار محجب
نجم « دلاديل » يعثلق سكيننا بلوبلا
وبهوى به على الفطيرة فيعزق احشائها
في عيد ميلاد تبتى ، ويجعل الممة تنيدة
تدير قسرس الحساكى لتسمع ملحنة
بيتهوفن ، ورضع الطيفون بين توسمين
ليمزله من اللحى ، ثم تركه بصلصل
بين آن وآخر ، لان الصلصلة البق
المجمعى من الرنين ، ومضى بالانسة تبتى
تاركها الخافلة لان السيارة العامة لا
تلبق ، ورضع مضحك صسوت وكان
الميكروفون ا

وتروك حديث الهوى والجون ، والقبلة
التي تتكرر عشر مرات في الصفحة
الواحدة (١٩٢) وتروك تبتى وثانيتها
ونوش ودلاديل وعشم الخير والسوهاجى ،
والمة تنيدة ، في جوه المصاحب متقولا
الى المجمع اللنوى ، تروك هذا كله ،
الى « المصاييح الزرق » لملى استود
فيها الكاتب الذي اسمناه ، فاذا بى مند
تمة النساء ا

« حدوده » لو زواها تيمور في صفحتين
او ثلاث لكنت كاتبة ؛ شاب يجلس مع
رفاته على مقهى بالاسكندرية كل مساء ،
(يدودشون) بكلمات الوطنية ، واعينهم
تلتسى في غيش المساييح المدهونة بالمللا ،
الازرق - ايام الحرب - غانية محترنة
تدبهم كل مساء . ويتبعها الشاب الى
وتر الدعارة حيث تعارس حرفتها مع

(٤)

عن شيخوخة وجدان أو عقم فن ، ولكن
المأساة فيما ارى انه ترك ما يحسن الى
ما لا يحسن ا

ترك القصة القصيرة ، وهو فيها
رائد ومبدع ، الى القصة الكبيرة التي
خرجت في الحديث من آثاره ، تطويلا
سرفا للقصة القصيرة ، بالشدة والمط .

وتكلف مالبس من طبعه مجازاة للتيار
الغالب ، فاستعان بالانثارة المفتعلة ،
واقحم مشاهد غير مألوفة من مثله ، في
وقار منه ورصانة خلقه رقيقة قليلة

وتكلف مجازاة روح العصر عن طريق
التفسير لا الالهام ، فكانت دروس الوطنية
عنده تلقن في مشغل للحباسة بطريقة
مصطنعة ، وكانت ذروة الانثارة في الصراع
بين رواسب المائى وقيم الحاضر : حكاية
تنقل لقاة بين قبلة بد وقبلية داعسة
في مراتع ، وفي الصراع الوطنى : ان
تجوت ذات الاسماء الثلاثة : نواعم وبهبة
واشجان ، برصاصة انجليزية كولدما
رفيق ، وهي ملتفة بالديباجة الحمراء
هائلة يحيا الوطن ا

ثم كانت مقدمة المقصد ، ان يذرى
المجسم سلطانته على الاديب ، فيمير
لتأنيث ودلايل ونثر ونواعم ، السنة
المجسمين ، ينطقون بها في ساحة الرقص
ومشغل مدام تيريز وركر الدعارة ا

ولم انتقد الامل في ان يعود لنا الاديب
الاميل المبدع الذى عرفناه والفناء ،
لو حاول - بشجاعة - ان يسترد
نفسه التي ضاعت في تيار الانثارة
المنقطة ، والا يصر على ارتداء الزي
المجسم في اوساط لم تسمع قط بالحافلة
واللحنة والجمبة والديباجة والاور ،
ولم يالك قط ان تنطق بالفاظها على
مقتضى قواعد النحر وعوابط المعجم ،

وما نقرض على الاديب ان يعود
فيكتب بالعامية ، لكننا نؤمن بان مجال
النمحي ربح ، وانها لمن الحيوية
والمرونة بحيث تسمح لنا ان نتحدث على
السنة العوام بما تطوع به ، دون
هدوان على النمحي او سلس بها .

قضايا
أدبية

التكرار الأدبي

هل يكتب الأديب قصة بوليسية وثائية عاطفية وثالثة جنسية حتى لا يكرر نفسه ؟
أو هل يكتب مرة قصة ثم يكتب في النقد ثم في عالم الجغرافيا لكي يتفادى التكرار ؟



الأستاذ محمد الحليم عبد الله
والدكتور بنت الشاطئ

بقلم

شخصية معينة على الكاتب. ان المؤلف يكتب من باطنه ... يفترق من اعماقه. فالاحداث الخارجية تدخل اليه ولا تخرج مما فيها على الفور بل تخزن هناك في اعماقه لتخرج وعليها علامات من مزاج الكاتب وطبقته ولامحه مشوبة بذكرياته وآرائه على هيئة خلق جديد . حتى ولو اختلفت انواع القصص وتباينت طين ما ترضته الدكتور . فالقصص اذا كتب هذه الانواع الستة من الروايات في سنوات متعاقبة لا يستطيع - اذا كان اميلا - ان يفصل عن نفسه الا اذا استطاع ان يفصل عن ظله تحت ضوء الشمس . فالشخصيات من جواربه ومن معارفه وجيرانه واصدقائه واقاربه وابنائهم ، فلا بد ان ترى ملامحهم قصة بوليسية او عاطفية او خيالية او وطنية حتى ولو جنسية . وبغير هذا يكون العمل غير اميل . وتكون شخصياته أشبه بجماعة جيمتهم عربية نظار او فصل مدرسة ، او بمدة صور شمسية للزبائن معلقة على واجهة دكان

ما معنى التكرار ادبي ؟ وما الذي ينبغي ان يكون حتى لا يتهم الكاتب بتكرار نفسه ؟ هل يقسم اعماله هكذا حتى يضمن قيام حدود واسعة المعالم بين شخصيات كل رواية كالحدود التي تدنو مصلحة المساحة على رهوس الحقل . هل يفعل هذا : ١ - قصة عاطفية ٢ - قصة بوليسية ٣ - قصة وطنية ٤ - قصة جنسية ٥ - قصة مغامرات ٦ - قصة خيالية . واذا فعل الكاتب هكذا ، فهل يفهم ان يتخلص من فكرة الحق عليه ليكتبها في قصة . ولنفرض انه استطاع ان يتخلص من الفكرة في جعلتها كفكرة الشك التي سأعرض لها فيما بعد فهو لا يستطيع ان يتخلص من الحاج ببعض الشخصيات عليه ، فاذا سلم العمل الروائي في الجملة من الحاج فكرة عامة فانه لن يسلم في التفصيل من الحاج

(٢)

(المصوري) . وعلى العكس يأتى الامر بالنسبة للتجارب والاحداث والشخصيات في قصص الدنيا كلها فلا بد ان يرى القارىء ملامح المؤلف النفسية والاجتماعية والجسمية في احداث روايته جملة او تفصيلا لان هذه الاعمال تنسب اليه بالطبيعة وعلى طريق الحتمية انساب الابناء الى ابيهم

وبعد هذا الكلام النظري نأتى الى مرحلة التطبيق . ولناخذ مثالا على ذلك دستويفسكى : فنشخصياته في الجملة من طائفة المغمورين والمقننين والمرضى بالصرع . وشخصية بطل الجريمة والعتاب (واسكولنيكوف) شخصية (ايفان) في الاخوة كرامازوف بكل مزاجها ومقوماتها . وفكرة التخلص من الحياة المادية والتطلع الى حياة اسمى الحث على سومرت يوم في (حد المرسى) و (القمر والثلاث بنات) .

وشخصية (الطبيب) في قصص تشيكوف منتشرة جدا وشائعة جدا في اعماله كلها . وعندما نقول (شخصيات جوركى) نذكر الاناسيين والشردن المراقدين في الغابات وتحت القوارب المقلوبة على النهر ، وشخصيات تولستوى الراحلون في النهاية الى سيبيريا . كل هذا يا سيدتى لان الاديب لا يستطيع ان يعدم ويستهلك ، شخصياته وذكرياته أولا بأول بعد كل رواية ثم

يقف من جديد ليخلق شخصيات وذكريات لا ترتبط بمن مضوا . هذه ليست من الامالة ولا الطبيعة في شيء ومن الممكن - لو اتسع الوقت - عمل احصاء ومراجعة للادب العالمى لتبين للدكتورة انه لا بد من التشابه المختلف والاختلاف التشابه في اعمال الروائيين

اما التشابه بين قصة بعد الغروب وشمس الخريف التى زعمته الدكتورة بنت الشاطىء فهو غير موجود الا بالقدر الذى يربط الاخوين ابتداء الحلال

بابيهم لبعده الغروب قصة فقير موهوب يحارب الانقطاع . بعمقه وذكائه ، وشمس الخريف قصة شاب ضيمته امه وخلقت زوجته . والكفاح في الحياة هو الملامح التى تربط القصتين . هو الدم الذى يسرى في بشرتهما من ابيهما المؤلف . وشجرة اللبلاب وغصن الزيتون فيهما قصة الشك حقيقة . لكن ليس من الضروري كما قلت ان يتخلص الكاتب من فكرة تلح عليه . على ان الشك في شجرة اللبلاب كان ضروريا للذى ملك بسهولة وبلا عناء . والشك في غصن الزيتون كان ضروريا للذى لا يجد من لا يثق في ماضيها . وحسن في شجرة اللبلاب يمثل السيطرة التى تتمتع اذا ملكك . وعنده في غصن الزيتون يمثل الضعف الذى لا يدري صاحبه ماذا يأخذ وماذا يترك . وهذه هي الملامح

المشتركة التى تربط القصتين والدم الذى يسرى في بشرتهما من ابيهما (المؤلف) ثم هل لى ان اسأل السيدة الدكتورة . اين تقع قصة (لقيطة) اول اعمالى من قصة (من اجل ولدى) . احدث اعمالى المشورة ؟ هل هذه ايضا تكرار لتلك ؟ ثم يردى ان تراجع الدكتورة اعمالها القصصية وتحاول ان تجمعها تحت قاعدة التكرار لتري ماذا يحدث ، وانا اؤكد لها انها مشجد كثيرا من تجاربها وذكرياتها مكررة في اناسيمها وهذا شيء . اهنئها عليه مقدما . انا استطيع وكل كاتب قصصى عربى وغير عربى يستطيع ان يضع حدودا من الحديد بين كل عمل من اعماله بطريقة مصلحة المساحة في الحقول ، لكن بشرط واحد هو ان يكون الكتاب الاول (رواية) والكتاب الثانى (نقدا) والكتاب الثالث (رحلات) والكتاب الرابع (في علم الجغرافيا) . .

محمد عبد الحليم عبد الله



للاديب ان يدافع عن نفسه ما شاء، وعلى أي وجه شاء، إلا ان يتجنى فيزعم اني اردت له ان يكتب قصة واحدة لم يكتب، او عيت ان يكتب قصة بوليسية، لم يكتب، انم عاتية... او ان يكتب مرة قصة، وثانية في النقد، وثالثة في علم الجنس، كما يشقى التكرار ويضع بين اماله حدودا فاصلة امام رتبة النقد !!

وعدا ما لم انصوره بحال، بل لم انصوره ان خاطر الاديب بتجه اليه، حين اخذت عليه انه كرر نفسه في بعد القروب بقصته شمس الخريف، لم استورا التكرار في شجرة الرقابة النقدية، فكانت تحسن الزيتون من وادي شجرة اللباب !

افأحد له هنا وجه التكرار فيما ذكرت ! ان تحسن الزيتون وشجرة اللباب، انبتهما بذرة واحدة من بذرة الشك في علة المرأة، وسيطرت عليهما عقدة واحدة من تملذ الخلاس من هذا الشك، وانتهت كلتاهما بعمل واحد، هو الفرار من جسم العقدة والعجز عن حلها، اما ضمنا او من وهم السيطرة والتسلط. وكذلك تكررت صورة العرش، فكانت في احدهما تحسنا وفي الاخرى شجرة ا وحسب ان الاديب نفسه اعترف في رده باللامع المشتركة بين التعتين، والدم الواحد الذي يجري في عروقهما، لم اعترف بان ابوة المؤلف للتعتين كليهما، من المستولة من هذا التكرار، فهو لا يستطيع ان يتخلص من الحاح فكرة معينة، او سيطرة شخصية معينة، الا اذا استطاع ان يتخلص من تلك في ضوء الشمس، وهذا ما اومن به حقا، لكن هذا لا يقتضى التكرار في العرش، والوحدة في التناول، ومن اجل هذا لم امرض - في رتبة النقد - قصته لقيطة، ومن اجل ولدي رغم وحدة الابوة، ورغم وحدة البذرة، باللبنة لبنة الخليفة، ومن اجل ولدي لبنة شك لكن الاديب مضى بالشك في لقيطة الى نهاية حاسمة، فاثبت منه لقيطة على

حين استسلم في الثانية، لا برة ولد شكوك فيه !!

وقالت ان شمس الخريف تكرر ابعاد القروب، والعنوان نفسه يساعد على التكرار: فالقروب في واحدة، هو خريف العمر في الاخرى، وشكل الاداء واحد لم يتغير، حيث يتفرد في مغرب حياته، يسترجع اماننا قديمه وذكريات مائبة، في هدوء وديع، تتدهن به التجرية، وخذت حرارة الانتمال بالاحداث، في تصور المصير الهادي الساجي. وكذلك الاسر في شمس الخريف: ينفذ رجل في خريف مرة، يسترجع قصة حياته وذكريات مائبة، بنفس الهدوء، ونفس العرس، ونفس الملامح، وان تغيرت الاسماء ونظمت المواقف، بمناد ما تغير القروب بالخريف، والتمسك بالشجرة !

وحسب ان اعترف عبد الحليم بان ما بينهما من تشابه، هو ما يكون بين الاخيرين من ابتداء الحلال، وان بدا لربك المانع انه مثل ما بين التوامين !



وامرض بعد هذا لتضحية التكرار برجه عام، لأقول ان تكرار الموضوع، او وحدة الفكرة، لا مألذ عليه، فكلنا نفعل ذلك: تسيطر علينا فكرة معينة فتؤذيها، لكن في مسود شتى ومن زوايا مختلفة، كما فعل عبد الحليم نفسه في لقيطة، ومن اجل ولدي.

وعندك ادباء تخصصوا في موضوع واحد، ولكنهم لم يكرروا انفسهم بالاداء الواحد، والمرض الواحد. وهذا هو مالمه الادباء الغربيون الذين ذكرهم عبد الحليم، وفعل مثله ادباء عرب، قدامى ومعاصرون: انار ابي العلاء جيبا تحمل ملامح شخصيته، وسيطر عليها بالحاح، بالعبه في الحياة، دون ان تكون رسالة الفزان تكرارا لرسالة الملائكة، او تكون الفصول والفايات تكرار مشورا لستلذ الزند، الشوئي مثلا، واي خاصي في الراء، لانخطئه في اناره، كما لانخطئه فيفسا جيبا ملامح شخصيته، لكن لم يقل نائد ان شوئي في مملكة التخل كرو نفسه في شوقياته الاخرى من الانثى !



د. بنت الشاطي



محمد عبد الحليم عبد الله

او ان تبتأس في تمييز، تكرار لكليوباترة او ليلي. على ما في هذه الآثار جيبا من ملامح مشتركة من ايها الشاعر، ونالز الملائكة، تسيطر عليها فكرة الحزن، وتلح عليها - في آثارها - الحاحا بينا، وتقرأ مع هذا، قصائدها في: عاشقة الليل، وشظايا ورماد، وقرارة الرجوة، فلا تلمح أثر التكرار العرش في قصائد الدواوين الثلاثة، وان اعتز وجدائنا بملامح الحزن المشترك بينها، ولم تخطئه فيها جيبا ملامح الشاعرة، بكل ما يميز شخصيتها الفريدة...

قبل يرى الاديب عبد الحليم، ان ابا العلاء احتاج الى ان يكتب رسالة بوليسية لم قصيدة جنسية ثم قصولا جغرافية، كي ينجو من التكرار، او منده ان شوئي، تغادي التكرار بمجموعة صور شمسية كذلك التي يملأها المصوراتي لزيائته على واجهة دكانه، او هل يرى ان نالز الملائكة، حين ألححت عليها فكرة الحزن ولم تنج من سيطرتها على آثارها، اصاحت ظلمت وفقدت اصالتها، وكانت قصائدها اشبه بمجموعة دكاب في لظار، او مجموعة تلاميذ في فصل مدرسي ؟



أقول الحق ! لقد ذكرني صديق عبد الحليم، حين كبر الزمن بالشجرة، والقروب بالخريف، بنادوة أثبت من « بوانكاريه » ل زيارته لانجلترا، حين استقبل عشرين ولدا من شتى الطوائف، واصفى الى عشرين خطبة ترحيب به، فرد عارضا عشرين مرة شاكرا، دون ان يكرر عبارة واحدة ل مرتين، وروى « ابن بام » في اللخيرة، انه سمع وليرا فقة من وزراء اشبيلية يقول عن ابن زيدون: « للهدى بان الوليد قائما في ماتم بهش حرمة، والشاس بدرونه على اختلاف طبقاتهم، فما سمعناه يجب بما اجاب به غيره ! »

ذكرت هذا، وذكرت معه ان « لودويج » ابدع كتابه من « النيل » وهو مجموعة جغرافي، وان من اعلام الفن من ابدعوا لوحات عديدة في موضوع واحد دون ان يكرروا انفسهم، وان من المصورين انفسهم من باخذون عشرات الصور لشخص واحد، من زوايا مختلفة !

ارجر بعد هذا، الا يشهدوا بالحق انني انكرت عليه وحدة الموضوع، او الحاح فكرة معينة - هي فكرة الشك في الانثى - على اكثر آثاره، وانما الذي اخلفه عليه هو التكرار في التناول، والسيات، والاداء، فجاءت آثاره متشابهة تشابه الاخوة فيما يقول، كأنما التمثل محتوم لكي يكون الاخوة - حتى مع الحاح فكرة الشك - على ايهم المألذ - ابتداء حلال ! !

بنت الشاطي

أنا حائر من امرها !

وانتهى حديثي مع المستشار الأستاذ كامل لطف الله .. وانصرفت رضى آراؤه
تشاركتي الطريق .. آراءه مضيئة بلا ظلال .. واضحة بلا خيرة .. وقررت أن
اتجه إلى السيدة تحيرنى آراؤها .. هي من قيادات الراى فى مجتمعنا .. ولكننى
حائر فى امرها ..

هل هي زوجية متمزمة .. أم أوهى تقديمية متحررة .. ؟

فهي ترتدى ملابسها وفق الأصول الشرع وبما يرضى
استاذنا الشيخ أبو زهرة ..

وهي تقود سيارتها ، وتدخن سيجارتها ، وتقوم بين الرجال
معلمة وخطبة ونائبة فى مجلس المحافظة ، وكاتبة أصيلة القلم ،
شبهه كالسيف المسموم فى وجوه عمالقة الادب والفكر ..
صوتها عذب فيه كل جرس الانثى ..

وجدلها صاحب فيه للعنسة الافعى وشراصة قط الجيل

فقد دأبت طويلا على ان اقرا سطورها بتوقيع « بنت الشاطئ » فى جريدة
« الاحرام » .. ثم احاول ان اقرر اوجهها كلما صادفته فى مجلس عام ..
وحيرتني سطورها .. بقدر ما حيرتني بسمتها العريضة تملأ عينها السوداوين
شعنا كل بهجة النعم الراقص .. على الشاطئ المترنح ساعة الغروب ..
وبنت .. بنت الشاطئ .. تخال معتزة باصالة نبتها من اعيانها ..

ان سطورها هائلة بالنقد والرفعة الجامعة فى الاصلاح ، والدفاعات
المتحمسة نحو التطور .. ثم لحاة تجد هاتين بحمل اقال رجعية ، انت تحر
انها انما أخذ كل قوتها فى سبيل حلها .. هي فى بناتها مؤمنة بالتطور ، وهى
فى وهنها يخاف هذا التطور وتخشى اوبىن الايمان والخوف بتأرجح قلبها

بين انطلاق المركب البشرى الذى لا
مهرب منه .. وبين عمامة الوعظ
والارشاد تضعها قسرا فوق شعرها الاسود
التياب ..

وكذلك بسمتها الشرقية الجداية ..
لا تلبث فى لحظة ان تختفى ، لترى
قنصلت متجبهة ، تمير من قبوة
التقاليد والمعادن عندما تغزو قبضات
بنت الشاطئ .. فاذا بها بنت
المصر .. بنت الفضاء المخيف ..
ولكنها فى بيتها .. بنت الشاطئ ..
الكرنم المضيق .. ملساء العبارة ،
صادقة الترحيب .. انتزعتها امومة
البيت .. ودفء عاطفة الزوج ، من كل
زئير سبوح الحياة بورقابة الجامع ..

تعال ناكل الفتنة والكوارع



بنت الشاطئ ..
هنا رجال يستحقون القرب ..

(٢)

داود ، قل لصديقك موسى صبرى عن
مادائنا .. احنا قلاحين .. والصداء
جامر ، شاكلون من الزوج ، وبومنا
فتة وكوارع .. وكان لابد ان اجرم نفسى من الكلة
« الفتة » مع دكتور الادب الاستاذة
فائشة عبد الرحمن ، فقلت كنت على
معد حال ، ولكننى لم احرم نفسى من
جدل طويل معها ، اشهى من « الفتة »
ب سيدتى انا حائر معك .. هل انت
بنت شاطىء القرن الماضى .. ام انت
سيدة مجتمع عام ١٩٦١ .. لقبيل
سمتك فى التلفزيون تقولين وتكررين
انك تؤيدن شرب المرأة ، وقلت اكث
من مرة ان هناك صنفا من النساء لا

ان يمر هذا المجتمع الا اذا حرمت على فضائله ..

— معنى الفضيلة يختلف ياسيدتى ويتطور واشتغال المرأة العربية
بالحياة العامة يغير من تكييف الفضيلة فهى تلتقى بالرجال فى عملها ، وهى
تتلقى برغباتها او بالرغم منها مع تطوّر العلاقات فى مجتمع يتسعى الى
التسوية بين الرجل والمرأة .. فهى تغزى وهى تقبل دعوة زميلها الى السينما ،
وهى تشاركه بشاكله بمواطفتها ، وهى تحبه وهى تتلقى بنظرة العين ولبة العنان ؟

من حقها ان تخطب الرجل

بنت الشاطىء — لا تحاول ان تمزج بين اشتغال المرأة وبين تنازلها عن
فضائلها ، ترخيى المأظفة ليس تقدما ، البسوها هو التقى ..
الإبلاغ من الانوثة ليس تجوبا مع روح العصر .. ولكنه انتكاس .. يار عفتى
المرأة ، وهذا هو الفصل الراضح بين المحافظة والرجعية .. هل تدهش اذا
قلت لك اننى اريد ان تخطب الفتاة رجلها ، ان تقول .. اريد ان اتزوج
هذا الرجل ؟
— لن ادهش ..

(٣)

بنت الشاطيء - كيف تقول اذن انني رجمية وانا انادي بهذا ؟
- انا لا اقول انك رجمية ، ولكنك حائرة بين تراث راسخ في نفسك من
التقاليد .. وبين جروح عارم في نفسك نحو التقدم .. ان قولك بان من حق
النساء ان يختار رجلها يقتضي الانساق أولا على المرحلة التي تسبق هذا
الاختيار ، فلا بد اذن من ان يخالفه ويخرج معه الى اكثر من خلوة ، حتى
تكون رايها .. فقبل ان يكون رايها ..
بنت الشاطيء - لا .. انا لا ازيد الخلوة بين رجل وامرأة ..
- مدنا اذن الى حيرتك ..
بنت الشاطيء - انت الحائر ..

بنت الشاطيء - انت الحائر في آرائك .. انا لا انصبر منك نداء الى ضرب المرأة
كيف تؤذيها بالضرب ؟

بنت الشاطيء - لقد اوضحت رايي في ندوة التليفزيون ، وانت الذي تحدد
وتداول ، لقد قلت ان الاسلام دين واقعي .. ودين مثالي ، فهو واقعي
يعطي صورة صادقة لحياة الناس ، وفي حياتنا نساء لا يرتدعن فعلا الا بالضرب
.. وهو مثالي يدعو الى المحبة والمودة بين الزوجات ، وضرب الزوجات ليس
هو مرحلة التفاهم الاولى مهمسا .. واللاتي يخافون نشرهن في
واحد منهن في المضاجع واضربوهن .. فان اظنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ..
الضرب اذن بعد المظلة وبعد الحجر ..

- وما هي حدود نشر الزوجة الذي يوجب ضربها

بنت الشاطيء - الشوق اشد به بالابق

- وما هو الاباق

بنت الشاطيء - الخسوف على الطامة ..

- حتى لو كان الزوج ظالما ؟

بنت الشاطيء - انت تعلم يا سيدي ان هناك رجلا يستحقون الضرب ايضا
كما ان هناك نساء لا يتردعن الا بالضرب هذه حقيقة لم تريد اخذوها .. ان
المرأة تستطيع ان تطلب الطلاق بالفسادة اي اذا اولاما الزوج ظمرا وهو ظالم
هناك زوجة تؤلمها النظرة الباتية باكثر من الضرب .. ولكن ما حيلة الرجل اذا
اصرت زوجته على تصرفات سخيفة او مبتدلة ..

- وما هي حدود الضرب ؟

بنت الشاطيء « ضاحكة » .. كفاية كفين على وشها يفوقوها !

قصة مع المرأة

وتطور الحديث بعد ذلك الى قصة جادة لقيم روح الاسلام فيما صحبها ،
.. وتكلمت بنت الشاطيء كثيرا عما تدور في ال حيرتي في امرها .. ان ما
تفكر فيه هو قمة الدعوة الى التحسروالمسلم .. ولكنها في هذا الصدد تقف
في حناد رائضة ان تنظر الى ما حولها .. مشيئة في التشبث بدعوى ..
وهي التي حطمت كل قيود الرجمية التي حاصرتها في طفولتها ومبناها
تقد نشأت في بيت كان دبه بحسرووجود امرأة به .. وكانت الطفلة بنت
الشاطيء تضع ستارا اسود وراء زجاج النافذة حتى ترى وجهها .. او تمشط
شعرها .. واكتشف الاب هذه المعصية فثار وغضب .. ولكن لودة الاب التي
تبيحت في تعزيم المرأة على بنته ، فشلت في ان تحرمها من التعليل واستغلاية
الجانية وقيادة الجاهل ..

قصصا

أدبية

بمقام الكتبة تحت الشاطئ

نزار قباني

وصوتي عبد الله في موقف انهم

« السرقة الادبية من اخطر التهم ، ويجب ان نتردد طويلا قبل ان
نتهم اديبا بها ، فالموضوع الادبي انساني مشترك ، يمكن ان يتوارد عليه
الادباء جيلا بعد جيل ، ثم لا يكون لنا حق اتهام احدهم بالسرقة ،
مادامت له شخصيته المتميزة في تناول ، واسلوبه الخاص في
الاداء .. »

القصة قديمة ، عرفها الادب منذ كان وشغل بها النقاد على مر الالعصر وتتابع الاجيال ، وما تزال تتجدد وتثار ، كلما
عرفت مناسبة او جد اتهام ..
والمناسبة اليوم ، هي ما يتردد في المحافل الادبية من اتهام للشاعر نزار قباني في قصيدته « وحيدة » وللكاتبة صوفي
عبد الله في احدث قصة لها « عاصفة في قلب » ..

وقد تولت على نصبة انظار السباح
للشاعر الفرنسي الماصر: « جاك برينيه »
وفيها يقول :

وضع القهوة في الفنجان
وصب اللبن ، وضع السكر
واذابه بالمعلقة ..
وشرب القهوة ، وازاح الفنجان
دون ان يكلمني ..
واشعل سيجارة ..
وصنم حلقان بالدخان
واظفا سيجارته ..
ودون ان يكلمني .. دون ان ينظر الى
قام واقفا .. وارندى معطفه
ورحل تحت المطر .. دون كلمة
ودون ان ينظر الى ..
فكان الاتهام

نص قصيدة نزار

انني قصيدة نزار
اخرج من معطفه الجريدة ،
وعلمة القلاب
دون ان يلاحظ اضطرابي
يدونما اهتمام
ناول السكر من امامي
نوب في الفنجان قطعتين
ويني ..
بعد لحظتين .. ودون ان يراني
يعرف الشوق الذي اعتراني
ناول المعطف من امامي
غاب في الزحام
مخلفا وراءه الجريدة
وحيدة .. على انا وحيدة ..



نزار قباني

التاريخ: ١٠ / ٢ / ١٩٦١

(٢)



فرانسواز ساجان

صوفى عبد الله

وما بين القسيتين من ملامح الشبه ، لا يبدو توارد خواطر في دنيا حوارا المشتركة .. فليس يستبعد ان تعالج صوفى - سموعا عالجت قبلها فرانسواز ، وكلتاها انش .. وغير مستغرب ان تتشابه الاشخاص .. وتتشابه مواقف ما دام لكل كاتبة أسلوبها وجوها ..

افتراسي انعصب لسوفى ! كلا .. فالواقع انى انكرت قسيتها ، لكن لسبب غير هذا الذي قيل عن شبيها بقصة فرانسواز : انكرت شذوذ اميرة المتخانية في حب زوجها ، وهي تمارس هوايتها الشاذة .. وانكرت شذوذ الزوج المنطرج الماخوذ ببراعة زوجته في اجتذاب الرجال الى شبيها دون ان تقع هي في المصيدة .. وكفى القسى ما انكرته من شذوذ في قصة الشسواز ، ان تتعلق اميرة بورشد لانه يشبه وحدها الذى ندد ..

وهذا التحلل في هقدة القصة ، ينقلها من عشيق الى زوج ، يشبهه شذوذ آخر في نهايتها : فرانسواز تكتفى بعودة المرأة الى عشيقها الاول ، واندماجها في الفة معتادة ، على لحن براهمز ، على حين مضت صوفى باميرة ، عندما تسررت تلح علاقتها بالفنى خورشيد ، وعودتها

كل كيانها الى الزوج ، مضت بها صوفى الى البيت ، ثم جعلت الزوج يخرج مع الخادم لشراء معدات الاحتفال بالمودة ثم عدت الى المدفة لتجرب خورشيد في هذه اللحظة .. وبياعت المسكين بفتور مشيخته ، واسرارها على معاملته كضيف ، ليد يد الى سكن بجانب طبق من التفاح جاءت به اميرة تحببة فدانة ، ويجرحها بالسكين في وجهها ، في اللحظة التى يعود فيها الزوج مثقلا بطعام الوليمة ، ويدرك في ثوان ، حقيقة الذى يلفته المغامرة الطائشة ، بطرد خورشيد ، ويعيش مع اميرة في بيتها على طيعة سارمة ، لدى سئين لا يبدو لها آخر ..

قلت اذانع عن صوفى : هذه النهاية غير الاخرى عند فرانسواز ، وهذا الاسلوب غير الاسلوب والجو غير الجو ،

بالمشيق ، لم يمس جوهر الموسوع للمغامرة المرأة النافخة المجربة ، مع لنى اصغر منها سنا واثل تجربة ، ثم مودتها الى الرجل الاول ، لكن هذا الصنيع جعل معتدة الموقف وافسده بالغربة والشذوذ ، اذ من المألوف ان تنفصل باريسية من عشيق الى آخر انصر منه شباها ، ثم تكتشف عيب المغامرة الطائشة لترجع الى قديمها ، لكن ليس من المألوف ان تحدث هذه المغامرة نفسها من سيدة عربية مصرية - تصر صوفى على ان تفضى على جوها ظلال الاحترام - على مراهى ومسمع من زوجها الكريم المحترم .. واذا كانت « اميرة » مخلوقة شاذة ، تحب زوجها وتمارس في الوقت نفسه هوايتها في اجتذاب الرجال الى شرك لتفتنوا وحبائل مكرها ، فاشبهها ، واما زوج ذو كرامة وشخصية وسن وتجربة يتفرد على زوجته وهي تمارس هوايتها الشاذة مع اى رجل تختاره لتستمتع بوقوعه في مصيدتها ثم تقف لتضحك عليه .. وحين يلمح هذا الزوج بوادر الخطر على زوجته في لمبقتها مع الفنى الموسيقى ، يكتفى حضرتها بان يلفتها اليها ثم يبتلى في موقف المنطرج دون مبالاة ، حتى تقم الماساة ..

(٢)

انه انشأ اليه من عنده ما غيره تغييرا
جوهريا يحسب له ، فبهذه « الجريدة »
التي ربط بها نزار اول القصيدة باخرها
لم تعد المرأة عنده ، كما هي عند الشاعر
الفرنسي : قدح شراب يرتشف وسيجارة
تدخن ثم تطفأ ، وانما هي جسيمة
بفرغ منها صاحبها فيلقبها باهمال على
قارعة الطريق ، ويبضى وليس في الحساب
ان يعود اليها فيلتصمها بعد ان اخرجها



من دنياه ، وانما قد يراها غابر سبيل
فيلقطها ان كانت له بها حاجة ..
بين الموقفين فرق دقيق فيما اقدر :
وان كنت ارتاب في ان كلامي هذا
سيشفع لنزار ، منذ من يمرون على
اتهامه ..



اما عن صوفي عبد الله ، فانسى اننى
برأت قصتها عاصفة في قلب ، فلم تذكرنى
قصة فرانسواز : هل حين براهمز ،
وذلك دمشت حين لفتنى لفت الى هذا
التشابه بينهما ، وحاولت ما استطعت
ان اذاع عن صوفي ، لكن الاتهام ظل
قائما يحيط كل مصالحة منى في هذا
الدفاع ..

فاستبدال الزوج في قصة صوفي ،
المعشيق الاول في قصة فرانسواز ، لم
يغير من ملامحها المشتركة ، والفتى في
القصتين هو هو ، بكل ملامحه المميزة ،
والمرأة الحائرة بينهما ، هى هى ، بنسج
تجربتها وشخصيتها وسنبا ، والذي
فعلته صوفي ، حين استبدلت الزوج

اما عاصفة في قلب ، فتبيل انبعاثها
بمصف ، لقصة فرانسواز ما جان : هل
حين براهمز ؟ وكان الذى اثار الشبهة
واما لى الالسنه بالقبول والقال ، ان قصة
فرانسواز تسدور من ابطال ثلاثة :
امرأة ناضجة في العقد الرابع من عمرها ،
ورجل مجرب يكبرها سنا ، وفتى صغير ،
في فرارة الصبا وحرارة الشباب
ومثلها تماما قصة صوفي بابطالها
الثلاثة ..

وموضوع القصة هند فرانسواز ،
مغامرة المرأة الناضجة ، حين تدع
صاحبها القديم وتتعلق بشاب بينهما من
فارق السن ما بين ام وولدها ، وتضى
بمه في مغامراتها الطائشة ثم لا تلبث
ان ترتد فجأة الى راسدها ، فتدرك
شذوذ علاقتها بالشاب الغريب ، وانه لن
يكون لها ابدا ، وتعود الى صديقها
الاول ..

وكذلك هو موضوع « عاصفة في قلب »
اذ تمارس « أميرة » مغامراتها مع
« خورشيد » الموسيقى الشاب ، رغم
امثالها بحب زوجها ، وتضى في المغامرة
الى اقصى مداها ، ثم يعود اليها راسدها
بفتة ، فتتلفس يديها من الفتى وتلفظه
نهایی من قلبها ودنياها ، وتعود الى
رجلها الاول ، مؤمنة بعد ان صهرتها
التجربة ، انها لهذا الرجل الناضج
المجرب الذى تزوجته من حب ، وادمنت
النها له .

واللحن الموسيقى ياخذ دوره الفعال
في قصة فرانسواز ، وهو ياخذ مكانه كذلك
في قصة صوفي ..

ومن هنا كان الاتهام !



وابدا بتهمة نزار ، فارى الامر فيها
بالغ المصوبة والصرح ، اذ لو انه
استطاع ان يرد وحدة المشهد الى مثله
شائع مالوف ، يمكن ان يلفت اكثر من
شاعر ، فليست ادرى كيف يسهل على
نزار ، ان يتخلص من حكاية الفئسان
هذه ، وقد ذوب فيه السكر كما فعل
الشاعر الاخر ، ومضى مثله غير مكتوث
بنك التى تغوب امامه ..
واقول مع هذا ، انه اذا صح ان
نزار اخذ الموقف من بونيفيه ، فالحق

التاريخ: ١٠ / ٢ / ١٩٦١

(٤)

الرقعة التي احسستها تترقرق بين جوانحي
وتفيض من كيانى ..
« ورفعت يده وقبلتها ، وقد امتلأت
الارض والسماء بنعمة الرضا . . . »
ص ١٦٣

اقول : حين يصل الشذوذ الى هذا
المدى ، فتمارس ام نكلى خطيئتها مع
شبيه ولدها ، ثم تجعل من مخدع الدنس
محراب عبادة وخشوع وركوع وتسبيح
وبركة ، تكلا وكلا . . . يفتح الله . . .



لست اذن متعصبة لهوى مع بيت
لحواء ، ولكنى كرهت ان يبادر مشرع
فينجمها بالسرقة ، لان فى تمسكها شبيها
بقصة « هل تحبين بواهي » . . . ذلك
لانى اعلم ان الموضوع الادبى انسانى
مشترك ، يمكن ان يعالجه اكثر من اديب
وان يتوارد عليه الكتاب جيلا بعد جيل ،
وبحسب الكاتب ان يكون له طابعه
المتميز فى تناول ، واسلوبه الخاص فى
الاداء . . .

ومن قديم . . من وراء خمسة عشر
قرنا من الزمان ، احس الشعراء فى العصر
الجاهلى ان السابقين استنفدوا اكثر
موسوعات الشعر ، فقال « عنقوة
العيسى » .

هل غادر الشعراء من مخزن
ام هل عرفت الدار بعد نومهم ؟
وكذلك قال « زهير بن ابى سلمى » :
ما اوانسا نقول الا معسارا
او معادا من لفظنا مكرورا
بشت الشاطيء

فلما ، ثم تمارس علاقة جنسية اثمعة
مع شبيه ولدها بكل تجاوب وطواعية
وارتياح ! وبدلا من ان تشور اموئها
لهذا الدنس ، نراها تعرض علينا مشهد
السقوط مع من يذكرها بولدها ، فى جو
العبادة والخشوع ، ثم تضى فتزول
التساييح اثر افقتها من غيبوبة النشوة
الدنسة :

« وركع على الارض بجانبى ، وتناول
يدى وجعل يقبل اطراف اسامي العشرة
واحدا واحدا فى عبادة وخشوع . .
ويقول :

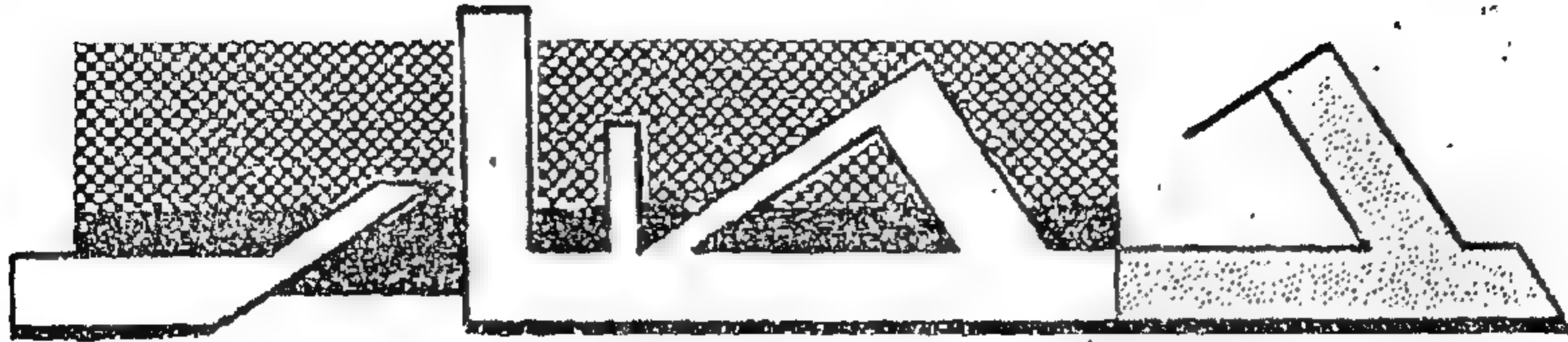
— انت المرأة الكاملة . . كل امرأة
تاخذ شيئا من الرجل الذى تربده ، وانت
منحت بلا اخذ . . اعطيت بلا سزال . .
« وترقرقت الدموع فى عيني ، وجذبت
راسه نحوى وقبلت فيه المرتجى الواقع :
— انت جميل . . نبيل . . كازهار
الزئبق .

— . . تلك التى توشى من نيسج
الصفاء . .

« وعاد يقبل اطراف اناملى ، ثم تناول ،
هدب ثوبى يقبله ، وميناء تسبحان تسبيحة
لاتنهض بها الالفاظ . .
— انت انقى امرأة . .

« واقتسمرت اوصالى لثلك العبادة
الخائسة من فتى نال كل شيء ، ولكن
كما يتمسح المابد بركان المبود ، ولا
يراه الا زاد قداسة بما اثناء عليه
من الرضا والقربى ، فيزداد له طاعة ،
وخشوعا . .

« ووضعت يدي فوق هامته وهو راخع
يقبل اهداب ثوبى ، واحسست انى
اباركه ، وابارك الارض والسماء من فيض



من تراشنا الروحي

قصة
صراع
بين القوى الباغية
والإيمان الصادق



بمسلم
والكثرة بين الناس

حمد يعرفون لما هو اقصى من الموت
ولقد بلغ بهم الحال انهم كانوا يذكرون
ورق الشجر ، وربما وطئ احداهم بقدمه
على شيء وطئ ، لئلا يقطعه والقائه في لعمري
وابتلعته دون ان يدري ما هو !

وقد يفتد على سوق مكة تجار غرباء
لائقة لهم في الامر ولا جمل ، فيأتي احد
المسلمين السوق ليشتري شيئا من طعام
حياله ، فلا يكاد يدنو من تاجر حتى تأخذه
سيحة عالية ، واذا ابو لهب - كنت
بدها ! - ينادي باعلى صوته

« يا معشر التجار ، غالوا على اصحاب
محمد حتى لا يدركوا منكم شيئا ، فقد علمتم

الدنيا بيل ..
وقد انفض سائر قريش فاصرفوا الى
اجمعهم مطعنين ، يحلمون بيوم تريب
يرغون فيه من امر « محمد » واصحابه
قد اوشك الحصار الذي فرضوه
بهم لدى ثلاث سنين ان يبلغ غايته
حتى المستحيل ان يمد هؤلاء المجاسرون
حيلا ، بعد ان جهنوا جوعا وعريا ..
فمنذ قضيت قريش على بني هاشم
من بعد المطلب ، اذ لم يتخلوا عن
محمد ، وتماتت الا يتزوجوا منهم
؟ بل وجوههم ، ولا يبيحونهم شيئا ولا
سأعوا منهم ، ومنذ سجلوا هذه القاطعة
- سحيلة ملتوها في جوف الكمية ، وال

(٣)

من لسع البرد ، فلا يكون لهم الا ان
يملأهم بفرج قريب ، والا ان يندموا ،
ضاجعهم باحلام وآمال ، في تبع وري
وكساء ، يأتي بها الفجر بعد ان يدير

الليل ويولي الظلام
الدنيا ليل ..

وسيد من قرشي ، هو هشام بن عمرو
ابن ربيعة - ابن اخي نضلة بن هاشم
لامه - قد تنهى الى سمعه جوار
الصبية الجائعين ، فاطار النجوم من
جفنيه ، فخرج يضرب في احشاء الظلمة
تلق النفس والضمير ، حتى بلغ بيت
زهير بن زاد الركب المخزومي - واه
عائكة بنت ابي طالب - فالفاه مسجدا
مثله لاينام ، فبادره قائلا :

- يا زهير ، اقد رخصيت ان تاكل
الطعام وتلبس الثياب ، واخرالك حيث
هللت ؟ .. اما اني لاحلف بالله ، ان
كانوا اخوال ابي الحكم بن هشام ، ثم
دموته الى مثل ما دعاك اليه بيهم ، لما
اجاك ابدا !

فتجلد زهير وقال :

- ويحك يا هشام ، فما اصنع ؟ انما
انا رجل واحد ، والله لو كان معي رجل
آخر ، لقت انتفض صحيفة المقاطعة ..
قال هشام : قد وجدت يا زهير رجلا
نانا منك !

وخرجا معا يضربان في الليل ، حتى بلغا
« المطعم بن هدي من عبد مناف » فقالا
له :

- يا مطعم ، لقد رخصيت ان يهلك بطنان
من قومك بني عبد مناف ، وانت شاهد
على ذلك ، موافق لقرشي فيه ؟
اجاب بانسا : ويحكما ، لماذا اصنع ؟
انما انا رجل واحد !

مالي ووفاء لمتي ، وانا ضامن ان لاخسار
عليكم »

فيزيد التجار في ثمن السلعة اضعااف
قيمتها حتى يرجع المسلم الى اطفاله
وهم يتضاغرون من الجوع ، وليس في
يديه شيء يطعمهم به . ويندو التجار
على « ابي لهب » - عم النبي صلى الله
عليه وسلم - فيريحهم فيما امسكوا
من آل محمد من الطعام واللباس

وربما رق قلب قرشي من المشركين ،
تربطه بال محمد صلة رحم ، فتسلل
الى شعب ابي طالب يريد ان يحمل
بعض الطعام الى الجياع المحاصرين في
الشعب ، فيلقاه طاغية من قرشي ، مثل
« ابي الحكم بن هشام » فيصيح به
متوعدا : « اتذهب بالطعام الى بني
هاشم ؟ والله لا تبرح انت وطعامك حتى
انفحك بمكة واحداث القوم عن خيانتك »
ثم يثب عليه فيضربه حتى يشججه ،
ويحول دون وصول شيء من الزاد الى
الذين اضر بهم الجوع !


الا ان لطاقة البشر حدا ، وقد بلغ
باسحاب محمد جهد الحصار اقصى مدا
فان هي الا عشية او صباحا ، وتنفذ
الطاقة ويغنى الاحتمال ويغلب الصبر !



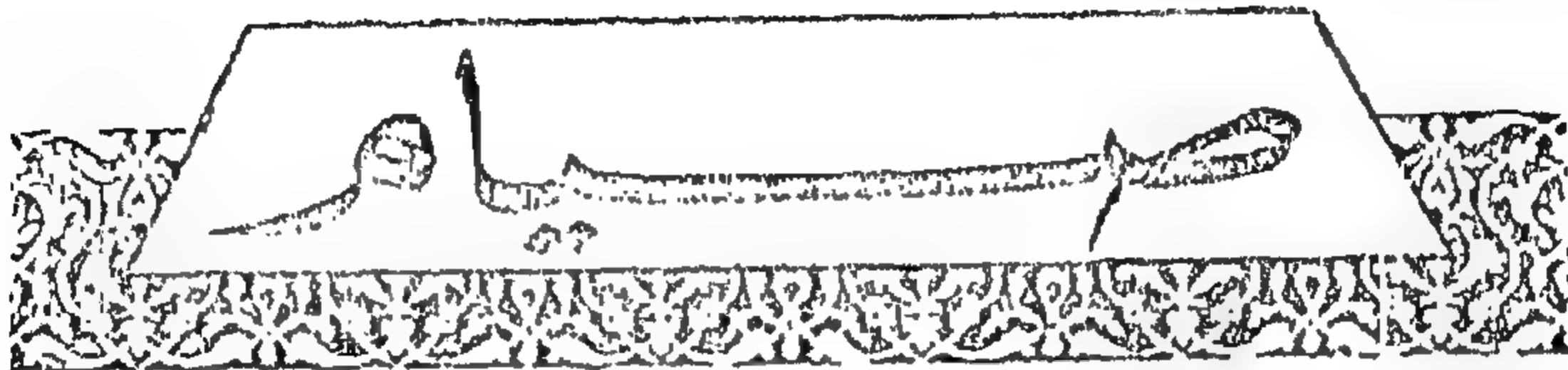
الدنيا ليل ..

ليل طويل بارد ، واصحاب محمد في
شعب ابي طالب ، قد زاد الشكرى عن
جفونهم جوع قاسى الضراوة ، فهم
يستميئون عليه بالصبر والملافة ، ويدفنون
حدة ضراوته بالايمن الراسخ : انهم على
حق ، ويقارمون سطوة البرد بدفء اليقين :
ان الله لن يخذلهم ابدا ...
رضخارهم يتضورون جوعا ويرتعدون

الثياب وبنو هاشم ملكي جباع ، لا يباع ولا يبتاع منهم ؟ والله لا اتعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة ..
وصكت كلمته مسمع « ابي الحكم بن هشام » نهب قائلا :
- كذبت ، والله لا تشق !
فما راعه الا ان تتابع اصحاب زهير الاربعة ، الذين تعاهدوا معه في خطم الحجون على نقض الصحيفة ، بقول احدهم بعم الاخر ..
- صدق زهير ، وانت الكاذب ! وانا خيرا من الصحيفة وما كتب فيها ..
فنقل ابو الحكم عينيه بينهم ، ثم قال في ارتباك :
- هذا امر تضي فيه ليل .. تشوور فيه غير هذا المكان ..
والجبه النبط فوق حيث هو لا يريم ، وقام المطعم بن مدي الى الصحيفة ليشقها ، فوجد الارضة قد اكلتها ، فلم يبق فيها الا :
« يا سمعك اللهم » ..
وعلت عجلة ملات ارجاء مكة حتى لغت اسماع المحاصرين في الشعب ، خروا لله سجدا ، ثم قاموا يسمعون الى الكعبة ووجوههم الشاحبة تتالق بنور الايمان ، واجسادهم المهزولة تترنح نشوة الظفر ، وهتافهم « الله اكبر » يزلزل الارض تحت الوثنية الطاغية المشواء ، ويعلى بعل البقن والاصرار ان النصر للحق وبركه المطلقون !
فت الشاطئ
• من كتاب « السيرة النبوية لابن هشام » يقتصر في سير ..

قالا معا : بل معك فان وثالث ..
والتمس الثلاثة طريقهم الى « ابي البختری بن هشام » وحدثوه في امر الحصار ، فسألهم في لهفة :
- وهل اجد من يعين على نقضه ؟
اجابوا : بلير فما جئناك الا لهذا ..
وانطلقوا جميعا الى « زمعة بن الاسود » فذكروا له قرابة بني هاشم منه وحققهم عليه ، ولما سألهم :
- وهل على هذا الامر الذي تدعونني اليه من احد ؟
اجابوا : نحن الاربعة ..
وضربوا للقاء موعدا من تلك الليلة ، وحددوا مكانه : خطم الحجون ، باعلى مكة ..
وهناك ، اجتمعوا امرهم وتعاهدوا على القيام في نقض صحيفة المتابعة ، وفك الحصار الذي اوشك ان يهلك محمدا ومن معه من اتاعه ، ومن آل هاشم وعبد المطلب ..
ثم آبوا الى بيوتهم لناموا ، وطوى الليل سرهم فما درى به احد من القوم غيرهم .

ثم كان لهذا اللين الطويل آخر ..
وتنفس الصبح ، فكان « زهير بن زاد الركب » اول من خرج يسمي مع مشرق الشمس الى الكعبة ، فطاف بالبيت العتيق سبع مرات ، ثم انثنى الى ندى ريش ، وقد حفل بوجوه القوم منبدرهم تائلا :
- يا اهل مكة ، اناكل الطعام وتلبس

التاريخ : ٢٤ / ٢ / ١٩٦١



من تراثنا الروحي :

« هذه القصيدة منقولة - بتصرف يسير - في المرض - من تفسير الزهري وتفسير النيسابوري لسورة الانسان . وقد يقول قائل : انها حكاية يبدو عليها ظل الوضع ! ونقول : انها لا تفقد مع ذلك ، دلالتها الصادقة على تصور المؤمنين لحياة آل بيت النبوة في أيام صوم . »



انصرف النهار او كاد ، و « فاطمة بنت محمد » - على اث مليه وسلم - في بيتها بالمدينة حائرة ، لا تدري بمصاهم ينظرون في مشرب يومهم ذاك ، وليس في الدار شيء يؤكل ! ولكن نيم العيرة ! ان مرمد الانطار لم يحن بعد ، والامل في الخالق الرزاق كبير ، ولعل زوجها « علي بن ابي طالب » ساني بين لحظة واخرى ، ومعه شيء من طعام ..

واخلت بالها من النهم ، وقامت تملأ من ثوبها من ولديها « الحسن والحسين » في طمبهما مساحة الدار ، لانساه وجبها بنور النخلة والوقا ، حين راتهما ملء الصحن والنخلة والمرح ..

بالعزيزين الغاليين ! من اجلهما تصوم اليوم ، ويمرر امومها « علي » ونساء ينذر لهما : ان ابرا اله ولديهما من مرض كان قد ألم بها ، ان يصوما ايما ثلاثة وقد شلى الحسن والحسين من مرضهما ، وان لا يوبهما ان يلبا بالنذر ..

وشغلت « الزهراء » بهما عما كانت تذكر فيه ، حتى ان المأذن من مسجد ابيها الرسول لصلاة العصر ، فقامت تصلي لربها ، قربة الدين خلية اليال . ولم تكن تفرغ من صلاتها حتى سمعت صوت زوجها في ساحة الدار يسلطاب ولديه ، لسمرا ان عاد من المسجد مبكرا اثر صلاة العصر ، على غير المألوف من عادته ..

التاريخ ١٩٦١/٢/٢٤

- ٢ -

لثم بقصدوا .. انزروه بطعامهم
ربانوا للينوم من الطوى : لم يذرتوا
الا الماء ..



ودار الزمن دروته البومية ، وانزل
مقرب اليوم التلى وقد فرقت «الزهراء»
من اعداء طعام الانطار : خمسة اقراص
اخرى من فلك الشمير الذى ائتمركه
زوجها من «شهرن الخبرى»

واذن الملقن من غربت الشمس :
ان اكبر انكروا وحدوا ، ثم هموا
بانطار ، فلذا سئل بالباب بنيم ، بالفس
القرى ..

وانزروه على انفسهم ، فلقموا اليه
طعامهم ربانوا فبئسهم جياما ..

لما كانت الاسبية الثالثة ، وتل على
بابهم اسير اثر به الجوع ، فلم يلبثوا
ان يهرموا ..



ول المصبح ، اخط «على» ولديه الى
خدمها الرسول وقد كان عبيها الهزال ،
فرق لهما ثلبه الكريم وقال في حنان :

— ما انما ما يسوزنى ما ارىكم ا..
ومنى مبهم يزور ابنته ، فانفاما

هناك في صلاها ، وقد اذق طهرها
بطنها وغارت مبنها ، فلانفاما على ان
عليه رسل ، لم انمرن موزونا لما كاد
ياخذ مجلسه حتى جاءه امين الوهى
فتسلى :

— خذها يا محمد ، هناك ان في اهل
بيتك ..

وقلا عليه من وهى السماء : سورة
الانسان

مناك اشرفت اساريد الاب الرسول
واسرع عائدا الى ابنته ، وابن منه ،
ورباحتبه الحن والعين ، يحمل
اليهم تحبة السماء

« بوهون بالنذر ويظافون يوما كان
شره مسلطرا ، ويطعمون الطعام على
حبه مستخفا ويقيموا اسرا ، انما
نظمتم لوجه الله لا تريد منكم جزاء ولا
شكورا ، انا نكال من ربنا يوما عيوسا
لعطوبيا ، لولا انهم الله شر لملك اليوم ،
وللغائم نفرة وسرورا »

واحببت اليه ، وهى تقدر انه «مانر»
بالجوى الا ليلتها بما تسده للانطار :
لما ايسرت به خالصة ، راحت تتسب
ميتها في المكان ، مساما تجد طعاما حيا
به ورسمه هناك ..

واذكر «على» من لوره سر نظرائها
الحائرة لاسنهلها بعمى الوقت وانطلق
خارج البيت ممجلا ، لم مالبث ان عاد
يحل قدرا من الشمير لدمه الى زوجته
قائلا :

— ائتمركه من «شمعون» احمد
يهود خبير

واسمرت الازهر الى الرهى لطخت
مساما من هذا الشمير لم اوقدت النار
لأخبرت خمسة اقراص منه ، والشمير
نيل ناحية الانق الترى جلتعة الى
المنيب ..



اللحلت الاخرة من الشبار قدر سبطنة
رائية ..

والكون يوتب في سعت خالص ، هذه
اللحثة الفاصلة بين نهسار ريل
ماخوذا بجلالها وروعتها ، مستجلبا سر
مظنتها وسناما ..

ويث النبي ، ولزوجها ابن معه
وولداهما الحسن والحسين ، يجلسون
حول مائدة الطاهر ، وليس عليها الا

هذه الاقراص الخمسة من الشمير ،
ساخنة شبية ..

ولتور النروب ، اثر نهار مسلم .
يلنى على دنهام ظلا من الدمة والسكينة
وانبث صوت المزلن من مسجد
الرسول بالدينة مانفا : « الله اكبر »
نخسمت التلوب المزمعة ، وردت
اللسن هنان الداعي : « الله اكبر ..
اشهد ان لا اله الا الله »

ثم امتدت الايدى الى الاقراص الساخنة
لذا طارق يقتل باللب ويقتول في امرأة :
— السلام عليكم اهل بيت محمد ،

سكين من مساكين المسلمين جالع
اطمونى المحكم الله من مراند الجنة

دفاع!

مع السيدة صوفي عبد الله ، طقينا
الرسالة النسيالية ترد بها على مقال
الدكتور بيت الشاطي حول اتهام قصة
« ساجان قلب » بالآخذ من قصة
ساجان ، من تدوين براهيم ، ثم انكار
ما فيها من شذوذ ، حين تمارس الام
الخطيئة مع سبيبه ولدها الذي ثكلته ،
على فراش زوج تحبه ، كما لو كانت تتعبد
في محراب .

تقول السيدة صوفي :

« استقرض انتباهي في المقال »
امران : اولهما تلك النقل المزعوم عن
« ساجان » والاخر ما جاء عن جميل
الدنس .

وابدا بمزعم النقل .. فاقول ان
الناس في هذا الخصوص فريقان : فاما
الذين يقرأون الكتب في المتون ، ويفقهون
ما يقرأون ، فاولئك لاجابة بهم الى راى
او راى سواى ، لانهم يكونون راىهم عن
بيئة واقتناع ..

واما الذين لا يقرأون المتون ، وتحويلهم
كله على الارجيل والظنون ، فلا قيمة
لراىهم ، سواء كان معنى او ضدى ، وهم
لا يستحقون منى عناء الاقتناع

واما « جميل الدنس » فالغيميل
فيه معرفتنا بطبائع النفوس .. وهذه
المعرفة تنبئنا ان المرأة - مالم تكن
مومسا - لا تشمر بالدنس في لحظة الزلل
لان الفواية ، تزين للنفس هواها .. ثم
ياتى الندم والشعور بالانم بعد حين
لا في لحظة الفعل .. وهذا ما حدث
بحذافيره لبطلة تمتى « عاصفة في
قلب » ..

ثم ان للعمل الفنى كيانه الكلى المتكامل
الذى لا يصلح للاجتزاء .. »

التاريخ: ٣ / ٣ / ١٩٦١

معارك
نقدية

الغيتان الأول

يقول الأستاذ العقاد

هذا رأي وهو رأي الخالق !

وأقول له مرة ثانية

اللهم إني صائمه



بقلم الدكتورة

بنت الشاطئ



(٢)

من الطغيان السياسي ، وتخلصنا من الجباورة العنيفة الذين كانوا ينتحلون لانفسهم « الحق الالهي » فيما يمارسون من طغيان ، وبزعمون انهم يخطئون ولا يجوز ان يسألوا عما يقولون او يفعلون ..

وبقي علينا ان نكالح في معركة جديدة لتحرر من طغيان ادباء عمالقة ، يزعمون لانفسهم العصمة من الخطأ ، ولا يطبقون ان يسألوا عما يقولون ، ثم تبلغ الجراة بكبير منهم

ان يعلن ان رايه في المرأة ، هو راي الخالق !

وقد آن للهلاء ان يصدقوا انفسا ما عدنا نطبق الطغيان في اي صورة من صورها ، او نتصور ان احدا - كائنا من كان - منزه عن الخطأ ، غير مسئول عما يقول او يكتب ..



في موعدها من كل اسبوع ، دون ان يشير الى العثرة او يبرا من الزلة ..
رفاع الامل فيه ..
رحق عليه ان يبرا نحن من طغيانه !



راي الخالق !؟

بالها من كبيرة ا افيض الى الخالق ، سبحانه راي ؟
ومن ؟ من كاتب مجسم ، يذلي الكتب الاسلامية وتحلل المجلة الرسمية للامر اسمه اللامع على غلافها ؟

ان الراي فيما نعرف ونعرف اللغة ، لا يكون الا من تدبر واستحضار للخدمات واجالة الخاطر فيها . ومن ثم لم يجوز ان يضاق الى الخالق الحكيم ، كما لم يجوز ان تضاق اليه المعرفة اوبوصل بها ، وانما هو تعالى : الطيب ، لا العارضا والاب « لمانس اليسوعي » قد ادرك هذا في كتابه « النورق اللغوية » وادرك معه لماذا نتول : علم الله ولا نتول : معرفة الله ..

نكيف ينبغي هذا من ادراك كاتب مسلم عبقري في المجمع اللغوي ، يقول عنه مريدوه : ان علمه لو وُزع على مئات من اساتذة الجامعة ، لماروا علماء ؟

وحكاية راي الخالق هذه ، بدأت حين توجه مندوب « الجمهورية » يسأل الاستاذ العقاد ، عن آخر مؤلفاته فاجاب :

« كتاب الانسان في القرآن .. وهو نسخة كتاب المرأة في القرآن »

ولما ذكر له المندوب ان هذا الكتاب اغضب سيدات كثيرات ، رد الكاتب الكبير : « اللي وعلوا دول مش ستات .. دول متنسبات لعالم المرأة فقط .. وسبب زهلمهم الاصلى هو عدم فهمهم لنفسية المرأة .. »

قال المندوب في شجاعة :

« انه تحامل منك على المرأة »

وكان نس جواب الكاتب المشهور : « ابدا .. لكن ده راىي .. الراي الثابت الحقيقى ، راي الطبيعة والخالق ! » ولم اصدق عيني وانا اقرا التهمة .. لم اتصور ان الطغيان يبلغ بالاستاذ العقاد ، ان يعلن - في امة متدينة - ان رايه في المرأة هو راي الخالق ..

وحسبها عشرة قلم من المندوب الذي تلقى الحسديث ونشره في شهر يناير الماضي ، وانتشرت لعل الاستاذ العقاد يبرا ما نسب اليه .
لسكن الايام منست حتى زادت على شهر ، ويوميات الكاتب الكبر فتابعت

(٣)

ولكنها عبت عند المرأة في اوقات حطها
وفي غير اوقات الحمل من ايام طوارئها
الشهرية .. وقد هوفت اننى الحيوان
من هذا العبت لانها اذا حطت صعدت
عن الذكر وصعد الذكر عنها ، ولكن المرأة
التي تحس انها عابثة في احدى الوظائف
النوعية بالجد والمبالاة ، يختلط عندها
العبت بالجد ، والسرور العظيم بالوظيفة
الطبيعية ، وقد تقضى بعد سن الباس
زما يحكمها فيه هذا العبت العظيم الذى
لا نظير له في حياة الرجولة « ص ٢٠
اننى احفظ القرآن الكريم ، واشغل
بتفسيره البيانى في الجامعة منذ سبع
سنين ، ولا اعرف موضع هذا الراى
في القرآن ، فهل يعرفه سواى من هم
احفظ منى لكتاب الاسلام وادعى ؟
او هل يعرفه آخرون ، من لهم العلم
بالتوراة والانجيل ؟



وما ادانع اليوم عن المرأة ، فتعد
سبقت كلمة الاستاذ العبد في وفي مثلنى:
« الستات اللى زعلوا دول مش ستات »
وبهذا القرار من عملاق الادب ،
اخرجنى من عالم النساء ، لانى انكرت
رايه في المرأة ، وغضبت حين نشره في
كتاب يحمل اسم القرآن الكريم ، بعد
ان نشره مرتين وثلاثا في كتب له سابقة
ولم يعد من حتى بعد ان اعلن الاستاذ
قراره بهذا الاخراج ، ان اغضب لجنس
يمسه بكل هذا السوء ، لانى فعلا لاعول
هذا الصنف الذى يتحدث عنه الكاتب
الكبير ، ويفهم نفسه .. وبشرنى حقا
الا انتمى الى عالمه ..



ومن اجل هذا امك فلا ازيد ، وانما
الوذ بما يغربنا به شهر رمضان من مسر
واحتفال ، فانقول اليوم ما قلته للاستاذ
العقاد حين طالعت كتابه في مثل هذا
الموسم من عام مضى :
اللهم انى صائمه !

كيف لا يدرك ان الراى ، بما يسته من
تدبر وتفكر واستحضار للمقدمات واحالة
النظر فيها ، ليس مما يضاهى الى الخلة
الحكيم او يسند اليه ..

انها لكبيرة :

وكبيرة منلها ، ان يزعم الكاتب المشهور
ان رايه في المرأة - كما بسطه في كتابه
المشهور - هو راي الخالق ..

من اين جاء الاستاذ بهذا ؟

مفروض طبعا والكتاب عنوانه: المرأة
في القرآن الكريم ، ان هذا القرآن كان
مرجمه الاول فيما تسره من راي في
المرأة ..

فأين في القرآن الكريم قول العقاد
عن المرأة : « وهذا الحياء ، المشهور
عن المرأة ، تدبر به المرأة على تدبر
اتصاله بشعور الرجل نحوها ونظيره
اليها ، فاذا اجتمع انشاء معا بعيدا من
اعين الرجال ، نسيته ولم يكثرن له »
ص ٥٢ .

(المادة لا تتوارى عن المرأة في الحمام
ولا يعينها ان تستر عضوا من اعضائها
الا ان تستر مداراة لمحب وخولها من
منافسة النظائر والاثواب .. ولم يعهد
في الحرائر الخفيات ، انهن في الامم التي
استخدمت الخصيان ، كن يحجب عن
هن الرجل لهن واطلاعه على اعضائهن

وهن عاريات ، ويسوغ في عرف النساء
قضاء ضرورتهن معا ، يسوغ ذلك في
عرف الرجال « ص ٥٣
«كانهن لا يرين ثمن في رجل من الرجال
بعد ان تكمل له تلك النحولة الحيوانية»
او كانهن لا يصدقن ان الفتيات الفريجات
يستقلن في الشراك مضدوعات مطلوبات
على مشيتن ، ولكنهن راضيات مسرورات
بما اتيهن لهن من فرص المتعة والابتهاج »
ص ٦٠

(والرغبة الجنسية عند المرأة تنفصل
عن الغريزة النوعية في معظم ايامها .
فليست الرغبة الجنسية بحكم الطبيعة
عبثا في وقت من الاوقات عند الرجل ،

التاريخ : ١٠ / ٣ / ١٩٦١

فنون
أدبية

مع محمد الإمام بالسيرة؟



لعب معلولا

نجيب محفوظ وعبد الحليم عبد الله
بريئان في موقف إمام!

بقلم الدكتورة

بنيت الشاطي



عبد الحليم عبد الله

التاريخ : ١٠ / ٣ / ١٩٦١

(٢)

منذ نشرت مخالي عن اتهام (نزار قباني) بأنه أخذ قصيدته وحيدة من قصيدة (بريليه) : طعام الاططار ، واتهام (صولي عبدالله) بأنها أخذت عاصفة في قلب من قصة «فرنسواز ساجان» .. دل تحجب براعز ، والبريد يحمل البنا تباعا، جنيدا من رسائل الاتهام بالسرفه الادبية ، وقد اغضبت النظر حينما عن بعض هذه الرسائل ، لوضوح بطلان الاتهام فيها . وارجات الكتابة عن رسائل اخرى ، بدأ لي انها على حق وذلك لكن استكمل دراستها والفرغ من مراجعة النصوص ليهسا .

لكن اصحاب هذه الرسائل ، رايهم صحت ، واسلطوا ان اكون قد تمسكت به الي التمسك على معنى الاتهام مجاملة ليهس ..

وبهذا التلميح ، لي دلي على الكتابة مما الخسبت منه ؛ لكيلا يظن قاري - من كان - لفته في امانة هذا القلم .. ولكي يظن استغناء هذه الصفحة ، الي انها لا تحايل على حساب الحق .. وحتى لا يرتابوا في عدالة الموازين التي تحكم اليها في كتاباتنا الادبية ..



وقائمة الاتهام ، جذا بالزمن ليعيب محفوظ ..
وقمته (الوقت) التي نشرها الاحرام في مدره الاسويح - ١٩٦١/٢/١٧ - هي مرفوع التهمة ..
فلقد راي « السيد عبد المنعم حسن صالح باداب القاهرة » ان هذه القصة مأخوذة من قصة مماثلة ، نشرتها « الجمهورية » في شهر يناير الماضي بعنوان « لك »

« لكن هذه القصة ، تروى شيئا ينمي الي اب. ولده الوحيد ، ويؤكد له ان اياه ثلاثة اشهر فقط يعيشها . ثم ينصرف الطبيب ، فلا يجد شيئا لعظمت حتى يموت به السيد ، فيلقى سرعه .
« ولي محمد : تروى اخا يحاول ان يسخر بارعام اخيه الذي طلق انذارا بقترب موته ، ثم يورده ويغني مثلا بهم اخيه المسكين ، فلا تنسى لحظات حتى يلقى سرعه في حادث سيارة »

وبسأل السيد عبد المنعم لي ختماس رسالته : « هل هذا توارث خواطر او هل انتظر منك ان تعرض التهمة بشعاعك المبهدة ، او انك سوف تكفي على الخبر ماهررا ، وتدمسين الناق مسندوا ، مجاملة لزيبتك في الاحرام ، الاستغناء نجيب محفوظ »

وامتدرد باني كتبت اوامر لعملا ، الانضاء من هذا الاتهام ، لاجابة للزجيش الاديب ، فهو لي غير حاسية الي محاسبة من او من سواي .

وانما اعلم ، ويظهر لي زملائي من ان قصة « محمد » كانت في دار الاحرام منذ شهر أغسطس الماضي ، اي قبل ان تظهر قصة الجمهورية سنة اشهر .. وهذا وحده كان الرد على التهمة الباطلة ..

ولعله يكفي كذلك ، لاختنا شيء من العرس والخذل والتحرير ، قبل ان نقول اننا بنمة السرقة ..

ثم .. من بعد نجيب محفوظ لي تلمس الاتهام ؟

« محمد عبد الخليم عبد الله » منهم بانه اخذ قصته البعد النروبي من قصة جان جاك روسو : « هاباز الجديدة » : (La Nouvelle Héloïse)

(٣)

بنيهم بذلك ، السيد اسمير احمد ندا ،
الذي سألني ان اقرأ النسخين ، وانسخ
النقط فوق الحروف ، من غير مجازة . . .
وقد فعلت . . .
وانسبد ان لعبد الطلم طائفة المتبر
في قصصه ، فلو قرات بعد الغروب
من غير ان اموزاتها له . لا ذكرت سبيلة
انها ما تظم الذي كتب ، نقيصة ، وشمس
الخير ، ومن اهل ولدي . . .
وهذا الطالع المتبر ، يكنى لان بدع
من عبد الحليم نسبة الإتهام ، ولو صالح
موشوما سبته اليه رومسور ار تم
رومسور .
والامر مع هذا بحفا ان ان تعرف له
حدودا . . . نقل عندها ، فلا تهم الادباء
بالسلا . . .
فليس مذكورا على من اتهم الاستاذ
نجيب محفوظ مثلا ، ان يعلم ان قصته
مومدا ، موجودة هنا منذ اكثر من نصف
سالم . . .
وانما التمس عليه الامر حين ذكرته
هذه النسخة بقصة اخرى رواها من قبل .
ورأيت ان اذكر ان ماسما الذكرة المصورة
ليست ملكا خاصا لاي ادب . . .
اذا شخصيا ، حين آراءت قصة
مومدا ، ذكرت قصة شبيه بها ، شهدتها
في طفولتي ؟ مررت امين مرة ، وعادما
طبيب لا رلت انكر اسمه ، الدكتور عبد
الرحمن اللوزي ، وكان من ادع الاملاء
الذين مررتهم دماط ، وقد تصب لامر ان
تتجنب العمل اذا ارادته ان تمير ،
فانكر اني هذه التسمية ، وهو يعجب
لفور الطل ومحاولة الانسان قهره ،
لم لم يحضر لم خدمة امه ، حتى مات

الدكتور اللوزي ، وماتت امي بمده
سنتين ، اجازت فيها تجربة العمل
والوضع بسلام ، خمس مرات . . .
وخطر بيالي ، ان اتب هذه القصة
لو اتبعت لن لومة ، دون ان اتصور
ان اكون عرضة للانتقام بالسرقة من
كتاب قبلي ، سقت الى الكتابة من تجربة
نسبه لك التي مايتها ومايتها . . .
ذلك لاني مؤمنة بان انسانية الموضوع
الادبي ، لا تجعل لاحد حق ادعاء ملكيته
وقد امين بهذا من قبلي ، نقاد العرب
الاقدمون ، الذين ملجوا موضوع
السرقة الادبية ، معالجة متجربة دقته
لم تدع الامر فيها (سبلا) بغير ضابط
وتجربوا بل وضمو للسرقة حدودا صارمة
تحمي الابرياء من الانتقام بالباطل ،
وتسرون العبياة الادبية من التمثل
والحدود . . .

ويطول بي الكلام ، لو حاولت ان
اعرض هنا قواعدهم وقواعدهم التي
تشكل في دلائل اللغوي مكانا ذا خطر
وبسطة من شاء ان يلتمسها في مثل
اللائل الاحجاز ، واسرار السلافة ،
والطرائف ، وشروح الشخيص ، غير اني
مع هذا ، لا اريد ان ادع الفرصة ثبوت
دون ان اقبل الى ثرائسنا نعتولجا من
هاتيك القواعد ، الحيدوا الي ان حدي



نزار قباني صولي عبد الله

الغرض ، فوجب ان ينظر : فان كان ما
اشترك الناس ل بموقفه ، فان حكم
ذلك -- وان كان خصوصيا في المعنى --
حكم المعلوم الذي تكلم لكره ، من ذلك
التشبيه بالاسد في الشجاعة وبالنهر في
السفوح ..

« وكذلك تبلى الراعد في خلة من
الخصال على المذكور بذلك والمشهور به ،
سواء كان ذلك من حشر في زمالك
او كان من سبق في الارض المناسبة

والقرون الخالية ، لان هذا ما لا يخلص
بموقفه قوم دون قوم ، ولا يحتاج العلم
له الى روية واستنباط ..

« وان كان مما ينشئ اليه المتكلم ينظر
وتدبر ، ويتأمله سلك واجتهاد .. وكان
من نونه حجاب يحتاج الى خرقه بالنشر ،
وكان فوا في شعر بحر لاند له من تلك
الشؤس طلبه ، ومثلما في شامق لايزاله
الا شجتم المسمود اليه ، ومثلما
لغيره كسروى السذهب فتر لانتال الا
بالحفر منها ومصرفها ليجين في طلب
التيكن منها ..

انعم اذا كان هذا شأنه ومكانه
لهو الذي يعوز ان يدعى به الاختصاص
والسبق والتقدم والاولية »



انلسنا احذر ماكثر من هذه الدقة
في لهم تقية السرقة الاسبية ، وان نكون
اروسع امتا في تناولها ، وادق حسا في
معالجتها ، وريثا وبين عند القاصر
شائبة قدرون ، تقدم فيها العقل الشرعي ،
واقترن الحس الادبي والذوق الفني ،
وتقوى الضمور بالنسبة الفن ومكرامة
الادب !!

كان نقادنا التدامس يتحدرون حرمة هذه
النسبة الاسبية ، وبمعالجتها الى دقة
مكرامة وحلر ماخ ..

لنخذ اكثر من ثلثمائة عام ، كتب
التصويغ عند القاصر الجرجاني -- امام
الملايين في عصره -- بنفى الملكية
الخاصة للمعنى العام ، فقل في دلائل
الامسار :

« وما اذا فكر فيه العائل ، اطلال
التمجيد من امر الناس ومن شدة لفلنهم ،
قول القائلين حين لكروا الاخلا والسرقة :
ان من اخلا المعنى ماويا لكساء للفظا
من عنده كان اخلا به ، ثم لا ترى احدا
يلكر في ذلك ليلكرول : من اين يتصور
ان يكون هاتما معنى عاز مما يدل عليه
ثم هب انه يصحح ذلك ، فعن اين يجب
ان ونصح للفظا على معنى ، ان يصح
اخلا به من اخبر الحسده منه ، ان كان
هو لا يصنع بالمعنى شيئا ولا يحدث فيه
صلة ..

« وجلة الامر انه كما لا تكون النقة
او الذهب هاتما او سوارا بانفسهما ،
ولكن ما يحدث ليهما من الصورة ، كذلك
المعنى لا يكون كلاما الا بنظمه »

وقال في اسرار البلاغة :

« فلما الاتفاق في عموم الغرض ، لما
لا يكون الاشتراك فيه داخلا ل الاخلا
والسرقة والاستعداد والاستمالة .. لا
تري من به حش يدعى ذلك ريبا الحكم
بانه لا يدخل في باب الاخذ .. وانما
يتبع الفلظ ، من ينشئ من لا يحسن
التحصيل ولا يتعمق التأمل لينا يزدى الى
ذلك .. حتى يجعل احد النصارى
ملاطرا ، الآخر ، وتصور معنى الشجاعة
رانها مما يدح به ..

« واما الاتفاق في وجه الدلالة على

من تراثنا الروحى

الله اكبر
لا اله الا الله وحده
صدق وعده ، ونصر عبده ،
وأمر جنده وهزم الأحزاب
وحده
لا اله الا الله ، ولا نعبد الا
اياه ! مخلصين له الدين حنفاء ،
ولو كره الكافرون

هتاف العيد !

آية الوحدة ، ونشيد الإيمان ، ودعاء الشروق
في لحظة باهرة ، يلتقى فيها الأمس واليوم والغد
ويتلغى بيننا المسافات ، وتتماهى الأبعاد والآمال

بمقام الدكتور بنت الشاطئ



هتاف عيدنا ، تردده في مشرق يوم
الطهر أصوات الملايين منا في شتى
أنحاء الأرض ، فتخضع له الدنيا ومعنى
السماء ، ويقف التاريخ مبهوراً يسترجع
ذكرى كلمات قالها رسول من البشر ،
ابن امرأة من قريش تآكل القديد ،
في أخريات شهر رمضان من ألف
وثلاثمائة وأثنين وتسعين عاماً ، لتبقى
خالدة على الدهر : هتاف المسلمين في
كل عيد ، ونشيد المؤمنين أسمى واليوم
وغدا ، وإلى الأبد ...

ومن وراء هاتيك الأعوام الطوال ...
من وراء أربعة عشر قرناً أو تكاد ...
يتراءى ذلك المشهد التاريخى الحى ،
لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ،

(٣)

قبل الفتح بأشهر معدودات احسب،
كانت قريش لاتزال على كفرها وعنادها،
وقد اضلها غرورها وزين لها الشئ أن
تنقض ميثاق الهدنة بينها وبين محمد
عليه الصلاة والسلام ، وأن تنكث بالعهود
المكتوب في « الحديدية » في العام
السادس للهجرة . وكان الرسول في
المدينة يتلقى انباء خيانتها للمهديكظم
غضبه رجاء أن تردع، فما زادها حليمه
الا تماديا في عدوانها .

و ذات يوم ، والرسول جالس مع
اصحابه في مسجده بالمدينة ، اجمل
وفد من خزاعة - وكانت مع الرسول
بمقتضى عهد الحديدية - يشكو عدوان
بنى بكر بمظاهرة قريش وبملاحها .
وتقدم شاعر خزاعة « عمرو بن سالم »
حتى وقف بين يدي الرسول وانشد
مرتجزا :

يارب انى ناشد محمدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك الماكدا
وجعلوا لى في « كداء » رمدا
وزعموا ان لست ادعو احدا
وقتلونا وكما وسجدا
فاجابه الرسول مليا :

- نصرت يا عمر بن سالم ...

ومضى في عشرة الاف من المسلمين الى
مكة ، على نافته « القصواء » التي
حيثه يوم الهجرة وقريش تعدو في
الره :

وهذا هو هناك ، قد دخل مكة فاتحا
منصورا ، يسأل قريشا :

« ما ترون انى فاعل بكم ؟ »

وجاءه جوابهم بعد فترة صمت
مشحون بالقلق والترقب :

« خيرا .. اخ كريم وابن اخ كريم »

قال عليه الصلاة والسلام .

« اذهبوا فانتم الطلقاء ! »



واقبل العيد ...

اول عيد نظر للمسلمين في مكة ،

بعد ثمانى سنين امسوها في هجرة

واغتراب ..

وعلا الهتاف من المسجد الحرام في

البلد العتيق :

« الله اكبر الله اكبر الله اكبر

وقد وقف على باب الكعبة يوم فتح مكة،
قبل عيد الفطر من العام الثامن للهجرة،
والاسنام تحت قدميه جدد مبشرة وحطام
مهان ، وقريش بين يديه قد ألقت
سلاحها مستسلمة لتبطل الظانر ،
بعد مفركة مريرة احتدمت ثمانية عشر
عاما ، بين رنية باقية مفتونة بالسوة
والجاءه . و ايمان راسخ صامد ، يلقى
الجيروث بكلمة الحق والتوحيد :
الله اكبر ، لا اله الا الله وحده !



والله اعلم الرنية بكل جيروتها
العاني ، وذلك الايمان الرائع الصادق،
وهذا هو الرسول في ذروة انتصاره يوم
الفتح الاكبر ، وقف على باب الكعبة
مظلا على تلك الجيوع الحاشدة التي
اهتدت بعد ضلال وامنت بعد كفر
ورشدت بعد غي ، فيفيض قلبه الكريم
بالخشوع والرضى والحمد ، ويهتف
ببله التواضع والايمان :

« لا اله الا الله وحده لا شريك
له . صدق وعده ونصر وعده ، وهزم

الاحزاب وحده ! يامعشر قريش ، ان
الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية

وتعظمها بالاباء ، الناس من ادم

وادم من تراب : يا ايها الناس انا خلقناكم

من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل

لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم :

« ويامعشر قريش ، وبياهل مكة ،

ما ترون انى فاعل بكم ؟ »

وامسكت قريش انفسها ، وهي

تذكر ما اذقت المسلمين من هول

الاضطهاد ، وتستعيد حادثة انصارها

بالنبي لتقتله على فراشه ، بعد ان

لم يزد الاضطهاد الا تشبها بدعوته

واستبسالا في نضاله ، ثم الحاحها في

مطاردته لما هاجر من مكة قبل ثمانى

سنين ، اعزل وحيدا ليس معه الا

صاحب شيم : ابو بكر الصديق ...

وامتلا الافق باطراف المشبهاء من

اصحاب محمد ، وشبح الصيت باصداء

شئى ، تروى قصة التعذيب ، والحصار ،

والهجرة ، والمطاردة ، والحرب ...

وارهف المهاجرون والانصار اسماءهم

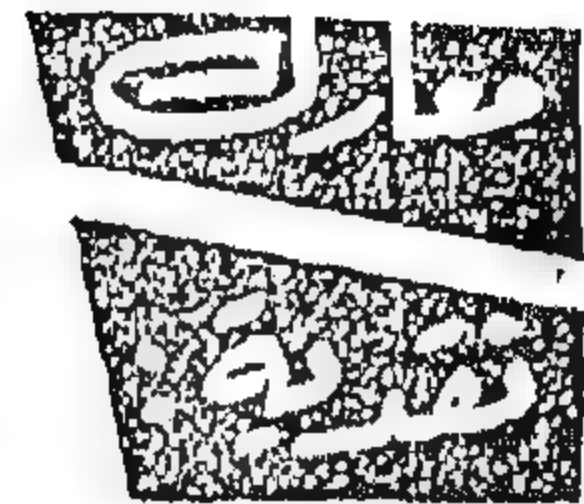
في انتظار جراب قريش عن سؤال النمر

صلى الله عليه وسلم !

(٣)

لا اله الا الله وحده
اصدق وعده ، ونصر عبده ، واعز
جنده ، وهزم الاحزاب وحده ...
لا اله الا الله ولا نمجد الا اياه ا
فما زال ذاك الهناك يتنقل عبر
القسور والادمار ، من أقصى الشرق
الى أقصى الغرب ، ترجفه اصوات
اللايين جيلا بعد جيل ، في مشرق يوم
العيد ، في لحظة واحدة باهرة ، يلتقي
عندها الامس واليوم والقدر ، وتلغى
فيها بيننا المسافات ، وتتماحي الابعاد
والاماد ، وتتهوى الحدود والسدود ،
فإذا نحن جميعا قلب واحد ، وصوت
واحد ، يهتف بكل اصرار اليقن وجلال
الايمان :

الله اكبر .. لا اله الا الله وحده
اصدق وعده ، ونصر عبده ، واعز
جنده وهزم الاحزاب وحده ا .



من ساليب الطغيان الأدبي



كنت قد سألت هنا : كيف جاز لكاتب مجتمعي مسلم
يشترك في الإشراف على تحرير مجلة الأزهر : جامعة
الإسلام ، أن يقول أن رايه في المرأة هو رأي الخالق ،
ثم اتجهت بالسؤال الى كل من له علم بالقرآن او
التوراة والانجيل ، ليدلني أين في كتب السماء ما قرره
الاستاذ العقاد في كتاب يحمل اسم « المرأة في القرآن
الكريم » من نفى أصالة النظافة والحياء والحنان
والطهر في طبيعة المرأة ، وما رآه من انفصال اللذة
الجنسية عندها عن الغريزة النوعية ، مما تنزهت عنه
أناث الحيوان ؟ ..

أهـبـ لـسـيـخـوـفـةـ العـقـاد عـدائـه عـلـى !

أما عـدائـه عـلـى الحـقـيـقـة فـلـن أـهـيـه لـه يـأى هـال !

ورد الاستاذ العقاد في « الأسماء » ..
ولم يكن رده مفاجأة لي ، فشكك عرفنا الطامع دائما ، يورون
لطفائهم بجهل العامة ، وتصور أدواكها عن تمييز الخطأ من الصواب
فأى قراءة في أن ينقل طائفة الأدب عند طائفة ، وبسخر من
جهلى بما أكتب فيه ؟ ..

بقتلم الدكتور بنت الساطي

وصفات ، ذكرت ان بين الوصفين بالعالم ،
والوصف بالعارف فروقا ادركها «لامانس»
اليسوعي من قراءاته للمصادر العربية ،
فكيف لا يدركها مجععي مسلم ؟ ان كان رد
الاستاذ العقاد : اني احتجج بمبشر
اعجمي ، وكلاهما نجبل ما نكتب فيه من
اللغة والدين ..

اي ائتمان لعقول قرائه ، ان يقول
انني بئناكاري ان يفوته ما لم يفت لامانس ،
احتج بمبشر مسيحي جاهل مثلي ؟

واي طغيان ابي عليه ان يقرأ ما
كنت قراءة واعية ، قبل ان يرى في مثل
هذا التنظير احتجاجا او شبه احتجاج !
واي غرور جعله اكبر عند نفسه من
ان يرجع الى المصادر اللغوية والاسلامية
التي استطاع «لامانس» - وليس مناد
ان يجمع اليها ؟

واي استهانة ان يكون الاستاذ تسد
حاضر بالازهر في هذا الموسم عن حجة
الاسلام «الغزالي» ثم لا يدري ان حجة
الاسلام نفسه قد تعرض للتنبيه التي نحن
بصددها في كتابه «المقصد الاسنى»
شرح اسماء الله الحسنى « فنحدث عن
الصنات والاسامي التي تطلق على الله
تعالى ، وعرض رأي الأشعري في انه
لا يجوز ان يطلق في حق الله تعالى ما هو
موصوف به معناه ، الا اذا اذن الله فيه ،
فلا إطلاق لا يكون الا بتوقيف الله ، بل ان
الذين يرون انه يجوز بطريق العقل ان يطلق
على الله ما لم يضر منه الشرع او يشعر
بما يستحيل معناه على الله ، قالوا :
لا يجوز ان يقال له تعالى العارف
والعائل والظن والذكي وما يصدر
مجهواه ، وان كان صفة كمال ،
لان المنع من هذا وامثاله ، ما فيه من
ابهام .. وما فيه ابهام لا يجوز الا بالاذن
الالهي ، والابهام هنا ان العائل هو
الذي له معرفة تعقله ، والظن والذكاء ،
يشيران بسرعة الإدراك لما غاب عن
المسدر .

وفي مقالتي ، انكرت ان يقول الاستاذ
العقاد رأي الخالق ، لان الراي في

جهلي بالمرأة ، وانا من بنات حواء ..
وجهلي بالعربية والقرآن ، وقد فتحت
عيني على المصحف في حجر اب شيخ
يعلم في الازهر ، وحفظت القرآن
والحديث صبية ، ونلت جائزة المجامع
اللغوي لتحقيق النصوص ، وتخصصت
في العربية وعلوم الاسلام ، دراسة
وتدريسا ونقثيا وتالفا ..

ولن يجدي ان اتول للاستاذ العقاد .
هب كل هذا حجرا في اليم ، افسد حبل
ان تكون لي مثله مطالعات في كتب العربية
الاسلام التي تملا بيتي الاول ديبى
لثاني .

ولن يجدي كذلك ان اطالبه بشرى
لخصومة الادبية عند الخلف في الراي
لقد تربى في مدرسة الاحزاب واتقن
ناليها في الخصومة ، وتربيت في بيئة
علمية دينية ، لا تعترف لبشر بالمصنعة
من الخطأ ، وترى ان أحد العلماء اذا
اخطأ قول : لا ادري ، اصيبت مثاقله ..

وعبنا يحاول الاستاذ العقاد ان
«يسمدل برقعا على عقلي» او نسبني
بوجداني لكي اومن بكل ما يقول ويكتب ،
وانزهه عما يجوز على البشرية من خطأ
وتصور ، فان الله سبحانه رفع هذا
الحجاب عن عقلي ، ولن يسدله بقرار
من طاغية او امر من عملاق ..



وانتقل الى الموضوع فلا أدري انك
في التنديم الذي كنا فيه ، ام في الجديد
الذي جاء في رده ؟ ذلك لان الاستاذ
العقاد في جديده اللغوي ، اعجب منه في
تدبيه الديني !

انكرت عليه بالامس ان يقول ان رايه
في المرأة هو رأي الخالق ، لان الراي
بما يستتبعه من تدبر وتؤمكر وانتشاع
واستحضار للتقدمات واجالة النظر فيها
ما لا يجوز اضافته الى الخالق سبحانه ،
كما لا يجوز ان يوصف بالعارف مثلا ، ولكي
اجعله يدرك الحس اللغوي والاعتبار
الديني فيما يطلق على الله من اسماء

رأى رؤية العين ، بمعنى تبصر
ورأى رؤية القلب في معنى العلم
ورأيت التي بمعنى الاعتقاد .

والذي نحن فيه الآن : الرأي الذي
هو عمل العقل ، أو الذي هو مذهب
واعتقاد ، ومن أجل هذا أتت - بغير
برقع على فمى - عند قول المجمع
في رده :

« والرأي مصدر رأى ، سواء بمعنى
البصر وبمعنى الحكم والتقدير ، وبكل
معنى من المعاني نفهمه بما يناسب مقامه »

ويغيب عن المجمع ، ما طالعناه جاهلة
بالعربية مثلى ، من أن « المصادر تتعدد
لتفترق في اللغة وتقلب في استعمالات
معينة » فمن مصادر الفعل وجد مثلاً :
الرجدة في الحنطة والنفس ، والوجد
في الحب والحزن ، والوجود والوجدان
للأشياء ، والوجداء لضرب من الرواية في
مستطلم الحديث .

فلنسمع في الرأي نفسه قول « أبى
حيان » :

« يقال رأى رأياً ورؤية ورؤياً ، ويطلب
رؤياً في المنام ، ورؤية في البصرية بلفظة
ورأى في الاعتقاد » .

ولا أطيل على القراء ، فالمسألة
مشهورة ، و « باب في اللغة لا آخر
له » كما ينقل « السيوطي » في « المزهرة »
أنما أعجب لمجمع يهدر ما بين مصادر
رأى من فروق ، فيستري عنده أن يكون
الرأي مصدر رأى بمعنى البصر وبمعنى
كذا وكبت . وهذا ما يأنه الحس اللغوي
الذي يطلب عنده استكمال الرؤية للإبصار
والرؤيا للمنام ، والرأي للاعتقاد
والمذهب .

وإذا استعمل الرأي مكان الرؤية ،
فإنما يكون ذلك حتماً لاعتناو بياني حاس
يحدده المقام ، كما في الآية الكريمة :
« يرونهم مثليهم رأى العين » فالرأي
هنا ليس الرؤية البصرية الموهودة ، وإذا
اقتضى البيان أن يجعله منها ، لليقنى
وقوة التخيل ، أنشأ الرأي إلى العين
التي هي أداة الإبصار

ويدعى الاستاذ العقاد أن التمران
يشهد لاستعمال رأى الخالق .. قال :

بياناتهم أما « أن يكون استحضاراً
للمتطلبات وإجالة النظر فيها » كما نقلت
بأمانة عن كتب اللغة ، وأما أن يكون :
« اعتقاد النفس أحد النقيضين من
غلبة ظن » كنص عبسارة « الراغب
الاصفهانى » في « مفردات القرآن »

لكن الاستاذ العقاد ، بغرور طغيانه ،
يرى « أن ليس من المعتنع أن ينسب الرأي
إلى الله بكل معنى من معانيه نفهمه بما
يناسب مقامه »
واتول له :

كلا .. ليس لك هذا يا استاذ
مقناد ..

ليس لك عند القرآن ولا عند أصحابه
المسلمين ، أن تطلق على الله أو تصفه
الابها ورد به الشرع ولم يكن موهماً ،
فاذا ورد به الشرع وكان موهماً ، اقتضى
التأويل ، كما نقول ما في القرآن من مثل
تولاه تعالى « يد الله فوق أيديهم - ثم
استوى على العرش »

فالامر أولاً : أنك لا تملك أن تطلق
على الله مالم يأذن به الله ، وما لم يكن
موهماً .

والامر ثانياً : أن التأويل إنما يكون
فيما ورد به القرآن وكان موهماً ، كما
في الجوارح والحركات ، لأن نقول أنت
الموهم ثم نقول

ومع هذا ، اعفى الاستاذ العقاد -
لمدة اعتبارات - من الناحية الدينية
للمسألة .

وثانى الناحية اللغوية ، فنجد أن
العرب من قديم وصلوا بالرأى رجالاً منهم ،
نسوا المغيرة بن شعبة « مغيرة للرأى »
أذ « كان من دهاة العرب لا يقع في أمر
الأ وجد له مخرجاً ، ولا يلتبس عليه أمران
الأ ظهر الرأي في أحدهما »

وهذا من معنى الرأي الذي يتجسم
فيه الإيهام الذي أشار إليه حجة الإسلام
« الفزالي »

ولما تقدم الزمن بالعرب وصارت لهم
ثقافة فقهية وكلامية ، كان منهم أصحاب
الرأى ، المقابلون لأصحاب الحديث ،
واستعمل الرأي بمعنى المذهب والاعتقاد
.. ونص لسان العرب على معان ثلاثة
لرأى :

(٤)

وقد جاء في القرآن الكريم بان الله تعالى العقاد في المرات « لانقصد به علم العقاد يرى ، بكل معنى من معاني هذه الكلمة ، ولا رؤية العقاد ، بل نريد ما صار اليه وهو ادعاء جرى ، لا يتقوى عليه الراي في البيئة المربية بعد ظهور الا اسناد العقاد . »
 المقالات ، نقالوا : فلان يرى راى اما الآيات التي استشهد بها ، فليس الاشاعة ، او الخوارج : يعنون انه فيها املاقا ، الراى الذي نحن فيه ، يذهب بذهبهم الذي قالوا به بعد طول بالمعنى الذي صار اليه حين يلتبس الموتى تدبر وتفكير

نصمد آراؤنا وتختلف وجهات نظرنا : ونحن المتخصصين في تفسير النص القرآنى بياثيا ، لا يجوز عندنا ان نفسى مفردات القرآن الكريم بمصطلحات متأخرة او نحتكم فيه الى دلالات لا ياذن بها

الاستعمال القرآنى نفسه . فحين صارت الحكمة مثلا ، تطلق في عصور متأخرة على الفلسفة ، لم يجوز عندنا ان نفسر قوله تعالى « وهو العليم الحكيم » بانه العليم الفيلسوف . . . حين صار الثراء يستعمل في الغنى ، لم يجوز عندنا ان نفسر قوله تعالى : « والله غنى حميد » بانه ثرى او « ملبوس » ا

ولو لم يكن في الراى - بمعنى المذهب - الا انه ياتى عن تدبر ، وترجيح ، او اعتقاد لاحد النقيضين عن غلبة ظن ، لكنى بهذا الابهام مانما - لعربى يحس المربية ، ومسلم يعرف الاسلام - من اضافة الراى الى الخالق في مجال الانتعاص بصواب راى العقاد في المرات والابهام فيه اشد من الابهام في وصفه تعالى بالعائل او الذكى او الفطن ، مما لم يجوز نقباء الاسلام وصفه سبحانه ، به . . .

ولن يدفع هذا الابهام ان يحتال الاستاذ العقاد فيجعل الراى بمعنى الحكم او العلم ، الا ان يبلغ به الطفيان ان يزعم

تأية « يرونهم مثليهم راى العين » ليس الاسناد فيها الى الله ، كما لا بد يدرك الطالب النجيب الذى سأل الاستاذ العقاد ان يرد على ما كتبت .

وآية : « الم يعلم بان الله يرى » لا تفسر لها الا بانه تعالى يطلع ، ومنها آية : « وقتل امورا فسيرى الله عملكم » وآية : « قد نرى تقلب وجهك في السماء » من الرؤية لا الراى .
 وآية : « انهم يرونه بعيدا ونسوا تربيا » ليست من الراى الذى هو المذهب ، بل هي بمعنى العلم كما في التفسير .

وبقى سؤلنا : اين في القرآن الكريم ان الخالق يرى في المرات ما يراه العقاد ، غير جواب . . .

وسبغل ابدا بغير جواب ، لان انذى في القرآن الكريم انه تعالى « خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها »
 « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة »

كما سيبنى بغير جواب ، سؤلنا : اين في القرآن او اى كتاب اسلامى ، ان للمخالق رايا ، بالمذهب ومن عبارة « راى

ان علمه هو علم الله !
واذ ذاك نعلمه من كل سؤال في هذا
وجواب .. لنسأل من ذلك الجديد
الثنوي الذي جاء به المجمع في رده
على : « ولم يبق احد - ولا احدى -
ينهم انما مناشئة بريئة » .
يريد ولا شك ان يقول : لم يبق واحد
ولا واحدة ..
ويفوت المجمع المشهور بمطالعة ،
ان احدا « ان يصلح ان يخاطب :
يستوى فيه الواحد والجمع ، والمؤنث
والمذكر » وهذا مدار قسوة الثني به
وشموله ..

ناذا قلت : لم يبق احد هنا ، كان
الثنوي عاما شاملا ، للمفرد والجمع ،
والمذكر والمؤنث . وبالعبارة الفصحى
نقول : احد من النساء ، لا احدى منهن!
ومرجى - انا الجاهلة بالمربية
والاسلام - كتاب العربية الاكبر ومعجزة
الاسلام الخالدة ، فانه تعالى يقول في
سورة الاحزاب :
« يانساه النبي لستين كاحدا من
النساء »
وانت فكتبت هذا الاستعمال الجليل
سيدة من بنات حواء ، امر نبي العرب
وبعد قلل السادة اصحاب الرسائل
الثلاثين التي جاءتني تملينا على مقالتي
عن الطغيان الادبي ، يرون في حديثي
اليوم ما يغني . ولعلمهم يعذرونني بعد
هذا اذا لم اكتب كلمة الحق في هذا الذي
كسه الاستاذ العقاد وامنانه الى القرآن
الكريم مرة ، والى راي الخالق اخرى
.. ذلك لاني اذا كنت املك ان اهب
لشيخوخة العقاد شتمه وسبابه وعدوانه
على ، فليس لي ان اهب العدوان على
الحقيقة لاحد ، من كان ..
والسلام على من اتبع الهدى ..

قضايا

أدبية

مسؤولية كبار الأدباء

المسؤولية في كل الشرائع والقوانين، على قدر الأهلية
وكبار الأدباء في مراكز قيادية، فمسؤوليتهم مضاعفة!
وهم مسئولون أولاً أمام ضمائرهم
فإذا أخطأ أحدهم أو تخلف، كان تقويم فريضة على كل ذي وعي وبصيرة!

بقلم الدكتورة

بنت الشاطئ



ومسؤولية الكاتب

كلما تعرضت هنا لنقد أدبي
كثير، سمعت من يسألني الرقيق
بأدبائنا الكبار والتغاضي عن
أخطائهم وعثراتهم، احتراماً
لمراكزهم الأدبية فينا، وخشية أن
نهد الثقة فيهم لدى القراء من
شباب الجيل، فارتابوا في عدالة
القيم التي أوصلت هؤلاء الكبار
إلى مراكزهم ..

وآخرون من الناصحين،
يشفقون على، من يتعرض
لغضب الأدباء العماليق وسخطهم،
وليس غضبهم مأمون العاقبة، ولا
يسخطهم بالسذى ترجى معه
السلامة ..

ولعل هؤلاء وارثك، يظنون أنني أخوض
هذه الممارك النقدية وأنا أملك إلا الفعل
أو يحسبون أنني لم أقدر احتمال الأذى
ليها، والله يشهد أنني ما كتبت كلمة
منها إلا تحت ضغط احساسى بتبعة النقد
وأمانة القلم، وتقديرى لخطر الأدب

والمسؤولية في كل شريعة وقانون
وعرف، كفاء الإهلية ..

فلا مسؤولية على ناقص الأهلية
كالقاصر والسفيه والمعتوه ..

وانما المسؤولية على المدرك المميز
الراشد الزايع ..

وكما تنقص المسؤولية في حالات خامة
ولظروف مغلقة، تزداد تبعاً لرقى الفرد
وعلمه مركزه وخطره مكانته ..

والأديان، قبل القوانين الوضعية،

عدالة السماء ان يؤجرون على العمل
الصالح مرتين : عن ذواتهن وعن مقتضى
بهن ، وان يضاعف لهن كذلك العقاب على
الخطا شمعين ، لتستور ليلتين التورديتين
والاجتماعية ..

قصصنا
أدبية

مستقبلنا معركة فكرية!

• الفرز الفكري ذريعة الاستعمار الجديد
• ونحتاج الى كل نقاطنا النحوي ومهردنا الكرم



بقلم الدكتور

بنت الشاطئ

كلمة سمعتها من أحد الأخوة الأتريبيين ، في اللجنة التحضيرية مؤتمر كساب آسيا وأفريقيا .

كنا نتحدث عن دور هؤلاء الكتاب في معارك التحرير ، فإذا بواحد منهم جاء من قلب

الفتارة العتيقة ليقل لنا في حرارة وإيمان :

« لا تحسبوا ان دورنا ينتهي بالنصر في هذه المعارك المخدمة من أجل الحرية ،

ولم أشعر يومها بان الكلمة جديدة علي ، بل بلاني اليقين انها كانت تمبش في

فسمير ثمرنا الكبير منذ قرون وادهار ، وانها لبثت راسخة في اعماق وجوده وصميم

وجدانه ، وان لم ينطق بها لسان !

مستقبلنا معركة فكرية ..

معركة مبررة ، تبدأ حيث تنهز معارك

التحرير التي تشغل حاضرتنا ، وتحسب

اوتنا الطيبة بدماء الندائين الشهداء .

معركة محتومة ، يخوضها الوطن الكبير

بعد تحرره من مهانة الاستعمار ، ويناضل

بها عن حريته الذاتية التي استوردتها

بالمهيج والارواح ..

معركة فكرية ، يمارس الغرب فيها بعد

انول الاستعمار ، أن يستبقي ما أنشاع

من نفوذ ، من طريق خفي ، لا شأن له

بمؤامرات نزع السلاح ومناوئسات

السلام !

وقد بدأ استعداده لهذه المعركة من

زمان ، وأعد لها ذخيرة من جنسود

وسلاح !

جنود لم يلقوا في أي تدريب عسكري

ولا ارتدوا يوما في الميدان !

وسلاح لم يفرح قط من منيع حربي

ولا اشترك في تسميته وأعداده علماء

الذرة ، وخبراء الصواريخ والمدارات .

ورضع لها التصميم ، مثل فكر في غزو

ارمننا وسلب حريتنا ..

بعد هزيمته !

وحيث كان جنود الاحتلال يمشون هنا

في ظلام محنتنا ، كان الى جانبهم جنود

آخرون يسهرون على احتكام الشباك حول

المسد حتى لا يفلت ، وآخرون يتصدرون

احتلال الانكسار ، وينعمون الخطة لمعركة

مرتقة ، يحسبون لها ألف حساب ..

وكان الحقل القتالي ، مزرعة لتجارب

البذور الخبيثة التي أهداها لناونا بكوما

بعد هزيمته !

(٢)

ان عدد الذين تلقوا علومهم بالانجليزية في الهند مثلا ، لم يتجاوز بعد قرن من الاحتلال ، عشرة ملايين في البلاد كلها ، اى بنسبة اثنين ونصف في المائة من عدد السكان . وعند خروج الهولنديين من اندونيسيا ، كان عدد الذين اتوا علومهم الثائرة باللغة الهولندية ، لا يتجاوز اربعة عشر ألفا . وفي السودان يهبط العدد كثيرا تحت هذا الرقم ، حيث لم يكن يوجد في التطر كله ، أثناء الاحتلال ، سوى كلية واحدة في الخرطوم ، تبنيها طلابها لدخول الجامعات . .

« وكانت التربية موجهة لمصلحة المستعمر وخدمة أهدافه ، وكذلك كانت الكتب المدرسية ، موجهة الى خلق نفسية تعيل الى التقليل من قيمة الثقافة الوطنية ، وتمجيد فضائل السيد الاجنبي . . وكان أبرز أهداف التربية الاستعمارية اثارة الروح الانهازمية في نفوس المواطنين ، ليتمكن المستعمر من التحكم فيهم ، والاستئثار بخيرات بلادهم دون عناء كبير »

اما البلاد القليلة التي نجحت بفتحها القومية ، كالشرق الاوسط ، فكانت لريشة الاستعمار الى اعدادها للغزو المكثري ، شراء عملاء من فضاء النخوس ومرضى القلوب والضمائر ، سلطهم علينا في ليل المحنة ، فحكفوا على محارلة تدمير معنوياتنا وتزييف تاريخنا وتخدير وعينا ، واقتناعنا بان السادة الانجليز خلفاء شرفاء للشرق الاوسط ، ورسول حضارة وتعمير

بدأ يفرض لغته على الشعوب المغلوبة لغة ثقافة وتعليم وفكر ، فعزل انسداد الطبقة المتعلمة عن الاغلبية غير المتعلمة ، وقطع عليهم السبيل اذا فكروا في حمل مشاعل اليقظة والوعي امام الجماهير ، كما عزلهم في الوقت نفسه عن لغتهم الام ، التي تستطيع وحدها - ولا لغة سواها - ان تعبّر عن مشاعرهم وافكارهم ومزاجهم ، واوجدتهم في غربة معنوية رهيبة ومزدوجة :

غربة اللسان ، التي جعلت الشاعر الجزائري « مالك حداد » يصرخ بلسان جلده :

« لا تلغني يا صديقي اذا لم يطربك صداحي . . »

« فانا ارطن ولا اتكلم . . »
« انني معقود اللسان ، فكيف تغني ؟ »
« لو كنت اعرف الغناء ، لكنت شعرا عربيا »

وغربة من الامل والمثيرة ، يتحدث عنها السفير الهندي « بانبيكار » في كتابه « مشكلات الدول الاسيوية والافريقية » فيقول :

« لقد كانت سيطرة اللغة الاجنبية في التعليم بسبب الاحتلال ، من أخطر المقدمات في مشكلتنا الثقافية . لقد خلق هذا الوضع ، هوة سحيقة بين اللغة التي نلت علومها بلغة المستعمر ، وبين هؤلاء الذين تلقوا تعليمهم اوليا في مدارس وطنية ، أو لم يتعلموا على الاطلاق »
« ويدور عنق هذه الهوة ، اذا علمنا

إذا استعمروا بلدا حرروا أهله من الفلحة والجهل والتخلف !
وان كادوا ليفتقنونا ويفسلوننا ، لولا ومضة من الحرية كانت كائنة في أعماق وجودنا ، تتلقاها فسماننا ميرانا وأماننا ، على تماقب الاجيال !
ومضة لم يغيب وهجها عن الغرب المستعمر ، فارتقت ليلاليه ونحن راقد ، واجهدته استعدادا ليفتقننا المرتبة ، بأسلحة خفية مسومة ..

واليوم اذ يسهر تادلتنا الاحرار على تصفية الاستعمار ، ويستبسل الدعايون الابطال في مقارمة فلوله ، تسهر خلايا الفزو الفكري لاء الفراغ ، وتفتح خزائن مؤسساته الثقافية العديدة ، لتنفق سخاء على جيش من المترجمين والناشرين والمروجين ، يمارسون نشاطهم في حراسة واخلاص لاغراق اسواقنا ببضاعة فكرية معينة ، يختارها لنا الاستعمار في زيه الجديد البريء ، ويعلن فيها صباح مساء انه لا يبغي سوى ازدهار نهضتنا الفكرية حبا في سواد عيوننا ، وابتغاء مرضاة الله والانسانية !!
فاسمعوا ما يتولاه السحر الهندي « بانيكار » عن المؤسسات البشيرية الفكرية :
« لقد كان لهذه المؤسسات نشاط

مستقبلنا اذن معركة فكرية ..
يرتد من مصر الحرية التي اشتريناها باعلى ثمن ، والمعارك التي كسبها لنا ابطال التوبة وشهداء الوطن ..
ولست ارتاب في ان الفذلنا ، اذا عبانا قوانا لمواجهة الفزو الفكري ، وسهرنا على مراقبة كل كلمة تخرج من خلايا المؤسسات الثقافية الاجنبية ، قبل ان تتسلل الى عقول اطفالنا ووجدانهم وضمائرهم ..
وراقبنا معها كل ما يكتبه او يترجمه العملاء المساجورون ، الذين يزيغون الفكر ويشوهون القيم ، ويعنون الميكان الثقافي والادبي بزااد خبيث مسوم .
ليعلموا انا غير غافلين !
وليوقفوا اننا مصممون على حماية وجودنا الكريم الذي ناضلنا من اجله جيلا بعد جيل ..

التاريخ: ١٤ / ٤ / ١٩٦١

قصايا أدبية القصص والتاريخ



سعد الدين

• لن نتصيف تاريخنا الذي طواه الاستعمار

• إذا قنعنا بنشره قصصاً مدرسية، مسلية وهادفة!

عندما توأمتنا في مؤتمر أدباء العرب بسانكويث، على أن نضع في مكتبة الجيل الصاعد، صورة مشرقة من أمجاد تاريخنا وليس بطولاتنا. كما نرى ملازم محتشماً بالاستعمار الذي عكف على تاريخنا تشويهاً وتزييفاً وطمياً وبتراً، لكي يزيلنا عن ماضي غزتنا ويفعلنا عن جذور لنا تفدى كرامتنا وتؤكد أسالتنا ونمدنا بأسباب السوء والعياءة... كما كنا ندرك بدون شك - تيمماتنا نحو لبتائنا أصحاب اللد، الذين يجب أن نحورهم من عقدة بقى أروفت أجيالاً منا، لعلنا نأسموا عن هوان آباءهم وأمهاتهم، وما يؤعوا به من تهاويل التشنج التي رانت على ولبائهم، قبل أن يتنفس العرب فيحمل ألبنا شمع الحضارة والنور فيما يزعمون، حتى انطامهم الشهور بأن شريقتهم مظهر تأخر وتخلف، وأن الانسحاب بدفسيهم وجيئة وجسود...

الركتور بنت الشاطي

بهم



التي تصدر للجنات اللابذة...
وتقدر ما انضمت لرويد مئة أبنائنا
بكتاب كهذا، استفتحتنا لتعديد مجاله،
رحمته في ذلك النطاق، وكان حقاً على
الثاني، أن يملح مؤسسه قسبة
تاريخية مزودة بكن أولها التي تومر
ألفه بها والاشتمان إليها...

ذلك لأن التفتة في قنمها لمحاولات
عرب الألفس والرففك، في الإحصاء
فرما صرحوا النساء، ومنابرهم
الشرقية التي أولسهم - كما أؤشد
الاستاذ مسعد - التي تلك الأرض
المجولة قبل أن يولد « خربزوك
كولومس »، كمن جديرة بأن ندرس
عينا عربنا تاريخياً أبناء، قبل أن نساغ
شها قصة نكبتها سمارتنا أو نغريهم
بمشتعنها...

من كتاب ذي وهي ونسبنا نستطيع
بشي من نصيبه من هذه الأمانة
وهو قادر على حطبها، نهذا
من مند القدرة، ليس في حساب
والوطن والتاريخ، إلا عقولنا بشاه
ن وبرنمجه الأخير...

...
كانت بحث نطاش على هذا، النما
بحوز أن نكتب عليه، هو مؤلف
- تجاه المخرى من تاريخنا، وهي
نشره قصة حادثة بطانمها أشتاونا
مغزاً أو أن وراء ذلك نعمة أخرى
رمة ذلك الحد المبدع؟
نر هذا السؤال سكر، اثر فراغى
رمة كتاب بعنوان « العرب... لا
زوى كولومبس » ألفه « الأسفاد
- العريان » جنة وسلسلة الوحدات

(٣)

والاستاذ سعيد يقول في الفصل السادس من قصته :
« وقد ذكر التاريخ ان ثمانية من ذتيان العرب قد حاولوا في القرن الثالث عشر ان يكتشفوا امريكا قبل ان يكتشفها كولومبس بمائتي سنة » فاجروا غربا في سفينة شراعية ، واتجهوا بها غربا اثني عشر يوما ، ثم حولوا وجههم الى الجنوب الغربي اثني عشر يوما اخرى ، حيث لاحت لهم جزيرة على بعد ، فاتجهوا اليها واقتروا مراسيهم على سواحلها ، ووطئوا الارض الجديدة باقدامهم ، وكان اهل اشبونة يسمونهم النوبة المغرورين »
وبعد ان بدوى تفاصيل المغامرة بمضى فيقول :
« ولكن الدولة العربية يومئذ في الاندلس لم تكن خالية البال ، اذ كانت تعزقها مطامع الامراء وتشتغلها أحداث الحرب المتصلة بين العرب والاسبان فلما جاءتها انباء هذا الاكتشاف الذي وصل اليه اولئك الشبان المغامرون من عرب لشبونة ، لم تحاول عملا ولا خطة .. وبقيت اخبار هذا الاكتشاف قصة تروى للتسلية في مجالس البسر ، ويتناقلها الرواة من سامر الى سامر ، لتبلغ حثلها من الانتشار والذبول ، ويذكرها اهل التاريخ .. ثم لا شيء غير ذلك .. »
وتكتبها اهل التاريخ في كتب التاريخ ، وذكرها علماء الجغرافيا في المؤلفات الجغرافية بلغة العرب وبغير لغة العرب وانتفى اجيل وجيل .. ومات الاخوة المغرورون .. ومضى قرن من الزمان وتبدل آخر ، واشرف القرن الخامس عشر ولم تزل امريكا في عزلتها وراء اوج المحيط ، لا يعرف الناس عنها الا ما تذكر كتب الجغرافيا والتاريخ واحاديث السمار ، او ما تشير اليه المحيطة المكتوبة على شارع الاخوة المغرورين في لشبونة .. ثم سمع خريستوف بالقصه ،

وخرج من ميناء لشبونة التي ابحر منها الاخوة المغرورون قبله بمائتي سنة ١٠٠ وقد صارت لشبونة ميناء من موانئ البرتغال ، وخرجت من ايدي العرب والاسبان جميعا .
« وكل ما قصته هذه القصة من الحوادث الكبار ، ذكره المؤرخون الحبيب القدماء واعترف به مدد من المؤرخين الاوربيين . وكثير من المخطوطات العربية المحفوظة في بعض المكتبات الاوربية ، تفصيلات وافية عنها .. »
« ولم تزل الصحف العربية والاوربية تنشر في اوقات متقاربة او متباعدة بحوثا جديدة لمؤرخين وجغرافيين .. تثبت ان العرب قد عرفوا ذلك الطريق ومضوا الى تلك الارض ، قبل ان يصل اليها خريستوف كولومبس وقبل ان يولد فرديناند وايزابيلا .. »
ولست ادري كيف هان على الاستاذ سعيد ، ان يبقى هذا التاريخ ، قصة تسلية وتثقيف تروى للتلاميذ ؟ وكيف غاب عنه ان الامر اجل واخطر ، من ان يعرفه في هذا النطاق المحدود ؟
انها قضية العرب وحق التاريخ ، وما ارانى اشق على الاستاذ سعيد او اظلمه لو طالبت بان يعالج القضية من جديد ، فيجمع كل هاتيك الاقوال والبحوث من مصادرها التي اشار اليها اشارة عابرة دون ان يدل على واحد منها ، ويحشد لتأييدها كل ما جاء عنها في المخطوطات وكتب المؤرخين والجغرافيين العرب وغير العرب ، حتى لاتظل القضية هكذا ، حكاية هادفة يتسلى بها التلاميذ ، ويتناقلها الرواة من سامر الى سامر ، وزوايات معشورة في شتى الكتب المخطوطة والمطبوعة ، تماما كما كانت في ماضي الزمان وسالف العصر والاوان !
اقول هذا وانا مطمئنة الى ان السيد راوي القصة ، يعرف واجبه وطريقه ، لكي يستخلص حقا المهدر من طي التجاعل وغمرة النسيان ، ويكشف عن خطواننا المظلمة في طريق كولومبس عبر بحر الظلمات !

التاريخ: ٢٠ / ٤ / ١٩٦١



اسجدوا لآدم

بدأ عصر الإنسان ، بعقود رابعد الفضااء ..

ويدأت معه قيم جديدة ، تليق بكرامة عقله ، وعزة إنسانيته !
ولن يحس عاق للبيشرية ، على امتداد عقلنا ، وتحقير آدميتنا ، ومصادرة حرية الفكر وأمانة الكلمة !
شعرت بكرامة انسانيتي ، منذ وعيت قول الله سبحانه وتعالى :

((واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم))

لكن لعلى لم افقه معنى الآية الكريمة تماما ، قبل ان اسمع النبأ الثمر عن انسان الفضااء الاول .
او لعلى لم ادركه حق الادراك ، بمثل ما ادركته يوم عاد هذا الرائد من رحلته الظافرة ، بعد ان اقتحم الفضااء المجهول والراح
عنه الحجب والاستار .
عاد ليعلن ان الانسانية جديرة بهذا التكريم الالهى ، الذى امر الملائكة ان يسجدوا لآدم : ابنى البشرية ..



وفي نشوة الإيمان بعظمة خالق هذا
الإنسان ، حيث انطلق الى ذلك العالم
الجديد الذي بدانه الإنسانية بهذا
اليوم المشهود !

وملأني شعور الزهو والغبطة ، اذ
أتيت لي ان ادرك عصر الانسان : آية
الله في هذا الكون ، وخليفته في الارض
بلى ، هو عصر الانسان الذي حقق
ذاته روعى وجوده ، وأدرك جوعه
انسانته !

والإنسان لا يقوم على الطعام
والشراب والنوم والتناسل ، فهذا
القدر يشاركنا فيه الحيوان العجيم ،
وربما شاركنا فيه النبات ، الذي هو
أدنى رتبة من الحيوان .

وانما الانسان انسان بمقلده ووجدانه
وضميره ولسانه ، وبكل معنوياته التي
تبعزه عن العجاوات !

ولا بد من قيم جديدة تستحدث لهذا
العصر ، ولو كره الكافرون بالانسان !

قيم سياسية : لا تسمح باسترقاق
النشر ، واستعباد الاديين واضطهاد
المؤمنين ، ولا تجزئ لكائن — من كان — ان
يمنون كرامة الناس أو يعارض فيهم حرمة

الثروة (والبطحة) أو يفرس عليهم
ثريته القباب !

ولا يسمح لحقنة من الاقليات ، ان
يحتكوا في مصادر الشعوب ، أو يلعبوا
لمستهم الخطرة التي تهدد بالتدمير حضارة
انامها العقل الانساني المبدع ، في طريق
الحق والادمار .

وقم ادبسة وفكرية ، لا تطلق اهدار
معنويات الانسان ، ولا تحتمل بزيغ
بشاعة عقله أو وجدانه ، غر لثقفة
بكرامة طموحه وعزة انتصاريه وشرقى
انسانيه . .

وقد لاحظت بشائر التغير الجديدة
في الميدان السياسي ، حين أعلنت روسيا
نداء السلام ، وهي في أوج مجدها
ومهرجان ظفرها

كما لاحظت في الميدان الفكري ، حين
قال العالم الفيلسوف الانجليزي « السيمر
برنارد جوفيل » رئيس مرصد جسدول
بأنك ، وهو من اكبر مرصد العالم :
« ان الذين يتشككون فيما نؤمن
روسيا من انحاء الحضاء ، ان يجنوا غير
الحق والندم ، فقد عرف عن الروس

التاريخ: ٢٠ / ٤ / ١٩٦١

(٣)

أو يكتب، لنا اليوم مثل الذي كتبه بالاسم
في ليل محنتنا :

« فخصوم الانجليز - من نابلس
وفلسطين وشبهين - لا ينشرون الحربه
اذا تغلبوا - ولا يكتفون حاجتهم الى
خيرات اللام الاخرى ، ولا تجمع بينهم
وبين العرب مسلحة مشتركة .. ومن
أجل ذلك يقع التنازليين هؤلاء الخصوم
وبين الامة الانجليزية ، فلا يرحبهم احد
من اناء الشرق العربي ، بمرجح صريح
معتول ، لان المرححات الصريحة المعتولة
كلها ، تناقض هذا الجانب اشد المناظرة
.. وانما الدول الفصل في هذا الامر
ان الانجليز خلفاء طبيعيون للشرق العربي
لان الشرق العربي حليف طبيعي
للانجليز »

ولن يتجاسر ماورد طاق للانسانية
على تحقير المرأة أم البشرية ووالدة
الانسان ، فيبسط بها الى ما دون الحيوان
.. ثم يفتري على الله الكذب ، فينشر
كلامه في كتاب يحمل اسم التران
الكريم ، ثم يعلن ان هذا هو رأى الخالق
ولن يتوى منذ اليوم على مصادرة
حرية راينا ، ونسج براقع على كبرنا
ورجدا ، وارهابنا بعقلانه واحكامه
كما فعل بالاسم التريب حين قاومت
طغيانه وانكرت عتوقه للانسانية فكتب
.. فيما نقلت عنه مجلة المصور - يقول
مهددا متريدا :

« انا فدلا طاغية أدب .. وانا لا
استقيم لشخصي ان استرجل على بنت
الشاطيء فتذفها حجرا ، وهي تعلم
اني قادر على ذلك ! »

ولا والله ما اعلم انه قادر على شيء
من ذلك ، ولا يستطيع ان يلطم على
حجرا ويقتله من زجاج ، وانما السدى
اعلمه علم اليقين ان هذا الأسلوب في
الخصومة الادبية ، لن يجوز في عصر
الانسان الذي غزا الفضاء بقسوة عقله
وكرامة انسانيته ، وصحة وجدانه
وسعوره ، لا بعفصات مسترجل ،
وأحجار عملاق عاق للبشرية ..

وصدقت آية الله فينا :

« واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ،
فسجدوا ، الا ابليس ابى واستكبر ،
وكان من الكافرين . »

انهم احتفظوا بأسرارهم العلوية وكتبهم
لم يؤفوا بمواعيد انباء علمية فط .
فاذا قالوا انهم اطلتوا رجلا الى الفضاء ،
فانى اسدي كل كلمة يقولونها «
وجاننا الجناب من « خروشون »
وهو يبكي تأثرا وانزعالا ، عندما عاتق
رائد الفضاء زوجته :

« ان روسيا مستعدة لتقديم كل
معلوماتها عن الفضاء ، الى كل دولة
تعيش ممنا في سلام »

أجل ، لقد انتهى عصر اخفاء الحقائق
التي هي ملك الانسان ، وتزيف الفكر
وغش الوعدان ، ومسح الحق والخير
والجمال :

وانتهى عصر الارتياح في قيمة
الدراسات الانسانية ، وتجاهل حاجة
الانسان الى زاد فكري حر يرضى عقله
الطامح المنتصر ، وزاد فني كرم يمنع
وجدانه الصافي المهذب ، وزاد روحي
نقى ، يغذوه في رحلته الى عالى الافاق
وسحق به الى ماوراء الفضاء ..



وبانتهاء هذا العصر ، ان لنا ان
تتبنى حقونا وتلوينا وضماننا ، ملء
الصحة والحربة والحياة ..

وامبحت حياتنا الادبية حامن من
المتم والشلل والجمود :

كما اصحت حياتنا الفكرية بضمضة
من المسقم والانحراف والتضليل ..

فلن يقول ثنائى بعد اليوم : ما جدي
الادب والذن ، لا يطعمان جائعا ولا
يكوان عابيا ، لان انسان العصر
الحديد ان يسمح ان تجرده من
وجدانه ونسلبه معنوياته التي تجزه
عن الحيوان ، ولا ان نهبط به الى منزلة
اليهم والدواب ، وما دون الهم والدواب
.. مما تقوم حياته على الضرورات
المادية للبقاء وحفظ النوع .

ولن يستطيع عملاق بعد اليوم ، ان

يمتدح آدميتنا ، أو يزيف لنا بفسامة
الفكر والقلم ..

لن يجرد على ان يورثنا جريمة
الاستعمار وحطية استعباد الانسان ،

قصايا أدبية

الشعر بين القديم والجديد

الشعر الجديد يطلو بالشعر بعيداً عن حرم النضاعة والفحامة ويضع السبك المحكم والقوالب المصيرية: "نزار"

ليست القضية فيما أرى قضية فنديم وجديد
بمقدروما هي قضية شعر وغير شعر: "بنت الشاطئ"

لم أشعر بأي حرج ، حين جاء الشاعر ((نزار قباني)) يتحدث
الى ، عندما كنت في دمشق . . . وإنما قدرت أنه اذا كان قد أغضبه
ما كتبت عنه هنا ، فحسبى طمانينة ضميري الى أنى ما تجنبت ولا
انخرقت ، بل عرضت قضية اتهام نزار ، في نزاهة واخلاص .

★ ■ ■ ■ ■ ■

رأى الشاعر نزار قباني

وقال للكورة بنت الشاطئ



نزار قباني

قلت لنزار : هل لي إذن ان اعذر ؟
اجاب : كلا ، إنما كان ذلك ان نقلت
التصيدتان بمعزل عن الظروف التي
قبلتا فيها ، والجو الذي عشنا فيه .
ويكفي أنك تخرجت من الانعام السريع
الحاسم ، وضيت تاسيسي المنسحر
الجديد الذي انفته الى التسبيدة
الفرنسية ، وتحاولين به تبرير الوقت
بأنسى ما نطبع فيه من حرس واتزان
واستلرد " نزار " يقول : والتسبيدة
بعد هذا ، ليست الا اعلاناً عن رأيي
في الشعر الجديد . فلتدعنا اننا
العمرى ، تلك المرون الانشائية المنشوطة ،
التي تعتمد على زخرف القول وبهرج
السنة الفظيلة ، وعانق مزاجنا انانين
الخيال المسطوع ، التي تهر المدرسة
التقدمة على أن تبهم في نبها ، ونحاول
عنا ان تجرنا اليها بحسبنا واحدة ،
بسونها فخامة الديباجة ونصاعة الاسلوب
وجودة السبك واحكام السدنة وعذوبة
الانعام وجلال الموضوع ، ومالا أدرك من
(كليشيات) متحفية ! اننا الآن نعيش

وانما شعرت بالحرج حقاً ، حين
تجنبت من حديثه معي ، انى فلكلنه دون
ان أدري . . . فما اخذ " نزار " من
تسبيدة " حاك برنديه " خفة واخلاصاً
ولا عمد الى الاتناس منها وهو بنى
ان يزيد من رسبده الشعري ، وانما
جاء بالتسبيدة التونسية معلناً عن
مصدرها ، لكي يتدبر مثلاً وشاعداً ،
على ان النجوبة الشعرية لا تصد عن
الاشياء المادرة الصغيرة التي يثابرها
اكثرنا املة من ان يلفت اليها : شاعر
ولا ترفع عن الاحتمال بتسبيدة مسكر
نذاب في فنجان ، اذا حق بها - في
رجدان الشاعر - جو شعري خاص ،
ثم كان هناك دائم آخر ، دعا " نزار "
الى ان يحيى بتسبيدته العرسية (الوحيدة)
على فرار تسبيدة " بونقيه " . وهو
ان يثبت طائفة العرسية على أداء مثل
هذه التحفة بكل طواعية واتسار ، وان
يؤكد حق الشاعر العربي في معالجة
" الاهتمامات " الصغيرة التي تهمس
في حباتنا اليومية المأوفاة

وتأثيرها ، على خلاف ما يتصور دعاء
الرجعية الذين يريدون تجديد الشعر
العربي في قالب مرموقة ، تحمله
مجرد شكل معين مرسوم ، دون اهتمام
بالجوهر أو احتفال بالمشور . وقد
غير الشعر العربي زمانا وهو مختلف
بهذه الشكليات الجامدة ، مكل بأغلال من
المنفعة المفضية ، شلت حركته وهدأت
انطلاقه ، فنشأت سوانه وبارت بضاعته ،
وكادت العربية تحرم أجل لغونها ،
لولا أن تهب لها هذا الحبل من الشعراء
الحرار الذين استوردوا للشعر مكانته
واستعادوا له آراءه

والحرية في الشعر الجديد ، ليست
سوى استجابة لروح هذا العصر الذي
يبصم بالحرية ، ومسايرة لحركة الزمن ،
وتحسوها لسنة التطور . وما كانت
« فلسفة » « أهل الكهف » لتستطيع أن
توقف التطور وترجع الحياة إلى ما وراء
مئات السنين !

ولقد نصحت لمن ينكرون حق الحياة
الجديدة في شعر جديد ، وتجاهلون
« اهتمامات » الانسان وذوق العصر ،
أن يعودوا إلى كهوفهم ليناموا فيها
ملء الجفون ، ولهم علينا الاعتناء .
فهذا وحده يستريحون من شغائهم
بالنظور ، ولجميعهم في المصطلح التقليدي
ومحنتهم بأعمال نازك الملائكة وشاكر
بدر الشباب ونزار قباني وزملائهم ،
حين يخرجون بالشعر بعيدا عن
حرم النصاعة والفخامة ، ومصنع
السبك المحكم والقالب المصنوعة ،
(والكليشيهات) المجددة ، وينظفون به
ملء الحرية والحياة . .

في عصر الانسان الذي هتك اسرار
المجهول ومزق حجب الفناء ، والانسان
وحده هو الجديريان يكون موضوع الشعراء
الانسان بكل جبروته وطموحه ، وكل
نفاعاته ونزواته وأهوائه . ولن يستطيع
الرجعيون أن يمارسوا معنا عملية
« التجريد » التي تمنح بشرية الانسان
وتسلخه من آدميته التي هي مزاج من
النعامة والفسق ، ولن يستطيعوا أن
يفرغوا علينا أن نصفي إلى « البرود
التشبيبي » والقيس النافع ، والنهيق
السديد ، وغرر التمسيد ، والآخر
الشنام ، والدر الذئبيد ، ولا أن يوهوا
علينا بمتون منقولة في « الصنعة الجيدة »
والشعير الغرثان ، والرباط النسيج ،
والمدرة الإيكم ، أو يلفتونا إلى « ذخيرة
مأثله من بهرج المسجود ، والفطرب
المعصفر في رمي »

أقد ، بل سحر هذه وأعمالها ، كما
بطل سحر الاثراني الفخمة ، والنظم
المسوك والصوغ المحبوك ، وتهاويل
السور ونفائس الانشاء ، منذ دخلنا عصر
الانسان الطائر المتفهم ، الذي لم تعد
تهوله « اشباح الاميل » وبرقع النجوم
الدراري ، ورجبة الموج الاشم ، وسدى
الظلمات .



وانتقل « نزار » يتحدث عن تحسور
الشعر الجديد من قيود المصطلح التقليدي
تكنني فهمت منه انه يرى في هذا النحر
منظر انطلاقة اللغة المعزية وآية
طواعنتها ومرونتها ، وسر جبروتها

(٣)

ومضى « نزار » وترك لى ديوانه ، من الشعر القديم والحديث ، لا يعيب
وكانما أراد أن يضع بين يدي ، تجربة الاولى انها جارية على نسق تقليدى معين ،
شاعر جديد اهتم بفستان التفنن ، وجعل كما لا يعيب الاخرى انها تحررت من هذا
من الخزن الصينى . والسجاد والحرب ، النسق ، مع احتفاظها بموسيقية الاداء
والبحور ورائحة البترول ، واميزات التى لا يكون الشعر بدونها شعرا
النقط ، مادة شعرية .
فمسألة « الشكل » فى الشعر يجب أن
ويظن « نزار » - بما يسمع من شجيج تخرج من حسابنا ، متى اكتملت للشعر
يحفل بما يسميه (اهتمامات) الانسان عناصره الجوهرية ، من شاعرية الناول ،
الصغيرة العابرة ، مع ان « طرفة » - ووجدانية المعاناة ، وموسيقية الايقاع .
الذى عده النقاد اشعر الناس واحداً - وليس يعنينا وراء هذا ان يتصرف الشاعر
قد اهتم بشائته واعطاها أكثر من نصف فى انغامه بما يخرج بها عن حدود المصطلح
معلقته . . . والنايعة الذبياني قد وصف الموروث ، أو ان يلتزم بهذا المصطلح ادق
اعضاء « المتجذرة » وحركاتها وزيجها التزام .
باكثر مما يجرى تلاليم على أن يفعل . . . القضية فيما أرى ، ليست قضية قديم
ويظن « نزار » - بما يسمع من شجيج وجديد ، بقدر ما هى قضية شعر وغير
حوله - ان حرم الشعر العربى المصون ، شعر ! وليس من الحق أن نحسب على
لم يمتن من قبل يمثل « النقط » والبترول ، الشعر الجديد ذلك الغشاء التلى الذى
والخزن الصينى « مما يسميه خصومه يظن اصحابه انهم متى مزقوا الجمل
تفاهات غير لائقة بجلال الشعراء والقول ويعثروا الكلمات فقد صاروا شعراء
لهم - ان الشاعر العربى القديم لم مجددين !
يحتز منا هو اقله من النقط والبترول كما ليس من الحق أن نحسب على
والسجاد والخزن : امرؤ القيس ، على الشعر المحافظ تلك المتون الانشائية
جلالة قدره ، جاء فى شعره بيمع الارام المنظومة التى ليس لها من الشعر الا
وحب الفلفل ! والنايعة ، شيوخ شعراء الوزن والقافية ، واذا كانت بضاعة الشعر
الجاهلية ، جاء فى اعتذارياته المشهورة قد بارت هندنا وخسرت قراءها ، فما ذاك
بوجوه الفروود وبالبعبع الاجرب المطفى الا لان اكثر الناظمين يعانون النظم بنفوس
بالفار او عنثرة العيسى ، شاعر الفرسان ، معلقة ، ووجدان معتم ، وحس اصم !
جاء فى معلقته الخالدة ، بغشاء الذباب ، وتدبنا يعتز بالموشحات ، وليست جارية
وبائناتين واربعين حلوبة سودا ، نسق حب على النسق التقليدى ، كما يعتز باللزوميات
الخمخ ! والاعشى ، صناعية العرب ، وتذ التزم فيها « ابو العلاء » ما لا يلزم
اجبته حبيبته هريفة ، وهى تعنى الهويى من ثبوت المصطلح الشعري
لنقلها ، كما يفشى فى الوحل من حلى وفى حديثنا روائع لناذك الملائكة : شاعرة
خافرة (ولم يقل قائل من هؤلاء الغاضبين المصمر ، لم تخرج ليها على النسق الشكى
الشعر ان قدسية الشعر اجهنت بشيء للتسمية العربية . وليس كذلك روائع
من هذا ومثله ! لشوقي ، امير المحاضرين ، تحرر فيها من
واشد ما ننكره من يتعصبون للشعر قيرود ذلك النسق .
الجديد او القديم ، انهم يطلقون الحكم فمن شاء ان يلتمس الشعر ، فليلتنبه
عاما دون احتراز ، وفى تراثنا الفنى روائع عند ذرى الامالة الشاعرية ، تدامى او

(٤٠)



نزار قباني

محدثين ، وسنرى ان اذواتنا المصرية
تشجيبها مرائي «مهلهل» في اخيه «كليب»
من وراء خمسة عشر قرنا من الزمان ،
وتطرب لها كل الطرب ، على حين تنفيق
مثلا بقول كبير الناطمين في عصرنا :
في فرضة متناصر من منها
موج اثم احم ليس بموان
موج يطبق بها وقد ران الكرى
فيها طواف الضيفم الغرثان ا
* * *
اراح الورد عازفة الانوس
واشرق نجمه بسعد الخنوس
وغرد هائل الاطيار لمسا
جلا البنان عن خدر العروس
وفيها شمالة لم يودعوها
من الانسراج كرم الخندريس
مجسام للطبيعة ارجتها
وخصنها بتقربان الشموس
لوانا تادرون لسا هفرنا
الى غير المحاسن والطروس ا
وما ذاك الا لان القفصية كما قلت ،
ليست قفصية قديم وحديث ، وانما هي قفصية
شعر ، وغير شعر ا

التاريخ : ٥ / ٥ / ١٩٦١

قضايا

أدبية

ثنائية اللغة بين واقعنا وطموحنا

إذا كانت العامية لغة واقعنا ، فإنها ليست لغة طموحنا

الفرق بين اجتماعي محاك أن تهتم بالواقع وليس بالواقع

الموضوع — فيما يبدو — ليس بالموضوع الجديد ، والعهد بين هذه الصفحة وقراءها ان تكون اقرب الى التجديد المتصل ، والانارة الفكر ، والحديث الذي لم تسر في تناوله الاقلام .

وهو بطبيعته متشعب النواحي ، كثير الاستطلاات ؛ جانب منه يتصل بهذه الحياة التي نحياها ، وجانب آخر يتصل بهذا الادب الذي ننشئه .. طرف منه في الماضي ؛ اطراف في الحاضر ، اطراف كثيرة ورأى في المستقبل .. وقد يكون من شأن هذه الصحيفة — بحكم الحيز الضيق والمجال المحدد والرغبة في التنوع — ان تثير المشكلة على عجل ، ثم تدعها الى جديد من المشكلات والقضايا



بقلم الدكتور شكري فيصل
عضو الجمعية اللغوية في دمشق
وعضو مجلس الأمة

السرمة ، ومدى ما يكون من هذا الترخس .. ولكن جماع كل هذا الذي قيل وبقي او يمكن ان يقال ، لا يخرج عن ان يكون مصدره ومطلقة هذا الايمان بالحياة التي نحياها ، واعتبار هذه اللغة جزءا أصيلا من هذه الحياة .. ثم ما يكون بعد ذلك من السام المجال للعامة ، مسلحة بسلاح الحياة نفسها ، هذه التي نحياها ونقلب فيها ، مركز الفلذ في نصرة هذه العامية — على خلاف في مدى هؤلاء النمرة ومجالها — يعود الى هذه الصلة الوثيقة ندوات الاذاعة مشع لتقول كل شيء .. ونحن نقدر لك الا تنسوا من كل ذلك شيئا ولا نسبح شيئا فانت مشعل الى ان تستمع الى هس هذا الموضوع في نفسك حين تنكر في مسابقة حسابك العاصرة هذه .. اعني في صلة هذه الحياة بمقوماتها التي تنهش بها وترتفع عليها .. انك من قضية اللغة بوسعك من الحياة ، ومن ذا الذي ملك ان يملك من الحياة ؟ .. ولقد قيل كثير حول ثنائية اللغة العربية ، وحول الترخس في استعمال

ولست احب ان اخرج عن هذا الذي بدا لي من امر هذه الصحيفة .. ذلك ان الموضوع على كثرة الذين كتبوا فيه وتحدثوا عنه ، ما انك جديدا ، حيا ، يلح على امحاه المتصلين به ويداعهم الى الوان من القول ، وانواع من النظر .. واتصاله بهذا النحو من العباسة وهذا النحو من الادب ، واستطلااته المتحدة هنا وهناك في اطراف من الزمن المقبل والمنعزم ، بجمل اشتر الذي يدور فيه جديدا او اقرب الى الجدة .

ويبحث هذا الحديث ويثيره كثرة ، ما نرى ونسمع ونقرأ في هذه الفترة وفي لغوات مثارة توشك ان تكون مؤتومة .. فلا يكاد بهذا الحديث حتى ينور ، ولا يكاد بهذا في جانب منه حتى يشور في جانب آخر .. وتشرق الشمس على حديث عن ثنائية اللغة ثم تنيب ، فإذا حديث آخر عن الملائكة اللغوية «الكبرى» التي تتمتع بها العامة او بعض تعليمها وتراكيها .. فإذا لم يكن الامر في نطاق الصحافة كان في نطاق الاذاعة .. وفي

التاريخ: ٥ / ٥ / ١٩٦١

(٢)

به الى مستوى الجمال والانسنة ، ولا يحجب الحاجة الماسة الى امسلاحه وتبذيه .. وواقع الحياة التي نعيشها واقع مريض ، من أبرز اسباب المرض فيه ومن ظواهر هذا المرض معا ، ان كل معطيات الفكر ومكونات الثقافة مخجوبة عنه بحكم ان اللغة — وهي اداة الفكر السليم ومعرض الثقافة — تعاني هذا التشوه ..

وقد يبدو هذا الكلام مغربا للذين ينسرون العامية .. فما دامت الصلة بينها وبين الحياة صلة سبب ونتيجة وما دامت العلاقة بينهما في مثل هذا الموثوق والترابط لمساذا اذن ؟ .. وما الذي يبقى للقول ؟ ..

والحق انه من هنا يكون الافتراق .. وأن هذا الافتراق لتجسد في هذا السؤال : انحن نخضع للحياة ام نحن نصوغ هذه الحياة ؟ .. انحن نذعن لها ام نحن نسودها ، امي ولما الذي ننسئ ام نحن ولما الذي تنسئ ؟ .. وفي منطق الثورة التي نعيشها هل يكون « واقع » الحياة اقوى من تطلع المجتمع او يكون « واقع » المجتمع قاهرا لتطلعات الحياة منصرفا عليها ؟

اني اقدر ان الي جواب سريع عنيف لايمرنه القوي يحاول ان يتحدث عن سلطان الحياة على الاحياء ، وعن غلبة الواقع ، وعن .. وعن .. ولكني اقدر ان لكل جواب من هذه الالف .. الي رد سليم ، حين نقدا من الايمان لا من الحساسة ، ومن المثل لا من الواقع ، ومن منطق السيادة لا من منطق العبودية ، ومن ادراج النعمة المنطلقة لا من اكدار المستنعمات الراكدة الآسنة .

بين العامية والحياة .. وانا احب ان ابدا من هنا لتسائل : هل كان طرح هذا الموضوع على هذا النحو طرحا صحيحا ، وهل العامية جزء من حياتنا التي نحب ان نعيشها ؟ .. وهل الايمان بالحياة يدعو الى الايمان بكل الاشكال التي تقوم بها الحياة ؟ او هو يدعو الى اعطاء هذه الاشكال القفل مسورها واحلى الواتنا ؟ .. وهل يكون تغليبنا لواقع الحياة تغليبنا مطلقا او هو متصل بالنواحي الاخرى التي تنبئ على هذا التغليب وتنتج عنه ؟ ..

ثم : هل العامية اميلة في حياتنا او هي طارئة ؟ واذا كانت لغة اليوم في بعض المستويات فهل هي لغة النقد ؟ وما مدى الطساسة الفكرية والطلاقة الفنية فيها ؟ .. وهل تستطيع العامية ان تحيا على المستوى الذي نحب ان نحيا به في نطاق الادب او في نحو من هذا الادب هو حوار المسرح ؟

ولي رايي ان نقطة الانحراف تسدا من هذه الصلة التي عقدت بين الحياة وبين اللغة ، المسد العامية .. والتي ادير فيها الحديث على كل نحو .. ووجه كل وجهة .. ذلك ان هذا القلازم الذي يصر عليه اصحابه خطاطيء في اساسه ، فليس هناك هذا القلازم حقا بين « واقع » الحياة التي نعيشها او التي نريد ان نعيشها ، وبين « واقع » اللغة العامية التي نتكلمها .. وكلا هذين الواقعين مريض ؛ العامية التي نسمعها نوع من ضهور اللغة السليمة وتشوهها هذا التشوه الذي يربط بتشوه الحياة وبقاونه .. ومن المؤكد ان الى هذا التشويه واستمراره لا يرتفع

واحب ان اسال اولئك المتصممين
للعامية . مهما يكن مدى نصرتهم لها
ومجالها ، عن شيء آخر : هل يخرج
موضوع اللغة من ان يكون موضوعا
اراديا تملك الارادة الصادقة الحازمة
التي تنطلق من مبدأ وتضي على طريق
وتتجه الى هدف . ان تفعل فيه الكثير ؟
اهو « قدر » لا سبيل الى ان يتفهم فيه
جهد . او هو « وضع » يخضع لشيء كثير
من الارادة والرغبة والتعليم . . . وهل
تكون الاستجابة للحياة استجابة سلبية
تتبع فيها المنصر-الارادى ؟

وماذا نقول حين نذكر الذي نشهد
عند الاطفال حين يأخذون يتعلمون اللغات
المختلفة (الفينا من ينكر اثر الارادة
والتعليم والجهد ؟ . . افينا الذى ينكر
اننا نصنع السنة اطفالنا وان فرسنا
ان نصنع اذان العامة عندنا ؟ . . ان
الحاج اغنية على جمهور يجعل الان
من كل انسان مغنيا يتم لحنا ، ويرتل
صوتا ، وبمبدأ كلمات ، ويضطر ان يقيم
لسانه على هذا النحو وان يد صوته
على هذا النحو الاخر ، وان يرتق وان
يلطم ، وان يغير من طابع الصوت
ومن شدته ومن نبرته على النحو الذى
دخل اذنه . . . ومع ذلك فاذا جاء الحديث
من الفصحى والعامية جاء معه كل هذه
الاهاديت عن الصعوبات والاستعالات ،
وعن الاستجابة للحياة ، وعن الجبال
الصوتية وعن البيئة والواقع . . .
وتقلصت الارادة والايمان والمران هذا
التقلص الغريب الذى لا ندرى ما وراءه
لقد كرست العربية فى اول مبدعها
بالانتشار مع الاسلام السنة الناس
فى جيل واحد . . . صاغت هذه الصياغ
الخاصة . . . حتى حبسهم الصوتية
خرجت بها عن الموروث والمعهود
وجاءت منها هذه الصوتية الجديدة
التي لم يكن كلاما . . .
يترب من ان يكون كلاما . . . كان ذلك
اول عهد هذه الامة بالعربية واول
لتقاء بينهم وبينها . . . لماذا يقول اليوم
ابناء العربية الذين ورثوها منذ اربعة
عشر قرنا ؟

ليس هناك حياة تفرض ، اننا نحن
الذين نصنع الحياة ونفرضها . . . وليس
هناك تعبير يتحكم ، فنحن الذين نصوغ
تعايرنا ونحن الذين نؤلفها . . . ان بين

اللغة والحياة هذا النسب المحتسب ،
ولكن اية حياة هذه التى تريد ان تحكم لغتنا
.. واية لغة تريد ان تصر عن هذه
الحياة . . . ؟

اننا لا نتردد قط فى اننا نؤمن بالحياة
التي نتمناها لا التي نراها ، التي ننطلق
اليها لا التي نزرع تحتها . . . وان جوهر
حياتنا الحاضرة ليس خضوعا للواقع
ولكنه التسامى على هذا الواقع والمسيطرة
عليه والارتفاع به . . . انه هذا الجوهر
كذلك فى كل جنب من جنب الحياة . . .

اما اولئك الذين يريدون ان يمارسوا ،
ان يحتموا بالبيئة ، فهم مخطئون لاننا
نسلم من البيئة بالتدريج الذى يغير من
وجهتنا لا القدر الذى يقرض علينا
الاستسلام . . . ولن نختلف حين نستبدل
الايمان والارادة بالمساومة والخضوع ،
لأننا حينئذ لن نجد الا بيئة واحدة هي البيئة
التي ننطلق اليها ، والاحياء واحدة هي الحياة
الافضل التي نكفر فيها ونجهلها ، والا اللغة
الواحدة التي تكون كفاء هذه الحياة
وهذه البيئة بكل تطلعاتها وتساميها

(تعليق)

((لا يستطيع واع منصف ، ان
يمارى فى حاجتنا الماسة ، الى
تهذيب لهجاتنا العامية والتقريب
بينها وبين الفصحى قدر المستطاع .
أما اعتبار هذه اللهجات واقعا
مريضاً ، فذلك ما لايسهل التسليم
به . . . كما ان قياس الواقع اللغوى
بالواقع الاجتماعى - على هذا
النحو - فيه نظر : لان أمراضنا
الاجتماعية كلها ، صنعتها أوضاع
شاذة ، وليس الامر كذلك فى اللغة
وما يتفرع عنها من لهجات محلية .
((والقضية لايزال فيها - بعد
هذا - مجال لكثير يقال . . .))

بنت الشاطئ

التاريخ: ١٢ / ٥ / ١٩٦١

قضايا

أدبية



من المسئول عن نشره جانك الأدب والإبداع الثقافي

رأى الأستاذ محمد الشراوى : الصحف اليومية والإذاعة

الدكتور بنت الشاطئ تعاليم : مجال النشر هو الكتب المتخصصة والمجلات الأدبية

انتهى منذ شهر في دمشق اسبوع « الفقه الاسلامي » ومهرجان الامام ابن تيمية . ومن قبله اقيم فيها ايضا مهرجان الامام حجة الاسلام الغزالي واسبوع لدراسته . ومن الحديث في البديهيات ان يقال ان من اهداف هذه المؤتمرات والمهرجانات ، التعريف بهؤلاء الائمة وامثالهم من رجال ونساء الفكر الاسلامي ، وتمجيد ذكراهم واشاعة الثقة بقيمة الفكر العربي والاسلامي بين من لم يعرف هذه القيمة ، او امام من يكابر فيها . ثم الافادة من تفكير هؤلاء الاعلام في حياتنا الحاضرة ودراسة النواحي الخافية من حياتهم ومناهج تفكيرهم . او عرض هذه وتلك في اثواب جديدة . وهذه الاهداف كلها لا يتحقق شيء منها الا بابرار هذه المهرجانات والاسبوع في الصحف والاذاعة ووسائل الاعلام التي يعرفها الناس في هذا العصر ويتفنن فيها ، الى مدى بعيد المسيطرون عليها .

فماذا قرا جهه ورننا العربي او شهد من انباء مهرجان الفقه الاسلامي وابن تيمية ، او مهرجان الغزالي . . ؟

كانت هذه الخواطر تدور في راسي وانا اقر ا مقال الدكتورة بنت الشاطئ صباح الجمعة عن . « مستقبلنا معركة فكرية » . وكل ما قالت فيه صحيح . ولكن مانرى من التهاون في مثل هذا الامر الذي نتحدث عنه ، يشعر بان بعضنا لا يشترك معنا في تقدير القيم الفكرية لمعركة الحاضر والمستقبل التي تخوضها القومية العربية الآن ، او في الدفاع عن اللغة العربية وثقافتها ، وتعريف اهلها بما فيها من اصاله وقوة وعمق .

التاريخ: ١٢ / ٥ / ١٩٦١

(٢)

وأعجب من هذا - ومحدثي شاهد
عيان ثقة - ان أحد الأعضاء الذين طاروا
الى دمشق أيضا للاشتراك في المهرجان،
من غير الاقليم الجنوبي ، كان يسأل
في الجلسة الاولى عن الستة التي ولد
فيها الفزالي والعصر الذي عاش فيه .
وانه أراد بعد ذلك ان يلقى « بحثا »
عنه .

وامامى وانا اكتب هذه السطور
كتاب : « المهرجان الاثني لابي العلاء
المعري » الذي صدر في دمشق من

المهرجان الذي انيم فيها منه في سنة
١٩٤٥

وامامى ايضا ذلك السجل العظيم
النافع: « تعريف القدماء بأبي العلاء
الذي أصدرته في سنة ١٩٤٤ لجنة
برئاسة الاستاذ الدكتور طه حسين ،
عافاه الله ، وقبل هذا التاريخ او في
قريب منه اخرجت الدكتور بنت
الشاطئ « دواستها من » رسالة
الفقران « للمعري . وقد كنت أود ان
يطالع المشتركون في مهرجان الفزالي
وابن تيمية هذه الآثار التي ظهرت في
اسبوع أبي العلاء ، او ان تكون في وعيم
واذهانهم وهم يكتبون او يلقون ما كتبوا
والتوا في هذين المهرجانين »

واستجابة لطلب الاستاذ
الشرقاوى ، نقول اننا معه في
انكار صمت الصحافة والاذاعة
عن نشر أبناء المهرجانات الادبية
والاسباع الثقافية ، مما يعطل
غرضاً من أهم أغراض هذه
المؤتمرات ، وهو وصل جمهور
المتقنين باعلام تاريخنا ، وتعريفهم
بالمجهول لديهم من تراثنا الفكري
وقد مضى مهرجان الفزالي ،
ومن بعده اسبوع ابن تيمية ،
وعامة القراء بمعزل عنهما ، لم
يصل اليهم شيء من أخبارهما .
والاستاذ الشرقاوى على حق ،
حين يعلن احتجاجه على تقصير
الصحافة والاذاعة ، بموقفهما
السلبى من المهرجان الادبى
والاسبوع الثقافى

وتعرف دارسو الثقافة الاسلامية
والعربية، ان جامعة باريس انشأت قبل
ستين « كرسيا » باسم « ابن تيمية »
بخاصة ، تقديرا منها لقيمه ونفقه
وتفكيره . ويعرف دارسوا الفقه الاسلامى
على وجه الخصوص ما يمتاز به
« ابن تيمية » من خصوبة التفكير
وشجاعة النفس وسداد الفهم للتشريعة
وللتجديد فيها . وانه ، فوق ذلك ،
يمتاز بأهلوب عربى مشرق واضح .
وقد كان نفقه معينا خصبا للآراء
النافعة التقدمية التي استمدت منها
قوانين الاحوال الشخصية في السنوات
الثلاثين الاخيرة مبادئ ذات قيمة كبيرة
في تشريعاتنا الحديثة . وهذا من
الاسباب التي جعلت المسئولين من الفكر
والثقافة في الجمهورية العربية المتحدة
يقيمون له هذا المهرجان . ولكنه كان
دون شك - قليل الجدوى من الناحية
العامة ما دام لم ينشر منه شيء ، كما
راينا . وارجو الا يكون في حديثي هذا
ما يزعم صحافتنا التي اعتبر نفوس
أحد رجالها ، واعتز بذلك

اما عن الناحية الموضوعية فساكون
لها رواية امينة فقط ، والترك التعليق
لصفحة الادب في « الاهرام » :
حدثني من اشترك في مهرجان الفزالي
الذى اشترت اليه . ان بعض الاعضاء
الذين طاروا من القاهرة الى دمشق
مندوبين من هيئات رسمية او ثقافية
القوا تلخيصا لاربعة صفحات من كتاب:
« الاحياء » للفزالي . وكان هذا كل
جهدهم في المهرجان ! وان بعضهم
ناول راي الفزالي في « الحسد » .
وندد به صاحبه بما لا يحتاج لدراسة
ومهرجان . وعطرو آخر التي بحثا
طويلا عن « المنارة » التي اعتكف فيها
الفزالي عندما اقام في دمشق ، فقال :
انه لايمانه بالتجربة وحدها ذهب الى
منارة دمشق فوجدها ليس فيها مكان
يسع رجلا للاعتكاف . واوسع مكان
فيها لا يزيد عن سيعين مستقيمترا في
أقل منها . فرد عليه عضو من الاقليم
الشمالى بان دمشق فيها منارتان
لا منارة واحدة ، والسيد المحترم عضو
المهرجان « عابن » تلك التي لم يعتكف
فيها الفزالي . وقد ذكر الفزالي ذلك
عن نفسه بنفسه في كتابه : المنقذ من
الضلال ، حين فصل سيرته وتاريخ
حياته . فلعل المحاضر المحترم لم يقرأ
ذلك !..

(٣)

نار - ... - فقر ، بعد ذلك تعليقاً
لكتاب - شهد وسمع - يرد فيه بأن
سيرة رابعة واشعارها تملأ كتب الادب ،
ثم يسأل محتجاً : من اين الى العلم بها ،
اذا لم اكن قد رجعت الى المصادر
الادبية ؟ ولو كان هذا الشاهد المستمع
قد رعى حديثي ، لاطمان الى ان رابعة
لم تذكر في أي كتاب ادبي ، اللهم الا
اشارة عابرة للجاحظ عن زهدا ، وانما
مرجنا في دراستها ، ادبية ومتصوفة ،
كتب التصوف وطبقات الاولياء ، لا
كتب التاريخ الادبي وطبقات الادباء !

والاستاذ الشرفاوي - فيما اعرف -
قد تتبع معاركتنا النقدية هنا حول كتاب
« المرأة في القرآن الكريم » فما قوله
- دام فضله - في ان صحافيا من الاقليم
الجنوبي ، قديم عهد بالصحافة ، نقل
خبر هذه الماركة الى قراء « الايام »
الدمشقية ، فلم تخرج عنده عن « مشاحنات
لفظية » !

وناقل خبر المعركة الى قراء الايام ،
شاهد عيان فيما يرفقون ، وربما كان
كذلك ثقة عندهم ، أفلا يرى الاستاذ
الشرفاوي الى أي حد تمسح الحقائق
بالنقل ، وتضيع حرمتها باقلام رواة
مظنة الثقة والامانة ، والشعور بمسئولية
الخير ؟

والحديث من آفة الرواية حديث
يطول ، وما اظن الكاتب - وقد عرف
منهج علماء الحديث في الرواية - الا
ملتصا الى العلر ، حين اطالبه بالتحرج
من الحكم على مستوى مؤتمر لم يشهده
ولم يقرأ الابحاث التي القيت فيه ،
استنادا الى مرويات سمعها من « شاهد

عيان ثقة » قد يخطيء وقد يسهو ، وقد
يفضب فيقول اسوا ما سمع ، كما قد
يرضى فيقول افضل ما علم ، وقد يعي
شينا وتقيب عنه أشياء :

★ وما آفة الاخبار الا روايتها ★
بنت الشاطئ

لكننا لانراه على حق ، حين تعجل
الحكم عليهما ، وانكر عدم تشرابهما
ونسجيلها . فمجال هذا التشرعيط ،
ليس الصحافة والاذاعة ، وانما الكتب
المتخصصة والمجلات الادبية والعلمية .
واولي بالاستاذ ان يتجه بهذا اللوم الى
« مجلة الازهر » التي كان عليها ان ترعى
اسبوع الامام الفقيه « ابن نيمية »
ومهرجان حجة الاسلام الغزالي ، وتخصص
عددا منها لكل واحد من هذين
الامامين . اما الصحف اليومية فليست
بحال ما ، ذات اختصاص بمثل
هذا ، وانما حسبنا منها ان تؤدي واجبها
الاخباري بنشر انباء المهرجان وتببع
اخبار الاسبوع

واما لجنة تنظيم المؤتمر - أي مؤتمر -
فلا تطلب بنشر مجموعة ابحاثه فور
الانتهاء منه ، بل يترك لها الوقت الكافي
لطببع كتاب المؤتمر ونشر مجموعة ابحاثه
وهذا ما يستغرق عادة ، عاما او بعض
عام !

وتحدث الاستاذ الشرفاوي عن مستوى
الابحاث ومستوى المحاضرين في مهرجان
الغزالي واسبوع ابن نيمية ، استنادا
الى ماخذ سمعها من غيره . ولست اعمه
في جواز الحكم - موضوعيا - على
مؤتمر ما ، عن طريق السماع ، ولا نرى
من حجه ان يصدر حكما عاما على المهرجان
او الاسبوع ، الا اذا كان قد شهدهما
بنفسه ! فما اكثر ما يخطيء النقلة
ويسهو الرواة ! وما اكثر ما يلتقط بعض
المتفرجين عشرات محاضر او متحدث ،
ويتركون ابحاثا قيمة لمحاضرين علماء !

وأي عانيت من مثل ! في اكثر المؤتمرات
التي شاركت فيها ، واقرب ما اذكره
من هذا - على سبيل المثال - اني
حاضرت في هذا الموسم عن ادبيات عربيات
فسمعت من نقل الى ، مؤاخدة أحد
المستمعين ، على اني اصفيت اليهن ادبية
غير عربية . وكان يقصد « ولادة بنت
الستكفي » حليدة عبدالرحمن الداخل ،
مؤسس الدولة الاموية بالاندلس !

وكنت قد اشرت في محاضرة لي ، الى
سقوط اسم « رابعة العدوية » من كتب

التاريخ: ١٩ / ٥ / ١٩٦١

بسم الدكتور بكتات



الكتاب والمقدمة

إذا كتب عالم مختص مقدمة كتاب
فقد أجاز كل ما فيه من أخطاء !

المتصلون منا بالحياة الادبية والفكرية ، تلفتهم بلا شك ظاهرة المقدمات التي يتبرع بكتابتها أدباء مشهورون • مؤلفين معاصرين ، عن تطوع ورغبة ، أو تحت ضغط الرجاء والالاح . والاصل في الاعمال الادبية ، أن يقدمها مؤلفوها الى القراء ، نقادا أو غير نقاد ، ثم يخلوا بينهم وبينها ، دون تدخل من كاتب مشهور ، يسبق القارئ الى الرأي ، ويتوسط بينه وبين المؤلف ، اذ يشق على القارئ غالبا ، أن يخلص لقراءة الكتاب ، غير متأثر برأي من قدمه •

لكن الذي لا يهون ، هو أن يكون الكتاب ذا صفة علمية أو تاريخية ، مما لا يدخل في نطاق الثقافة العامة لجمهور الأفراد ، فإذا تطوع احد المختصين في الموضوع ، لتقديم الكتاب الى القراء ، كان في هذا التقديم اجازة صريحة حولا اقول ضمنية • لما في الكتاب من مادة علمية أو تاريخية • والمثلث من كتاب غير معصوم من الخطأ ، لكن اخطائه اذا اجزأها عالم متخصص ، كانت النتيجة المترتبة ، ان يشقها القارئ غير المختص من حذر أو ارتباك • ومن هنا كانت مسئلة كتب التذمة بالغة الخطر ، يعتم عليها من عدم الاثر • فالامر هنا لا يتصل بالتذوق الادبي الذي يتفاوت فيه الناس ، وإنما يتصل باخطاء علمية أو تاريخية ، يثقلها القراء بغير علم صحتها ، لان عالما مختصا اجازها •••

ومهما بلغ حرص مقدم الكتاب وتحريجه ، بل مهما بلغ خوفه من وعي القراء ورغبة النقاد ، فان طبيعة الموقف تطلبه ، فستحي من تقديم الكتاب بغير ما يرضى مؤلفه ، واقصى ما يملكه المخرجون من الذين يكتبون المقدمات ، هو أن يقولوا في الكتب التي يقدمونها ، خبر ما علمون ، وشفاغوا عما فيها من عثرات واخطاء قد تفوت على أكثر القراء • وربما جندوا براعة منطقهم وقوة بيانهم لتبرير الاخطاء التي لا تفوت على القارئ •

ولو كان الامر يتفاد عند حد الجادة ، وسبرر الاخطاء ، في عمل ادبي ، لكان ••• أمن القراء من يجهلون وعيهم من النادر بالمقدمة ، وسنهم من يمر بهذه المقدمات دون أن يفهم عندها ، محتفظا لنفسه بحق الاستئلال في الذوق والرأي ••

التاريخ: ١٩ / ٥ / ١٩٦١

(٣)

جوهريا في العمل الفني .

وقوله : « ولم يستطع أي شاعر أو كاتب أن يصور فيما يكتب إلا ما رأى ، تلك اقتضرت نصيحة العرب على بالاذهر » لكتاب « محمد .. رسولا نبيا » من تأليف الأستاذ « عبد الرزاق ، نسجيل معركة أو تصوير بناء - ٧٦ » وهذا حكم عجيب مرنجل يرسله السيد

وكن من زمن ، اقتنع الكتب التي يؤلفها الأستاذ نوفل في القرآن والاسلام ، فلا أرى ضيرا عليهما من قريب تاوليه آيات الذكر الحكيم ، بما لا يستعمله النص البياني المعجز ، ولا تتبله طبيعة القرآن الكريم من حيث هو كتاب هداية ودين . ولذا فان الشاعر الذي يجيد الغزل مثلا ،

بل لم ار بامنا كذلك ، فيما كتبه لايجوز شعره في الحماسة والحرب . السيد نوفل غداة عاد رائد الفضاء من ٧٦ .

رحلته ، وذهب فيه الى ان القرآن والذي لعرله ، ان اعلنا من ادبائنا ، الكريم سبق الى غزو الفضاء منذ نحو في القديم والحديث ، اجادوا اكثر من اربعة عشر قرنا ، بآية الرحم : « يا معشر بنى اسرائيل القيس ، وعشرة ، برعا في الجن والانس ان استطعتم ان تنزلوا من الغزل والحماسة ، وزهير برع في المدح اقطار السماوات والارض فانزلوا ، والحكمة ، والعظمة وجريز برعا في المدح لا تنفلدون الا بسلطان » ونال ان السلطان والهجد ، وابن الرومي ، تفوق في هذا فنو العلم ، وانتطع الآية من سياستها الوصف والراء ، وابو العلاء برع في فلم يقرأ بعدها : « يرسل عليكم اشواق الشعر والنثر ، والبارودي ابداع في من نار ونحاس فلا تنتصران . نياي الاله الحنين ، والفخر ، ووصف الحرب .. ربنا تكذبان » والآيات بعدها شاهدة والحال بطول ا

على ان الحديث فيها من اليوم الاخر . اجل ، لست اعني هذه الاحكام لم توات كتابه الجديد « محمد .. الرسولا نبيا » فلم انكر عليه ان يخطئ ، من ثقافة وذوق ووعي ، ينفر من مثل لكنني لم اتصور كيف امكن ان يجيز هذا التعميم في الاحكام الادبية دون حذر لفصيلة عبيد كلية الشريعة بالازهر ، مائي او احتياط ..

الكتاب من اخطاء تاريخية ، وللموضوع حرمة ودقته وجلاله ..

ولست اعني هنا الاحكام الادبية اصلا فيما لدينا من مراجع امهات . ولا يلام المؤلف اذا اخطا ، تسكل المؤلفين يخطئون ، ولكن يلام شيخ كلية الشريعة ، على تقديمه الكتاب ، دون ان يشير الى

« يعرف العرب في كل مكان واي هذه الاخطاء من قريب او بعيد ..

ومان ، ان احسن الشعر اكذب . من ومن الغريب ان لفصيلة الشيخ المدني : ٧٨ « وهي دعوى كاذبة ساذجة ، فرقنا حرص في مقدمته على ان يشير الى « ما يخلده بعض الناس على كتب الاستاذ منها منذ وعينا ، وعاد الصدق عنصرا نوفل ، انها تفسر بعض الايات تفسيراً

(٣)

وبزواجه منها ، انتصر على آخر . فقتل
من معان الكفر في قريش .

وما علمنا - فيما قرأنا من أصول
ومراجع - أن الرسول بزواجه من أم
حبيبة ، انتصر على آخر معقل من معان
الكفر في قريش . . . وإنما الذي تعلمه
أنه صلى الله عليه وسلم بعث إلى
النجاشي يخطب أم حبيبة ، حين انتن
زوجها - عبد الله بن جحش ، ابن عمه
الرسول - وتغبر . وقد حدث هذا
بنت عمرو ، زوجة أحد رجال بني
تريظة .

وليس اسم ريحانة ، بين أمهات
المؤمنين في كل ما بين أيدينا من مراجع .
وإنما الذي فيها جميعاً بلا استثناء
أنها كانت بين سراي الرسول لا بين
زوجاته . ذكر ذلك ابن هشام في السيرة
(٢٥٦/٣) والطبري في تاريخه (١٨٠/٣) .
وابن عبد البر في الاستيعاب (١٨٤٧/٤) .
ونس عبارة السيرة : كانت ريحانة عند
الرسول حتى توفي عنها وهي في ملكه ،
ولقد كان عرض عليها أن يتزوجها فقايلته
يا رسول الله ، بل تتركني في ملكك ،
فهو أخف على عليك !

فمن أين جاء الأستاذ نزل بهذا
الخبر عن زواج الرسول بريحانة ؟ وابن
ترا اسمها بين أمهات المؤمنين ؟
لا أدري . . فهل يدري فضيلة الشيخ

في حجرة الحبشة ، نبل أن ينتصر
الرسول على آخر معقل للكفر بنين ،
بل أن السيدة أم حبيبة ، هاجرت
من مهاجرها بالحبشة إلى المدينة ، في
السنة السادسة للهجرة ، والمركة بين
السلمين وقريش في ذروة احتدامها .
وانتظرت بنت أبي سفيان طويلاً ، حتى
أسلم أبوها يوم فتح مكة في السنة
الثامنة للهجرة . هذا هو ما في السيرة ،
وتاريخ الطبري ، وكتب طبقات الصحابة ،
فمن أين جاء المؤلف ، بخبر هذا الانتصار
الحاسم على آخر معقل للكفر في قريش ،
حين بعث الرسول إلى النجاشي ، في
زواجه من بنت أبي سفيان !

وما أريد أن أمضي فاتتبع أخطاء
الكتاب ، فليس مثل هذا كبت اليوم ،
وإنما حسبي - بما قدمت من أمثلة -
أن الفت التي خطر المقدمات ومسئولية
كتابها ، ولعلني قد أبليت !

عليها لا يعرف لها من قبل ، أو لا يساعد
عليه سياق الآيات . . . والقرآن لا ينبغي
تمريضه للدوران مع تقلبات العلوم - .
لم سكت عما يتصل بموضوع الكتاب
« محمد . . رسولا نبيا » من أخبار
عن الرسول صلى الله عليه وسلم ،
لأندي من أين جاء بها المؤلف ، الذي
لم يشأ أن يثبت مصادر ما ذكره في متن
الكتاب ، اكتفاء بما جاء به في آخره ،
من قائمة بالمراجع ، بينها كتب حديثة ،
للإبباري ودويدار وهلال محمد هلال ،
ومحمد عبد الغفار ، وليس بينها كتب
الحديث السنية الأمهات ، ولا كتب التفسير ،
ولا تاريخ الطبري ، ولا كتاب الإصابة
لابن حجر ، والاستيعاب لابن عبد البر ،
وامثال لها مما نعدده مراجع أصيلة للكتاب
عن الرسول النبي !

وغير مستغرب - وقد غابت هذه
المراجع الأصيلة - أن يقول المؤلف في
ص ٢٢ « أن السيدة أمينة بنت وهب ،
نشأت يتيمة تعيش في كنف همها ،
وليس أشد على النفس من رؤية طفلة
يتيمة صغيرة جميلة »

والذي ذكره ابن اسحاق ، شيخ
كتاب السيرة ، عن زواج عبد الله
بأمينة :
« فخرج به أبوه عبد المطلب ، حتى
أتى وهب بن عبد مناف بن زهرة . . .
فزوجه ابنته أمينة - ١٧٥/٢ »

وفي تاريخ الطبري : « ثم انصرف
عبد المطلب أخذاً بيد ابنته عبد الله ،
حتى أتى به وهب بن عبد مناف . . .
فزوجه ابنته أمينة - ١٧٥/٢ »
فهذا ذكر لنا فضيلة الشيخ المدني ،
المرجع الذي اعتمدته ، حين أجاز هذا
الكلام . من يتم أمينة ، عندما تزوجها
عبد الله !

وفي صفحة ٦٧ يقول المؤلف :
« تزوج صلى الله عليه وسلم ريحانة
المدني ، وهو أعلم متى بسيرة الرسول ؟
وفي صفحة ٦٧ من كتاب الأستاذ نزل ،
أنه « كان من حسن السياسة أن يطلب
الرسول إلى النجاشي ملك الحبشة ،
أن يكون رسوله في طلب الزواجه من
أم حبيبة . . . وهي بنت أبي سفيان ،
وقد مات زوجها ، ويعتبر أبوها حلو
الرسول الأكبر ، وأكبر مهاجري الإسلام .

عيدنا الأكبر

لبيك اللهم لبيك! دعاء الإيمان ونشيد الوحدة

لا يدري التاريخ ، منذ كم من الدهور والاحقاب ، قام هذا البيت العتيق في مكة : موئل حج العرب ، ومثابة آمنهم ، ومركز عبادتهم ، ومهوى أفئدتهم وأرواحهم .

ولا يحصى الزمن ، كم من ملايين الناس ، انشالت الى هذا البيت العتيق من كل فج ، ملبية اذان ((الخليل)) في الناس بالحج ، ومستجيبة من بعده ادعاء النبي العربي اليتيم : لبيك اللهم لبيك !

بقاسم الركوة بنت الساطع



ولعل الدنيا لا تعرف ، فبسا عرفت من بيذات ومعابد ، بيتا أرق منه قدما ، وأجل حرمة ، وأعز موقعا .
وانه لبناء بسيط متواضع ، في واد غير ذي زرع ، تحف به الصفور السود ، وتقوم من حوله الجبال الثم المصاب ، وتضام وراءه الصحراء موحشة جداء .

التصور الشافعات ، في شتى بقاع الأرض ، أبلها الزمان وصارت اطلالا .
ومنى هذا البيت العتيق من دونها ، لم تزل منه المصادى ، ولا أبلاء كبر النداء ومر العشى .
والمعابد والهياكل ، تتابع متوقفا وشكلا ، ثم تدامت تحت وطأة الدهر لجبارات مقفرة خلاء .

وهذا المعبد العتيق قائم عامر ، لا تحسبها حجة لجملة من العابدين ، يسمون اليه من أقصى المشرق وأقصى المغرب ، هائلين من أعناق قلوبهم :

لبيك اللهم لبيك !

والمزارات التي شهدتها الدنيا حينما ، رجاجة الغيباء ساطعة البريق ، عدت عليها الأيام والليالي فمحت بريقها الساطع ، وهبت عليها ريح الزمان فأطفأت ضياءها الوهاج ، واسلمتها الى دياجير الظلمة ومباب النسيان .
وهذا المزار الأقدس من دونها ، سرمدى السنن ، يتحدى نوره الاعامير النورجاء ، ويزداد على الأيام والليالي تالقا وبهاء .

ومسماهم واحد ، ودعاؤهم الذي لادعاهم سواء :

لبيك اللهم لبيك !

هناك .

في البلد الحرام .

في تلك البتمة المباركة ، حيث تلتقى الأرض بالسما .

ويجتمع الاسم واليوم والغد .

ويندمج الركب - في عيدنا الكبير -

تحت اللواء الموحد ، مملنا اننا منشد

قنا أمة واحدة ، وسنظل أيدا أمة واحدة

وقلنا واحدا ، ونشيدا واحدا :

لبيك اللهم لبيك !

لبيك لاشريك لك لبيك

ان الحمد والنعمة لك والملك

لاشريك لك . . لبيك !

والهتات التي طالما جلت في الافاق

مادة صاخبة ، لم طبت ان خرس في

فجيج الحدثن ، وذابت في قبضة

البناء .

وهذا الهتان من دونها أبدى خالد ،

يملا سماع الزمان منذ كان ، ويصفى له

الكون ملء الخشوع والاجلال :

لبيك اللهم لبيك !

والمواكب التي طالما حشدت لها

الحشود وجمعت الوفود ، ما غدت ان

انفجست وانتشرت .

وهذا الموقن بعرفة قائم حافل ،

يلتقى فيه الحجاج أمة واحدة ، تسد

تمباحت بين ابنائها النوازل ، وزالت

العروق ، وألغيت حواجز الطبقات

والدرجات ، وغابت السمات والشارات

لهم هناك أخوة متساوون : زبهم واحد

التاريخ: ٢ / ٦ / ١٩٦١

قضايا نقدية

الشعر المكتوم في "جبهة الغيب"

جبهة الغيب : اسم مسرحية جديدة للاستاذ « بشر فارس »
والشعر المكتوم : مصطلح جديد ، اطلقه الكاتب على أسلوبه في الاداء ، وتعريفه عنده انه : « أسلوب ملاح ، الكلمات تنعقد في
اضافات غير مطروقة ، تحمل تلويحات شراراتها تتساق آفاق التامل ، فيصبح التعبير تفكيراً وتصويراً معاً »

ولا ينبغي قساره في ان الغصن له
المرحبة عذراء فداء امر لا سبيل اليه
الا ان امرسه بأسلوب البسيط
المتروك ، فيضج طبعها المنير الذي
يتمدد في أسلوبها الخمر من الشعر
المكتوم .
ينبغي ان انزل هنا ان المسرحية تقوم
على احداث شرقية ومزجية : في زاوية من
زوايا الارض ، جبل شامخ ، لا يرفع
اهل الزاوية ابصارهم اليه ، الا وانهم
فوق حرامهم . ولد تنازل اجدادهم
جلا بمد جبل ، ان في جوف الحديقة ،
على التلة السابعة ، مدرة خضرة ،
هوى البها من السماء طيف مجنح ، نشر

بقلم المكتوم

سنت الشاطي

(٢)

البارع الاصيل ، يخيل لنا جميعا اننا نهضنا ، وربما خيل للناظرين منا انه لم يأت بغير المألوف المبدول حتى يسأل السائل منهم : افلا استطيع ان اقول مثل هذا الكلام ؟ وانما يتفارت ادراكنا لما يكمن في الفاظه وصوره من اسرار التعبير وملاحظ البيان ومجالي الالهام ، ربما لتفاوت اذواقنا وتجاربنا وفردنا ، ومستوياتنا الفنية والثقافية ، فمننا من يمر بهذا العمل الفني فلا يلتقط منه الا ظاهره القريب ، ولا يدرك الا دلالاته السطحية المألوفة ، ومننا من يتغلغل متغلغلا الى اعماق دلالاته وخفى اسراره ويعيد مراميه ومحجوب معاليه . بل لماذا لا اقول ان العمل الفني الملموم ، قد يفتح امام قارئ من آفاق المعاني وعوالم المشاعر ، ما يغيب عن صاحبه المتفنن ؟ ونحن اليوم نقرأ قصصنا من تراثنا الادبي القديم ، فنستفعل منها بما لم يخطر لاصحابها على بال ، بحكم ما اذعن اذواقنا من قيم فنية مستحدثة ، وما جد على حياتنا من تطور .

والاستاذ بشر فارس ، قد نأى عامدا في شعره المكتوم ، عن كل قريب ومألوف ، واتقى بينه وبين القارئ حجبا من الطلاسم وارصادا من التاريخات ، حتى لقد همت بأن أسك عن متابعة القراءة في جبهة الغيب ، لولا ان هو على - بعد سنين من التخصص في النصوص - الا اكون واحدة من الف قارئ ، طبع لهم الاستاذ بشر فارس الف نسخة من مسرحيته !

واحتجت مع هذا الى ان اعيد قراءة المقدمة والقصص ، لالتبس منهما ما يضو سبيلي في مجاهل المسرحية ، وما يفسر لي تلويحاتها وقراراتها ، واحتجت اكثر ، الى زاد من الصبر عليها والتجمل لها ، لئلا ان اندمج في جوها ، واستمتع بما فيها من اريحية

والبيان العربي قد عرف هذه الرمزية منذ كان ، في الاستعمال المجازي للصورة الادبية ، وفي الكناية يرمز بها القائل الى غير معناها القريب ، ملتصبا من العبارة الموحية ، طريقا الى معنى ثان وراءها ، ابعدا واخفى . وتختلف الكناية وضوحا وخفاء ، وقربا وبعدا ، فيكون منها - في مصطلح البلاغيين - التلويح والرمز والايحاء . وفي تراثنا الادبي وصيد ضخم من الرمزية في الالفاظ والاساليب ، في المعاني الجزئية وفي الصور البيانية ، فيه التخصيص تجري على السنة الطيم والروحى ، وفيه التفسير الباطنى يجعل للفظ معنى بظنا بعيدا وآخر ظاهرا قريبا ، وفيه التفسير الاشارى التوغل في الرمزية ، وفيه الانشيد الصونية تعبير عن موجد العشاق بالفاظ وعبارات دأمة الى غير دلالتها المعجبية ، ومعناها الشئع المعروف . وفيه . وفيه والامر من الدقة بحيث لا يمكن ان تنسبه حدود التعريف ، ومن السمة بحيث لا يمكن ان تحصره ضوابط الاحصاء ، وانما مبلغ القول فيه ان اللفظ في الفن القولى ليس الا وزرا ، بما يحمل من شحنة الانادة ، وما يفتح من آفاق للمعاني وعوالم للمشاعر ، يوتن بها سحره البياني وسره في التعبير

لكن ما بال هذا الشعر المكتوم ؟ يخيل لي ، ان للاستاذ بشر فارس مذهباً في الرمزية غير ما نعرفه ونالفه : فاية الافتدار عنده ان يتفنن في ابتداء اساليب غامضة وامثافات غير مطروقة ، وبراعة الرمزية في مذهب ، انما تقوم اصالة على اجهاد قارله ، بالاسلوب الملفز ، والتلويحات المعقنة في الاغراب . وليس الامر هكذا فيما الفنا من البيان العربي ، حيث يبلغ الافتدار الفني في الرمزية ذروته ، عندما يستطيع المتفنن ان يرمز بالمألوف الى غير المألوف ، وبالقريب الى البعيد ، وبالواضح الى الخفى ، وبالكشوف الى المحجب !

وبراعة المتفنن ، رهن عندنا بامتلاكه لى الكلمة : بلقانا بها مشحونة بالطاقة الموحية والالهام الشير ، مع بساطتها والنها . ونحن حين نقرأ العمل الفني

الفسارة بظفر من ذهب ، ثم غرس في صلبها عشباً ابيض ، من اكل منه ندياً في منبته ظفر بالحياة الى الابد . والطريق الى ذلك البيت المنقور ومر ممض ، والتصعيد ليه خدمة من خدع الموت . وقد حاول اثنان من اهل الزاوية ان ينفرا بشفعة البقاء ، فعاد احدهما اعمى قد خطف الضرة الهواج بعمره ، واب الآخر كسحا من الاعياء . وجاء ثالث فصعد في الجبل الشاهق الوعر ، غير عابى بتحميل المسقفين وتوسلات المحبين ، وقد وعد اهل الزاوية ان يسقط اليهم كل يوم حجرا ليعلموا انه حي . وذات يوم لم يسقط الحجر ، فباتت نشاة محبة ، قتلها الحجر الذى لم يسقط . لكن اهل الزاوية فوجئوا بالرجل يبط اليهم من القمة سليما ، وقد شق طريقه الى كوخ حبيته ، فلما انفاها قد ماتت ، عاد فصعد في الجبل ، يستنقذ البيت المنقور ليحاسبه على هذه الخدمة : بمنح الحياة بيد ، وبسلبها بالآخرى ! وببب البقاء ، لن نقد الرغبة في البقاء

سواء كان يوم ، فالفنى اهل الزاوية امهم الرجل ، قد هوى من ماضى ، اجنة مهتمة ، بغير حياة !

وقد هالج السحب هذه الاحدونة الرمزية ، في نسفة ذات حوار ، عنوانها « رجل » نشرت في « المقتطف » عام ١٩٤٢ ، ثم في كتابه « سوء تفاهم » الذى ظهر منذ نحو عشرين عاما ، واعد نشرها للمرة الثالثة ، في مقدمة « جبهة الغيب » تمهيدا للمسرحية التى تنامت في خمس مراحل . وليست رمزية القصة ، هي موضوع تصنيفنا اليوم ، وانما موضوعها هو هذا الشعر المكتوم الذى تنعقد الفاظه في انسانا غير مطروقة ، وتترنح عباراته في فناء من طلاسم الرمز التوغل ، وحجب من شباب المبهعات واحتجاج هنا الى استطراد بئر ، فانقول ان الرمزية - في مفهومها العام - ليست جديدة على اللغة العربية وادبها ، فاللغة في تطورها ونماها قد مارست هذه الرمزية من قديم بعيد ، حين تطورت بدلالة اللفظ من ماضى محسوس ، الى معنى مجرد .

بشر فارس

بنت الشاطئ

وتقول : الفنى القريب لا نطلبه ،
والفكرة السطحية لا نرضاها ، والإدراك
القاصر لا نقره ، ونطلب الواقع المبدول
ليس الفن ، لكن البداية الثانية لأدب
ملموم يمتلك سر الكلمة ، لا تحتاج الى
كل هذا التصور والدوران . والإدراك
البائس يستطيع ان يوحى ، ويومئ ،
ويبرمز ، ويغشى بنا الى بعيد الأمدق
وعقيق الآثار ، دون ان يتغلبا بأخبار
من النسيان المكروم ، تعطيل الإيحاء ،
وتدقق الإنطلاق ، ونقيد التفتح بأغلال
من حجب موحدة ، وشباك معتدلة !

وغياب عنه ، ان جمهور المسرح ،
 ميشغل عن متابعة حوار «الجهة الغيب»
 بغوامض شعرها المكتوم ، المتغل بانافات
 غير مطرونة ، توقي الانطلاق وراء اشارات
 الشعور ولوامع الادراك . ومن بدرى ،
 اى جهد يبذله المتفرج ، ليخلص من
 المغرلة المنددة للنسبة التي ينسجها
 حوله حوار المسرحية في مسنهلها ،
 ومشهد الفلاحين حول حفل السنابل
 يتمايلون وهم يرددون في نوبة واحدة :
 انا اسطورة الزمن ا
 والتقال ينشد :

وغلدير رمى بدمي
عند حقل من الغنم
انزعه الارض من مقي
انا اسطورة الزمان
عند حقل من الغنم
وفه خنة النعم
عز لشوان من محني

وانا معه في ان « السرح نظيرة
مسيهورة تهنقوتها هبات الكونفنتاب
من سطح الظهر في غور الخبر ، تخلص
من مشيق الخصاص الى وحب الامام »
لكني اخي - هنا ايضا - ان يحصل
بإسرافه في الشر المكتوم ، بينا وبين
الانطلاق الحر وراء المكرة المهمة والسرح
الجنح والريضة اللذكية والرؤيا الباهرة
والوقوف بخلاف ، لو ان احدوثه
« جهة الغيب » اديت اليها في شعرها
المكتوم ، قصة يخلو اليها القاريء ،
وبصاني على مهل كئسف غواضها ،
ويحاول في صبر واثابة ، ان يشفق من
« حجب الظاهر الى غور الخبر » . لكن
الاستاذ بشر ، يدها اليها مسرحية ،
راجسا ان تغزو السرح العربي فتغذي

قضايا
أدبية

• بقلم الدكتور زكي نجيب محمود
• وتعليق للدكتورة بيلت الشاطئ

الترجمة، ومأسة الملهة!

• السياسات الثقافية الرسمية، لا تعنى غير التراجم المأجورة
• ونحن برعاية على الجهود الفردية، مهما تكن قيمتها ومستواها!

ثلاث موجات من الترجمة الى العربية شهدتها تاريخنا الثقافي قديما وحديثا وفي عصرنا الراهن ، ان اختلفت واحدة منها عن واحدة في بعض الملامح ، فهي تتشابه في كثير من الوجوه ، التي من بينها انها كانت جميعا تحت رعاية الدولة بمقدار كبير او صغير ، واحسب ان رعاية كهذه من قبل الدولة لنقل الثقافة الخارجية ، ظاهرة قد انعدت بها الدولة العربية في تاريخها المتصل دون سائر الدول جميعا ، وهي علامة قاطعة الدلالة على اننا في فترات نهوضنا لا نبني على القوة المادية وحدها ، ولا على الثورة الاقتصادية وحدها ، بل نضيف الى هذه وتلك اساسا ثقافيا خالصا لوجه العلم والادب والفن ، وانسا لنراعى في هذا الاساس الثقافي ان يكون شاملا للتراث الانساني ، غير متحيز ولا متعصب .

وكانت أولى هذه الموجات الثلاث في العصر المماليكي . وقد جاءت على دفتين متلاحقتين ، تبرزت الاولى منهما ، وكانت

تتل عصر المأمون - بان قام بالترجمة نفسها اراد بـسليم الفردية ، واما الثانية - في عصر المأمون وخلفائه الاقربين - فقد كانت الترجمة فيها بأمر الدولة وتحت رعايتها ، وكان النقل في كلتا الدفتين

على ان الطابع الغالب ، لما ترجم عنده هو انه علم وفلسفة ، واما الادب - وهذه هي التلة الاساسية التي نريد ابرازها - فلم يظفر الا بنصب مثل جدا ، والاشهر من الادب اليوناني اطلاقا ، وقليل من الادب الفارسي والهندي ، وحسبنا ان يكون بين هذا القليل كتاب كليلة ودمنة ، الذي ترجمه ابن المقفع عن الفارسية ، وهذه دورها كانت ترجمة عن السنسكريتية فانظر الى هذه الدرة الامة بما تدلته في نشرها الفهم الراسخ ، انشر الدنيا وقد انصفت الى الادب العربي الخالد من طريق الترجمة ، اتعلم كم يمكن ان ان تشيخ ترجمة الروائع الادبية التي تراثا لو احسنت نقلها عن اصولها .

وكذلك كان من الادب المنقول عن الهند

وكانت أولى هذه الموجات الثلاث في العصر المماليكي . وقد جاءت على دفتين متلاحقتين ، وكانت تتل عصر المأمون - بان قام بالترجمة نفسها اراد بـسليم الفردية ، واما الثانية - في عصر المأمون وخلفائه الاقربين - فقد كانت الترجمة فيها بأمر الدولة وتحت رعايتها ، وكان النقل في كلتا الدفتين عن اليونانية وعن السريانية وعن الفارسية ، على ان المنقول عن السريانية والفارسية كان بدوره منقولا الى هاتين اللغتين عن اليونانية والسنسكريتية الهندية (فنستطيع ان نقول ان ثلاثة اليونان وثلاثة الهند قد ازداد المصدرين الاساسيين اللذين اعتمدت العربيه منهما ما انترفته ، وهما يكن من امر المصادر الاساسية) انهما ان تعلم انه لم تكن بعض شائون ماما بعد قيام الدولة المماليكية حتى كان الشطر الاعظم من

(٢)

لكن ، اذا كانت ترجمة العلوم في عهدنا الراهن لم تكد تخطو خطوة واحدة الاعلى ايدى اساتذة الجامعة الذين ارادوا ان يقدموا لطلابهم موادهم العلمية مطبوعة في كتب ، ثم جاءت الدولة بعشروعها الضخم في ترجمة العلوم التي لم تكن قد تناولتها الترجمة بعد ، حتى ليرجى ان تتقل امهات المصادر العلمية كلها في خمس سنوات ، فترجمة الادب لم يكن هذا شأنها في جميع حالاتها ، اذ نهض بجزء كبير منها افراد

هواة ، مما يتفق وطبيعة الادب ، فمن ذا ينقل الادب الا محبوه ، والفرق بعيد غاية البعد بين ترجمة اديبية يؤدبها محب لها مشغول بها ، وبين ترجمة اديبية تجيء عن تكليف فتجئ باردة او فاترة ، لان صاحبها كان مشغولا بغيره كتمانها ليعلم كم يكون أجره المادي بعد الفراغ مما قد كلف به ، ولو ترك بغير تكليف لما فعل شيئا

فماذا ينبغي ان يكون موقف الهيئات الرسمية وغير الرسمية من ترجمة هذبية لرائعة من روائع الادب الانساني ؟ ماذا ينبغي ان يكون موقف الدولة من ترجمة يضطلع بها صاحبها بحب وعن دراسة ، ويتفق في سبيلها كل ما في وسعه انفاقه من ماله ؟ اتجزئ الدولة من يكلفون بترجمة الادب تكليفا فيصحبون حيناً ويسحبون احياناً ، ثم تكن يذها عن وضع ذوق قلبية وعمارة عقله وزهرة عمره في اثر خالد ينقله الى اللغة العربية فيفقد اليها صلحة خالدة ؟ نعم ، سيمضي اليك عام ، والفنان ، واكثر من يقول الناس بمدنذ : في اللغة العربية ترجمة للكوميديا الالهية انسى انشأها دانيال ، ونقلها الدكتور حسن عثمان نثراً رائقاً وصيماً خالياً من تهتك الزخرف الفارغ ، فيه نلاسة وقوة وفيه ثبات وبلاغة أداء ، فلئن فاته ما بنوت كل ترجمة اديبية على الاطلاق من

طائفة من حكايات «اللى ليلة وليلة» ، لم تلبث ان ادمجت مع غيرها مما نثسأ في بغداد اوفى القاهرة ، دمجا جعل المجموعة كلها اثراً ادبياً واحداً



والثانية من موجات الترجمة الثلاث ، هي حركة النقل في القرن الماضي التي كان تطلب رحابها وفاعية الطهطاوي ومدرسته ، لكن الكثرة الغالبة مما ترجم وارثك ان تقول ان كل ما ترجم عندئذ قد اتجه به اصحابه الى ما عساه ان يستخدم في التعليم ، فنقل الطب ونقلت العلوم الرياضية والعلوم الحربية والبحرية ونقلت ايضا العلوم الاجتماعية كالنارخ والجغرافيا ، اما الادب الخالص فقد ترك تركاً واعمل اعمالا على نحر ما كان في الموجة الاولى



ثم جاءت الموجة الثالثة التي نخوض اليوم فمارها ، ولعلها — بفضل الرعاية المستمرة التي تروعاها بها الدولة — ان تكون اغزر واشمل من سابقتها فعندنا اليوم وزارة للثقافة ، وعندنا مجلسان اعليان : احدهما للعلوم والاخر للفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ، وعندنا عدة ادارات في وزارات مختلفة مهتمة بالاساسية رعاية الثقافة ، وهناك الى جانب هذا كله مجمع اللغة والادارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، والهيئات الخاصة الكثيرة التي تنهض بنشاط موفور في حركة الترجمة ... عندنا اليوم هذه الوزارات والادارات والهيئات كلها لتقوم بحركة واسعة عميقة بعيدة المدى في نقل الثقافة الخارجية الى اللغة العربية ، وهي حركة لم تقتصر هذه المرة على العلوم وحدها ، بل اضافت الى العلوم روائع الادب



من الناشر ليوزعه بغير مقابل لعل الاعين تفتتح لتري ، كأنما هذا الشهيد لم يكفه ما أنفقته من وقت ومن جهد ومن مال حتى خرجت تحته هذه إلى الناس !

لم أكن أعلم من هذا كله شيئا ، حتى التقيت بصديقي المترجم ، وسألته سؤال الملهوف : متى تنوقع «المظهر» و «الفردوس» لتكمل لنا الدرة الفريدة ؟ فقال ما قال ، ثم أضاف قائلا : (سواء أسهلت الوسائل أمامي أم لم تسهل ، وسواء أوزعت

ترجمتي لجحيم دانتي أم لم توزع ... فسماضى في طريقى قدما - بمون الله وتوفيقه - مؤملا أن أكمل دراسة الكوميديا وترجمتها إن شاء الله ، وإذا تعذر على نشر سائرهما - كما هو متوقع فسأقدمها مخطوطة لكي تحفظ بأحدى دور الكتب العامة .. وسأعمل في هذا بكل ما في إمكاني ولي طابقتي .



أن « الجحيم » التي تمت ترجمتها ثم أخراجها ، تمثل غرائز الفطرة وما ينشأ منها من خطيئة ومذاب ، أما « المظهر » فيمثل الفكر الناشئ بعد طول تجربة ، والتسوية والامل ؟ وأما « الفردوس » فتمثل الحرية والخلاس والصفاء والنور ، والكوميديا بأجزائها الثلاثة كلها مرآة للحياة . فيها الخطيئة أولا ، والتوبة ثانيا ، والحرية ثالثا ، فالله لا تدع سرورها العربية مقصورة على الخطيئة وحدها ، وأكملها بتوبة « المظهر » وحرية

يلحق به من جوانب الشعر التي تتصل بلغتها الأصلية ويستجبل نقلها إلى لغة أخرى ، لقد حقق أمانة في النقل لم تحذف شيئا ولم تفضل شيئا ، دون أن يكون ذلك على حساب جمال النثر ودقيقته قدم الدكتور حسن عثمان لترجمته مقدمة بلغت سبعا وسبعين صفحة من القطع الكبير ، وهي في حد ذاتها دراسة متينة عميقة وأقية للكوميديا الإلهية ولزلفها ، ثم أخذ بعد ذلك يتقدم لكل تشيد بمقدمة

تطيلية ، ويعقب عليه بتعليقات لا تترك كلمة تستحق التعليق ولا لفظة ، دون أن يوفيهما حقها من ذلك ، فجاءت ترجمته العربية منقطعة النظير بين ترجمات اللغات الأخرى ، وما من لغة حية من لغات العالم إلا ترجمت الكوميديا عدة ترجمات ، فلها في الإنجليزية أكثر من خمس وثلاثين ترجمة وفي الفرنسية أكثر من اثنتين وعشرين ترجمة ، ومثلها في الألمانية ، وتلك كلها ترجمات كاملة ، وأما الترجمة العربية التي نشر اليها فترجمة لجزء واحد من ثلاثة أجزاء ، إذ هي ترجمة « للجحيم » وبقي « المظهر » و « الفردوس » ، وتبلغ « الجحيم » ٤٧١٠ أبيات من الشعر ، و « المظهر » ٤٧٥٥ بيتا ، و « الفردوس » ٤٧٥٨ ، ومجموع الأجزاء الثلاثة معا ١٤٢٣٢ بيتا

أما لماذا لم يخرج المترجم « المظهر » و « الفردوس » ، فذلك موضوع «المساءة» التي أشرت اليها في عنوان المقال ، فمن ذا يصدق أن هذه الآية الفنية تخرج في الصورة العربية الفريدة ، فلا تكاد تجد منا من يلتفت اليها بالمعرض والنقد الجادين ؟ من ذا يصدق أن هذا الجهد الفني المصني يؤديه هذا الشهيد في عصرنا الذي تميز من مسؤوله برعاية للفنون والآداب يكون مصيره إلى كساد لا يشجع الناشر على مواصلة نشر الجزأين الآخرين عندما يفرغ منهما المترجم ؟ لطالما ضحكت في حياتي الماضية كلما رأيت بائعا للفاكهة لا يجد لها ثاريا فيأكلها ؟ ولكني لم أكن عندئذ أعلم أن بائع الأدب الرفيع سيقف مولعا كهذا ، وهو أن يشتري عددا كبيرا

« الفردوسي »

نريد للادب العربي في هذا العصر الذهبي أن يظفر بروائع الادب والفن ، ولقد تحقق له منها جانب وبقيت جوانب، ترجمنا شكسبير وهوام وشرفاتيز وجيتة، وترجمنا تمصا كثيرة ومرحيات كثيرة من الادب الغربي ، ولكن هل ترجمنا شيئا من ادب الشرق الاقصى، هل ترجمنا الملحنين الهندوسيين العظيمة « ماها بهاراتا » و « رامايانا » اللتين اوحتا لعبادة الادب الاوروبي ما اوحتا ؟ هل ترجمنا الايسرا جدا من الشعر العالي كله ، شرقيه او غربيه ؟ ان الطريق امامنا طويلة تنتظر الهواة الدارسين المحبين ، ولا ينفع فيها التكليف الرسمي المجاور بما فيه من عقود وشروط ومراجعات ولجان ، ولكن هؤلاء الهواة بشر وهم يكافحون لنا نحن البشر؟ فهل نطلب اقل من أن يتاح للكتاب الجيد المتقرب قراء بقرمونه ويتدرونه ، حتى لا يذهب الجهد أدراج الرياح ؟

تعليق

لم اكتب كلمة من هذا التعليق ، قبل أن اتصل بوزارة الثقافة، لاسأل عن مدى تشجيعها للجهد الشخصي المؤلف ، الذي انفقته « الدكتور حسن عثمان » في ترجمة الكوميديا الالهية من الاصل الايطالي ، ترجمة امينة كاملة .

واجابني مسئول كبير : ان الوزارة لم تشتر اي نسخة من هذه الترجمة ، لان المبالغ المخصصة في ميزانية الوزارة لتشجيع الترجمة ، ضئيل محدود ، تستنفده الترجمات التي تتم بتكليف من الوزارة . ومع تقديرى لهذا العذر، ارى ان عقدة المؤلف ليست في قصور الميزانية ، بقدر ما هي في حاجتنا الى تخطيط دقيق وواسع، ينسج جهودنا الثقافية المبعثرة ، ويوجهها الوجهة الصحيحة المثمرة .

فلدينا - في الترجمة - مشالاب هيئات شتى ، رسمية او شبه رسمية : كوزارة الثقافة ، والادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، وادارة الثقافة بوزارة التربية ولجنة الترجمة بالمجلس الاعلى للفنون والاداب... تمارس كل هيئة منها نشاطها في الترجمة بمعزل عن الهيئات الاخرى ،

دون تعاون أو تنسيق .

ولمسننا نعرف مسابغا لاختيار الكتب التي تترجمها هذه الهيئات ، او سياسة واضحة - لنا على الاقل - في الاختيار الذي يوجه هذا الاختيار . فاحداها تترجم لنا ما سبقنا ترجمته من اعمال شكسبير ، واخرى تقدم لنا تراجم مسرحيات غربية ، ذاتية ومسرودة ، وثالثة تقرر نشاطها على الترجمة من الانجليزية والفرنسية ، وخطنا من العلم بأدابها غير قليل ، ورابعة تنافس الهيئات غير الرسمية ، كدور النشر والمؤسسات الثقافية الحرة ، في نشر القصص والروايات المترجمة ، وكان الظن ان تتولى الهيئات الرسمية ، ترجمة الاعمال الادبية الكبرى التي لا تغفل عليها دور النشر ، وان تغذى نهضتنا بشواامخ الادب العالمية ، في تراجم دقيقة امينة نطعن اليها ، وان تسد الثغرة الخطيرة في المجال الادبي ، بترجمة آداب الشرق الاسويى الافريقي ، التي لا نعرف عنها الا اقل من الخليل . . .

ثم كانت المسألة، في هذا المرقع الشاسع من الجهود الفردية التي يقدم بها هواة غير محترفين، فيمزاينة الثقافة التي عبات لجنة لترجمة « سيرانو دي برجرانك » مثلا، وكانت مترجمها ومراجعتها ومقدمها، لم تجسد ما يسمح لها بشراء نسخة واحدة من ترجمة « الدكتور حسن عثمان » لجيم دانتى، واكتفت دارالكتب بالنسخ الخس ، التي تفرض على المؤلف - وكل مؤلف - ان يقدمها اليها ، هدية جبرية ، بغير ثمن !

واعرف ان وزارة الثقافة في الاتليم السوري ترجمت لنا قصتي « البيت الكبير » والحريق » للاديب الجزائري محمد ديب، كما اعرف ان وزارة التربية المركزية ، ترجمت لنا مختارات من شعر طاعون ، ونظمت الاحتفال بالذكرى له . لكن هذا ، او ذاك ، لا يغني عن تخطيط دقيق منظم ، نطعن به الى ان النشاط الثقافي للدولة، ينسج على نهج مرسوم ، في خطوات متناسقة متكاملة ، تبيمار طوعنا النوري الى حياة واعية مستنيرة !

بنيت النشاط

قضايا
نقدية

الذاتية الجماعية في شعر الأقطب الصغير

تحية للشاعر الذي بلغ أوج ذائقة الفنية
حين صار صوته وحياته الجماعة وشعره شعرا

لا تناقض - كما قد يظن - بين ذاتية الفن بما تعنى من انفعال الشاعر بوجوده الخاص وبين
الجماعية بما تعنى من وجدان عام . . .
ولكن قضية ذاتية الشاعر، بين الفردية والاجتماعية، من القضايا الادبية التي شابها عندنا
لبس كبير . فقد اشتبه الامر فيها على كثير منّا، فظنوا ان ذاتية الشاعر يناهيا ان ينطق بلسان
الجماعة، وان فرديته يعطلها اشتغاله بقضايا مجتمعه . وحجتهم في هذا، ان الفن ذاتي خالص،
فاذا لم يصدر الشاعر عن وجدانه الخاص وشاعره الفردية، اصاع ذاتيته التي لا بد منها لكل فن حُر
اصيل . . .
وفاتهم ان الشاعر اذا عبر عن وجدان الامة، فان ذاتيته هنا ترحب وتتسع بحيث تكون هي
ذاتية الجماعة، في فرد منها مرهف الحس صافي الوجدان .

بنظام الكثيرة
بنت الساطع

التاريخ: ١٦ / ٦ / ١٩٦١

(٢)

الاولى هي التي لفتت في عيني وفي قلبه
الشاعر في الحميم ، فطمع فيها بطولته
الرائعة (١٩١٤) التي تملأ ست عشرة
مناجاة من ديوانه ، ولكن ادري انه ما
من ذلك المصاعب على التمسيد ، بل
بأسنا الكبري . فكانت قصيدته (الغزاة)
— وقد نظمتها عام ١٩١٤ — مرسومة في
وجه النعنة الباغية والاثرة المعياء . ثم
جاءت بعدها بطولته المشرقة (رب ...
قل للوعاء « ثورة على الـ ...
واحتجاجا على الانساع الطمس اللثمي .
وقد لا نبيا من قلم الانسان الى عدالة
الخالق ، فتسرع اليه — سبحانه — ان
يخلق الارض بالطمانين ، ثم يبدلهم بالظلم
جديدا :

واخلق الانسان خلقا راقيا
وافضل البقش به والسكراء
واجعل الحب لها نائفا
واسجن المسال ، ولا تبق الرباء
ولسكن كل اعزاز لانفسا
يخرج الناس على حد سواء

رب ، هل من نصفة في وديني
خسرنا من مصدريه افترقا
فاذا المومنين بكس حلتين
بنفسا المومنين بكس الذرقا

من ترى يشرح لي ذنب الفجر
أو ترى يظهر لي فضل الغنى
برنان المومنين والعيش النضر
ويطمعان معسا في الكون !
وفي غمرة الليل الطويل الذي جثم
مظلمته المراكمة على وطننا العربي ،
مرى الشاعر بطمس طرقة جين شامو
النظام ، وسال الى أعماق الانفس
الراعدة ، طمعا في « جذوة الحياة »
ثم أب من مسرعه بوقته الراقدة
بنقاء البوم ، ومزق سكون الليل بالهمز
الرجد :

يا أمة غدت الذئاب نسوسها
غسقت سلفيتها فأن رنوسها
عزقت ، فاس هناك غير خطاها
بيكي مؤبها ويفضحك مسوسها
تتصرع الشهوات في حرمانها
وتعنت في عظماسها ، ويدوسها
تعبسا لها من أمة ... ازعدها
جلادها ، وأمنها جاسوسها
رشت مآذنها ، قلم نقشب لها
فغضب الكرام ، وباعها ناغوسها

وقد عاشنا في الدراسة الأدبية ما يشاء
لنصبح فهم الذين اعتبروا شاعر القامة
مهدر الذائبة ، وحسوه مجرد بوق للجماعة .
والحق ان ذائبة الشاعر تكفل بقدر ما
تصير مثلة لذائبة الجماعة في أنقى حسها
وأصغى وجدانها . وبك منزلة لا يرفي
الها الا المصطفون المصطفون للعبادة
الوجدانية في كل مجسم وفي كل عصر .
والامر في غير الدراسة الأدبية ان
وأعسر ، ذلك لاننا حين نطالب النعنة
علميا ، يتاح لنا من الاستقراء الذاتي
والندوق الذاتي والتقد المنهجي ، ما لا يوفر
لنا بعينه حين نعرض النعنة في مقال
محدود المجال ، يس لجمهور من القراء
تفاوتت أفواههم وذاقناهم ، ومن أجل هذا

ظلت النعنة تثار مرة بعد مرة كلما حدث
مناسبة في سرمة خاطئة لا تتج اليه
بها الى موقف حاسم بؤ ذلك النفس الذي
شادها ، وبصبح الخلق في فهم مسألة الفن
بالحياة ..

ومناسبة اليوم ، هي قراءة لشعر
« الاخطل الصغير » في اسدوع الاخطل
به ، اطل الله عمره ..

ومن قبل عرفت « الاخطل الصغير »
« شاعر البوي والنسب » الذي رجعت
اناق هذا الشرق العربي ، امدها أثابه
التحبة ، مع « أسهان وفيروز وعبد
الوهاب » ووجد فيها الملائكة هذا خلق
تأويلهم المدمرة بسحر الشرق ، ونسوي
تأويلهم المائسة بعمارة وديان ..

واليوم ازداد معرفة به في جانب آخر
لم يتح لي فيما مضى ان اعنه أتم الومر
ذلك هو شاعر العرب الذي لم يفن
مواجههم وأشجانهم وأثوابهم فحسب ،
وانما انفعلك كذلك بقفساسهم الكبري ،
وخافس ماركهم على اختلاف مآذنها ،
والدمج ذائبة في ذائبة قومه ، فاذا
وجدانه وجدان الجماعة ، ونسره ضمير
الامة ، واذا لنا من شعره شاهد جديد ،
في قضية الشاعر والجمع .

وقد عرف الشاعر طريقته منذ فجر
تساير ، ومن رسالته منذ رعي وحده ،
ولسب أدري ان كانت حاساة الحرب المعاملة

التاريخ: ١٦ / ٦ / ١٩٦١

(٣)

المردوات التي عاشت بنا
لم تزل تجرى سعيرا في دمانا

ضحك المجد لنا يا رانا
بدم الأبطال مصبوغا لوانا
ضجت الصحراء تشكو مريها
فكسوناها زئيرا ودخانا
مذ مليناهما القلا من نخنا
أيلنت أن « معدا » قسد نمانا



انشروا الهول ، وصيوا تاركم
كيفما شئتم فلن نلقوا جيسانا
غذت الاحداث منا انفسا
لم يزدها العنى الا غفوانا
شرقي للمسوت ان نطعمه
انفسا جسارة تآبى الهوانا
وردة من دنسنا في مده
لو آتى النار بها ، حالت جنانا



يسا جهادا صفق الجسد له
لبس الغبار عليه الارجوانا
قم الى الابطال نلس جرحهم
لمسة تسميح بالطيب يدانا
ان جرحنا سسال من جبهتهم
لنفسه بخشوع شفتسانا
وانيسنا باحت النجوى به
مدينا ... وشفتنه مقلتسانا
نحن يا اخت على المهد السدى
قد رضعناه من المهد كلانا ...



تحية للشاعر العربي الذي غنى لنا وبننا
وشكا مواجنا ومواجنا ، وترجم همونا
واشواقنا ، وامشترن لامانينا ومطامحنا
تحية للشاعر الذي سان حرمة الكلمة
ورعى أمانة الفن وشرف النفس ا.

الا شيبا كالربيع نهزم
نفسنا ، ونصدعهم كابوسها !

وعلى ماول الطريق الى النحر ، كانت
دماء الشهداء والندائين ، من نحاي
النش ومصرعي الطفبان ، تحدد معالم
الاسراء وترسم سبل الخلاص ، ونهر
وجدان الشاعر قد صبح بالخلاد « الكبير
.. المحرم » في حراة وسالة :

لا تقاى الاعذار ، أنت المجرم
ان نسكت الزلفى ، فقد نطق الدم

انسق بالفتلى رحاب قسورها
والعدل منسلول السواعد ابكم ؟
انسان ، بغض الدهر لم يتهادنا
شوح السحرة والشمس المجرم ا



واذا قلت ان الشاعر عنا هو وجدان
توبه المسطر وحدهم المرفق ونهزم
الدماء فلسنا نحن بقومه امله الاقرين

نجيب ، وانما اعنى العرب جميعا على
اختلاف الاقطار وتناثي الديار ..
الرب امله : بهم يلون ولهم يقنى ،
وبلسهم ينطق وبامانيهم يترنم ، وبمواجدهم
ومواجهم يشدو

والشرق العربي وطنه الكبير ، ينتقل
في ربابه وان لم يبرح مكانه ... فلتساء
على افئوح لبنان والناسيون والمكبر
واوراسى ، وعلى سفاف بردى والعامى
والنبل والارمن ودجلة والفسرات ، وفي
صحراء الجزيرة وبادية الشام وصحراء
الجزائر ، وقبائره معه ، يرجع حليها ،
بكل اعمابه وخميره وتلبه ، تشيد امته
العريقة ووطنه المجد :

سائل العلياء عنا والزمانا
هل خطرنا ذمة مذ عرفسانا

التاريخ: ١٦ / ٦ / ١٩٦١

رسالة أدبية

الشعر المكتوم

• للدكتور بشر فارس •

عزيت صفحة الادب منذ اسبوعين ، « قصصية الشعر المكتوم في جبهة الغيب » ونشر اليوم نص الرسالة التي تلقتها كاتبة المقال ، من الدكتور بشر فارس :

وأزيع مضمونا ، وأملك تذكريه الحوام
الضيق تفرغ على حدودك ، تلك الحدود
التي تفرغ : وموعا في بلدنا بالقوس بل
بالانطلاق وترا منها أدب المسرح ، ولقي
رب الكلمة أراد لها أن تهجر إلى الغرب
في لفت الأقران ، أجراها - من ذات
الضمير - على رواد مسرحهم في مره
بالفرنسية والألمانية ، وما زال أحد من
تلك ال - سوه من هب - أحيا بعدة .

الساطر من الانطلاق ، وتقبل التفتيح
بأغلال من شبك « . والسر في هذا
با سدي أن المسرحية كما للقصيدة
مجالا خاصا للتلطف والتفهم : في النص
يعمل الكاتب الكاتم على ألصق التاري
العتول من تملئ تلك في تظن . أما
في المسرح فالامر إلى ترهف من يجلو
التمثيلية ، فإذا ما امتدح حديسه إلى
تلك الإضافات غير المطروقة (وعليها
بني « جبهة الغيب ») لج النص وللف
العجيب ثم جاء إلى النظرة بقيد لهم
السابع بإشارة بلغة ويفصل الفائر
بنبرة فصحة ويعد بين التباينات في
لزامع تهب من تميز الخاطر - غير أنه
بحجم من معالجة التباينات - تلك
الرافد المثبتة تشبك حولها وجوه
التأويل - فيدع عباراتها تفرد وتروج في
المسامع وهي على شفاه الأشخاص
تردس وقد مسها جنس الشعر ، والمسرح
لشعر ووش تنوع ومرة في معقل النكر

المسايبات مانها شحنة الرموز ،
والرمز خلاصة استمار ولدت في الوجدان
في الدمن ، تعاول استحضار الموار
واستشفاف الدوائر فهو طوع لاجناس
الوقت . وهكذا تصبح الروائع امتلا
متحركة مجتلية ، خطقات تألف فيها
الوال التأسكر والتعوير في أن ، بلا

امتلك السك من أرمائك في قراءة
« جبهة الغيب » ، وقد والد أكرمته
لحظه جمعت بينه الكتاب لم عدلت معبرة
على الانسياب اللطيف في « مجال »
المسرحية ، تلمسين تلويحاتها وشراراتها
حتى تهجا لك بعد « التجلد » أن
« تندمج في جوها وتستمتعي بما فيها
من أوبعية فنية ولحظ صوب مرهف »
كما جاء على حرف قلحك السخي .
تكني بك استرسلت فتأيت من على
جناح لها هو ملحق الغيب من كل
« قريب ومألوف » ، وهما لا يتجان
مادة الادب الذي يحفر الضمائر (أ)
ويؤد لها البسائر بحيث يجتذب الدر
المريد من مفاوض الاسرار في مشاهد
البشرية .

وما أغنى أخطى با سدي إذا أنا
أدركت من كلامك أن هذا الأسلوب
الفاجي من الشعر المكتوم كان موضع
الرضا عندك ، لو أن أحده « جبهة
الغيب » جرت مجرى « قصة يختار السوا
الفاري وبمائي على مهل كتبت فواسفها
ويحاول لي صبر وأناة أن يتك من حجب
المظهر إلى غور الخبر ، لكنها مسرحية .
وجدود المسرح سيضم من شامة الحوار
بقوامش شعرها المكتوم المنقل بالاضائات
غير مطروقة تدوق الانطلاق »

أهل تسبحن بأن نفوس الفصل في
هذا الخلاف إلى أهل المسرح ، أولئك
الذين يمانون أخراج الشعر ورثع القناع
الذين يهوجون ويدبلون على « هذا
المسرح » أو يزعمون في حدوده لغتهم أن
يختبوا النظرة من أيسر منحنى وأنه
أداء . . .

هنا تحسن الإشارة : أن لورما ومشرين
سنة كوف من مسرحه « مغرب الفارح »
وقد كتب أحدها أيضا شعرا مضمونا
بل جاءت أوجر قولاً من « جبهة الغيب »

التاريخ: ١٦ / ٦ / ١٩٦١

(٣)

الكتاب وآخر منشأته . . . ما ظنك
باسيدي الا وادعة حتى قول الامام
المفخر الرازي بسجل هذه الآية الكريمة
في تفسيره الكبير : « واعلم ان العلماء
ذكروا من فوائد المنشآت وجوها
الوجه الاول : انه متى كانت المنشآت
موجودة كان الوصول الى الحق اصعب
واشقى ، وزيادة المسفة توجب مزيد
الاثاب . قال الله تعالى : أم حسبكم
ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » .
هذا وللفن كذلك جنة ، ومتعتها ان لم
تتم قدساسة فهي ثورانية . . هل لغت
الى يا سيدتي ، بعد هذا ، ذنن لي
كمية ما برهق ؟

ثم ان في واي يحيى (ن حمة) برعنى
المطوى - صاحب « الطراز النضين
لأسرار البلاغة وطرم حقائق الانجاز »
ان : « ورود الابهام من غير تفسير في
النزاع كثير » ، وهل نسيم اليه يقول :
« اعلم ان المعنى المفسود اذا ورد في
الكلام مبهما فانه يفقد بلاغة ويتعبه
اعجابا ولغامة » ، وذلك لانه اذا قرع
السميع على جهة الابهام فان السامع
لم يلدغ في ابهامه كل مذهب » . ام
يقول : « الانهام يوقع السامع في حيرة
وتفكير واستعظام »

وكلام الامة السلافة عندنا في هذا
كثير ، اوردت بمطبعة سنة ١٩٤٨ في
رسالتى « الضلال في الادب » ، وقد
توجتها بكلمة اس اسحات الصابي :
« وافخر الشعر ما غمض ثم يهبط
غمرته الا بعد مطاطة منه »
ولكن جماعة من اصحابنا - حفظة

تأديد مقلتي بل في ثلثت روحاني .
ومن هذا الثلث تيلقي المعاني
الخطفة للطلاب الواحد . ما هذا
الفسحة التي لا أرجاء لها ، لان المقلدين
المنشآت مستمر ولان الزمن قساة
بالبشر ، ونحن الى تحول مفرد امال
فالشاعر من عرف كيف يستل من عالم
الحاضر غوامض الانى ، من الذبذبات
التي تعمم الكون تلك الرنات التي
تهب المستحيل . كآفته رقيقة بذلك
النبؤ ، فلا تنريب على قوله ان يلقى
على غيرة من هؤلاء الفارقين في انوفى
الاشياء المبدولة لهم حالا وقد هجزوا
من التنزل الى انوار الروح . كآبة
الشاعر وليدة الصدور ، وقايسا قالت
المصوفة عندنا : « صدور الاحرار
قيور الاسرار » .

وعلى ترنج هذه المنشآت يقوم الادب
الراقي في اوروبا لهذا العهد . ولايس
ان اورد قصة ذلك الفنى الذى قرأ
« مهرج العالم القريب » للارلسدى
« ج.م. منج » ، رأى فيها معنى بعدا
تمجل في التثيت مما رأى فسأل المؤلف
في ذلك ، فافتتح « منج » جوابه بهذه
الكلمات : « اوافق انا على ثوبك
الاخير للسرحة ام مخالف له ؟ ذلك
سرى . انى اريد ان انجو نحو حقيقته ،
فلا اقول لاحد ما مدلول الكتاب »



هذه المنشآت وما بلغها من ابهام
مقبولة في ادبنا بل مقدورة فيه الطف
تندر . هذا القرآن : « هو الذى انزل
عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام

(٣)

تارة وبالتفكير اخرى . وليس تشويه
توارد اللغة والاستهانة بمواقع المفردات
مع اتحام السوقيات في التعبير بمصطلح
شيئا . بل كل هذا يلقى باللغة الى
صحراء الشحوب . وعندى انه لا سبيل
الى صيانتها الا بتبني ما يبس في منها
وفي ادبها من مطروق وفاتر ، الى جنب
اجاء ما راف وحفل ، مجازاة لمحتدات
الحياة حسا ومعنى ، رجاء ان تجدده
اسرارها على اقلام غضة عصرا به عصر
في امسالت تضم ولابد طاقة حائرة من
شوارد الشعور ولوامع الإدراك .



كلمة :

يحسبكم الدكتور بشير فارس الى
القرآن الكريم في متشابهاته ، والامر
الى ما قال تعالى :
« هو الذي انزل عليك الكتاب منه
آيات متشابها من ام الكتاب ، واخر
متشابهات ، فاما الذين في قلوبهم زيغ
فتشبهون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة
والتفاد ثوابه ، وما لهم ثواب الا انه »
والإيهام الادبي على اى حال ، ليس
كما يريد الكاتب ان يفسره ، ونرى
عندنا بعيد ، بين الاداء البين ، يرمى
الى خفى الاسرار ومحجب التامس ،
ومن ما اشار اليه الدكتور بشير من
« سوقية وابتدال » ومن فتور وسطحية
وعبارة الكاتب الايرلندي « منج »
حجة لنا لا علينا ، لقد اطلق الكاتب
مترجمته مبدولة لغاري ، يفهم منها
ما يطبق ، فلم يكن الاداء هو الذي استغنى
على الفاري ، والا لما قبحى اى مدلول .
وانما ايهام عليه الرمز واستغنى الرمز ،
ثم يدرك سر الكاتب ، وان تصور انه
ادركه .

بنت الشاطئ

البلغة العربية في ظنهم لا يكون الا ان
يكون التلام حين المأخذ على الفور ،
استمسين بملعب الكاتب : « التأليف »
بيان ووضوح « خضوعا لراى ثقته ابن
رشيقي في « المبدعة » عن بعض المتفهمين
ونصه : « شعر الشعر ماثل عن معناه »
لنرى لاهل البلاغة والبلادة ! وقد قال
فيهم ابو تمام قوله المشهور .
على ان ادبى - شعرا ونثرا - ذاق
من الجماعة مراة المصلوب على آية
عشقه ، وما آية عشقه سوى هذه اللغة
الكريمة ، وهي التي تراضى اصالة
سنتها ان تغلب السهل على الصعب
والثقل على التوليد .

واليوم جئت يا سيدتى تنصرين من
يقول ان « شوارد الشعر ولوامع الإدراك
يتلمسها الفاري » اذا قدر الشاعر ان
يدنوها يتلوين اليهم وتلكيل السانج «
اذن ليس بذلك وبينى خلافة في
الجوهر ، وهو اس القول

اما ان يكون الرمز - كما تذهبين -
بالمألوف التريب الواضح الى البعد
الغنى المحجب ، فهذا طريق . وهناك
طريق آخر مجرأ استنباط ما وراء
الحس من الحسوس وتدون اللوامع
والبادء ، ذلك مجال الوجدان المشرق
والنشاط الكامن والجهاد المتأعب للشعر
وعلى هذا تتردد اقوال البشر وانصاتهم
وتتمور الرليات في ضمة رموز : بروق
الثوب في المسحات اللطاعين يؤانسها
عرضا سلطان ثائه في سماء الشعر



ولست أنت يا سيدتى ممن يفاق
الباب دون التجديد في القول من جهة
الحس الساذق . ومن ينام مثل عليك
ان الاداء الى اداء في تحول ، بل يادينا
حاجة الى ذلك فانه مبدع ، يرميه بعض
الطالعين من القائلين عن اصوله بالجهود

التاريخ: ٢٣ / ٦ / ١٩٦١



هـ م
الدكتور عبد الشاطئ

لغة الأديب الشعبي بين العامة والفصحى



محمود تميم



محمد عبد الوهاب



عبد الرحمن الخليلي



طه حسين

(٢)

• الدولة ترحي الأديب الشعبي وتعترف بلغته العامية • ويعين الرهينة الرسمية، تعتبر العامية مرصداً ورسماً • ولولا هذا التناقض، لما تعددت الأزمات.

لنبت زماناً، أرى أن الإلحاح في الحديث عن العامية والفصحى، قد ينسب إلى العربية من حيث يراد به النفع، لما في هذا الإلحاح من
سخر للمعدة التي تشكوها من ثنائية اللغة، وتضخم لمشكلة تعدد اللهجات العامية في الوطن العربي الكبير.
وكنّت ولا أزال أؤمن، بأن الزمن، سيتكفل بحل هذه المشكلة من حيث ندرى ولا ندرى، ولو لم يكن لنا من الزمن إلا أن يصل بمعرفة
الامة إلى غايتها المرجوة، والا أن تتماهى الحدود الزائفة والاسوار المصطنعة بين الاقطار العربية، لكان لنا من ذلك حل حاسم للمشكلة
حاجة بنا إلى أن نحاول حسمها قبل الاوان، بحلول متعسفة تأبأها طبيعة اللغة والحياة ..

تسير به جهودنا في خطوات متناقضة
متكاملة ..

ولولا هذا التناقض، لما تعددت الأزمات
، حازرت في تعقدها الذي كان
يجب أن تبقى عنده، فليس منا من يمارى
في أن ادب النصحي هو مناط الوحدة
اللتوية للمغرب، بما تعنى في الادب
من وحدة مزاج مشترك ووجدان عام .
وكان يمكن الا نمارى كذلك في أن الادب
الشعبي مرزوقة وجدانية لاغنى عنها،
لان التحدث إلى عامة الشعب بلهجتها

بل لم يكن في الحقيقة اريد ان اعترف
بوجود صراع حقيقي بين العربية الام
ولهجتها المتعددة، فما كان تعدد اللهجات
سوى ظاهرة طبيعية في حساب الواقع
والحياة، ولعله .. في العربية، ادب
الم أن يكون شاعداً على اتساع
مجالها وقوة مرونتها وحبوبتها، بحيث
وسمها أن تغدو لسان العرب من قلب
الشرق الاسيوي إلى اقصى المغرب
الافريقي .



لكن تجاهل المشكلة لم يعد مستطاعاً
امام ذلك الصراع العنيف الذي احتدم
حول العامية والفصحى في هذا الموسم،
ولست أقصد بحديثي اليوم أن الفصل
في الخلاف المتأبد، وإنما هي محاولة
أريد بها أن أعرض القضية من زاوية
خاصة، تكشف عن خالف عجيب في
موقف الهيئات الثقافية الرسمية من
العامية والفصحى، وتؤكد ما اشرت
اليه بالامس - في حديثي عن الترجمة -
من حاجتنا الماسة إلى تخطيط ثقافي



التاريخ: ٢٣ / ٦ / ١٩٦١

(٣)

واسلوبها ، هو مناط التأثير فيها والانفعال بها .
ولكن الامر اضطرب في فترة الخلاص وفوضى الشائش ، فاختلطت الاصوات منكرة بالويل والثبور وعظائم الامور ، وتبدلت التهم فتبيل ان الترخيص في استعمال العامة في الادب ، خيانة للوحدة العربية وكفر بلذة التمسحان الكريم ، وقيل كذلك ان الاصرار على استعمال الفصحى وحدها في الادب ، عزلة وجدائية من الشعب ، وتعطيل للتأثير فيه والتجاوب معه والاتصال به .
ومضى الحائرون يلتسسون عند كبار الادباء مخرجاً ، فاذا الموقف يزداد اضطراباً وتناقضاً : الدكتور طه حسين ، الذي علمناه بالامس من انصار ادب الفصحى ، قد اذن في ان يصاغ حوار « الايام » في التليزيون ، بالعامية الصيغة .

والاستاذ محمود تيمور ، الذي عرفناه قديماً يؤثر العامة و قصبه الشعبي ، ثم رأيناه في الحديث من اعماله الادبية يدير الحوار على السنة العوام بلغة مجيبة ، صرح قبل سفره الى الخارج في هذا المصيف ، « انه سيكتب مسرحية جديدة مرتين : مرة للناس بالعامية ، ومرة اخرى بالفصحى »
ونسأل من موقف الهيئات الرسمية ، فيلقانا من تناقضها العجب والعجاب . .
فالدولة - من ناحية - قد اعترفت بالادب الشعبي في هذه المرحلة الثورية من تاريخنا ، وبلغ من عنايتها به ، ان استحدثت كرسيًا للادب الشعبي في جامعة القاهرة ، اعترافاً منها بهذا الادب وتقديرًا لخطره . .
وبين لجان المجلس الاعلى للفنون والاداب لجنة خاصة للفنون الشعبية ، ترعاها وتشجعها .

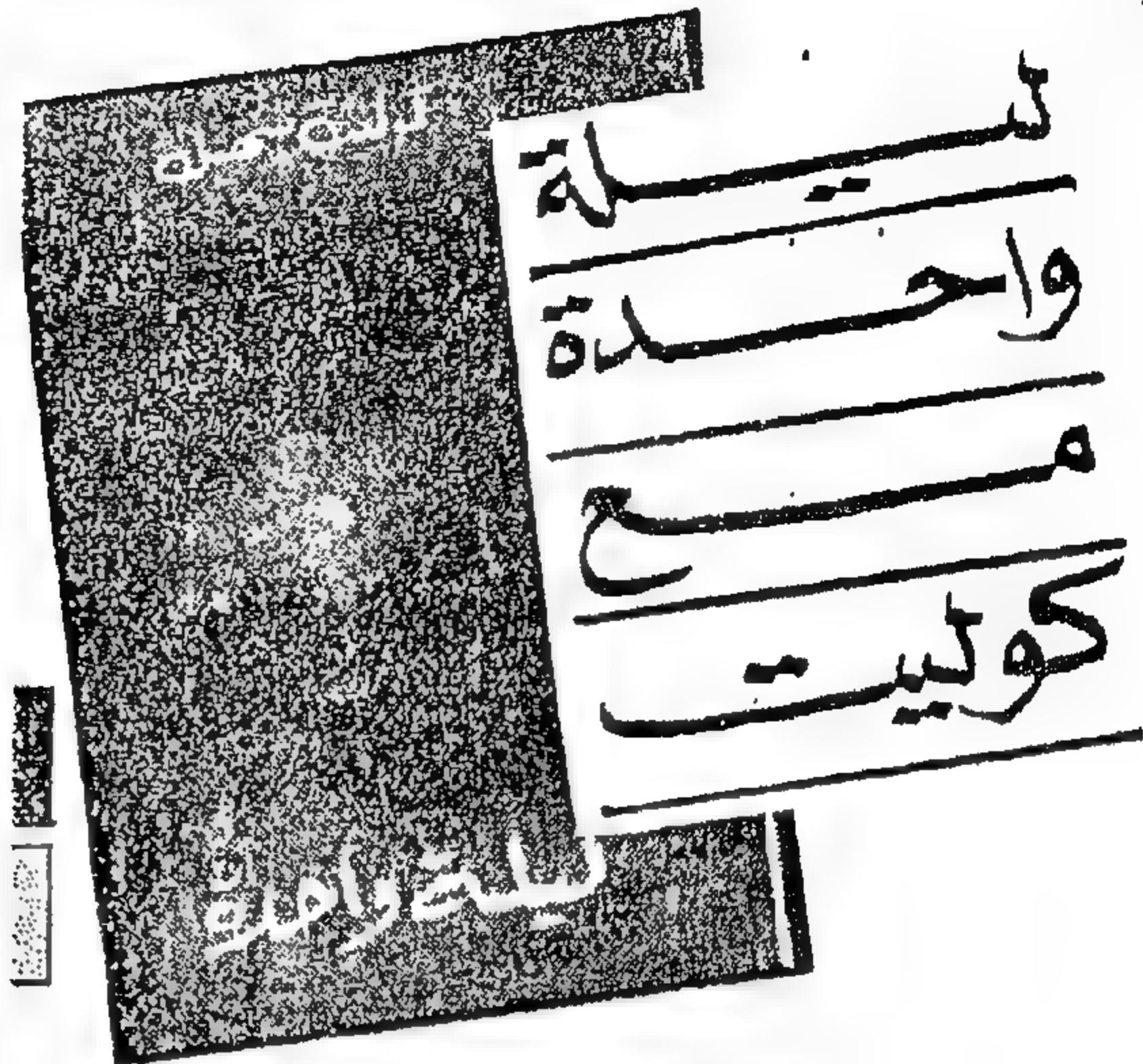


الشعبي من المواويل والاغاني والازجال والامثال ، فتعيد كتابته بالفصحى على نحو ما يفعل ادبينا المجيعي الاستاذ

محمود تيمور
نهل من سجيل الى علاج هذا التناقض
الذي يبدد الثرى ويهمل الجهد وتتمتع
ليه خطواتنا بين جد وجذب ؟
احدى اثنتين !
ان كانت العامة مرضا ورجسا ،
لان اى ترخص فى استعمالها جريمة
فى حق الوطن ، و اى اعتراف بادبها
الشعبى او عناية بقرائنا منه ، خيانة
للامة ولغرة فى بناء النهضة .
اما اذا كانت الدولة قد اعتسفت
بالعامية فى ادبنا الشعبى الذى تشجفه
وترماه وتستنفذ ثرائه من الضياع ،
وهى تقدر ان هذه العامية اداة التأثير
الوجدانى فى الشعب ، والاتصال به

والنفوذ اليه ، وطريق الفهم لمزاجه
وعواطفه وتاريخه ، فقد وجب ان توضح
الهيئات الثقافية المسؤولة موقفها من
الادب الشعبى ، حتى لا يظن ظان ان
عامية الحوار وصمة عار فى القصة ،
وان الملحمة الشعبية اذا صيغت رجلا ،
لم تعد اهلا لرعاية « لجنة الفنون
الشعبية » فى المجلس الاعلى لرعاية
الفنون والاداب » .
والى ان ينجلي الموقف ستظل
حياتنا مجهدة بهذا الصراع الذى كان
يعفينا منه ، تخطيط ينظم جهودنا الثقافية
ويسير بها فى خطوات متناقلة متكاملة
تساير وعينا الثورى وطموحنا البعيد .

التاريخ: ٣٠ / ٦ / ١٩٦١



ماذا صنعت كوليت ببطلة قصتها في ليلة واحدة؟
ساقنها إلى التيه ثم تخلت عنها وولت هاربة!
فهل أرادت أن تعالج بقصتها فكرة الزمن؟
أو هي قصة رامية إلى وهن الرباط المقدس؟

عندما قابلت كوليت سبيل خوري في دمشق في شهر أبريل الماضي، لم تكن قصتها الثانية قد ظهرت بعد...
وحاولت أن أغريها بالحديث عنها ولكنها أثرت أن تنتظر حتى أقرأها، كيلا أفقد سحر المفاجأة وطرافة الجديد...
لكن أحاورها: ولكن القصة لن تكون جديدة على، إذا كانت من «أيام بعمدة» كما التزحت عليك منذ عام...
فنبست لثألة:
«ولما كانت شيئا آخر... شيئا أعزى لنا سنخطف فيه، ولكك ستفهمين وتعلمين» فما استطعت أن أكون إلا كما
أنا، وما أكتب إلا الذي أشعر به، بلا تكلف ولا اتفاق أو مداراة!

قضايا نقدية

بقلم الدكتورة بنت الساطع

التاريخ: ٣٠ / ٦ / ١٩٦١

(٢)

وتراوت تصنها «ليلة واحدة» في ليلة واحدة !
وعرفت هذا الشيء الذي أدركت كولين أنها ستختلن فيه !
لكني كذلك فبهت وعذرت !
فبهت قصة «رشا» التي عاشت مع زوجها في دمشق عشر سنين ، مفلقة القلب والحبس ، ثم بدا لها أن الامومة قد تنجيبها من الملل والهجوم ، فالتحت على زوجها أن يصحبها معه في رحلة تجارية إلى فرنسا ، كي تعرض نفسها على طبيب باريسى مشهور ، يعالجها من أوجاع خفية ادعت أنها قريسة لها ، لتحتال على زوجها الزاهد في الأبرة !
وفي مارسيليا تخلق الزوج لينجز عملا ، وتركها تمضي وحدها إلى باريس ، على أن يتولى صديق له فيها ، حجز غرفة في الفندق ، وموعد مع الطبيب .
ولم يكن الأمر يعنى عند الزوج سوى لراق ليلة واحدة
لم يخطر بباله ، أن الدنيا قد تنقلب رأسا على عقب في ليلة واحدة !
في القطار إلى باريس ، التفت «رشا» فجأة برجل نورسي أسير ، شرقي الملامع بدا كأنه أمضى عمره كله يبحث عنها !
أبوه عربي ، نزع من دمشق وتزوج إحدى بنات فرنسا ، واستقر بها حتى مات ، تاركا لولده معه الشرقى ، وخيئته إلى الوطن الأول البعيد
وطالما شياق الابن أن يسافر إلى دمشق ولكن شواغل الحياة لغتته في دوائها ، وأن ظل نداء الشرق يتردد في أعماقه ، ثويا ساحر المدى ..
وحين رأى «رشا» أحسن فجأة أنه وجد نفسه ، في عالمه المسحور !
وكذلك أحست «رشا» أنها وجدت فيه رجلا الذي أضاعته في واقعتها الرتيب الجان الهامد
واكتشفت بفتنة ، أن في أعماقها ، تحت ركام البلادة والجمود ، نفسها تنفوس حيرة ، وتتوهج شوقا ، وتنفذ انفعالا ..
وعاشا ليلة واحدة !

ثم افترقا على غير موعد :
هو .. إلى دوامة الحياة يدور فيها كما يظل يفعل منذ كان ، وكما قضى عليه أن يظل يفعل ما عاش ..
وهي ... إلى موعدا مع الطبيب ولكنها توقفت فجأة :
كيف تعضى بعد كل الذي كان ؟
والى أين تمضى ، وقد فارتها الغريب الى غير رجعة ، وخانت الزوج ؟
وجلست في غرفتها بالفندق ، والساعة السادسة صباحا ، فكثبت وسسالة الى زوجها ، ملات نحو مائتى صفحة .. ونبها روت قصة حياتها ومأساة تجربتها ثم استسلمت لشروء أيقظها منه رنين الهاتف ، يردا الى دنيا الواثق ..
واستردت نفسها بسهولة من شروءها نقلت الى النافذة لتلمس جرعة من هواء ..
وبالأمس صباح باريس كئسا معنوا ، وخسوط شمسها باعثة برشمة تملأ على الوصف وتتمرغ في الوحل !
وتلقت حرجها ، فانسكرت فرمتها ووجدتها ، واجتاحتها حين الى وطنها ربيتها ..
وهضت الى موعدا مع الطبيب ، مخدرة بعلم ليلة واحدة لن تعود ..
قال الطبيب بعد أن فحصها :
« أنت طيبية جدا ، تستطيعين أن تحلين في أية لحظة ، ونمسيحتي ار يمرض زوجك نفسه على طبيب ! »
وخرجت تائهة !
هل من الممكن أن يكون زوجها على علم بهذا ، وتركها سنوات ، نطن انها السبب ؟
ورأبها أنه طالما اعرب لها عن زهد في الاولاد !
ورأبها أكثر ، أنه ما كان يسمح لها بعرض نفسها على الطبيب ، لولا أن ادعت المرض !
واشفاقا أن أعياها في الامومة قد تهشم !
تهشم ..
وليلة الامس ؟

التاريخ: ٣٠ / ٦ / ١٩٦١

(٣)



وامتدحها دوار وهي تفسر الطريق
المزحل «فدسها سيارة سريعة» اسابها
بحراج غير خطرة...
وشاتون اوراق رسالتها مع الريح
واختلط بعضها بالوحل
وجاءت عربة الاسمان فحلتها وهي
تردد:

— خذوني الى دمشق... يجب ان
أعوت فيها، فانا احب ترابها...
قال الطبيب متأثرا:

— نشجعي... سنصل الى المستشفى
لا تفقدني عن الموت... ستعيشين مائه
سنة.

فهمست والتدر بيسل اعدابها:
— ما هائدة المسنين؟

كانت حياتي... كل حياتي... ليلة
واحدة!



وبهذا المخلص، تنجو كوليت، بتضمنها

من: من، ج.

فليس عليها... والقصة حلم — ان
تترك «رشا» حشيشها في مربة
الاسمان، مع بذرة محتلة لجنين في
احشائها، تصل به الماسة الى عقدها
الخطرة!

وليس عليها، ان يغلب الدوران
«رشا» في لحظة الاكتشاف الذهنية
انتهاز مقاومتها في اول ليلة تفترق فيها
عن زوج اخلاصت له عشر سنين!

أبل ليس عليها، ان تملك «رشا»
وعبها اثر التجربة العنيفة، حين يظن
بها الذهول والفسباع، فتجلس —
هذه اليقظة والنهية والادراك — لتكتب
رسالة كبد، من مائتي صفحة، في
ساعتين او ثلاث!

ذلك لان الحلم يتسع لكل هذا
ويخله معه!

وليس لنا مع احلامنا حيلة، ولا لنا
عليها سلطان...

واذن فما كان اروعها قصة تغيب فيها
«رشا» عن واقعها الزائل الفاتر
العتيم، لتمبش ليلة واحدة في حلم شبر
يكشف عن اشواقها المكبوتة وهواها
الموردة وشاعرها المعلقة، ويصير
الجليد المتراكم على وجدانها!

لكن «كوليت» لم تثأ لقصتها ان
يكون حلم ليلة واحدة، وانما قضت
في صبر — تنسج الشباك حول
«رشا» حتى اذا بلغت بها ذروة التعمد،

اجل... فهمت مأساة حوار، حين
تلقي نجاة بين حب، فتبدرك انهما
مارست الحياة الزوجية سنين طويلا،
موردة المعاناة متلذذة القلب معطلة
المشاعر!

وامسكت انفسا، وانا اترقب كين
تس لحظة الاكتشاف الذهنية الهائلة!
ثم اختلفنا!
قضت كوليت بمساحتها «رشا» في
ملوث الشوك، وامسكتها نار الخطيئة
ثم تركتها نائمة تالفة، عند آخر
الطريق المسدود...

الى اين؟
الغريب قد مضى الى غير رجعة،
والزوج اذ خاتمه عندما اكتشفت انها
خانت نفسها!

وفي فصرها، تختلط فكري اللحظة
الذهنية بقلق مبهم: ان يكون الغريب
ترك لها جنينا وزوجها هضم!
الى اين؟

«كوليت» نفسها — فيما اظن — لم
تكد تكاف ان الطريق مسدود، حتى
تخلت عن «رشا» بلا مبالاة، وتركها
وحدها في التيه!

وافتملت حسادنة السمارة، لنشغل
«رشا» بحوار مع الطبيب، وتولى
حاربة!

ثم ونسعت القلم واستراحت...



وبكت اترقب من كوليت، ان تجعل القصة
اظهار حلم يقظة او رؤيا منام

القاريخ: ٣٠ / ٦ / ١٩٦١

(٤)

عندما ودع الزوج زوجته في محطة
مارسيليا وهو يقول: « لا بأس ، لن
نغيب سوى ... ليلة واحدة ! »

وتركها تجتر ذكرى بعيدة ، لبسوم
ولانها ، منذ عشر سنين ، وقد بكت
بومض حين لم يبق لاني آملها ، وطروح
مباها ، رنمة هريتها ، سوى ...
ليلة واحدة

وكان يكتفيها به بعد أن تسج الزمن
من مبرها عشر سنين من الملل والفراغ
سان تبعد من دنياها الفاترة الخادة ،
ليلة واحدة .

هكذا دائما ، ليلة واحدة

من مبدأ القصة الى أن انتهت بقول
« رشا » في عربة الاسمان :

« كانت حياتي .. كل حياتي .. ليلة
واحدة ! »



ماذا أقول ؟

لولا أنني أعرف « كوليت » معرفة
شخصية ، لحسبت أنها تنظف وتدير
تمتها على فكرة الزمن التي شملت
عددا من أدباء المفكرين ...

ولولا أنني أفهمها على سجيها بخير
حجاب ، لقلت أنها تريد أن ترمز إلى
وهن الرباط المقدس ، وترتبه بللمسة
طارئة ، تكتسب فيها « رشا » مقام
معاشرة زوجية طويلة ، في خصبة لعظة
عابرة !

لكن كوليت أبسط من أن تنظف
وأصرح من أن ترمز ...

وما أراها إلا مطونة يسهر الكلمة
الى الحد الذي تبدو فيه الحروف على
الورق ، لميتها المفضلة وهوايتها الميرة

وهذا كل ما في الأمر ...

فلا الزمن ، ولا التجربة ، ولا رشا ،
سوى كلمات ، حسب كوليت أن تمارس
لها هوايتها الأثيرة ، لاستخلاص مرها
المكون !

واشهد أن « كوليت » تتفنن هوايتها ،
وتعارس فن الكلمة ، بكل اعصابها
ورجانها ومقلها !

واعجب لسذاجة الذين تصوروا أنها
لن تكتب بعد « أيام معه » !

وتست في وجهها كل السبل ، قذفت بها في
التيه ، وهربت منها !

ولست أرى من حق كاتب ، أن يتخلى
عن بطل قصته على هذا النحو الفظيع !
فهل أعيا « كوليت » أن تجد مخرجا
من العقدة التي تفتت في نسجها ؟

أو تراها لم تكن تقصد الآن تعالج
نغمة الزمن ؟



ان تصنها الأولى « أيام »

وتصنها الثانية « ليلة »

لعل جاءت هكذا مفرا ؟

ربما ، ولكن القصة تطي نصولا ،
واسكرة الزمن سيطرة على الكتابة ،
لا تكاد تفلت من سلطانها !

ومع العفوية ، أو المصادفة ، لا يكون
مثل هذا التبه الخاد للزمن :

« يا الهي .. كم يطول الوقت في
الحالات العصيبة ! »

« وحين نصيب في السعادة ، يستقل
الوقت ضياعنا وشرونا فيهرب ، وهو
وائق أننا لن ننتبه له ، ولن نحاسبه إلا
بعد فوات الأوان ! »

« البارحة يا سليم .. »

« ولكن .. هل كان ذلك البارحة ؟ »

« ما أبعد البارحة عن اليوم ؟ »

« ما أبعد الماضي من المستقبل ، حين
يكون الحاضر وحده مليئا ؟ »

مع العفوية أو المصادفة ، لا يكون
للزمن أن يستأثر بالوائق الحساسة ،
على نسق مطبوع لا يتخلف ، في كل
نضوب القصة ، منذ بدأت « رشا »
رسالتها قائلة لزوجها :

« ماذا جرى ؟ ومدة فراقنا ليست
سوى ليلة واحدة ! »

الى أن ختمتها بقولها :

« من قال يا سليم ، أن حياة خمس
وعشرين سنة ، مستقلب رأسا على عقب
في مدى ليلة واحدة ؟ »

وبين المطلق والخاتمة ، موافق أخرى

عليها :

قضايا

فكرية

استنوت

وبتراثنا الروحي

■ يجب أن نحترم ما يقوله العلماء ولو كان لا يرضينا !

□ لكن الباحث إذا تعصب واتبع هواه سقطت عنه صفته العالم

بقلم

الدكتورة بنت الشاطئ

في مجلس علمي شهده منذ أيام ، دار الحديث حول محاضرات بعض المستشرقين لتسوية تراثنا الفكري وتسميم المنابع الروحية التي نستمد منها مقومات وجودنا المعنوي ، فسمعت أستاذًا جليلًا من علمائنا يدافع عن حق العلماء في أن يقولوا ما شاءوا ، رضىنا أو كرهنا ، وعلينا أن نحترم آراءهم فينا وأقوالهم عنا ، أن كنا حقًا نؤمن بحرية الفكر ونحترم حق البحث العلمي .

وأضاف الأستاذ الجليل متسائلًا :

— إن بعض مفكرى الغرب قد هاجموا المسيحية ، وقالوا فيها ما لا يرضى المؤمنين من أصحابها فلماذا ننسحق بهم إذا تحدثوا عن الاسلام بما نكره ؟ ولماذا نتخذهم عدوا لنا دون أن ندرك أننا بهذه العداء نخون حرية الفكر ؟

(٣)

السابع عشر، خلاصتها انه في سنة ١٦٧١
«ارسل عالي الجناب الملك لويس الرابع
عشر رسله الى جميع بلدان الاسلام
لشراء المخطوطات . وزود معوثيه بأوامر
شريفة الى جميع القناصل الفرنسية ،
ليضعوا رجالهم وأموالهم في خدمة هذه
الغاية » .

وقد عكف المستشرقون على خدمة هذه
المخطوطات ، وهم بشر مثلكنا : منهم من
يسون حرمة الحق ويرعى امانة العلم
ومنهم من يضلهم التعصب وينحرف بهم
الهوى .

والبحث العلمي متى انحرف عن غايته
الاصيلة من خدمة العلم والوصول الى
الحق ، اعوزته النزاهة التي هي جوهر
البحث ، والحرية التي هي مناط سلامته
والمصلحون متأبعا بمأله ، يعرفون
الى اى مدى للتوى اساليبهم في توجيه
العبارات وتضارب مناهجهم في سوق
الاخبار ، ويفضل اعتسافهم في تأويلها
بنية الوصول الى نتائج خطيرة سامة ،
تنحرف بترائنا الى تأييد مزاعم بعينها
طالما وددوا اعداء الشرق والاسلام .



واجدت ما قرأت في هذا الموضوع ،
كتاب للدكتور (مصطفى السباعي) «استاذ
الفقه الاسلامي بجامعة دمشق» موضوعه
«السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي»
وكنت قد اردت بمطالعتي ان اتصل باحدث
دراسة جامعية للسنة المحمدية ، ومراحل
سير التاريخ بها وجهود علماء الاسلام
الذين تنابحوا على صون هذا التراث
الغالي ، وأصلوا للرواية منهجنا دقيقا

واشهد لقد ارفأني هذا الحرص
الكريم على ما نؤمن به من حرية البحث
العلمي ، لكن المناقشة لفتتني الى خطأ
خفى في نهجنا لجوهر القضية حين لا
نفوق بين رأى يهتدى اليه دارس نزيه
يلتمس الحق وحده ، وبين آخر متمسب
لا يقصد من البحث الا ان يرضى هواه
ولا يعتيه الا ان يسخر الحق لخدمة غرض
معين ، بدافع من تعصبه .

وهذه هي المحنة ..

فليس اضر بالعلم من تعصب يلغوي
به منهج البحث وتضل معالم الامتداء الى
الحق . ذلك لان الدارس اذا لم يتحدد
من الهوى لم يعد يرى من معالم الطريق
الا ما يخدم غرضه ، وصار كل همه ان
ينحرف بمادة البحث ليقترها على مسيطرة
هواه والاتجاه الى هدفه .

ونعرف ، وبمعرف الواقع التاريخي ، ان
حركة الاستشراق الفصحى لم تنشأ
اصلا لخدمة الفكر واستنقاذ تراث الشرق
والاسلام من الضياع . وانما بدأت
اول ما بدأت في رعاية الكنيسة الكاثوليكية
وخضعت لاشراق دقيق مؤظم من كار
اخبارها ، وكان الرهبان والقصاص الرسوليون
هم جنودها الاولين . ثم تلتف الاستعمار
هذه الحركة فكان ملوك الدول الاستعمارية
رعاتها ، وكان قناصلهم في بلدان المشرق
عمالها . وقد ذكر «الكونت فيليب دي
طرازي» في الجزء الثاني من مؤلفاته ،
ان في مكتبة دير الشير ببلن «مخطوطة
من كتاب «وفيات الاعيان لابن خلكان» ،
على هامشها حاشية بقلم ابي النصر الخازن
. قنصل فرنسا في بيروت في منتصف القرن

نحن قديم استطاعت الشعوبية الفارسية ان تضم الى جيشها المتنوع جنودا من الفرق الاسلامية بعضهم عن استعراء ونفثة بأساليب التفكير الطارئة وبعضهم من اليهود الذين اسلموا على دخل «تناقا» ورياء ربنية الانسداد لحبوية الاسلام ، بالاسرائيليات .

والامر شبيه بهذا الحديث من تاريخنا جند الاستعمار بعض المشرقين لتسميم هذا المنبع الروحي فنصبوا الفخ باسم البحث العلمي والتفكير الحر ، وجاء آخر منا فوقعوا في الفخ وراحوا يروجون بضاعة الغزاة ؛ اما عن جهل بحقيقة التراث الاسلامي واما عن انخداع بالاسلوب العلمي المزعوم راما من رغبة في الظهور بالتحرر العقلي وشجاعة الرأي ، واما من انحرف في فكرى ووجداني بقاير الاستهواء وما يجرى في هذا المجال الروحي ، يجرى مثله في مجال الثقافة والادب ، مهددا لبقاء الاستعمار في الشرق في ربه ، غير العسكري .



وأعود على بدء فأقول ان آراء العلماء — من كانوا — على العين والراس ، ولهم علينا حق الاحترام ما اخلصوا للحق وصانوا حرمة البحث وحفظوا امانة العلم اما اذا اسلمهم التعمب وزاغ بهم الهدى فقد خسروا صلتهم العلمية واهدروا بأيديهم حقهم في الانتساب الى زمرة العلماء . وليس لنا اعتدى على حرية الفكر وامانة الحق ، ان يطمع — او يطمع له سواء — في احتراسا ، باسم حرية الفكر التي خانها ، وحرمة الحق الذي اضاعه !

يخصيه كثير منا حديثا طارئا ، استعوانا من مناهج المشرقين في تحقيق النصوص لكنى وجدتنى مع الكتاب ، امام كشف لعملة من حيل الغزو الفكري ، تعرض لها هذا التراث الروحي التيم ، وعملت له قوى ضارية من جنود يرتدون مسوح العلماء والباحثين .

وهذا الجانب ، لا يعنى فقهاء التشريع الاسلامي وحدهم وانما هو تفسيرنا جميعا نحن العرب ، مسلمين ومسيحيين على السواء .

او هي — بتعبير اوضح — قضية كل عربي يعنى وجوده . وكل مؤمن بحرمة الحق ، حريص على حرمة الفكر ونزاهة البحث العلمي .

والدكتور السباعي يتولى هنا عرش

هذه الحطة من حيل الغزو الفكري ، في صبر الدارس المخلص ، وحراسة العربي المؤمن .

ومن هذا العرش ، يشهد التاريخ العربي الواسع كيف اتجهت الشعوبية من قديم لتسميم هذا المنبع الروحي وكيف اتقى الاستعمار لواء الحملة من ايدى الشعوبية فسهر عليها ينفذها بالوثود من رسوم القاويلات والشبهات والمفتريات .

وهي حيلة يخفى امرها على عامة المثقفين من لا اختصاص لهم بدراسة الفقه والتشريع ، ولعل اخطرها يكمن في هذه الكتاب ان فيها من تخدعه حيل الغزاة من يرتدون زى العلماء ، فيتابعهم على اثارهم المسبومة دون ان يدري انه بهذه المتابعة يعين على نفسه وقومه !

وللصحة الغزو الروحي في هذا المجال عبثا ما بعدها عبثا .

قصايا أدبية الثورة الفكرية

وهي شعبنا نفسها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً
ولكنه ظل صكاً ثنائياً فكرياً وأدبياً

قارون غورسيد

أن الفكر والأدب منعزلان عن الحياة
أن وجودنا يمكن أن يستغنى عن عقله ووجدانه

ليلى الشاطي

الاسلام بوجه علم والمجتمع العربي بوجه خاص . ولم يكن ذنب الادب ان جهل دارسونا المحدثون تراثهم وتجاهلوا اهميته في تفهم دور ادبنا اليوم .

وليس من شك في ان كل دراسة تقطع صلاتها بالجذور الحقيقية لادبنا وتراثنا وفكرنا ، محاولة عبثة لا جدية فيها . وارتباط ادبنا بواقعها تكامل لابد منه لنفهم حاضرنا ، وامن محتوم ان اردنا ان نشيد مستقبلنا .

ولكن الشاؤون من ناحية ، والغرور من ناحية اخرى ، انشأوا على الدارسين المحدثين ان يتعرفوا على الطريق الصحيح الذي يربط دراساتهم بمقتضيات حياتنا ومطالبها وهو ربط يفرقه واقع مجتمعاتنا بفرقه ديمونا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . . . بفرقه ما نتمثله من اهدان وما نطمح اليه من مثل فكما تفرقه حركة المجتمع نفسها في تفاعلها نحو تحقيق منفذ لاندفاعها في طريق بعينه ينظم خطاها ويحدد وجودها .

ليس من شك في ان انفصال دراساتنا الادبية من مشكلاتنا الحوية عامل خطير في عقم هذه الدراسات ، وعامل معوق في تطور حياتنا . .

المواكبة امر ضروري بين سير حياة الناس وبين سير جهد الماثلين في مختلف الحقول وخاصة حقول الدراسات الفكرية والثقافية .

ومنذ حين ، هبت في بلادنا دعوة صاخبة تدمر الى ربط الفن بالحياة وتزعم ان هناك في تراثنا الادبي ، ما يمكن ان يكون فنا منعزلا عن الحياة وما يمكن ان يشكل ما يسمى بالفن للفن . واقامت هذه المدرسة من نفسها مدرسة تواجه هذا الذي افتروا سوء وراحوا يصولون ويجولون ويثناشون حول اهمية ان يكون الفن للحياة . .

هؤلاء (الدون كيشوتيون) الذين افتروا وهما وحاربوه ، اقاموا دعوى عريضة على غير اساس . .

فادبنا العربي كان من قديم يسجل الانعكاس الوجداني للحياة في المجتمع

(٣)

يحتاج إليها المجتمع التي تكتل كل قواه لرفض
الذي ملا حياته زمنا .. وملا
الفراغ الذي شغله المستعمرون والمدلسون
ازماننا ، في هذه الفترة بالذات كان مذكوره
ودارسوه ينطون في نوم عميق .. كانوا
يتناولون نفس المسائل ويفكرون بنفس
المقالبه ، وينتون اعمارهم وايامهم في
بحث ذائب عن اشياء يمكن تأجيلها الآن
المستين دون ان تغم من سير حياتنا
شبهنا ..

وهياتنا الثقافية والفكرية والادبية
هبطت بالزيف والخداع ، تسلمت اليها
ارادة المستعمر الذي اراد عن طريقها
ان يستغل رقاب الشعب ، فدرس الاوهام
ووجه الدراسات ، وحشد ميالات الحركة
في حفول البحث بما يتفق واهدافه .

ومع المستعمر كان لحياتنا الفكرية
عدو آخر اشد منه خطرا وابشع غرارة
وهذا ، ذلك هو ما يمكن ان نطلق عليه
اسم «عقدة الحروب الصليبية» فمنذ تلك
الحروب وما تركته من جروح لا تتدمل
في كرامة العالم الغربي وثقافته وكيانه ،
والمنشآت من ابناء العالم الغربي يكرسون
حياتهم في رهبانية فريية ، لتتبع فكرنا
وحياتنا وادبنا ، ودرس الاكاذيب والمفتريات
خلال الدراسة الجادة ، بغية الخلوص
منها الى نتائج قربية تزور حقيقة هذا
الادب بقيمة ذاك الثراث ..

وتعت ستار كثير من الاخلاص والدقة
في البحث ذهبت اعمالهم كالحقائق التي
ترسب في اعماقنا .. وجساء امحاب
الجامعة في مطلع هذا انقرون ناذلهم
هذا الصمون العلمي وانخدعوا بشكله

ومجتمعنا العربي قد سبق المفكرين
والدارسين بطريقة مذهلة محيرة . لهر
تشر رفع شعار الوحدة العربية ثم جمع
نفسه واندفع بفترة عجيبة لتحقيقها .
تحقيقا واعداء بشيء كثير ..

ورفع الشعب العربي كذلك شعار
الاستقلال السياسي والاقتصادي وسار
خطوات حثيثة ليحقق في اجزاء منه هذا
الشعار تحقيقا كاملا ، وليفتح الطريق
امام اجزاء اخرى لكي يقف في الركب
الزاحل . بل ان مجتمعنا العربي حين
رفع شعار القومية العربية كان يعبر عن
منلات مبهمة يحسها في نفسه ، ومرة اخرى
لم ينتظر احدا ، واندفع يجعل هذا الشعار
واقعا حيويا ديناميكيا فيربط اجزائه
بالشعور والحركة من المحيط الى الخليج

كل هذا فعله مجتمعنا ، والسادة من
دارسينا يشغلون القراء ببحوث بيرونتية
حول قضايا جزئية ، واشياء ليست في
واقعنا ، ولا في بؤرة مشكلاته الحيوية .

ومجتمعنا يحاول اليوم ان يرتبط بمانضيه
ويحاول ان يبلور نفسه في وجود هي
حقيقي ، وهو في هذه المحاولة قد ثار
على كثير من المسلمات التي وضعها
الاستعمار بالوانه ، والعقبات في طريق
وجوده وتطوره .

ووجد شعبنا نفسه سياسيا واقتصاديا
واجتماعيا ، ولكنه ظل ضالعا فكريا وادبيا

فهنا .. وفي هذه الفترة الزمنية التي

(٣)

اجتذب ، لم تنزل فيه قطرة ماء ولم تمتد اليه شربة فأس ، ليس به سوى بقايا نبات الصبار الذي خلفته القرون ، وليس يحتاج في واقع الامر الا الى الولى والعناية ليخضر زاهيا ، وليعلن ان ماله من ركام انما نثرته يد الغراب فوق ارضه ، وان ما عليه من تراب انما

كدسته سنون الاعمال والفلة والجبل

ولست هذه اندفاعات خطابية ولا دعوى متحمسة . . وانما هي صرخة الم حقيقي نحسه ينخر في جسد امتنا ، ليثقل للدارسين الفانلين . واين انتم في موكب النائرين؟ وقد عودتنا الحياة ان يحمل المذكرون الرواية ، اما ان يجلسوا وراء النوافذ يتفرجون بينما الموكب المجد ينسج بالدم والعرق في كل خلوة ، فهذا موقف عجيب لن يزدي الا ان يحطم المجتمع هؤلاء المنكرين ليخلق له مفكرين من معدن آخر ينهمون مشكلاته الحقيقية ويعرفون مطالبه الحيوية .

نريد اليوم ان نعرف هل لنا ما يمكن ان نسميه بالثروات القومية ؟ هل في ادبنا العربي والثقافة العربية وفكرنا العربي ما يكون كلا حضاريا متكاملًا ويصلح ليكون اساسا لدعوانا الحيوية اليوم بالتيان العربي والفرجة العربية ؟؟

ثم هل في هذا الادب والفكر والثقافة مجد انساني يشكل تيارا يستطيع ان يؤثر في الحياة من حوله ويزعم انه يشارك في بناء الانسانية بلا خوف ولا احتداد . ومئات ومئات من الاسئلة . . واصحاب الفكر يتنامون ، واصحاب الجامعة يخلقون النوافذ ، بينما مجتمعنا يسير في سرعة مذهلة ، وهو حائر يلفت وراءه ويسأل دائما : من اين ؟؟ . . والجواب يحتاج الى جهد العاطلين؟

فاروق خورشيد

البراق عن حقيقة ماله من سموم فتتلمذوا مساعرين ذوي الاحكام كالبيغاوات ، وهم لا يدرون انهم انما يتحركون داخل اسوار خديكة مخلوقتهم وتشل حركتهم وان حسبوا انهم يتحركون في حرية ونزاحة ورسب في اعتقائنا على مر الايام ، اننا شعب لا ثقافة له ، ولا فلسفة عنده ولا ادب انساني فيما خلفته اجياله السابقة شعب منرم بالنفاسيل والخمار والبهارج يحيد التفكير في الجزئية وحدها ، ولا يستطيع ان يتصور المسائل ككل متكامل شعب لا يعرف الخلق والابتكار ، بل كان كل دوره في الحياة ان يحمل الحضارة اليونانية الى الحضارة الاوروبية الحديثة كالحمار الجاهل يحمل اسفارا . او هكذا على الاقل يقول جوستازون جرونبيارم في كتابه «حضارة الاسلام» الذي تفضلت وزارة التربية والتعليم بطبع ترجمته على نلفتها دون ما تعقيب او تعليق ، وتفضلت بنزيعه على مدارسها . .

واصبح الكتاب كالحقيقة الثابتة التي يتلقاها الطلاب هدية من المسؤولين .

وتد ترجمه استاذ كبير وراجعه استاذ كبير واترته لجنة من اساتذة كبار .

كان لابد ان نواكب ثورتنا السياسية وثورتنا العربية وثورتنا الاجتماعية ، ثورة اخرى اهم واخطر ، تلك هي الثورة الثنائية والفكرية . . ذلك ان الشعب العربي يمكن ان يسير بقوة اندفاعه جبلا بني ويشيد ، ولكنه لا يمكن ان يسلم الامانه الى الاجيال التابعة الا اذا اقام حياته على ارض ملية مترابطة من الحقائق الفكرية التي تجعل له كيانا حقيقيا كنيلا بمواجهة الجحافل التي تتربص بنا في كل مكان .

الحلل العربي في دراسائنا حقل

(٤)

تعليق :

ان ننقل به من المدلسين . ومنلفى
النواخذ ، والذين يتحركون داخل اسوار

حديدية ، ومن يفلتون في نوم عميق .
ولكن هؤلاء ليسوا كل من في حياتنا !
فمن قبل الثورة ، وبعدا ، وجد
نينا من يحلون امانة الفكر ، وبهمون
رسالة الادب الثيادية ، ويجاهدون من
اجل تحرير عقولنا وانكارنا من التهم
الزائفة .

والزميل ناروق خورشيد ، قد تنلظ على
بعض هؤلاء ، ونأثر بكتابهم المضنى
المساهد ، ونسألهم المزمين البازل ، فما
سأله يتحدث اليوم ، وكان تسعة الثورة
الفكرية قد انطفأت ؟ وما باله يظن بالدراسة
الادبية الظنون ، ول الميدان قادة يفتقون
حياتهم ، لتصبح منهجها وتحرير ليمها ؟
ما بالله يطلق الحكم عاما شاملا ، من
تعالى اسحاب الفكر ، واغلاق اسحاب
الجامعة النواخذ رائه ليمون - لينا
اوقن - ان هناك اكثر من يد ، لاهم
لها الا ان تفنح النواخذ للنفس عكولنا
مل، الحرية والانطلاق ، والا ان تنلى
الحقل الادبي ، من كل عشب سنام ،
وبفانا متحجرة ؟

ما ارى الزميل كتب مقالته ، الا وهو
مشغول البال بهذه البقايا المتحجرة والاعشاب
السامة وحدها ، وهي بقايا موجودة فعلا
وموتة لنهشتنا حقا ، لكن الحياة قادة
على ان نلثانها وتخلص منها .

ومجتمعنا - واي مجتمع آخر - لا
يمكن ان يحطم الموقين ويخلق صنفا
غيرهم ، مالم يكن له عقل ووجدان ،
تخرسهما قيادة فكرية وادبية ، اجنة
واعبة !

ومهما نطل محنتنا هؤلاء الموقين
والمزيفين والنحجرين ، فالذى ارمن به
اننا نخوفهم معركة فكرية وادبية ظافرة
تصبح القيم الزائفة ، ونحطم المراتق
التي نعترض ارادتنا للحياة ، ونحو الظلال
التي تنسى انفسنا الفكرى ، وتمرق انطلاق
الادب نحو قايته التي لا نعرف له سواها :
قيادة وسيادة !

بنت الشاطير

كل هذا الذى كتبه الزميل يمكن ان
يقال ، ولكن يقال معه ان تعميم الحكم
على الدراسة الادبية كلها ، وعلى الحياة
الفكرية جلة ، لا يمكن ان يسلم به المنهج
الصحيح للدراسة والحكم .
وطبيعة الحياة والذن ، تحتل وجود
من سنام الزميل « بالذون كبشوتين »
ومن يتصورون امكان انفصال الادب عن
الحياة ، كما تحتل وجود المدلسين
والمزيفين والنائبين ، ومن يبنرون حاضرا
من ماضيها ، ومن يسيرون باقنيتهم مرددون
القوال موروثه من عصور قايمة ، جندت
الذوق الفنى لتراثنا ، وحجبت عنا اصلاته
وسناه .

كل اولئك تحتل طبيعة الفن والحياة
وجودهم ، لانهم يفلتون ما لا تزال حياتنا
العلمة تعالجه ، من رواسب العصور المنظمة
ومظلمات النظم والارضاع والقيم الفاسدة
لكنهم ليسوا كل من في حياتنا الفكرى
وحياتنا الادبية !

اذ لو صحت هذه القولة ، لما كان
لمجتمعنا ان يمس ذاته ويحلق وجوده
اقتصاديا واقتصاديا واجتماعيا : فنى
يقدر الزميل

لسبب بسيط ، هو ان المجتمع لا يمكن
ان يصح ويسلم ، مع ضياعه فكريا !
والطبيعة لا تعترف بسلامة كائن حتى
يكن فيه جرثومة ناسدة ، او يصاب
عسر منه بالمتم والشلل !

فحكم الزميل ، بحبوبة مجتمعنا ، مع
ضياعه فكريا ، حكم تباها الطبيعة اولا .
وهو - ثانيا - يسوق الاستاذ خورشيد

الى القول بامكان انفصال الادب عن
الحياة ، وعزله عنها ، ويهدر كل قيسمة
الفكر ويلقى حاجتنا اليه .

فما داه مجتمعنا قد استطاع ان يحلق
وجوده سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ،
مع ضياعه فكريا وتمطله وجدانيا ، فقد
لزم الزميل ما يترتب على هذا ، من استغناء
الحياة عن الفكر والادب !

وهذا في راي ، اخطر من كل ما يمكن

قضايا أدبية

الإرهاص الثوري في شعرنا المعاصر



حسن كامل المصري



محمود حسن اسماعيل



صلاح عبد المسعود



فريد الأغا

• لا يعرف التاريخ ثورة لم يطلع إليها الأديب بسجل الترهو العام للتحويل المرتقب

• لكنه صراخ الإرهاص الثوري لشعراء جيلنا يعوزه أنه يؤرض الناكل قصيدة من شعرهم

بقلم الدكتورة

بنت الشاطئ

وبدا لي أن أرمد مثل ذلك الإرهاص،
في شعر جيلنا النائر، وكنت وافقة أنني
استطيع أن أميز فيه بسهولة، دعاء
الفجر الجديد قبل أن يزرغ، وأن الملح
مقدمات الثورة على الأوضاع البائسة .
ذلك لأن ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢،
لم تكن - ولا يمكن أن تكون - إلا
نتيجة حتمية، لثورة عاشت طويلا في
وجدان الشعب، وقلبه، ولحمه . . .
وهي لم تنجح، إلا لأن التمثيلة
الوجدانية كانت آسدة تمت، فأذنت
بستوطه الطغيان . .
وقادة الثورة، كانوا يملكون هذا علم
اليتيم، وهم يشقون طريقهم في الظلام
ليحفظوا الوطن !

لغية الإرهاص الأدبي، من القضايا
الخطيرة التي اغفلها نقاد أدبنا ومؤرخوه،
القدامى منهم والحديثون، ممن كانوا
ولا يزالون يبدؤون المعصر من معصور الأدب
ببوم محدد، تتم فيه المعركة الفاصلة
بين مهدين .
والذين لحظوا منهم، ورواسب مصر
مضى في أدب المعصر الذي يليه، لم
يلفتوا إلى الإرهاص الفني الذي يسبق
كل ثورة وكل معصر، مؤذنا بالتحويل
المنظر، ومتطاما إليه، ومسجلا التحوير
العام لهذا التحويل .
وقد شغلنا هذه القضية في الدرس
الجامعي، واستطعنا أن نجد في ترانثا،
أرهاصا أدبيا بكل التورات التي مر بها
تاريخنا الطويل، والتي حددت ما يعرف
بالمعصور الأدبية لنا .

(٢)

والرئيس جمال يقرر في « فلسفة الثورة » ان ثورتنا لم تكن مفاجأة ، لان قصص كفاح الشعب ليس فيها فجوات يملأها الهباء ، وكذلك ليس فيها مفاجآت تنفخ الى الوجود دون مقدمات .

ويسجل ان ثورتنا لم تكن سوى « التدبير العملي » لثورة كامنة بلغت ذروة احتدامها ... ومحال ان يكون الادب قد عاش بمسؤول من تلك الثورة ، ولنا ان يسجل التهيؤ لها ويدفع اليها ..

وقد استطعت في سر ، ان اتبع الارهاص الثوري في الحديث من دواوين شعراء الجيل ، الذين ارخوا كل قصائدهم ..

ففي ديوان « احلام النخيل » للشاعر محمد العزيز عتيق ، تلقانا في « ملحمة مصر التي بين يدي » - وقد كتبت انشيدتها الثلاثة عشر عام ١٩٥١ - ملحمة الثورة كاملة ، كما سجلت للشاعر في رؤيا صادقة ملحمة ، فكانما كان ينظر بظفر القلب ، الى اليوم المرتقب ، وهو ان لا محالة .

وفي قصيدتي « الشاعر الصامت » والخروج « دمدمة الشاعر تحت وطأة الدوران والحرمان ، قبل الثورة بسنين .

وفي ديوان « نار واصفاد » للشاعر محمود حسن اسماعيل ، ميزت الارهاص الثوري بسهولة في :
الحيرة « المودودة » وقد حاول الشاعر عبثا ان يلتمسها في فجاج الارض ، نجاما ، كما حدث في كل ثورة عرفها تاريخنا ..

وكما تقضي بذلك مسيرة التطور ، ومنطق الحياة الذي لا يعرف المفاجأة ، ولا يعتزف بالعفوية والمصادفة في تاريخه نشموه ..

ولا سبيل الى فهم التاريخ الادبي لهذه المرحلة الثورية ، ما لم نرصد الارهاص الفتي قبل الثورة ، ثم نرصد من بعدها رواسب الماضي الذي ولي دراج ..

ولما حاولت - استكمالا لما رصدت من شعر الارهاص الثوري في تاريخنا - ان اقرأ شعر جيل الثورة ، لرصد ما فيه

(٣)

وفي « انتظار » بلفه الليل ، وتغمره
تلوح الكتابة ، وتغمره رؤى كاحزان
المبيد ، وتخرج فيه أغانى الوحشة
والنصرة ، يتشبث السارى الحائر ،
بحلمه في الجنة ..

ومن « قافلة الفجر » الهاربين من
اسهم ويومهم ، يصفي الشاعر الى
معانهم تروى أسطورة العيش الطريد ،
ومأساة النشرد والضبياع ، ليردد
صداها في وجدانه ، لتعيش فيه أمية
كل سجين .. غريب ..

و « غريب في السماء » يخبط هائما
في أحشاء الظلمة ، مؤملا في الشروق ،
و قلبه في ليله غريب ..

و « الشاعر » يسرى كتيب الخطا ،
يسحب أشواقه المتشبث على صخرة
الأم الماسدة ، يهوى كالفرير لعن في
جنة هامة ..



أما الشاعر « حسن كامل الصبري »
فلم يهتم بتاريخ القصائد في ديوانه
« صدى » ونور ودموع » إلا تلك التي
رثى بها أحبابه وأصدقائه الراحلين ،
أمة وشقيقته وحمانه ، واليهامى
ومزبهمي ، وركي مبارك ، وعلى حدود
طه ، واسماعيل أدم ..

وأميدة أخرى واحدة ، هي ترنيمة
السلام ، مؤرخة في فبراير ١٩٥٤ .
أما بقية قصائد الديوان ، فمغلطة
التاريخ ..

وربما كانت قصيدته « عبادة الأصنام »
- لو صدقت لرأست في نظمها نبل
الثورة - أرماسا أدبيا قويا ، بما عكست
من أوضاع شبيهة لم يكن بد من أن
تزل ..



وقرات :

« أقول لكم » للشاعر صلاح عبيد
الصبور و « أغاني إنسان » للشاعر
سعد دقيس وهما من شعراء جيلنا
الثائر ، لكن لم استطع أن أعين - على
التحديد - ما في شعرهما من أرماس
نوري ، لأن أكثر القصائد مغلطة التاريخ
فصلاح ، لم يؤرخ غير القصائد الأربع
الآخيرة من ديوانه ، واثنان منها :
كتاب وحصاد الذكريات ، كتب قبل
الثورة بأعوام ، وليس بعبيد من الأرماس
النوري شكواه في الأولى :

لم أب من رحلته بصرخ :
شرب القيد على كل الخطا

لهو حاد ، وطريد ، ورسن
وفي « هادم الظلم » ترنيمة شاعر في
ذكرى المولد النبوي ، يتطلع الى نور
منه يهتدي الركب المتخبط في دياجير
الظلمة ..

و « صرخ القيد » رجع صدى أمضى
اليه الشاعر مبهورا ، حين :

زار النيل مؤذنا بصباح
هو للنامسين نيل التبور

و « من عميق الرقاد » حذاء يرجع
اتين الضحايا ، ويوقظ الفائزين النيام ،
و « الجلاء الكلاب » - عام ١٩٤٨ -
يكشف زيفه وهي شاعر يقول للنيل :

منك سيمين وانغامك تنويج وكل
ودعود القوم وادبك اخلائ ومطال

نيل : أن الذئب من فابك يانيل ترحل
أه لو كان على الأسوار لا ياربه مقل
في غد تمشي اليه صف أحرار بجلجل
و « عهد الذئاب » أنشودة لعبد
الاضحى ، ذبحنا فيه الشياه والخراف
تربنا ، والذئاب « أبعما »

وتصائد « أذن النجر » والشده
القدس ، ونفخة الصور « تبث في
ظلمة الليل ، مهلة لفجر لاح يصفي الى
سبليل الاغلال وهي تحلم ا

و « أخرة القيد » أغنية النجر
الصادق في مستهل شهر يوليو الذي
شهد مصرع الطنيان ..



والشاعر « كمال نشاء » حرص في
ديوانه « أنشودة الطريق » على أن يتجدد
كل قصيدة بموعدها ، فأتاح لنا أن نميز
الإحساس النوري في :

« قلب شاعر » مضي ينتقب من النجر ،
بمبدأ أن أمياه السرى على المسخور
الأسود في الدرب المعتم ، يقتات الشوك

و « غريب » يمزق على قيساره في
النمل الحالك ، ويحاول أن يصل الى
كوخه الصغير ليفبته ، فمضله القيد .
و « صفر القطار » يدوي متغلا

بالأين ، وأرماس الحزن لعبد الديار ،
نشير في وجدان الشاعر ممانى فامشات
المدى ، وشوقنا الى رحمة انطلاق ، لكن
بعيد .. لمكان جديد ..

(٤)

جنانيك بانفسى قالت الولة
هبي دمة ، هدى الرسوم لنا تبدو
لماوى بها النجوى كطير ذبيحة
من العنق ذبت ، لا ترف ولا تشدو
ويشئ بها الحب الكسير مجرحا
وينزك منه الائم والياس والحقد
ويجئو على اطلالها الشك ناعبا
ملاحن في اجوانها بصرخ الودع
لحول منها الماء ، فالظلل لانح
ولغام شروق الشمس ، فالصبح مريد
لما نبنة الا وتحكى خلية
ولا غصن الا تبدج لونه الورد
وما بسمة الا وروحى تقيها
وما خطوة ، الا ودرى لها قد
وتوله في حماد اللكريات :
هنا سنوات صباى الفريز
تولول في مركب اسود
وامالى الشرد المصاديات
يجزن السراب الى الفند
طريق تحدث احجاره
بغيمة امى ودمى هدى
وكتت في حاجة الى ان اعرف ، متى
- بالتجديد - نظم « صلاح » قصائده
« الشئ الحزين ، موت فلاح ، كلمات المصحح لمكان الادب في الحياة وتفاعله
لا تعرف السعادة ، الالفاظ ، الغنية معها ، ويعين على استخلاص قيم مخدرة
خفراء ، القول لكم » لانهم المفزى الرمزي لادبنا المعاصر ، وموازين عادلة لشعراء
لكلماتها على ضوء زمنها ، واستبين الجيل ...

دالاتها المرتبطة بأوثانها ، واستجلى
ما فيها من سر كامن ، لاسبيل اليه بغير
ملتاح الزمن
وكذلك الامر مع سعد نعيمى في
« اغاني انسان » : منه ثلاث تعاليد ،
مؤرخة قبل الثورة وهى :
« الصعاليك - من الحارة الى
الحارة » ، في القناع يارب « وهى من
سبب الارهاص الثورى . لكن نتي
نظم الشاعر قصائده : « موت بقرة في
القرية ، الليل والانسيان ، همسة
بصباح ، سطوح واعمال »
لم يقل الشاعر متى ، والنصوم
لحتم ان يكون قائلها قبل الثورة ،
وبعدها . وشتان بين مغزاهما في الحالين ،
لان توجيه الالفاظ والمائى ، وهن
بمعرفة ازمانها على وجه التحديد
فليت شعرا لنا يقدرون حاجة الدرس
الادبى الى مثل هذا التحديد الذى
لاغنى عنه لمن يريد ان يتتبع سير الحياة
بالشعر ، ويلتمس لدى اصحابه التفسير
الوجدانى لمرحلة من المراحل الحاسمة
ل تاريخنا ، بما يجدى على فهمنا
المصحح لمكان الادب في الحياة وتفاعله
معها ، ويعين على استخلاص قيم مخدرة
لادبنا المعاصر ، وموازين عادلة لشعراء
الجيل ...

قضايا انتقادية

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

الخصومة الفكرية

((بل نقذف بالحق على الباطل
فيدمغه فإذا هو زاهق))

قرآن كريم

في المقال الذي عالجت فيه هنا منذ اسابيع، موضوع « الاستشراق
وتراثنا الروحي » اشرت الى كتاب الدكتور مصطفى السباعي عن
« السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي » من حيث اتصاله بالنضية
العامة، موضوع المقال . ونوهت يومئذ بالتغافل الدكتور المؤلف الى
تيارات الغزو الفكري، ووعيه لمحاولات اعداء العربية والاسلام،
تسميم المنابع الروحية التي تستمد منها مقومات وجودنا المعنوي .
وقلت فيما قلت ، ان للعلماء علينا حق الاحترام ، مسا لم ينحرف
بهم الهوى ويضلهم التعصب ، فيفقدوا صفتهم العلمية .

(٢)

وحيث نلتبس للدكتور المباعي ، كل
المعذر في غضبه للسنة ، وانفعاله في الدفاع
عنها ، نود في الوقت نفسه ، لو انه
استلماح ان يضبط هذا الانفعال في
المنافسة والرد ، حتى لا تخونه حجة
ريشوب مناقشته بما نكرهه لله من قذو
وساب ، لا يمكن ان بدفعا تهمة او
بردا باطلا !



ودون تعرض لمناقشة موضوعية . لكتاب
السنة ، اسرق منا بعض امثلة من جنابة
هذا السلوب في الخصومة الفكرية ،
على القضية الجلية التي تصدى الدكتور
المؤلف للدفاع عنها بحماسة وانفعال . .
المقد خاتمة الحجة ، في روثه من
الرحوم الاستاذ احمد امين حين قدم
انهايه بأنه « من أبرز الكتاب المعاصرين
الذين ملكوا — في تلمذتهم للمستشرقين
سبل الهجوم المتنوع يستار العلم والبحث
تجنبنا المصارحة ، «ففسلا المواجهة
والمخاللة ، حتى لا يثير نائرة الجمهور
وهذا اللون اخبث اثرا واسوأ نتيجة
واقوى سلاحا . . وقد تحدث في فجر
الاسلام عن الحديث ، فمزج السم بالدم
وخلط الحق بالباطل » . - ٢١٢
واستشهد المؤلف — اول ما استشهد
على هذا الالتواء الخبيث ، بكلمة سمعها
من الدكتور على حسن عبد القادر كزيم
فيها ان المرحوم الاستاذ احمد امين نصح
له بالمواجهة والمخاطبة قائلا : « ان الازهر
د بقبل الاراء العلمية الحرة ، فخير
طريقة لبث ما تراه مناسبا من اقوال
المستشرقين ، الا تنسبها اليهم بصراحة
واكن ادفعها اليهم على انها بحث منك
وانسبها ثوبا وقيفا لا يزعمهم منها ،
كما فعلت انا في فجر الاسلام
رضي الاسلام » ص ٢١٤

واليوم اعرض قضية اخرى لنفسى
اليها الكتاب نفسه ، في مناقشته لبعض
رجال منا ، رآهم المؤلف تلاميذ للمستشرقين
واموانا ، يروجون فينا اباطيلهم ، ويلقون
في الحقل الروحي بذور الشك والاثام ،
من ففلة واستهواء ، او عن عمد ورقية
في الظهور بمنظر التحور النكري .
وما اشك في اننا نبتلون بعدد من هؤلاء
نقاسوا شتى الميادين ، فمنهم من اختص
بالمندان الادبي ، ومنهم من يعمل في المجال
التاريخي او الروحي . ولاد ، احدث حياتنا
الفكرية بتيارات دخيلة ، لو تتبعناها لعرفنا
مصدرها فيما يث المستشرقون من سموم
باسم البحث العلمي الحر . .
والسؤال الذي اعرضه هنا :
بأي اسلوب نقاوم هؤلاء لنحمي وجودنا
المعنوي . انلقاهم بالحق والسباب ، ونستحل
اتهام المائرين بالاسنشراق ، بالخيانة
والهوى والكفر ؟
ام ننبيع اخطاهم فنردها عنا بالحجة
والبرهان ، ونخضعها للخص علمي واع
يكشف عما فيها من انحراق الفكر وفساد
التهج والنواء البحث وفسلال الراي ؟
الذي اومن به ، ان اسلوب القذو
والسباب ، نأبأ الخصومة الفكرية التي
لا نجيز غير سلاح الفكرة والنطق والدليل
ثم هو لا يغنى عن الحق شيئا ، بل
لعله اجدر بان يضمن مركزنا ، بما
يشير من نفور التاريء الوامى ، وما يلقى
في روعه من وهن مركزنا ، بحيث لا نملك
الا ان نستعين على خصومنا بالشتائم
واللعنات .
اما المناقشة بالحجة والدليل ، والكشف
عن موافع الخلل والفساد فيما مصدره
الهوى والتمصب والاستهواء ، فذاك هو
الذى يلبق بالفكرين منا في خصومتهم ،
وهو هو الذى يجدى علينا في تنقية
هياتنا الفكرية من الزيت والبهتان .

(٣)

اتهام الدكتور السباعي للشيخ محمود بالكذب والافتراء (٢٢٣) والولع بالتنسليخ ونفري القاري وقلب الحقائق (٢٢٦) والتبني والتدليس (٢٢٨) والدعوى الفاجرة (٢٢٩) لاقى عند قوله في مستهل المناقشة :

«واشبه ان ابارية كان افحش واسوا ادبا من كل من تكلم في حق ابي هريرة رضي الله عنه ، من المعتزلة والرافضة والمستشرقين ، قديما وحديثا ، مما يدل على دحض وسوء عقيدة وخشونة من ٣٠٤ وكرر الدكتور هذا الكلام من النية الحبيثة (٣٠٧) وضغينة النفس (٣١٣) وعلى البصير قول الحلة الاسود (٣١٥) وسوء العقيدة (٣٤٢)

فمن قال ان لخلق — من كان — ان ردكم على الطوية والنية والعقيدة ؟ واذا لم تأخذ الاستاذ الجامعي بالمنطق العلمي الذي لاشان له بالنوايا المضمرات والاطوايا المحجبات ، فقد وجب ان تأخذه بما يحفظ من قول الله تعالى : «اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم» «يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور» «وان ربك ليعلم ما يكن صدورهم» «والله عليم بذات الصدور»

«ذلك هو مبلغهم من العلم ، ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم من امتي»

«وان تجهز بالقول فانه يعلم السر واخفى»

وتأخذه ، في كتاب السنة ، بحديث «رسول صلى الله عليه وسلم : « هلا شلقت عن قلبي ؟ »

« امرنا ان نحكم بالظواهر ، والله يتولى السرائر »

فهل يجوز في قول العلماء ، ان تأخذ الاستاذ احمد امين بقوله ينسبها اليه آخر ، والاستاذ رحمه الله لا يملك ان يخلف من قبله ، ليرد على منسب اليه ؟ اخشى ان يكون استدلال المؤلف بهذه النقطة ، مشككا في سلامة منهجه ، ومضطربا على جو مناقشته لفجر الاسلام ، ظللا من الوهن والارتباب ، لاحتمال ان تكون المناقشة تدوجها لممانينة الدكتور السباعي الى القولة المنسوبة الى صاحب فجر الاسلام بعد موته ، ماضية بها الى اثبات اتهامه بخبث النية (٢٢٦) والالتواء (٢٢٦) والحملات المنكرة على ابي هريرة

ليحقق فكرة خبيثة في ذهن مستشرق — جولد تسيهر — منلوب على هؤلاء ، ليشوه بها سيرة عظمائنا الذين نقلوا اليها هذا الشرع وحفظوه (٣٠٤)

والدكتور السباعي متخصص في السنة حين يمنح علمائها في «الضبط والتحري» وشرعهم المترد في «التعديل والتجريح» فعلى من عليه ، ان يأخذ المتهم بما لا سبيل الى تحري نسبته اليه ؟

وما نقله الدكتور عبد القادر من المتهم لا يعدو ان يكون — مع افتراض عدالته وصدقه — خبر واحد لا يجوز الاخذ

به ، لانه كما قرر علماء الحديث لا يثبت مما ولا قلنا !



وفي الكتاب فصل خاص بالرد على اقوال الشيخ محمود ابو ربة في كتابه «اضواء على السنة المحمدية»

ودون تعرض للخصومة موضوعيا ودون محاولة للفصل فيها ، اتجاوز من



شوائم الشيعة في أبي هريرة .. ونحن
في عصر لا نستطيع فيه نبش القاذورات
ونرى من يعمل على نقشها مخربا هداما
يسعى لتلويق كلمة المسلمين ووجدتهم
في عصر لم يبق فيه سبب للاختلاف والخلاف
وانزاع ص ٢٤٢

عليها !
وانت حين ان عدم التعرف لها ، ونكرها

في عدم نبش القاذورات ، ان مصادر حرية
والله تعالى يقول :

العلماء من السلف الصالح ، نبشروا ، فإذا هو راق

العزلة الثقافية

الجامعة مسئلة عن هذه العزلة الفكرية

التي تجعل المثقفين ضائفا بينهم غرباء

قضايا فكرية

بقلم الدكتور

يحيى الشاطي

أخطأ في لفظ جرى به تلى - هو
في تلى السابق عن الخبرة الفكرية ،
لفشى الى تفسه من اخطر تضايانا الادبية
وهي العزلة الثقافية بين المتعلمين منا ،
ذلك ، عندما اثرت الى الخبر المعزول
الى المرجوم الاستاذ احمد امين ، اردت
ان اتول :
« ان هذا الخبر لا يعدو ان يكون خبر
واحد ، وخبر الواحد فيما قرر علماء
اللغة ، لا يلبد علما ولا عملا »
لكن تلى جرى بها : « علما ولا علما »
دون ان انتبه ، فكان خطأ لا يبرره الا
ما يجوز على بشرتنا من سهو ونسيان
وتسور .

قالوا ان خبر الواحد لا يوجب العلم ،
ومعنى هذا عند جميعهم انه قد يمكن ان
يكون كذبا او موهوما فيه . «
وانا اكتب هذا الكلام ، اريد به ان
الفت الى دقة علماء الحديث في الرواية
وما ازال - مع هذا - في شك من اني
جلوت موثقهم من « خبر الواحد » لعامة
المتقنين ، ولا بد ان نهيهم من بقرا هذا
الكلام ويتساءل : ما هذه الموهوم والاشارة
وما ذاك الا لاننا نشكر عزلة المتقنين
وما لا يدخل مباشرة ، في صميم اختصاصهم
وهي قضية هذا المقال .

وقد سبقت استاذنا « الدكتور عبدالعزيز
السيد : مدير جامعة الاسكندرية » «مناجح
هذه القضية في محاضرة له عن « الجامعة
والثقافة » القاها في الجامعة الليبية ، في
شهر مايو الماضي .
ونبها شكا من الشكوى ، من مشكلة
الضعف الثقافي للجامعيين في العصر الحاضر
وقد تناول المشكلة في عمق ، من ناحية
عزلة طلاب الدراسات الادبية من الثقافة
العليا ، وعزلة اصحاب الدراسة العلمية
من الثقافة الادبية .
واخطر من هذا ، دلالة على المشكلة
في رأيي ، هو ما نشهده من عزلة اصحاب
الدراسات الادبية ، بعضهم عن بعض ،
وكذلك الحال عند دارسي العلوم .
يقضي الكلية الواحدة من كليات الجامعة
نرى دارسي التاريخ مثلا ، لا يتصورون
بحال ما ، ان الادب مادة تاريخية ، تقدم
لهم التفسير الادبي للتاريخ ،
وتسجل وقع احداثه على وجدان المجتمع
مثلا في قوى الوجدان المرهف والحس
التيقظ .

ونستت بهذا اشد الضيق ، رغم علمي
ان الخطأ نات على جمهرة القراء ، ولم
ينته اليه الا القلة المتخصصة من ذوي
الدراية بعلوم الحديث ، وشبهه الدقيق
في الرواية والاداء ، وفي التجريح والتعديل
وهو منهج جدبهم بان يعرفه كل مثقف
منا ، ليري الى اي حد بلغت دقة علمائنا
منذ قرون - ونحريهم ونحرجهم في
رواية الحديث ، حرصا منهم على هذا
المصدر الاصيل من مصادر الشريعة
الاسلامية .
ونحن نردد بين حين وآخر :

★ وما آتة الاخبار الا روايتها ★

وهذا المنهج ، يقينا تلك الافة ، ويضبط
رواية الخبر ، ويروفي تفكيرنا والمستنفا
واقلامنا ، على الضبط والامانة .
ولقد كان علمائنا ، حريصين على الخبر
او الحديث باثني بثمانيد عدة ، وبروبه
جماعة نقاة عدول ، يؤمن تراجمهم على
الكتب .
اما الخمر الذي ينورد واحد بروايته ،
فاخذوا فيه ، قيل : يوجب العمل دون
علم البتين . وقيل لا يوجب علما ولا
علما ، كما جاء بكتاب التوثيق على التوثيق
وقال الامدي في « الاحكام في اصول
الاحكام » : « والمختار في خبر الواحد ،
حصول العلم بخبره اذا احتفت به القرائن
ويستمع ذلك عادة دون القرائن . وذهب
الباتون الى انه لا يفيد العلم اليقيني
مطلقا ، لا بقرينة ولا بغير قرينة »
اما ابن حزم ، فتلى في كتابه « الاحكام »
ان « الحنفية ، والشافعية ، والجمهور
المالكية ، وجميع الممثلة ، والخوارج ،

(٣)

و دارسو الجغرافيا ، يصدون الأثر
الاقليمي ، في الزراعة والصناعة وما إليها
لكنهم قلما يفكرون في هذا الأثر على
الأمزجة والطباع والمعادن والأعراف
والثقافة ، ويلتصمون في «الادب» الشواهد
على هذا كله بل قلما يتجهون إلى الجغرافية
الأقليم من نور في توجيه حياته السياسية ،
ومن صنع تاريخه !

« رافتحوا أكثر كتب «علم النفس» مما
يدرس في الجامعات ، وأنا راقية انكم لن
تجدوا فيها بيت شعر واحدا ، شاعرا على
نظرة في علم النفس ، أو إشارة إلى
اديب من الأدباء ، في عرض مذهب من هذا
العلم أو تقنية من تقنيات ...
ولو سالت العالم النفساني من الأدب
الذي هو « مرآة نفس » وشعر من وجدان
وصدى عواطف ، وترجمة من عالم
نفسية ، ومعرض لأعوار البشرية وشاعرها ،
لوسألته عن شيء من هذا الأدب لنسم
ضاحكا من سؤالك ، دون أن يتدر أن
الادب ، مادة أصيلة خفية ، لعلم النفس ،
تقدم له الشواهد والأدلة ، وتديه إلى
أفق المتألمين والاحكام ... »

بل لماذا لا تقول ، انه في القسم الواحد
من أقسام الكلية ، وليكن قسم اللغة العربية
مثلا ، من لا يعنيه امر النحو والصرف ،
لان ساداته ، تخصص في الادب !

كأنما يمكن فهم نفس ادس ، قبل اقامته
لنوميا وتوجيه اعدابها !

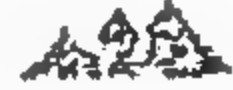
رأيت يمسرحس له شعر ادس ، يروي
بالاستناد على طريقة رجال الحديث ، في
بالإشادة من الكرام ، لان الادب منهج

« اما أنا ، فما زادني منطق الاستاذ
بالمذكور ، إلا التفتاعا بين التخصص العلمي
فيها يبلغ من الضيق لا ذنب له ، في هذا



عبد العزيز السيد

الدرس الادبي ، واسحاب الدرس العلمي !



ولقد رأى الاستاذ الدكتور ، ان التخصص
العلمي الضيق ، يمكن ان يكون سبب
الازمة ، وراح يسجل ، أخطار هذا
التخصص على الثقافة عندما ينسحق !

وليس الاستاذ الجليل من اعداد التخصص
العلمي ، بل انه ليؤكد « ان هذا التخصص
ضرورة حتمية تقدم العلم ، وينبغي ان
يبقى ، وينبغي ان يزيد » ولكنه في الوقت
نفسه يرى « انه أضعف التربية والثقافة
وقد جعلت عنه أخطار كثيرة » بما سبق من
أفق الدارسين ، وعزلهم عن الاذواق الوجيهة
لثقافة الانسانية العامة .

وكان في حديثه عن تلك الأخطار ، تروى
الحجة ، مدحا ما حرامين والإسناد إلى
درية أخشى معها ، ان يظن ثنائ ، منهج
أنا لا نمنع ، بضرورة التخصص إلى أبعد
مدى

فقرنا الثاني وعزلتنا الفكرية ، وانما
يجلبها مزيد من التخصص الدقيق ، ومعالجة
مطله وامراضه ، وسبب مرضه ادعائه
واذا ذلك لن يقول استاذ الادب للطلاب
انه لا شأن له بالنحو والصرف ، والقرآن
والحديث ، والجغرافيا والتاريخ ، والفلسفة
والاجتماع ..

ولن يقول استاذ التاريخ والجغرافيا
وعلم النفس : مالنا وللاب !
بل لن يقول استاذ الهندسة ، او الطب
او الزراعة ، انه لا شأن له بلغة قومه
وتاريخه ، ومطبخه ، ومأكله ..

وهي سلم لنا الاستاذ مسلم الطلاب
ولم يصدنا الروائع المر ، الذي جعل
الاستاذ الدكتور عبد العزيز السيد يقول :
« لا استطع ان اتصور متخرجاً في
الجامعة ، يدعى انه تعلم او يتفهم ، ويكون
غير ملم بحلاقة علمه بالعلوم الاخرى ،
او بانز علمه في الحضارة ، او بتأثيره
في الحياة الاجتماعية ، او بالقضايا الكبرى
للعلم نفسه في الوقت الحاضر »

وهي صحت البيئة الجامعية ، صحت
حياتنا الثقافية ..

وتحطت اسرار الميزة الفكرية ،
التي تجعل المثقفين منا ، لدينا يتفهمون
غديا ..

الذي يشكوه ونشكره معه : فالتخصص
مرحلة اخيرة ، يصل اليها العلماء بعد
ان يعرفوا بمراحل ثقافية ، وخطوات في
الدرس والبحث ، تتفاهى تلك وعمقا حتى
تدرك تلك المادة وسر العلم ، عن ادراك
شامل ، ووعي ثاقب ..

ويقدر ما يتفق التخصص ويدق ، يكون
شرة ناضجة للمثاقبات فتى ، وخبرات
مديدة ، واتصال بالمعرفة في ارحس
آلياتها ، او هو النبع الذي تنفذه روافد
ثقافية مختلفة ، وتسبب فيه فيارات
الماز ، مصفاة بآتم وعي وادراك ..

ولكننا نحن على الثانية .. وبمسار
عن ازمة العزلة ومشكلة التفرق لها ،
ان التخصص عندنا ، ليس غالبا كذلك ،
بل كثيرا ما يكون وثبة عضلية الى اللغة
دون تدرج على سطوح المعرفة ..
وغطسة هاربة الى اللغز ، لا تبالا
الى العمق ..

وتسلنا لجدران الحرم العلمي ، على
اكتاف الامراء وسلم الرصولية ..
وانتهابا للشرة ، فجأة مبتورة من
فروعها وجذورها ، قبل ان يتاح لها اي
حظ من الانساج ..

وتلك هي متدة الازمة :
متدة لا يحلها ان نسال التخصص من

التاريخ: ١١ / ٨ / ١٩٦١

قضايا
نقدية

الكتاب وعنوانه



ابراهيم المصري

□□□□

□□□□



عباس محمود العقاد

□□□□

□□□□



محمد كامل حسين

□□□□

□□□□

ليست هذه اول مرة تعرض فيها للنقدية العنوان حين لا يسدل على
الكتاب .

ففي خصوصية النقدية للاستاذ العقاد ، انكرت عليه ان يضع ((المرأة
في القرآن الكريم)) عنوانا لكتاب عن ((المرأة في كتب العقاد)) .

يقام المكتبة

بمكتبة الساطية

التاريخ: ١١ / ٨ / ١٩٦١

(٢)

والد سمعته قوة بدافع من متوهمه ،
بمشتبهات للكافر الفرنسي «بول فالدي»
لكن لعل دلالتها في بيئة فاليري وعصره ،
غير دلالتها في زمننا وبطنتنا ، بعد ان
استقرت بواجه المذعنات ، ولحمها المكينة
بمؤلفات لامحبات الى صنف ا

والاصل في العنوان ان يدل على الكتاب
ولي الحديد من المذعنات «الدكتور كمال»
حسب ثلاث دراسات قرائية : معنى
الظلم في القرآن ، والتفسير العلمي بدعة
حنفاء ، وقصة آدم ا

وخطبتان : احداها محذرة من الحياة
الغريبة في عصر الحديث ، والاخرى في
عبد العلم .

واربعة بحوث ادبية موجزة ، في
اسلوب المعري ودلالته ، وادب الهذلاء
والفرزدق ، والفاصلة القديسات .
وثلاث مقالات علمية ، في اللغة والعلوم

والبحث العلمي ، والمصطلحات العلمية .
واربعة عشر مقالا في اللغة : اصول
ملوها ، ونحوها ، وصرفها ، وجديدها
ومعناها الحديث .

وهي - اما بدر - متنوعة شتى ،
بمثل ان يدل عليها عنوان الكتاب ، بحث
بمذخر لروايتها : اذا لم يفرد كل جانب
من هذه البحوث والمقالات ، في كتاب
مستقل ، مدلا من ان يحددها في كتاب
واحد ا

وقد مر هذا التساؤل بخاطري ، عندها
طالعت « فهرست المذعنات » ثم لما
تراءت الكتاب كله قراءة واعية ، ادركت
المصلحة الوشقة التي يؤلف بها ، ونسجها
التي قد يجعل عنوانه غير دال عليه .
فهي على خلافها ، تسير عن ذكره
واحدة تعلق بها الكتاب من تقديم ، ولم
تشر الزمن من تلافه بها شيئا .
وهي على نواحيها ، تشق طريقا واحدا

وعندما تراءت كتابا للاستاذ ابراهيم
المعري بعنوان « ردة الاسلام » وددت ان
انه لم يتسع هذا العنوان الكبير المرحم
على مجموعة قصص من الشرق والغرب ،
اكثرها لا تمت للاسلام وولته بسطة .
وماذا يتسع سنين ، اثرت على صفحات
الاصرام معركة نقدية عن «معجم تهذيب
المصاحح للزنجاني» الذي حققه الاستاذان
عبد السلام حارون وعبد الغفور عطار ،
وكسا في مقدمته انه «من نسخة خطية
فريدة في اتجاه المائتين اجمع» فافتقرت
هذه الدعوى الجريئة ، لم لما احدثت
المعركة بين وبين الاستاذين ، عثرت في
دار الكتب بالجامعة على مخطوط من معجم
الزنجاني لم يسمع به الاستاذان فكانت
المناجاة الاليمة ان وجدت المعجم في الاصل
يحمل عنوان «معجم المصاحح» وليس
تهذيب المصاحح ، الذي تطوع الاستاذان
بوضعه عنوانا للمعجم ، حين لم يحدوا
عنوانا على نسختها الفريدة الوحيدة
في مكاتب العالم اجمع « فاختسارا له
عنوانا بكل بساطة وساهل ، لتسهر
مخطوط آخر بعنوان ، منه وبين عناوينها
ما بين «الاختصار والمهذب» من بسون
شامع وفوق بعيد .

والنوم انعموش للفتنة من واد آخر
في كتاب «مشتبهات» الذي تدار حديثا ،
لاستاذنا السبب الادبي «الدكتور محمد
كمال حسن» .

وكان لهذا العنوان كارهة ، في فقرات
الجزء الاول من «مشتبهات» الدكتور ، وقد
ظهر امل اذوية طائلة .

كرهته ، لما يوحى به من توزع وتشتت ،
ولاقتراحه الذهني بواجه «المشتبهات»
الاذاعية ، ومناوون شبيهة به ، المؤلفين
يعرضون في كمهم وشاعة من مثل مثل ،
ويطرقون كل موضوع ، ويقدرون لنسج
متمثلات من شتى ، متماثلهم ومقتبسهم ،
وليس منهم ادبنا المائتين ، الذي بلغ اوج
الاصالة فكريا واجبا .

قضايا نقدية

حرمة التخصيص

- أسرار الحكمة الإلهية واسم الرب وصفة الخالق
- مع البلاستوسيت والتردفوبلاست وبوريشة القروء
- في تفسير القرآن الكريم يؤلفه بكالوريوس في التربية

بسم الدكتور

بنت الشاطئ

تفضل «السيد م. جمال الدين مبادو
بكالوريوس في التربية من الجامعة الأمريكية»
فأهدى إلى منذ أشهر ، كتابا عنوانه
(بحوث في تفسير القرآن : سورة العلق)
وكان أول ما لفتني منه ، أن السيد
المؤلف حذس على أن يطبع اسمه على
غلاف الكتاب ، على الطريقة الغربية
«م. جمال الدين» وكذلك فعل ، في توقيعه
على عبارة الأهداء .

وذلك تقليد غير مألوف لنا معشر العرب
وما أزال حتى الساعة أجعل الاسم الحقيقي
للمؤلف ، بين عشرات الأسماء العربية
التي تبدأ بحرف الميم .
وتركتها تفوت .

وسألت السيد (م) : أين ، وكيف ، وعلى
أي استاذ . فلقى دراسته في البحوث
القرآنية والتفسير .

(٣)

بل ليس منهم كذلك ، استاذهم ومعلمه
زميلي الدكتور النوبهي ، الذي تلقى
ثقافته القرآنية في مرحلة الليسانس ،
ثم تخصص في الادب العربي في لندن
واشتغل استاذاً له في كلية غوردون
والجامعة الامريكية .

انما الذي يجرز لنا ، اصحاب الدرس
الادبي ، هو الاشتغال بالقرآن الكريم نما
ادبيا بيانيا ، دون ان نتجاوز هذا الى
تلك المباحث الاصولية التي تعرض لها
السيد المزلق ، من مثل :

الامر بالقراءة ابدان بالنبوة لا بالرسالة
والايدان بالنبوة تمهيد للرسالة .
والقصد من القراءة باسم الرب .
والحكمة في ذكر اسم الرب دون صفات
الله : الذاتية ، والفعلية

واسم الرب بمنزلة الاصل من الصفات
والحكمة في ورود صفة الخلق بعد صفة
الربوبية .

والخلق اول التربية .

وهو صفة مميزة للرب .

وهي مباحث دقيقة ، لا أجرز على
التعرض لها والتأليف فيها ، كما فعل
السيد م . جمال الدين ، الكالوربوس في
التربية من الجامعة الامريكية

مع اني تلقيت دراستي الاولى لعلوم
العربية والقرآن ، في بيئة دينية ، على
والدي الشيخ ، وزملاء له من علماء
الازهر .

رغاية ما اطمح اليه ، بعد تخصصي
في النص الادبي ، ان اشتغل بالتفسير
البيان للقرآن الكريم ، لا بأسرار الحكمة
واسم الرب ، وصفاته تعالى الاسمية
والفعلية .



واخري ، لا تقل عن هذا غرابة ونكرا .
اراد «السيد م . جمال الدين» ان
يلبس آية الملق : «خلق الانسان من
علق» فبدأ يتكلم فيما ليس من شأنه : من

تعلقت منه ، فلقاها في الجامعة
الامريكية بالقاهرة ، على «الدكتور محمد
النوبهي استاذ الادب العربي بها»
والدكتور الاستاذ ، كان زميلا لي في
الدراسة طوال المرحلة الجامعية الاولى
وقد تلقينا معا درجة ليسانس الاداب من
قسم اللغة العربية ، ثم تفرقت بنا
السبل ، منذ سافر الى لندن مدرسا
للغة العربية ، وتال هناك درجة الدكتوراه
في الادب العربي ، ثم اشتغل استاذاً
لهذا الادب في كلية غوردون بالسودان
ثم في الجامعة الامريكية بالقاهرة .
اقول هذا ، لاني في حاجة الى التعرّف
بالاستاذ الذي وجه «السيد م . جمال
الدين» الى هذه البحوث القرآنية ، ودربه
على التفسير

واقوله ، لاني في حاجة اليه ايضا ،
عندما اناقش قضية التخصص العلمي في
كتاب اليوم ، واتحدث عما يجوز وما لا
يجوز لامثالنا ، تناوله من الدراسات
القرآنية .

فبلغ علمي ، ان دراستنا للقرآن
الكريم في الجامعة ، لا تبيح لنا ان
نتناوله الا في نطاق تخصصنا الادبي ، من
حيث هو . نص بياني معجز .
وهذا ما تصورت ان «السيد م .
جمال الدين» اشتغل به في تفسيره لسورة
العلق .

اما الخوض في اسرار حكمته تعالى
واسم الرب ، وكونه بمنزلة الاصل من
صفاته سبحانه . فما ظننت ان «السيد
م . جمال الدين» على غير فقه ودراية
ودراسة متخصصة لعلوم : التوحيد
والاصول ، والتكلام .

ذلك لان هذا المجال ، ليس مما يسمح
به لغير اهل

وليس «السيد م . جمال الدين» وكل حصيلة
من النكتة بها ، ثقافة قرآنية تلقاها وهو
بدرس الاداب ويتخصص في التربية بالجامعة
الامريكية .

(٣)

الحكمة في خلق الانسان ، وخمسة بالذکر
في الآية ، دون سائر المخلوقات
ثم كانت المفاجأة !

انتقل السيد الى صميم المجال العلمي
لمضى يبحث في «علم الاجنة» ويشرح لنا
البلاستوسيت ، والنطفة ، والعلقة ، وخلق
الجنين بجدار الرحم ، ووصوله الى
قراغ الرحم ، واطوار تخلفه ، وتركيب
النطفة والمضغة والعلقة ، وتركيب الدم
السائل والدم الجامد .

واستغرق هذا البحث في علم الاجنة
اكثر من عشرين صفحة ، وجرى معه
برسوم وصور واشكال ، مرضحة
للبلاستوسيت ، والتروفوبلاست ، ومجموعة
الخلايا المركزية ، والبويضة من وقت
انطلاقها من المبيض الى مرحلة الغوص
في جدار الرحم ، والنسوة ، والمضغة
في مراحل التخلق الاولى ، وانقسام البويضة
الملقحة في فصيلة القرد !

وحددت هذه الرسوم والصور
والاشكال ، بالاعمار والاطوال ، الى
اجزاء المليون ، ونسبة التكبير في الرسم !
وكانت مراجع السيد المؤلف في هذا
كتب علماء الاجنة ، والتشريح ، والطبيعة
من امثال رود ووث ، وهاميلتون ، وبويد
وهيومان ، وماركيز ، وموسمان ، وباكستر !

فمن قال يا سيد م. جمال الدين ، ان لك
او لسواك من دأري الادب والتربية ، ان به علم ،
ويتجاوزوا ما يحسنون الى مالا

يتعرض لثل هذه البحوث العلمية ، ويشرحها
يحسنون !
ولا انتشر هنا منهج السيد م. جمال الدين
في توجيه النص القرآني ، توجيهها بقبحه
في صميم البحث العلمي ، ويجعل من مراجع
كتب هاميلتون وموسمان وبويد ، وما لا
ادري من اسماء !
ذلك لان المسألة في هذا ، اخطر من
ان تقتل في سرمة وادق من ان تجلى
في مقال . كل الذي اردته بمقالتي اليوم
ان الفت الى حرمة التخصص ، حتى يعمر
تلاميذنا موضعهم ، فلا يتعرضوا لغير
ما يفقهون ، ولا يتورطوا فيما ليس لهم
او لسواك من دأري الادب والتربية ، ان به علم ،
ويتجاوزوا ما يحسنون الى مالا

التاريخ: ٢٥ / ٨ / ١٩٦١



كلام

سندباد
مصري

يقام الدكتور بنت الشاطئ

تغار الاحداث الضخام التي شهدتها
الارض الطيبة على تتابع المسور وتماقت
الاجيال

ولم يتزود لرحلته هذه، بحس الفنان
وعقل المفكر نحسب، وإنما كان معه كذلك،
وحدان مصري مؤمن بسله وتسمه المربي،
فخور بعراة اسله، بمنز بسانس له في
الحضارة والتاريخ، عبره سنة الآن من
السنين.

وكان معه في رحلته، عسدد من الادلاء،
مؤرخين ورحالة، من يونان ورومان، ومن
عرب ومستعربين.

العالم الفنان (الدكتور حسين فوزي)
لقد رحاله منذ اعوام، فطاف بأنساق من
الدنيا، مزودا برشة الرسام وعقل المفكر
وحس الموسيقى، ثم أب من رحله تلك،
فروى حديث «سندباد مصري» كما أب
السندباد القديم من رحلاته المشهورة،
التي كانت سر «شهرزاد» في بعض
نيالها الاثني والواحدة

واليوم، يعود سندبادنا من رحلة له،
استغرقت الآن الاعوام، لالليالي والايام،
سار فيها مع تاريخ مصر الطويل، الخاض

(٢)

لتاريخ مصر « عمل مدرسي » قدمه معلوم « لوزيادا Lusitades » التي كتبها « الشاعر
التاريخي لفلاديمير في حلقته متتابعة » ولست البرتغالي كاموينس F. Camoens
من معلم التاريخ .
فهل هو « كتاب أدب محض » ؟
الذكور فوزى بحسبه كذاك « لوسكا »
لا نرى فيه من الأدب إلا الانتماء الكبير، استدارة حول رأس الرجاء الصالح
الوحداني الذي لا ينفك سيطرته على الكتاب .
من أوله إلى آخره « أما الأداء فليس له
الطابع الأدبي الذي يصوغ الأخبار والانتكاس
والمعاني صياغة بنيانية » ويتناول الأحداث
والواقعات ، فينقلها من جوها المصادي
الواقعي، لتبدو جديدة مبتدعة ، فتقدم بعد جيل
التفسير الأدبي للواقع التاريخي « وتنعكس
سدى الأحداث في الشاعر » دون أن تفرق
شيئا من تلك الأحداث
نأى شيء إذن ، هذا الكتاب لاستبداد
مصري .
من المثير أن تحدد موضعه في فنون
الكتابة التي تعارفا عليها ، فليد ثمر بك
صفحات ، لا تسمع فيها إلا أصوات رواة
التاريخ وشهود الأحداث ، وتتر أخرى ،
تحس مهبالك تنفج على مسرحية تتعاقب
بصور لا مشاهد ، ثم تجيء من بعددها
صفحات وصفية ، بمعنى فيها إلى قصص
سارع بروي أحداثه مشيرة من أعاجيب
الزمان وربما عرفت لك بين هذين
وأخر ، موافق يتناهى اليك فيها من بعيد
غم قيثارة شجر ، يرجع أنشودة حزينة
لنساء شعب ومحنة وطن

هو إذن ، نوع مبتدع غير مألوف ، من
فنون الكتابة والنثاقيل . يأخذ من التاريخ
ما يختار لمصادته ، ويأخذ من الأدب عمق
المعاني الوجدانية ، ومن المسرح أو السينما
قنية الإخراج . ومن الموسيقى جرس الإيقاع
ومليل المعارك ، ويدير الأحداث المتلاطمة
في الخضم الهائل ، ومن التصوير سر الملقطة
وانتقاء الزاوية ، وشطافية العدسة .
ومن العلم فكره الثاقب وبصيرته الناقدة .
ثم يحشد هذا كله في قصة لا كثيرها من
التصوير ، أو لمثلها أدب إلى أن تكون
ملحمة من نوع جديد غير معروف لنا ، وإن
كانت تذكرني - مع الفارق - بلحمة
من الميثولوجيا القديمة .

ولا يسأل « الاستبداد المصري » عما
أخذ من التاريخ وما ترك ، ولا عن مدى
إصراره في النصوص وتوجيهه للأحداث ،
فلقد نفى عن نفسه منذ البداية صفة
المؤرخ ، كما يكون له استقلاله في فهم
التاريخ ، وحريته فيما يختار لمحبته من
أدباء ومؤرخين
ولعله لا يسأل كذلك ، عن طريقته في
الرحلة ، واسلوبه في روايتها ، فقد اختار
نفسه الطريق ، ثم جاء بروي حكاية وطنه
وشعبه ، كما نعلها في وجدانه الموهن ،
وعاها ذهنه البصر

وقد صحبهم الاستبداد المصري وهم
يمشون به تاريخ مصر ، ويضربون في أعماق
الزمن ، ثم آتوا من رحلته تلك الطويلة
المجيدة بروي حديث « استبداد مصرى »
عاش كل هاتيك الأحداث بمعاصره ونكره
ووجدانه ، وبكل حنقة من حنقات شاعره
ونبضة من نبضات قلبه .
لكن كيف رسم خط السير في رحلته
المعجبة ؟

انه يبدأ من النهاية . . .
من لحظة بعينها ، دوى فيها نداء السم،
من نغمة الثوار الأحرار ، في ٢٣ يوليو
١٩٥٢ ، معلنا ان اجرا جديدا قد طلع في
التاريخ المصري . . .
وفي نوره هذا الذخيرة بدأ استبداد رحلته ،
مرفلا في أعماق الماضي ، منتقلا ما بين
مصر العريقة الحديثة ومصر الفرعونية
في ثلاث مراحل :

الظلام ، الذي ران على مصر ، ابتداء من
الغزو المملوكي إلى أسرة محمد علي التي
تسببت شجرتها في الأرض الطيبة ، تنمر
الحنظل ، وتصبح المرء ونجش ظلالها الغبراء
على الوادي ، أشبه بأذرع سوداء ،
لاخطوط مارد سام

الغضب الأبيض والخيط الأسود ،
حكاية إلى عام من تاريخ مصر الإسلامية ،
كل أمجادها الكبار ، وأحداثها الجسام ،
ومشاهد النضال القومي ، على مساحة
البلاد الخليل المربق .

ثم الضياء : يلوح من أعماق الماضي
انسياد كاشفا عن أمرك حضارة عرفها
التاريخ منذ كان ، ومن أصل شعب استقر
ندى في الرادى الأخضر ، بزرع الحياة ،
وبين التاريخ ، وبين صنع المدنية ، وبين
الإنسانية طريقها في نحر الزمان

هل قرأ « استبداد مصر » كل الكتب
التي أرخت لوطنه ، خلال تلك الآلاف من
السنين ، ثم جاء بلخصها لنا في كتاب واحد
كلا . . . فما هو سر ذلك ولا ملخص تاريخ
ولو كان قد فعل ، لقلنا له : إن كتابة « مرجز

رحلة صيف [١] ثقافتنا.. وحيثنا

« إذا لم يكن اتصالنا بالفكر يجرى ، ضرورة تضعها كرامتنا الثقافية ، وحاجة يفضيها وعينا لتاريخنا نفسه ، فليكن استجابة لما يربطنا من جوار وقربى مؤنسية لداعي الود المتبادل ، الذي أزدهر في معترك التحرير ، ولتثبت الأيلام مدى حاجتنا إليه لتلمين مصير مشابه ، ومصالح مشتركة » .

الامراطورية المصرية ايام التحول من الثالث
وان نسلنا عربيا قام بين المصريين وبين
الاسوريين والفرس ، للأمين سلامة صر
من ان يخطأ اعداؤها من هذه الجزيرة
قاعدة للمدون عليها .

ولكن نقرأ تاريخ العرب ، دون ان
يشرطوا بالطلاق اعدائنا الى هذه الجزيرة
استملا لحركة الفتح القوي ، وثابتنا
لنا من وشة الروم بعد ان غلبوا في الحرب
بينهم وبين العرب ..

ونقرأ تاريخ الحروب الصليبية ، دون
مناسبة بالدور الخطير الذي كان لفرس
قنها ، حيث احتلها ريشارد : قلب
الاسد ، عام ١١٩١ لينفذ منها مركز اللوثوس
على العمرة والاسلاب ، في العدة السلسلة
الثالثة . كما نقرأ تاريخ مصر العثمانية ،
دون ان نتسل بتلك الحارة التي خضعت
لسلطان تركيا من عام ١٥١٧ ، الى ان
عاد الاحتلال . بعد ستمائة عام من
احتلالهم الاول لها سناحتلها للنفس الشرق
الذي من اجله احتلها ريشارد . ثم سبورها
مستعمرة من مستعمرات الناح البيطاني
عام ١٩٢٥ ، لتكون قاعدة عسكرية لهم ،
في استثمارهم للشرق الارسط .

الى هذا المدى ، اتصلت الاسباب بيننا
وبين فرس على مسار الزمن ، والى ذلك
الحد ، اوتنطت مصائرنا على مدار التاريخ
فكفى نقتل ثلثنا بعزل من جارتنا ،
وبشنا وسنها كل هالك الصلات .

وجن اسال القوم هنا ، من ملجولهم
حاسي تاريخنا ، احد الحال مندم تسميه
لعمال عتقا : فلقه حرس المستعمرين على
ان يعزلهم ثنائيا من حارتهم القوية ،
وظلوا طوال مصورا الاحلال الانمسا من
على حماة هذه العزلة ، ولرسوا عليها
كما لرسوا علينا . كذا تاريخنا حوسنة
مكورة بالام المستعمرين وملائهم ، ولنا
طوى ما طوى من مائيسا المشترك ، ريش
ماشر من اساد كباخنا القوي المشكاة ،
رشور مائسوه من موافق حمتنا على مقصبات
الحوار ، ودوام ثمة المير ، وشال
المصالح .



بشار الشرق

بنو السام

والسمات والاسن ، في المتحل ول السوق
في الملى والازياء ، في لهجات الحديث
واسلوب الميش عزمك ان الجزيرة استقلت
رواند حصارية من القرامنة والعرب
والترك ، ومن الافرق والرومان مؤنلات
فيها تيارات شتى من شرق وغرب ، فكان
لها من هذا كله طابع لرد ، بكتيمسات
الزمن وامداء التاريخ .

الذالك تقيت لفترة في ثقافتنا العامة ،
فلقد جئت الجزيرة وملغ على بقاربخها
لفعل محذوفا وما كان اكثر من مطالعته
الخامسة لا من الثقافة المدرسية . وليس
خيب من مالى ، اننى لم ادخل . ل
مرحلة قلمى . مودة اندائية ولانثورة
لكنى حين تقدمت لاحتضانها العامة ، لم
اكن مطالعة بان ادور من ذلك اى تسدر
تل او كتر ، واللب ظنى ان عاينه المتعلمين
منا ، بتعون دواسهم افعالة دون ان يداخ
لهم ابقى هلا من الثقافة اللامرسة ، هنى
هذا الذى يوصل منها سارينا اولى اتصال .

لنعم ندرس مصر القرامنة ، دون ان
نلقه الى ان ندرس بدات مدخل التاريخ
المكوب . باسم الاسا . مقاطعة في

من لعلول : لم اشعر بوحدة القوية
حين التقت الباغرة مواسها تربلها سول
وحات الزوارق الدخارية نقلنا الى ارض
الجزيرة العربية التي لم اكن رايها من
قبل . فلقد خيل لى ، والرحلة اليها من
الاسكندرية لم تستغرق غير ليلة واحدة
وبمضى ساعات من تهل . اننى استطع
ان ابح بلاوى على اقصى حرمى البصر
كلما استقلت الجنوب ، وظلت القلب نحو
الديار الخليات ..

وطامتنا هنا وجوه تحمل سمات شرقية
ومصافت اذاننا كملت عربية فتعتقلونا
لهذه الجزيرة التي وسطنا بها من تدم
وشائج القوس وملات الحوار .
وعلى مقربة من الميناء ، كان المسجد
اول بناء خطت عليه اسوارنا ، ومن حوله
تامت مخاجر تحمل اسما عربية مصممة
وان كتبت بحروف غير عربية . وبدا
الطابع الشرقى مسيطرا على الحى القوي
من الميناء ، كان لم تسمه يد اجنبية ،
ولا جئت خلاله اذام الغرباء الذين
احطوا بالجزيرة لدى قرون ..

ومن اللندل المثل على البحر ، اتنا
اياما فمدنا ان تطول ولم حرارة الجو
ورطوبته ، كائنا كان يؤمننا ان نخل سايح
مساء ، على هذه الاجواء التي تملتنا وطمنا
ونملنا منه في ان . وعلى سطحها الخافق
المنجرج ، لاحت لنا رؤى مائى بعيد ، اذ
ربتت لكراء في راحة البحر العبد ،
الذى لبث طوال الاى من السنين ، بشهد
جوع الرافدين الى الجزيرة مست شتى
الاجناس ومختلف النواع ويرسد وتسم
خطراتهم على سهرلها رجالها ، لم يلقاهم
مائدته منها ، قد امتعت عليهم سفورها
المنبهة ، وودهم البحر الامر من حيث
جاءوا ..

وعسى نازل المدينة اظمى انوارها
الطويل الذى اهد اكثر من خمسة الاى
سنة ، لاذ الشواهد قائمة في كل مكان :
ل المسجد والقبلة والدير ، في الامح



والآن اولد انحاب منسا م كلمنا م
ملاطاب الاستعمار ، ان لنا من نعدشابه
باريخنا الذي الح عليه الاستعمارشويها
وسرا رملنا ، ان نلعب الى هذه الحاره
التي لا تحس لنا عن صداقها ولا لني لها
عن مودتنا . ولوشهد قومي ، وفي الناصرة
الاحرار حينما كسفت حريده ، ماكن عن
المزاجه الدنيبة ، ولوسعدوا ما سمعته هنا
وما سمعته مثلي اكثر السالحين من المبرين
ان قمرس ، لا يتركوا يدى حاجتنا الى ثباته
مخالفة ، فاذى هذا الشعور الحقيقى
الحوار ، وراجب الزميلة في التنازع المشترك
سد العذر ، من كان

نقول ان يشتر خبر المزاجه الدنيبة ،
كانت حديث من نلني من الدم هنا ، ولقد
بلغ من سخطهم على يدويها ، وايدها
استضافة قدرها ، ان احاطوا بنا حيث
ارائنا ، يتخذون لنا من الخطة الدنيبة ،
ويباركون القوس الشريك الذي اس ان
يسمع ثمره ، وحرى امته للشيطان ، ويدعون
بسلامة والنصر ، لا يمل القوس الذي
لم يشطه كفاحه في بلده ، من كذا بهرانه
التسامح من اجل الحرية والاستقلال ،
لذا لم يكن انصافنا الفكري بحر الشال
اندرس ، سرور تحتها ملنا كرامتنا
النابية ، راحة بانسدها ومننا لناربنا
نلسمه ، فامكن استجابة لما يروطنا من
حرار وتروى ، وطية لداوى الرد المسائل
الذي اودع في مبارك التحرير ، وانفت
الايام والاحداث يدى ماكننا اليه ، لياين
مصر مناسله ، وحملة مسلح مشتركة ،



ونحمة للناصرة الفرام ، الذس القذرا
مدا المال ، ان لسائر الاحرار لمسن
بشاعة شسرى بالاسرليتي والدولار ،
وان شرفهم اشع من ان يشع لاشراء
المشم الاسفر المسود ، ويقتل في مسامرة
على النذر والخيانة ، نظم خسفن العا ،
ان ملاين من الخسفات ا نيل من سدى ا
رمل من يزجر ا
الولد جادهم من الانباء ماله مزجر م
حكمة بالقة لما نفنى النذر ، فتول عنهم
يوم يدعو الدامى الى شىء نكر
سدى الله العظيم .

رحلة صيف ٥ الأصداء الأدبية لمعركة الحرورية

وعلى هذا حول مقال :
عمره التخصص وورقه دفعه

يقام الذكورة

نسب الشاطئ

البيات الأثرية ، بحيث لم املك نفسي تحت ضغط الحاج الكبة علينا لدى ثلاث ساعات ، من سأل سائق السيارة عنها ، فأخاني وعيناه سألان برمتي من الحنو والفخر : ايوكا !

ولما سألته ، ان كان يعرف بعض رجالها ؟ قلت نحوي ونسرا عن المنحنيات الخطرة في الطريق المنحوت على شفا الهاوية ، وتال لي بده وعناد : كل القبارصة ايوكا !

وامسكت انفاسي من فرط التلشق والذعر ، وانا اري بده تنظي عن عجلة القيادة ، لتؤدي بالاشارة والحركة ما قلناه شفناه :

— تكلم .. من الطفل الصغير ..

((بحثت هنا عن قصة الادب مع هذه الثورة ، فالفيتها محفوظة في كل صدر ، وحديث كل ساهر ، وأمانة في ضمير الشعب)) .

من بلانرس : لم يكن لي حساس قط يوم رحلت الى قبرص ، انني سوف اشغل بالكتابة عنها أثناء اقامتي بها فلما جئت اليها التفتي فترة راحة واستجيت . وما ابلت انني زهدت في الراحة ، بل لا اتول كذلك ان الذين يملول هدهم بالمل ، فلما يأنفون الركون الى الفراغ او يستريحون لذة الكسل والتأمل ، وانما يكتب عليهم ما عاشوا الا يحدوا راحهم الا في المل السدائ ولكن شينا ما ، في جو هذه الجزيرة اغرائي بالكتابة على الرغم مني : فملس طول الطريق الوعر ، المسعد على السفوح المسخربة من «المسارول» على ساحل البحر الى مصيف « بلانرس » الجبل ، كانت هناك كبة واحدة نطالعنا هبشا ادونا انصارنا : منحوتة على الصخر ، ومنتوشة على جذوع الشجر ومكبوة على حدران المساني والملال

(٢)

الم، الشيخ المسن ا
أهم ما لمسك بشجلة القيادة ، ملتفتا
تجلى : ما جاز منحنى خطرا ، لبشر
التي وكمر من أوكار المناوبة ، أو اثر
من آثار المعركة ..
ولم اخذ حيلة تحصر انشاعه في قيادة
السيارة، إلا أن انشاعه بالنسبة ، في
رحلة بطنم الخطر في كل زاوية منها ،
فلا يدع لعين أن تدور أو تنام ..

ولمنا ماكننا في هذا المصيف الحلي
الوديع ، وما أزال مشغولة السال
ثورة هذه الجزيرة وادبها ، أسائل
منها كل شاد ورائح ، وكأنى موكلة
بالبحث من شيء أضعته ..

وكان هناك نملا ما أضعته : فالذى
تله من هزلنا الثانية من جيراننا
النفارسة ، ينال مثله من جهلنا بأدب
هذه الجزيرة ، ومراحل تاريخه ، وأعلام
رجاله ..

المو سألت خمسة المثقفين ههنا ، عن
اسم ادب تيرسى واحد ليزوا رموسهم
لا يحبرون ..

بل لملك لو اتجهت بالسؤال الى
اساذة الادب بنا ، لما استفوك بجواب
ومشانا الثانية والادبية ، مشغولة
على اختلاطها وتمددتها ، بالادب الفرنسى
والانجليزى والأمريكى ، عن آداب أهم
أخرى صورت كفاح الشعوب ضد
الاستعمار ، ونفاتها من أجل الوجود
الكريم ..

لإدارة الثقافية لجامعة الدول
العربية ، ترى من صميم اختصاصها
وأجل مهامها وأخطرها واجابها ، أن
نمد لنا ما سبق أن ترجمه خليل مطران
وأبراهيم رمزى وعوفى إبراهيم من
مسرحدات شكبير ، ولم نسمع أن هذه
الإدارة فكرت في مشروع كذلك الذى
نهضت به وزارة الثقافة في دمشق
لترجمة أعمال الأدباء العرب ، الذين
سرق الاستعمار لسانهم العربى ، وأجبرهم
على أن يتحدثوا بلسانه ويكتبوا بلفظه !

وزارة الثقافة ههنا ، مشغولة بمسئلة
التحان لترجم ما تسميه «روائع المنبرج
الفرسى» أمثال مسرحيات ابن وادبون
روستان ، حتى التي ترجمها لنا من قبل
أدينا العربى الكبير مصطفى المنفلوطى
ولا أدري متى توجه الوزارة بعض
هذا الاهتمام ، الى ادب اخواننا في
الشرق الاسوى الإفريقى ، أو ادب
جيراننا في قبرص وبالطة وصلاية ، وبقعة
شعوب البحر المتوسط ممن اتصلت
ببنا وسنهم الأسباب من قديم الحقب

والعصور ..
وأم أسمع ان المجلس الأعلى للفنون
والاداب ، استضاف أدبا قبرصيا بصكى
لنا قصة الادب مع هذه الثورة التي
سبغت أديها الجزيرة بحروم الاستعمار
أز جن جنونه ، بمجرد أن سبغ نداء
الحرية يعلو من شعاب الجزيرة ومخورها
السم السلاب ، ولا علمت أن أحدى
كليات الادب في جامعاتنا ، استقدمت
أسانذا رائرا من قيرس ، يهانرنا في
ادب هذه الجارة العريقة ، ويكشف
لنا عما صنعت أدبها بهذا الادب ، وما
سنع هو بها ، ولها ..

والليالى تير ، وسامر الحى لا يمل
رواية قصص النشانيين الأحرار من باعوا
حياتهم للوطن وآثروا أن يموتوا كراما
على أن يعيشوا أذلة أرقاء .. ومن
أهل الحرية ، عدد غير قليل ، عاشوا
في عصر أمروا خضبة راضية ، أيام
كان كابوس الاستعمار جاثما على انفس
الجزيرة يستغل مواردها ويستأثر بخيراتنا
ودسخر طاقاتها المسممة لخدمة سياسته
الاستعمارية .. وقد أبوا الى ديارهم
الأولى بعد أن ترحل عنها الكابوس
البغيض ، لكنهم لم ينسوا قط مصر التي
أكرمت مثاهم وكانت لهم وملنا ثانيا ،
ولم يتخلوا عن لسانها العربى الذى
ارتشوه لسانا لهم في غربتهم ، وانهم
ليانسون البنا كما نأسى بهم ، ويسترحون
في جونا بذكرات ماضيهم في رموسنا ،
وبريطون قصة ثورتهم بثورتنا ، ويعتزون
بما قدموا لبيل الحرية من قرابين ، وما
غذوا به نارها المقدسة من دماء الشهداء
والمسرح لا يزال عابرا مآثر الصراع
المزير ، والمخور لا تزال ترجع أمداء
المركة الباسلة ، وسامر الحى لا يفتأ
يليل بنا ، في هذه الامسيات النسيبة
المقترية ، على المقاع التي شهدت صراع
الأمم ..

وبصبح الصبح ، نأهط من بثرنا
الثانم منفردا على الفروة الشباء ،
وأجوب انحاء المدينة طائفة بالمحصر
وباعة الكتب ، أسألهم عن الكتب الأدبى
الثورة ، وأتمسك أبطالها المراسل ،
فيجيبني من القوم مجيب :
انها لم تكتب بعد ، ولكنها ستوى
تكتب حتما لنقرأها الاجيال من بعدنا
وعنى اذا لم تكتب في هذا الجبل ،
فانها ستظل أبدا في ضمير الامة ، ميراثنا
قويا يحدسنا بملفاه الأبناء عن الإساءة
جلا بعد جبل ..

(٣)

تلقينا من الدكتور محمد النويهي الأستاذ بالجامعة الأمريكية ، الكلمة التالية، رداً على مقال حرمة التخصص :

قرأت في صفحة الأدب ، نقد الدكتور بنت الشاطئ لكتاب تليد السيد محمد جمال الدين عباد في تفسير سورة الملقوت جعلت منه الزميلة النائدة موضوع قضية أدبية عن حرمة التخصص ، ويهمني أن تلمن الزميلة ، إلى أن المأخذين الكبارين اللذين أخذتها عليه ، هما من المواقف العديدة التي خرج فيها الأستاذ عباد ، على الطريقة التي تعلمها على ، في تفسير القرآن . وله بالطبع الحق في أن يستقل بمنهجه ، وهو نفسه قد أشار إلى أنه قد خالفني في أشياء .

والذي ، وإن من الخطر على تراثنا أن نربطه بآراء ربما يقدم العلم تفسيره ، وقتله بها فيما بعد .

مرة أخرى ليس معنى هذا أنني أنكر على دارس الأدب أن يستعمل في فهم الأدب بالحقائق والآراء التي أعطاهها العلم الحديث عن طبيعة الكون والحياة والنفس البشرية ، بشرط ألا ينسى دارس الأدب أنه نائل مستفيد وليس حجة أو ثقة .

ومن الأدب (عبد المنعم سليم) تلقينا الكلمة التالية ، رداً على ما نشر في صفحة الأدب من نقد لجموعه القصصية (ورقة دمه):
أول ما استلفت نظري هو تلخيص قصة "يوم جديد" ثم الخروج بها من هذا التلخيص إلى مجال الحياة نفسها . أي أحالتها من بناء يستند كمانه من العلاقات من أجزاءه إلى مجرد خبر .

ولو أننا سرنا في الاتجاه الذي سار فيه كاتب هذه السطور لتلنا أن قصة الحرية والعقاب لمستوفسكي ما هي إلا قصة شاب ذهب إلى مائة وثلاثين ومربع دواجرها وتغودها ثم حكم عليه . واستحدث بذلك رواية مستوفسكي رواية ثانوية متكررة بوجهات مئات المرات

ولو سرنا في نفس الاتجاه لتلنا أيضاً عن قصة المجوز والبحر لهنري جوى أنها مجرد قصة رجل صياد أسماك مسيكة كبيرة وأخذ يجرها إلى الشاطئ ثم أكلها

للمأخذ الأول : خولته في مسائل أصولية دأبته ، لم يأخذ بهنى ، لأن لا أساساً لهذه المسائل إلا أن يكون مجرد عرض تقريبي لما قاله المنسرون المختلفون لأن دراستي للقرآن - كما يدل عنوانها الرسمي - دراسة تاريخية أدبية ، لا تناول المسائل الدينية الصرفة إلا بالسر والتاريخي وأنا أخذ الأستاذ عباد هذه المباحث من تربيته الدينية السائدة ، ومن أملاعه عليها أملاعا واسما دمه إليه محض شغفه الشخصي بالدراسات التاريخية . وليس معنى هذا أنني استنكر منه أن يعرض لهذه المباحث ، فإن ليس لجبال الشخص في دراسة الأدب ، يخلط عن فهم الزميلة النائدة .

والمأخذ الثاني : ادخله في تفسيره الكثير من التفاصيل الطبية الدقيقة ، بعضها حقائق طبية استكشفها العلماء المحدثون وبعضها مجرد نظريات وتخييلات ادلوها بها بحيلة وحذر . لابد أن النائدة أدركت من كتابه أنه من الذين يعتقدون أن القرآن الكريم مشحون بالأسرار العلمية وأنه سقى العلم الحديث إلى مختلف الأمور بها نمها نظرية التطور والنسبية والجاذبية الخ - وهو في هذا لا يستند من شيء قائم في محاسراتي ، بل هو بخالف مخالفه تامة تحذيري القوي الذي الحجت معه ، وهو تحذير استندت فيه إلى الحجة القوية التي تعلمتها من أسسنا الخولى حين لفت أنظارنا إلى أن العلم دائم التعديل

١٩٦١/٩/١٥

(٤)

بأنه الذي مات أو بآله اشرف .. ثم
لماذا لا تكون أيضا ان الحياة أقوى ولما
من ان يمثلها الموت ؟

واضح «الناقد» على انه يوجد تشابه
من عالمي «سبي» «سبي» «سبي» «سبي»
وشاهر الامر ان يمثل التمسح طالب
جامع حقا .. الا ان ذلك لم يمن ابدأ
هذا التشابه ، ولو صح ان هناك مشكلة
في التمسح لا يمكن ان تقول ان المشكلة
في الاولى هي مشكلة الاسرة وفي الثانية
مشكلة الطالب يمثل نفسه وبذلك يصعب
ايجاد هذا التشابه ، ثم ليس خطا ابدأ
ان بنجد اثنان في وظيفتهما في الحياة ..
طالما ان جوهر الشخصيتين مختلف تماما
وان الشخصية في كل قصة متكاملة من
البداية الى النهاية وان الحدث في كل
قصة مرتبط بالشخصية .

ويقول «الناقد» عن قصة «رشوة» انها
انتهت بخطاب وعش . وانا اقول له منذ
متى كان الحوار بين الشخصيات يعتبر
وعشا طالما ان الاديب لم يتدخل بعونه
وشخصيته ، وانا لم ادخل ابدأ بل ان
هذا الحوار جاء نتيجة طبيعية لشخصية
الطل وبنسبة حثية لموقفه من هذه المشكلة .
اما عن الحوار الميت في قصة «الذكورة»
نقد ذكر «الناقد» نفسه في بداية مقال
ان شخصيات المجوعة حية بحيث تستطيع
ان تسبح وتبح اذابها .. ولست افهم
كيف يكون هناك حوار ميت من اشخاص
حية .

الاسماك منه .. ولعلنا انه منذ وجد
الحياة والاسماك تأكل بعضها ، ولم يبق
لنا بذلك «منجواي» شئنا حددا .
ونعود الى قصة «يوم جديد» لنجد ان
«الناقد» اخسها :
رب اسرة ثروية ، نقل الى المشرقة
دائن ، جاء الموزون ، انصرفوا ، دامت
مثل القصة انه اشرف ثم يستحم ويأكل
وفي الصباح يذهب الى عمله - كانه يوم
الصحاحية .

ورأى في هذا - بالانفالة الى ماسبق
ان ذكره ان العمل الفني ليس مجرد تلخيص
بمستحيل ، وان اراد التفاصيل «منا مهم
اذ العمل الادبي لا يمكن استخلاصه من
مجرد هذه السطور كما يستخلص الخبر
من الصحيفة .. لان العمل الفني يستند
متوالية من نفسه وليس من معنى آخر
خارج عنه .. ثم انني لست افهم لماذا
النه «الناقد» من انني اردت ان اقول
«ان الحي انني من الميت» .

سألوا «بوياسان» برفقاذا معنى «تمسكك
في نسوة القبر» فأجاب : قد تعني ان
الحب جميل وقد تعني ان التساوسة دائما
بخطئون .. وقد تعني اي شيء آخر
الناري . فاذا اخسنا قصة «يوم جديد»
في مجلة تفريرية نقول لبها «ان الحي
انني من الميت» فقدت القصة كراخها
ومعانيها ووجدتها نقد تكون ان الحي انني
من الميت .. وقد تكون احساس الابن



نابش "الغاذورات" !

بقيام الدكتور مصطفى السباعي

وتعليق: للدكتورة بنت الشاطئ

جاء في مقال الدكتورة بنت الشاطئ عن « الخصومة الفكرية » بعد التسليم بأن عددا منا قد تأثروا بدراسات المستشرقين المسمومة ما يلي : « اتلقاهم بالقذف والسباب ونستحصل اتهام المتأثرين منهم بالاستشراق ، بالخيانة والمروق والكفر ؟ أم نتبع أخطاءهم فنردّها عنا بالحجة والبرهان ، ونخفضها لفحص علمي واع يكشف عما فيها من انحراف الفكر وفساد المنهج والتواء البحث وضلال الرأي ؟ ! »

وانا فكلامي « السنة » كانت بها التشريب الاسلامي « سلقت الطرقتان ، ففقدت الآراء ، وتارعت الحجة بالحجة ، واعترفت الكاذبة بذلك ، قالها الاول « المستشرقين » ولم تلجأ الى السباب والشتم ، بل انشأت في مقدمة كتابي قلت عن هؤلاء اننا لا نشك في « صدق » اسلامهم ، وراها بعض القراء بمالفة بني في تحسين القرن دوم . . . اما الرواية التي نقلتها عن الاستاذ احمد امين رحمه الله فلم تكن هي اساسي اسبابي له بالتأثر بالمستشرقين ، وانما تألفت آراءه ، وسبقت مأخذها من اقوال المستشرقين ، وهو نفسه رحمه الله قد اشار الى مراجع بحثه في كتب المستشرقين فلم يقرأ من ذلك بل ربما انشغل بهما هو المهذب بكثير من باحثينا الى عهد قريب ، حيث يرون الاستناد الى اقوال المستشرقين والرجوع الى كتبهم من دواعي الثقة بأبحاثهم وانشاء الصفة الطيبة عليها ، على اني لم انشر هذه الرواية وانا مطمئن الى ان الاستاذ رحمه الله لن يستطيع الرد على او فكذبها ، فالتسدد نشرت بعض هذه الاماكن او اكثرها واشتدت الى تأثره بالمستشرقين في كل من محلي « الفقيه » و « الرسالة » في حله واطلع عليها ، واعترف بأنها اول رد مطبق على ما جاء في « فجر الاسلام » كما قال ذلك عنه الدكتور علي عبد الواحد .

التاريخ: ٢٣ / ٩ / ١٩٦١

(٢)

أما ما ذكرته عن مؤلف كتاب «أصواء على السنة» من أوساط «أبن الحنظل» انسابها وهي كلمات معدودات من صفحات تجاوزت الخمسين ومن كتاب يزيد على خمسمائة صفحة «بما يومه القاري» ان هذا هو كل ما علمته في الرد عليه ، وإذا جاء بعض الوصف فاسبا فماذا اعمل بعد ان ثبت بالدلة والبراهين انه كان كذلك اما «التورع» من انهام احد بسوء الفنة فهذا شيء محبب ، ولماذا ترقى الثانون مع سوء الفنة ونحن حسنها في عذوبات نشر من الجرائم ؟ . . .

ثم ألم ندهم جميعا اكثر المستشرقين بسوء الفنة في انجائهم وومئذ انعم بفرضي الهميم لتراثنا الحضاري والفكري ؟

واخطر بالي المخال انكار النافذة على انهامي ، مؤلف كتاب «أصواء على السنة» مقال الاكاذيب التي روجها النعويون على كرام المسلمين ورموني ذلك بأنه فني «الناذورات» لانتمسقه في هذا العصر

لقد ازعجنا هذا ما اعتبره امرا خطيرا و«غليظا» بحجة انه يصادر حرية البحث العلمي ، وان علمانا قد ردوا على الكثرة والملاحدة وان عدم المسابح بيننا المسائل التاريخية بغير «اننا علمنا وخمسة قديمة» ان الموسوع الذي انكره على ذلك المؤلف انه حذا كلمة بالروايات المكدوبة التي دسها النعوية من مجوسية يهودية على عتبات رحلتنا ، لقد ظفرت تلك الاكاذيب وملاها كتابه من غير بحث ولا محسوس على مع اننا نعرف الظروف التي قبلت فيها تلك الاكاذيب والنواحي الشعبية اللينة التي ادت الى ترويجها لتهديم سمعة عتباتنا الذين كانوا على راس ذلك المجد الحضاري من فتوحات وعلوم ، ولانسك في ان سلفنا قد نفيه لذلك كله فوضع تلك الاخبار في «بسمها اللاتي بها من الزيادة والاعمال ثم جاء من فندها وبين تهافتها ، فإذا جاء اليوم من ينفي ذلك الخلاف المذهبي المنفي ويروج تلك الامانات الموجهة الى عتباتنا لم يكن لكل فيبر على امته حريص على استقامة نهضتها الا ان يستكر نكس تلك «الناذورات» ومنه الرأي العام الى خطرنا

ان الائم العلمي والخيابة القومية هما تهديم سمعة اكرم جيل عرفه تاريخ الانسانية استباح ان يذبحه اذل حضارة وسجل اروع محاد ونحن لاندعي العسمة لمعلمائنا ولكننا ندعي - والتاريخ ثابت يؤدنا فيها ندعي - ان لهم من الفضائل النفسية والخلقية بالم يكن لجيل عرهم في التاريخ ان جازنا سديم هذه الفضائل الثانية باسم العلم فهو جاهل ، او باسم الحرية فهو مستعبد ، او باسم الحق فهو مظل ، واخذ بخلاف ذلك الزمن الذي جهد فيه الاستعمار جهده ان يثبت في اذهانتنا احتقار حضارتنا وعظمتنا ففشل ، ونعمنا بالحرية واسبحت القومية شعرا رسميا لحجج شتاتنا واستكبال تحورتنا ومناعة الدور الحضاري الذي قامت به امننا فبنا بضي .

دعينا ننسرح : حل الاومة العربية التي نميش في ظلمها اليوم ، هيبة الجذور بحيث تصل حاضرتنا بسانسنا ، ونسنع بسفطاننا احسن صنع وابقته ، ام هي شجرة جديد لا صلة له بذواتنا وتاريخنا ؟ وان كانت مرتبطة انسله بالماضي فاخذ احسنه ودع اسواه ، فهل نسمي بالشعوبيين والهداين ان يشعروا لنا هذا الاحسن ؟ تسفاب السيدة الكاسة ان تدافع عن شفاء ما اوتيت من قوة بيان ، واسطلم ان الركاد لها اننا سنظل نعتبر كل ترويج لاكاذيب الماضي ضد عظمتنا ، نبتس للناذورات

(٣)

روجها كرمها من وجوه الشعوبية الخائفة
 نخفي وراءه المجوسية واليهودية
 والاستشراق والبشر والاستعمار ..
 ويصدق السباعي

تعليق

توقعت ان يخلف الراي في مقالتي عن
 "الخصومة الفكرية" وقد صرح بانوقعت
 بالثابت في انظارى اثر هودتى من رحلة
 الصف ، عددا من الرسائل ، اخبرت بها
 هذه الرسالة للاستاذ الدكتور مصطفى
 السباعي ، اقرارا منى بحقه في الرد على
 وقد كان مواقف من خصومه في كماله من
 السنة ، موضوع المقال .

لكن الذي لم ابرحه قط ، هو ان يظن
 الدكتور السباعي - وبطله السيد مدني
 الذي من حمى ، وانسد صلاح الدين
 اسماعيل من القاهرة - انى تصديقا كانت
 الى الدفاع عن احد من تعرض لهم
 الاستاذ المؤلف بالحرب والايهام - ذلك لاني
 لم اسأل الموضوع الا من حيث هو قضية
 عامة ، تدور على الالتزام بناليد الخصومة
 الفكرية ، وقد بدت بالسلم باننا "منظرون
 بعدد من علماء المنطق في الخمسين ،
 يروحون ايضا امامهم ويقتون في الحق
 الروحاني والفكرى ، بذور الشك والايهام
 من غلة واستهواء ، او عن عمد ورفعة
 في الظهور بشهر النهر الفكرى . وقد
 فانسوا شمس المادى ، اناجيت حاسنا
 الفكرية بشارت وحيلة ، لو نستغلهم فربما
 يصدرها لهما ست المستشرقون من رسوم
 باسم البحث العلمى .

ثم ادركت المتل كله ، على افتراض
 صحة اتهام هؤلاء الذين جرحهم الدكتور
 السباعي ، فان موضوع القضية : (باي
 أسلوب نغارم هؤلاء لنحمي وجودنا المعنوي؟)
 وكنت كمنى الاخيرة انه ، ان دعوت الى
 الكشف عن باطلهم ، ونعريفه لنور الحق
 بطله ونزعه .

اما ان اياه هذا الاتهام السريع ، مستطعم
 الكاسة ان تدافع عن نساء بما اوتيت من
 نوة سان ا .

رواه ما اردت منى مما كنت - متفحلت
 انتم - الا الدفاع عما اراء حقا ، ولولم
 تدع لى كلمة الحق صديقا .

وفي هذه القضية ، رايت انه كان مكفى

الاستاذ المؤلف ، ان يلقى خصومه بالحجة
 والبرهان - وقد فعل - وان يتكسف عما
 ان كسهم من رسوم الذين انصرف بهم الهوى
 وانسلهم التعصب ، دون ان يبعد الى
 ايهام الاستاذ احمد امين والشيوخ ابوية
 اميا كما عن السحابى "ابى هريرة" رضى
 الله عنه ، بحيث التفت وسوء العقيدة (ص)
 ٣٠٤ ، ٣٤٣ "ولمفنة النفس" ٢١٣ "وعنى
 البصرة والحقد الاسود" ٢١٥ .

وكنت في انكارى لهذا الاسلوب في الخصومة
 الفكرية ، متأثرة بتدبيرى لجامعة الدكتور
 السباعي . اما وهو يرى غير هذا الراي
 فليكن عذرى لديه ، اننى متأثرة قبل ذلك
 بأدب الاسلام في الخذل والخصومة والاتباع
 وقد درست علوم الحديث ، ارايت رجالة
 يجرحون بالضعف ، والكذب ، والندبى
 دون ان يتجاوزوا هذا ومثله الى الحكم
 على النوايا ، والقبائل ، والعقيدة

عذرى اننى قرأت في السيرة ، ان
 بعض السحابية خاشوا في (الحديث الاكبر)
 ومنهم حسان من ثلث شاعر الرسول ،
 وقد جلد فبين جلد ، ولم يتبه احد مع
 ذلك بحيث التفت وسوء العقيدة والحقد
 الاسود وعنى السيرة ، ومثلة السيرة
 عائشة بنت ابي بكر : زوج الرسول ،
 وام المؤمنين ، ليست اخون على الاسلام
 والمسلمين من منزلة ابي هريرة ، والذي
 قيل فيها من الاكبر ، لانفاس به كل ماكتبه
 احمد امين وابو رية وسواهما ، لى ابي
 هريرة ! !

وانا بعد ، لم اخذ الدكتور السباعي
 بما لم اخذ به نفسى : نفسى خصومتى
 الفكرية للاستاذ المتاد مثلا ، لم انه
 بسوء العقيدة وعنى البصرة والحقد الاسود
 حتى نسب رايه في المراء الى القرآن
 الكريم ، ثم اعلن ان رايه هذا هو راي
 الخالق سبحانه عما يفتنون - وانها
 احكمت في الخلافتنا الى الله ورسوله ،
 وعرضت اقوال الاستاذ المتاد على كتاب الله ،
 ناذا البائل راي .

ويستطيع الدكتور ان يرجع الى كل ما
 كنت في معارك نقدية ، نسرى انى التزمت
 وانها بما ادعو اليه من ناليد الخصومة
 الفكرية ، فلم اهتم احدا ببحث النعوتفساد
 العقيدة وعنى السيرة والحقد الاسود ، الا
 ان تكون زلة فلم استغفر الله منها .

التاريخ: ٢٩ / ٩ / ١٩٦١

(٤)

وانا لنظرك من المكاذيب»
وقالوا للشعب: «يا نطقه كثيرا بما تقول
وانا لنراك فينا ضعيفا ، ولولا رهطك
لرجمناك وما انت علينا بمميز» .
وقالوا عن موسى وهارون : «ان هذان
لساحران يريدان ان يخرجاك من ارضكم
بسحرهما» .
وقالوا لمريم : «لقد جئت شيئا لحرما
يا اخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء
وما كانت امك بغيا » .
واتهموا خاتم الانبياء بالكهانة ، والسحر :
« ويقولون اننا لناركو الهتنا لشساعر
مجنون ؟ » .
«كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول
الا قالوا ساحر او مجنون» .
ولم يطر القرآن لومة الا لك في ام
المؤمنين ، بل جاء بها آية وعبرة .
« ونفرا فيه :
«عسى وتولى ، ان جاءه الاعشى» .
«يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك
تبتغي مرضاة ازواجك» .
«وتخفى في نفسك ما الله مبديه ، وتخفى
الناس والله احق ان تخشاء» .
كما نقرأ في السيرة ، وطققات الصحابة ،
فما نرى السلف الصالح طورا قاذورات
الخبير يوم وشتم الاعداء ، بل ما نعلمهم كبوا
يوم صاحب الرسول يوم اخفى عليه
السلاسل اسلام (عهد الحديبية) وقد كان

ولننظر فيما وصفه الاستاذ الدكتور ،
بانه اخطر ما قيل ، يعني موافق
بن «نبي القاذورات» .
والاستاذ يتناول التسمية هنا من زاوية
خاصة ، ويحصرها في نطاق «نجر الاسلام
واضواء على البيئة» على حين تناولتها من
الغالب العام «مخيلات الحرية من يتكلمون هذه
القاذورات» بغية تنقية جونا من اوسارها .
وكان رأيي : «ان عدم التعمق لنبي
هذه المفتريات ، وتوكها مدفونة مطوية ،
اثم علمي وشياني قومية ، لان تجاهلنا اياها
لن يمنع بقاءها حيث هي : تسبب عقول
من يطلع عليها من القراء والدارسين ،
وتحرف بوجدانهم بدلا من نبشها وتعرضها
لنور الحق يطفئها ويذهبها » .
فكيف تصور الدكتور اني اشجع على
ترويج المفتريات ، اهذا بعد ان استشهدت
بالآية الكريمة : «بل نكذب بالحق على
الباطل فيدفعه فاذا هو زاغ» ا
ياسيدي الاستاذ اذا لم يرفض ان تحنكم
الى حرمة المنهج واثبات الحق والملم ،
فاني لا علم انه يرضيك ان نرد الامر فيها
اخلفنا فيه الى الله ورسوله :
القرآن الكريم بين ايدينا وفي صدورنا
ما نعلم انه طوي شتال الكفار في الانبياء
عليهم السلام .
كذبوا نوحا (وقالوا مجنون وزدجر)
وقالوا ليهود : «انا لنراك في سفاهة ،

التاريخ: ٢٤ / ٩ / ١٩٦١

(٥)

ثم ما الرأي ، وثالثنا جمال ، لا يكتم
عن الشعب مختربات اعدائنا ؟ انتوكل
اليه باسم التوبة العربية ان يدعها طوبى
مدونة ، وان يصدر قرارا جمهوريا
يحرم على صحفنا واذا عتقنا بنش القاذورات ؟
لقد كان الظن بالاستاذ الجليل ، وقد
نقل في كتابه ما نقل من مختربات اعداء
السنة ، الا يدعو الى «ان ننظر في ما مضينا
فنأخذ احسنه وندع اسوأه» بل يجاهد في
الدعوة الى نشر تاريخنا كله - بأمانة
ونزاهة - لكي نستكمل وعينا لذواننا وادراكنا
لحالتنا ونهبنا لتاريخنا ، ولكي يكون لنا
من امجاد ما مضينا ما يغذى طموحنا ، ومن
اخطائنا - وجل من لا يخطئ - ما يؤمن
طريقنا ويثينا مشرة السير ونسلا السبيل



مرة اخرى ، اتول للاستاذ الدكتور :
اننى معه - قلبا ولسانا وقلبا - في
المسخط على من يبتسون هذه القاذورات
بنية افساد وجودها المعنوى ، وانى لارجو
ان يكون اليوم معى في الدناع عن بنشوتها
ليخلص لنا تراثنا النكرى والروحى ، نقيا
من سمومها .
وهو مرجو ان يفعل ، لو خرج بالقضية
الى افتقار العلم ، كما اردت لها ان تكون
تحت شعار الآية الكريمة : «بل ننذنه
بالحق على الباطل فبدنه» ، فاذا هو
زاهق .
اذ ذلك لا يكون بيننا ، فيما اظن ، خلال
لان التى تدعو الى الامانة في دراسة تراثنا
ولو كان فيه مالا يرفضنا ، لا يعقل ان تشجع
اى انحراف او تضليل ، لتشويه هذا
التراث .

والا ، فليكن لى على الاقل ، عند الاستاذ
الجليل ، حق المخالف في خصوصية فكرية
شريفة ، لا يراد بها الا وجه الحق ،
والله يهدينا سواء المسيل
بنت المشاطىء

لهم فيه رأى غير الذى رآه الرسول
بحييمه وبعد نظره ...

فهل هدوت عدى القرآن ، وثالثنا السلف
الصالح ، حين كرهت واكره للدكتور السامى
ان يدعو الى الطى مايسوء من تاريخنا ؟



ويقول الدكتور : انها القومية العربية
وانه ليسمع الرئيس جمال - حامل
لوائها - يكشف لنا في كل مناسبة عن
مختربات خصومها ، وانه لنقرأ في صحفنا
صباح مساء ، مانقله من هذه المفتربات ،
عن صحف اسرائيل وعملاء الاستعمار .
ولم يقل قائل ، ان فى الكشف عن هذه
المفتربات واذا عتقنا نينا ، نبشا للقاذورات
وان من البر بالقومية العربية ، ان نطوى
عن الجباهير من ابناء العرب ، مايقوله
اعدائنا في ابر قنادنا .

الابتال ، والمجال مجال لقضية علمية :
«نأخذ احسن المائى وتدع اسوأه» . لان
كل ترويب لاكاذيب الماضى ضد عظمتنا ،
نشى للقاذورات ووجه كريمة من وجوه
الشمسية الحادثة ؟

وماذا نصنع ياسيدى ، ونحن نتميد بتلاوة
القرآن الكريم ، وفيه ما فيه من اتوال
الكنار والمشركن والمنافقين ، عن الانبياء
ابر عظمتنا ؟
وفيه تسجيل للقول الكريمة في مريم
الطاهرة المسطناة على نساء العالمين ،
ولقربة الانك في ام المؤمنين السى اوصى
الرسول صحابته ان يأخذوا عنها نصف
دينهم ؟

بل ماذا نصنع مثل كتاب «السيرة لابن
هشام» وطبقات الصحابة ، وتاريخ الطبرى
وكتب التفسير الاولى ، وكتب الملل والنحل ؟
وقد نقلت ما نقلت من قاذورات الشيعة ،
واباطيل الملاحدة ، وسموم الاسرائيلية ؟
انحرقها برا بالاسلام والعروبة ؟ ام
نحرم على طلابنا الاطلاع عليها ، وحسبهم
ان يقرأوا ما تقدمه لهم من احسن ما فيها ؟

التاريخ: ٢٩ / ٩ / ١٩٦١

قضايا
فكرية

كتاب من بيروت !

◆ الكتابة العربية مرتبطة بوجودنا المعنوي

◆ ما جاء في التراث لا يجوز للعرب

◆ الحروف اللاتينية عاجزة عن اداء الاصوات العربية

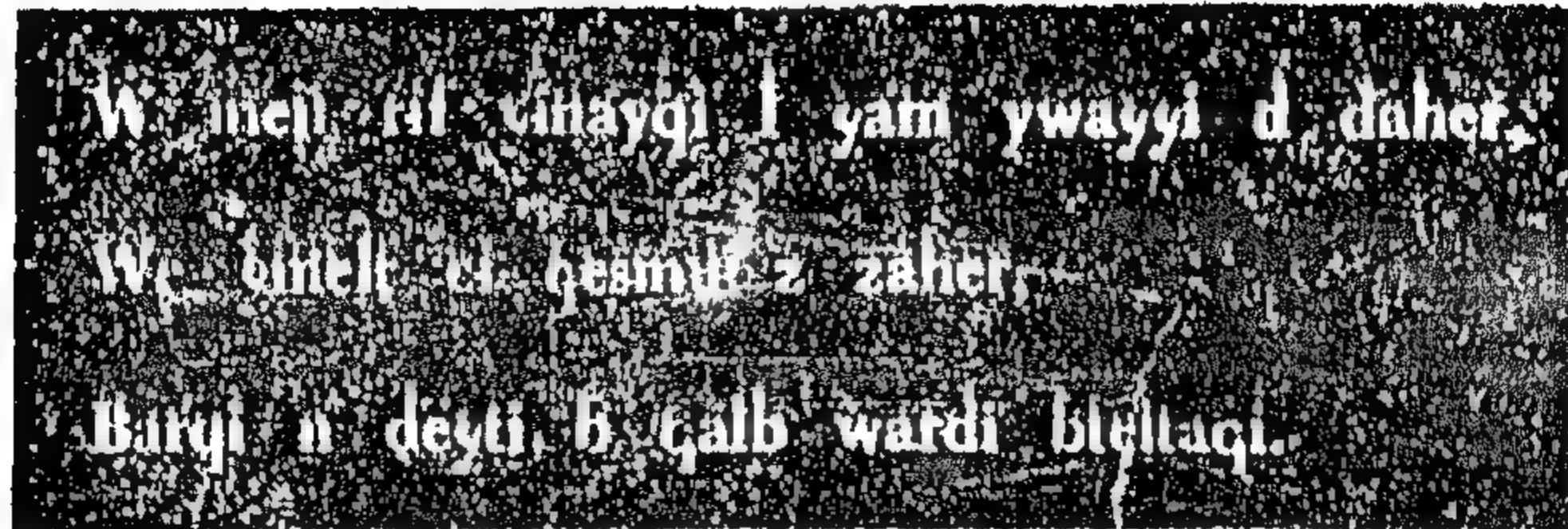
بقلم
الدكتورة بنت الساطي

يستغل فيه بالرائي مفردا ، فمرس
نكرته على اصحاب العروة ، وترك
لهم القول القفل فيها ..
وقال اصحاب العربية مثمتهم :
فهذه الكتابة العروسة مرتبطة اولا
بوجودنا المعنوي كله ، بها رسم القرآن
الكريم ، كتاب العربية الاكبر ومعجزاتها
البيانية الباهرة . وبها كتب ترانسا
الروحي والفكري والادبي كله . ولا
احتجاج هنا بصنع الابرار حين عمدوا
الى التركية فكسوها بحروف لاتينية
بدلا من العروسة . لا احتجاج بهذا
لان التركية ليست عربية الاصل ، نسوا
عندما كتبت بحروف عربية او لاتينية
مادامت غير اسسلة لكتبتما . وليس
للاتراك نوات روعي او فكري تدبسم

ومن الانساب ان تقول ان الدعوة
الى كتابة العربية بحروف لاتينية ، غير
جديدة علينا . لقد سبق اليها بنسذ
اكثر من ربيع قرن ، الفقيه المصري
« الاستاذ عبد العزيز فهمي » حين كان
رئيسا للجمع اللغوي بالقاهرة . وكان
رحمه الله قد اتجه اليها ، بعد تفكير
طويل مجهد ، في معرفة الانتدار على
اداء العربية ، ثلثا وكلمة ، اداء صحيحا
لظواهر الحروف الصائبة Vowels
التي تسيطر على الكتابة اللاتينية ، وتقوم
بقام الشكل في كتابنا . وثمن الاستاذ
الحليل ان استدال الحروف اللاتينية
بالعربية ، قد بذل هذه المعوية ، لكنه
تدر مع ذلك ، ان الامر اخطر من ان

عندما مرت بيروت في اوائل
هذا الشهر ، كان همي ان اعرف
الجديد مما استحدثته هذه
العاصمة العربية في مجال الفكر
والادب . وعدت ومعى من هذا
الجديد ، كتاب « يارا » الذي
تستطيع بيروت ان تقول انها
استحدثت به جديدا حقا ، لم
يسبقها اليه سابق .
ذلك لانه اول كتاب يرسم
العربية بحروف لاتينية .
وهذه سابقة بلا ريب ،
بحسبها تاريخ العربية لبيروت
وبدعة لم يجرؤ عليها كاتب
عربي ، قبل الاديب اللبناني
« سعيد عقل » .

الخير



الهندسية ، استطاعت المطبعة العربية ان تنخلص من اكثر النقص الذي كان يرهقها من سناديق الحروف التدبسية التي كان عدد خاناتها ثلاثمائة وستين خانة ، اختصرت في آلات (الانترتيسب) التي تستعين وترتب على هذا الاختصار توفير للجهد والوقت

ثم حدثت ثورة اخرى باستعمال طراز حديث من هذه الآلات يستخدم الشريط في الجمع ، فيستطيع العامل ان يجمع في الساعة الواحدة ستعانة بسطر ، أي نسبة ١٢ : ١ في الصندوق القديم

الى ذلك الذي نجحت جهود تبسيط الكتابة العربية في المطبعة ، وهو مدى تمثله الجهود المبذولة لتيسير تراعد النحو وتعليم العربية ، لكنها ماضية في الطريق ، منتفعة في الوقت نفسه ، بما تحفله معركة بكافة الجهل والابية ، من انتصار رائع في القضاء على مخططات عصور الظلام ، والنخلص من التركة المشنومة التي تركها لنا الاستعمار والاقطاع .

ومن عجب ، انه لما بدأت الجهود المبذولة تثمر فملا ، واستطاعت المشعة العربية ان تحقق هذا النجاح ، ملئت علينا بيروت

ولا لهم ما في حضاري يحرمون على ان تعب الاجساد الخائفة من ابناءهم . والامر ليس كذلك في العربية ، فهي لسان العرب اصالة ، لم يستعروها من غيرهم على نحو ما فعل النصارى واذا جاز لامة كاثوليك ان تنسلخ من ماضيها المستعار ، وكنائسها المربسة الطائفة ، فان هذا لا يجوز بالنسبة الى العربية ، ماضيها العربي ، وراثتها الفني الحي ، وهرونها غير المجلوبة ولا المستعارة ..

لم ان استعارة الحروف اللاتينية من الوجهة العملية ، لا محل للمشكلة بل يؤدها تمكيدا ، الى يقضي الوضع الجديد ان يكون الكاتب ، عالما باصول القبط اللغوي والاعرابي . ونسرف

اخرى . ورصد - رحمه الله - مكانة سخية ، لمن يوفق الى طريقة بسيطة يرضى عنها اصحاب العربية على اختلاف ديارهم ، ويلزمها المجمع اللغوي ..

ومن ذلك الحين ، والجهود تبذل حثيثا في المطبعة ، وبدرسيا في التعليم لكي تحل صعوبة الاداء الصحيح للعربية نطفة وكتابة ، خلا يمانجها من جذورها دون ان يستعين عليها بالسخ والتشويه او يهرب منها باستعارة حروف اجنبية وبدأت الجهود تثمر : لبن الناحية

(٣٠) ونسج الحكى اللبثى ، والاغنية الشعبية
اللبثية ، فنهم ونذوق ..

فهل هي اذن غربة الجديد ، نزول
بالفنا له واعتقادنا اياه مع الزمن ؟
لكن كيف يتاح لابناء العربية ان يالفوا
هذا الجديد ويعتادوه ، بالم يفرض عليهم
في مدارس الوطن العربي كله ، ان يقرأوا
العربية ، هذا المسفر ، كما يكتبها الاستاذ
سميد عقل ؟

وهو مالا اتصور ان يحدث !
لا لان الحروف اللاتينية بعجزها اداء
الاصوات العربية لحسب ، ولكن كذلك
لأننا ببطل هذا ، نتطوع باختارين لتحقيق
بالم يستطلع الاستعمار بكل جبروته وذكائه
حيلته ولؤم وسائله ، ان يحققه !
لم يستطع ان يسرق لساننا العربي ،
كما فعل بكثير من شعوب الشرق ، ووطننا
الكبير .

سرق لسانها ، فعزل القلة من ابنائها
المعلمين ، عن الملايين من الجماهير التي
لا تستطيع ان تقرأ الا بلغتها القومية .
وما اظن الاديب اللبثى ، الا مسيح
سرخة الشاعر الجزائري (مالك حداد) :
لأبني صاحبا ، اذا لم يطربك لغائي ..
اننى لا اغنى ..

لو كنت العمل ، لغنيت غناء عربيا .
لكنهم سرقوا لسانى .
فانا أصرخ ، ولا اغنى

وما اظنه الا ترا ايضا كتاب «المسفر
الهندي ، يانكار» عن مشكلات الشعوب
الاسيوية والافريقية ، وفيه ان مقدمة مشكلتها
الثقافية ، هي ان الاستعمار جلا عن
الشرق تاركا فيه امية ناشية ، وكان
المفترض ان القلة المتعلمة ، هي التي
تحمل شعلة الومى وتتولى التبادلة الفكرية
والوجدانية للشعوب التي تحررت من
الرق . لكن النساء ان غالبية هؤلاء المتعلمين
يكبون باللغات الاجنبية التي تعلموا بها ،
ومن ثم فهم لى عزلة فكرية ومعنوية ،
عن الملايين من لم يتلقوا غير التعليم الاولى
بلغاتهم القومية .

ونحن ابناؤ هذا الشرق العربي ، قد
ناضلنا لكنا بسرق الاستعمار لساننا ،
هكف بهون علينا ، ولقد نجونا من تلك
اللغة ، ان نتخلى بتطوعين ، عن اقلنا ،
لنعزل الكتاب العربي عن لا يعرفون الحروف
اللاتينية ؟

انتا اذن تنساق الى حيث اراد لنا
المستعمرون ، عن غفلة وبلا وعى ، او
عن ادراك وعيد ؟

ان كنت لاتدرى فتلك مصيبة
او كنت تدري ، فالمصيبة اعظم !

بكتاب ادبيها «سميد عقل» مطبوع بالحروف
لاتينية ..

كانما كان ينتظر بواذر النجاح لهذه
الجهود ، لكى يواجهنا بكتابه !
واحاول مع هذا ان اتجاهل الموقف
المريب ، وان اجمم مشاعرى وهواطفى
لا تظر فى الكتاب بكل ما يبك ثائدا من تجرد
وحياة ..

الاديب اللبثى ، لم يقدم لنا الكتاب
بكتابة عن هذا الجديد المتدع ، كانما هو
لى غير حاجة الى ان يبرر او يفسر ..
وغريب حقا ، ان يخلو اول كتاب
عربى ، مطبوع بحروف لاتينية ، من تفسير
وتبرير ..

لكى مسافترضى ان الاستاذ سميد ، تصد
الى تفسير ترواة العربية ، وبعث الدعوة
المرفوعة التي اريد بها الخير والمصلحة .
لماذا يسر هذا الجديد من الكتابة
العربية وماذا ذلل من صعوبتها ؟

حاولت بكل اخلاص ، ان اتراكنا ، وللى
معرفة باللغات الانجليزية والفرنسية
والالمانية ، تتبع لى قراءة نصوى اسيلة
فيها ، واعيانى مع ذلك ، ان اقرا هذا
النص العربى بحروفه اللاتينية .

وبدا لى ان استعين بمعد من الزملاء ،
من يتقنون اللغات الغربية ، فعرفت
عليهم الصفحة بعد الاخرى من «يسارا»
وسألتهم ان يقرأوا لى ، فتبادلوه فيها
بينهم ، ثم هزوا رؤوسهم مستربين ،
رائد ظنوا انى امتحنهم .

ثم لما جلوت لهم الموقف ، عادوا الى
المحاولة ، فرفقوا عند كلمة Célité المطبوعة
على غلاف الكتاب ، وقراوها جيبعا :
سبر .. وام يتصور اى واحد منهم انها
(الشعر) .

والفنا الى دليل للحروف ، على ثنية
من غلاف الكتاب ، نعرفنا مثلا ان :

حرف الحاء يرسم : X

وحرف العين يرسم : Y

وحرف الشين يرسم : G

وحرف الفين يرسم : R

وان النقطة المعلقة بأسفل الحرفين
(1) ، S تحركهما الى اليسار والى اليمين ، وان
ملاية Y فوق بعض الحروف ، تميز القاف
والخاء والذال ، عن الكاف والميم والذال
لكننا بلنا رغم ذلك ، امين لا نقرأ !

وكنت قد صنعتين الاخت الادبية «سميرة
عزام» ان يارا : زجل بالعامية اللبثية .
فهل محزنا عن قراءتها ، لاننا نجعل
العامية الشعبية للبنان !

لكننا نقرا الازجال المكتوبة بحروف عربية

قضايا فكرية

هذه اللغة المشتركة ومعالم تطورها الحديث



رفاعة الطهطاوي

جللى ناصى

سالى البارودى

محمد عبده

محمد خليل اى

• اللغة العربية لا يمكن أن تمارس تطورها فى أى قطر بمعزل عن الأقطار الأخرى

• وفهم التطور اللغوى إنما يتم بجمع روافده فى السيار العام لسير الحياة يلقننا المشتركة

يقام الكتوة بنت إسماطى

أم يكن عجبا ونحن نجتاز هذه الفاروق
الكاسية العنسية ، أن الولد بها اعرف
لذا من باقى طويل مشترك ، كنا نلقى
فيه فكرا وروحا ووجدانا ، عبر الخواجز
والاسوار ، ونجارب بكل قلوبنا وشاعرنا
رفع كل الحدود والسدود ..

وذكرت نبياً ذكرت ، هذه اللغة المشتركة
لسان عربنا ومناظر حدتنا العقلية والذوقية
فترامت لى من وراء الحقب والادهار ،
اطياف اجداد لنا انفتوا اعبارهم فخدمة
هذه اللغة ، وبذلوا حياتهم لحبايتها فى
بهب الاماسير ، ومنحوها نور عيونهم ،
لكن يسيروا لها بسراها فى ليلنا الطويل ..

من هؤلاء الجنود الفدائين : الشامي
والمصرى ، والعراقي والحجازى ، والنجدى
واليمنى ، والمغربي والانديلسى .. شيدتهم
المعسور والاجيال عاتقهم على رسالتهم
النبيلة ، فى رهنة علمية منجودة ، صنعت
لنا تاريخنا الفكرى المشترك ، وحببت
تراثنا الذى يعطى وجودنا المعنوى غنصر
اصالته وسر بقلانه ..

بسم الله

وكنيت تد فرغت منذ أيام ، من تراءة كتاب قيم من «ممالك التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها» الله الأسناد الجليل (محمد خلف الله : عهد آداب الإسكندرية) ونشرته الجمعية المصرية ، للدراسات التاريخية ، خلفه في سلسلة دراسات عن حركة التجديد والإحياء في الحياة العربية في العصر الحديث .

وقد حدد الأستاذ العميد نطاق بحثه لحمله خامساً بيمصر وحدها في القرن التاسع عشر ، وهذا القرن — أو بتحديد أدق ، الربع الأخير منه — قد شهد نقطة انطلاق حاسمة في تاريخنا القومي والفكري بوجه عام فلهذا لاجتماع البعث يوهي في الظلمة ومنه بدأ الركب العربي يتحرك في أعقاب الليل طال ، وبه تميزت معالم الطريق لهذه النهضة الحديثة التي يظن بعضنا — خطب أنها طارئة بل حاجته .

ولقد كنا في حاجة حقا ، إلى عالم يحقق مثل الأسناد خلف الله ، بحلول تلك الفترة التي شهدت سواد البعث ، وينصف أولئك الرواد الذين حملوا الشعلة في الظلام ، واذنوا في الفتنة بدعاء النجر الجديد والناس نيام ، وخلفوا لنا تراثهم اللغوي والأدبي ، يضيء معالم الطريق أمام الذين تلتوا اللواء من جيل البعث .

رائد قراءتي للكتاب ، لم يمارتني الشعور بما كابد الأسناد المؤلف من مشقة وهو يحاول أن يركز دراسته لتلك الفترة الحائلة ، في خلاصة موجزة نفسها مائة وستون صفحة ، فاستعان عليها بالحواشي

التي جعلها أقمى مطلق من حواش وتعليقات وإضافات ، ومن نعوس لم يتسع لها المجال في العرض العام ، ولم يستطع مع هذا أن يقدم كل ما عنده : من الخطوط الكبرى لحركة البعث ، وركز اهتمامه على أمانة روادها : رفاعة الطهطاوي في الترجمة والانسجام بالثقافة الغربية ، ومحمد عبده في الإنشاء والكتابة ، والناوردي في إحياء الشعر ، والمرصفي وحزرة فتح الله وحفي ناصف في دراسات اللغة وآدابها



وكنيت ابوتيم ، بعد أن فرغ الأسناد الجليل من بيان سواد البعث اللغوي والأدبي بيمصر ، أن يتابع في الجزء الثاني من كتابه القيم ، رصد مطالب التطور الحديث للغة العربية بوجه عام . لكنه صرح في الفترة الأخيرة من هذا الجزء الأول ، بأنه وصل في سيره إلى أوائل القرن العشرين حيث تأخذ الاتجاهات التي سجلها في سابقه تنفص وتثمر ، وحيث تنمو بمبادئ جديدة في الأدب واللغة ، يستحاول أن ينبعها في القسم الثاني من الكتاب .

والكتاب بهذا الوضع ، يشير قضية هامة : ذلك لأنه إذا كان قد انزعم في جزئه الأول بحدود الحال المضمن للبحث ، فقصير اهتمامه على مصر ، إلا أن الموضوع العام

للكتاب هو : معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها .

وأستاذنا العميد ، يعلم بلا ريب ، أن التطور اللغوي والأدبي ، لم تنفرد به مصر وحدها ، وإنما شاركتها فيه أقطار أخرى للعربية حبلت نصيبا من هذا التطور ، قل أو أكثر .

وبما يغيب عنه جهد الرواد من شاركوا في حمل شعلة البعث ، في شتى أقطار الوطن العربي ، من أمثال الألويسي والصال النجني والرماني والزهاوي في العراق والشدياق والهاججي والبستاني وأمين الريحاني وجرجي زيدان ولبنان ، والشيوخ طاهر الجزائري والقاسمي وكرد على في سموريا ، والخالدي ، والسكاكيني والنشاشيبي في فلسطين والأردن ، وعلماء القرويين في مراكش .

واعلم أن عددا من أبناء هذه الأقطار توفروا على دراسة فجر النهضة الأدبية الحديثة في بلادهم ، كما فعل الأستاذ جميل سميد في محاضراته عن العراق ، والدكتور ناصر الدين الأسد عن الأردن وفلسطين ، والأستاذ جبري من سوريا ، والدكتور مهيل إدريس عن لبنان ، والأستاذ عبد الهادي التازي عن القرويين في فاس ، لكن الاكتفاء بدراسة التطور الحديث للغة العربية ، في كل

(٣)

المحتوم بين مناطتها ، ونك المشاركة التي
لا بد منها ، لأصحاب العربية .

وإذا كان الاستاذ المبد بدقته المنهجية
لد أثر تخصيص هذا الجزء لمصر ، وترك
لسواء من انشاء الاقطار الاخرى ان يرمدوا
بطلع النهضة اللغوية في بلادهم ، فقد
بقي ان يتناول دارس منا هذا الموضوع
من افقه العام ، ليضيء لنا معالم التطور
الحديث لهذه اللغة المشتركة التي تعاقب
لها زنا على خدتها جيلا بعد جيل . .
وما احسنى اشق على الاستاذ المبد
إذا رجوت ان يكون هذا هو موضوع
الجزء الثاني من كتابه ، على ضوء ما اجتمع
لدينا من دراسات متخصصة للعربية في
مختلف اقطارها ، قبل ان يغذ السر الى
الترن العشرين ، ويتابع دراسته الجادة
للملم التطور الحديث في اللغة العربية
وآدابها .

قطر على حدة ، يوشك ان يدخل الى القارىء
ان لغتنا كانت تمارس تطورها في كل
قطر ، بمعزل عن الاقطار الاخرى . .
مع ان كل قضية لنا لغوية ، انما هي
قضية عامة ، يشترك فيها اصحاب العربية
على اختلاف اقطارهم ، ولا يمكن ان نعرب
معالم تطورها الحديث ، بالم نجيب هذه
التيارات الانسانية في مصب واحد ، نلتقي
منده شتى الروائد ، من قلب الشرق
الاسوى الى انفس المغرب الاقصى ،
لتبدو الصورة لنا آخر الامر متكاملة .
ولا يعني هذا بحال ما ، الا تدرس حياة
اللغة العربية في كل قطر من اقطارها ،
فذلك هو ما يحتمه المنهج العلمي . لكنه
يعنى الا تقوم هذه الدراسة المتخصصة
في عزلة عن التيار العام لسير الحياة
بلغتنا المشتركة ، اذ ان طبيعة العربية من
حيث هي لغة الوطن العرس كله ، تستلزم
ان يدخل في تدبير الدارس ، هذا التفاعل

التاريخ: ١٣ / ١٠ / ١٩٦١

قضايا أدبية

الوحدة



بقلم الدكتور

بنت الشاطئ

الذي لا يكذب ولا يزور ولا يخون !

لعل انتهى - حقيقة - ما بين مصر وسوريا ؟

حياتنا الادبية ، لا يمكن ان تقف بمعزل عن كبريات الاحداث القومية ، او تتجاهل قضايا الحياة العامة في مواقفها الحاسمة ومواقفها الفاصلة ..

لهذا الادب ، يشارك الى ابعد مدى في صنع التاريخ .. وهو في الوقت نفسه ، يقدم لنا التفسير الوجداني لهذا التاريخ .. وقد مضى الزمن الذي كنا نتصور فيه ان قضايانا القومية من اختصاص رجال السياسة وحدهم ..

ومضى معه تصورنا للتاريخ ، على انه مجرد عرض للاحداث السياسية ، ووصف لاجواء القصور وتتبع لانباء العروش والقيجان ، ورصد لاسماء الحكام ومن في حاشيتهم من وزراء وقادة ودعاة ..

السياسة اذا اخطأت فندبر البواعث النفسية والدوافع الوجدانية ، انحرفت وفلتت فلالا بعددا ..

ولقد شاء لنا القدر ، ان نمشي هذا اليوم المسبب الذي اذيع فيه من دشر ان وحدتنا تصدعت !

وكب علينا ، ان نشهد انشاء مصر يهدون بن سوريا ، كما لو كانوا من الجرحين الاعداء ..

ونحاول مع ذلك ان نطوى جراحنا حين لا تحدى شكوى ولا يغنى نداء ولا يشفي متاعب او بلاء !

لان جراحنا هذه المرة ، ماضى اسدتنا ، لومي هو لملوا «اسم» اخي لماذا رمت بصبني سهمي !

ومن شأن الشعوب المريقة الاميلة اذا الت بها كثرة توبة ، الا تقف لظمن الظلام ، وانبا تظلم من ابيائها ومن منهق تاريخها ، شعاعا يضيء - سراها نحر لجر جديد ..

وقد تضي الامر وكان ما كان ، لسا لنا مع حيلة الا ان نلوذ بايماننا ، ونستقي سائرنا ، لنقرا بمصر هذه الوحدة في الغد المتسر ، على مدى ينطق التاريخ

ولم يعد يصح لدينا ، مع ما بلغه عصرنا من رلى عقلى ورعى لغالى ، ان التاريخ امله الاوضاع السياسية وحدها ، او ان الحياة سيرتها ارادة حكام ومشيئة انراد وصراع احزاب واهواء ، وانبا سيرتها كذلك - بل قل ذلك - ارادة الشعوب واحيكت لها اوضاع مائنة وعوامل نفسية ، ونراهمى اجباة مطردة لا تتخلف .. ودخل التراث الادبي الامة ، مادة اصيلة من مواد تاريخها ، تلبس منه سون ولحم الاحداث على وجدان الجماعة وتنتخلص منه التاريخ الشعبي الذي امله اولئك الذين جعلوا الحياة تدور في تلك الحكام ، وتجرى مع الجسار السياسي وحده ، ينأى عن كل ما عداه من مؤثرات ..

واذا شهد السيم التاريخ ، ان التمس الوجدانية العامة ، كانت بالجملة كسل نهضة ، وضرورة لكل ثورة ناجحة ، فليس ينش هذا الا ان الشعوب هي التي تصنع تاريخها ، وان وجدانها العمام هو الذي يحكم في توجيه حياتها .. رحت كلبة الحياة وينطق التاريخ ان للادب - والفن بعامة - الدور القبادى الاول في تاريخ الشعوب ، وان

التاريخ: ١٣ / ١٠ / ١٩٦١

(٢)

- ♦ وحدتنا لم تكن وضعاً سياسياً طارئاً ، لتتغير مع تقلبات السياسة
- ♦ ليس في طاقة بشر ، ان يفصل العربى عن اخيه العربى
- ♦ وسنحمى وحدتنا بقوانيننا وضمائرنا ووجداننا ، لاننا نحبها نحباً

فصبتنا الايام قلوبكم من
ما ولا بد ان تود النصب

ثم عدنا لثقتنا ، ربما كان عجبا ان
التي بل ما كان لنا الا ان نلتقي ، انذلك
تفت سنة الطبيعة ، واردة السواء ،
رحبة التاريخ ..

الطبيعة التي ربطت بيننا - منسج
كنا - بارامر اللربى والرحم والجوار
والسواء التي الفت ما بين قلوبنا
وارواحنا ، ووجدت عقيدتنا ولساننا
والقارىخ الذي ما عرفنا قط الا اهلا
وعشيرة ، مهما تنا الدبار ويشطط المزاد ..

فليقل دعاة الانفصال ما شاء لهم
اليوم ان يتولوا ..
فلسنفل ابدا نلتقى ا

لان وحدتنا حنية ، تحبها ارادة شعب
يصنع تاريخه ، وتصونها ضمائرنا وقلوبنا
كما صانها في بهب كل اعصار ..

وبهذا الوحدة نحيا ..

وبها نحى وجودنا ، بها تنال وحدنا
الدنيا ، ومهما يتكاثر علينا الامداد ..
وستجلى هذه المحنة المارسة حتما ،
كما انجلت قبلها من سابقات

وسبشرى النجر من جديد ، على هتاف
العربى باخيه العربى اينما كان : في القاهرة
او دمشق ، في بغداد او عمان ، في
بيروت او الرباط ، في الخرطوم او
صنماء ، في بنغازى او تونس والرباط :

فلنتك تصفو والحياة مبررة
وليتك ترفى والانام لمساب
ولت الذى بينى وبينك هاجر
وبينى وبين المالمين خراب
اذا هج من كالود فالكل هين
وكل الذى فوق التراب تراب ا

وبتنا دائما بما ، على مدار الزمن ،
بها تتغير اوضاع السياسة ، وتختلف
نظم الحكم واسر الحكام ..

واذا كان التاريخ السياسى قد شهد
بعض محاولات انفصالية كهذه التي
تواجهها اليوم ، فان تاريخنا الابى -
الذى هو مرآة لضمير الامة ، ومظهر
ارادتها - لبث دائما عصيا على هذه
الانفصالية ، وضمت المصور تقرر
المصور ، وليس لنا الا معجم لغوى
واحد ، والا تراث فكرى وادبى مشترك ،
يمر بوحدته من وحدة وجدانية ، تلب
كبد الكائدين ، وتسخر يوم الواهمين ،
وتطحن بها قلوب المؤمنين ...

وبا كذب شاعرنا « ابو تمام » حين قال
معروا عن وجدان كل عربى :
بالشام اهلى ، وبغداد الهوى ، وانا
بالرقيتين ، وبالسقاط اخوانى

لن قال ان قوة في الارض ، فسنتطبع
ان فصل العربى عن اخيه العربى ؟
لقد سهر الاستعمار طويلا ، يحاول ان
يفرق شبلنا ويمسح تروانا ويترق وطننا ،
وبفينا بما رقم كل العواجز والاسوار
بين الجريح سمر نيسمه اخوه بالشام
ويشتكى عربى بنا ، هنا او هناك او
هناك ، فنداعى له سائر العرب بالسهر
والحمى ، وسرت اطياف اجدادنا تؤنس
وحثتنا برؤى وحدتنا ، واسنى ليلنا
الليل الى موت العربى بناجى اخاء
بالشام :

بابى شخصك الذى لا يغيب
عن عياني ، فهو البعيد الغريب
يا اخلاى بالشام ، لئن غيب
تم لثسوقى اليكم لا يغيب

لرحال السياسة ان يتولوا في هذا
ما شاءوا ، ولكي تاريخنا لا تمليه ارادة
السياسة ، ولا تسير مشيئة الافراد ..
ولو كان الذى من مصر وسوريا من
وحدة ، مجرد وضع سياسى اتفقته
دواع طائفة واعتبارات مؤقتة ، لجاز
ان تنسور انفصالها حين تزول هذه
الدواعى او تتغير الاعتبارات والافاض
ولكن وحدتنا لم تكن ابدا كذاك ، ولن
تكون ..

وانا هي عقيدة ، وابيان ، وودعة
اباء واجداد :

عقيدة ، لا يستطيع احدا ان يتخلى
منها ، وفي حروفه نقطة من دم عربى
وابيان راسخ ، لا تزعزعه اعاصير
السياسة ، ولا تيل به احوالها حيث
مالت ..

ودعة اباى واجداد ، يلتصقا ابنا
كل خيل منا ، وهم بعد اجنة في الارحام
وهذا تاريخنا الطويل ، يشهد اننا كنا
دائما معاً من تدبم الدهور والاحتساب

التاريخ: ٢٠ / ١٠ / ١٩٦١



الغداد

صلاح عبد الصبور

حجازي

مصادرة... ومهرجان!



هل للادباء الرسميين، مهجنتهم ضد النقد والمخالفة؟

وهل لرؤساء اللجان الادبية، سلطة كرهنوتية تحول لهم صكوك الحرمات؟

بهم > الدكتور بنت الساطي

النخبة والادبة لنا، ودعوتها الملحة الى هدم قواعد الشعر العربي، انها منيرة بحق امبالا لوجود لجنة الشعر، اشهادا للعالم على ارقامها وتخطيها»

ومنذ قرات هذه الاحبار، وانا اتريقت بداعا في حياتنا الادبية، لكن الایام تبت والاسابيع، وكل شيء هادي في لسان الاديبي.

والسؤال الاول الذي اعرضه مناسا و:

هل من حق رئيس احدى الهيئات لادبية الرسمية، ان يستغل نفوذه فيها تحكم في اقدار الادباء وصيايرهم تبعاً هواه، ليرفع منهم من يشاء، ويضع من شاء، يميزان واحد هو نفسه ورشاه؟ واذا استعمل الرئيس الاعلى للهيئة، سلطته القانونية في مثل هذه الحالة، قرار التوازن وتلاق القرارات المعبسة بل بعد هذا تخليا لرئيس لجنة، يصدر احكامه عن مزاجه الشخصي، ويضع قراره لاعتمارات خاصة، تهدر صحة تمام النامة وعدالة الموازن؟

وليس يسمي لنا هذه الحق في هذا الوقت، بعد اولا ان نعين المتنبس التي حكم بها رئيس لجنة الشعر على شعرائنا ومشارك احكامه لاسما، تشدد على هذه الموازن:

كنت اوشك الا يكون لاسناد العتبات صلة بهذه القضية من قريب او بعيد، حتى لا يظن قارئ اني اناولها بناسرة مخصوصتي الفكرية للكاتب، لا بدوسوع القضية نفسه.

لكه الذي اثارها، حتى يمت الى السيد السكرتير العام لمجلس الادباء والاداب، مرقبة هذا نفسها:

« ارجو اعتباري مستغفلا من لجنة الشعر وحذف كلبي في مهرجان الشعر بدمشق، اذا سمع لكل من صلاح عبد الصبور واحمد عبد المعلى حجازي، بالقاء شعرهما في المهرجان، او الاحتفال بذكرى البصري.»

ثم جاءت انباء المهرجان، تؤكد ان السيد السكرتير العام تصرفه بسلطنة، لسوية المواقف بطريقه دبلوماسية ترضى الطرف:

يرئيس الشاعر حجازي، - او شارض ومنع من ثناء نفسه من القاء قصيدته في المهرجان، لعل هذا يرضى رئيس لجنة الشعر.

ويلقي « صلاح » قصيدته - على رفق القديم - ليرضي انصار الحربة.

وبهذه الوسيلة الدبلوماسية، تنحرج لجنة تنظيم المهرجان من كل لوم او عتاب، فلا يقال انها لم تكثرت بنفسه العقاد، كما لا يقال انها خسعت لتراوه بحرمان سامعين:

اما حشوات قرار الحرمات، انفصلها الكاتب الصبور في رسالته الى السيد رئيس المجلس الاعلى للفنون والاداب: « ومعنى اختيارهما، مع مهاجنتهما

(٢)

وحفل المحترى : نعمات فؤاد وروحبة
العلماني ، وشريفة أنحن
كانها يجوز عنده ، ان تشترك بنسب
هواء في مثل هذه المحافل الادبية ، اذا
رغبت اليه الذهنيات والتجارب
اهل جاور السعد رئيس المجلس الاعلى ،
حدود العدل والامانة ، اذ استعمل
سلطته القانونية : انسانيات الشاعرين عند
السور وحجازي ، التي تلتها من وشحهم
الاستاذ العقاد لمرحان الشعر والاحفال
مذكرى المحترى ؟
او هل اعتدى على حرمة لجنة الشعر
حين احتل مسئوليته ليجس حياتنا
الادبية من حيث الهوى ، وسلطة الطناني ؟



بقى سؤال آخر وهو :
لماذا سكت كبار الادباء الرسامين اقليم
بهائنا بكلمة على مواقفهم الكبر ،
وعز يريد ان يبارس في الابد والذكر
سلطة كهنونية ، تصدر مكرت المنسج
وقرارات الحرمان ، وسلطة ملكية ،
تجعل مخالفة انما لا يتنفر ، والعيسب
في ذاته المسونة حربية تستحق انسى
العقاب ، وسلطة لاهوتية تجعله لا يسأل
هنا بفعل وهم سكتون ؟
لماذا صمتوا ، ولم يستغل نسفوا
الرئيسي لتحريرهم التحدث في الشعر ،
ومثلت مثل حيرته لمعوق التطور ، ويطلق

عندما بلغ من طاق عمره حد غايه السبعين
فاننى واشومة من السيد محمد حسين حمزه
يقول فيها :
اذرأت والحمد في افق الدنيا فدا
الذاهب شمسان في الشمس والقمر
لاعد شمس تطل اليوم وشريفة
ونسب عبادس شمس حلية المصير
فرد عاده رئيس الشعر الرسامين سرقية
يقول فيها :
يزيد في العبر اعرابا مباركة
نهائى منك تحكى الى السور
وهي شهادة بان من نغم ، دجا في الاستاذ
المراد ، استحق عنده ان يبلغ مرتبة
البيان الفرائى المحترى ، الذى اعيا العرب
وهم سادة هذا الفن القولى - ان بانوا
بسورة من مثله :
مثل آخر من احكامه :
كثرت له الذكورة نعمات فؤاد ، تهيئة
اوتستته ، فرد عليها سرقية بشهد لها
فيها بانه « ليس في العلم والادب مثله
ذكور ولا ذكورة ! »
ونسى رايه المشهور في حواء
ونسى ملكه عن « مدام كورى » التي
استحدثت بانوشها لمتته ، اناخرجها من
زمره العلماء !
ونسى هذا كله ، واحاز لبعض السموات
ان يحررت فصولا في كتاب « المناد :
دراسة ونحية » .
ورئيس ثلاثا بنين لمرحان الشعر ،

التاريخ: ٢٠ / ١٠ / ١٩٦١

(٣)

لاخونا على حرية الفكر ، التي اومن
انها ستجد دائما من يحبها ضد كل عدوان
في فدائية واستتال ، كما وجدت في
ماضي تاريخها الطويل ، انقلابا حرة تملك
شجاعة الكلمة ، ومساند شريفة لانها
قول الحق رغم كل مصادرة واضطهاد .

ولا اشفاقا من تجريد حياتنا الادبية
وسيطرة الرجمية عليها ، فقد بتبت الارض
تدور بعد محنة «جاليليو» وستظل الدنيا
سائرة ابدا موجهة الى الامام ، خضوعا
لسنة الطبيعة وحنينة التطور وتبائن
الحياة :

امسى الذي مر ، على تربه
يمجز اهل الارض من رده ا

على المسيت ، فذلك خير على اى حال ،
من ان يفسر موقفهم بأنه مسيت الاقرار ،
وسكوت الموافقة والرضا ، حتى تكون
سائنة يكسبون بها حسنة ضد النقد ،
ويارسون في ظلها مائعات لهم امزجتهم ،
دون ان يسألوا عما يفعلوا ..

ولكى يكون قرار الحرمان سببا
يسلمنا على الاقلام والضمائر ، فلايجرؤ
ناقد على التعرض لهم بما لايرضيهم ا
وهو مالا يريد ان انصوره ا

حفاظا على اولئك الكار الذين احببناهم
ورفعناهم الى اعلى المراكز الادبية ،
والتينا اليهم زمام القبادة الوجدانية
والفكرية فبنا ..

دعائه وانصاره في شتى المحافل الادبية ،
ليثاقوا بالحجارة من حقت ، عليه لعنة كبيرهم
من شعراء العصر ، وليتهمهم بأن لهم
فسير اليهود ، وان شيطانهم احمر ؟

اتراهم سكتوا ، مجاملة للزميل ، واشفاقا
من غضب المارد المبللق الذي اعلن ان
رأيه هو رأى الخالق ، وصرح في تصيدة
له - نشرها في ديوانين ، لاني ديوان
واحد - بأنه يشتهى ان يكون ربا ؟

اوثر لهم ان يكون هذا هو ملحقهم

مكتبات العقاد وأعداؤه .. في الأدغال

الأدب الشديد ، وينفذ أوامر والده ..
وكانت أوامر « الوالد » بالنسبة للشاعرين عبد الصبور وحجازي في
مهرجان دمشق .. أن يكتب الأول أوزان الخليل بن أحمد ، وأن يرصد
الثاني في فراش المرض ..

وصحيح أنهما تمكنا بإطاعة الأوامر من مشاهدة « الفيلم »
ولكنهما خسرا الكثير في ميدان الثقة ..

وأنا بالرغم من احترامي للصراحة بنت الشاطيء ، واعتراي بأنها أجرب
الكليات لسانا .. لا أستطيع أن ادعي أن دفاعها عن حجازي وزميله ، كان
دفاعا عن الكتاب والسنة - كما تدعي دائما - بل كان انحيازا واضحا ..
وأنا لم أجلس في ندوة العقاد ولو مرة في حياتي ، ولهذا لا أعرف ما
يقوله من أسباب المداوة بينه وبين بنت الشاطيء ..

وقد سألت ذات مرة زميلنا الأستاذ سيد العقاد ، قريب الأستاذ عباس
محمود العقاد ، عن أسباب هذه المداوة ، فلا بالصمت التام ..

وسألت زميلا صحفيا امتداد التردد على ندوة العقاد ، عن سبب
هذه المداوة المريبة ، كما يرويها العقاد في ندوته ، فقال لي الزميل كلاما
كثيرا ، لا اعتقد أن مداوة أديب لأديب أو لأديبة ، نجيز أن يقال ..

وهكذا ، فإن معركة مهرجان دمشق ، شغبت ودخلت في
الظلمة ، وأمدحها ما يقال وراء « الكواليس » يزداد لا ينفذ من اللام
التي على عواهنه ..

عادت المعركة بين العقاد وبنت الشاطيء .. انتهزت بنت
لشاطيء فرصة هجوم العقاد على اثنين من الشعراء الشبان
شنت عليه حملة شعواء جديدة ، أتهمته فيها بالطغيان
محاولة التجديد ، وحب الثناء وتبادل برقيات التهنية مع
لعجيين به ، شعرا منقلوبا على طريقة الخليل ..

وقد كتبت أنا شيئا من خروج العقاد من لجنة الشعر بسبب سب
الشاعرين الشبان إلى دمشق .. وكانت كتابتي ذات شقين : أحدهما تأييد
حق العقاد في رئاسة لجنة الشعر ، ما دام هو وليسها بالفعل .. فليس
يحمل بمن لهم سيطرة في المجلس الأعلى للأدب ، أن يتخطوا رؤساء اللجان ،
لقد مضى زمن « الطرايط » الذين يتخفى وراءهم أصحاب الجاه والنوؤ ..

والشق الثاني : يتعلق بالمبدأ .. القصد المبدأ الذي ينبغي أن
يحترمه صاحبه ، فقد اتى أحد الشعراء في مهرجان دمشق شعرا تقليدي
الأوزان ، مرأفا لخطير العقاد الذي أعلن لمصيه على هذا الشاعر بالذات ،
لأنه يكتب شعرا جديدا ، يمدد العقاد لونا من الشر ..

ومعنى هذا أن الذين أرسلوا هذا الشاعر إلى مهرجان دمشق ، لم
يرسلوه ليمثل يارا جديدا في الشعر العربي .. ولم يرسلوه كذلك ليمثل
يارا قديما ..

فأما الجديد فقد تحصل منه الشاعر ، أمام شهود المهرجان بقصيدته
ذات الأوزان ، وأما التقديم فقد الت بقصيدته هذه أنه ليس من أهله ..
لبيت قبيل كل شيء أن أرحاله إلى دمشق لم يكن له ما يبرره على الإطلاق
ولا أدري ما الذي حاز بنت الشاطيء إلى الدفاع عن هذين الشعراء
وهما الأستاذ عبد الصبور ، وزميله الأستاذ حجازي ..

لقد انتهزت بنت الشاطيء الفرصة لتكيل صاعا للعقاد ، بعد أن كفت
من الكيل له منذ أسابيع حتى شاقها الكيل والميزان ..

وكانت خليقة أن تسأل صاحبها : لماذا تمارض أحدهما ، وهو في قوة
ربيعه السابع والعشرين ، ولماذا تنكر الثاني لذهبه في الشعر ، فمدل منه
في المهرجان إلى ملعب العقاد وصالح جودت والشيخ على الجندي ؟ ..

إن حجازي من أعذب شعرائنا الشبان صوتا ، وزميله عبد الصبور
من أشدهم إخلاصا للشعر ، وكلاهما خليق أن يبلغ بشعره الجديد ،
شعر التلاعب ، هدفا طيبا ..

وكلاهما خليق بأن يدافع عن مذهبه ، في الشكل ، وفي المضمون ..
ولكنهما كانا متاهلين على السفر .. مجرد السفر ، فدفع أحدهما لخص
لذكره الطائرة ، شعرا تقليدي الأوزان ، والآخر الثاني أن يكون التمسارح
أهو لمن الذكر إلى دمشق ..

والساعة كلها تشبه أهلة الابن في دخول السينما أو مسرح
المراسي .. أنه في هذه الحالة يتخلل عن كل شيء ، ويتصنع



التخصص .. والاعتكاف ! بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



الدكتورة بنت الشاطئ



الأستاذ محمد عيسى



شيخ الإسلام

« ما أفتيت حتى سألت : هل لنا للفتيا موضع ؟ »

وما جلست - للتدريس - حتى شهد لي سبعون شيخاً

من أهل العلم ، أتى موضع لذلك « (الإمام مالك) »

لما عالجت هنا موضوع « حرمة التخصص » انكرت على مؤلفي حمل درجة البكالوريوس في الآداب والتربية ، أن يضع كتاباً في تفسير القرآن ، يتعرض فيه لمسائل أصولية وعلمية دقيقة ، لا دراية له بها . وقد تلقيت من المؤلف رداً ، لم أشأ أن أشير إليه هنا لفرط تهافتة ووضوح اضطرابه ، لكنه ذهب بالرد إلى إحدى مجلاتنا الأسبوعية ، فنشره فيها ، وفتح باباً ظننت أنه أغلق :

فان رآوه لذلك اهلا ، جلس »
ويقول عن نفسه : «

«ها الفتيت حتى سالت : هل انا للفتيا موضع ؟ وما جلست حتى شهد لي سبعون شيخا من اهل العلم ، اني موضع لذلك»
وكان تلقى العلم النقلي ، من انسواء الرجال ، امرا ملروضا لا يحول دونه تقاضي الابداع ومخاطر الرحلة ومضائق الحضر ، فحين لم ياخذ العلم عن الاشياخ ، واكتفى بالتحصيل من الورق ، فهو عندهم مصنف !

ولفظ التصنيف لغويا ، انما اخذ من عدم تلقى العلم من اهله ، والاكتفاء فيه بالرجوع الى المصحف ، يعنون بهما الاوراق - التي يقع الخطا في قراءتها ، فيقال : قد صحف اي اخذ المعلم من المصحف !

والاسل عندهم : لا تأخذوا القرآن من مصنف !

ويروون في ذلك تادرة لاحد ائمة القراء السبعة ، كان في اول امره يتعلم القرآن من المصحف ، فقرأ يوما وابوه يسمع : «ذلك الكتاب لا زيت فيه» فقال له ابوه : دع المصحف وتلق من افواه الرجال ! وقد التوا في تراجم العلماء ، ان بنصوا على اشياخهم ، وان يذكروا رحلاتهم واستأجرهم للقاء هؤلاء الاشياخ والاخذ عنهم .

وبلغ من دقة بنهجهم في تحيل الحديث وادائه ، ان جعلوه ثباتي مراتب ، اولها الشياخ من الشيخ ، تليها القراءة عليه ، ثم تهبط الدرجات تنازليا حتى تصل الى المرتبة الشافعية وتعرف في مصطلح الحديث بالوجادة ، يعنون بها ان يروي احدا حديثا وجده خط الشيخ !

بل بلغ من صرامة هذا المنهج ، ان قالوا في الفقه : «ان نقل المخالف في المذهب لا يعتد به» مع ان الفقه علم واحد ، لكن تختلف فيه اصطلاحات المذاهب واصولها فمن نقل عن كتاب من غير مذهبه ، لا يوثق بنقله ولا يعتد به !

الى مثل ذلك الذي البعيد ، بلغت رعاية اسلافنا لحرمة التخصص ودقة اهل الصلاح والفصل والجهة من المسجد المنهج ، منذ قرون ذات عدد :

فلتد تشابه الابن على كثير من القراء فكتبوا الي ، يسألونني كبا سأل السيد مفسر القرآن : هل في العلم احتكار ؟ او هو حق مشاع لكل من قرا ودرس ؟

ولماذا انكرت على غيري من الدارسين ما ابحت به لنفسي ، حين الفت كتبها عن «ام النبي» ونساء النبي ، وبنات النبي» ولست متخصصة في التاريخ ؟
ووجدت من الحق ان اجلو هذه الشبهة فاكذب اليوم عن موضوع التخصص والاحتكار ..



واقولها بصراحة : اجل ، ان التاليف العلمي احتكار لذوي الدراية به والتخصص فيه !

وتد كان كذلك في البيئة الاسلامية من جديم بعيدة ، قبل ان تظهر الجامعات في الوجود ، وقبل ان تعرف الدرجات العلمية في ائمتي نروع الدرايات .

ولم يكن الامر فوضى سهيلا ، كما يتصور كثير من الناس .

بل كانت هناك اولا - والعلم رواية - سند صحيح ، وشيخة ، او استاذية ، معروفة ، لكل من يتحدث بالعلم ، او ينقل منه للناس شيئا .

ولو جرى احد على ان يفعل ذلك ، دون ان يذكر اشياخه الذين اخذ عنهم ، لكان موضعنا للتجريح ، ووجب على كل ذي امانة في العلم ان يشهر به ، ويعلن كذبه !

لم يكن لاحد مثلا ، في العلم النقلي ، ان يقرئ او ينقل او يفتي ، عن موطن مالك او مسند اخذ ، او كتاب الامام الشافعي او صحيح البخاري ومسلم ، الا اذا كان له شيخ اخذ عنه ، واطمان الى اهليته وصلاحه .

والامام مالك ، رضى الله عنه يحدثنا عن نظام عصره في منح الاجازات العلمية فيقول :

«ليس كل من احب ان يجلس في المسجد للحديث والفتيا جلس حتى يشاور فيه اهل الصلاح والفصل والجهة من المسجد المنهج ، منذ قرون ذات عدد :

(٤)

محرمه على تعلمها، لانها احتكار للمختصين
من العلماء !
ومن يجب اننا لا نسمح لاحد ان يشغل
بالعلم - حتى في المرحلة الابتدائية -
الا اذا كان يحل اجازة التدريس ، ثم
نستغرب ان يحظر تفسير القرآن ، في
كتب تخرج للناس ، على غير المختصين
فيه !



ثم ما هذا الذي يتل عن اشتغال
مئى بالتراجم التاريخية ؟
هل نينا من لا يزالون يتصورون امكان
عزل الدرس الادبى عن التاريخ ؟ وهل
يمكن لهم اى نص ادبى ، دون الاضافة
القائمة ، بتاريخ بيئته الخاصة والعامة ؟
اذن فليعلموا ان التاريخ والفلسفة
من المواد الاسيلة المقررة على الطلاب

ليست نرعا من الادب ، وانما هي علوم
لها اصولها ومناهجها البحتة ، كالتطبيقات
والرياضيات ، الا من حيث اختلاف طبيعة
كل علم منها عن سواء .
والقرآن الكريم ، كتاب المسلمين
جيبا ، وهو في الوقت نفسه كتاب
العربية ، الاكبر ، فنراعه ودرسه ، حق
لكل عربى ، وواجب على كل مسلم ،
لكن الاشتغال بتفسيره تاليفا او تدريسيا
يجب ان يكون احتكارا لاهل الدراية ،
كل في مجال تخصصه ، لا يتجاوز .
وقد قلت واقول : اننى شخصا لاجرو
على تناول هذا الكتاب الكريم ، الا في
حدود تخصصى ، من حيث هو نص بيانى
معجز ، اما المسائل الامولية ، فلا حق
لى في التعرض لها ، واما اسرار علم
الاجنة ، والبلاستوسيت وبويضة القروء ،

فهل يستكثر علينا ، في عصرنا هذا ،
ان نقول لن يحل بكالوريوس في التربية
من الجامعة الامريكية : اذا اردت ان
تؤلف في التفسير ، فليس لك ان تتجاوز
نطاق تخصصك ، وانما حسبك ان تؤلف
في « التربية في القرآن الكريم » ؟ !



وطلب العلم حق لكل طالب معرفة ،
والقراءة والتتلف ، واجب على كل فرد ،
لكم التأليف في اى فرع من فروع الدراسة
حكر على من تخصصوا فيه ، وشهد
لهم اهل العلم والخبرة بالاهلية لهذا
التأليف .

واذا كان باب الكتابة الادبية مفتوحا
لكل ذى سوية ، فان باب التأليف في العلم ،
مغلق لا يفتح الا لذوى الاختصاص .
والدراسات اللغوية والادبية والفقهية

(٤)

لشغل بدراسات أدبية ، مادتها تاريخية! نقدمها الى المكتبة الادبية ، لا الى المكتبة التاريخية التي نعتز بانها حكر للمتخصصين في التاريخ !

وقلما يبيع احدا لنفسه ، وهو يحترم عقله وعقول قرائه ، ان يتصدر للفتيا في المسائل التاريخية ، على نحو ما يفعل الذي يحسب ان عليه وسع كل شيء ، فهو يفتي ويؤلف في اللغويات والالهيات وفي السياسة والحرب ، وفي القانون والفقه والتاريخ ، وفي الكيمياء والجبر ، غير متصور ان الكلام في اي علم من هذه العلوم ، احتكار لامحاب الدراية به والفقه لاسرار .

ولن تصح حياتنا الفكرية ، بغير هذا الاحتكار الذي تفرضه حرمة التخصص وكرامة العقل .

في اقسام اللغة العربية بالجامعات لكن ليس من المتر على طلبة بكالوريوس التربية والاداب ، دراسة علم الاصول ، والكلام ، او علم الاجنة ، والتفريع ! ونحن نلتقى دروس التاريخ والفلسفة ، على اسانذة علماء

وعندما كنت طالبة في الجامعة ، تلتقت على الدكتور مصطفى زيادة تاريخ العمور الوسطى ، وعلى المرحوم الاستاذ شليق غريال تاريخ العصر الحديث ، وعلى الاستاذ العبادي - رحمه الله - تاريخ الاسلام . وكان من اساتذتي في الفلسفة الاسلامية المفطور له الشيخ مصطفى عبد الرازق ، والدكتور ابراهيم مذكور ، اطل الله عبره !

ونحن مع ذلك ، لا نتناول الموضوعات التاريخية من حيث هي تاريخ ، وانما

القيم المستعارة

بقلم: الدكتورة نسي الشاطي

قضايا
أدبية

إلى متى تظل القيم القديمة الموروثة
تسيطر على فضاء التراث الأدبي ، وتوجه ذوقنا له ؟



ان نظروا الى الادب بذوق عصرهم
وخضعوا في نقده لآراج مجتمعهم ومستوى
تفكيرهم .

ثم مغفوا ، وخلفوا لنسألك القيم
والاحكام ، بظلماتها الدارسون منا جيل
بعد جيل ، وقد صار لها من حرمة القدم
وطول العبر وسلطان الالف ، ما اضفى
عليها مهابة ترد عنها محاولات التجديد ،
وتحجبها من يجزلون على معاودة النظر
فيها بمقلية متحررة ، وذوق عصري ..

ونعرف جيما ، ان حركة جمع تراثنا
الادبي الاميل وتدوينه ، بدأت من القرن
الثاني الهجري ، وبدأ معها - او بعدها
بقليل - اشتغال رجال العربية بالتحليل
في دراسة ذلك التراث وتاريخه ونقده ،
في ظل نظم سياسية واجتماعية غير التي
كانت للعرب في قديمهم الاول . وكان
مركز الحركة اول ما كان ، في بغداد
عاصمة المباسيين ، التي كانت تصب
فيها رواند ونيارات واند من شرق
وغرب ، مؤثرة في مزاجها العام وذوقها
الادبي ، بمؤثرات طارئة ، منها غريب
دخل ، حيلته ومكنت له من المجتمع
العربي ، شعبية غازية .

عندما تذكر القيم
الادبية المستعارة ،
يتجه الظن غالبا الى
ما يدخل الميدان الادبي
عندنا من احكام
وموازين مستوردة
من الخارج ، عن طريق
النقل والتقليد او
التأثر والاقتباس

ولمما يتجه الذهن الى قيم اخرى ،
مستعارة كذلك ، لكن من الداخل لا من
الخارج : أعنى تلك التي توارثناها عن
أجداد قدامى ، عاشوا في زمان غير زماننا
وإنشأوا بأوضاع فنية واجتماعية ، غريبة
عنه التي نعرفها اليوم ، ولم يكن ذوقهم

(٢)

ويحبها : صبرا يا أم حذرة .
ثم جرى إلى الملك فيقفه بيابه
مستجديا يقول :

« اغثنى يا فداك أبي وامى ! »
وسبقوا في المختار من شعر المتنبي
بأنه في مدح كافور :

أبا المسك هل في الكاس فضل أمانه
فأنى اغنى منى حين وتشرى
وكلها قضى علينا أن نستمر أذواق
القداس ، وإن ننظر بعيونهم ونعيش
بوجدانهم .

ومنذ اثني عشر قرنا ، تبلبل « ابن
قتيبة » من استمارة ذوق السابقين ، فقال
في كتابه (الشعر والشعراء) : « ولم أسلك
فيما ذكرته من شعر كل شاعر .. سبيل
من لا أد أو استحسن باستحسان غيره ، ولا
نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة
لنقد ، وإلى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره
ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة
على زمن دون زمن ، ولا خص به قوما
دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما
بين عباده في كل دهر ، وجعل كل قديم
حينما في عصره » .

وفي القرن السادس الهجري ، فجع
« ابن بسام » في أقصى المغرب ، من
العبود والتقليد ، واستمارة ذوق بيته
أخرى غير بيته ، فقال في كتابه الأخيرة :
« لا أن أهل هذا الأفق — بمنى
الاندلس — أبوا إلا بياضة أهل المشرق
يرجمون إلى أخبارهم المعتادة .. حتى
لو تمق بتلك الافاق غراب ، أو طين
بأقصى الشام والعراق ذباب ، لجنوا على
هذا صنما ، وتلوا ذلك كتابا محكما .
وليت شعري من قصر العلم على بعض
الزمان ، وخص أهل المشرق بالاحسان .. »

والاحسان غير محصور ، وليس الفضل
على زمن بقصور ، وهزير على الفضل
أن ينكر ، تقدم به الزمان أو تأخر .
ولحن الله قلوبهم : الفضل للبتقدم . فكم

وقد حدد أولئك القدماء للشعراء
منازلهم ومراتبهم وأقدارهم ، واختاروا
نماذج من الشعر العربي راوها أجمل
وأجود ما قبل في بابها ، ومرت مصور
وترون ، وما يزال الشعراء حيث وضعهم
أولئك المتقدمين ، وما تزال النماذج التي
اختاروها ، هي التي تستأثر بعنايتنا
واهتمامنا ، وما تزال أحكامهم ومقاييسهم
رالجة لدينا ، نعيدها ونكررها ونذكر في
نحائنا ، وما تزال القيم التي وضعوها
للأدب ، هي التي تسيطر على فهمنا
لتراثنا الأدبي ، وتوجه ذوقنا له ، وتحدد
أدراكنا لوظيفة الأدب في الحياة ومكانه
بها .

فمن ارتاب في ذلك ، فليسال أي
طالب عما يتعلمه من الأدب العربي ، أو
لليفتح أي كتاب من الكتب المترجمة في
الأدب ، فسيرى أن الدائج لا تزال
تتشغلنا أكثر اهتمامنا ، وسبقنا ، أن
« الإلهي » لا يزال صناجة العرب ، ومن
مختاراته ، نضبوته التي مدحها « المعلق » .
لأنه هيا له اكلة دسمة ، وأبياته اللابية
التي يتغزل بها في « هريرة » التي
تبشى الهوينى كما تبشى الوجى الوحلا

وسيرى أن « النساغة » لا يزال
يستحق أسارة الشعر الجساملى
باعتذارياته الذليلة التي أقر فيها على
نفسه بالعبودية لسيد النعمان الذي
اشترى شعره ووجدانه بالمال ، فإذا
غضب عليه السيد ، ضاقت الدنيا في
وجهه ، وصار كالبعير الأجرب المنبول .

وبائية جرير ، لا تزال أمدح قصيدة
للحرب ، ولها يحكى حكايته مع زوجته
أم حذرة ، حين قالت له ما ترجته
بلنة اليوم : ياخيبتك الناس يسمون
إلى الملك في التماس عطائه ، وانست
قاعد

دلت من احسان ، والخل من فلان ! ولو
أقتصر المتأخرون على كتب المتقدمين
لضاع علم كثير ، وذهب أدب عزيز .
وابن قتيبة ، وابن بسام ، قد كانا
تريين عهد باليوم . قسيما ، وقد عاشا
كلاهما ، في مصور بتخلية وبجتمع بتصدع
انلسنا أولى منها بمثل هذا التحرر الفكري
والذوقى ؟

وهل ترى يلقى بنا أن يجهد ذوقنا
عند الموروث من قيم نقدية وأحكام أدبية
نطقهاا مقلدين ، عن أجيال انفصلنا عنها
قرون واعوام ، جد فيها على ثقافتنا
وأذواقنا ما جد ؟

لقد آن لنا أن نخلص إلى تراثنا
الأدبي ، فننهبه في وعى ونلخصه بحرية
ونقومه بذوق متحرر من رواسب العصور
المتخلية ، التي لا تزال متحجرة في
الميدان ، تجهد ذوقنا ، وتصيب الدرس
الأدبي عندنا بما يشبه العلم والشلل .

وهذا التحرر من التيم المستمارة ،
ليس فيه ماس بكانة الأجيال السالفة
أو حجود لفعلها ، أو مسخ لجهودها
وأزراء لطاقتها التي لم تسعها على
أكثر ما بلغت ، على حين يؤذينا
العبود عندها ، ويعمل تطورها الذي لابد
منه لكى نحقق وجودنا ، ونسائر زماننا .
والطريق أمامنا شاقة وطويلة ، والغاية
بعيدة ، لن ندرك إلا بكفاح متصل ،
 وجهود متآزرة يبذلها المؤمنون برسالة

الأدب فينا ، المخذزون لاحتنا إلى ليم
جديدة لدينا ، تلاثم كرامتنا المملكية
ومستوانا الفني ، ونظرتنا الجادة المخبرة
لكان الأدب في الحياة .

التاريخ: ١٠ / ١١ / ١٩٦١

الأدب النسوي

قالوا في روما: إن القول باختصاص أدبي
للمرأة العربية ليس إلا انعكاساً لانفصالية
الحريم في العصر الحواري

قصايا

أدبنا

المعاصر



بقلم: الدكتورة بنت الشاطئ

ما لقيت هذا . منذ
رجعت من روما ،
أحدا من المشتغلين
بالادب ، الا سألني :
ما الذي كان في الحلقه
الدولية لدراسة
ادبنا المعاصر ؟

والجواب عن هذا السؤال ، لا يفي به
رد سريع ، او مثالي ، او مثاليان ..
فلقد اثر في هذه الحلقه ، عدد من
اهم القضايا التي تشغلنا في الميدان الادبي ،
ادعانا ، ونقدا ، ودراسة . وكانت هذه
القضايا قد وزعت قبل موعد انعقاد
الحلقه بأشهر ، على عدد من المخصصين
اعد كل منهم تقريرا عن قضية منها ،
طبع ووزع على جميع الاعضاء المشتركين
في الحلقه . ثم كان النظام المنبع ، ان
تمتد جلسة خاصة ، يحضرها جميع الاعضاء
حيث تدور المناقشة في اوسع نطاق .
وبهذا ، تكون كل قضية بما اثر في
الحلقه ، قد اتبعت لها الفرقة الكافية
للمعرض والنقد ، وانضمت الى
رأي دارسها المخصص ، آراء عدد
غير قليل من الزملاء الاعضاء ، يمثلون
مختلف المذاهب الادبية ، والانجاعات الفنية
ويعبرون عن شتى التيارات التي يسبح
بها محيطنا الادبي .

ومن هنا ، لم يكن في استطاعتنا ان
اجيب عن السؤال في مقال واحد ، بل
لعلنا لو خصصت كل قضية بمقال ، اعرض
فيه حوها العام ، واشير الى اتجاه التيارات
المختلفة فيه ، لما ادبت الا ادنى حقها
من الوفاء والبيان .

التاريخ: ١٠ / ١١ / ١٩٦١

(٢)

ان تتابع ادباء من العراق ولبنان ،
ومن تونس والجزائر ، يعلنون ان تخصيص
المرأة العربية بنوع من الادب ، انما هو
في الواقع انعكاس لانفصالية الحريم التي
عزلت الجنسين احدهما عن الآخر ، في
العصور الخوالي ، ولا تزال تعزلهما في
المجتمعات المتخلفة حضاريا . والا فالادب
ادب ، سواء كتبه رجل او كنيته امرأة
والقول بان المرأة تنهز بالعاطفية في
كتابتها ، برده ان الادب كله لا يجوز ان
يخلو من العنصر العاطفي الذي هو قوام
فنائه ، والا فهل يمكن تصور وجود ادب
غير عاطفي ؟ وما يقال كذلك عن اختصاص
المرأة بالحديث عن مشاعرها الذاتية ،
يرد عليه بان هناك ادباء من الرجال عبروا
في صدق واقتدار عن مشاعر الانثى ،
ونفذوا الى اعماق وجدانها .
واسلم مادي ، ذي بدء ، بان الادب
النسوي جزء من الادب العام لا ينفصل عنه ،
لكن هذا لا يمنع بحال ما ، من افراد
بالنظر والدراسة على وجه التخصيص ،
على نحو ما نفعل بكثير من فروع الدراسة
لفنون الادب ، او بصف خاص من الادباء ،
دون ان تمنع عمومية الادب من هذه
الخصوصية ، بل دون ان يقال ان التخصيص
ينفي التخصيص .
وعصرنا عصر تخصص ، ولا احد منا
يطبق النناول العام للادب جملة ، بل تتشعب
الدراسات الادبية بالنناول المتخصص الذي
هو سمة العصر ، والذي يكسب الدرس
الادبي دقة وعمقا واثراء وتنوعا ..

واذا جاز - جدلا - الا نفرق في
العلم بين عالم ومالة ، فان مثل هذا
لا يجوز في الادب الذي هو بطبيعته نشاط
وجداني ذاتي ، يختلف فيه الاديب عن



وسابدا اليوم بموضوع الادب النسوي
العربي المعاصر . لا تحيزا للجنس ، ولا
ايمانا لموضوعي بالنقدية ، ولكن لان
مناقشته في الحلقة ، قد كشفت لي عن
لبس كبير ، في الفهم الشائع لادب المرأة
العربية المعاصرة ، ثم في تقديره وتقييمه
وهو لبس ، لا اتول اني لم التفت اليه
من قبل ، لكني اعترف بانني لم اعره
كثير اهتمام ، حيث لم اكن اقدر مدى
نفوذه وسيطرته ، حتى سمعت المناقشة
التي دارت حول هذا الموضوع في «روما»
كان التيار الغالب ، هو انكار وجود
ادب نسوي خاص ، او ان كان ،
فليس يعدو هذه القصص الجريئة التي
تكتبها املي بعلبي وكوليت سهل خوري
ومثيلاتها ، كاشفات لنا في صراحة جريئة
عن عواطف الانثى واهوائها ، دون تخرج
او مداراة . ومذيعات سر حواء ، من
وراء الحجب التي اسدلتها عليها قرون
من الواد العاطفي والرق الاجتماعي .
فنحن هنا امام مسائلتين :
اولاهما : انكار اختصاص المرأة بنوع
مميز من الادب ، يجيز ان نتناوله بالبحث
المفرد ، مستقلا عن الادب العام ، للرجل
والمرأة على السواء .
والاخرى : التهمة الحقيقية لنوع معين
من قصص الادبيات العربيات ، يقال
انها وحدها التي تستحق ان تبتل ادبا
النسوي . نمر ، اذا جاز تمييزه عن
الادب العام .



وقد بلغ من عنف الجدل حول المسألة الاولى

الاديب ، فكيف لا تختلف الادبية عن
الاديب ؟
ان الادباء جميعا بشر ، يندرجون في
الجنس العام الذي هو الانسان ، لكن لكل
واحد منهم شخصيته الفردية الى جانب
انسانيته العامة . واولى ان يقال هذا فيما بين
الادبية والاديب من فروق جوهرية ، في
البنية والتكوين ، وفي العقلية والمزاج
وفي النظرة الى الاشياء ، بل في كل
ما هو عنصر من عناصر الشخصية التي بها
تكون المرأة امرأة ، والرجل رجلا . .
ليس في الامر اذن ، انمازالية من
رواسب القرون الخوالي ، بل هو تقدير
لفروق جوهرية ، بتأثير بها العمل الادبي
دون ريب .

الذي هو جوهر كل عمل ادبي ، لكن اقول
ان لنا نحن الادبيات ، رصيذا عاطفيا
مضاعفا : قدر منه يشاركنا فيه الادباء
بحكم طبيعة الفن ، وقدر آخر تنفرد به ،
بحكم انوثتنا . اعني ان وجدانية الادب تاتي
من صفة الادبية ، اما الادبية ، فلها الى
جانب هذه الصفة ، كونها عاطفية بفطرتها
اصالة .

ومن اجل هذا تشد حاجة الادب المعاصر
اليها ، بعد ان اتجه الى الذهب الواقعي
وانطلق من البلاط السلطان اليه سارس
ونظفته الكرى في التعبير عن الجماعة ،
والقيادة الوجدانية للجماع . فلقد بدخس
ان تجرده الواقعية من العاطفية التي هي
سر قنيتها ومناط تأثيره ، واذ ذاك تكون
مشاركة المرأة في الادب ، ضمانا لتوفر
هذا العنصر ، الذي يمكن ان يتخطى عنه
اديب واقعي ، ليتقدم لنا اعماله قائمة
على التصوير الالي ، والسرد التقريري
الجاف لخصاي المجتمع ، ولا يمكن بحال ما
ان تتخطى الادبية عن تناول العاطفي ،
في الادب الواقعي ، لان العاطفة جوهر
انوثتها نظرة وطبيعة

كما ليس في الامر اهدار لعموم الصفة
الادبية للرجال والنساء على السواء ، ولكنه
تخصيص بابي علينا هذا تناول العام
المهدر لخصوصية الادبية العربية ، والا
لانكرنا مثلا ان نفرق بين ادب الشرق
والغرب ، او بين ادب عرسى وغير عرسى
او بين ادب معاصر وغير معاصر ، بدهوى
عمومية الادب ، التي يستوي لديها ان
يكون العمل الادبي حديثا او قديما ،
شرقيا او غربيا .

وما يقال عن اقتدار ادباء رجال ،
على التعبير عن مشاعر الانثى ، عجيب بل

ومصحيح ان الاديب لا يمكن ان يكون
اديبا حقا اذا اعوزه العنصر الوجداني

(٤)

ان هؤلاء الشعراء السنين ، لبثن بلجات
اللسنة مغلقات القلب معطلات الشعور ،
حتى يموت لاحدهن أخ أو أب أو ولد
فترثيه .

وغبرت عصور ، والرجال هم الذين
يتولون التعبير عن مشاعرنا ، وبترحمون
اشواقنا ، ويذمون عنا في وساستحريتنا
العاطفية التي هي جوهر وجود المرأة ،
وقوام انوثتها ، وسر حياتها . .

لم تتكلم خولة وعيلة وسلمى ، وهدى
وسكينة والثريا ، وليلى ولسنى ، ونبينة
وعزة ، ومبة وعنراء ، وفوز واسماء ،

وانما تكلم عنهن امرؤ القيس وعمر بن
أبي ربيعة ، وجبيل وكثير والاحنف ، وامثال
لهم من تطلقوا باللسنة الحبيبات ، ونقلوا
الينا وجيب قلوبهم وحديث مشاعرهم .

وتقول علينا منهم الباطل من تقول ،
وصورتنا على بزاجه وهواه ، واتحينا في
مغامرات مخترعة ، صاغتها احلام اليقظة
وشطحات الوهم . .

ومازال هذا داب كتاب منا معروفين ،
ينظنون في تصوير المرأة كما شاست لهم
عقدهم ، ويروون عنا قصصا لا تحدث :
الا في خيالهم . . .

واذا كان كلام الشعراء المتقدمين ، جاز
عنى جداتنا في غفلتهم عما يقال عنهم ،
فانه لم يعد يجوز على بنات هذا الجيل
الواعيات ، وفيهن ملايين الثارثات ، ومئات
من الكاتبات . .

ولو لم يكن للأدب العربي المعاصر منا
الا ان نصصح هذا الزيف الادبي ، لكان
هذا وحده كافيا لتبرير وجود الادب النسوي



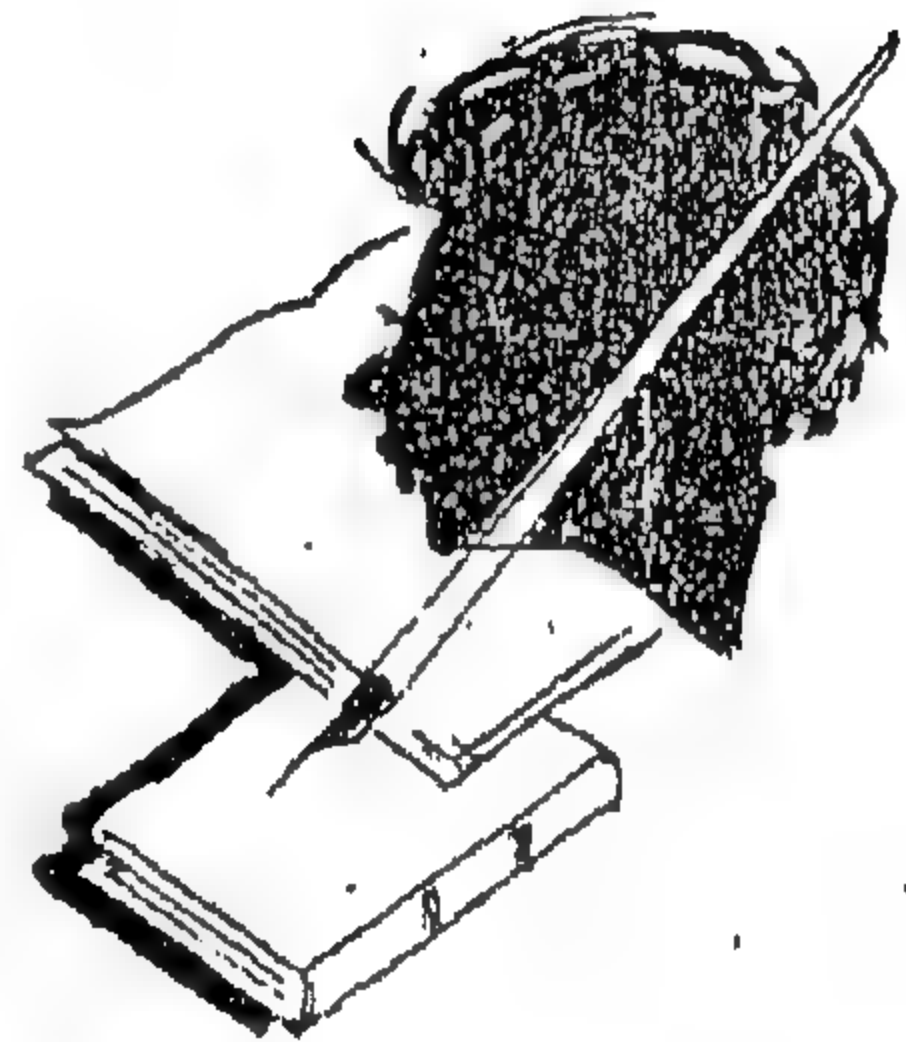
وارى الكلام قد طال ، قبل ان اصل الى
مناقشة تلك المسألة الاخرى ، عن الامة
الحقيقية لصنف معين من قصص الكاتبات
المعاصرات ، يقال انها التي تمثل الادب
النسوي العربي ، وتبرر الاعتراض به ،
واخشى ان انا تعرضت لها الان ، ان
يفيق المجال عن تناولها بما تستحق من
حرص وعناية ، فلارجئها الى فرصة اخرى
اوسع وارحب . .

المعاصر ، لكون هي التي تعبر عن مشاعر
هواه اصالة ، وتقدم لنا صورتها ، برسوة
بقلها .

وقد مضى على الادب العربي حين من
الدهر ، وهو ينتقد هذه الصورة الاصلية
لهواه ، لا لان الادبية العربية مقموجدانها
وتعطلت مشاعرها فلم تتحدث عن ذاتها ،
ولكن لان تاريخنا الادبي كتب في عصور
حجبت المرأة ، فلم تسع لها ان تتحدث
من عاطفتها وتغنى اشواقها ، وانما حسبها
ان ترثى من مات من اهلها !

وبالرئاء وحده ، حددوا المجال الفني
للادبية العربية . وقد بدأ هذا التحديد
من القرن الثاني ، مع بدء العصر العباسي
فرائد النقد الادبي «ابن سلام» لم
يعترف للمرأة بمكان في «طبقات الشعراء»
الا مع شعراء الرئاء الذين عد منهم
الخنساء . ثم لم يعترف بشاعرية الخنساء
الا بعد موت أخيها مخر أبهرا بذلك
كل شعر لها قالته في غير الرئاء ، قبل
ان تقام مناحة صخر .

وظل هذا المقياس النقدي ، هو المحتكم
في تاريخنا الادبي لدى قرون ، فالتى
بالاثار الادبية للمرأة العربية ، مما لا
يتصل بالرئاء ، في منطقة الظل . ولم يستطع
عصرنا الحديث ان يتخلص من احتكام ذلك
المقياس النقدي ، لحين نشر اليسوعيون
ديوان الخنساء في بيروت ، فسبوا اليه
مرآى سقين شاعرة عربية من الجاهلية
ومدر الاسلام ، وهان عليهم ان يتصوروا



شاذ لفواصل ان الاديب يصف المرأة كما
يراه في دنياه ، ويعرفها في تجربته ،
او كما يتوكلها ويريدها . وهو هنا يقدم
لنا - في صدق وانتدار - صور المرأة
عنده ، وجقبتها في وزنه ورأيه . اما
صورتها الاصلية فتقدمها لنا هواء الادبية
كما تجدها في فطرتها وتعرفها في ذاتها
ولو صح ان ادبا استطاع ان يقدم لنا
هذه الصورة الاصلية ، وان يعبر عن
مشاعر الانثى كما هي ، فقد «استنوق
الجل» كما قال شاعرنا الشاب «الطرفة»
من وراء خبسة عشر قرنا

وهذا ، اعتبار آخر ، يجعل للادبية
العربية مكانها الخاص المتميز ، في ادبنا

التاريخ : ١٧ / ١١ / ١٩٦١

قضايا أدبية المعاصر



قالوا : ان قصص ليلي بعلبكي وكوليت سهيل ، تقدم الصورة الاصلية
لحواء العرب الجديدة .
واقول : بل هذه صورة زائفة ، لتلك التي تمثلها الرجل في عصر الحريم ،
مرسومة باقلام كاتبات ، أخطاهن وعى حقيقتنا وادراك واقعنا .

صورة زائفة

أكثر الذين رفضوا الاعتراف باختصاص أدبي للمرأة - من اشتركوا في حلقة روما لدراسة أدبنا المعاصر - عادوا فاعلنوا
انه اذا جاز لنا ان نعترف بوجود أدب نسوي عندنا ، فليس يعدو هذه القصص التي تكتبها ليلي بعلبكي وكوليت سهيل خوري
ومثيلاتها ، كاشفات لنا في جراءة من عواطف الابن وأهوائها ، ومذيعات سر حواء الشرق ، من وراء الحجب التي أسلنتها عليها
قرون من الواد العاطفي والرق الاجتماعي .



كوليت خوري



بسمال كحونة

بنت الشاطئ

ولكن يتبين القاري مدى سيطرة
هذه الفكرة وخطرها ، اتول انني ارتقت
البحث الذي قديمته الى الحلقة من ادبنا
النسوي ، ببيان لما اعرّب من مؤلفات
مطبوعة ، تدبها الكاتبات العربيات الى
بكتبة ادبنا المعاصر .

وتد سجل هذا البيان ، ان للادب
العربي المعاصر ، اثنين وعشرين ديوانا
من الشعر ، وعشرة كتب من النثر الادبي
وسماعة عشرين من الروايات والمجموعات
والتسمية ، وسما وثلاثين من التراجم
- بيجرائي - والدراسات الادبية ،
وعشرة كتب من الادب الاجنبي .

وتفضل الدكتور جهل صليبة ، فأسان
الى تاني اسم الساعة السورية
« ماري عجمي » التي قيل فيها :

ان ماري العجمية
هي « هي » وزيادة

(٢)



عبد الرحمن صدي



مصطفى محمود



ليلى بكي

وفي الوقت الذي كان أعضاء الحلقة من المستشرقين، يحفلون فيه بالدراسات الأدبية لكاتبنا، ويعربون عن بالغ تقديرهم لمشاركنا في تحقيق النصوص وخدمة التراث اللغوي والأدبي للعربية، ويذكرون فيها بذكور، أعمالا أدبية لنا من شعر وقصص، يشهدون لها بالاصالة والامتياز ..

في هذا الوقت، كان أثر الأدباء العرب، يوجبون الإهتمام الي قصص «أنا أحنا، والآلهة المسوخة»، وأيام معه، وليلة واحدة» ويعلنون أنها التي تزود الأدب العربي المعاصر، بالنماذج الأصيلة لأدب حواء الشرق

قال الدكتور الإحصاني : رئيس اتحاد كتاب المغرب : ان رواية أنا أحنا، صرخة مؤثرة تشكو ما تعرض له المرأة المسلمة !! «من غفط وأرقاق وعبودية ان الرجل لا يزال يريد أمة مستعمدة، ويسمح له بالكنة على هواه، فلم لا يسمح للمرأة بأن تعلن احتجاجها وتصرح برغباتها ؟ ان مثل هذه الآفة، تملح في المجال الأدبي، فتسبب الوضع الاجتماعي للمرأة، فن واتمية الأدب تشبه قسبتها ولا يجوز ان نحققها فتناول من موضوعات كانت محربة على المرأة، فليس في الأدب اليوم موضوعات محربة !

وأبد «السيد برادي الأدب المغربي» قائلا : ان لهذه التمسس فية قاربضة من حيث تعيرها من التطور العريق في نفسة المرأة العربية، وفي شخصيتها وسلوكها. وهي من هذه الناحية، ساعدت على خلق أتم جديدة في أدنا المعاصر . وقال الأديب التونسي «محمد بوالسي» : ان من الخطأ ان نحكم الاخلاق في مثل هذه القصص . فالتأثير لا يجوز له ان ينظر الى الأدب من حيث كونه معلما او واعظا . وقال الأديب الجزائري الكاتب يس : ان محاولة ليلى بكي يجب الا تسحق

كما فهم اليها الأدب اللساني « خليل رامز مركيس » ديوان «النسمات» للشاعرة اللبنانية سلمى صانع «وتصغر» «عائرو سبيل» للأديبة الفلسطينية لريا ملكس. وتلقبت اثر عودني «حفتا» من الأديب الكر «جورج صمدح» - الذي هالت «فردول طارئة دون اشتراكه في الحلقة - يستكمل فيه هذه القائمة : أسانسا للأدب النسوي، بخمسة دواوين من الشعر، وثلاث مجموعات قصصية، ولثانية كتب في النقد والأدب الاجنبي .

كما لفتني الى ادبيات عربيات في المهاجر الأمريكية، مثل :

نورا توبهض حواني : صاحبة مجلة دنيا المرأة

والن وبخاني : صاحبة مجلة حديثة الأطفال

وماريانا فاخوري : صاحبة مجلة المراحل (لسان باولو)

وليلى نفاع ونسيبة نصر : من ادبيات العرب في «بونفديو»

وأولغا شمس : رئيسة نادي الادباء في «برانكا : كولومبيا» ولها أربعة دواوين شعرية في اللغة الإسبانية .

وبهذا ارتفع رتم رميدنا في مكتبة الأدب العربي المعاصر، الى أكثر من مائة وعشرين كتابا، لهذا الجبل من ادبيات العربية .

وهو رصيد تتجاوز قيمته دلالة الإحصاء

الرقمي، اذا قدرنا الوضع الاجتماعي والثقافي للمرأة العربية حتى عهد قريب وادخلنا في حسابنا بالانزال الرجعية نظرسه عليها - في بعض أقطار الشرق العربي - من اغلال الجهل والعزلة . ثم كانت المفاجأة، ان أكثر الذين تعرضوا لتأليم أدنا المعاصر، من ادباء العرب في حلقة روما، لم يلتزم من هذا الرصيد الفني الا قصص ليلى وكولبت وان المناشئة كانت تدور وتحور، حول ذلك الصنف من قصص الكائنات المربيات

راى الرجل في المرأة ايام الحريم ،
معكوسا على وجدان عدد من الكاتبات ،
اخطاهن وعلى حقيقتنا وادراك واقفنا !

هل يبدو هذا الكلام غريبا ؟
ان غرابته لن تثبت ان تزول ، لو تحررنا
لحظة من احتكام الفكرة المسيطرة ، واحتكنا
الى الواقع الاجتماعي والحق التاريخي ؛
لقد كان راى الرجل في المرأة قديما
انها لا تملك طفتها ولا تؤمن على فصيلتها
وانما يملكها حارس القصر الحريم ، وحامل
مفتاح الحزام الحديدى ، فاذا غاب الحارس
لحظة ، تعثرت في اول خطوة لها خارج
القصر ، وسقطت في شباك اول صائد
يترصد لها في الطريق ..

ومن اجل هذا شدد عليها الحراسة ،
واحكم اخلاق الابواب ، ووكّل بها من يقوم
على مراقبتها اذا خرج او سائر ..
وهذا هو التفسير الصحيح للوضع
الاجتماعى للمرأة في عصور الازدواج
بل انه ليس هذا ، انما هو النظام الهندسى
للبيت الشرقى في العصور الوسطى ،
حيث كانت ثوابه تفتح على فناء داخلى ،
ثمنا لمزل الحريم عن العالم الخارجى
وحماية للمرأة من الفجاءة ..

ثم ولي عصر الحريم وراح ..
وتغيرت هندسة البيت العربى ، ففتحت
ابوابه ونواحيه على الطريق العام ..
وخرجت المرأة من القصر ، وانطلقت
في شتى الاناق والميادين ، حاملة متحررة
— لكن — واسب من تلك العقليات القديمة ،
الانزالاتية فبنا ، تعبّر عنها قصص الرجال
كقصّة الاستاذة فاطمة لمصطفى محمود ،
واكثر قصص (هذا النوع من النساء)
لابن يوسف غراب ، (الضيف من الشرق)
لفاضل السباعي ..

وكما نقول نهؤلاء : لم تعرفوا المرأة
حق المعرفة ، وما تزالون تنظرون اليها
باعين حراس القصر ، وصناع الحزام
الحديدى ..

ثم جاءت كوليت وليلى ، واخريليت مثلها
يكتبن قصصا عن المرأة ، فكانت الماساة
انهن قدمن فيها صورة طبق الاصل للمرأة
كما كان الرجل يراها في عصر الظلمات !
هذه المرأة التى لا تكاد تغفلت عن التفتن ،
او تغيب عن عين الحارس ، حتى تسقط !

« ريم » في ايام جمع ، تمردت على
العرف والتقاليد ، ثم مكادت ترقى « زياد »
حتى كان الذى يهرما منه في اول لقاء ،
شوخ بنياته ومظاهر رجولته . وعندما

لنصرف النظر عن مستواهما النفسى ، بحسب
ان تشجع هذه المرأة التى وانت « ليلي »
لكنت « انا احنا »

وقال الناقد العراقى « جبرا ابراهيم
جبرا : ان الذين يجادلون هذه القصص ،
يمثلون عندنا اتجاها قديما خاطئا . فالواقع
ان « انا احنا » قصة مغلقة من جوارح
سبية ، وتسجيل لاحساس الشابة العربية
الجديدة بين حجرى الرجا : بين قوة
الخلود ، وجسوت الرحمة .

ثم لم يكتف الا برعى مناقشة هذه
القضية في الجلسة التى خصصت لادب
المرأة ، بل عاد الجدل لخدم حين تقدم
الاستاذ جبرا تقريره عن « الرواية
والنص المسرحية في الادب العربى المعاصر »
وتد استأثرت ليلي بعلتكى وخدها ، بنصف
الصلحات الثلاث ، التى تناولت الرواية
العربية !

أتى هذا الحد ، شغلنا قصص بيتى
وكوليت ، وبمثل ذلك السائد المعبود
والاحتمام البالغ ، نظر اليها فريق من
الزلاء الابداء . وما من ريب في انهم لا
يعبرون عن اراء لهم فردية فحسب ،
وانما يعبرون ايضا عن فكرة عامة مسيطرة
ولعلنا لم ننس كبة الاستاذ عبدالرحمن
صدقى ، التى حملت « انغلاق » هباء
الشعوانى — ومثلها مثل ليلي بعلتكى —
من « اللوائى العلمية » الجديدة بان يرجع
اليها الباحثون في طبيعة المرأة في اطوار
حاضنها واغوار حقيقتها ، ويستعين بها
المنقبون عن سر ضميرها وفنونها ..

وما اكثر من يلتبسون عند ليلي وكوليت
او عند جاذبية وموفى وهباء ، الصورة

الاصيلة لخواه العرب ، في عصرنا الجديد

ولهؤلاء جيمنا القول :
كلا ، والف مرة كلا ..

القولها بملء اليقين ، وبكل الاصرار ..
فليس صحيحا ان هذه القصص تمثل
واقفنا ، وتعبّر عن مشاعرنا ، وتكشف
عن حقيقتنا ..

وليس صحيحا ، ان هذه القصص تقدم
للادب العربى المعاصر ، التعبير الصادق
عن الوضع الاجتماعى للمرأة العربية ،
بين شقى الرضى ..

وانما الصحيح ان هذه القصص ، من
رواسب العصور الخوالى ..
وكل تيمة لها ، انها تقدم لنا صدى

فنوا نشكوى حتى الصباح
وانتشوا بالليل حتى صخرة الحجر
والقوا القيود في لفوة الليل السكران
بخفيكم الظلام عن النجم السهران



القيود في عالم انطلق ؟
أظما والكأس دهان ؟
لا ، بل صخب دون مينان ؟
لنلق عبادة النساك والرهبان
ونرسل الضحكات في شعر مجنون
مالشعر الا خمر الشيطان ..

وانما طالبنا بحريتنا ، لتكون هزة انولتنا
بأيدينا لا بأيدي الحراس ولتكون كرامة
علتنا بارادتنا وليست مفروضة علينا فرضا
بالانفاس والاقفال ..

فهل جاوزت الحق والصواب ، اذا قلت
ان هذه الشمس لانيل واقمنا ؟ واذا
اعلنت ببلد اليقين والاصرار ، انها لا تقدم
غير الصورة الشائبة المسوخة لحواء ،
كما كان الرجل يراها في المصور الخوالي
معكوسة على وجدان فلة من الكائنات ،
اخطاهن وعي حقيقتنا وادراك واقمنا ؟

بعيدا عن الوعظ والارشاد ..
اقول ان هذه الشمس لانيلة ، لانيل
واقمنا اليوم ..

بل لم تكن تملكه على الاطلاق ، ايان عصر
الحريم !

فلقد كانت نفسياتها ملك بينها ، على
مكس ماكان الرجل يتوهم !

ولو ارادت ان تتخلي عنها ، لما حوزتها
الحيلة ، وهي بين القصبان ، لتستغل
الحراس ، وتضحك على ثلوارب لهم
كاجنحة الصقور !

وكم قلب كيدها كيد الرجال !
بل كم لعبت - وهي في الغلال رقتا -
بمقول السلاطين ، واحتكمت في مصايروها
مر ونحن لم نطالب بحريتنا لنهذي بعواء
الجنس ، ولا لنسقط في الليلة الواحدة
التي يفيب عنا فيها الحراس ، ولا لتخترق
الخطيئة معزائر قريب يدخل مخدع الزوجية
لاول مرة ..

لم نطالب بحريتنا ، لنصرخ في خبال ،
كما صرخت هيفاء :

هلموا يارباني الليل اقبل المساء
هلموا يا عباد الهوى ، اجيبوا النداء
عبوا من خير الثغور الملاح

الفردا لاول مرة ، استمعنا كوليت صرير
حديد الاريكة ، في الفوه الشاحب ..
وفي الليلة واحدة عاشت البظلة عشر
سنوات في حب الزوجية ، مفينة فاضلة
تحت حراسة الزوج ، حتى اذا غاب
الحارس لليلة واحدة ، سقطت المسكينة
لي شبك اول عابر سبيل مجهول لقلبته
لاول مرة في القطار ، اثر فراقها
لزوجها ، لاول مرة !
وليلي ، ماكادت تحطم قصبان القفص
حتى اندفعت مخبولة مخبورة ، تسعوى
إلى احيا !

ومضى عبد الله ، في «عاصفة في
القلب» استطعت الزوجة التي تحب زوجها
منذ اول لمسة من يد شاب في مثل عمر
ابنها الوحيد الذي شكلته صغيرا ، واسلمته
جسدا في زيارته الاولى لبيتها ، حين
خرج الزوج الى السوق !
او لبس هذا تمايا ، هو ماكان الرجل
يقصوره ، ويبرر به حبسنا في القفص
وانما ان الواحدة منا اذا افلتت منه ،
سقطت من اول خطوة .



وبعيدا عن نطاق الحكم الاخلاقي ..

لغتنا والثقافة

قضايا أدبية المعاصر

٣

دعاة التطور والتجديد ، يخطئون حين يجعلون العربية معجماً ، و يظنون أن صفتها الدينية ، تجول بينها وبين وإنما هو ذنب ناس منا ، يتصورون أن سلامة الفصحى قديمها ، وصونها من دنس العرب والدخيل ..

بقلم : الدكتور بنت الساطع

قال المستشرق « جابريلى » :
لو كنت أدبياً عربياً لما فكرت لحظة في الكتابة بالعامية ، ولما هان على ، أن اتخلى عن لغة أصيلة واسعة الذبوع والانتشار ، تصلى بالقارىء العربى أينما كان ، لاكتب بلهجة محلية محدودة الأفق ضيقة المجال .

وقال المستشرق « موريانو » :
لقد تعلمت العربية في إيطاليا ، ثم أقمت زمناً في ليبيا ، وفي مصر والسودان ، وفي العراق .. فواجهتني مشكلة اختلاف اللهجات وصعوبة التفاهم بها . إذا قلت لعربى في بنغازى : أعطنى شراباً ، ثم ألتفتا لعربى في طرابلس ، أعطانى أحدهما مشروباً ، وأعطانى الآخر جورباً ! وكانت الفصحى هي ملاذى في تلك المواقف الصعبة . فالمشكلة في رأى لا تعالج بالقضاء على الفصحى المشتركة التى هي وسيلة التفاهم بين أقطار العربية ، وإنما تعالج بمحاولة التمكن لهذه اللغة المشتركة ، للتخفيف من فروق اللهجات

كانت قضية اللغة ، من أعقد المشكلات التى واجهتنا في حلقة روما لدراسة أدبنا المعاصر ، ولعل سبب تعقدها أن المناقشة فيها تشعبت حتى أعيانا أن نركزها في مشكلة محددة يمكن أن ندير حولها الجدل ، وتبادل وجهات النظر .

للتدائيات مشكلة العامية والفصحى وتبلّ لها قبل : أن مرونة العامية ، والف الجاهل لها ، وتحررها من عقد الفصحى بها يجعلها في المجال الأدبى أقوى فاعلية وأدنى إلى الواقعية ، وأجدر بأن تؤثر في وجدان العوام الذين هم جمهور الشعب ومن عجب : أن أكثر المستشرقين من أمضاء الحلثة ، استغربوا أن يكون بين أبناء العرب ، من يدعو إلى التخلي عن النصيحى ، وهي اللغة المشتركة التى يتفاهم بها الشرقى والمغربى ، ويلتقى مندها أصحاب العربية جميعاً ، في وحدة فكرية ووجدانية .

(٢)

وليس هذا العلاج مستمعياً ، لو اخذتم التلاميذ منذ الصغر ، في كل المدارس العربية ، بأن يتكلموا بلهجة بسيطة . واعتزف المستشرق « لوسري » ، بأنه قرا مثالا بالفرنسية لسائر ، فلم يفهمه حق الفهم . فصعوبة بعض النصوص العربية ليست بدعا فيها ، كما ان تعدد اللهجات ، ظاهرة طبيعية نشاركها فيها اللغات الاوروبية الحية . ولم يحدث ان لهجة محلية في اللغة الفرنسية او الالمانية فرضت نفسها على المجموع . بل ان الفصحى المشتركة هي التي فرضت نفسها .

واشهد انهم كانوا يتكلمون باخلاص سبط على جو المناشئة ، نكسبت الفصحى المعركة ، وبدا لنا آخر الامر ، ان العامة فضلا عن ضيق حدودها ، ليست اقدر على التعبير الادبي ، اذ هي عاجزة عن معالجة اعماق الانسان ، وعقده وعوالمه النفسية والذهنية ، التي تغيب عن العوام .



ونحننا من هذه المشكلة ، لنقلنا مشكلة اخرى اشد تعقدا واصعب تناولا وهي جمود المعجم اللغوي للعربية ، وعجزه عن مسايرة التطور وتلبية حاجة العصر .

وكانت الكلمة الاولى فيها لاستاذنا الدكتور ابراهيم مذكور ، الذي اعتبرت في تقريره عن « الادب العربي تجاه مشكلتي اللغة والحرف » بأن الزمن يسير ، ولا بد ان تسير اللغة معه ، ولقد افادت العربية كثيرا من منبتها الدينية والاجتماعية واكتسبت مناعة وثباتا حبات الخمسوم والاعداء ، وحماها من جوح التغيير والتبدل ، وبقيت على الدهر ، حيث أصبحت لغة تديبة وحديثة مما . . الا ان هذه التداية - من حيث هي لغة دين - كثيرا ما وثقت في طريق الاصلاح والتجديد واعتزفت سبل النور والتطور ، فقليل بالحرام والحلال في امور تتصل بهتمن اللغة واساليبها وكتاباتها ورسمها . . كما ان المعاجم اللغوية وقلت باللغة

عند حدود زمانية ومكانية شديدة ، فقلت كثيرا من معالم الحياة والتطور ، اذ هي توضح العربية في الجاهلية ومصدر الاسلام وتكاد تذكر ما عداها ، وبهذا لا تمثل مصور اللغة كلها ، بل لا تمثل العصر الذي وضعت فيه .

وهو اعتراف بالغ الاهمية ، من جامعى مجمع ، يابى ان تقف باللغة حيث انتهت بها المعاجم التديبة ، ويقرر حقها في مسايرة الزمن . لكنه يثير اكثر من سوال : هل اللغة مسئولة عن ضيق المعاجم وجمودها عند عصر بعينه ، وفي بيئة لا تتجاوزها ؟ وهل الصلة الدينية للعربية ، تقتضى القول بالحلال والحرام في اللغة ، وتلزمها حدودا معينة تعوق تطورها وتجدها ؟ والسؤالان ، كلاهما ، في حاجة الى مزيد بيان ؟

ان واضعى المعاجم العربية ، في حرصهم على سلامة الفصحى ونقلها قد اصرروا على ان يأخذوا بمفردات معجها وتواعد نحوها ومرفها واشتقاقها واساليب تعبيرها وبيئاتها ، من استلزام كلام العرب الفصحاء ، الذين لم تشب السننهم ثابته من عجة ، ولم يدركوا عصر اخلاط الالسنه بعد الفتوح الاسلاميه الكبرى . بل ان اللغويين بمالفة منهم في الحرص على نقاء العربية كرهوا الاخذ من جاهلى صميم كلالشاعر عدى بن زيد ، لانه كان يقيم في الحيرة ، وليست خالصة العربيه ، فلان لسانه وسهل منطقه .

ويجب ان نلتبس للغويين العذر ، اذا قدرنا انهم بهذا الحرص ، انما كانوا ينافلون عن اعز مقومات العربيه ، لسانها ولغة كتابها الديني الخالد ، امام غزو الشعبويه الضاربة ، وبعدان فشا اللحن وشاعت العجة واختلطت الالسنه .

(٢)

٢. ولم يكن هذا قط ، ولا يجوز أن يمتنى
أبداً ، أن تتجدد اللغة عند تدبيرها
المتيقن ، وأن تغلق معجمها نهائياً
للا تقبل الجديد من الالفاظ والمحدثات
المصطلحات . يشهد بهذا ، أن معاجنا
الابتهات ، لم تخل من كلمات أعجبية معربة
أو مستعارة بلفظها من لغات أخرى .
ولم يقل أحد من أئمة اللغة الاولين ، أن
هذه الالفاظ الدخيلة تنسب ينبغي أن
تنزه عنه لساننا ، وما كان لهم أن يقولوا
ذلك ، والقرآن الكريم ، كتاب العربية
الأكبر ومعجزتها البليغة الباهرة ، فيه
الفاظ دخيلة ومعربة . من لغات شتى
وإذا لم نطعن إلى المستشرق الألماني
« برجستراسر » مرجعاً في احصاء ما في
القرآن الكريم من هذه الالفاظ فلعلنا
نطعن إلى « جلال الدين السيوطي » في
رسالة له طبعته بدمشق ، عنوانها :
« المتوكلي » فيما ورد في القرآن باللغة
الخشبية والفارسية ، والهندية ، والتركية
والزنجية ، والنبطية ، والقبطية ، والسريانية
والعبرانية ، والرومية ، والبربرية .
والى رسالة أخرى مطبوعة كذلك
للشيخ حمزة فتح الله ، من « الاصل والبيان
لمعرب القرآن » .

ول دار الكتب بالقاهرة ، بخطوط رقبه
(٢٢٧ مجابيح) ، لم يعلم مؤلفه ، عن
« الالفاظ المعربة في القرآن الكريم »
أجل ، لم يقل أئمة اللغة ، أن اللفظ
الاعجبي تنسب ينبغي أن تنزه عنه لسان
العرب ، وإنما الذي تاله المتخرجون
المتشددون من رجال الدين ، أن العرب
متى نطقوا بكلمة أعجبية واستعملوها
في لسانهم فهي عربية ، أو أن هذه
الالفاظ سقطت إلى العرب فأعربت بها
بالسننها وحولتها عن الفاظ المعجم إلى
العربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت
هذه الحروف بكلام العرب . أو أنها
من الالفاظ المشتركة بين اللغات ، لا تختص
بها لغة دون أخرى فوجودها في لغات
غير عربية ، لا يمنع وجودها أصالة
في لغة العرب .

نأى حرج اذن ، في أن نستعير العربية
في حديثها ، جديداً من الالفاظ الأجنبية تعبر
بها عن مستحدثات العصر ، أن منبع

رلوسلينا جدلاً بان ايا اللغوية
بها يقال فيها بتحريم وتحليل دينياً ،
فصنيع القرآن الكريم ، أقطع برهناً
على الإباحة والتحليل . فلا علينا ،
إذا قضت الضرورة ، أن نصيف النسي
معجمنا اللغوي ، جديداً من الالفاظ
والمصطلحات ، يقرها علماء العربية ، استجابة
لحاجة العصر .



ولا يغترض علينا ، بأن العروبة الخالصة
ليست متحركة في لساننا اليوم ، بالقدر
الذي كان لعلماء اللغة الاقدمين . فقد
اعترفوا لنسبويه ، وليس في عروقه
قطرة من دم عربي ، بأهمية لغوية تغني
وتثبت في العربية ، وجملاً كنسبته فيها
« الكتاب » !

لعل يقال اذن ، أن الباب قد أغلق
منذ وضعت المعاجم الاولى ، تهذيب
الأزهري ، وصحاح الجوهري ، وحكم
ابن سيده ، والنهية لابن الأثير ؟
يمكن أن يقال هذا ، لو أن الزمن
وقد بلغنا عند هؤلاء ، لكن الواقع يشهد
أن هذه اللغة ظلت تبارس تطورها ونموها
بمدهم ، كما بارستها قبلهم غير متوقفة
عند عصر الاستشهاد والتدوين . .

وبدليل أنها أماتت الالفاظ وصيغها
لا شك في فصاحتها وأصالتها ، حين
هجرتها إلى اللغة ولم تسف الحياة استعمالها
وأنا اشتغل منذ سنين ثلاثة - وأكتبها
ثلاثة عمداً - بتحقيق معجم المحكم
لابن سيده ، وهو أحد الأصول التي
أخذ عنها معجمنا الكبير « لسان العرب »

(٤)

الذنب ذنبها في جلود قراعد نحوها ودلالات
الفاثها ، وما هو في الحقيقة الا ذنب
فريق منا ، يرون ان سلامة الفصحى
رهن بالجهود على قديها ، وسونها
من دنس العرب والدخيل ؟

واذا كانت العربية لم تكثر في ماضيها
البعيد بجهود الجامدين ، بل مضت تمارس
تطورها في مرونة ، وتستجيب للحياة
في ملواعة ، فاتها اليوم اجدر بأن تتبسط
سما به قوام حياتها من حرية النمو وحق
التطور ، لتتخلف من انقال مفردات
هجرتها الالسنه وامانتها الحياة ، وتتقبل
من جديد الانماط والمصطلحات ما يثريها
ويزيد من قدرتها على مسايرة الزمن وتلبية
حاجة العصر ، دون أن تشقى من هذا
الجديد على سلاقتها ، أو ترى فيه
ما يشوه اصلها وبدنس هويتها

ولقد سمعت في « روما » من يستنقل
صيفه المثلى في حربية ، ومن يشكو عباءة
المتراذفات الساحظ . والذي نعلمه
بقينا ان العربية اذا كانت قد اقبلت
على صيغة المثلى ، فما ذاك الا لان
الاستعمال قد اقبل عليها ، ولوان الالسنه
هجرت هذه الصيغة ، لامانتها العربية
كما امانت صيغة فعل الامر من الفعل
المعتل الاول والآخر ، حين لم تعد
السنثا تسبق بل « ف بوعدك - وع ما
تسمع - وق نفسك » افعال امر من

و « ووعى ، ووقى ..
وكما هجرت « ذكبا ، وذلكم ، ولكن »
اكفاء بذلك ، في خطاب المفرد والمثنى
والجمع ، على سبيل التخفيف ..
اما المترادفات ، فالذي اطمأنت اليه
الدراسة اللغوية المحققة ، ان العربية
لم تستعمل عدة الفاظ للدلول واحد ،
الا وهي تراعى في كل لفظ منها لمحتلا في
الدلالة يخطف عن سواء . ولم تتعدد
العربية مع ذلك ، في التخلف من عبء
با نسبه المترادفات ، فابانت منها الكثير
عندما نلذ استعمال ..

وليس يعوزني هنا الشاهد والدليل
لبقاء العربية لغة حية ، شاهد على انها
لم تجرد قط ولم تتحجر ، وانما جسد
نفر من اصحابها ، غاب عنهم حسن
العربية في مرونتها وطلاقتها وبسمة
تصرفها وبجازها ، وخيل اليهم ان في
استطاعتهم ان يتساوموا مع الزمن
ويتنهدوا حقبية التطور ويعطلوا مسة
النضاه



المستشرق جابريلي



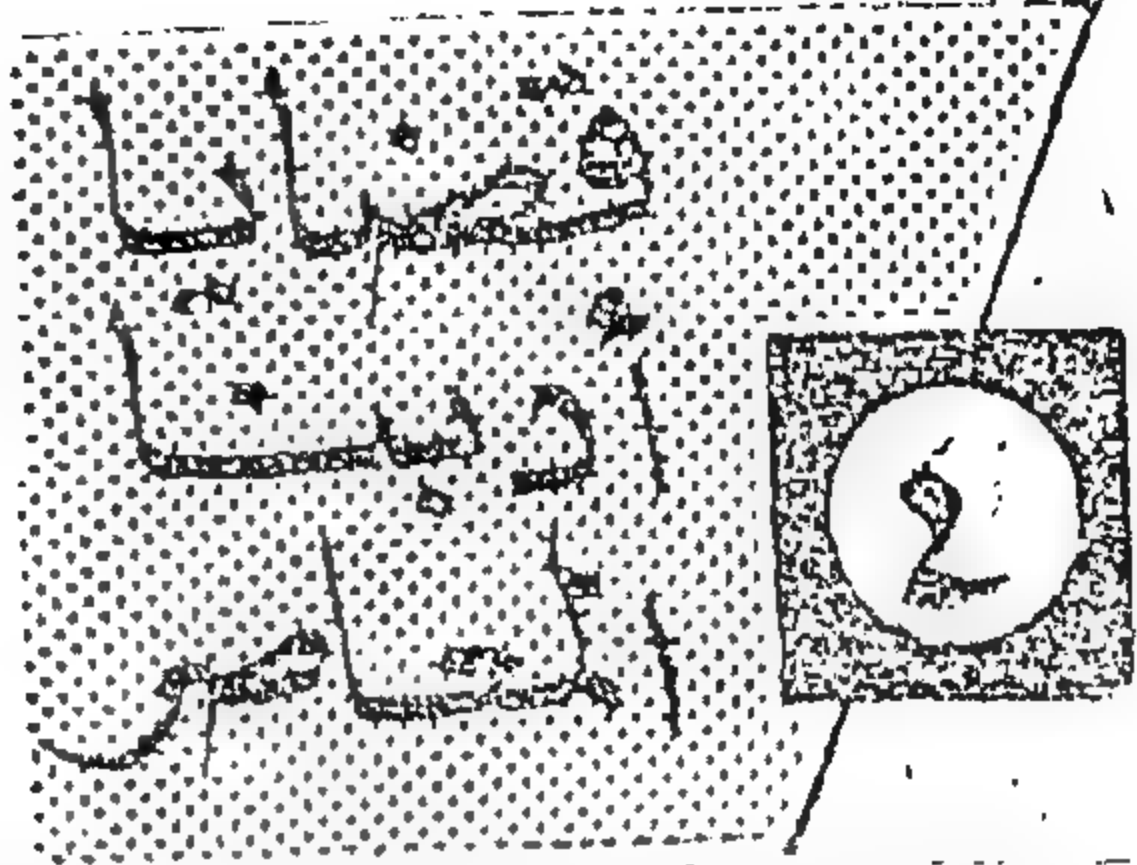
د . إبراهيم بيروني مذكور

وقد لفتني ، فيه ظاهرة بالغة الدلالة
على اعتراف العربية بحق الالسن
وسلطة الاستعمال ، تلك هي ان « ابن
سيده » ينص في مواضع غير قليلة ، على
ان هذه الكلمة او تلك الصيغة : « مهنة »

والرجل قد عاش في النصف الاول من
القرن السادس الهجري ، فكم امانت

العربية بعده من الفاظ وصيغ ، لم
تشفع لها اصالتها في الفصحى
حين هجرتها الالسنه ونلذها الاستعمال

هـ لى ان اتول اذن ، ان دعاه
« التطور والتجديد يخطئون حين يجهلون
اللغة مسئولة عن اغلاق معجها ، ويحبسون



ليست القيود على الفصحى ، يترشون في تعقيدهم
لاخطاء لغوية ، قد يكون لها وجهه من الصواب

صعوبة الفصحى وأوهام الخواص

هذا هو الموضوع الذي نبحث فيه
في هذه الدراسة التي نقدمها لكم

لم يكن في حسابي ، وأنا
أعالج صلة اللغة بقضايا أدبية
المعاصر ، أن أتعرض لمشكلة
صعوبة الفصحى ، وتعقد نحوها
وصرفها . لا تجاهلا مني لما
تضج به حياتنا الثقافية والأدبية
من شكوى هذه الصعوبة ، ولكن

(٢)

للدكتور ابراهيم بيومي مذكور جهاده في هذه الناحية ايضا غير اني اتقدم اليه مسنفا عما ورد في كلمته التي التفت في حلقة روما لدراسة ادبنا المعاصرة التي نشرت او ملخصها في صحيفة الادب اليوم اولاً : يقول الدكتور مائمه : « وانا اشتغل منذ ستين ثلاثة واكتسبها عبداً ثلاثة » فبا الذي جعل الدكتور يحل عبداً عن لغة القرآن الكريم حيث يقول : « في سورة يوسف آية ٤٧ - : « قال يزرعون سبع سنين داباً » . . .

ثانياً : يقول الدكتور مائمه : « لم يقل آية اللثة ان اللفظ الاعجمي دنس ينبغي ان ننزه عنه لسان العرب وانا الذي قاله المتخرجون المتشددون من رجال الدين » .

فهل كان أبو هبيدة معمر بن المثنى بن آية اللثة او من المتخرجين المتشددين من رجال الدين فانه هو القائل : « من زعم ان آية القرآن الكريم لسانا شري



الشيخ منصور رجب

لان العقدة - في رأيي - ليست في اللغة أصالة ، بقدر ميا هي في مناهج درسها وطرق تعليمها والجراح الخواص من رجالها على تتبع اخطاء لغوية ونحوية اكثرها فصيح وصواب ! .

غير اني اليوم مضطرة الى تناول هذه المشكلة ، بعد الذي تلقيت من رسائل ، كشفت لي عن شسديد حاجتنا الى تحرير هذا الموقف ، وبيان عقده .

نن بين هذه الرسائل ، واحدة من انقبة « الشيخ منصور رجب الاستاذ في كلية اصول الدين » باغرق جامسة اسلامية . ولما تلقيت من قبل رسائل تلقني الى اخطاء لغوية ونحوية ، فكتبت امرت النشر منها ، لاطمئناني الى صواب ما يفتونه خطأ . ابا وهذه الرسالة من احد الخواص ، وليس السكت عنها لاننا ، لاسيما وقد بحث بها فضيلته لتنتشر ، بدليل انها موجهة الى الاستاذ الدكتور مذكور عن طريقى .

وهذا نص الرسالة :

الدكتورة بنت الشاطئ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . « وبعد » فقد قرأت اليوم ٢٤ - ١١ - ١٩٦١ - كما اترا كل جمعة دائبا منحة الادب في جريدة الاعوام الغراء واني اتدرك جهلك القيم في سبيل تشبها الادب . كما اتدرك



الدكتور محمد كامل حسين



الدكتور ابراهيم بيشارة

ونسنة كلامي ، الى الدكتور مدكور ،
تذكرني بما طالما صدقنا وكثير من الدراسات
المربية ، حيث نرى الدارس يناقش رأيا
لفلان ، فاذا رجعنا الى كلام فلان هذا ،
تبين لنا انه ليس صاحب هذا الرأي ،
وانما نقله ليعلق عليه ويناقشه !

ومن اتسرب ما ذكره من ذلك ، ان
« الأستاذ الجليل عباس حسن » في كتاب
له من اللغة ، نأتش عبارة نسبها الى
الجاحظ ، فلما رجعت الى الجاحظ ،
الغبية اورد هذا الكلام ليبين وجه الخطأ
فيه ! كما نقل الأستاذ عباس ، رأيا في
النحو لابن مقضاء القرطبي ، فلما رجعت
الى ابن مقضاء ، وجدت هذا الكلام المنسوب
اليه ، من كلام الدكتور شوقي صيف ،
في المقدمة التي صدر بها تحقيقه لكتاب
« الرد على النحاة : لابن مقضاء القرطبي »
واليوم ارى فضيلة الشيخ منصور رجب
يسأل الدكتور مدكور عما لم يتلوه ، ويحاسبه
عليه بالانتباه له فيه !

كيف ؟ لا ادري ، ولكن الذي ادرية
ان فضيلة الشيخ لو كان قد قرأ المقال
بشيء من الروية ، لادرك اني المسئولة
عما زابه من عبارات ..

وانتقل الى الموضوع ، فاستأنف فضيلة
الشيخ في ان نفرغ أولا من امر هذه
الالفاظ الاعجمية في القرآن ، ثم نعود
الى « السنين الثلاثة »
وبمراحة ، اقول : اني لم افهم
وجه الاستشكال في الالفاظ الاعجمية .

المربية نتد اعظم على الله القول .
واحتج بقوله تعالى : « انا جعلناه قرآنا
عربيا » ..

وهل كان ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة
من رجال الدين او من الية اللغة حين
استشهد ابو عبيدة القاسم بن سلام الازدي
بكلامهم على شيخه ابي عبيدة حمير بن
الجنبي هذا فقال : انهم اعلم بالتأويل منه

حين قالوا : « ان القرآن الكريم فيه
احرف كثيرة من غير لسان العرب » مثل :
« سجيل » و « المشكاة » و « الهم » و « الطور »
و « اباريت » و « استبرق » وغير ذلك .

هذان سؤالان اقدمهما على استجابه
للدكتور مدكور ولعلني احسن بجواب : ا .
وابادر قبل كل شيء ، فاصرف الاسئلة
عن استاذي الدكتور ابراهيم مدكور .
اذ ان كل السارات التي نقلها فضيلة
الشيخ من المقال ، لاشان للدكتور بها ،
وانما عن من كلامي ، فاننا المسئولة عنها
لا سواي ..

وما زلت اعجب ، كيف فهم فضيلة
الشيخ انها من كلام الدكتور مدكور ،
والمقال سريح الدلالة على انها تنطبق
مني ، على فترة نقلتها بنمسا من تقرير
الأستاذ الدكتور ، ووضعها بين اقواسي
ممنزة ، ثم قلت انها شهادة من جامعي
مجمعي ، غير انني من سؤال . ومن ثم
ثبتت اورد الاسئلة واجبت عنها بقدر
ما اعلم .

وانزع بعد هذا ، لحكاية الشيخ الثلاثة
لقد راب فضيلة ان كتبها «سنتين ثلاثة»
عدا ، ومازالت كتبها هكذا مع الاسرار
ونفسه بسائس عا « جعلني اعدل
عدا عن لغة القرآن الكريم حيث يقول:
تزرعون سبع سنين داباء مع ونسوح الفرق
بين الاستعملين :

فكفي عبارتي : المعدود سابق على
العدد

وفي الآية الكريمة : العدد هو الذي
تقدم المعدود .

والتاعدة النحوية التي يمرنها العامة:
ان العدد - من ٣ : ١٠ - اذا تقدم
المعدود ، وجب ان يجر على عكس
المعدود ، في التكثير والتثنية .

لكن الذي يبرره الخواص ، ان العدد
اذا تأخر ، فجاء ان يجر وفق المعدود ،
وجاء ان يجر على عكسه .

ونفسية الشيخ منصور : كان مثله ان
يراجع - امام هذا العدد - كتابا في
النحو كعاشية الصبيان مثلا ، في ان يبادر
بأسؤال المستررب : فله ان « سنتين
ثلاثة » صحيحة كل السحرة . او كما قال
السان : فاحفظها فانها عزيزة

وماتتها عدا ، الا اشلتا من وهم
العوام ، اما وهم الخواص - من نفسية
الشيخ منصور - فلم يكن في الحساب .
ولماذا العدد ؟

لاني كنت كثيرة التفتة في هذا
الاسم المصحح : بجره فيه العدد
وفق المعدود اذا تقدمه .

ولاني اطم ان المجمع النحوي ، يدرس
الان اقتراحا لاستاذنا العالم الاديب ،
الدكتور محمد كامل حسين ، يريد به ان
تربح ابنائنا من هذه المشاركة المتعبة
المدد ومعدوده .

فنفسية الشيخ يسأل عن تولى :
« لم يقل الامة اللغة ، ان اللفظ
الاعجمي نفس ينبغي ان تنزه عنه لسان
العرب »

ركنت انهم وجه الاستشكال ، لو انه
جاء بواحد من ائمة النحويين ، قال
ان اللفظ الاعجمي نفس ينبغي ان تنزه
عنه لسان العرب ، لكنه لم يفعل ، والذي
جاء به من كلام ابي عبيدة خاص بالقرآن
الكريم ، وليس بلسان العرب ، عا ،
تيس عبارتي .

فاما ما يختص بالقرآن ، فلا جديد فيه
جاء به نفسية الشيخ ، بعد ان استوفيت
في مثالي ، خلافهم فيه ، فقلت بانفسه :
« وانما الذي قاله المنحرجون المتشددون
من رجال الدين ، ان العرب متى نطقوا
بكلمة اعجمية واستعملوها في لسانهم
فهي عربية ، او ان هذه الالفاظ سقطت
الى العرب فاعربت باللسنة وحولتها
عن اللفظ المعجم الى العربية ، ثم نزل
القرآن بها وقد اختلطت هذه الحروف
بكلهم العرب . او انها من الالفاظ
المشتركة بين اللغات ، فوجودها في لغات
غير عربية ، لا يمنع وجودها اصالة في
لغة العرب . »

فهل يريد فضيلته ان يقول : ان ابن
عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، قد قالوا
بوجود اللفظ غير عربية في القرآن ،
وهم رجال دين ؟

فليكنوا من رجال الدين ، غير المتشددين
وتكفي الله المؤمنين القتال .

وعلى فكرة ، فضيلة الشيخ منصور ،
يقول : « استشهد ابو عبيدة القاسم بن
اسلام الازدي » والذي في كتب التراجم
والسيرات عندي ، انه « ابو عبيدة » لا « ابو
عبيدة » . فلهذا ان ينسب على المرجع
الذي نقل منه الاسم على هذا الوجه ؟



الحفنية بدشق سنة ١٢٠١ هـ - الذي استبقي للحريزي بمعنى اغلاط الخواص واقر في اكثرها الباقي ، بحق الخفاجي في صوابها .

وانما رويت هذه الحكاية ، لعل الذين يجعلون همهم تتبع اخطاء الكتاب ، والمباينة بتصويبها ، يخلطون بعض الشيء من غلوهم اذا عرفوا ان من علماء السلف ، من استطاع ان يجد وجها لصواب كل ماعده « الحريزي » من اوام الخواص النافحة واغلاطهم الواضحة .

وارانى قد انتقلت على القراء ، بهذا الموسوع اللغوي ، فعمل بما يطقه ، ان اذكر لهم هنا مكانة من غريب الخططات : كنت ضوا في لجان اختبار مدرسي اللغة العربية ، المرشحين للاعبارة للامتحان الشقية ، فبدا لي مرة ، ان اسأل احدهم : - اذا كنت لك تلميح هذه الحكاية : « خرجت الم الزهور من الجنة » نسا رايت نسا ؟ اجاب :

- امسحها هكذا : « خرجت اجمع الزهور من البستان »

ولم يدرك ان لفظة « الم » تمسحة ترابية : « ويأكلون القراث اكلا لما »

وان الجنة ، تصير جنة ، عربية اصيلة ، بخلاف البستان ، الاعجمي الفارسي !

ولستغرب ، اذا ينس ابناؤنا من امكان معرفتهم للثمن - لطول مائسرف في حفظهم ولطول مائشل ملكتهم اللغوية : يحلسم على نذ المائسرف من الالفانك ، واسلطان الغريب المهجور .

ولن تصح حياتنا الثقافية واللغوية ، مالم يخف ضغط المنعفين لاطاء لعل لها وجها من الصواب ، وما لم ننرك ان الفاظ اللغة انما نحيا بالاستعمال ، وليست مجرد متحفيات معجمية ، تعرض في فاعة الدرس ثم تفلح عليها النواخذ والابواب خشية ان يبتذلها العوام ..

وكم يربح ابناء العربية ، ان يعلموا انهم لو جاءوا بالمعدود قبل العدد ، فلا عليهم ان يبالوا كيف يجيء العدد ، مذكرا او مؤنثا .

وكم تسهل على التلاميذ ، لو علمنا ان ياتوا بالمعدود قبل العدد ، ثم لا يبالوا ؟ وكم نعلم اللغة ، من مسئولية تخطئة هذا الاستعمال ، وهو جائز وصحيح ، عند انة اللغة ؟

بل كم تربح الغيورين على الفصحى ، من الضيق والانزعاج ، حين يقرأون « ثل » « ستين ثلاثة » فلا يتفنون خاطرهم ان يساتوا ويحاسبوا ؟

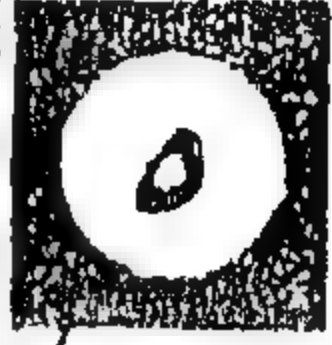
وحكاية « السنين الثلاثة » هذه ، بما اثارته من ريب وشكوك ، وبما دعت اليه من « س ، هـ » تذكرني بحكاية تدبيرة ذات فصول متتابعة ، بدأت في القرن السادس الهجري ، وتنتهي الى القرون الثالث عشر للهجرة .

والذي بداها ، هو الاديب اللغوي « ابو محمد القاسم بن علي الحريزي » من اعيان العربية ، في القرن السادس الهجري لتلد ونسج كتابا ساء « نرة الخواص في اوام الخواص » تتبع فيه اخطاء لغوية واستعمالية ، لخامة من اصحاب العربية اعتبرها « ابن اوامهم النافحة » واغلاطهم الواضحة .

ومضت قرون خسة ، جاء بعدها الامام اللغوي ، تافى التماسا « احمد شهاب الدين الخفاجي / - من اعيان القرن الحادي عشر - فنسج ما في كتاب الحريزي من اوام الخواص ، واستطاع ان يجد لها وجها من الصواب ، في كتب له مشروع بخطيمة الجوانب بالتسطينية ، عام ١٢٦٦ هـ .

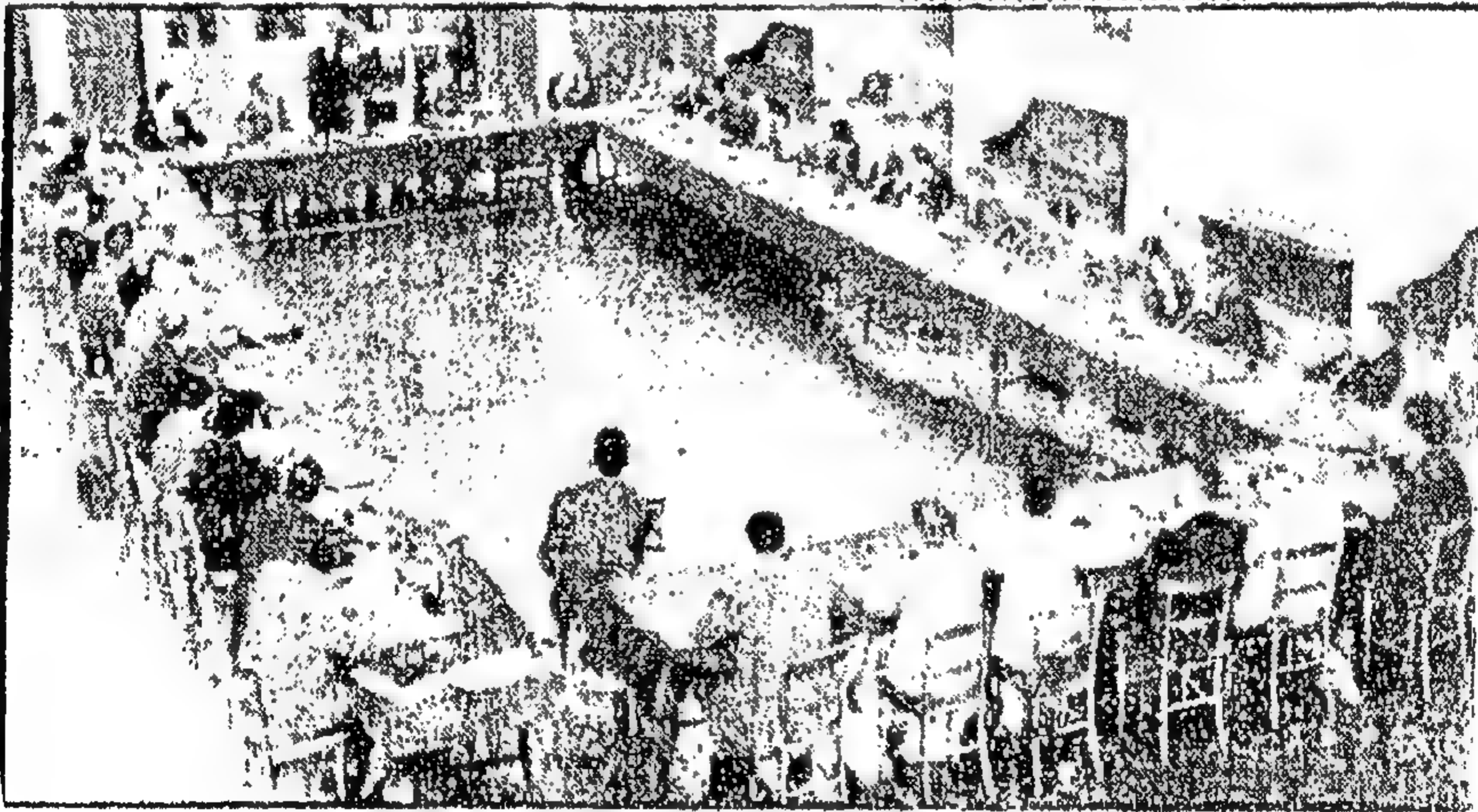
ثم كان الفصل الثالث من القصة ، حين وقف الامام الملاية شهاب الدين السيد محمود الالوسي - المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ - بموقف الحكم بين الرجلين ، في كتابه « كشف الظرة عن القرة » - ط

قضايا
أدبية
المحاصر



أبو نواس في روما!

أن لنا ان نستريح من دعاوى خاطئة لاتزال رائجة فينا
وان نستري ابا نواس على حقيقته
لسانا للشعوبية في صراعها المرير مع العربية والاسلام .



أبو نواس كان حديث اروفة الفندق في روما أثناء المنع

ببقتام : الدكتور بنت الشاطئ

من الانتقال على القراء ، بهوضو
به ان يعالج لي مجال الدرس الادبي
المخصص .

لكن ما الحيلة ، ولقد بعث ابو نواس
من مولده ، وجيء به من وراء القرون ،
ليختال في ابهاء « الجرائد اوتل » المدينة
روما ، هابلا لواء الجديد ، ونحن ندرس
اضايا ادبنا المعاصر ؟

هل يتصور قراء الادب ، ان الشاعر
ابا نواس الذي مات منذ اثني عشر قرناً ،
شغلنا في ثلاث جلسات من حلقة روما
لدراسة ادبنا المعاصر ؟

والقول الحق : لقد فكرت غير مرة
في ان اكذب هنا عن هذا الشاعر ، لانافش
دهوى تجده للشعر ، التي لاتزال رائجة
لنا . غير اني كنت اعود فاجهم ، اشفاقا

(٢)

شيء - طائفا ان الفن مجعول لنقل الواقع وليس تعالفا عليه . وعلى ذلك ظهر شكل القصيدة العربية القديمة في هذا الثوب المبرقش الذي يعتمد فيه قائله ان يفرق في الخيال والمبالغة والإدعاء انه فارس الفرسان وحكيم الحكماء واكرم الكرماء !! ولي هذا المجال وهذه برزت ذاتية كل شاعر على حدة ، في حين بدأ الجميع قصائدهم وكتبوها بذكر نفس الاشياء . وبالطبع كانت هذه الخلقة ،

نسخة ميكانيكية لضيق الفخ الحياة العربية الرعوية وبدانيتها « ! » وظل الشعر ، تقليديا ومعلنا عن نفس القيم « !! » حتى انت مدرسة ابي نواس ، فحاولت ان تحطم هذا المسار الهادي ، بتعطيلها للغايات التي وضعها الشعراء الاوائل بعلامات طريق يتبعها كل مهتد . ولنلاحظ ان المطالبة بالنقيض ، كما طالب ابي نواس لاتعنى التطور اكثر مما تعنى الركن .

على ان خلقك سلم يكن عبقرية ابي نواس وحدها ، بل عبقرية الامة العربية « !! » التي سارت شوطا طويلا في الحضارة ولست هنا وهناك عبقرية الامة الاخرى الادبية ، وتنفذ بالشعر الشمس في فارس والعراق وسواهما ، واصبح لها وجه اكثر غنى وعمقا من وجهها التقليدي القديم .

انلا اعذر ، اذا جعلت ابا نواس ، عنوانا لاحدى قضايا الادبية ؟

او ليس من الواجب ، ان تلقى بعض الضوء على الشاعر ، الذي يشغل في ادبنا هذه المكانة ، ويظفر بمثل تلك العناية من ادباء معاصرين ، نراه بعضهم ممثلا لعبقرية الامة العربية حين تعضرت ، ويمتدح آخر ، الشاعر الذي يعطينا من وجهة النظر الشعرية الحديثة ، اكثر من اى شاعر عربي قديم آخر ؟

ومن الانصاف ان اتول ان هؤلاء الزملاء ليسوا هم الذين بدأوا الحديث عن تجديد اس نواس ، فمن قديم شغل هذا الشاعر نقاد عصره والمصور التي قلته ، حتى جاء استاذنا الدكتور طه حسين - حفظه

كانت المرة الاولى ، حين قدم الشاعر « ادونيس » تقريره القيم عن « الشعر العربي ومشكلة التجديد » فجعل نقطة الانطلاق الاولى ، عند اس نواس وانرايه من شعراء الجيل العباسي الاول . وقال عنه : « انه الشاعر الذي بعثنا من وجهه النظر الشعرية الحديثة ، اكثر من اى شاعر عربي قديم آخر . » رغم انه لم يكن ثوريا كائلا ، اذ انه كتب الكثير من القصائد التقليدية . . . اننا بقدر ما نحن يعبدون لاربعنا وحضارنا عن ابي نواس مثلا ، قرء ، منه . لكن مداني لنا وجودنا الخالص ونجربنا الذاتية . ونعذر يا يسنى ان نعى صلفنا به علينا ان نعى انفسنا عنه . »

وحى ناس نواس مرة ثالثة ، عندما نولش تقرير الشاعر بدر شاطر السويدي عن « الالتزام واللا التزام في الشعر » جاء فيه بانه :

« ورغم ما يدور دون وسه . . . من استغلال شخصية الشاعر العربي العباسي وانصرافه الى التعبير عن شئونه الخاصة لم يكن ابو نواس - ولا العباسي - من الاحنف ومسلم بن الوليد - كل الشعراء العباسيين . والحق ان هؤلاء خرجوا عن خط الشعر العربي ، اى عن موضوعيته والتمزاه ، لانهم كانوا كلهم ، او جلهم على الاقل ، من الانطباع الفكريين للحركة الشيوعية التي تقبعت صورا

ثم لم نكد نظوي ذكر ابي نواس ، وقد انجلي موقفه من الشيوعية ، او هكذا خيل الى ، حتى فوجئنا به يبعث من جديد في جلسة ثالثة ، قدم فيها الاستاذ محيى الدين محمد تقريره عن « الادب العربي بين التقليد والتجديد » وفيه يقول :

« والكلام من تاريخ الحركة الشعرية في البلاد العربية قبل الاسلام ، يصح عقيا بالميسقة الكلام عن الحياة الاجتماعية ويهد له . فالفن قبل كل شيء مظهر من مظاهر تكامل كل ما هو ارضي وناقص ، والفن بهذا الشكل النموذج للواقع ، اما في البلاد المتأخرة فيصبح الشكل في الفن هو كل

(٣)

لا اعرف من ذلك حه شيئا ، فهل من
يدلني عليه ، بالشاهد والدليل ؟



تري ، لو قلت ان ابا نواس كان
متلدا الى ابعد حدود التقليد ، ملتزميا
إدق التزام بالنيط الجاهلي في شعره ،
تقع السماء على الارض ، وتزلزل دنيانا
الادبية زلزالها !

اني لا قوله ، ويقول به شعر ابي
نواس :

عاج انشاعر القديم على الطلل وعاج
ابو نواس على الخمار :

عاج الشلى على رسم يسائله
وعجت اسال عن خمارة البلد

وبكى الشاعر القديم لئلازل احبابه ،
وبكى ابو نواس مظه تماما ، لكن لمنزل
ندمانه :

لتلك ابكى ، ولا ابكى لئلازل

كانت تحل بها هند واسماء ا

فان يكن لواء حبله «ابو نواس» فهو
لواء الشعوبية التي استشرت في مستهل
العصر العباسي ، واحندم الصراع بينها
وبين العربية : جنسا ، وحضارة ، وعقيدة
والتاريخ يعرف ان الدولة العربية
ايام الامويين ، قد قامت على العصبية
الجنسية ، وظلت طوال حكمها تفضله
الاماجم ، وتفرغ عليهم ضروب النبذ
والهوان ، غير معترقة لهم بحق المساواة
الذي اقره لهم الاسلام :

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر
وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا
ان اكرمكم عند الله اتقاكم »

فلبستت الدولة الاموية بسبوت الاماجم
رقات الدولة العباسية على اكانهم ،
كشفوا التنازع عن وجوههم ، فلم يعد

الله من فخصى ابا نواس وتجديده بقتالات
تتابعت في « حديث الاربعاء »

واسأل : اى جديد جاء به ابو نواس ؟
مدل من الوقت بشعره على الاطلال ؟
لكن تراثنا الادبي يشهد ان قبله شعراء
ذوى مدد ، لم يقفوا في شعرهم بالاطلال
وفيهم « المهمل » ساول من قصد القصائد
ل بعض مرثيه لكتيب .

استهل القصيدة العربية بالخبريات :
كذلك فعل شعراء عصره

عدى بن زيد ، ودريد بن الصمة وآخرون
فهم من صميم العصر الجاهلي :

تفنن في وصف الخمر :
لكن الاعشى الجاهلي قد فعل ، وكذلك
عدى بن زيد ، والاخلط ، والوليد بن
يزيد ، قبل ان يولد ابو نواس بعشرات
السنين ..

لعله اذن قد جد ، بوصف دنياه والحديث
عن بيئته وعصره ؟ واي شاعر في القديم
لم يصف دنياه ولم يعبر عن بيئته وعصره ؟
ان وصف «ظرفة» لثقافته ، ليس اقل
حظا من الصديق والواقعية وبلازمة
العصر والبيئة ، من وصف ابي نواس
وعصيته لجالس اللهو والشراب في حانات
بغداد وقصور العباسيين : وان بدوية
الشعراء الصماليك ، في صميم العصر
الجاهلي ، ليست في حساب الفن ادنى
صلة بالحياة ، وتجاوبا مع الواقع ، وانفعالا
بالعصر والبيئة ، من قصائد « هندسة
ابي نواس » في مستهل العصر العباسي ؟
نهل جاء باساليب جديدة على العربية
واوزان لم يعرفها القدامى ، والفاظ
لم يفسها معجم اللغة الذي جبع من
استقراء النصوص القديمة ؟

عربية حبيسة غالية ، طالما تنفى بها
الشعراء :

لا تبك ليلي ، ولا تطرب الى هند
والشرب على الورد من حمراد كالورد
لذلك اسكن ولا اسكن لمنزلة
كانت تعل بها هند واسماء . .
والعرب شرابهم اللبن ، وهم كسروا
الانتفاذ الى موطنهم الاصيل في الجزيرة ،
فلينقل ابو نواس بلاء الازدراء :

بلاء : نديها عشر وطلع
واكثر ميدها شبيع وذيب
اذا زاب الحليب ، فبل عليه
ولا تخرج ، فما لي ذلك حوب ؟
وابعد في سخريته . ليس بالخفسات
للحرب المسلمين ، في مثل قوله :
ومستسقين النل خدامنا
هند النقام العجبر الاسود
لنمل في المسجد ما لم يكن
بملمه الابوار في المسجد ؟

والفتن الى رجال الحديث فاشيعهم
سخرية ، واستمار طريقهم في الاسناد
لمسافة مجونه على نظمهم في الرواية
اذ يقول :

هنتبا الخفائل من وائل
وخالد الحذاء من هاجن
من سمراء من يحيى اصحابه
برلمسه الشيخ الى عامر
قالوا جيما . .



او يقول :
ولقد كسا ووينسا
من سميد من قساده
من سميد من الم
يب ان سميد من ميساده
قال من مات ميسا
فله اجبر شهاده

افيكفى هذا لتسريح من دعوى تجديد
ابن نمواس ، وتبسطه لمقربة الامة
العربية « ا » ونزاه على حقيقته : داعية
للمشورية في صراها المرير ضد العربية
والاسلام ؟

بكنهم ان يتساورا مع العرب ، وانما
جهروا بانفيلتهم عليهم ، بحكم باضيتهم
الحضاري الطويل ، فكان صراع مرير
منع تاريخ الدولة الاسلامية لذلك العهد :
السياسي والمذهبي ، والاقتصادي
والاجتماعي والادبي .

وخاض الابداء ، كخا وشعراء ، هذه
المعركة المحتدة ، ورجم الموالي منهم فرسة
الاشقاء من ظلم الامس وهوانه ، انين
من غناب السلطان العربي المسلم ، في
دولة تدين لهم - الى حد كبير - بوجودها
وجلجلت في الافق من اللحظة الاولى
لقيام الدولة العباسية ، مباحات جريئة ،
تسخر بالعرب ، وتلج في تذكيرهم بماضيهم
لبل الاسلام ، اذ كثرتهم بداءة يرمون الابل
ويشربون اللبن ، ويسكنون الخيام ، ويلبسون
الوبر والصوف . .

من اللحظة الاولى ، فنفس « بشار »
فرلع عثرته منشدا في مجلس سيد من
سادات العرب :

سأخسر فاخسر الامراب مني
وعنه ، حين تاذن بالفقار
ا حين كست يا ابن العري خذا
ونادمت السكرام على الفقار
تلساخرا يا ابن داعية وراع
بي الاحرار ؟ حبك من خسرا
وكنت اذا ظلمت الى قراح .
شركت السككب في ولغ الاطرا ؟

وجاء « ابو نواس » من بعده ، يسجل
رد الفعل لما عانى الموالي ايام الاموية
من اضطهاد ، فلم تكن الاطلال هي التي
تغنيه في سخريته بين وقتي بها ، وانما
هي عنده رمز لتقديم العرب ، وتدعوى
لها ليهدر ما طالما اعتزوا به من امالة
في انتقامهم للقبائل العربية : كانت محور
تاريخهم .

يبكى على ظلل الماضين من اسد
لادر ذكرك ، قل لي : من ينو اسد ؟
ومن تميم ، ومن قيس ، والقبائل
ليس الا ماريب عند الله من احد ؟
ولم يكن بكاء العربي لنزل حبيبته هو
الذي يعنيه ، بقدر ما عناه ان يسخر باسماء

كتاب جديد : تأليف : ناصر الدين النشاشيبي مقدمة : الدكتور عبد السلام

ماذا جرى في الشرق الأوسط

• اقلام الصحافيين في الميادين الأدبية
• مصائر البلدان وهل ترزهن بارادة الشعوب أو بمشيئة أفراد من الحكام؟



ناصر الدين النشاشيبي

من الحوية والاثارة ، من الذاتية التي
لا بد منها لكل عمل ادبي .



هذا من ناحية الشكل . .
أما من ناحية الموضوع ، نأخذ
القضايا التي يتناولها الكتاب المسحانيون ،
هي القضايا السياسية . وصلة
السياسة بالادب ليست موضع شك
أو انكار ، بل لها قد جاوزت ، في
الغالب ، حد الاعتدال ، فكانت السياسة
في تاريخنا مثلا ، هي محور النشاط
الادبي ، وكان لا شيء سواها ، من
عوامل مادية ومعنوية ، يؤثر في الادب
أو يتأثر به ، فالمعصور الادبية عندنا
تساير المعصور السياسية بدءا وانتهاء ،
واعلام الشعراء والكتاب ، هم الذين
اتصلت اسبابهم بالسياسة فتأثرت بهم
من الشهرة ما أخطوا به من عداهم ،
والتمازج الادبية المخشاة ، هي التي
راجت في البلاط ورضى عنها السلطان .
وبدانا نتحرر من هذا كله ، لكن دون
أن نهدر صلة الادب بالسياسة ، بفهمها

المفروض الا نقدم هذه الصفحة من
جديد الكتب ، الا ما كان منها ذا صلة
بالادب .

ولقد سألت نفسي ، حين فرغت من
قراءة كتاب « ماذا جرى في الشرق
الأوسط » للاستاذ ناصر الدين
النشاشيبي : هل لئلا هذا الكتاب
صلة بالادب تجيز لي أن أقدمه إلى
قراء الصفحة ، ذات التخصص الادبي ،
والجواب يتصل بالشكل وبالوضوح .

لبن ناحية الشكل ، ربما يبدو الكتاب
بعيدا عن الادب . لأن كاتبه ليس من
امطالعنا على تلتبيهم بالادباء ، ولأن
هذا الاسلوب الذي يسلطه في عرض
موضوعه ، قد يغاير المؤلف من اساليب
الشعر والنثر في المصطلح التقليدي .
وهذا وضع لم يعد ينبغي أن نقسك
به ، بعد أن تطور الفن القولي عندنا ،
ودخل ميدانه عدد من ابرع الكتاب الذين
تخصصوا في الكتابة المحافبة .

تطور الفن القولي ، فلم يعد — كما
يتصور بعضنا — تنفنا في صناعة
الإنشاء ، وتأنقا في الزخرف الشكلي ،
والتزاما بالقواعد البلاغية التي جددت
البيان العروى لدى قرون ، وحكمت فيه
ضوابط منطلبة صارمة ، تسلب حيويته
وفنيته . وأما صار فن القول عندنا ،
يعتمد على وجدانية الشاؤل وطلاقة
الاداء ، والقدرة على النفاذ إلى النفس ،
والخبرة بهواطن الناب . .

ودخل الميدان ، هؤلاء الذين نقرأ لهم
كل يوم من كبار الكتاب المسحانيين ،
لننعمل بهم اقوى انفعال ، ونبهرنا من
بعضهم أصالة التعبير وحوية الاسلوب ،
وامتلاك سر الكلمة .

ولقد اعترف الادب المعاصر بالمتالة
بين فنون الادب ، وما أظنه يأس الاعتراف
بغير المتالة ، من مؤلفات لكتاب الصحافة
— مما ليس بجبوة مقالات — يعرفون
فيها بعض مشكلات الجنب وقضايا
العصر ، بأسلوب متميز ، وافر الحظ

التاريخ : ١٥ / ١٢ / ١٩٦١

(٢)

الجديد ، من حيث هي قضية شعوب
تكرر مصيرها ، وصراع قوى يوجهه
بمسرح الأحداث ويشارك في صنع التاريخ
ومن هنا جاز لي أن أتحدث في صفحة
الادب عن كتاب « ماذا جرى في الشرق
الاطلس » :

لأنه بأسلوبه الذاتي المثير وغير دخيل
على فن التول كما يجب أن تفهمه في
مصرنا الجديد .

ولأنه بموضوئه « يؤرخ » للأحداث
السياسية المأمرة ، عن طريق عرض
تحليلي لعدد من أشهر السياسيين الذين
ظهروا على مسرح الأحداث في الشرق
الاطلس ، خلال هذه الفترة العميقة
الحافلة من تاريخه .

وقد أتيت للاستاذ ناصر الدين النشاشيبي ،
بحكم عمله في السياسة والادارة
والمحانة ، أن يمتلئ هؤلاء الرجال
من ترب ، وأن يعرف من خلفها السياسة
ما أحبط بالسرية والكتمان ، ولقد ظل
يرصد تيارات الأحداث ، ويرقب مسارها
ويدون كل ما يصل الى علمه منها ، حتى
أن الاوان لنشرها في كتابه الذي لم يشأ
أن يجعله مجموعة مذكرات ، وإنما أثر
أن يركز اهتمامه في الأشخاص الذين
لعبوا أدوارهم على المسرح السياسي ،
عامدين مضارين ، أو مسيرين مكرهين .

وهو - في هذا أيضا - لا يجرى
على الأسلوب المألوف في تراجم
الأشخاص ، وإنما يتدع أسلوبا خاصا
به ، يرسم فيه الشخصية من زوايا
معينة ، ويلتقط من كلمات صاحبها ، ومن
كلمات الناس عنه ، ما يبرز بلامح
المسورة كما انطبعت في ذهن الكاتب ،
وما يجلوها على النحو الذي أراد ،
والذي يجعله مادة في كلمة لمادة ،
أو عبارة ذكية تعطى عنوان الشخصية :

نور الدين السيد الباشا
وآية الله كاشاني : الأسطورة
وتوفيق أبو الهدى : الحاكم بأمر ابنته
ومصدق . . . : النبي

وحلوب باشا : جندي ضد العرب
والشيشكي : دكتاتور ترانزيت
ونيسل الثاني صريع الاقارب
وملال : الماساة
ومالح جبر : المصارع
وزاهدى : الجنرال
وعصمت اينونو : الداهية

وقد يختلف التاريخ مع الاستاذ
المؤلف في حكمه على بعض هؤلاء : ف يرى
مثلا أن الصورة التي رسمها لمصدق ،
لا تنطبق عليها صفة « النبي » والاخرى
التي رسمها لتوفيق أبو الهدى ، ليس
فيها ما يشي بتأثره في سلوكه السياسي ،
بأنه التي يحكم بأمرها . بل ليس في
المسورة أي ظل يمكن أن نلمحه ،
وراء تصرفاته السياسية ، من « سعاد »
التي قال عنها الكاتب : « هي رئيسة
وزراء الاردن مادام توفيق أبو الهدى
رئيسا لوزراء الاردن ، هي التي تنصح ،
وهي التي تأمر ، وهي التي تكبر » وهي
التي تعمل في الامور .

أجل ، قد يختلف التاريخ مع الكاتب ،
في مدى انطباق المسورة على الشخصية ،
لكنه لا يثب أن يدرك أن المؤلف ،
أنما يفهم الأحداث بمفناح فهمه الخاص
لاصحابها ، ويرسم الشخصيات ، كما
يراهما ، فلا يأس عليه ، جاءت المسورة ،
كما انطبعت في ذهنه ووجدانه .

وهي بمسند ، جزليات ليست بذات
أهمية ، إنما المهم حقا ، أن نناقش
أساس الفكرة التي أقام عليها الاستاذ
ناصر الدين كتابه .

فهو يرى أولا ، « أن مصائر البلدان
مرهونة الى حد كبير بأعمال رجال الحكم
والسياسة فيها » .

ولست معه في هذا الرأي ، بل الذي
أومن به ، أن مصائر البلدان مرهونة
بإرادة شعوبها ، أن بدت في الظاهر ،
معلقة بمصرقات الحكام ومشيئة السياسة
وليس أجعل أن إرادة الشعوب قد

تتعمل بفعل عوائق القاهرة : فتضغف
وتتخاذل تحت ضغط الإرجاب ، أو تخدع
عنها عن غفلة أو عن تغرير ، لكن المصير
مرتفع حتما في كل حالة ، بدى وعى
الشعب لإرادته أو غفلته عنها . ومن
هنا يأتي اللبس والاستفهام ، حين لا تفسر
الشعوب إرادتها لتفسيح المجال
لظهور قوى فردية ، أو تيارات خارجية ،
يبدو أنها تحتكم في مصير الشعب ،
والحق أن الشعب بتفلفته هو الذي
يصنع هذا المصير . كما أنه يوعيه ،
يختار قائده المصالح ، ويقرر على
التاريخ .

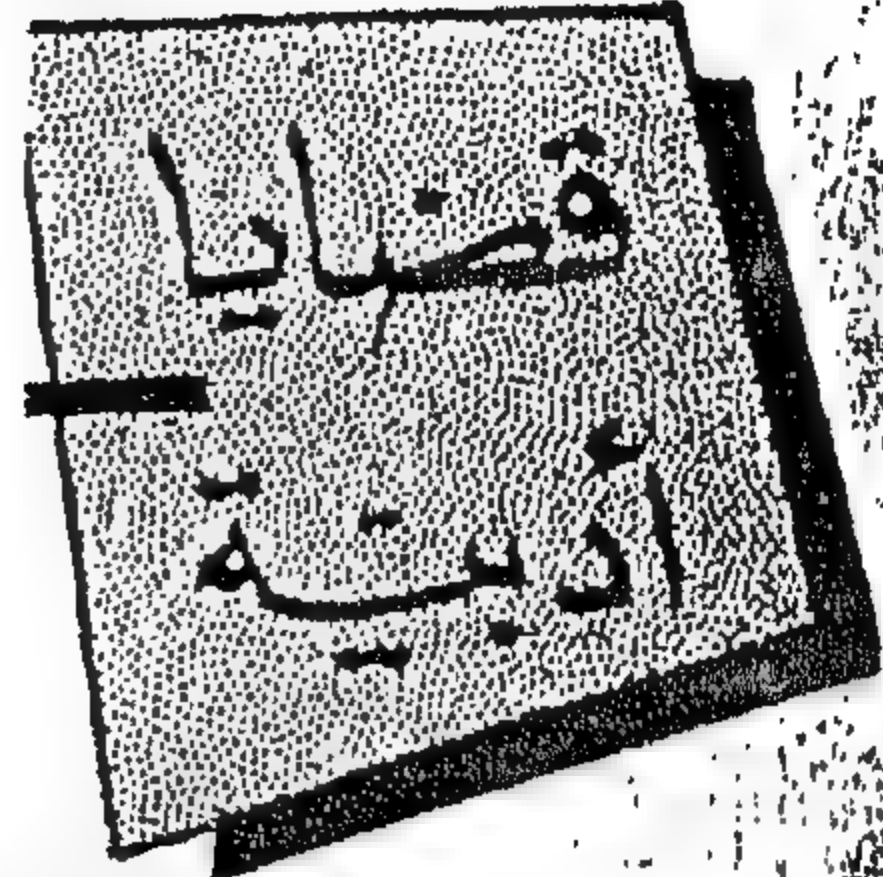
هذه واحدة . . .

وأخرى ، أخطف فيها أيضا مع الاستاذ
ناصر الدين النشاشيبي : وهي أنه يرى
« أن المجموعة التي يقسمها كتابه من
رجال الحكم والسياسة ، هي التي
حكمت أو احتكمت في مصير عدد من
بلدان هذا الشرق الاوسط » على حين
أرى بعض هؤلاء كاديب الشيشكي ،
وحسن الزعيم ، وهزاع المجالي مثلا -
كانوا مجرد نوى ، تحركها على المسرح
السياسي خيوط خفية وظاهرة ، قد
استكت بها أيدي غير منظورة ، وراء
الستار . . .



وأقول مع هذا ، أنه مهما تختلف
وجهات نظرنا ، فالذي لا شك فيه ، أن
الكتاب يلقى أضواء على التاريخ
السياسي للشرق الاوسط في فترة ما بعد
النكبة ، ويفسر كثيرا من المبهات التي
بدت في حينها الغائرا معتقدة ، ويقدم
للتاريخ مادة مباشرة ، من كاتب ذي حسن
بحر وفطنة لمادة ، عاصر هذه الأحداث ،
واتصل بأبطالها وهم يؤدون أدوارهم
على المسرح الكبير . . .

التاريخ : ٢٢ / ١٢ / ١٩٦١



أضواء على تاريخنا



بقلم : الدكتور بنت الساطي

تاريخ النشر : ٢٢ / ١٢ / ١٩٦١

« الآن ونحن نعيش تجربتنا الثورية ، ونحاول ان نعي ذوانب
ونحقق وجودنا ، يجب ان نرجع الى تراثنا الادبي الذي وضعته
لمصور الخالية في منطقة الظل ، لنستبين مراحل سيرنا في دور
الزمن »

لست زمانا ، في مستهل حياتي العلمية ، لا ادرى سر اهتمام المستشرقين لتراثنا الادبي والفكري ،
وعكوفهم على نشره واحيائه ، في رهينة عجيبة فذة ، ايام كنا في غفلة عن هذا التراث ، ونحن اهل
واصحابه .

ولم اجد فيما قيل هناك من رغبته في خدمة المعرفة ، ولا فيما قيل هنا عن سوء نيتهم والتواء مقصدهم ، ما يفسر لي
هذه الرهينة التي يثق فيها اقدم عمره في تحقيق نصوص صعبة ، واستنقاذ اوراق بالية صفراء ، من برائن البلى والضياع

والذي حيرني قديما من امرهم مع
تراثنا الادبي ، انهم كانوا يبحثون ليعيهم
ان يجدوا وسائل اخرى لتحقيق غرضهم
النبيل من خدمة المعرفة ، او لمرسهم
الغيت من التمكن للاستثمار في
ادبنا ، دون ان يتجسوا هذا العناء
المعنى ، ويكابدوا معاناة تعرض من
تراثنا ، يثق على كثير من اهلنا ان
يقرواها في الخطوط الباعثة التي
طيس الزمن الكثير من ملامحها

وبقي التراث الادبي ، يسد تلك الشفرة الخطيرة ، بما سجل من وقع الاحداث وسير الزمن ، وبما رصد من انفعال الجماهير بها ، وموتفهم منها . . .
واحرص هنا ، على اللفت للوجوب التفسيرية بين التراث الادبي ، وبين التاريخ الادبي . .

فحين اقول ان تراثنا يسد الشفرة الخطيرة ، وينقى اصداء كاشفة على تاريخنا ، فلست اعني بهذا ، اننا نستطيع ان نلتبس هذه الاصداء ، عند مؤرخي الادب

فاكثر هؤلاء المؤرخين ، لم يكونوا بنجاة من الشر ، وقد امزجهم الفسوة النفسية والوجدانية ، التي يستقيمون بها مقاومة التيار الغالب ، ومن ثم راوحوا بشبههم آثار شعراء البلاط ، ويحتفلون بالضيافة الادبية الرائجة ، ويخضعون في تدوينهم للادب . وتقدبرهم لرجاله ، لاحكام وموازين نابغة من المذم الشائع لوظيفة الادب عصرهم ، خادما للسياسة وتعبيرا من امزجة السلاطين والامراء ، وتبريرا لكل ما يمارسون من طغيان واستبداد في ظل الحكم الفردي المطلق . .

لكن تراثنا الادبي شيء آخر ، غير التاريخ الادبي المكتوب باقلام هؤلاء . .
انه السجل الراعي الامين ، لاصداء تاريخنا العام ، والصورة المعبرة عن الحياة في افئدة الرحب ، غير محصورة في تلك السلاطين . .

فلم يكن كل الشعراء ، ذوي حظوة لدى اصحاب العروش ومومنين الارزاق .
ولم تكن كل الالسن ، كل الافلام ، تجد

ثم ادركت اخيرا فيم كل ذلك العناء !
ادركته ، حين اطمأن بي الدرس الطويل ، الى ان تراثنا الادبي ، هو الذي يستطيع ان يقدم الى الغرب ، التفسير الصادق لتاريخنا ، ويلقي الصواء كاشفة ، تجلو غوامض ماضينا .
مع سر نهضاتنا وعثراتنا . .

ذلك لان كتب التاريخ عندنا ، لانكاد نقدم لنا - ولهم - الا اخبار الملوك وتتابع الاسرات الحاكمة ، والمبارك التي دارت حول العروش والتيجان ، حتى ليخيل لقارئ ، ان دنيانا كلها قد انحصرت في بلاط الملوك ، وان تاريخنا كله كان يدور في تلك السلطان ، اللهم الا للنسب عابرة لبعض الحركات الشعبية والثورات القومية والاجتماعية : فاننا اخبارها عرضا ، من طريق تاريخ الحاكم الذي تهرما ، او المالك الذي اخدها وانتصر عليها . .

وغاب تاريخ الشعب . .
اشاعته افلام المؤرخين ، مع ما عاشوا في مجتمع محكوم بالفردية المستبدة ، يتصور ان الحياة تخضع لشئنة الحكام ويمزج من الشعب ، وان الكون مسير بآرادتهم ، لو شاءوا له ان يكف من التسيير لفعل . . .

والذين حاولوا من المؤرخين ان ينجزوا من هذه اللعنة ، لم يلبثوا ان اساقوا برقمهم ، ودون دعى منهم ، للتيار الغالب المسيطر ، الذي كان يجرف امامه .
مقاومة لتصحيح الوضع ، وامانة الرصد التاريخي لحركات الشعوب والجماعات . .

سبيلها الى اعتاب البلاط ، ولم يكن
المشاعر ، تستطيع ان تتنافس بين جدران
القصور ...
بل وجد الى جانب الماجورين ، ادباء
احرار ، تنفسوا في الجوى الطليق ، وعبروا
من ذواتهم غير خاضعين للمصاندة
الوجدانية التي كان القصر يفرضها على
العاشية ...
وعند هؤلاء .. نجد التفسير الادبي
لتاريخنا كنه ...
ومن تراثهم ، للنفس الاغواء التي
تهدينا الى حقيقة الشعب ، والدور
الذي قام به في صنع تاريخه
ومنهم نعرف ، ما عمت به عيون
اعضاءه بريق السلطان ، ونفوس كرها
جبروت الطغاة ...
لكن هؤلاء الادباء الاحرار ، قد وضعوا
سدا في منطقة الظل ...
وتراثهم الادبي ، ظل لدى قرون
عظريا مهلا ، حتى احتاج الغرب ، بعد
اندحاره في الغزو العيسوي ، الى ان يفهم
عقبة هذا الشعب الابي ومزاجه
يسنجلي حقيقة تاريخه ...
واعوزه ان يجد هذا في كتب التاريخ
السياسي والادبي ، فبدأت حركة
الاستشراق تول ما بدأت ، لتقديم الى
الغرب ما يحتاج اليه من المسحور
تكشف عن سرها ...
وراحت الحركة ، تنتج اثار المفكرين
من ادبائنا ، ممن اهتمهم مؤرخو الادب
وانطلق رسالها في انحاء المشرق ، ينقبون
عن البضاعة المدفونة من شعر وقصص
وامثال واساطير ...

وهناك في صوامعهم ، بالقرب البعيد
تحت الرهبان - في لندانية صابرة باذاه
على فحش ذلك التراث ، وازاحة ما طمس
الرس من معالقه ...
يريدون ان يعرفوا منه ، تاريخ ما اهدوا
التاريخ
والان ونحن نعيش بجربتنا الثورية .
ونحاول ان نرى ذواتنا ونحقق وجودنا
ونستبين معالم خطواتنا في دروب الزمن
الآن ، ونحن نضع حاضرنا ، وقدا ،
على هدى تجارب ما قبلنا ، بكل انتصاراته
وعثراته ، وبكل اسجاده وماسيه
الآن ، يجب ان نلتفت الى تراث
الادبي ، فنجمع ما بعثر منه في مرايا
الاستشراق ودور الكتب الغربية ، لنقر
من جديد بدوق مشعر ، وعقلية نجت .
محنة العقم والمصادرة ...
ومن جديد ، تبيد كتابة تاريخنا الادبي
بعد ان نستكمل مادته التي وضعها
مؤرخو الماضي في منطقة الظل وبعد ان
نحس آثار ادباء احرار ، اخملهم الطغاة
الادبي الذي جعل امراء الادب هم مداء
الثوك وسبيد البلاط والسنة الامراء
الاغنياء ...
ويبقى لبيان فداحة هذا الطغيان ،
ان نقرأ اعتراف الاقديين من مؤرخي
الادب ، بان شاعرنا مثل « جرير » اخمل
وحده ثمانين شاعرا في زمانه ، ممن
لم يصلوا الى اعتاب القصر الاموي .
وان « ابا تمام » والبحري - من
شعراء الدولة العباسية - اخملا في
زمانها خمسمائة شاعر ، كلهم مجيد
ولم يقولوا لنا ، من هؤلاء الشعراء

التاريخ : ٢٢ / ١٢ / ١٩٦١

(٤)

من قوى الجاه والسلطان . واخمل
التاريخ الرسمى ، رجلا كالجبرتي حاول
ان يتجر من سطوة الشبار الغالب ، كما
اخمل شمراء المدح والثناء ، وما جرد
الاحزاب السياسية ، ادباء احرارا
هبروا عن مشاعر الشعب ، وانفعلوا
بمأساته ، وصوروا تمرده وسخطه .
فهل تراثنا ثمرى تاريخنا الحديث
حق المنة ، لو لم يرجع الى التراث
الادبى ليرى التسوسى الذى ابلحن
بالاضطهاد ، وعبد الحميد الديب الذى
مات من الجوع ، وعبد الرحمن شكرى
الذى طحنه الجحود والكران ، وامثال
لهم ، ممن اخملهم عملاء السلطان ودعاة
الاحزاب ؟

هكذا الوضع بالنسبة الى ما قبلنا
الذى لن نشتبه بماله ، مالم يكن لنا
من تراثه الادبى ما يفي بخطوات سيرنا
على الدرب الطويل .

الخمسمائة الجيدون
وما يزالون خاملين لنا ، مع انهم
جد برون بان يفروا لنا جوانب مبهمة
من تاريخنا ..

ولقد ان لنا ان نجد انفسنا في تراثنا
الادبى المهم ..

فيلتزم ما تفسر لنا بضاعة عملاء

البلاط ، مدى تسخر الادب للتفويض
بالجماع وخداع الراى العام ، يقدم
لنا تراث المفودين الاحرار - من زهاد
ومتصوفة ، ومن مثبذين وصعاليك ،
ومن نوار وخوارج - اصداء التاريخ
الشعبى ، كما سجلها ادباء لم يتمرلوا
على البلاط ..

وتاريخنا الحديث ، له في هذا
المجال تجربة شاهدة بما يستطيع التراث
الادبى الحر ، ان يقدمه من افواه ..
فاكثر كتب التاريخ الحديث ، قد
وجهتها تبسل الثورة ارادة ملكية ،
وسيطرت عليها رغبة التؤلف والقربى

التاريخ : ٢٩ / ١٢ / ١٩٦١

قضايا أدبية

بقلم : الزكوة بنت الشاطئ

لغتنا وأحياءها !!

«من أجل الفصحى ، دعوت وادعوا إلى التيسير ، وإلى التريث في التخطئة
وإلى الاعتزاز بالألفاظ والأساليب الصحيحة ، الشائكة على السنة الناس
كي تأخذ الفصحى مكانها فينا : لغة حياة !»



الزكوة بنت الشاطئ



أحمد طه السيد



نبيع الأرم

يعلمون علم اليقين أنها ليست ههنا
التناول ولا خفيفة الظل ..
ويشارك القراء في أحبال بسمي
عيناها ، إذ يسرون على مطالعة هذا
الصف من الكتابة ، وليس فيه عنصر
السلطة والرفعة ، الذي تروج به بشاعة
القلم في عصرنا .
وكتب - في الشهر الماضي - قد
عالجت قسرة " الصغوة الفصحى " ..
وأوهام الخواص إلى مثل دعوت فيه إلى
أن يترث الغيورون على الفصحى ، في
تعتيم لاخلاء لغوية ، قد يكون لها وجه
من الصحة والسواب .
واستشهدت على هذا : كتاب الفصحى
أحمد طه السيد في القرن السادس الهجري

مرة أخرى ، أكتب عن هذه الفصحى
دون تخرج من الإنفال والإملال ..
ليقدر مألغة من ارتباط وسبق بحاشنا
الفكرية والأدبية ..
وبقدر ما هي مفوم أصيل من مقومات
وجودنا القومي والثقافي ..
وبقدر ما هي مجلى إنسانية الإنسان
وأداة نظمه الذي يبرزه عن الحسوان
الاعجم ..
بقدر هذا كله ، يجب أن يكون اهتمامنا
بقضاياها ، وأحبالنا لمعاودة النظر فيها
كلها لأحت فرصة أو جدت مناسبة
قريبة يجب ادراعنا من أجل إنسانيتنا
وقومنا وثقافتنا .
والكتاب المتخصصين ، يعلمون عن
الأكثر حتى يملجون مسائل اللغة وهم

(٢)

وأكثر هذه الرسائل ، من يحسنون
الظن ، ويروني أهلا للحفاظ على
النص . .

منهم من وقف عند فولي «التغويرين»
على النص . . «ورأيت بها جمع
التغويرين جمع المذكر السالم ، مع أن
المشهور أن الصفة لاتجمع جمع السلامة
إذا لم تقل علامة التأنيث ، مثل أسود
وأحمر ، ومثل عائس وغيور ، بها مستوى
فيه المذكر والمؤنث . .

وأرجو أن يطننوا ، فنحاة « مدرسة
البصرة » هم الذين ألزموا بهذا الشرط ،
أما الكوفيون - وهم أقرب إلى ذوق
العربية وأهدى إلى حبها - فقد جوزوا
في مثل هذا ، أن يجمع جمع المذكر السالم
وشاهدهم عليه : قول « حكيم الاعور بن
عباس الكلي » :

لما وجدت نساء بنى نزار

لحلال أسودين وأحمرنا

وقول « أبي تيسر » رفاة الجاهلي

أد أبي تيسر بن الأسلت - الذي أدرك
الإسلام ولم يسلم . .

لما الذي هو ، ما أن طر شاربه

والعائسون ، ومن المرد والشبيب
والعائس - كما في إبهات المعاجم :

« الجارية طال مكثها في أهلها بعد ادراكها
ولم تتزوج . والرجل عائس أيضا »

لهذه صفة لانتيل علامة التأنيث ، ويستوى
فيها المذكر والمؤنث ، وقد جمعت جمع

المذكر السالم ، فلا بأس بالتغويرين التي
هي أخف على التلم واللسان والسبع

من صيغة « غير » بضمين ، ومنما لالتباسها
في الطاعة الصحفية غير المنسوبة بالشكل

بلفظ « غير » بفتح تكون - وبه تضطرب
العبارة ، عند الجبهة من القراء . .

وأخرون منهم ، رأيت أني استعمل
« التفرقة » مبدرا للفعل « افترق » المشدد

ألراء ، قالوا : « ولا يخفى عليك أن هذا
الفعل يجب أن يكون مصدره التفریق ،

لأنه صحيح الآخر » .
واقول لهم : أن التفرقة ليست خطأ

كما يظنون ، وإنما هي مصدر صحيح ،
جاء على غير التماس الذي ذكره . .

وللغة مصادر كثيرة على هذا الوزن ، من
الفعل المضاعف للمعين ، غير المعتل ولا

المهوز ، مثل تجربة ، وتكيلة ، وتفرقة ،
ويجسمهم ، لكن يطننوا ، أن أذكرهم
بآيات الكريمة :

وتتبع فيه ما تحسه من « اغلاط الخوامس
الواضحة ، وأوهامهم الفاتحة » فجاء
عالم آخر بعده بقرون ، والتمس لكل هذه
الاغلاط وجها من الصواب . .

ومن أجل الفصحى : لا من أجل شيء
آخر كتبت ما كتبت يومذاك . .

ومن أجلها أيضا أكتب اليوم .
أذكر كلما يسرنا امرها ، مكنا لها من

السنننا وأقلامنا ، وهياتنا لهذا الجيل من
أبناء العربية ، نوعا من الطمانينة إلى

أمكن اقتدارهم على صحة التعبير . .
أما الإلحاح في تعقب الخطأ - ربما

كانت صحيحة لغويا - فهدعاة إلى الناس
من هذه الفصحى . .

وليس من مصلحتها ، أن يباس أهلها
من الاقتدار عليها . .

بل ليس من الخير لغومينا وثقافتنا ،
أن نتطوع بمزول الفصحى عن حياتنا ،

لطول ما نصدم الكتاب بالخطئة ، حيث يكون
هناك احتمال للصواب . .

ولعل ما يمرر التغويرين على الفصحى ،
على تجنب الألفاظ السخيفة الشائعة

على السنة المروم ، لأن شيوخها في رأيهم
مظهر عابرة وأبندال ، وأن يكن في رأيها ،

مظهر حيوية وصلاحيه للبقاء . .
والفصحى لن تقتصر في مراعاة الموهوم

مع العامة ، بل وزاري من الاستاذ
الدكتور عبد العزيز السيد : وزير التعليم

العالي ، ولا بقرار مجتمعي يحمل توقيع
استاذنا الكبير أحمد لطفى السيد ،

وأنا تحل المشكلة بكل بساطة ، عن
طريق التقريب بين الفصحى ولغة الحياة

ومصيبتنا من هذا التقريب ، أن نكتف
عن استعمال الألفاظ المعجبة المسببة ،

وأن نحمل باستعمال الألفاظ الصحيحة
الشائعة على السنة الناس ، وأن نتردد

طويلا ، قبل أن نشهر سيف الخطئة في
وجه الطلاب والكتاب . .

ويتولى الزمن بقية المهمة ، بانتشار
التعليم ، وتصحيح مناهجه ووسائله . .

ولكن بعض التغويرين على الفصحى
ما يزالون عند قننهم من التعليد ، والإصرار

على تعقب الفاظ وصيغ ، يسرعون في الحكم
عليها بالخطأ ، ولو تزينوا قليلا - كما

وجوت - لكان لهم وجه صحتها . .
وبين يدي ، عشرات من الرسائل ،

تلتفتها أثر بقالي عن « الفصحى . .
وأوهام الخوامس » مستترية في بعض ما

جرى به قلبي بن الفاظ . .

« تنصرة وذكرى لكل عبد خبيب »
« ان هذه تذكرة ، لمن شاء انخذ الى
ربه سبيلا » .
« وانه لتذكرة للمبتقين . وانا لنعلم ان
منكم مكبين » .

واسناد جليل لم يسترح الى عبارتي :
« ان العدد اذا تقدم المعداد » وكان
يؤثر لي ان اتول : اذا تقدم على المعداد
وحسب ان اذكره ببيت « الطفراني »
في لامية المشهورة :
تقدمتني اناس كان خطوهم
في الخطى لو اتيت على سهل :
فهل اتول مرة اخرى : ليت الغيورين
على الفصحى ، يترقبون في تخطيط الفاظ
وصيغ ، قد يكون لها وجه من الصواب ؟
اقولها ، لانرغ لشكلة جديدة ، اثارها
لشيلة « الاسناد الشيخ منصور رجب »
واردت ان اعليه من نشرها ، لكنه امر
- ثلاث مرات - على ان انشر له
البيان التالي ، تعقبا على المقال الذي
كتبته في حول رسالته التي نشرت بنصها
مع المقال :

« أولا : معذرة للدكتور ابراهيم بيومسي
مذكور ، فقد توهمت ان التعبير له انجيلته
مالم يقل : وجل من لا يسهو .
« ثانيا : سؤالي الخاص بقاعدة العدد
كان ينصب على لغة القرآن الكريم .
فقد جرى على القاعدة المشهورة ، في
الجرء بالعدد ، على عكس المعداد ، تقدم
العدد ام تاخر . ليقول في الحال الاولى :
« سبع ليال وثمانية ايام » وفي الحال
الثانية : « والفجر وليال عشر »
« هذه هي لغة القرآن الكريم التي
ثرت لخالقتها عبدا . اما القول بجواز
مخالفة هذه القاعدة في حال تقدم المعداد
فهو تخريج نحوي ، يعرفه الخاص ويعرفه
العام . وهو متداول في الكتب وفي ايدى
الطلاب ، ولا شاهد عليه من القرآن الكريم
ولا من كلام العرب .
« واحب ان اتول . اننا حين نيسر او
ناخذ في تيسير اللغة على ابنائنا ، فلا
ينبغي ان نهجم على القاعدة ، وخاصة
اذا كانت لغة القرآن الكريم . هذا ما اردت
تجليته ، وما ترفيقي الا بالله . » ا هـ .

التاريخ : ٥ / ١ / ١٩٦٢

أضواء على تاريخنا الموثائق المجهولة

« ان السبق الى نشر هذه الوثائق المجهولة ، حق من حقوق التأليف . أى أنه لا يجوز قانوناً ولا عرفاً ، إعادة نشر شيء منها الا في حدود معينة ، وبعد استئذان المؤلف »
الدكتور محمد صبرى

« وددت لو أن الناس انتفعوا بهذا العلم ، دون ان ينسب الى منه شيء »
الامام الشافعى

يقام الذكورة

في الشاطئ

يقولون البيان ، كلما حاولت ان اعبث عن الفرحة الفلانة التي اتلفت بها باجود علينا به الدارسون المحققون ، من نشر بعض المطوى من تراثنا . الا انها اقل في وصف هذه الفرحة ، تظل الكلمات المبدولة ، دون ما اشعر به حقيقة من تهلل واغتباط .
ذلك لاني مؤمنة اميل الايمان ، ان تاريخنا لم يكتب بعد على وجه الصحيح ولا سبيل الى معرفته ، بالم نجمع كل ما في الدنيا من مخطوطات تراثنا المسمثر نحققها ونقرأها ونعيبها .
والطبعة العربية لا تلتنا تقدم لنا تراثنا من كتب التاريخ الادبي ، نلا يعني هذا الحشد الضخم بجنتها ، تترجميني نص واحد من تراثنا ، ينشر محققاً



(٢)

المرء والمؤيد - من تألدها احمد مرابي؟
وكيف زعيت لنفسى انى اعرف تاريخ
بلدى ، ولم استن شيئا ذا بال من
اسرار (المسألة لاشودة) والحادثة
الحدود؟؟؟ وكيف ساع لى ان اشغل
بدراسة الادب المعاصر ، وقد كنت حتى
ابن القريب ، ثم استكمل معرفتى بالمعاصر
النقدية التى شئت فى جبل شوقى ، ومنها
- مثلا - معركة «عام الكف»؟؟
بل لقد تسالت فى غيرة دهشة

واساى : ان كان تاريخنا فى عصر شوقى
قد درس حقا ، قبل هذه المجهولات من
الشوقيات وغير الشوقيات ؟
ذلك لان الاضواء التى القاهها الاستاذ
الدكتور صبرى بكتابه ، كشفت لى عن
مناطق فى طى الضباب ، وجعلنى ارتاب
لما كنت احسه من القضايا المسلم بها
فى تاريخنا القومى والادبى .

وقد اتول مع الفائق : ان الشوقيات
المعروفة والمجهولة ، لاتعدو ان تعبر عن
موقف شوقى من احداث المعصر ، وقد
كان ميمونا بولائه لبنت اسماعيل ، ولا
يخلو موقفه من التأثر بهذا الولاء .

غير انى اؤكد بـ مع هذا كله - ان
وعينا لتاريخنا ، لا يمكن ان يستغنى عن
هذه الشوقيات المجهولة ، بما تكشف لنا
عن موقف شاعر عاش احداث عصره بكل
وجدانه وانفعاله بها اقوى انفعال ، ولم
يحل ولاؤه لاولياء نعمته ، دون مشاركته
الماطفية لهذا الشعب ، ايمان مخنته
بالاستعمار ، ومصابه فى فئة من رجال
الحكم والسياسة ، فتموا بدور الشخصوس
المنحرفة بايدى الانجليز ، على مسرح
الدى .

اجل ، نحتاج الى هذه الشوقيات
المجهولة ، والى سواها من التراث الادبى
للمعصر كله ، بما لا يزال فى منطقة الظل
او طى الظلام . لكن نستعين فى قولها
خلوات ممرانا فى ليل المحنة ، ونيز
اسماء اليمث ، فى الزهرة التى شبدت
الثورة المرامية ونفاس الحرب الوطنى
والثورة القومية عام ١٩١٩ .

انفسى لى هذا الاعتزاز المبعث بها
نشر من الشوقيات المجهولة ، فى ان اشير
هنا الى ما صدرنى منها ، خلال قواعى
المائة لها ؟

كانت السدنة الاولى ، حين رابت
الاستاذ الدكتور مبرى ، وهو من نعرف
اصالة منهج ، سبغ لنفسه ان يمس
حرمة النصوص نشت من الشوقيات
المجهولة ما يرشبهه ، ويحذف منها ما لا يحمد

وبطل هذا التدبير ، تلتبت «الشوقيات
المجهولة» الى حلق فيها الاستاذ الدكتور
محمد صبرى «مجموعة من آثار شوقى
لم يسبق نشرها فى المطبوع من كتب
ودواوينه .

وبهذه الشوقيات المجهولة ، يضيف
الاستاذ الجليل الى رصيد شوقى ، والى
تراثنا من الادب المعاصر ، نحو مائة
وثلاثين قصيدة ، عدد ابياتها يقرب من
اربعة آلاف ، عدا مجموعة من الابيات
المنفرقة والشذرات النثرية .

ويشوق على ان اتصور مبلغ الجهد
الفنى الذى بذله الاستاذ الدكتور ، ليجمع
هذه الشوقيات المجهولة من شتى الصحف
والمجلات ، فى عصر شوقى . . وبعضها
كان قد نشر باضائه الصريح وسقط من
دواوينه المطبوعة ، ونشر بعضها باضاءات
بيئته عرفت لاشوقى . .

سألت ، وندهم . وخبر . . وقد مر منها
نشر بغير ابطاء ، ودلت عليه - فيما
يقول الدكتور صبرى - انشاس شوقى . .
ولم تكن غسلى ، لنشر هذا التراث
المطوى بحسب وانبا لمضى كذلك ، ان
مثل الدكتور صبرى اهل للنهوض بمعب
المحقق الذى اعرفه صمعا باهظا ،
وقد راحت فى السوق طبعا نجازية
ممسوخة مشوهة ، لبعض كنوزنا الادبية
والفكرية ، قام بها ناس لادراية لهم
باصول التحقيق ، ولاخبرة لهم بمنهج
ولا فكرة لديهم عن حرمة النصوص .
ولكن الدكتور مبرى يؤمن على التحقيق
بامالة منهجه التاريخى ودقة حسه الادبى
فكان كسبا لادبنا المعاصر ، ان يتجه
بؤرخنا الادبى لخدمته : عن هذا الطريق
الشاق الذى ينفق اكثر علمائنا من وعورته
ويحجبون عن اقبال عبثه المثنى . .

ومنذ اشهر ثلاثة ، وانا انتزع نفسى
من شواغل الدنيا كلما استلمت الى ذلك
سبيلا ، لا عيش مع هذه «الشوقيات المجهولة»
فى حقبة من تاريخنا الحديث . غاب عنا
- نحن ابناء هذا الجيل - الكثير من
خفاياها واسرارها . . واعتز انسى
شخصيا ، وقتلت بحيرة ايام هذه الاضواء
التي القتها الشوقيات المجهولة على تلك
المرحلة من تاريخنا . وكنت بين حسين
واخر ، اشعر بها يشبه الاسى والخجل
لحلى باحداث كبار صنعت تاريخ قومى
ووطنى ، ولحلالا نسالت ، خلال مطالعتى
للكتاب ، كيف عشت هذا المعمر ، وانا
لا اعرف على وجه التحقيق ، موقف
حمل الثورة المراسية - وفهم محررو

(٣)

بصرف في النصوص على هواه ، انحراف
الدليل التاريخي والادبي وسائل معينة
على الفهم والتقدير والحكم ، ومادة مؤرخة
لشعر العصر .

لاضل هذا نحسب . بل نلج المساء
ذروها حين يقول في صفحة ٤٧ :

الاول انتح لنا اعادة طبع الجزء الرابع
من الشوقيات ، لما ابقنا منه الا القليل .
بل ان الجزء الثاني الذي اشرف على طبعه
شوقي نفسه له غث كثير .

لم يصرف على هذا الموقف ، فيقول في
ص ٩٨ : « ان اكبر اساءة الى اسماعيل
صيرى ، كانت في نشر ديوانه بفضه
وقصصه من شعر الصبا الى شعر
الكهولة ! ولو ان الناشر اكفى بمطعماته
التي يحتل بها - على قلنها - مكانا
قريبا بين جميع معاصريه ، لظهرت شخصية
صيرى . »

بالا قول الاثنى ، الا ان احمد الله ،
اذ نجت الشوقيات المطبوعة ، ونجادوان
اسماعيل صيرى ، من يد مؤرخنا الانبياء !

لم ، من قال ان الاستاذ الجليل ان
ينفذ بالحكم الفني على ما اسقط من
الشوقيات ؟ ان قيمة النص المحقق ، في
انه يضع المادة الادبية بين ابدى الدارسين
على اختلاف مستواهم ومذاهبهم وبيئاتهم ،
فيكون لكل منهم حكمه وتقديره . انا مثلا
اخالف الاستاذ الجليل في كثير من احكامه
النقدية التي يسطرها في الكتاب ، فلا يصح
سنادته ان يخلف راسنا ، انها الذي نضربنا
جيبها ، ونضرب الحق التاريخي ، ان يسقط
الدكتور من الشوقيات ما لا يرضه ، فيصائر
بها الاسقاط ، حقا في تقويم ما اسقطه
ثم يحكم بهذه المصادر على اجبال بعدنا
بهدرا حقا في ان تنذوق النص بماتصف
عليه طاقتها ومستواها ، وان تحكم عليه
بمؤازرتها التي ترضاهما ، وان تقوم الشاعر
بكل ترائه ، لا بالجيد منه فحسب !

واخرى من المأخذ المنهجية ، ان الاستاذ
الجليل اعتد في نسخة بعض هذه الشوقيات
المحولة ، الى نسخة ، على « انفاسه النص »
نعم عليه !!

وخبراء النصوص الادبية ينملون ذلك
اجيالا ، لكن بادلة وقرائن ، لا بمجرد
الانفاس ! وهذه الادلة والقرائن ، تلتبس
بالاستقراء الدقيق الفاحص لانار الشاعر
يؤدي الى معجبه واسطيه وخصائمه
« انفا . اما الحكم جزاها بان هذه القصيدة

بحجة ان هذا المحذوف ، حافظ نفسيا
عن المستوى الذي بلغه شوقي ، او لانه
من المدح الذي كان الشاعر يكتفه ضد
طبيعته .

لم يعمل ذلك مرة ، واثنين ، وعشرا
فحسب ، بل جعله من اسس خطائه في
التحقيق ، فقال في ص ٤٧ :

وقد حذفنا المديح من قصائد كثيرة ،
ونحن موقنون انه مادما شوقي الى اسقاط
معظم المديح والاكتفاء بالنسب - كما
فعل في الجزء الثاني - لم يكن الرغبة
في تحاشي ذكر عباس في عهد فساد
ولكن كراهيته الطبيعية للمديح الذي
تكلف فيه القول . واخيرا اغفلنا قصائد
كثيرة غير منشورة في الديوان ، ولكنها
ليست من جيد شوقي او مما يستحقه
مريدوه ! لم ننشر من « المحجوبات » الا
قصائد معدودات عليها مسحة من ملاحظة
شوقي . وبالجملة اسقطنا كل ركيك
او غث .

لقد اوشكت ان اتهم صيرى وانا اقرا
هذا الكلام ، ثم لذت برجاء ان يعسود
الباحث المؤرخ فينتفتح الى مانيه من عدوان
على حرمة النصوص وحق المنهج ، لكني
النيه - مع الاسف الشديد - يضي
على خطئه تلك ، فيحذف قصائد كاملة ،
ويسقط من احدى الشوقيات الجهرولة
نصف ابياتها « ص ٢٦٦ » ومن ثلثية ،
الثلث وعشرين بيتا « ص ٧٢ » ومن ثلثة
ورابعة اثني عشر بيتا « ص ٦٨٥ » ١٠٣
ومن خامسة ستة ابيات « ص ٢٥٩ » وهكذا .
دون شعور بأي تخرج !

هنا الولد بالصير العلمي لاستاذنا
المؤرخ ، فاسأله محتكة اليه : هل يرضيه
ان يعتدي مكتشفو الآثار على حرمتها ،
لفسروا صيغتها وعلامتها ، او استروا
اجزاء منها على هواهم ؟ وهل تسبق
للانر بعد ذلك النثر او النثر ، فنية
تاريخية من حيث هو خبط اتري في نسج
سئله وعصره ؟

ان الامر في النصوص شبيه بهذا .
اذ هي التي تهدينا الى معجم القائل
الشاعر ، والى خصائمه الاسلوبية والى
مستواه بين الرقي والهبوط ، والى الدلالات
النفسية لمزاج العصر واوضاع المجتمع

معكولة على وجدان الاديب والى مدى
التفاعل بين الفن والحياة ، مما هو مادة
للتاريخ المعاصر ، فكيف جان على مؤرخ
حامي محقق ، مثل الدكتور صيرى ، ان

(٤)

من أجل عثرات أخذتها عليه ، من فرط حرصي على مثل هذا الميل الجليل ، يعيبه كندى نقص القدرة على الكمال . أما الاستاذ الدكتور ، فلن يضيّق بهذا النقد قدر ماضقت أنا نفسي به . وشفيقي أنه يعرف مكانته عندي . ويعلم أنني أحاول جهد بشريتي أن انمّثل بالآية الكريمة :

«يا أيها الذين آمنوا ، كونوا قوامين بالقسط ، شهداء بالحق ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين »

خيت كلمة عتاب أرجو أن يتسع لها صدر استاذنا العالم . تلك هي أنه صدر الشوقيات المجهولة ، بتنبيه صارم قال فيه : «... ولا شك أن السبق إلى نشر هذه الوثائق المجهولة لم...» حقوق التأليف . أي أنه لا يجوز قانوناً ولا عرفاً ، إعادة نشر شيء منها إلا في حدود معينة ، وبعد استئذان المؤلف والإشارة إلى المصدر . وذلك تطبيقاً لتواعد الأمانة العلمية التي هي الدمامة الأولى لصيانة حقوق التأليف والمؤلفين ، ومنع السطو على جهود الغير ، هذا السطو الذي أصبح لا يتورع عنه جهاراً وبلا استحياء ، نفر من الناشرين والكتاب .

ولقد ذكرت وأنا اقرا هذا التنبيه الصارم ، كلية «الإمام الشافعي» الرقي الله عنه :

(وددت لو أن الناس انتقموا بهذا العلم ، دون أن ينسب إلي منه شيء) «فهل أقول : وددت لو أن الاستاذ الدكتور صبري ، أباح للناس أن ينتقموا بشرة جهده السخى الباذل ، دون أن يتقاسموا حق التأليف ، أو يكلنهم أن يستأذنوه ؟

أو تلك ، من الشوقيات ، لأن انفاس الشاعر تدل عليه ، فإن الدكتور صبري نفسه ، سبق إلينا في كتابه ، ما ينقض به مثل هذا الحكم ، وذلك حين قال باحتيال أن يكون هذا الشعر - المنسوب إلى شوقي بانفاسه - «محصوراً على أنه حال في طبقة من الشعراء المبرزين أمثال حافظ وصبري ومطران ، وقد نشرت دواوينهم ، وبذلك انحصر الشك في أصيق حدوده » - ص ١

ذلك لأنه متى تشابه الأمر على الدكتور صبري في هذه الانفاس ، بحيث يمكن أن تختلط عنده بانفاس حافظ ومطران ، فلماذا أنهار الحكم من أساسه ؟

لماذا أضفنا إلى هذا ، حكاية قصيدة «يا بنت روما» التي رواها الدكتور في ص ٢١ ، لم يبق أي مجال للتعليق بالانفاس ، لقد كانت هذه القصيدة من نظم الدكتور صبري ، ونشرت أبيات منها في «الأحرار» منسوبة خطأ إلى اسماعيل صبري ، ورغم المبادرة بتصحيح هذا الخطأ ، بقيت الأبيات ملصقة باسماعيل ، وفات الخطأ على ناشر ديوانه فأنشأها فيه ، بل فأت الخطأ على «شوقي» نفسه ، فأرسل برقية إلى اسماعيل صبري ، تهنئة بالقصيدة ، ولم كان الدكتور صبري ، يضيف هذا شعر المجهول إلى شوقي ، بصفحة الظن أو الاحتمال ، لالتمسنا له بعض العذر . لكن الغريب حقاً ، أنه - بعد أن ظهر احتمال أن يكون هذا الشعر لحافظ أو صبري أو مطران - يقدمه مع الشوقيات ، بمباراة «نعتقد أنه لشوقي - ٢٨١ ، ٢٨٨ » ثم لا يبيط بين يدي هذا الحكم الجازم ، ما يكفي لجرد الترجيح !

أرجو على كل حال ، ألا يظن أنني القراء أنني أجحد قيمة ذلك السفر القيم

(٢)

«الرب لا نضل صامتا ، سارب كلنى
راحة ، كلنى سكوتا
لشمك يكيدون ، وبالفاذين مسك
ياتمرون .
يقولون : «لما نمحهم من عداد الامم
فلا يذكر من بعد اسم اسرائيل .
رب اجعلهم مصفا ، اجعلهم هشيها
تذروه الرياح . .
كذلك ارسل عليهم روحا حرمرا ،
وبالعاصفة املاهم رعبا » - ١٢٨
«صوت الله يحطم الارز ، الله يحطم
أزر لبنان !
يجعل لبنان تفتقر لفرز العجل ، وسربون
تنب ونوب اليهم !
«صوت الله يبرى ، من نار البرق
سهاها
صوت الله يرح الفلاة . الله برج
فلاة فادش» - ٥٢
«الامانة كبرت قلبى ، خيبي وفنسيحتى
لاهلح لهما . .
رحوت الرحمة نظم احدهما . .
أدبوا لى السم غذاء ، عطشست
اسقونى خلا .
صب عليهم لشمك ، حتى تسهم
نار سمطك !
حتى نصير مسانهم بلقمسا ، وبونهم
خاوية » - ١٠٦
« آمازنا فى مصر لم يدركوا كنه اهلك
لم يذكروا عطية حك ، بل نسوا
الحلى الاعلى عند البحر الاحمر . .
لكه انجاعم من اجل اسمه لتعرف
تدركه
فانثروا بكلامه وبذلوا بحدده
لكهم سارموا الى نسيان منبهم . .
حسدوا موسى فى محاسنهم ، وهارون
ولى ربهم
صنعوا عجلا فى حوريب ، سجدوا
لصنم مسسوب
نسوا ربهم الذى انجاهم
عن له ان يعدمهم ، لولا ان موسى
مضبه
قام بين يديه مدافعا ، لمصرف عن
الاهلاك شخصه .
رفضوا ارضي طيبانه ، لم يؤمنوا
بكلمته

النائم ، كالبيطل صرعه الخمر» - ٧٧
يارب ، يا حلى من المراث ، يا كوبي
انت الضامن نمسيى» - ٢٤
«لدى صوت وعندك يارب ، لىدى
الريح ترسلها من منخريك» - ٢٧
«الله صخوتى وسورى - ٢٦
«سبع من هيكله جوارى . .
«علا الدخان عند منخره ، وخرج لهب
من فمه - ٢٧
«لو سلكت وادى الظلمات ماخفت
سوءا
نشم عصاك وعكازك ، يذهبان روعى» - ٤
«قد احسيت منغماتى ، فلتق لى رقى
من عندك دموعى - ٨٦
«لا تسلم للسبع روح هبامك - ١١٤
ومن دلالتها على نسية اسرائيل ،
وموقفهم من الرب ونبيه عليه السلام :
«الذبايح لا تعجبك ، المحرقات لا
ترضيك
بفضلك احسن الى مهبون ، جدد
اسوار او رسلهم .
اذن ترضى عن لائق الغرابين ، عن
المحرقات والمذابح الكاملة ، اذن تقدم
الفجول على مذبحك - ٨٤
«اترب لك محرقات سبانا ، تصحبها
رائحة الكباش . واعد ماشية مهيبة
وتبوسا » - ١٠٠
«لما يارب تظل نائمسا ، ولى السوفت
المعصيب محتجبا ؟
. رابت يارب لا تسكت ، يارب لا تنأ
منى !
هب ، قم ، من اجل حقى . يارب
يا الهى : من اجل قضيتى .
احكم بمعدك يارب ، يا الهى ، لا
تسحكوا منى . . .
ركب الخذى والمار بما ، من بمرهم
ان اشقى
فشى الحزن والاضطراب ، من ياتسبون
المظية بالنيل منى !
«ولكن البشر والفرح ، لن يفرحتون
بائصافى» - ٦١



الاب دى بورتى



بجى أبو بكر

ولا بد من إشارة الى قضية هامة
تثيرها هذه المزامير . واعنى بها تطور
دلالة نصوصها . فلقد تم جمعها في نهاية
القرن الثالث قبل الميلاد ، وتلقنتها الاجيال
المسيحية بعد تروقن ، وترتلها . في وحساب
الكنائس ، وهي ترى فيها ما لعل اليهود
لم يروه ، وتجد تأويلاً لما فيها من سخط
هادر على الاعداء ، والحاح على الرب
في التنبيل بهم وتدميرهم ، مما ينافى المعروف
من تسامح المسيحية ودعوتها الى الحب
«فالمسيحي اذا تلا المزامير ، كان الدعاء
باللعنة ، على اعداء الله لا على اعدائه
الذين هو مكلّف بالصفح عنهم ، كما
انه يحى بها مغفسه للشر والخطيئة ،
لا الخاطئين» - ١٤ -

وهذا الموقن يجلب تطور دلالات النصوص مع الزمن ، ويشهد بحق الأجيال في حرية فهمها وتأويلها ، بما يلائم مستواها الروحي والفكري والذوقي ، غير ملتزمة بفهم الجبل الذي تلقاها ، ولا متبعدة بمقلية الشعب الذي نزلت فيه ..

وانتقل الى كتاب «حقيقة السلام» الذي
اغراني عنوانه ، كما اتراني امداء الى
(الزعيم) الذي جعل السلام جزءا من دعوته
القومية ، وهما لنا الانسان الذي جعل
من عدم الانحياز دعوا انسانية لانقاذ
السلام .

فرجوت ان اعيش بالكتاب في جو
السلام الذي ندعو اليه ، والذي تطلعت
اليه الانسانية منذ بشاره المسيح عليه
السلام . رسالة من الياء الى الارض
المخبئة بالدماء ، الشقية بالحقد والانانية
والسخط .

ودارت مجلة الزمان ، تطوى الايام
والادهار ، حتى اوشكت ان تستكمل
التي عام ، وما يزال السلام حلما بعيد
النال لبشرية مثقفة بلجراج ، ودعوة
ينادي بها قادة احرار .

ولم أجد في الكتاب ما التفتت بمن
استدراج ، وإنما الفيت دواصة جادة
رمينة للواقع المر الاليم ، حيث الانسانية
يبرزتها « الصراع المسلح » بين شتى المذاهب
وتتجاذبها تيارات عنيفة متداخلة من
شرق وغرب ، ويضئها القلق وهي



محمد الصادق حسين

تذبروا في خيالهم ، ولم يستمعوا
الى صوت ربهم ،
رأى يده ممتسا ، ليهلكهم في الصحراء
الوليزيدن ذريتهم هلاكا عند اسم الكفر
وليشتقتهم في افطار الارض ا
تلوثوا بالاعمالهم ، عهروا باعمالهم !
حببت نار غضبه على شعبه ..
اعدائهم صاروا ساداتهم
خصومهم صاروا طفقاتهم ..
انجاسهم براروا براروا ، لكتهم حادوه
للشر الكامن فيهم ، وامبحوا في غلالهم «
١٥٩

«على ضفاف انهار بابل ، كنا جلوسا
نبيكي لذكرى مهيون
على الصفحات من حولنا ، علمتنا
معارفنا

ثم طلب مجاثونا ان نغنيهم .
 طلب مفتصينا العرپ . .
 قالوا : غنوا من اغانى صهيون « .
 « لكك » يارب ، نبذنا ، وهزوا اتخذنا
 . . جعلتنا نرتد على اعقابنا بين يدي
 خصينا ، وفي الخافيم برسم عدونا

كحيوان الجزيرة تسلطنا ، وفي الامم
شربتنا

تبيع شعبك بشئ بخس ، لا تفي من
الصلوة ربحاً تجعلنا بين جيراننا مبة ،
وفمن حولنا حديثاً وضحكة!

تجعلنا مثلاً عند الأمم ، وموضع الاحتقار
بين الشعوب !

تم ، لم تمام. يارب ؟ هب ، ولا
تغضب منا حتى آخر الدهر - ٧٤



تشهد «سباق التسليح» في طيشه وجنونه وثأب مع كل هذا أن تخدع من «حقيقة السلام» أو أن تستسلم للباس فتك عن محاولاتها «من أجل السلام» .

وقد جذبتني مطالعتي لسفر المزامير ، إلى الفصل الخامس بالصهيونية في الصراع المذهبي «٢٥ : ٥٢» حيث لمح المؤلفان جذورها العميقة الفائرة في ماضي تاريخ اليهود ، وفي تلود اورشليم وتلود بابل ، قبل أن تظهر دعوة تيودور هرتزل ، بأكثر من ألفي عام . ولفتتني هذه اللوحة المضيئة ، يستعرد منها الكتاب إلى تتبع الحركة الصهيونية ، والكشف عن أسرارها المظلمة ووسائلها الخبيثة ، بن قدر وحقد ، ومن زيف ونفاق ، تردى بهما زى الدعوة الدينية ، وهى تضمر التصميم على استبدال أوامر التلمود بتعاليم

التوراة ، ونيل شريعة موسى عليه السلام بشريعة وايزمان الذى يقول : «إن الدين يدفع إلى التواضع والعفة ، ولا يمكن أن تقوم دولة أو ترسم سياسة على هذا الأساس» وبشريعة الجاهل «عيا نويل اينانوفتش» الذى صرح في المؤتمر السرى للصهيونية - بودابست سنة ١٩٥٤ - «بأن الجنس اليهودى يجب أن يحتل مكانه في العالم ، ويمير كل يهودى ملكا ، وغير اليهود عبيدا .. وأن

الدين قد يكون خطرا داهمسا على سيطرتنا » .

ونابمت القراءة على عجل ، لأطيل الوقت عند مأساة فلسطين (١٤١ : ١٦٠) حيث تخاضى الكتاب اصطفاغ الأسلوب الخطابى ، فجاءت الوثائق التاريخية والإرقام الرسمية ، أقوى إثارة والصدق دلالة ، وأبلغ في تصوير المأساة .. كما جاء الكتاب جملته ، يحمل آثار العمل المخلص ، تدفع إليه رغبة صادقة في

وتأبى مع كل هذا أن تخدع من «حقيقة السلام» أو أن تستسلم للباس فتك عن محاولاتها «من أجل السلام» .

وقد جذبتني مطالعتي لسفر المزامير ، إلى الفصل الخامس بالصهيونية في الصراع المذهبي «٢٥ : ٥٢» حيث لمح المؤلفان جذورها العميقة الفائرة في ماضي تاريخ اليهود ، وفي تلود اورشليم وتلود بابل ، قبل أن تظهر دعوة تيودور هرتزل ، بأكثر من ألفي عام . ولفتتني هذه اللوحة المضيئة ، يستعرد منها الكتاب إلى تتبع الحركة الصهيونية ، والكشف عن أسرارها المظلمة ووسائلها الخبيثة ، بن قدر وحقد ، ومن زيف ونفاق ، تردى بهما زى الدعوة الدينية ، وهى تضمر التصميم على استبدال أوامر التلمود بتعاليم

التوراة ، ونيل شريعة موسى عليه السلام بشريعة وايزمان الذى يقول : «إن الدين يدفع إلى التواضع والعفة ، ولا يمكن أن تقوم دولة أو ترسم سياسة على هذا الأساس» وبشريعة الجاهل «عيا نويل اينانوفتش» الذى صرح في المؤتمر السرى للصهيونية - بودابست سنة ١٩٥٤ - «بأن الجنس اليهودى يجب أن يحتل مكانه في العالم ، ويمير كل يهودى ملكا ، وغير اليهود عبيدا .. وأن

الدين قد يكون خطرا داهمسا على سيطرتنا » .

ونابمت القراءة على عجل ، لأطيل الوقت عند مأساة فلسطين (١٤١ : ١٦٠) حيث تخاضى الكتاب اصطفاغ الأسلوب الخطابى ، فجاءت الوثائق التاريخية والإرقام الرسمية ، أقوى إثارة والصدق دلالة ، وأبلغ في تصوير المأساة .. كما جاء الكتاب جملته ، يحمل آثار العمل المخلص ، تدفع إليه رغبة صادقة في

وتأبى مع كل هذا أن تخدع من «حقيقة السلام» أو أن تستسلم للباس فتك عن محاولاتها «من أجل السلام» .

وقد جذبتني مطالعتي لسفر المزامير ، إلى الفصل الخامس بالصهيونية في الصراع المذهبي «٢٥ : ٥٢» حيث لمح المؤلفان جذورها العميقة الفائرة في ماضي تاريخ اليهود ، وفي تلود اورشليم وتلود بابل ، قبل أن تظهر دعوة تيودور هرتزل ، بأكثر من ألفي عام . ولفتتني هذه اللوحة المضيئة ، يستعرد منها الكتاب إلى تتبع الحركة الصهيونية ، والكشف عن أسرارها المظلمة ووسائلها الخبيثة ، بن قدر وحقد ، ومن زيف ونفاق ، تردى بهما زى الدعوة الدينية ، وهى تضمر التصميم على استبدال أوامر التلمود بتعاليم

السلام : دعوة الرسل ، وحلم البشرية وإرادة الشعوب الناجية من ميراث الحقد والشر ، البرينة من عقدة الاضطهاد والانتقام أو السيطرة والجشع .

وبقيت كلمة لا بد منها ، اعتذر بها عن خطأ مطبعى أسأت له وضعت به ، وذلك بوضع لفظ أعدنا مكان «اعتدنا» في آية الدهر يبتلى من لغتنا والحياة ، ولفظ «الحق» مكان «الله» في آية النساء يبتلى من الشوقيات المجهولة .

والعهد لله - الذى لا يجد وليس مكروه سواء - أن الخطأ في اللغتين لم يفسح رحمة مكان عذاب ، ولا عذابا مكان رحمة .

ويعلم الله ببلغ حرصى على ألا يقع مثل هذا الخطأ أبدا ، وأن كان الحرص لم يمنع من وقوع الخطأ مرة في طبع «المصحف الشريف» عندنا ، على ما حشد له من وسائل النقا في المراجعة .

والضبط والانتقان ، كما وقع في معجم القرآن الذى نشره المجمع اللغوى منذ سنوات ، بأثراف جماعة من أئمة العربية وشيوخ الاسلام ، فجاء فيه : «حتى تؤمنوا بالله ورسوله» مكان قوله تعالى : «حتى تؤمنوا بالله وحده» في آية الممتحنة .

ومن عجب ، أن يقوم وأهم أنسى قمتت إلى تغيير لفظ «اعتدنا» كأنما يجوز في تصوره أن يعتمد مسلم على تحريف لفظ قرآنى ! وكأنما نفذت احتمالات الخطأ ، والسوء ، والتسليان ، ولم يبق لديه إلا تهمة «العبد» يثقف بها دون تخرج أو نائم ، ويظل يلغو في ذلك حتى ينذر ويهدد ، ويتوعد بأن يستمدى السلطات على ، أن لم انشر له خطابه !

لهل ترائى قد بلغت ! اللهم فاشهد !

التاريخ : ١٥ / ١ / ١٩٦٢



فتحية بهيج كما عرفتھا

رسالة اليك يا راحلة ...
 قبل أن ترحل بعيدا .. بعيدا ..
 قبل أن تقول لك أراودك في مسجلك
 أوحتس بمدونة المرمى ..
 قبل أن يمتد البلى بجسدك العمر
 ويبدله حذقة من لراب ..

نيل ان يمتن العدم ، لك البقية
 أوك من ذنء الحيا ؟
 رسالة من إحدى صديقاتك !
 أكتبها وأنا أنشئت بوهج كبير
 فأنظما سمعنا الناس بزمعهم
 ان المبت يظل فترة أثر رحيله ، مدنا
 بمفاتي حياه ، خاتمة مودنه حول
 شعورنا احبابه ، عطيا بكل ربوع دنياه
 ادمل انفسنا براح مبعثك ، في
 مشاكنا منا وسراة حوانا ، ولعدسا
 نؤنسك في وحدك ، يامن كنت تؤنس
 دنيانا باطافك وردائك ، واشترانك
 ورقك !
 ولست أدريك !
 انما اولى لؤلؤه الاحياء الذين كذب
 عليهم ان يشهدوا انعام الحياه نيلك
 قبل الاوان ، وان يشجرك الى مرقدك
 بيت المرمى ، وبسركك حلاله : لاوحشة ،
 والبلى ، والعتام ..
 ولست أبوك !
 انما أبوك كل من هزلك فاحبك ،
 لمروع الدم برحمتك المبادك ، على غير
 لولج ، والى غير حودة أو عاب ..
 ولست احبرك عليك !
 انما سمركى على من يتأبدون بعدك
 معقة الحياه في دنيا اليوم والاحزان
 وبجرعون كاس النجس ، سلك : مالهيه
 بالراة والانجاس ..
 وللى الشمس هناك عزاء ..
 بل انشد بدين امثال القيس الحزين :
 وداعا .. الى ان تاذى
 ولا بد ان مستغنى لدا
 وما قرب الدم من لدا !!
 بيت الشاطيء

التاريخ : ١٩ / ١ / ١٩٦٢

أضواء
على
تاريخنا



محمد مبري



مصطفى كامل



اسماعيل مبري



توفى

النصوص الأدبية

بين حرية الناشر
وحق التاريخ

رسالة من الدكتور محمد مبري

وتعليق من الدكتور بنت الشاطئ

اكتفت الدكتورة بنت الشاطئ في
« يناير مغالا من » السوتات المحبولة
نكانت نائدة بالمعن الصحيح ، أي انه
ذكرت الحسنات والسيئات كما تراءت لها
دون تحيز . ولم ار ان ارد عليها احترام
لحرية الرأي والنقد ، ولكن الدكتور
احمد الحوفي نشر في اهرام ١٢ يناير

(٢)

في صفحة ٤٦ من الكتاب : « اما السبب الثالث الذي حرك فكرة الخيانة والريبة في نفوس المصريين بعد هرب عرابي وتفضيته السورية فهو سعيه في مناهة الحصول من الانجليز على العترة ، والثناء عليهم قبيل مغادرته سيلان الى مصر في سنة ١٩٠١ رتد وصل مصر في ٢٩ سبتمبر ونشر له (المقطم) في ٢ اكتوبر سنة ١٩٠١ حديثا اثار عليه ثائرة الراي العام في مصر وجعل مصطفى كامل يشن الغارة عليه في اللواء » . وبعد ما ذكرت مثالا مما قاله عرابي في المقطم وما قاله مصطفى كامل في اللواء في عدد ١٠ اكتوبر سنة ١٩٠١ ، قلت : « وقد نشرت المصحف في ذلك المهد تمعية جاء فيها : »
عفا عنك الاساعد والاداني
فمن يعلو عن الوطن المصاب
اكتفيت بذلك البيت لشوقي لان الموضوع كان (عرابي) لا (شوقي) . والمهم اني شرحت الجو الذي قال فيه شوقي شعره وكانت عندي اوراق ووثائق كثيرة احتفظت بها منذ سنة ١٩٢٧ ، فلما كلمني المجلس الاعلى للفنون والاداب في منتصف سنة ١٩٥٨ بالقاء محاضرة عن (الوطنسيات والتاريخيات في شعر شوقي) عدت الى اوراقى ونشرت منها ما كان مطويا . . . هذه هي الحقيقة المجردة . ولا يمكن بعد ذلك لزهو او نقد او عتاب . لانه لا يمكن ان يسطو المتقدمون على المتأخرين
« ولي تمقيب بعد هذا ، على ما اخذته السيدة النائدة على » من بشر لبعض الشوقيات المجهولة ، واستقامت بعض منها لركاكتسه ، او لانه من المديح الذي كان شوقي يتكلمه عند طبعه .
الواقع ان موضوع (بئر النص) او (التصرف فيه) موضوع خطير من الناحية الادبية . وكنت اود ان ارمده له فصلا كاملا ولكني اكتفى الان بسطور : البئر في التعبير الادبي هو اقتطاع جزء من النص انتطاعا يؤدي الى تشويهه في صورة من الصور او نقصان في معناه او تحوير فيه . وقد احتفظت في (الشوقيات)

مقالا قال في بدايته انه « ابعد ما يكون عن نقد او عتاب او زهو » ثم قال : « في المثال ان الشوقيات المجهولة كشفت كثيرا من خفايا تاريخنا الادبي والسياسي الممثل بالثورة العرابية . فارجو ان يؤذن لي في ان اشير الى كتابي « وطنية شوقي » الذي ظهرت طبعته الاولى سنة ١٩٥٦ : اولا بينت شعبية الثورة العرابية وتبعتها . ثانيا - جلوت الجو الذي قال فيه « شوقي » تصانده الثلاث في عرابي وبخامة مقالات مصطفى كامل باللواء ومقالات مراسلي اللواء بالسويس . ثالثا - فخرت تصانده شوقي الثلاث في عرابي » وودي على النقطة الاولى الخامسة بتبيين شعبية الثورة العرابية وتبعتها . ان الكاتب الدارس ، قد ذكر في مراجعته كتابي « التاريخ بمصر الحديث » الذي صدر في سنة ١٩٢٦ . وهذا الكتاب موجز لرسالتي التي طبعت بالفرنسية سنة ١٩٢٤ من « اصول القومية المصرية » . وهو اول كتاب يبين وجهة النظر المصرية في الثورة العرابية في مدارس الوزارة ومما دعاه ، وقد كتبت قبل ذلك في سنة ١٩٢٣ فصلا عن الثورة العرابية في دراستي عن البارودي . الخ
« اما عن النقطتين الثانية والثالثة اللتين يؤكد فيهما انه نشر التصانده الثلاث في سنة ١٩٥٥ ، وانه جلا الجو الذي قال فيه شوقي تصانده في عرابي وبخامة مقالات مصطفى كامل باللواء . . . نقد كان يودي ان يكون ذلك صحيحا . لكن نشرت في (السياسة الاسبوعية) في عدد ٥ مايو سنة ١٩٢٧ مقالا عن (عرابي) جلوت فيه ذلك الجو الذي قال فيه شوقي تصانده وبخامة مقالات مصطفى كامل في (اللواء) . . . ولعل الكاتب كان مسفرا في سنة ١٩٢٧ . . . ولكن بما لا يراه فيه انه كثر في سنة ١٩٥٠ ولي تلك السنة بالذات ظهر كتابي (ادب وتاريخ واجتماع) واعيد فيه نشر مقالتي عن عرابي ، وهو يقع في عشرين صفحة (٢٩ - ٤٨) . قلت

(٢)

« واسماعيل صبرى قد طغى عليه الشعر في آخر مرحلة من حياته بملطعانه . وكان حافظ ابراهيم يقول عنه انه «نحار دقى» وانه «بحس نمو التوتر» . اسماعيل صبرى كان في الواقع «ماويا» لا «محترفا» كان شاعرا غنائيا . هذا هو وجهه الاخير الخالد . ورغبة الشاعر الموزون كما عرفته ، هي ان لا ينشر شعره وبعبارة ادق ان لا ينشر له عنوان بقضه وقضضه بطمس ذلك الوجه ، وان يكفى بنشره فتنطعمه والطويل الجند من شعره . اما شعره الفث او الوسط فيمكن الاشارة اليه مجيلا او مفصلا في مقدمة وافية تبرز تطور الشاعر وبذلك لا يكون هناك اعتداء على حرية الشاعر او حرية التاريخ . والله الموفق . »

محمد صبرى



نعلق :

بالرغم من ، الخلف الأستاذ الدكتور صبرى في موقفه من نشر القصص الادبية ، وحرية الناشر في اقتطاع ما يريد منها .

ذلك لان القضية فيها ارى ، اخطر من ان ندعها تبر هكذا ، دون ان نستبين فيها وجه الحق وحدود المنهج .

وما كنت لاختلف مع اساذنا ، لو انه ينشر كتابه بعنوان (بختارات من الشوقيات المجهولة) اذ ذاك يكون له مطلق الحق في ان يسقط منها ما اراد ، ويستبقى ما شاء ، دون ان يجادله احد في هذا الحق ، او يعرض على حرقه الاسقاط ، وزوجه في الاختار .

اما وقد اراد ان يستكمل ديوان شوقي بالمجهول من آثاره التي لم تنشر في المطبوع من شعره ونثره ، فلم يمد له ادنى حق في ان يسقط منها واحدا من الشوقيات المجهولة ، لانه بهذا الاقتطاع ، يعرنا وثيقة هامة ، نلقى فيها على الشاعر وممره . . . تماما ، كما ليس من حقي مكشف الاثر التاريخي ، ان يمس بادنى تغيير ، مهما زعم ان هذا التغيير لا يؤدي الى تشويه صورته او نقصان منه او تحوير فيه .

والنفس الادبي ، له قببة الوثائق

المجهولة ، بكل مدح له قيمة فنية من الناحية الادبية او السياسية . وما حذفه اثرت اليه . وهو باق يمكن الرجوع اليه في تاريخه ومصادره المحددة . ماى هدوان على حرمة التمسوس في هذا . اما الفصائد الرككة او الغثة التي اغفلت نشرها فساذكر تاريخها ومرجبتها في آخر الجزء الثاني من (الشوقيات المجهولة) حترقتين الدكتور الفاضلة بنفسها كما كتبها ثم تحكم . وعلى اية حال ، الحذف او البتر في الجزء الثاني ضئيل جدا لاختلاف الظروف ونفس الشاعر في كونه . كان معظم تصائد شوقي في الجزء الاول من شوقياته المطبوع سنة ١٨٩٨ ركبكا . ولكن ارجحت مع ذلك هذه التصائد كلها حتى يتبين التاريخ تطور الشاعر وملاحقه في زمن الدراسة والشباب ، كما انى اعدت نشر الجيد الذي اغفله شواى في طبعته الاخيرة الكاملة كتصديده الشهيرة التى يقول فيها :

★ وانمسا الامم الاخلاق ما بقيت ★
ومها كان الامر لا يمكن الحكم على عمل ادبي او فن حكا نهائيا قبل ان يكتمل وتبدو ملاحقه كلها . فمثلا اسقط شوقي في باب النسيب من الجزء الثاني كل مدح متصل به . ولكن اعدت نشر مدح الرسول (٧٨ بيتا) من قصيدة العام الهجرى الى نشرت في سنة (١٣٢٩ - ١٩١١) . وسيجدها القراء في الجزء الثاني . ولا يخفى على الدكتور الناقدة ان كل شاعر حر فيما ينشر من شعره ، وكل ناشر او ناقد لهذا الشعر حر فيما ينشر ولكن كل حرية مطبوعة الحال محدودة بقيدة منظومها وملاسماتها ومنهجها . . . فمثلا مدح شوقي سعد زغلول ورثاء كذا مدح قصص زغلول ورثاء . ولكنه قبل ذلك ندد سمعته وفتحى ماسلوب ادبي ساخر مناساة حوادث ونشواى وغيرها . من حق شواى ان يغفل هذا الشعر الاخير ولكن من حق التاريخ ان ينشره خصوصا وان هذا النشر اذا تم في ضوء التاريخ او التعليق " ارمضى المحجيب الذى ينظم الحزنيات والكليات في افقه الواسع لا ينسج سمدا ونسج زغلول ولا ينسج الحفظة .

بأخرى ، متأثرا باعتباره ما ، لم ينته
إليه قبل ما به من رؤياه .
فهل بعد هذا مجال لكلام عن رغبة
الشاعر في طي بعض آثاره ، أو عن
حرية الناشر في أن يستط من هذه الآثار
ما يريد ؟



ويتولى الأستاذ الدكتور صبرى ، أن
يأخذنا أشار إليه « وهو باق يمكن الرجوع
إليه في تاريخه ومصادره المحددة » وأشهد
أنه قد فعل . وكان هذا حسنا منه ، لو
أنه أراد بالشوقيات المجهولة أن تجعل
« فهرست » المطوى من شعر شوقي
وترشد إلى مراجعه ومصادره . لكنه
قدم اليها الكتاب ، على أنه تكملة للمطبوع
من آثار شوقي ، واستدراك لما فات
جامعها وناسريها . أهذا لتاريخ الشاعر
ومصره . ومن هنا أخذت عنه أن يجيء
ببعض الشوقيات المجهولة ويعرض عن
بعض ، ففوتنا على الدارسين فرصة وجود
الديوان كاملا بين أيديهم ، منتفمين في ذلك
بما اعتدى إليه الدكتور صبرى ، من تراث
الشاعر ، في مراجعه المباشرة بين دفتين
المجلات وقديم الصحف .

والعلم فيها نعرف ، جهود متكاملة متفازرة
تتابع فيه أعمال الباحثين ورصيد
الاجيال ، يبدأ كل منهما حيث انتهى سابقه ،
ولهذا وددت لو أن الأستاذ الدكتور ، أعطانا
من تكرار الجهد الذى بذله في الاهتمام
إلى ما استلط من الشوقيات المجهولة ،
لنوفر هذا الجهد لحديد من البحث والدراسة
في آثار شوقي ، بدلا من أن نقطع مرحلة
سبقنا إليها ، وكان حقا لنا عليه أن يجلو
كل معالمها أمامنا ، كي تبدأ من حيث
انتهى ، لا لنعود فنسبر من حيث بدأ .
أقول هذا وأنا أترقب في لهفة سادقة ،
الجزء الثانى من « الشوقيات المجهولة »
مقدرة لاستاذنا المرح الأديب ما يبدل
في خدمة تراثنا الأدبى من جهد ومغن ،
لا يعرفه إلا من يكابده .

التاريخية ، من حيث هو خيط في نسيج
مصره . وله قيمة أدبية خاصة من حيث
هو مادة لدرس اللفاظ والأساليب ، وله
قيمة نقدية أخرى ، من حيث دلالة على
مستوى الشاعر معودا وانحدارا ، إلى
أى مدى عال تعلق به شاعريته ، وإلى
أى مستوى بهبط ويسف ، ولو حكمتنا
على أديب بارقى آثاره فحسب ، لا خلت
الموازين واضطربت القيم وجارت المقاييس
لمن تنجب ، أن يذهب الأستاذ الجليل
إلى ضرورة الاستغناء من بواكير شعر
استماعيل صبرى ، وعن الركيك والفث
من شعر شوقي ، مستندا إلى رغبة
الشاعرين كليهما في هذا الاستطوحرصها
على عدم نشر ديوانيهما كاملين . ذلك
لأن رغبة الشاعر لا يجوز أن تهدر حق
التاريخ وواجب الدارس :

حق التاريخ في أن يعرف ما استقطه
الشاعر من ديوانه ، لأن لهذا الاستط
بلا ريب ، مبررا ذا أهمية وخطر . نورا
رغبة شوقي في الغفال ببعض مدائحه
مثلا ، اعتبار اجتماعى أو سياسى ، بمعنى
تاريخ مصره ، ويهذى إلى موقف الشاعر
منه .

وواجب الدارس ، في أن يستجلي الجو
النفسى والفنى للشاعر ، وهو يقول
الشعر ثم يغير فيه أو يتخلى عنه ، متأثرا
في ذلك - دون ريب - بعوامل داخلية
أو خارجية ، لن نفهم الشاعر حق الفهم
إذا أضغنا أو أغفلناها .

وأستاذنا المؤرخ ، بحكم اتصاله الوثيق
بالدراسات الغربية ، من خير من يعرف
قبة « المسودات » نفسها ، ومدى الاهتمام
بما يثر عليه الباحثون منها ، لما تهدى
إليه من لهم الجو النفسى للأديب حين
كان يصنع عمله الفنى . ولربما أضاعت
كلمة المشطوبة « جانبيا خلفا من عالم الأديب
لأنها الكلمة الثلاثية التى جرى بها قلبه
غفو الإلهام ، قبل أن يستفرد الأديب
بلفظه من غسية الرؤيا ، ويبدل الكلمة

قضايا أدبنا المعاصر

الأدب العربي بين التمايز والاندماج

حديث الأدب الإيطالي

أستاذ الأدب العربي

مترجم من الإيطالية

« لن يكون أدبنا عالميا ، إذا فقد طابعه المميز ، الذي ترتب به أصالته . . . ولا دخل للإنسانية في محلية الأدب وعاليته ، فالإنسان إنسان ، حيثما كان . . . »



واعنى بها موقف الأدب المعاصر ، بين الاندماج والتمايز :
الاندماج الذى يلغى طابعه ، المحلى المحدود ، ليكون - فيها زعموا - عالميا إنسانيا .

والتمايز الذى يفرد به من الآداب الأخرى ، حين يحفظ عليه خصائصه التى ترتب بها أصالته .



كان يلتقى حديثه رؤينا متندا ، وقد اغناه امتلاكه لسر الكبة ، من تكلف وتفخيم ، وعن تهويل ومضجيج .
بدا بسؤال :

« هل فى أدبنا الأدب العربى ان يسير مع الأدب العالمى المعاصر ؟ »
ثم تهل لحظة ، بنظر الينا نحن أدباء العرب من اشتبكوا فى الحلقة ، واستطرد بجيب :

بدأ هذا الحديث فى « روما » فى شهر أكتوبر الماضى ، عندها التقيت لأول مرة بالأديب الإيطالى الكبير « اجنازيو سيلونى » وكان يرأس الحلقة النقوية لدراسة أدبنا المعاصر .

وكنيت قد عرفته من قبل فى بعض أثاره وفترات له أخيرا قصته « الخبز والخمر » وسمعت من أخباره أنه يرأس الآن تحرير صحيفة « التيبو » الإيطالية ، فخطر لى عندما التقينا فى الحلقة ، أن أسأله حين تنساح الفرصة ، عن مدى تأثير عمله فى الصحافة ، رئيسا لتحرير أكبر صحيفة يومية بإيطاليا ، على نشاطه الأدبى .

لكنى لم البث ان تخلت عن هذا السؤال ، وتركت التفكير فيه ، عندها سمعت الأديب الكبير يتحدث فى جلسة الافتتاح ، عن قضية من قضايا أدبنا المعاصر ، لم نلهم بعد عندنا على وجهها التمسح ، ولم نلخذ حقلها من الوضوح والجلاد .

(٢)



سارتر



باستوراك

على الحدود المشتركة، آداب المائبة
وفرنسية، ويونانية وبوجوسلافية
لكل منها طابعه المميز وسمانه الخاصة
ولا يعنى هذا بخل ما، ان لا مكان له في
الادب العالمى . . .
وبتر حديثنا قبل ان يتم، وعدت الى
وطنى وانا اشعر ان الموضوع مايزال
بجلا لكثير يقال . . .



وهنا في القاهرة، لقيت الاديب
الاطالى الكبير للمرة الثانية، عندما
دعينا لتناول العشاء معه على مائدة
سفير ايطاليا، منذ ايام .

وعندنا نستأنف الحديث الذى بدناه
في « روما » فالتفت حينئذ الاديب،
جمهوريا بيا راي وشهامد في
رحلته هذه الى بلادنا، وقد مضى
يتسائل في دهشة :

« كيف يمكن ان يحيا اديبكم في هذا
البلد الطيب العريق، ولا يحل اديه
عطر النيل، ولا يخفق بانفاس تاريخكم
الحضارى الطويل ؟ كيف يمكن تصور
البيكم، وقد تخلص عن امالته، وجاء
صورة مكورة لاداب غيركم ؟ »

اجبت :

« ليس الى هذا المدى، ولكن دعاء

« ان صلتنا نحن الغربيين بادابكم
غير كافية. ولعل الذنب في ذلك ذنبنا .
ونعمورنا بهذا التقصير، هو الذى يجعلنا
نريد ان نعرف ماذا تكتبون اليوم، ممربين
من مواطنيكم ومشاعره، وعن قلقه
وهو به، وعن موقفه من الاحداث
التي لم تشهد الاجيال قبلنا لها
مثيلا . وعلى اساس ما نشعر به نحكم
من تعاطف ومشاركة، وما نعرف لكم
من ماضى في الحضارة الانسانية عريق،
ومن حاضر ثوري ناهض، نقدر الا شئ يحول
بين ادبكم وبين المستوى العالمى . »

وارفعت سيمي، وهو يتمهل عند
مقعد الموقف، ليتولى في ثقة وحسم :

« ارجو الا يفهم من هذا، ان عالمية
ادبكم تعنى محو طابعه الاقليمي وسمانه
القومية. فنحن نجنز في الوقت الحاضر،
مرحلة تمايز بين الثقافات والاداب، بدلا
من دمجها واذابة الفروق بينها . وهذا
التمايز لم يأت عبثا، ولا كان باختيارنا.
وانما فرضته علينا طبيعة الفروق بين
البيئات، وحكم به الامر الواقع الذى
يجعل لكل قوم منا شخصية متميزة . . .
والذين تطلعوا الى الدمج الثقافى والادبى،
تصوروا ان مثل هذا يدرك بالتسوية
او يتحقق بالعمد والاختيار . والطبيعة
تأبى ان تعترف بخاص الفروق بين
اتسوام اخلفت امزجتهم وعقلياتهم،
وتباينت تجربتهم، وتفاوتت جرائهم
الحضارى . ولهذا بود ان نقرا ادبكم
عربيا متميزا، لانه انما ياخذ مكانه ادبا
عالميا، باصالته وتميزه . »

قلت له اثر الجلسة :

« فكرت عن التمايز الثقافى والادبى،
غير رائجة عندي . فما زالت الكتلة من
قوى، تتعلق بفكرة الاندماج وتنداعى
بها، ثقة منها ان هذا وحده، هو الذى
يخرج بادبنا من حدوده الإقليمية الى
الافق العالمى . »

فمجب لما سمع، ولم يزد يوما على
ان قال :

« ظننت ان الامر من الوضوح بحيث
لا يحتاج الى مزيد تفصيل وبيان . فهنا
ادب ايطالى، ويجب ان يظل ايطاليا اذا
اراد ان يعيش ويأخذ مكانه بين الاداب
العالمية . وعلى مقريكم منا، والى جوارنا

وما يقال هنا عن روائع الآثار الخالدة
لأدباء العربية ، يقال مثله عن شوامخ
الآداب الشرقية والغربية ، فيقدر ما يمتدح
المعمل الأدبي ، تكون فرصة للخلود .
وما أخذت «ساحناتمة» الفردوسى مكانها
بين الآداب العالية ، إلا بكونها فارسية
صعبة ، ولا عاشت قصة (دون كيشوت) إلا
لأنها إسبانية خالصة .

وما كان لنا أن نلجم الإنسانية في
اختلافنا على الأدب بين المحلية والعالمية،
لا كونها دخيلة على الموضوع فحسب،
ولكن لأنها ، كذلك ، تتأقظ مؤلفها ،
أبناء هذا الشرق الكبير ، ونحن المناضلون
في معارك التحرير ، المصابون من قضية
الفرقة العنصرية ، الداعون إلى المساواة
بين البشر ، فيما يكون به الإنسان
إنساناً .



جبران خلیل جبران



مسلمین ایتھالیا

جندی «کافکا» او مقار «دستوفسکی»
 او بئس «هیجو» او طیبی «باسترنک»
 او مومس «سارتر» او ... او ...
 و خلود الآثار الادبية التي كتبت في زمان
 هير زماننا ، يؤكد الفكرة ويخلوها . إذ
 ان العمل الادبي يحل بلا شك طابع
 عصره ، ولا يمنع هذا من بقاءه بعد ان
 تتغير الدنيا . فكما نفعل اليوم بلحمتي
 هومير وكوميديا دانثي وغفران ابي العلاء ،
 ونحن نمشي في عصر الفضاء . كذلك
 نفعل بالادب يأتيانا من الصحراء او من
 الغابة ، من الجبل او الوادي ، من
 كبريات العواصم او من ازقة القرى ،
 اذا اقتننا بصدته الى الحد الذي يحق
 المشاركة الوجدانية .
 ولا دخل للانسانية في موضوع قدم
 الادب وعصريته ، فالانسان هو الانسان ،

تمنى انك لا تعرف انسانا عالميا ،
ولكنك تعرف ان الانسان انسان : على
سفوح الالب او همليا او الانديز ، في
الفايق السوداء او صحراء العرب ، في
روما ولندن ونيويورك او في اغواخ
مخكين على السواحل ، والزرايع
بوادي النيل
احباب موكدا :

— تباها ، هذا ما اعنيه . فليكن
مشرح تصنى في احدى حوارى روما ،
ولكن مشرح اذبيكم في قرية مهجورة من
ريف مصر ، وليكن مشرح هينجواى فوق
سلوح اكبياتجارو او فوق مركب سياد ،
دون ان يقال ان النجربة محصورة في
إطاق محلى ، تبعدها عن عموم الانسانية»

والان ، هل لى أن اتول لمنكرى التبايز
لابس ، ان هذا التبايز مظهر اصالة
راية مدنى . ولا دخل للانسانية فى
الموضوع ، اللهم الا اذا زعم زاعم ان
سلاح « تولستوى » يختلف فى جوهر
انسانيته من سباد « هينجواى » او

بنت الشاطئ تحب الفن .. وتكره المتنبي

تسأل الدكتورة عائشة عبد الرحمن ((بنت الشاطئ))
أن تحرر الدرس الأدبي من بعض قيم خاطئة ، ومقاييس
منحرفة ، وهي ترى أن هذه القيم والمقاييس استهدمت
قوتها وسيطرتها علينا ، من مؤثرات ذوقية ، وسياسية ،
وعقلية .



بنت الشاطئ

وقد أصدرت كتابا عن « قيسم
جديدة للأدب العربي » وهو يضم
دراسات أرادت به تعزيز هذه المحاولة ،
وقد قرأت هذه الدراسات التي ضمها
الكتاب ، وقرأت لها مقالات أخرى
في المصلحة الأدبية لجريدة الأهرام ،
ورفقت طويلا عند دعوتها إلى اجراء
الشعراء الذين اهتمتهم شهرة شعاع
كالمثني .

ولسواء كنت : كيف يمكن ان نحى
هؤلاء الخاملين ؟ وهل كان هؤلاء
الخاملون شعراء حقا ؟ انهم لو كانوا
كذلك لوصل اليك فنتهم برغم كل
الغفوف والملايسات . فقد عاش
أبو حيان التوحيدي بعد ما مات في
عصره بالاضطهاد (واصبح اليوم
فيمة فكرية معترفا بها)

وسالت بنت الشاطئ : كيف
نحى من اهتمهم المشهورون ؟
بنت الشاطئ : الخطوة الأولى هي
أن نؤمن بالدعوة إلى ذوق تراثنا على
اساس من استقلالنا الوجداني الذي
ينظر من التقليد ، ونحكم ادراكنا اليوم
لعنى الفن والأدب ، دون جهود عند
مقاييس القدمين ، وموازينهم . ثم
نصحح منهجنا في الدرس الأدبي ، وهو
أن يصح الأبعد جمع ما بقى الزمن
من تراثنا ، جميعا مستقيما كاملاهما
يكلفنا ذلك من جهد ومشقة . فتراثنا
كما تعلم لا يزال مبعثرا في أنحاء الدنيا ،
ما بين معروف في المكتبات العامة ،

ومجهول لدى الافراد ، أو في خزائن
موصدة كخزان امام اليمن !
هل تعتقدون أن بلاط اللوك ،
وعطف الاغنياء ، ومساندة الاقوياء ،
هي وحدها التي أوصلت الشعراء
المشهورين اليك ، وجعلتهم يعيشون
كل هذا الزمن ؟

بنت الشاطئ : أخشى أن يكون هذا
السؤال قائما على الظن بأن القيم
التي نريد تغييرها مقصورة على
البلاط ، وما اليه ، مع أنك تدري بلا
شك أن محاولة ارتداد تاريخنا الأدبي
من قديم جاهليته ، قبل أن يكون البلاط
معسروفا إلا في أطراف الجزيرة ،
وامارات السياسة والناذرة

ولعلك تدري أني أطلقت الوقوف في
المحاولة عند شاعر القبيلة ، والشعراء
الصعاليك ، والشعر في فترة الخضرة ،
محاولة أن استحدث من فهمي لتراثنا
فيما غير التي وضعها النقاد القدماء ،
وليس شيء من ذلك كله ، ذا صلة
بالبلاط

وانما كان الحديث عن البلاط في
العصر الأموي ، عندما بدأ يتحكم في
قيم الفن ، واقدار الشعراء ، وعاش
النقاد بعقلية ذلك المجتمع الحكوم

بالمردية المستبدة ، فتعلقت عيونهم
بالقصر ، وراحت البصافة المصومة
بخاتمة ، كالدح ، والهجا ، والزهد
الزيف واشتهر الشعراء الذين تمزغوا
على هذا البلاط

وكان الإلحاح في حديثي عن أثر
البلاط لنا إلى بعض الموجهات غير
الصحيحة للقيم الأدبية ، ودعوة للتحرير
من أحكام نقاد راوا الدنيا تدور في
فلك الحكام والاغنياء وحدهم ، ولم
تكن أبدا كذلك ، ولن تكون

— هل تعتقدون أن المتنبي لا يستمد
عظمته إلا من اتصاله بأصحاب
السلطان ؟

بنت الشاطئ : الشهرة غير
العظيمة ، والمعروف اجتماعيا إلى أكثر
الناس حظا من الشهرة قد يكون
أكثرهم ثقافة ، لأن الشهرة تخضع
لعوامل منها التفصيل ، والدعاية ،
والضجيج ، وكما قال بيداء الفيلسوف :
« لعل أقل الأشياء أجهرها صوتا »
والذي لا شك فيه أن دوران المتنبي

على قصور الاغنياء ، وموائد الحكام ،
كان له أثر كبير في ذبوع صميمته
واشتهاره ، وهذا لا يمنع أن هذه
الشهرة صدى لفساد ذوق البيئة التي
أعجبت به . ثم وراثنا هذا الأعجاب
مقلدين . وقد تكون شهرة المتنبي أو
بعضها ناشئة عن جمجمته

ولقد وصل اليك أبو العلاء المعري ،
مع عزوفه عن الشهرة ، وهذا لا يكذب
القضية ، لأن مسلك أبي العلاء الفذ
في العزوف ، كان جديرا أن يلفت إليه
الانتباه لشدة ، وأكاد أقول لشدة
كما لا يكذب القضية أن أبا حيان
التوحيدي اشتهر برغم اضطهاد
السلطان له ، لأن هذا الاضطهاد له
ايضا صلة بالعصر ، لأنه كان حدث
الناس .

الفن والنانون

— هل تحبين الفنانين ؟ إذا قلت
نعم ، فلماذا حملت عليهم في اللجنة
التحضيرية ؟

بنت الشاطئ : سؤال قريب منك ،
لأنك تعرفني . . أن الأدب فن ، ولا يمكن
لأديب إلا أن يفعل بالفنون على اختلاف
صورها وأنواعها

وانا بحكم نشائي في بيت محافظ وبنوتى لأب شيخ متصوف ، لم يتبع لى في طفولتى أن اتصل أول الأمر بأى فن ، غير فن الأدب والانشاد . وقد اتصلت به في انقى وأصلى منابعه . كالتلاوة المجودة للقران الكريم ، ثم في شعر الصوفية ، وما أزال الى اليوم تهز نفسى تلاوة المجيد من القسراء كالشيخ رفعت ومصطفى اسماعيل وعبد الباسط والحصرى

كما انى قد أمضى الليل كله ساهرة في القرية ، أصلى الى بدائع المنشدين في الموالد وحفلات الذكر ، وطبيعى أن يهزنى الطرب للفناء الأصيل من مثل أم كلثوم ، وفيروز ، وأسمهان ونجاة ، وعبد الوهاب ووديع الصافي ، وعبد الحليم . ولطيسول أصفائى في طفولتى لنغم الناي ، وشذى الطير ، وأنين السواقي ، نشأ عندى ولسمع بالموسيقى الشرقية والغربية . ثم انى مولعة بالرسم ، لأن الزاج الذى ارهفته طول أصفائى للتلاوة والتواشيح والواجد الصوفية جعلنى مفتحة العين لرؤى الجمال فى الريف ، وعلى شط النيل في دمياط . ولم استطع أن أعبر من احساسى الا بالرسم . وقد مارسته دون معلم ، ثم تلقينا دروسه على يد الأستاذ حبيب جوركى . وبعد ذلك شغلتنى الدنيا عن متابعة هذه الهواية . ولقد لزت التأمل العالمية ، في أوروبا ،

وانا شغوفة بالمرح ، اما السينما فانا قليلة المشاهدة لها . وانا لم أحمل على الفن والغنائين ، وكل ما طالبت به ، هو انه يجب في هذه المرحلة ، من ثورتنا الاشتراكية ، ان نستبدل بالجائزة المالية ، جوائز شرف أو شهادات تقدير . خاصة وان الاعمال الفنية مربحة . واذا كان هناك عمل فنى لا يربح فلا مانع من تمسوى

صاحبه ، ومن عجب أن الذين أنكروا منى هذا الموقف ، ذكروا جوائز العلم . . وانت تعرف أن العلم لم يكن أبدا موضع ربح واستثمار ! أن استاذ الجامعة الذى ينتقل من القاهرة الى الاسكندرية ليلقى محاضرة يتقاضى عن ذلك جنيهين اثنين ، وهو لا يشكو من ذلك لأنه يقدر الظروف ! ولقد سمعت ما قالته الفنانة ليزى البدر اوى على الناصية مع أمال فهمى ، واحب أن أقول لها ان عمرها في الفن لا يزيد على سنتين . . اما انا فعمري في الفن يرجع الى عهد بعيد

وان لى بين الفنانات صديقات كثيرات ، اذكر منهن ، أم كلثوم ، وأمينة رزق ، ونعيمة وصلى ، وفريدة كامل ، ونجاة

وسالت بنت الشاطئ : وهل لك صديقات أخريات من الفنانات ! فقلت : الفن نفسه صديقى !

قضايا نقدية

شاعركم الأكبر في قصص الاتهام

صحيفة اتهام ، كتبها نقاد ثلاثة احرار ، ابوا ان يلغوا عقولهم وضما نرهم ، وينزوا
عن كرامتهم ، ليحملوا عرش هذا المتنبى ، ويأبى صوته شاعر العربية الاكبر !

بعض الكثرة بنت الساطع



اي عربي مثقف مسا ، حريص على كرامة عقله وعزة ثقافته ، لا يعنيه ان
يقرا صحيفة اتهام كتبها ثلاثة من اعلام العربية منذ قرون ، قد شاعر يقال انه
شاعر العربية الاكبر !
سؤال خطر ببالي ، وانا اقرا كتاب الابانة عن سرقات المتنبي « في طبعته
الجديدة المحققة التي اسهلت بها « ذخائر العرب » خلفها الرابعة ، وقام بالتحقيق
والشرح ، الاستاذ الجليل « محمد الساطي : المفتش الاول للغة العربية
سابقا ، بوزارة التربية » .

اذلك لان الكتاب يبدو لاول وهلة ، او شهرة هذا المتنبي تغطي سقطاته ،
مسا يعني خاصة المستغلين بالدرس ونجيج شعره بوارى سرقاته . وكتب
الادبي . وهم بلا شك قد قراوه من قبل على الاجيال فلما بعد الاجيال ، ان تخضع
في طبعته القديمة غير المحققة ، ويعنيهم ان يطالعوه في طبعة الذخائر ، ليحكموا
على منهجه في التحقيق ، ويقدرؤا الجهد الذي بذله « الاستاذ الساطي » في
توثيق النص وخدمته .
لكني ما لبثت ان ادركت ، ان من حق
جبهة المثقفين ، بل من واجبهم ، ان
يطالعوا هذه الذخيرة ، لاتصالها بهذا
« المتنبي » الذي لها يعرفون عنه الا
انه « كبير شعرائنا ، الذي ملا الدنيا
وشغل الناس » .

والسالة بعد هذا متعة بكرامة
ادبنا كله ، اذ غيرت قرون ذات حدود ،
وعبثا حاول المحاولون من الدارسين
والنقاد احرار ، قدامى ومحدثين ، ان

« يا هذا ، ان جاك رجل شريف في
نسبه تجاهلت نسبه ، او عظيم في ادبه
صغرت ادبه ، لعل الميراث لك دون
غيرك ! كلا والله : لكك مددت من الكر
سترا على نقصك ، وضربت رواقا دون
جبهك .. »

واندفع يحاوره كاشف له عن
سقطاته ، وسجل هذه المحاوره في
« الرسالة الخائفة » ليرا بها الى
الاجيال بعده ، من حنة الانخداع بشبهه
المتنبى ، والمنفلة عن سقطاته .

ومنهم « المبيدي » ابو سعد محمد
ابن احمد « من اعلام النقاد في القرن
الخامس الهجري : كان قريب عهد بالعمير
الذي شهد « المتنبى » يلا الدنيا
محبيا ، وينقل من الشام الى العراق ،
ومن مصر الى فارس . يبيع بشاعته
لم يدع الثمن . ومن عجب ان استطاع
« المبيدي » ان يتحرر من اغلال التقليد ،
فكان قلقة من الغلطات التي قلما وجود
بها ومن راي الدنيا تدور في تلك الحكام ،
ومجتمع طبقى متصدع ، فرتين شهرة
والشاعر فيه يتبرغه على بلاط القصور ،
واستجدائه لفضلات الموائد الملكية .

ومع ذلك ، تحرر المبيدي - ولا ادري
كيف له من بريق الشهرة الذي يزيغ
البصر ، ونجا من محنة الاسترقاق
لخبروت « المتنبى » وسلطانه ..

وفي الحق ، ان « المبيدي » لم
يستطع ان ينفذ الى اعماق المأساة التي
جعلت من « المتنبى » شاعر العربية
الاكبر ، ولم يحاول ان يتناول القضية
من افقها العام ، ليرد الظواهر فيها
الى جذورها العميقة ، ويكشف عن
اسباب ضلال الموازين ، في محنة الادب
بمصر ، ومحنة عصره به . لكن حبه
لانه التفت الى بصلب التقليد وخداع
الشهرة . وانتبه الى ما للتلذذ من حرمة
فضائية تقوم على الفحص الدقيق
في نزاهة وعدل . لذلك هو قوله في مقدمة
« الابانة عن سرقات المتنبى » وقد راعه
افتتان الناس بالشاعر :

« وليست هذه الخصلة - من التقليد

بضبطوا الميزان ويصححوا القيم بعيدا
عن بريق الشهرة الخداع ، وعينا كذلك ،
كانت محاولاتهم ليردوا البيئة الادبية الى
الرشد الذي يميز بين الشهرة والمظنة ،
وبقيس الشاعر بمقدار ما وجد نفسه ،
وما تهيأ له من اصالة فنية ينفذ بها الى
اعماق الوجود وسر الانسان ، ومن صفاء
وجداني تتجلى فيه عبقرية « الرويا »
بكل روعة الهامها وصدقها الفني ..
من هؤلاء القدامى الاحرار :

الاديب الوزير « صاحب بن عباد »
الذي ادرك عصر المتنبى ، وهاله افتتان
العوام به ، فكتب رسالة منسوانها
« الكشف عن مساوي المتنبى » تتبع
فيها سقطات للشاعر المشهور ، تكني
لاسقاطه ، واهداه الى « حاملي مرثته »
قائلا :

« ولم يكن تطلب المعثرات من شبيهي ،
ولا تتبع الزلات من طريقيتي ... وما
اوردت من كثير ما زل فيه المتنبى الا قليلا ،
ولا ذكرت من عظيم ما اخل فيه الا
يسيرا .. وقد يلينا بؤس يكاد المنسم
فيه يعلو الغارب ، ومنينا بأغبياء اغمار
قد اغتروا بمساح الجبال .. وما كان
يطبع للمتنبى بادعاء سبق ، لولا التقليد
الذي صار آفة العقول وعاهة الالباب »
ومنهم « الخائفي : محمد بن الحسن »
من اعلام عصر المتنبى ، وحذاق اهل
اللغة والادب . كان جنداد حين وردوا
« المتنبى » : « ملتحفا رداء الكبر ، قد
صغر خده ونأى جانباه .. بخيل البه
ان العلم مقصور عليه » . وان الشعر
بحر لم يغيرت نبر مائه غيره ، وروى
لم يرع توارده مواء ... ونقلت ولما كانه
« على اهل الادب بدينة السلام ، نطائفا
كثير منهم راسه ، وخفي جناحه ...
وتخيل ان احدا لا يقدر على مساجلته
دومجسارانه ولا يتسوم لتبسمه شيء من
مطاعنه » ومن ثم عكف « الخائفي » على
قراءة شعره ، متسما عوارده ، ومبتكرا
لاستاره ومقلبا افكاره ثم نمس اليه في
مجلسه بدار السلام ، وابندره قائلا نبي :
قال :

(٢)

وكيف يستجيزون أنفسهم ويستحسنون
في عقولهم أن يشهدوا شهادة قاطعة
بأنها له غير مأخوذة ولا مسروقة ؟ فليت
شعري هل اجابوا علما بصف دواوين
الشعراء للحاطية والمخضمين والمقدمين
والحدثين فضلا عن جيتها ؟ .. وهل
للذين يندنون نصرتهم ، صائر بحسن
الماخذ وجودة السركة ، واخفاء طرق
المسلب ، وتقمض مواضع القلب ، وتغير
الصفة والترتيب ... حتى يدعوا علم
الغيب في تنزيهه عن السرقات التي
لا تخلص على ناقد ، وتبرئته من المعايير
التي شهد عليه بها الف شاهد ؟ ..



اتريدون نماذج من سرقات شاعركم
الأكبر ؟

قال « كغير عزة » :

رميتي بسهم ، ريشه الذهب لم يصيب
ظواهر جلدي ، وهو للقلب مساعد
سرته الشاعر الأكبر فقال :
راميات بأسهم ريشها الهد
ب . تشق الثوب قبل الجلود
وقال « الخبز أرزي » :

وليس سكناي ثقبانا لمنزلي
نبيكم ، كما الدر لا يزي به الصدق
أخذ كبير الشعراء فقال :

و كان سكناي فيك منتصبة
لم يكن الدر ساكن الصدق
وقال « الخبز أرزي » :

ومن قسلة ما أنى
عليه ، مرت كالباحي
أخذ المتنبي فقال :

وعظم تدرك في الانساق اوهمي
اني بنلة ما اثبت ، احيكا
والخيلع الاول :

وزائرة ما ضخت تسط ثوبها

والتائر الهوى - من خصال الادباء
الذين هذبتهم الاداب فصاروا قدوة
واعلاما ، ودربتهم العلوم فأصبحوا بين
الناس قضاة وحكاما . انما يذهب في
مدح الكتاب والشعراء مذهب التقليد ،
من يكون في علومه خفيف الصناعة قليل
الصناعة . تعسير باع النهم . جذب رباع

المقل . فلما من رزق من المعرفة مسا
يستطيع ان يميز به بين غث الكلام
وسينه . ويفرق بين سخيفه ومتينه ،
واوتي من الفضل ما يحسن ان يعدل
به في القضية . فالاولى به الا يحل
احدا من رتب الجلالة الا بقدر محله من
الادب ، ولا يعلّم الماشين لتقدمهم اذا اخرجتهم
معايير شعريهم ، ولا يستحقحدثين
لتأخرهم : اذا قدبتهم بحسن آثارهم .

ولم يجد « المعبدى » ما يؤيد به دعوته
الى التحرر من اغلال التقليد . مثل
هذا « المتنبي » الذي ملا الدنيا وشغل
الناس ! فمكن الناقد على ديوانه يفحصه
« فاذا اكثر روايته مسروقة مختلسة ،
واكثر بدائعه منسوخة مسلوخة » فالف
كتاب « الابانة » صحيفة اتهام مدعومة
بالادلة والشواهد ، وتقدمها الى حلة
عرش المتنبي قائلا :

« .. ولقد تأملت اشعاره كلها .
فوجدت الابيات التي يفخر بها أصحابه ،
من اشعار المتقدمين منسوخة ، ومعانيها
من معانيهم المخترعة مسلوخة . واني
لاعجب والله من جماعة يقولون في ذكر
المتنبي وامره ، ويدعون الاعجاز في
شعره ، ويؤمنون ان الابيات المعروفة
له ، هو مبتدعها ومخترعها ، لم يسبق
الي معناها شاعر ولم ينطق بأمثالها باد
ولا حاضر . . وهؤلاء المتعصبون له ،
المتفخرون بالسمع التي يزعمون انه
استنبطها ، والمؤمنون بأبيات سائرة
بذكرون انه انفرد بلفظها ومعانيها ،
والمتنبئون بها في مجالسهم ونواديهم ،
كيف لا يستحيون ان يقولوا بعصيته ؟

(٤)

النسر التي ملأت أكثر من مائتي صفحة
في « الإيالة » .



ومن عجب ان الاستاذ « البساطي »
الذي احصى الايام والليالي في خدمة
نصر « الإيالة » عن سرقات المتنبي ،
والكشف عن مساوئه ، والرسالة
الجليلة « لم يجر عنه ان يتخلل من

مكانه بين حلة عرش المتنبي ، فكانت
مفارقة ما بعدها مفارقة ، ان يقدم لنا
« صحيفة الانهام » ، « تنجيد » لاشهر
الشعراء ، وسدع الشعر الحكيم
والمعاني الدقيقة والمختصرة ، وصاحب
الخطوة عند الملوك « وان يعد عمل
اولئك النقاد الاحرار من قبل الحسد ،
وبالهم « بالنبات الطنيلي الذي ينشبت
بالاشجار الكيرة فيتساقط سوتها
واغصانها ليظهر للرائين عاليا » .

وحجته في الدفاع عن صاحبه « اعتقاده
« ان المتنبي في تعاليه وكبريائه ومنزلته في
الشعر واللغة ، اكبر من ان يسرق من
هؤلاء المغمورين .. وان كثيرا من المعاني
التي شاركهم فيها ، او سرقتها كما يقول
خصومه ، قد اضفى عليها من روعة بيانه
وابداع فصاحته ، ما انسى الناس شعر
سابقه ، وجعل شعره على مر الزمان
خالدا يتحدث به الناس ويمجبون » .
وتلك هي المحنة .

محنة لا يكفيها ان تفرغ علينا هذا
المتنبي شاعر العربية الاكبر ، وانما
تتهم من يتحدر من فئسته ، بالحسد
والمداوة ، وتمتله بالنبات الطنيلي .
وانني لانتل منذ الان ، ما سوف التاء
من هؤلاء الذين سبوا لهم مقال هذا عن
شاعرهم ، نبضفون اسى الى قائمة
الحساد ، ويجعلونني مثل العميدى
والماحب والحائس ، انا طنبليا يتساقط
ليظهر .

ويا ما قالوا ، فهو اهون على ،
من ان اكون دون اولئك النقاد القدامى ،
حرية رأى وكرامة عقل واستقلال فكر ،
ومعذرة الى الاستاذ البساطي ، اذا
انا امسكت عن التعرض لهجه في تحقيق
الإيالة ، وتقدير جهده في خدمتها ، فان
معم مساوئها بالقيم الموروثة والاذواق
المتحجرة ، لا يدع في هذا النسر العام ،
مجالا للحديث عن سواء .

بمسك ، ومن انوالها المسك بسطع
أخذه المتنبي فقال :

واثرة ما خمار الطيب ثوبها
وكالمسك من اردانها بنضوع
وللعوني :

واذا اشفق الانسان صرف زمانه
واراد ثروته ، كانت المومند
اخطفه شاعرهم الحكيم فقال :

اذا سال الانسان اياه الغنى
وكنيت على بعد ، جعلتك موعدا
ولنصون النهرى :

واذا هفت من الكريم ملكته
واذا هفت من اللهم تجرما
أخذه شاعر الحكباء فقال :

اذا انت اكرمت الكريم ملكته
وان انت اكرمت اللهم تمردا
ولزريق البصرى :

رايت الغنى عند الاراذل محنة
على الناس ، مثل الفتر عند الافاضل
أخذه الشاعر العظيم فقال :

والغنى في يد اللهم تسبيح
مثل تسبح الكريم في الاملاق
ولاى راسب البجلي :

ولو كنت تحوى صبر من قد نهته
بمسك في الدنيا ، فانت المخذ
أخذه المتنبي فقال :

نمت من الامصار ما لو حوشته
لهنت الدنيا بك خالدا
وللهيثم بن الاسود النخعي :

اذا نال بالسيف الفتى مؤل نفسه
ترفع من تدنيسها سؤال
أخذه المتنبي ، نراد عليه الاغتصاب :

من اطاق التماس سوء غلانا
واغتصابا ، لم يلتمسه سؤالا
ولمحمد بن جهميل الكوفي :

وانى الوقت لو رجعت الى الصبا
من الشيب ، لاستقبلني بالاهل
أخطفه صاحبكم فقال :

خلقت الوفا لو رجعت الى الصبا
لفارقت شيب موجع القلب ساكبا

وللنابىء بعد نبذة :

وتجس بالرفسقى الثراب اذا مشيت
جس الطيب يد العليل المدنف
أخطفه المتنبي في وصفه لاسد :

يلسا الثرى متوقفا في تيبه
نمسكاته اس يجس عبيلا
واكفى بهذه الشواهد ، من سرقات

من البيان المعجز

اقتحام العقبة كرامته وفخيره واثباته!

الكتوة بنت الساطي

يقام

لم احاول ط ، ان اشغل بكتاب
القرآن الكريم الا في حدود تخصصي ،
من حيث هو كتاب العربية الاكبر ، ومعجزتها
البيانة الباهرة الخالدة ..
وكنيت - ولا ازال - اشق من بدع
التفسير وتسلط الناول ، واجزع كلما
راجت لنا كتب عن القرآن ، لن نساوا
لهذا الموضوع الجليل كفنا ، فنقولون
فيه بغير علم ، ونطعن في توجيه آياته
المعجزة ، عن غريفة او درانة ..

ويشتد جزعي ، حين اقرا لهم عذائب
وغرائب من بدع الناول ، يفهمون بها
كتاب الاسلام في صراع المذاهب الحديثة ،
ويحولونه - بلا داع - عبء المنافسة
بينه وبين علماء الطب والبيولوجيا ، وفجري
الذرة ، ومطلق الصواريخ ، ورواد الفضاء
ومخازن الكواكب ..
وانما القرآن كتاب هدى ونور ، وثروة
مساوية تنير للبشرية طريقها المستقيم ،
ونضع الاسس السكينة لاجتماع الانساني
صالح ..

وقد ختمت به رسالات السماء ، ابانا
بان البشرية قد بلغت من الرشد ما يستلزم
به ان تعرف طريقها ، على هدى مايات
من وحى السماء ، وشرائع الانبياء ..

ر.م.م

(٢)

ونحن اليوم نخوض معركتنا لتحقيق الكرامة الإنسانية والعدل الاجتماعي ، وراحت وتلقى لبها رجعية طاغية باغية ، تستعيد البشر . وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ، وتناكل القناطر المظنرة من الذهب ، وحولها جبايع ذرو قربي ، لا يجدون إلا التراب ، ويقولون : الإسلام !

وليس يعني من الأمر هنا ، إلا أن أسأل الإسلام عن هذا الوضع البشع ، والآ أن التمس من كتابه الخالد ، صورة المجتمع الذي أراد للبشرية ، في شريعة المصطفى المبعوث بأخر رسالات السماء .

وبجملات فخام ذوات عدد ، لا تكفى لاستيعاب هذا الموضوع في القرآن كله ، لنحسب السور التي تناولت هذه المسألة في حدود الكتاب والتحقيق في الآيات في سورة البقرة وهي سورة مكية بمكة وقعت الإسس الكبرى للمجتمع الإنساني في آيات قصارة ووجهت إلى معسالم النفسال الجديرة بالإنسان ، وحففته على اقتحام العقبة ، من أجل السكامة والخير والإيمان ، بعد بيان لأوضاع لاسدة ، استقرت في مكة على تتابع الأجيال :

« لا أقسم بهذا البلد * وأنت حل بهذا البلد * ووالد وما ولد »

بدأت السورة بنفي القسم تأكيداً له وهو أسلوب مأثور في العربية حين تقول مثلاً : لا أوصيك بفلان ، تأكيداً للتوصية ، وبمبالغة في الاهتمام .

وسره البياني ، يرتفع بها في هذا التأكيد بالنفي - على ما يبدو من مناقضتها - من ثقت موى متر للأنقياء . وفي لفظ « أقسم » سر بياني آخر يشترط به القرآن الكريم وحده : نادباء العربية ، كثير أما يستعملون أخلف مكان أقسم ، وقد جاءت خلق بهذا المعنى في شعر للناطقة الذبياني والأعشى وشاس بن عبدة . لكن التشع للاستعمال القرآني ينفي هذا الترادف المدعى ، ويعطينا القول الفصل وقضية

الترادف الخطيرة ، التي شاعت فينا

فالتقرآن الكريم لم يستعمل مادة « خلق » إطلاقاً ، إلا مع الحنث باليمين . وقد جاءت في ثلاثة عشر موضعاً ، كلها بلا استثناء ، في مقام الحنث باليمين . أما القسم فيأتي حيث لا يحتل الحنث .

و « هذا البلد » مكة ، بلا خلاف . وقد اختلفوا في « والد وما ولد » لخصه بعضهم بآدم ، أو نوح ، أو إبراهيم ، ولربهم ، أو ببحد صلى الله عليه وسلم وأبنته . وأطلقه آخرون فأدخلوا فيه كل والد مولود من الإنسان والحيوان والنبات . ولا نرى المقام بيانياً يحتل كل هذا ، وإنما الذي نفهمه من قرب ، هو تتابع الأجيال من أهل هذا البلد ، وما توارثوه ، ولذا عن والد ، من أحوال وأوضاع ، تعرض لها السورة فيما تلا من آيات :

« لقد خلقنا الإنسان في كبد * أحسب أن لن يقدر عليه أحد * يقول أهلكم مالا أبدا * أحسب أن لن يره أحد »

الكبد الشدة . وقد اختلف المنسرون في تحديد المتصور بها ، فقيل المرض ، وقيل مكابدة الحمل والولادة والعيش والموت والبرزخ وهول القيامة . ولكننا نؤثر أن نحتمك إلى السياق ، الذي يرجح أن الكبد هنا مر ما هيء له الإنسان بفطرته من احتمال أعباء المسؤولية ومحنة الاختيار بين الخير والشر

وفي قوله تعالى « خلقنا » لا « جعلنا » إشارة إلى أن الإنسان مخلوق بفطرته لهذه المكابدة ، لكنه « يظن أن رآه استغنى » فيحسب أن لن يقدر عليه أحد .

« يقول أهلكم مالا أبدا » ولا يقول « انفقت » لأن الإهلاك أنسب للمرور والطفوان ، فينحنا القرآن هذا المفتر ، بالاستفهام المنير : أحسب أن لن يره أحد ؟

(٣)

فهذا بيان صريح واضح للمقابلة التي خلق الانسان اهلا لاقتحابها ، وهو كذلك بين اوضاع ظالمة ، نشأت عن غرور القادرين وطغيان الاغنياء في « هذا البلد » فليس ما كان المجتمع المثلث يعانيه من بأس الرق ، والتصدع الطقسي ، ومن البقي والانتسداد الا اثرا لطغيان من غرته قوته فاستبعد مخلوقين مثله ومك رقابهم ، وزين له طغيان الثراء العريض ان يباهى بأنه اهلك ما لا لبدا ، وعلى مقربة منه يقسم جائع وممكن لا يجد الا القربا

اوضاع مريضة ، استقرت على تتابع الاجيال ، وتوارثها « هذا البلد » ولدا من والد والرسول عليه الصلاة والسلام حل به بشهد من احواله ما يشهد ، وبعاني من طغائه ما يعاني . وعلى هذا نبض بهم الحياة اجيالا متعاقبة : ولدا من والد . هكذا تتحدد معالم النفس في سبيل ما جاءت به الدعوة الاسلامية لهدى الناس واملاح ما لمس من احوالهم . والقرآن الكريم في هذا الايات المبكرة « يدعون الى المركة المستبيلة ضد البقي والرق ، ضد الفروق الطبقية البشعة ، ضد الظلم الاجنباعي ، باستشارة ما في فطرة الانسان من قدرة على المكابدة . وحضه على اقتحام العقبة الكبرى ، هدى الى المعالم الواضحة امامه : لطريقي الخير والشر واتوا من خاشعين امام هذا الترتيب

« الم تامل له عيني » ولما سانا وشفتين * وهديناه النجدين »
الايات تبدأ بمسائل الادراك الحسي ، متلوة بما هدى الله الانسان اليه من ادراك لمعالم الطريقين . واستعمال الهدى هنا ، يوحي بأنه تعالى اليهم الفطرة الانسانية الادراك المميز للخير والشر . ولنظ « النجدين » ملحوظ فيه معنى الوضوح والشخص ، بحيث يرى الانسان الطريقين بمنيته ، ويذكرهما بما تنبأ له من هدى الله والهام الفطرة « فلا اقتحم العقبة »

الاقتحام توسط شدة مخيفة ، واصل التحية من الطريق بمصاعبه . اما « العقبة » فاصلها المرقى الصعب من الجبال . وبين الاقتحام والعقبة ، هذا التلازم المجيب في الشدة والمجاهدة واحتياص الصعب . ومجىء هذا الاقتحام للعقبة ، مع خلق الانسان في كبد ، يقدم لنا مثالا رائعا من النظم المعجز : فالانسان اهل لان يقتحم اشد المصاعب ويجتاز اقصى المناور . على هدى ما تنبأ له من وسائل الادراك المميز ، وما غطر عليه من قدرة على المكابدة والاحتياص . ولا حاجة بنا الى التوقف مع المفسرين لتحديد المقصود بالعقبة ، فالقرآن نفسه قد تولى بيانها بعد سؤال لانت بشر : « وما ادراك ما العقبة » فك رقبة * او اطعام في يوم ذي مسغبة * يتيما ذا مقربة * او مسكينا ذا مقربة * ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة »

(٤)

والله لمرآحله النضال من أجل كرامة
الإنسان وخير الجباعة :
« لك رقبة » أو اطعام في يوم ذي
مسغبة . ثم كان من الذين آمنوا
وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة .
لقد بدا بذلك الرتبة . خطوة أولى في
النضال الطيب الجدير بالإنسان ،
فليس ليء الخرب الذي يسبق كرامة الحرية
وكل إصلاح لخير البشر والمجتمع ، إنما
يأتي بعد أن نرد إلى الإنسانية اعتسارها
المهدر بالرق !
والآيات بعدها ، هي آيات العدالة
الاجتماعية ، يضعها القرآن تالية لفك
الرقبة . ويأتي بها في مقام البيان
لاتتحام العقبة ، فتدبر لما لا تصحح
هذه الأوضاع الفاسدة من مسمومة ،
وما تتطلبه من نضال . بعد أن رسخت
وامتدثرت ، هبلاً بعد جيل . . .

وتنوله تعالى : « يوم ذي مسغبة »
يضم بشاعة الوضع المادي لهذا البلد
فالمسغبة المجاعة ، وليس ابتذال من وجود
يقيم في يوم مجاعة ، وكون التمييز ذا
مقربة ، يفسر بالفقر وبالثراة ، ولكليهما
حق الجوار والقرى وكون المسكين ذا
مقربة ، بيان شير لدى الموز والهوان ،
يلمق المسكين بالثواب أو يجعله من فرط
العدم لا يجد إلا القراب !

وضغ بشغ لئيم شيرير ، يستطيع
الإنسان أن يدركه بيمره وبمسيرته ،
بحسه ونظراته . ويستطيع معه أن يميز
طريق الخير نجدا مرتفعا وانسعا ،
لو انتحم العقبة ، وجاهد من أجل
الكرامة الانسانية والعدالة الاجتماعية .
« ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا
بالصبر وتواصوا بالمرحمة »

وبهذا يعلو القرآن الكريم الا مكان
لأنه صادق ، في مجتمع يسغ اهدار
البشرية بالرق ويسغ أن يجوع يتيم
أو مقربة ، وأن يفرغ مسكين في القراب ،
على مراءى من يهلكون مالا لبدا ، ولي
حسابهم أن لن يقدر عليهم أحد !
ويزيد هذا المنيع تأييدا ، عطف
التواص بالصبر وبالمرحمة على الايمان ،
بالواو المنيدة للربط دون تفاوت أو تراخ
دلالة على أن الايمان متى ونع في قلب
سليم الحس والفطرة ، قادر على المجاهدة
والبذل والابتنار ، ممتد إلى طريق الخير
والشر ، فان هذا الايمان يصحبه ويقترن
به ، شعور بما يقتضيه حق الجباعة من
تواص بالصبر والرحمة : الصبر على
اعباء النضال من أجل الخير ، والتواص
الذي يجعل المؤمنين أخوة متكاملين ،
وهذا هو المجتمع المثالي الذي نزلت
به « سورة البلد » هدى للانسانية لي
نضالها للبرد من محنة الرق ، وبشاعة
الطبيعية ، وانانية الفردية الطاغية
المستبدة . . .

التاريخ : ١٦ / ٢ / ١٩٦٢

من البيان
المعجز

التي كانت

مهم > الدكتور هبة الساطي

وَاللَّهُمَّ التَّائِبِينَ ﴿١٠﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿١١﴾ كَلَّا
سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ تَهَ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ كَلَّا
لَوْ تَعْلَمُونَ عَنِ الْيَقِينِ ﴿١٤﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿١٥﴾ تَه
لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿١٦﴾ تَه لَنُفَسِّلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ
الْغَنِيمِ ﴿١٧﴾ « قُرْآنٌ كَرِيمٌ »

استفقت وأنا اضع « النكاتر » عنوانا للمقال ، ان يتلقى بعضهم هذا اللفظ الفراتي فيريظه بالمصطلح العلمي للنكاتر ، ويجعل منه تراثا جديدا علي سبق الاسلام الى ما عرف العلم الحديث من اسرار النكاتر في الكائنات الحية !

التي جاءت فيها بالقرآن ، وعددها فيما
احصيت ، مائة وسبعون آية . . .

والنكاثِر بمعنى خاص من هذه الكثرة
التي لا تعرفها العربية ، ولا يعرفها كتابها
الاكبر ، الا فقيها للغة : فهو حرمي على
الاستكثار من شيء مرغوب فيه ، مع
ملاحظ من الاثر . يقول العرب : كثاره
الماء ، واستكثره اياه ، اذا امتأثر
لنفسه بكماله منه ، وان كان الماء قليلا .
وفي القرآن الكريم فلم تات صيغة
النكاثِر الا مرتين :

اولاها الى « سورة التكاثر » وهي
مكة .

والأخرى في ((سورة الحديد)) وهي
مدنية .

فأى شيء هذا النكاثر الذى نزلت فيه
سورة قرآنية ؟ ولقيم يكون ؟ وما آخرته
ومصيره ؟

الامام « الرازي » جبل التكاثر
والتفاخر شئنا واحدا . وهذا ما لا يعين

على نحو ما فعلوا بالذرة ، حين جعلوا
من قوله تعالى : « فمن جعل مثقال ذرة
خيرا يره » سبقا الى هذه الذرة التي
كتشف علماء الالمان سرها ، وفجر بها
الامريكان قنبلتى هروشيما ونجازاكي ،
وكذا لهم يوم عادت سفينة الفضاء
من رحلتها : انها تلك التي اشارت اليها
الآية الغرائبية « لتركن طبقا عن طبق »
ولمست آمن أن يفعلوها ، اليوم حين
يقراءون هذا العنوان ، فبصفوا (التكاثر)
الى ما اكتشفوا من بدع النظريات العلمية
في كتاب الاسلام !.

ومن أجل هذا أبادر فأؤكد لهم أن هذا اللفظ القرآني لا ينصل بالنكائر العلمية في « البيولوجيا » من قريب أو بعد ، وإنما هو شيء آخر تعرفه العربية الأصلية إذ تستعمل الكثرة نقيضا للقلة ! وإذا تتبعنا مادة « كثر » بمختلف صيغها ، في القرآن الكريم ، لم نجدها تخرج عن هذا المعنى ، في كل المواضع

(٢)

وقد تجد الحنعة البلاغية في لفظ المقابر هنا، مجرد ملازمة صوتية للكثرة. وقد يحس أهل هذه الصنعة، ونحس بهم فيها، بين الإيقاع وتناسق النغم، لكننا ندرك وراء هذا المحظ البلاغي الشكوى، سرا بيانيا متصلا بالمعنى: فالقبر جمع مقبرة، وهي في العويصة مجتمعة القبور، واستعملها هنا ملائم معنويا لهذا التكثير: دال على معسر ما يتكالب عليه المتكاثرون من متاع دنيوي فإن... هناك، حيث مجتمع القبور ومحتشد الرمم ومساكن الموتى على اختلاف طبقاتهم وأجيالهم. وهذه الدلالة من السعة والتشويق والعموم، لا يمكن أن يؤديها لفظ القبور جمع القبر، حين يتحدث البيان المعجز عن غلبة ما يتكاثر به المتكاثرون، وحين يلفت إلى مصير هذه الحشود من ناس طيهم تكاثرتهم عن الاعتبار بكم المقابر: مجتمع الموتى ومنزل القاتنين.



ثم يتوالى التجر سراعاً :
((كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون * كلا لو تعلمون علم اليقين * لترون الحليم * ثم لترونها عين اليقين)) .
آيات قصار، جمعت اقصى ما في طاقة البيان العربي من أساليب الجزم والتأكيد، لفظية ومعنوية: رؤية المين، بما لها من دلالة المأكد والمصر، واليقين الذي هو ثقة وإزاحة لكل شك، وتعلمون بما للعلم من دلالة الإدراك الحقيقي، ثم هذا التوكيد باللام والثبوت، مع إيجاز حاسم قاطع، لا تحصى فيه جهد الحشد أو ضيق الامتلاء...



ولا يحفل المجال أن أنى هنا بتأويلات النحاة من المفسرين: لتسوية الصنعة النحوية، في « امتناع جواب لو ما امتناع شرطه » وإنما ادعيا برغى لالفت إلى ملحظ من البيان المعجز، في هذا النعيم الذي يسألون عنه يوم يعلمون علم اليقين ويرون الحليم عين اليقين:

عليه نسق آية الحديد، التي تستأنس بها، حيث عطف المكثرات على التناثر: « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم، وتكاثر في الأموال والأولاد، كمثل غيث أعجب الكفار نباته، ثم يهيج لفتراه مصفرا، ثم يكون حطابا، وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ».

وهذا العطف بالواو يقتضى المغابرة، فلا يكون التكاثر تفاخرا، وإنما هو تكالب على متاع الدنيا، واستنثار منه، وحرس على الاستنثار به. ذلك التكاثر الذي البهائم « حتى زرتم المقابر »

وفي لفظ حتى هنا معنى الغاية، فغاية التكاثر إلى زيارة المقابر، وليس وراء هذا التكالب على متاع الغرور إلا النهاية المحسومة، بأنى بها النظم المعجز هكذا أثر التكاثر، فيبلغ الترويع منتهاه بقصر المسافة بينهما، والانتقال السريع الماتت من التكاثر إلى المقابر...

وليس في القرآن كله زار من الزمارة إلا هذه الآية. وإنما جاء من المادة، بمعنى الإزورار والميل في آية الكهف (١٧) والزور: أى الباطل والميل عن الحق، في آيات: الفرقان (٢٥)، والحج (٢٠) والمجادلة (٢١) وكفه من الأصل اللغوي للبداءة في الموج والميل، حقيقة أو مجازا والزمارة في آية التكاثر هي ضجة التبر. وسرها البيانى المعجز، أن الإقامة في القبر ليست دائمة، وإنما هي زيارة عابرة، تنتهى حتما إلى بعث وحساب وجزاء. وما من لفظ آخر يمكن أن يقوم مقام (الزتم) أو يؤدي معناها، مثل « قبورهم » أو « انتهت » أو « مكنتهم المقابر » أو غيرها من اللفاظ تشترك جميعا في الدلالة على ضجعة القبر، ولكن يعوزها سر « الزيارة »، ما هي إقامة عابرة مؤقتة، يعقبها بعث ونشور...

ول المقابر سر بياني آخر، يلفت إليه أن هذا اللفظ لم يأت في القرآن إلا في آية التكاثر، على حين جاءت القبور في خمسة مواضع، والقبر مفردا في أما التوبة (١٨٥).

تأويل منها ، بشاهد من القرآن أو الحديث
أو مأثور الخبر . . .

والنعيم قد يحتل لغة كل هذا ، فهو
الخفض والدعة ، المال ، واليد البيضاء
والروضة الناعمة . . . كما يحتل مجازاً ،
الدين والهداية ، والنظر ، والصحة ،
إلى آخر ما حشدوه في تفسير النعيم .
لكن ، هل يحتل البيان العالي ، كل
هذه المعاني المتفاوتة في موضع واحد ؟
وهل يسبح الذوق الحقيقى ، أن يفسر
النعيم بالنملين ، كما تفسره بالرسالة
والرسول ؟

هنا نلوذ — كمعدنا ، وعلى منهجنا —
بالقرآن الكريم ، فنراه يستعمل النعمة

والانعم والنعماء ، فيها انعم الله به على
صاحبه في الدنيا من خير هداية ، إنما
النعيم فلم يأت في القرآن الكريم إلا
خاصاً بالآخرة ، في كل الآيات التي ورد
فيها لفظ نعيم ، وعددها ست عشرة آية .
وأبهم هذا المعنى القرآنى وتخصيص
النعيم بنعيم الآخرة ، وأطراذ هذا في كل
آياته ، لا مناص لنا من النزول على حكم
الكتاب المبين . فلسنا مخيرين في تأويل
لفظ النعيم بما يحتل لغة أو مجازاً ،
وهذا القرآن لم يستعمل النعيم قط ،
فيما هو من نعم الدنيا . . .

((ثم لتسألن يومئذ عن النعيم))

وقد اختلف المفسرون في تأويله ، وكثرت
أقوالهم فيه حتى بلغ ما عده «الرازى»
منها تسعة وجوه متفاوتة : أدناها
النعلان ، نعمة يسأل عنها الإنسان يوم
القيامة . وأرقاها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، نعمة كبرى يسأل عنها
الناس في الآخرة .

دالها ، نعيم الآخرة . . .
وسره البائس ، أن هؤلاء الذين الباهم
الكثير في الأموال والأولاد وأعراض
الدنيا الزائلة ، وحسبوا النعمة التي
بأعدها نعمة ، وسفلوا بها عن النزول
لآخرتهم ، سيئلون يوم يرون الجحيم
عين اليقين ، عن النعيم الحق ما هو ،
يومئذ يدركون يقيناً حاتلة النعيم الذي
سفلوا عنه بالثكالب على حطام لئال
ماله احتشاد في المقابر ثم بحث وحساب . . .
والانذار بهذا السؤال ، يتسق على
أروع وجه ، مع ذلك الوعيد المسيطر على
آيات الكاثر ، في بيان معجز ، أعجب
العرب — وهم أئمة هذا الفن القوي —
أن يأتوا بسورة من مثله .

وبين هاتين النعمتين المتباعدتين تأتي
نعم أخرى قال المفسرون أنها المقصودة
بالسؤال ، مثل : تخفيف الشرائع ، وتيسير
انطعام والشراب والمسار ، وصحة
الإبدان ، والنظر البارد ، والفراغ والامن
والدعة ، واعتدال الخلقة ! وجاءوا لكل



ليلة المعراج

« لو أنزلنا هذا القرآن على جبل
لرأبته خاشعاً متصدعاً من خشية الله »
« قرآن كريم »

أيها التاريخ !

افتح كتابك اليوم ، وقف بنا خاشعاً عند فجر ليلة خالدة على الدهر ، لتروى
لل البشرية حديث المعجزة الباهرة التي تلقاها « المصطفى » من وحى السماء ، منذ
أربعة عشر قرناً من الزمان . .

نور الكلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

فسر لنا يا تاريخ ، يوم كان نزع
تريش بن « ابن عبد الله » وخوفها
على أبنائها منه ، وأنه لا عزل إلا من
إيمانه ، وأنها الكتلة المعترضة بمسدها
وحامها ونفوذها المستاثرة بوظائف
الزراعة والشرف في البلد الحرام : مثابة
حجم العرب وأسمهم ، ومركز عبادةهم
وتجارتهم !

فيم كان الذعر من انتشار دعوته .
وأنما هي كلمات يتلوها من وحى ربه ،
في قوم بلغ فيهم البيان ذروة مجده
ومعزته ، وأبراء الفن القولي عندهم ؛
في سماء ماظفولتها سماء !
هل كان ذلك إلا لأنهم ماأخذوا

هرنا لحظة من ضجيج دنائنا وانقال
باندنا ، وخلق بنا في الأفق الدالي مطلا
بارواحنا على اللحظة المجددة التي ألقت
فدما السماء بالأرض ، وأضاء الكون
ببور « الكلية » ودنا « الكتاب » .
وارو يا تاريخ ، كيف بها لنشر أمي
بنم ، أن يواحه الدنيا بدين جديد ،
يحطم به هبروت الوثنية وعشو
الارستقراطية ، ومعجزته الكبرى كتاب

عربي مبين ، لم يكذب يتلو آيته الأولى :
« اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق
الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم *
الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم
يعلم » حتى وقفت نصفى مبهورا ، فما
كان عهدك بالأنبياء من قبل أن تكون
« الكلية » بمعجزة رسالاتهم وآية
نبيهم ، ولا كان عهدك بالبشرية قبل
ذاك ، أن تؤمن بدين سماوي ، ومعجزته
الكبرى « كتاب » وآيته الأولى :
قراءة ، وعلم ، وإنسان !

اتل فلما يا تاريخ ماوعت ذاكرتك من
امر هذا النبي المصطفى ، يوم ظهر
بالدلد العتيق والوثنية في أبنائها ، بشرا
رسولا ياتك الطعام ويبيش في الأسواق ،
وتقد ولدته امرأة من قريش تأكل التديد ،
كما تلد كل أنثى من البشر .

(٢)

يسمعون آيات من القرآن ، حتى أدركوا
آيات المعجزة التي تجاوز طاقة البشر ،
وانقروا أنهم لو تركوا « ابن عبد الله »
ينلونها في العرب ، لما ارتاب أحد منهم
في صدق نبوته ؟

وكان الاستعداد مبرر من يوم المبعث ،
فشهد به ياناريخ ، ورحلت ترقته وهو
يزداد حدة وفراوة حين دنا أول موسم
بعد أن تلقى « المصطفى » كلمات ربه ،
لكن تفرغ قريش من أمره ، قبل أن
تجتمع وفود القبائل العربية في أسواق
مكة ، وتسمع ما ينلو « محمد » من
هذا الكتاب . . .

وكنتم تشهدا ، يوم أحل الموسم ،
وما ازداد محمد وصحة على الاستعداد
والتمذيب إلا ثباتا واستمسا ، فاجتمع
زعماء قريش بدار الندوة ، يستمعون
للوقوف الخطير ، وقام لديهم كبيرهم
« الوليد بن المغيرة المخزومي » فقال :
« ما بعث قريش ، أنه قد حضر
هذا الموسم ، وأن وفود العرب ستقدم
عليكم فيه . وقد سمعوا بأمر ماحكمكم
هكذا ، فاجتمعوا فسه رأيا واحدا ،
ولا تخلفوا فيذهب بفسادكم بعضنا ، ويرد
أولكم عنه بعضا . . .

قالوا :
« فأتيت يا ابن عبد شمس ، نقل
والتم لنا رأيا ، نقول به .

قال :
« بل أنتم تقولوا أسبع . . .

قالوا :
« نقول كاهن . . . فرد عليهم :
« لا والله ما هو بكاهن ! لقد رأينا
السكاهن ، فما هو بزمزمة السكاهن
ولا سبعة . . .

سألوه :
« فنقول مجنون ! » أجاب :
« ما هو بهجنون . . . لقد رأينا
الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه
ولا تخالجه ولا وسوسته . . .

وعادوا يسألون :
« فنقول شاعر ؟ » وأجاب :
« ما هو بشاعر . . . لقد عرفنا
الشعر كله : رجزه وهزجه وقريضه ،
وهقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ! ولم يكن عددهم أكثر من أربعين رجلا

قالوا :
« فنقول ساحر ! » أجاب :
« ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار
وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم .
والله لم يبق لديهم ما يتسولون ،
سألوه أن يمسحهم برأيه ، فقال :
« والله أن لقوله لحسلاوة . . .

وبما أنتم بقائلين من هذا الذي ذكرتم
أشينا ، إلا عرف أنه باطل . وأن أقرب
القول فيه أن تقولوا : ساحر جاء
بقول هو السحر ، بفرق به بين المرء
وأبيه ، وبين المرء وأخيه . . . وزوجته ،
وعشيرته . . .

ورأيتهم يا تاريخ ، وقد انفس مجلسهم
ذلك فانطلقوا ونوزعوا في مداخل مكة ،
وحملوا يجلسون بسبيل الناس حين
قدموا الموسم ، لا يبر بهم أحد إلا حذروه
محبا ، وأنذروه أن هو أصفى لقوله ،
لننذ فيه من السحر ما يجعله يفرق
ولده ، وأهله ، وعشيرته !

أو ليس هذا هو أخوف ما خافوا ؟
أن يسمع عربى آية من هذا القرآن ،
للا يملك إلا أن يخر ساجدا ، مصدقا
منبوة محمد !

كذلك فعل من استمعوا له ، وكذلك
سيقعل من بعدهم آخرون ، إلا أن تعبد
قريش تراها ، متحول بين العرب وهذا
القرآن المعجز .

وكنتم تشهدا كذلك ، حين حبل بين
المسلمين وبين الكعبة ، حتى لا يجهروا
فيها بالقرآن الذي لا قبل لعربى بتلاوة
أعجازه . وظل المسلمون ، لا يقدر
أحدهم أن يصلى عند الكعبة ، حتى
أسلم « عمر بن الخطاب » فتنازل
قريشا حتى صلى بها ، وصلى المسلمون
على أثره .

فحدثنا ياناريخ كيف أسلم « عمر »
لما سمع آيات من هذا القرآن ، أبقت
منها أن ليس هذا قول بشر !

أثل ما سجلت في صفحاتك ، من أمر
« عمر » يوم خرج يتوشح بسببه ،
« ما هو بشاعر . . . لقد عرفنا »
الشعر كله : رجزه وهزجه وقريضه ،
وهقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ! ولم يكن عددهم أكثر من أربعين رجلا

(٢)

الصحيفة اليه ، وقالت في رنة :
- يا اخي ، انك نحس على شرك .
وانه لا يمساها الا الطاهر .
وامام اصرارها ، فام « عمر »
فتطهر ، ثم تناول الصحيفة فبنا كاد يقرأ
منها مدرها ، حتى لانت ملامحه وقال :
- ما احسن هذا الكلام واكرمه !
وانطلق « عمر » يصرى ، ونور
الايمان يعمر قلبه ، وكلمات القرآن ملء
وجدانه ، حتى بلغ ذلك البيت عند
السفلى ، وضرب الباب ، فقام رجل من
المحابة فنظر من خلل الباب ، وعاد
الى الرسول يقول في فزع :
- يا رسول الله ، هذا عمر بن
الخطاب متوشحا بالسيف !
فاذن الرسول لعمر ، وابندره قائلا :
- يا جاء بك يا ابن الخطاب هذه
الساعة ؟

اجاب في فراعة .
- يا رسول الله ، جئتك لاومن بالله
وبرسوله ، وبما جاء من عند الله !
فكبر صلى الله عليه وسلم تكبيرة
عرد ، المحابة منها ان « عمر » قد
اسلم بعد طول عناد !
وعرفت منها باناريه ، ان نور الكعبة
لن يلبث ان يمدد ظلمات ليل طلال ،
ونهبات لاسنقال المسح الجديد . . .



ومن يومها بانابخ . . .
من يوم ان تسلا المصطفى آتته :
« افسرا » وانت تصنع بها المحب
انعجاب ، وتتشرف بالادبية الى على
الافاق وبعيد الغابات . . .
وكما احدها العروج ، او نشابهت
عليها السبل ، او نزل بها المسرى ،
التست لها من نور الكعبة ما يضيء لها
الفجر من حديد ، وعلا هتاتك بحدوها :
اي تكريم للشريعة ان يستلنى بشر
نبيا ؟

واى محد للبيان ان يكون « الساب »
على الصحيفة منه ، انسم لها بالهنه ،
« لو اتزلنا هذا القرآن على جبل
وطبعت في اسلامه حين يقرأ آيات لراينه خاشعا متسعا من خشية الله ،
القرآن ، ولم يكن قد سمع منه كلمة ونك الامثال نضربها للناس لعلمهم
تعا ، لكنها رفعت مع ذلك ان تدفع مفكرون » . . .

واما ، لعلم كل من يقر بككة من
الثلة المسلبة ، بعد ان هاجر منهم من
هاجر الى الحيشة ، فرارا بدينهم من
المحنة

وفي الطريق ، لقيه من سألته :
- اين تريد يا عمر ؟ اجاب :
- اريد محمدا ، هذا الصابى ، الذى
أفرق امر قرش وسفه احلامها وعاب
ودينها وسب آلهتها فاقنله . . .
قال محدته :

- والله لقد غررك نفسك يا عمر :
اترى بنى هبد بناف تاركك تشى على
الارنى وقد قظلت محمدا ؟ افلا ترجع
الى اهل بيك فتقيم امرهم ؟
فتسائل « عمر » وقد رابته الكعبة
- واى اهل بيتى ؟
اجاب الرجل

- صبرك وابن عمك ، سعيد بن
زيس . وزوجته : اخك : فاطمة بنت
الخطاب ، فقد والله اسلبا وتابعا محمدا
على دينه ، فعليك بها . . .

ومك الخير سمع « عمر » فاندفع
مستثار النفس بريد بيت اخته وصبره ،
فلما دنا منه سمع هبة ، ولمح اخته
« فاطمة » تخفى صحيفة معها ، حين
رأته بدخل البيت . وصاح « عمر » وهو
يبتلى بابن عمه . . .
- لقد اخبرت انكما تاسمعا محمدا
على دينه . . .

فقايت اليه اخته ، تحاول ان تكفه
عن زوجها ، نضربها تشجها ، ولم تلك
نفسها ان هتفت

- نعم قد اسلبنا وامنا بالله ورسوله ،
فانصم يا عمر ما بدالك . . .
وحزنه شجاعة ايمانها ، فقال وهو
يرق الدم يسيل من اخته :

- اعملينى هذه الصحيفة التى
سبتمكم فتراون اننا ، انظر ما هذا
الذى جاء به محمد . . .

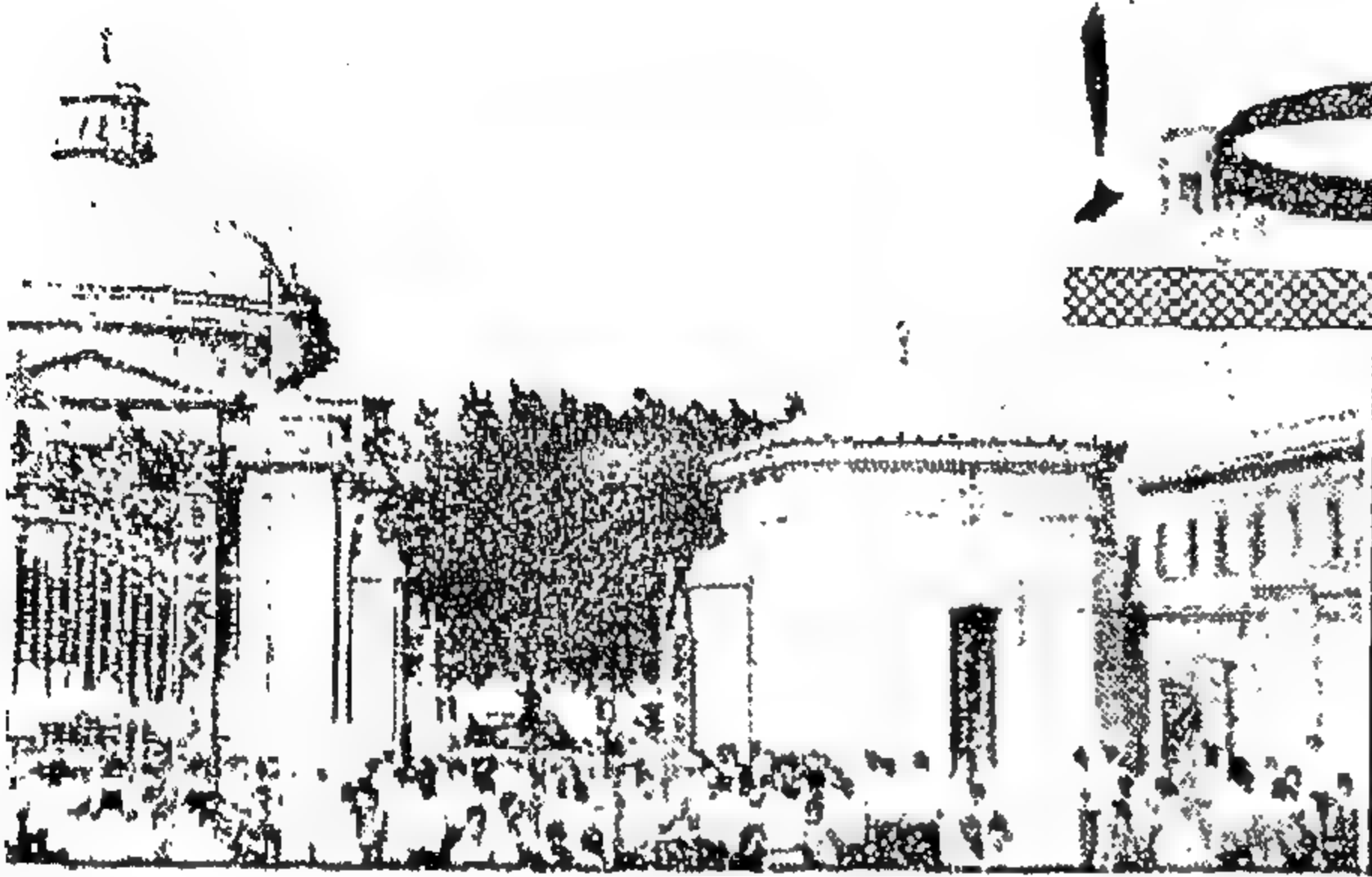
واذ آيت « فاطمة » ان نعمل ، خوفا
على الصحيفة منه ، انسم لها بالهنه ،
ليردنها اليها بعد قراءتها . . .

وطبعت في اسلامه حين يقرأ آيات لراينه خاشعا متسعا من خشية الله ،
القرآن ، ولم يكن قد سمع منه كلمة ونك الامثال نضربها للناس لعلمهم
تعا ، لكنها رفعت مع ذلك ان تدفع مفكرون » . . .

التاريخ : ٣ / ٢ / ١٩٦٣

اللهم انى صائمه

امتحانات



اقصر واعتسف ان بشريتي
خذلتنى فى هذا الامتحان ، فلم
اقل فى محنة اليوم ماكنت جديرة
بان اقوله ، لو لم يكن المتهم فيها
معدودا من اساتذتى بالجامعة ،
فاذا رميت يصيبينى سهمى ..

بقلم الدكتور عبد السلام

لا اذكر اننى امتحنت - منذ اتصلت
بالحياة العلمية - بمثل هذه المحنة التى
اشقى بها اليوم
ذلك لان المتهم فيها معدود بن اساتذتى
لى كلية الاداب بجامعة القاهرة ، وقد
امضيت فيها - معى - خمسة عشر
عاما ، طالبة ودارسة ومعدة ..
واى تجريح لى ، يجرى البيئة الجامعية
التي اعزى بالانتماء اليها ، وبهر الثقة
لى كل من تعلموا فيها وتخرجوا على
اساتذتها ، وهذا احدهم ..
ولمالم تهلكت بقوله تعالى :

اسما الذين امنوا كونوا قوامين
بالفسط ، شهداء لله ولو على انفسكم
او الوالدين والاهل .. وزعمت ، او
تصورت ، انى جديرة بالنسب الى هذه
المنزلة الرفيعة من بطولة الضمير وامانة
الكلمة ، لكن الامتحان الذى تعرضت
له هذه المرة كشف لى عن حدود
طافى البشرية وقصورها عن بلوغ
تلك المنزلة ..
ونلك هي المحنة!

لانا اعلم علم القرن ، انه لو كان
المتهم من غير اساتذة كلنى ، لما الجبت
قللى من ذكر اسمه ، ولسكان لى من
الغلبة هولى آخر ..

لكن بشريتى تخذلنى ، وتلزمى بان
القع باضعف الايمان فاعرض الماساة
بلا اسماء ، وبغير تعليق ..

ولو استطعت الا اعرضها لعللت
لكنى كرهت ان يبلغ بن الخذلان حد
الخبانة ، فاكم خلا ملينه ، مجاملة
لاسناد جامعى او خشية ان يرسد
سهمى الى ..

ركرهت اكثر ، ان ابوء بلعنة الاتم
وانا صائمه اتعبد بقوله تعالى : ولا تكبوا
الشهادة ومن يكذبها فانه اثم فله ..

الاسلوب ، اليس اسلوبه الذى لا يشبهه
على احد من تلاميذه فكيف بالله مار
اليوم لاستاذ غير ؟

ثم قمت الى مكتبى ، فالتفتت محنا

استاذ الخولى نشرته كلية الاداب لى
اجزه الثانى من المجلد الرابع ، وطبع
استقلا مطبعة المعهد الفرنسى بالقاهرة
سنة ١٩٣٩ ، ثم اعيد نشره للمرة الثالثة
سلا فى كتاب «مناهج تجديد» الذى نشرته
ار المعرفة سنة ١٩٦١

ومعينا معا ، نقابل بعض ما فيه ،
على ملشر فى كتيب « القرآن وعلم
النفس » الذى نشرته وزارة الثقافة ،
فى منتصف فبراير ١٩٦٢ .

وكانت الصدمة ..

ولو قد فعلتها اليوم ، لوجب ان ارد
نفسى منذ الان عن موقف النقد الذى
هو حكومة واقضاء ..

حسبى اذن لى الود باضعف الايمان
فاكفى بعرض وقائع الماساة ، ثم اترك
لسواى من النقاد - ممن لا تربطهم
بالاستاذ صلة - ان يصورها ، ويكتبوا
عن دلائها ، وخطير انرها ..

بدأت التهمة بحكاية «تليونية» من
الاديب الشاب «ماهر شفيق» يسأل فيها
ان كنا قد قرأنا الكتب الذى نشرته
وزارة الثقافة ، حلقة فى مكتبتها الثقافية
معنوان «القرآن وعلم النفس» ؟

ولما اجابنا بالنفى ، هنت راحيا :
- اذن فانتزروه ، وقتلوه على ما فى
كتاب «مناهج تجديد» الذى نشر لى العام
الماضى ..

وشفتلى الشواغل فلم انمعه وانظم
نسيت الموضوع ، حتى زارنا بعض
امناء الوفد العراقى لاقتر كتاب
اسيا وافريقيا من زملاء الدرس لى
قسم اللغة العربية باداب القاهرة ،
وانتير الموضوع قراءة فقرات وصفحات
من الكتيب الذى وزعته المكتبة الثقافية
هدية هذا الشهر المبارك ..

واتهنا اسباعتنا وامبارنا ، ونصبنا
لى دعشة وحيرة :

- هذه الفكرة فى التفسير النفسى
للقرآن الكريم ليست فكرة شيئا
تليقنا عنه طلائى بالجامعة ؟ وهذا

جوهر الفكرة في التفسير النفسي ، كما بينها صاحبها :

في البحث الجامعي ، المطبوع عامي ١٩٦١ ، ١٩٦٢ .
«ان هذا القرآن من حيث هو فن أدبي معجز ، تم من حيث هو هدى وبيان ديني ، لن يدار الامر فيه الا على سياسة النفوس البشرية ورياضتها لان الفن هو نجوى الوجدان ، والدين هو حديث الاعتقاد وخطاب القلوب ..
فالنظر الصائب اليه ، والفهم الصحيح له او بعبارة اكثر صراحة : تفسيره لا يقوم الا على ادراك ما استخدمه من ظواهر نفسية ونواميس روحية ، ادار عليها بيانه . مستدلا وهاديا ومختلما ومجادلا ومثيرا ومهددا ..
« واصح ما يبني عليه هذا التفسير هو القواعد النفسية . فبالامور النفسية بعلى ايجاز ولطائف ، وتوكيده واشارته واجماله . وتفصيله وتكراره واطالته وتثنيته ومناساته ..
« فاذا ما هدى البحث النفسي - وقد هدى ما تم به حتى الان - الى ان القرآن قد راعى قواعد نفسية عن مظاهر الاعتقاد ومسارب الانفعال ، ونواحي التأثير .. واثار من هذا ايد به حجته واظهر دعوته . وكان مثل ذلك من معرفة شئون النفس الانسانية لم يهتد اليه العلم بعد ، فوق ان يهتدى اليه هذا الامي البادي .. فهذا صنيع فوق قدرة البشر وقوى الناس ..
ويقابلها في كتيب «القرآن وعلم النفس» ١٩٦٢
ان هذا القرآن معجز من نواح متعددة جوانب متفرقة ، من امها الجانب النفسي . فهو من حيث هو كتاب هدى وبيان ، لن يدار الامر فيه الا على سياسة النفوس ومخاطبة القلوب ومناجاة الأرواح .
فالنظر الصائب اليه ، والفهم الصحيح له ، او بعبارة اكثر صراحة : تفسيره لا يقوم الا على ادراك ما استخدمه من ظواهر نفسية ونواميس روحية ، ادار عليها بيانه مستدلا وهاديا ومختلما ومجادلا ومثيرا ومهددا .
« (الواضح) ما يبني عليه هذا التفسير ، هو الحالات النفسية لجها بين من تصاير وانماط اساليبه من ايجاز واطناب وتوكيد واشارة وتكرار واطالة وتقديم وتأخير .
فالقرآن الكريم قد راعى قواعد نفسية عن مظاهر الاعتقاد ومسارب الانفعال ونواحي التأثير واثار من هذا ايد به حجته واظهر دعوته . وهو في ذلك يساير من شئون النفس الانسانية .. مما لم يهتد اليه العلم حديثا فوق ان يهتدى اليه ذلك النبي الامي لولا انه من صنع خالق القوي والكنز

(٣)

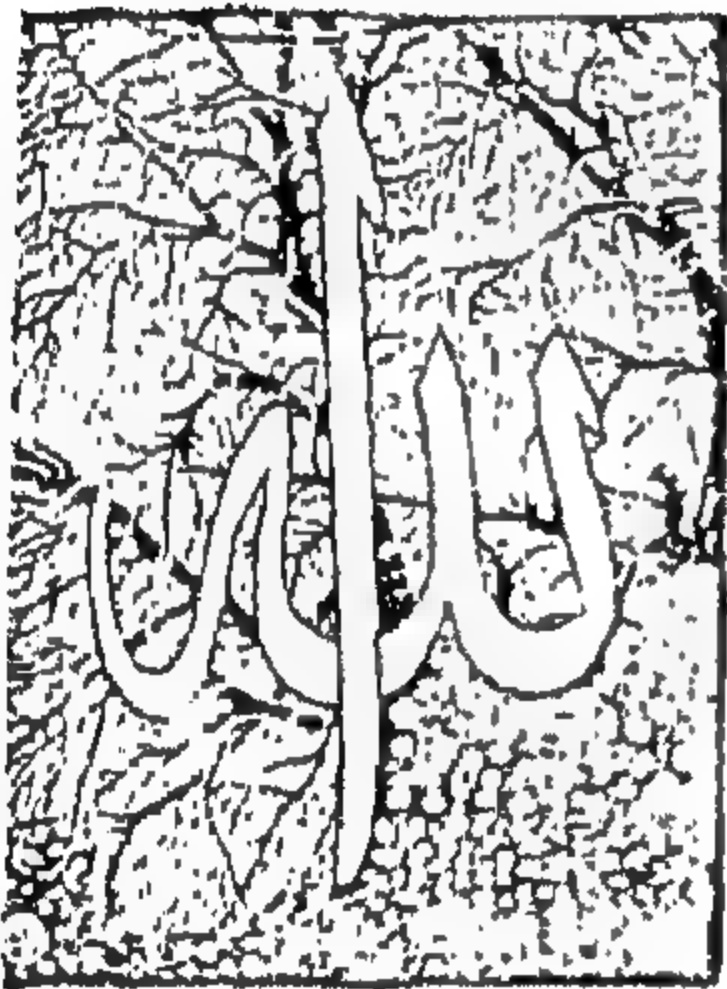
هذا عن جوهر الفكرة ، فماذا عن الشواهد ؟

في البحث الجامعي
« تلك جملة من الاعجاز النفسى
قد يكشفها مترادف الامثلة ويجليها متتابع
الشواهد .. من ذلك ما في تفسير الايات
من سورة الشعراء : (نزل به الروح
الامين على قلبك لتكون من المنذرين .
لسان عربى مبين)
فقد ناز حول هذه الايات خلاف
مس اصول البعده والاسس الفائرة
للبناء القرآنى فهذا فريق يحنج بها
على نزول القرآن بالمعنى لا باللفظ ،
وان اللفظ من عند الرسول عليه السلام
اذ لا ينزل على القلب الا المعانى .
وهذه مزلة الى انكار ان يكون لفظ
القرآن معجزا ..
الوتمكر هذا النزول المعنوى بضطر
الى تناول النزول على القلب ، ليبين ان
مصدر العقل هو القلب او الدماغ .
وهو ما يعرض له الفخر الرازى في
تفسيره ، ويورد في ذلك آراء القدماء
والحديثين ، والاستدلال لكل راي ..
« الا ان الزمخشري يدركه التوفيق ،
فيظن من ذلك الى خاطرة نفسية دقيقة
يكشف بها غبار الموقف ، ويهون المعضلة .
اذ يعلق قوله تعالى : (لسان عربى
مبين) بالفعل نزل ..
« وليس يحتاج الى الخبرة النفسية
في فهم الايات التى يثور حولها مثل
هذا الخلاف فقط ، بل في الآية التى
لا خلاف فيها مطلقا ، قد ترفع الملاحظة
النفسية الى افق باهر السناء ، خليق
بذلك الاعجاز الذى تحدث به السماء ..
والانس .
وليس يحتاج الى الخبرة النفسية
بازاء آيات التى يثور حولها مثل هذا
الاختلاف فقط ، بل في الآية التى لا
خلاف فيها مطلقا ، قد ترفع الملاحظة
النفسية الى افق باهر السناء ، خليق
بذلك الاعجاز الذى تحدث به السماء ..
والانس .

وبعد فماذا عساي ان أقول ؟

لا ادري .. اللهم الا حبة اقولها لئلا كيب « القرآن وعلم النفس » .
اذا شق عليك ان تقرأ هذا المقال لئلا ، فانك لا تدري مبلغ تعاستى وانا
اكتنه .. واستغفر الله لى ولك

حول نبوءة القيامة علم الساعة وأشرافها في البيان المعجز



« يسألونك عن الساعة إيان
مرساها * فيم أنت من ذكرها *
إلى ربك منتهاها * إنما أنت منذر
من يخشاها * كأنهم يوم يرونها لم
يلبثوا إلا عشية أو ضحاها » .
« قرآن كريم »

اليوم أيضا ، اختفى ان
يتلف بعضهم هذا العنوان
الماخوذ من القرآن الكريم
فيضيفوه الى بدع التأويلات
العلمية لكتاب الاسلام ،
ويحسبوا منه ذاك العلم
الدقيق الذي اشتهرت به
« سويسرا » في صناعة
الساعات !

ولهذا انذر فأنكد لهم .. كما لميت
مع الكافر - ان « علم الساعة » في
القرآن الكريم لا يتصل بصناعة الساعات
من تريب او بعبء ، ولا شأن له بهذه
الاجهزة الدقيقة التي تضبط الوقت وتحدده
بالتوازي والدقائق ..

وانما العلم في القرآن ، هو ما تعرفه
العربية الاسيلة من ادراك الشيء ، حقيقة
والعربية قد استعملت المادة محسبا فيما
هو ظاهر وانصح لا ليس فيه ، كالعلم
بفتح اللام - واللامه ومن ثم استعملته
ليسا بعرف معرفة واضحة قوة ، قتل
علم الشيء اذا ادركه حق ادراكه ،
وهو عالم به اذا انكشف له حقيقته .

علم الدكتور بنت الساطي

التاريخ : ٩ / ٣ / ١٩٦٣

(٢)

«الذين يحشرونهم كان لم يلبثوا الا ساعة من نهار»
«كانهم يوم يرون ما يوعدون ، لم يلبثوا الا ساعة من نهار»
«ويوم تقوم الساعة، يقسم المحرمون ما لبثوا غير ساعة»
وليسوا في هذا القسم حاشين كما وهم بعضهم ، بل هو الصدق في القسم كل الصدق .
اما حين يستعمل القرآن الساعة معرفة بال ، فذلك دائما في ساعة القيامة ، لم يتخلل هذا في اي موضع من الايات الاربعة ، التي جاءت «الساعة» فيها بالكتاب المحزون والملاحظ الباني في هذا الاستعمال المأثور ، الخاص بالقرآن وحده ، ان هذه الساعة بمنزلة عن ساعات الزمان كله بما يحدث فيها من حدث حائل خطير ويقوى هذا الملاحظ ، ان القرآن يمتطيها فاعلية دائمة ، تستند اليها القيام ، والابيان والحرى .. دلالة على شخوصها وانعاشها :
«حتى اذا جاءتهم الساعة»
«فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة»
«ويوم تقوم الساعة»
«وما اظن الساعة قائمة»
«وان الساعة لآت»
«الوفال الذين كفروا لا يؤمنوا الساعة ، فل يلى ورسى لمنكم»
ولمحتل ثان ، لا يخطئه من يتتبع آيات القرآن عن الساعة ، وهو الاسرار على

وفي الاستعمال القرآني للمعادة ، نرى الله تعالى يوصف بالمعالم ولا يوصف بالمعارف ، ويستند اليه العلم ولا تستند اليه المعرفة . ويكثر في القرآن الكريم اسناد العلم الى الله فيما هو خفى ، وغيب ، ومسر : فهو تعالى يعلم ما في الارحام ، وما في انفسكم ، وتلوكم ، ومدوركم ، ويعلم سرهم ونجواهم ، ويعلم السر واخفى ، ويعلم خائفة الاعين وما تخفى الصدور ، وما توس به نفسك ، وهو — سبحانه — علام الغيوب وعنده علم الكتاب ، وعلم الساعة . وحين يستند العلم الى البشر او يوصفون به ، فذلك في القرآن — غالبا — بمنزلة العلم على رجس البقيين . والنحنى ، والاكاذيب ..



اما الساعة في القرآن ، فلمست الا ساعة القيامة ، على وجه التحديد .. وبلا استثناء ..
ولفظ ساعة في العربية ، يعنى الجزء القصير من الوقت ، فاذا استعمل مرنا بال ، كان مرنا للوقت الحاضر ، فيقال : ازورك الساعة ، اي في وقتنا هذا ..
لكن للقرآن استعماله الخاص للساعة ، فهو اذ يجرى بها سكرة ، فليس بالوقت المبردة في الرحلة القصيرة من الوقت كما في آيات :
«فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون»

الشورى

انه تعالى قد استأثر بعلمها ، لم يؤته
احدا من خلقه ، حتى الرسل والانبياء
وهذا واضح تباه ، بصريح النص القرآنى
فى مثل آيات :
«يسألك الناس عن الساعة ، قل
علمها عند ربى» - الأحزاب
«ان الله عنده علم الساعة» - لقمان
«الله يرد علم الساعة» - فصلت
«وعنده علم الساعة» - الزخرف
«يسألك عن الساعة ايان مرساها
فيم انت من ذكرها . الى ربك منهاها
انما انت منذر من يخشاها» - النازعات



فماذا عن اشراط الساعة ؟
لا اعلم ان فى القرآن الكريم تحديدا
لاشراط معينة يمكن للدش ان يعرفوا
منها ان موعد الساعة قد قرب .
كل الذى فيه من هذا ، وصف
مخبر لكيفية قيام الساعة ، فى عبور بيانية
بالغة القوة : تنشق السماء وتنفطر ،
وتبعثر الكواكب وتنتثر ، وترج الارض
رجا ، وتبس الحبال بسا ، وتبعثر القبور
وتلفظ من فيها كأنهم جراد منتثر او
فراش مبثوث . . . وفيما عدا هذا ومثله
من وصف لقيام الساعة ، لا اجد فى
القرآن الكريم بيانا لعلامات سابقة ، تنبئ
بقدما عن قيام الساعة قبل اوأنها .

والاية الوحيدة التى نص فيها على
مجيء اشراط الساعة ، هى آية محمداً :
«فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغفلة
فقد جاء اشراطها»
والشرط فى العربية هو العلامة .
استعملته حسياً فى الشريطة وهى الابل
المشروطة الاذن سمة لها . وقيل اشراط
نفسه اذا اتخذ علامة خاصة ، ومنه
تقول «اوس بن حجر» :
فاشراط فيها نفسه وهو معصم
والقى باسمسحاب له وبوكلا
«فالموا ان تأتيهم غاشبة من عذاب
الله او تأتيهم الساعة بغفلة» - يوسف
«ولا يزال الذين كفروا فى هبة منه
حتى تأتيهم الساعة بغفلة ، او بانبيهم
عذاب يوم عقيم» - الحج
«هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم
بغفلة وهم لا يشعرون» - الزخرف
«لوما امر الساعة الا كليم البصر
او هو اقرب» - النحل
«قل انما عليها عند الله ، وما يدريك
لعمل الساعة تكون قريبا» - الاحزاب
«لوما يدريك لعمل الساعة قريب» -

التاريخ : ٩ / ٣ / ١٩٦٢

(٤)

ثم اختصت الاشارات ، بالعلامات ، بالعلامات المباشرة ، وانما المفسرون هم الذين شغلوا الاولى والى البوادر السابقة ، ومنه قول - كذابهم - بتحديد اشراف الساعة «اسى الاسود» :

فان كنت قد اذعنت بالصرم بيننا
فلقد جعلت اشراف اوله تبسو
نهل بهذا المعنى ، استعمالها القرآن ،
لا سبيل لنا الى التباس ايات اخرى
منه ، تهدي الى دلالة اللفظ القرآنية ،
فالكتاب الكريم لم يستعمل الاشراف قط
الا في آية محمد ، بل ليس في القرآن
كله من مادة «شرط» غير هذه الآية .
لكننا نلاحظ ، اولاً ، ان القرآن صريح في
الانذار ببغثة الساعة ، حتى في الآية
التي نصت على مجيء اشرافها :

«هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم
بغثة» فلقد جاء اشرافها «ومع بغثة المفاجأة»
لا مجال للتباس بتقديمات وبادر ، نعرف
منها دنو الساعة قبل اوانها .

ونلاحظ ثانياً ، ان القرآن لم يحدد هذه
الاشراط ، بل لعل سياق الآية ، اولى
بأن ينهم ان الاشراف هي النذر التي تجيء
مع بغثة القيامة ايذاناً بان الحياة الدنيا
قد انتهت . ويؤيد هذا الملاحظ ، ان
«آية الزخرف» التي تبائل آية محمد في
سياقها ، قد صرحت بأن الساعة تأتيهم
بغثة وهم لا يشعرون :
«هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم
بغثة وهم لا يشعرون»

فالى الذين كتبوا الى ، يسألونني عن
هذه الاشراف الممينة لقيام الساعة ، اقدم
ببيان ان نحدد هذه الاشراف وقد امسك
القرآن عن ذكرها ، اللهم الا ان نستأنس
بالجو القرآني العام ، في وصف الساعة اعلم ، وما اوتيت من العلم الا قليلاً .

حشيت بها كتب التفسير ، ومذهبيات
تتالي فيها المفسرون بأهوائهم وعصبياتهم
ومنها ما التمس له ايفاح وشواهد ،
من كتب الحديث ومأثور الضر ، كالذي
ذكره الزمخشري والرازي وابو حيان ،
عن اشراف الساعة منها «بمعنى محدد»
على الله عليه وسلم ، لانه نسي آخر
الزمان « كما عدوا منها فساد الاوضاع
الخلقية والاجتماعية ، مثل كثرة المال
والتجارة ، وشهادة الزور ، وقطع الارحام
وقلة الكرام وكثرة اللئام»

ولا شيء من هذا ومثله . يلزم به
القرآن الكريم الذي امر على ان علم
الساعة قد استأثر به الله وحده ، واكد
انها تقوم بغثة كليم البصر وهم
لا يشعرون ..

اقول هذا لمناسبة نبوءة القيامة التي
ارجف بها كهنة من اليهود وشغلوا بها
الدنيا والناس ، وقد جاء اليوم الذي
حدده لها ، ثم مضى كغيره من الايام ولم
تقم قيامة ولا زلزلت الارض وزلزالها ..
وقرات تملقنا على هذه النبوءة ، ينلى
قيام الساعة في المرعد الذي حدده كهنة
اليهود ، لان لها في الاسلام اشرافاً معينة
مثل كذا وكيت ..

(٢)

تخلف المجتمع لا المرأة

ماتلدة جريس : أحب أن ألفت النظر إلى أنه عندما نتحدث عن المرأة يمكننا من الخريطة العامة للمجتمع يجب أن نذكر أولاً أن المرأة بتخلّف بدون شك عن الرجل كثيراً .

وأما كلام ماينادة جريس على الرغم من خروجه من موضوع الندوة فإننا نلاحظ حاجة لمدة ربع ساعة حول معنى تخلف المرأة وأسبابه .



لما كنت بنت الشاطئ : أنا أصبح كلما كثيراً من تخلف المرأة ، ولا شك أن النساء من ميرات ثقيل جداً من التخلف ، لكن الخطوات التي حققناها في جيلنا تبدو ثورية إذا قيست بخطوات التي خطتها الرجل . نحن في جيل واحد حققنا بمزك كثيرة ، معركة الصفوف والحجاب ، ثم القضاء لنيل حق التعليم وحق العمل ، ثم المشاركة في الحياة السياسية . وأصبحنا في كل قطاع نجد لنا مشاركة بارزة بالنسبة لغير النصف النسائي . وأحب أن أقول أننا عندما نتكلم عن التخلف يجب أن نقول أنه لا شيء نرى وجهها الآخر .

وإذا كانت لنا مشكلات خاصة فلا اعتبرها مشكلات تخلف لأن مع التخلف لم تكن هناك مشكلات للمرأة .

وأما هذه المشكلات الخاصة ونسبته خفيفة للنسوة . والدول التي سبقتنا نعرف الآن بوجود مشكلات نسوية وتوجد بكتاب نسوية للميل ، دالة على أن هناك مشكلات اجتماعية ناشئة لا من مزلة المرأة عن الرجل ولا من انفسائية الحريم وإنما من التطور الاجتماعي والنسوة الاجتماعية .

سهر الليالي : هل المسألة مسألة تخلف امرأة فقط ، أم تخلف امرأة ورجل؟ الواقع أن هناك تخلفاً للمجتمع ككل ، وأنا عندما أتكم من التخلف أجد أن الأمر صورة للريف والمناطق في الأرض وهو ١/٢ سكان الجمهورية العربية المتحدة . والتخلف هنا لا ينسب على المرأة وحدها ، وإنما هو تخلف للرجل والمرأة . واعتقد أن مشكلتنا هي العمل على رفع مستوى الانثى من مسا ، وليس المرأة وحدها .

الحقيقة أنني لا استطيع أن أنكر أن المرأة تنمى من الرجل .

جهاد الديناني : يصح أن نلاحظ أن العمال اعتقد أن المرأة العاملة ما زالت تفرقها لظروفها ليس واضحة ، وهي محتاجة إلى تربية كاملة ، ولهذا فلا نستطيع أن أنكر أننا نختلفون ، لأن المرأة ملاً ما زالت مختلفة نتيجة لتخلف المجتمع ككل . ولكني أعود لأقول أنه حتى في داخل إطار المجتمع ما زالت المرأة مختلفة عن الرجل ، وتكران الحقيقة أن يمكننا من علاجها .

ول كاتري أن هذا هو الأساس الذي عليه بنيت دعائي .

في قطاع العمل الناتج ١٠٠٠ مائة ، ١٠٠٠ من نسبة المداوى ، ١٠ مائة شعبة لنا من المشاركة وبناحية الميثاق الوطني : إذ أنه في مجتمع العمل ما زال العامل لضعفه بالتقاليد والعادات التي تجعله يحجم عن اختيار امرأة مثله ، إلا إذا كانت لها صفات مميزة وواضحة جداً . ومع ذلك فلا يستطيع أن أقول أنني أرى المرأة وحدها ، لأن سائناتش بتسجلات المرأة العاملة خاصة ، لأنني قبل من شيء

حرائق في المجتمع الكثير .

بنت الشاطئ : اسمعوا لي أن أقول شيء لي هذا الموضوع أنه حتى في التفاعلات التي لم تحدث للمرأة نسبة معينة فيها انصحت المرأة وأعطت لها مواهب المشاركة في العمل معاً إلا أنه ، وعندما أتت المرأة المسورة

والنواميس أن الاختلافات ذلك حتى أن الذي ألقاه المثلث يمثل المرأة ، ويرى من أن تكون لها مكانة ، يستل التوفيق .

وعلمت أنكورة سهر الليالي هي هذا الكلام يقولها : أن عدد امسوات أساندة الشهادة كان ١٢٢ صرنا أشتا للرجال .

تأمين للمستقبل

تخلص من هذه النقطة بأن المرأة وهي ترفع نفسها للوزير ، ثم وهي تشارك في خاتمة الميثاق ، هي مؤمنة بأنفسها فتدخل الوزير وهي مثلة للقرى الشعبية انسانية . وإذا كان قد أصابها شيء من التخلف ، فلها هو مسورة لا يمكنها المجتمع ، ومنها أن تشارك في العمل على رفع مستوى أوضاعها ككل .

بلى أن فحصد ماذا يريد المصالح السياسي أو مسمى أصبح هذا تارة المرأة أصبحت هي أمثال التوفيق .

قلت شاذل : هم شيء يريد أن يضمن هو فالحج بتسجل الأسرة والأمراد ورمع ستراهم انصت والمخاض ورميهم كمنح الشعب في الامم المتحدة المتعددة

الديمقراطية .

سهر الليالي : اعتقد أن الميثاق سينبع الخطوط العريضة لبناء جديدهم ثم تأتي بعد ذلك القوانين والتشريعات المنسرة لها وبالنسبة لنا كبرياتنا لريد أن يحدد الميثاق وضع الجمهورية العربية المتحدة بين الأمم ، والسياسة التي سنتمتعها خارجياً ودائلياً ، والمساواة الاجتماعية التي سنلتزمها ، على أن تكون شاملة للجميع .

واعتقد أنه يجب أن يكون هناك مطلب للنساء ، لكن تعلمنا ستكون للمرأة مطلب خاصة بالأسرة . والأسرة هي ربيعاً وامراً وأشياء ربيعية .

بنت ربة البيت أو الأم وانما كانت في المنهج يؤمن ربيعية اجتماعية فعدة

(٣)



منازل الملاح الساسي يتحدثون في ندوة « الأهرام »

لديهم شيء عظيم جداً أن يحدد دورهم
في المجتمع من حيث الجنس الاجتماعي
بموجب المرأة ومع جديد ، لا يفت
بعضها بواسطة الدور الذي تؤديه في
المجتمع ، فهي متدبر تربية ابنها
انما تتركها الى المجتمع ككل . ومن هذا
نخرج في المجتمع الجديد من خلال التوجيه
الشخصية الى اطلاق وتربية اجتماعية
وتحسية في أن واحد . وهذا هو
الجديد بالنسبة للمرأة ، ويجب ان
نواجهه .

بنت الشاهدي : اريد من الميثاق ان
يحل لكل براميل حصار أدنى لمعنى
المروحة .

كما ان من أهم ما يجب ان يتفهمه
الميثاق ان تكون الدولة مسئولة من وجهة
النسبة باعتبارها الحقبة الاولى للتربية
ومن حيلة الدولة على الدولة للامانة
الذين لا يجدون رعاية كافية من الابوين

جهاد المديونية : في المجتمع الاشتراكي
الذي يتقدم العامل لعله يترك العمل
عن جنسه ، المروحة ان يترك المرأة
العائلة الاقتصادية التي تتركها من ان
تعمل في جو ربيع وتربية مستوحاة من
ناحية بيئتها وارادتها ، لاها تترك مستوحاة
مزدوجة . ومن اجل هذا انما يجب ان
تؤمن بمكانتها بعد زواجها ، حتى ولو
تفرقت للبيت من اجل تربية الاولاد .
كما يجب ان تتساوى العائلة بالمعنى
في ملاوة الفلاحة وملاوة الارلا .

سهر اللاماي : هل معنى هذا هو
بأن يكون وضع المرأة المزدوجة العمل
من تعليمها امتيازات أكثر أم واجبات
أكثر ؟

ولم ترد جهاد
ولكن كنت كالمعنى المثير التي
انتخبها سيدات الجمعية قالت : ما تريد
ان تعلم به ، نحن نرى البيت ،

ان المرأة وهي تترك تعليمها
بعضها يجب ان تعلم من ربح اجتماعي
في التربة والاعمال الشخصية .

سؤال : الا بعضهن ان هذه تعاضل
يجب ان تترك تربية يقع على منتهى
جهة نشر اليوم ونحن رأينا علم فاصح
سواء بتربية للرجل او المرأة .



سهر اللاماي



فايزة عبد الرحمن



فايزة عبد الرحمن

التاريخ : ١٦ / ٣ / ١٩٦٣

قصايا أدبية

المتنبى بين الشهرة والعظمة

بقلم الدكتور بنت السالم

أود قبل كل شيء ، أن اعتذر الى
السادة القراء الذين انطقى رسائلهم حول
ما أكتب ، ثم لا أجد الفرصة للتعليق
عليها ، لا عن أعمال أو آلة انكراث ،
ولكن لأنى لا أملك أن ألقى بقرائى الا
في هذا النطاق المحدود للغاية ، ولو خلت
لرسائلهم ، لما اتسع لغير قليل منها .

وبعض هذه الرسائل ، يسيرت في
سجة اللسان وعبارات ما أكتب أو كنت
سوى ، فلا أرى وجهها لأن السهل القراء
بمناقشة لغوية فيها أعرف صوابه ، ولا
أظن الحال مطمئنة يحيل الممرس للخلاف
بين مذاهب اللغويين والنحاة .

وهذا ما رأيته من مقالتي عن « علم
المساعة » سكوتى عن الإحاديث الشريفة
في أشراطها ، وأحسب أن محال العذر
فيه واضح ، بالفتن الذى يحدده عنوان
المقال : « في البيان المعجز » ثم يقول في
خاتمه : « وما أؤمن من العلم الا قليلا » .

وهذا ما يمكن ان يلفت الى قضية أدبية
جديرة بالاهتمام ، وهذه هي التي لا ترد
في عرضها وبخاتمتها ، وهي كانت فرصة
كما أفضل اليوم حتى أكتب مرة ثالثة
عن هذا « المتنبى » في شبره ، وأتأس من
رسائل منبهه ، طالع التي موافق السادة
بين الشهرة والعظمة .

وأعترف بأنى أكتب اليوم منه وأخاسم
فيه ، مخلوبة على أخرى ، فبدأ بحول في
رأى أن نقل عاشرين من النسخة من امر
الحكم الذى تغنى به علما حين قال :
أنا ملء جفونى عن شواردها



طه حسين



محمد كامل حسين

التاريخ : ١٦ / ٣ / ١٩٦٣

(٢)

وسهر الخلق من جراحا ويخضم
وهائد بنى عليه منذ ذام أكثر من ألف
عام ، وما تزال أسرى حكمه ، اسهر من
جرا قسائده ويخضم فيها ، كما لم يمس
الأوان لتطابق من هذا الأسر ، وأد انطلق
الإنسان في الفضاء الرحب المذهب
ولكن ما جعلني أمام ذلك الجسد من
الرسائل التي تليها من عذاب المسير ،
حول ، قال : شاعركم الأكثر في نفس
الادهم ؟

ولم أكن أنا التي سبقت بحقيقة الإلهام
وأنا سميتها ثلاثة من النقاد الأدبيين : غير
محبوبين ولا مشهورين . كما لم تكن لي
رأي أو مشورة في نشر الطبعة الجديدة
من تلك الصحيفة ، وأنا ندمتها سلطنة
فخائر العرب دون أن ترجع إلي ، وفضل
محتبتها الأستاذ « إبراهيم البساطي »
فأعداني نسخة من هذه الفكرة ، فكتبان
كل ذنب أن قدبها إلى قراء صفحة الأدب
مع لجنة تقدير لوائح النقاد الذين حجروا
من مرق شجرة المنى ، فكانها جئت (للسنا
إذا تكاد السموات تنفطر من شدة
الارض وتخر الجبال هدا) بل كانني
المسألة عن تأليف كتاب «الإبانة عيسى
سرفات المنى» ثم عن نشره حديثا ، مع
رسائلتي المصاحب بن عباد والحامشي ، إلى
الكشف عن مستطابره !

والمصور أن يكون هؤلاء النقاد قسدا
كثروا بهرائهم على المساس وشاعركم
الاسم : لكن لا أظن أن يكون قسدا
فليس بشيء فقرات مما كتبوا ، وبلغ
عام : نال الكفر ليس بكافر !

وهذا ما يولي في رسائلهم التي
الإسماعيل إبراهيم البساطي : نعم
نقد ، ثلاث صفحات نقل الفوقية ،
سبوت المنى ، ما فوق والدورة ، وسرعة
السماء السابعة .
فإن من الإسماعيل الحليل لنا في حاجة

البر مثل هذا . وبجيرة الزاء مسريون
أن المنى قد من الأوس ، الأوس : هل
سور : أنا من جعل أن هناك التونا
والزوا ، محطون عرض المنى ويشتون
أيامه خلصين في رنة أدسه مذكرتسا
برية الجاعة .

كلا . . وأنا هم في حاجة حقا إلى
أن نسمعوا نغمة أخرى ، من أفلام نجا
اصحابها من فنة الوثنية .

وبحسب مبادئه ، بأن الساجد بن عباد
والحامي ، م "عبدني" ، سخطوا شهادات
مدرس لهذا المنى الذي سمعوا سرقته
وسلطته ، وأن أبا العلاء الممرى - ادبي
المفضل - كان شديد الاحداث بدوانه
الذي سباه « معجز احيد »

وذلك أيضا ما يبرقه كل من له اتصال
بتاريخ الأدب العربي ، وبغيره بأنه صدى
المحنة العالمة لم يشبهها أبو العلاء نفسه ،
السحب بسيط ، هو أنه بشر غير معصوم
من الخطأ . وقد ظل ما عيش بين من
تحدث بشريه وتصورها ، فاي عجب في
أن يخطئ رايه في المنى ، وأن يختار
لدوائه اسما ملانيا لدعائه النبوة ؟ !

و «السعد الشواي» لسماسه في الأدباء»
سلط في دفاعه عن المنى ، مسلما آخر
فقد راج سرج «الحامشي» ويفض من
شأنه ، ويسألني : كيف اعتبره من كبار
نقاد العربية وليس له من أثر معروف
غير وسيلته في المنى ؟ وإذا اعتبرناه
نايذا كبيرا فأي موضع «ابن سلام الحيدني
والمنى الخرجاني» ؟

وإن أطل ما شمس من منزلة الحامشي
من النقاد ، بل تكفي بأن أقول : أنني
من مدرسة تعرف الرجال بالحق ولا تعرف
الحق بالرجال ، فليكن «الحامشي» قزما
ضئلا وهزلا مقهورا ، ولكن «ابن سلام»
عديلا ونجبا ساطعا في سماء النقصد
العربي ، فلا ضالة (الأول ببانة من أن
نصفى إليه ، ولا ضخامة الثاني بالنسبي
تحويل بيننا وبين النظر الحر في موازنه
النقدية ، أو نفرض علينا أن نلزم بطبقاته

(٢)

من كبار اساتذتي الجامعة ، المذكور منه
حسن والاساذ الحواي . ثم قرأت ما كتبه
منه الشاذ الاقدمون والحدثون من مباحثه
« ان حنى » الى ادبها الطيب « السكوى »
رحمة كابل حسن . « فبلا قرأ السادة
الفاضلون ، وثقة الايام — موضوع
المقال — قل ان بدخوا حسوما في الذخيرة
وحلا قراوا ما في « التتوعات » الدكتور
بحد كابل حسن من شاعرهم الاكبر ،
قل ان بلعنوا من بحد مقربته ويصموه
بالجبل والخيالة !



ولست اعلم في ان « المنى » اشهر
شعراء العربية على الاطلاق ، كما لا اجادل
في ان هذه الذهرة قد بلغت من القوة
والنفوذ ، ما استطاعت به ان تقاوم
الزمن فتستل مع الاحبال عبر القرون ،
دون ان يخو بريقها او يفرس سداها .
لكن الذي اجادل فيه ، بل انكره ، ان
تكون الشهرة مقياس العظمة . ونحننا
بهذا المنى ان يريق شهرته قد خلف
امصارنا ، فلم تعد الكثرة منا قسادة
على ان تسبق طريقها الى الحكم الادب ،
او تلك السيطرة على وعيها الذوقى
وهرتها الفكرية . بل لم تعد تطبق ان
يحتفظ احدا برشده ، فبرى المنى على
حقيقته ، ببدا عن الاضواء التى ظلت
مسألة علمه لدى تجارب الـ عام . .

ولقد انهم ان يسبق عشاق المنى بحده
ومقربته ، وان يتلوا ديوانه قسوانا
محكما لا يسه السائل من بين يديه ولا من
خلفه ، لكن لا انهم ان يحجروا على
حرية الاخرين في ان يروا منه غير هذا
الرأى الذائع المشهور ، وان يضعوا
شاعريته و ميزان نقادى ، لا يثائر
بمضج الشهرة ولا يخضع لسلطان التقليد
ولا يلتزم في ذوق ادبها بقسم موروثة ، من
مخالفت المصور الفاسدة التى روج فيها
الادب والحياة تحت اوساع مريضة ناسدة .

فهل يكفى لانها هذه الخصومة ، ان
اعترف لاصحاب المنى بحقهم و ان يصموه
حيث شاءوا ، على ان يتركوا لمن شاء
بنا ، الحق في ان يصموه حيث ارتضت
بوازئهم الفضة ، وتفلونهم المكثرة لمكان
الادب في الحياة ؟ !

الذى انزل فيها الشعراء منازلهم



والسيد « محمد عصمت » عز عليه ان
تفجع القومية العربية (١) في المنى
« وقد كان في مدائح يتقنى بالمعروفة
والسلولة والمثل العليا . وشعره شعر
الثورة والعزة والطموح . . . واذا كان قد
انفسى في قسائده بعض ابيات غيره ،
فقد احياها بعد خبول ، وكب لها الدخول
يوم ادجها في شعره ، اجعلها معا يتلده
الدهر !

وما الدهسر الا من رواء قسائدى
اذا قلت شعرا أصبح الدهر منسدا
واؤكد للسيد ان العربية بخر ، لن
يقضى عليها انزال المنى عن عرشه ، وان
قويتنا جذيرة بان تصح وتسلم ، لوجعلنا
شاعرها الاكبر ادبا غير هذا المنى
الذى طاف بكل الموائد ، وغنى لكل امر
وحاكم ، وعرض بضافته على كل ذى مال ،
وليس يشفع للمتنبي عندنا في سرقائه ، ان
احيا ماسرى ، اللهم الا ان يخل الغم ،
وتفعل المقاسى ضللا بعدا !



والاستاذ « سليم الباس » يؤكد ان المنى
« خلق ليكون ملكا ، وكان احق بالملك
واجدر من جبيع ملوك زمانه ، وبخاصة
بعد ان ينش من دعوى النسوة (٢) واذا
انزلناه عن عرشى الـ العربى ، فعلى
من يتع الاختيار لتفعل ذلك المصمم الرفيع
وليس في مشهورى شعرائنا — ادباء
من امرىء التيس الى شوقى — من
يسلم من ضعف او ينجو من مأخذ ؟
وحوايا من سزاله . اؤكد له ان العربية
لم تعلم الى الحد الذى نصوره . وحسبها
ان انجبت الشعراء الذين ذكرهم في مقاله
وانجبت غيرهم ممن لم يذكر . وما اراه
الا ظلم « ابا العلاء ، واحمد شوقى »
حين استكثر عليهما ان يشغلا مكان
« المنى » في ادبنا العربى .



واخرون انهونى بالجهل لاني اجدد
عقبة المنى ومقربته ، وشاعروا : ان
كث قبيد قسرات كذا وكيت من آباءه
وروائعه . . .
اما الدول فلا امرى ، انسى منه ، اما
الزراعة فذد قعات ! قرأت ما ديوانه ،
ومد ان درست جملة من قسائده على النمن

التاريخ : ٢٣ / ٣ / ١٩٦٢

سوانح مسيحية.. وسوانح إسلامية

تأليف: الدكتور لبشر فارس

نقد: الدكتورة بنت المشاطي



د. بشر فارس

والخذ الأول ينصل بالمسيح، ويمكن أن تتجاوز هذه لفهم الدارسين المحققين أيا الدكتور بشر فارس، لأن هذه علينا أن نسأله: كيف حاز عنده أن يقدم لنا في بحث من هذا المستوى الرفيع، طائفة من النصوص المغفلة، دون أن يات لمصادرها وينامة تلك التماسك التي قرر أنها لم تنشر من قبل (٢٨-٢٩-٣٠-٣١-٣٢) وكيف لانه التعرف بشراء نظائرس تسادهم، وبين المراجع الترتيدي البهم، ولهم مشهورون لا يعرفهم عامة المثقفين من طلاب الدرس الأدبي، أمثال محمد بن ماسم المصري من القرن الثاني، ومحمد بن عبد الرحمن الشرواني من القرن الثالث، وأبو النضر المصري من القرن الرابع، وأن قنادوس المصري من القرن السادس، والخارجي ومون الدين بن المحسن من القرن السابع، وأدع هذا المأخذ، لأدعي ملاحظة في على النهج الذي اتبعه الباحث في تناول بونسوفه وعرض مادته. فلو كان على حتى حين قدر الصلة الوثيقة بين الأثر والحياة، ورأى ضرورة التعرض لبيان الشرواني التي أحاطت بالأثر الفني، لكنه لم يأت إلى، لتزيد أحيانا نفاذ بها لأحاجة الله لحلاء الأثر على حين أغفل أمورا أخرى حورية، احتاج إليها فهم التصوير ولمح شرارة الإلهام وأشرقة الرؤيا.

واحتاج، لكي أوفس هذه الملاحظة، إلى أن أشير هنا إلى مسألة دقيقة لم نغف من مال الباحث، وأعني بها مسألة «الخروج عن الزمن» للرسم فدماشي في القرن السابع الهجري، والمراجع التي اليه ماسم، ترجع إلى عصور سابقة، من الحاطية ومدر الإسلام، والدكتور بشر، مبلش إلى أن عناصر، التصوير موضوع البحث، من ماسم واشسك وشسفس، تنسب إلى الممر الذي عاش فيه الرسام وليس إلى عصر النعمة التي اليه البهت أو الميراث الذي عر منه. وذلك أسلوب معروف في الفن يوجه عام، وفي الزخرفة الإسلامية، والفن المسيحي بالشرق يوجه خيالي، والتقسيم الترانقشاهما لا تنصل بهوقف الرسام في الخروج عن الزمن، وإنما تنصل بهوقف الباحث، بين الأثر الفني الذي ينسب إلى القرن السابع، وبين بواعث الهامة، التي نرجع إلى عصور

وبنيته الإنشاء القوي، وخبرتي من التصوير قاصرة محدودة لأبأن لي في الجواة على التمرس لهذا الجاس من البحث، وأما أدع بالا أعرف إلى ما أعرف، بها حول النساوير بنصر من أدبية وظروفه تاريخية.

وهو نوع البحث ست تصاور - أو مشاهات، كما يحلو للدكتور بشر أن يسميها - تتأق مخطوطا من كتاب الأغانى، وكنت في بداية القرن السابع الهجري. وأجزاء المخطوط مشيرة - شأن كثير من ترانقات - من دار الكتب المديرة. وخزانة الكتب بامسطنبول، والخزانة الككة بكنساجان، وقد جمعها الباحث من ذلك الشنات المشر وعكف عليها، واحدة واحدة، بعلها الأخير الذي اليها من كتاب الأغانى. وسأنا ما لم أدقة، - ماسم - فتشكها الأثر ويستحق إمرارها لولاها مع مكان لجوها وظروفها التاريخية، انتبها بالبحث إلى خاصة فتشاور مع التصوير العرس الإسلامي. موضحة خياله المصري وأنداعه الشمس وجبايته الدينية، وموزة خصائصه فده، فذا، - عن طم التصوير الفارسي الذي الحق به التي عهد قريب والثلاث في البحث. هذا التصوير الواضح بجنمة الفاعل بين الأثر الفني والصفاء، ففخر ماسم، لنا هذه النساوير حياة عصرها وثمن مستواء الحضاري، يستد الباحث من بيئة الأثر وظروف الحياة من حوله، أشعة فمصره وتخلو وتكاف من السراير.

ومن هنا كانت الكتاب قصة كرى تتقوى بفسح الدقيق والنظر الفاحص، وتشتمل لنا فيما نصل عنه من باخذ قديمة.

قضايا نقدية

لكرت وأنا ألقى هذا الكتاب الجديد للدكتور «بشر فارس»، ماكان سنفا من خلاف حول الرمزية في الأدب، عندما لدبت ومبرجته «الجنة القصب» التي قرأ هذه الصفحة في الموسم الماضي. وقد عرض كل منا وجهة نظره في موضوع الخلاف، دون أن تتجاوز الخصومة في الرأي حدودها التقليدية الكربة، التي تحترم حرية النقاد وحق المخالف.

وبهذه الطمانينة التي ماغرلت في الدكتور بشر من شرف الخصومة الأدبية، أكتب اليوم عن مؤلفه الجديد، وأبدى رأيي فيه دون تحرج.

والكتاب يمثل أحد اتجاهين يدارس فيهما الدكتور بشر نشاطه: أدبيا مننفا، ودارسا باحثا. وقد بشير للوحة الأولى، أن الاتجاهين يشاعدان، لكن الذلرة الناقدة الفاحصة، لا بد أن تبرز النتائج في شخصية متكاملة، فهو - أدبيا - بفارس، عليه الفن مسلمات عقلية، وفنوايا بكربة، وهو - دارسا - بفارس نشاطه في البحث، بذوق الأدب ومزاج المثقف، وأثاره حيلة، تحل طابع هذه الشخصية المعززة، وماها تستند أصلها.

رسمة التخصص، تفضي على دراسات الدكتور بشر روح الحد، وثغرى بالتقدير والاحترام. فلو تدمت قائمة أبحاثه، لرايتها جديما في إطار الفن الإسلامي: تاريخا ودراسة، ولادركت على الفور أنه ليس من كتاب ألف صنف، الذين يرمسون الفلاهم طائفة في كل مجال، تكب في أي موضوع، وتبقى في كل علم وقت.

ويؤكد هذا الاحترام لشخصية الدارس، أنه لا يتردد في الإسمارة بذوى الخبرة كتابا وأجهته بمسألة دقيقة نأوت عليه. وقد سكاف من أجل هذا، مودة الإنسان، مدلهاء أحاطت بها حدث أثناء التذوق بهذا البحث، حين يكب إلى المشرق الفرنسي الروبر مائوران، وأبو الدكتور «السهيل أنور» حامية استمسون المستحقين فواض تصويره مخطوطا للأغنى في خزانة السلطانية بقرنبا، دين أن مزين له الضرور أنه سمع من بجره مليا، وأن ليس في الدنيا سواه.

ومع هذا الجديد، يكمل رسالة له في التصوير الإسلامي الأول، نشرتها مجلة المجمع العلمي المصري عام ١٩٥٥، وهو هنا يتابع دراسته للنساوير العربية التي أمكن العثور عليها في بعض ما أبقى الزمن من مخطوطات تراندا، وهذه الدراسة لا يصر على رسم النساوير، وأجود مصادرها الذاتية واستخلاص دلالتها التاريخية والاجتماعية، وإنما تتناول ماحولها من ظروف الزمان والمكان ما يحلو لنا الأثر الفني

الروايات وشاعتهم مراتها ..
ومثل آخر : مشهد غناء طويس المحدث،
الهمه خير في «الغاني» عن انتقال اهل
المدينة لآمان بن عثمان، عندما جاءها واليا
عليها لمدد الملك بن مروان ، فغنى طويس
وطرب الوالى . وفي التصوير كاس ،
قنبر بلا شك ، الى الشراب . ويحتاج فهم
الامر الفنى ، الى بيان موقف امراء الدولة
الابوية من شرب الخمر ، وقد سجله المقارنة
بما كان على عهد الخلفاء الراشدين ،
من اقامة الحد على شربها . و انهم ان
يتجاوز الدكتور بشر عن هذا ومثله مما
حول النص ، بمأثله من اهتمام بالتصوير
في عصر رسمها . لكنه بالمثل ان استطرده
الى فصل طويل عن «اغرام الطب بشرب
الخمر» نقلا من كتاب للغزولى في القرن
الناسع ، وعن وضع الحكماء بشربها ، تأثرا
برئيسهم «ابن سينا» كما اهتم بجمع شواهد
تاريخية ، على ولع امراء بني ايوب بشرب
الخمر ، مع نصوص مختارة من خبريات
لشعراء منتدبين ومتأخرين ..

ولا يعتذر للمباحث هنا ، بانه سائر
الرسم في الاخذ بمذهب «الخروج عن
الزمن» فذلك انما يكون ، لو قصر الدكتور
بشر اهتمامه على ما يتصل بالتصوير في
عصرها ، دون استطراد - لاوهى مناسبة
- الى ما لا يتصل بها الا عن قسرة
وتكلف .

اقول هذا دون ان اجدد بحال ما ،
قيمة ما جاء به الدكتور بشر في استطراداته
وبخاصة ذلك الفصل الحاصل عن
الاديرة . بل دون ان انكر انى تابعت
قراءته بمتعة واهتمام . وبهما يختلفا
في حاجة الموضوع الاصلى اليها ، فان
البحث ياخذ بلا شك ، مكانه الهام في مكتبة
الذوق الاسلامى .

هنا يختلف مفهومنا لما حول الاثر ،
بالدكتور بشر بخلاف ينفل الظروف التى
احاطت بالنص او الخبر المعبر عنه
بالتصوير ، اكثاف ظروف التصوير نفسها .
او بتعبير اوضح ، يتابع الرسام في الخروج
عن الزمن على حين ارى ان حلاء الاثر
الفنى ، يحتاج الى وقفة عند العصر الذى
تنشأ اليه القصة الملهمه ، لكن نفهم الى
اى مدى كان الرسام يعيش في جو القصة
التي استوشتها او الخبر الذى حرك وجدانه .

والغريب في الامر ، ان الدكتور بشر
والد نفض قلبه او كاد ، من جو الخبر
الملهم ، استطرده الى فصول مسهبه ، فيها
لا يبدو لى ذا صلة مباشرة بحلاء الاثر الفنى
من ذلك مثلا . تصويره لمشهد في دير
الرواهب ، الهما ماجاء بكتاب «الغاني»
من مقتل الشاعر «عدى بن زيد» فيلة ، لما
تزوج «هند بنت النعمان» فخرت «هند»
وخبست نفسها في الدير المعروب بدبر
هند ، في ظاهر الحيرة ، حتى ماتت ..

وفهنا للتصوير ، يحتاج الى بيان
لظروف زواج عدى من بنت النعمان ، وماذا
انكر ابوها من هذا الزوج . كما يضيفه
ان نعلم ما اذا كان تاريخ العرب عرف
رواحب اخريات غير هند ، لكن بالدير
فرارا من الحياة وما يواثى هذا الفرار ؟
وهل ابراهن القزح من صدمة حببائس
او حباهن من مطاردة الاشباح والامليات
والذكريات ؟

وذلك ما لم يهتم به الدكتور بشر من قريب
او بعيد ، وكنا نلتصق له وجه العذر ، لو
انه ركز اهتمامه كله في الاثر الفنى على
ضوء عصره ، لكنه لم يلبث بعد الحديث
عن التشكيل الفنى للاثر ، ان استطرده الى
بحث مستفيض في بيئة الاديرة ، ونظمها
وتفانيها ، واتوال الشعراء المسلمين من

التاريخ : ٣٠ / ٣ / ١٩٦٣

تحية الانتصار

الكلمة الخالدة

على طول الزمن ، ستظل كلمة الجزائر ، ومزا الشرف الانسان ،
ومعيارا لجوهر حقيقته ، وشعارا لبطولة ارادته ومجد انتصاره !

بطل : الكثرة بن السامور



عندما يمجز البسان امام روعة البطولة
لنعمى الفلم ان يمر عن محد الغدائنة ..
وينمتر اللسان مأخوذا بجلال النضال ..
يكفى ان نقول : الجزائر ..
لنقل عن كل تعبير وسان ..

عندما يبطل سحر الخيال امام معجزه
الحقيقة الماهرة ..
وتنهت الرزايا ، لي سنا الواقع المشهود ..
ريمز على الحلم ، ان يشارف المسال
النقطة الرائعة ..
حينما ان نقول : الجزائر ..
لنخلج شاعرنا بهزة السحر وللمس النشوة
وبهرة الجلال ..

بن بيللا .. وجميلة بوحريد
وحلاوة الانتصار

(٣)

عندما يؤدي هذا الجبل حسابه الى التاريخ ...
وبقدم الله رصده من ايجاد وبطولات ..
حسبنا ان نملئ عليه كلمة الجزائر ..
رمزا لكل كفاحنا من اجل شرف الانسان
وكرامة البشر ..
وغنوانا لمعاركنا الثورية التي خضناها
لكي نحرر الاديبة من مهانة الرق ومذلة
الاستعباد ..

وننقذها من سيطرة شريعة الغاب ..
ونعصمها من مخنة الكفر بالحق والخير
والجمال ..

عندما تحصى الانسانية شهداءها في معارك
التحرير ..
وتتمثل بمسارعهم الكريمة ، على ساحة
الشرق الكبير ..
من (البن دى فو) الى (بور سعيدوبنزورت)
تقلو كلمة «الجزائر» ..
تحية لكل شهيد ..
وهدية الى كل فدائي بطل ..
وتذكارا لجدا للنضحية وعزة الاستشهاد ...

عندما تخجل الانسانية من عار نجازاكي
وهروشيبا ، ومسلون ودينشواي ..
ويئن ضميرها حزبا من مأساة فلسطين ،
وكارثة الكونجو ، وفواجع الفرقة العنصرية
ولفظاعات الاستعمار ..

تلوذ بكلمة «الجزائر» فنستقر عارها ..
ونردالبها اعتبارها المهذوشرفها المنلوم ..
ونفرد بها بالاهل في انتصار الانسان ..
على الشر والندالة ، والبغى والاجرام ..

عندما تكلف الانسانية جائزة بين مفترق الطرق
ومنشعب الدروب والمسالك ..
ويثودها الدفع وال جذب ، في خضم المذاهب
ومعترك القوى وصراع القيم ..
حسبها ان تهتف بكلمة «الجزائر»
لتسترد وعيها وتبلك رشدها ..
وتؤمن بطاقتها المعنوية على مقاومة ضراوة
المادية ، والنجاة من وثنية النخبة وجعود
الالية ..

عندما تتكاثف الغيوم على الافق ..
وتتجمع سحب الحيرة والخوف والقلق ..
منذرة باعصار مارد ، يحتاج حضارة البشر
ونقوض ما بنه الانسانية في طويل العصور
والاباد ..

نقالق كلمة «الجزائر» بحروف من نور ..
فتبدد السحب الغاشية والغيوم الربداء ..
كاشفة عن الجوهر الاصل لحقيقة
الانسان .. ومؤكد اصراره على ان
يسحق اعداء البشر ..
لصوص الشعوب ، ومصاصي الدماء ،
وزراع الحقد والضغينة واليغضاء ..

عندما نروع الانسانية بسباق النسلع
المجنون ..
وبصك سمعها دوى الجوارب النووية
الرهبية فوق سهوب سيبيريا ورمال
الصحراء ومياه المحيط ..
وتكاد تخفق ، بالغبار الذرى الذي ينتشر
في الجو ويسيم الهواء ..
تردد في مخنها كلمة «الجزائر»
فوجد فيها الملاذ المعاصم من السياس ،
والانهيار ..
وتابى ان تستسلم ، ولديها هذه الذخيرة
من الشرف والاسنيبال ، والصمود والاحتمال
وفنها هذه الطاقة العجيبة ، من ارادة
الحياة ..
واماها هذا المشعل الوهاج ، لا تطفئه هوج
الاعاصير والنفاس الشيطان ..

وعلى مر الزمن وتتابع الاجيال ..
ستظل كلمة «الجزائر» رمزا لشرف الانسان
وشعارا لكرامته ..

ومعبارا لجبروت ارادته واصالة جوهره ..
وقبسا من نور ، يهدي البشرية في مسراها
كلها دجى ليل وادلهم ظلام ..
على توالي العصور وتعاقب الازهار
ستظل ارض «الجزائر» مزارا مقدسا

تحت الله الانسانية جيلا بعد جيل ..
لتسجد على الثرى المبارك الطهور
وتلثمه في خشوع واجلال ..
تهجيدا لذكرى الاحرار البواسل ..
الذين ردوا اليها اعتبارها المهذوشرفها

المسلوب ..
وتوجوا الكفاح النبيل لشهداء الحرية ..
في كل مكان من هذا الشرق المشرق
الذي عرفه التاريخ منذ كان ..
مهذا للرسل والانبياء

ومرثلا للقيم الروحية والمنزل العليا ..
ومنبقا طيبا للبطولات الكبار ..



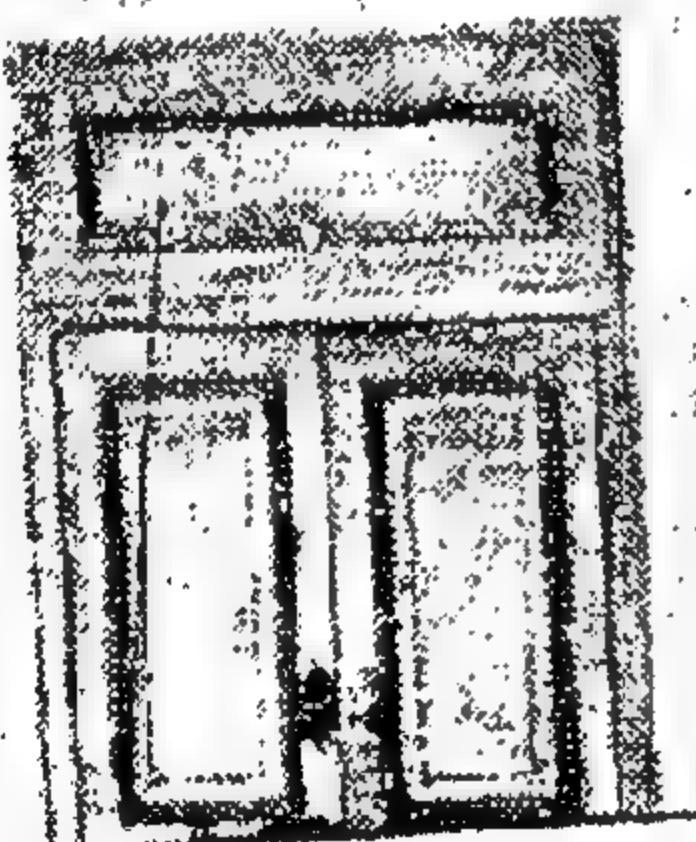
كتاب من بيروت

محكمة

يقام

الدكتورة بنت الساطع

محكمة



« هل من حق جامعة بيروت الامريكية ، ان تتولى الوصاية على الادب العربي ، فتتفرد باختبار قضايا يحكمون على المشتغلين منا بدراسته ، وتنشر احكامهم دون مناقشة ، او تعقيب ، او دفاع ؟ »

عقدت هذه المحكمة في بيروت ، بدعوة من جامعته الامريكية ، في شهر ايار عام ١٩٦٠ .

وكانت محكمة ، بلا محاكمة .. فلم يسجل فيها اي دفاع عين صدرت عليهم الاحكام ، كما لم يدون فيها اي اعتراض او تعقيب او مناقشة ..

وانما تتابع لضانها العشرة على منصة القضاء ، فتناول كل منهم عصرا من عصور الادب العربي . ولقد صحنه بمالف فيه من دراسات في الاعوام المائة الاخيرة ، ثم اصدر حكمه على اصحاب هذه الدراسات

وبصفت «هيئة الدراسات الادبية بجامعة بيروت الامريكية» هذه الاحكام بخاتها ثم سجلتها فصلا عشرة ، في كتاب مطبوع نشر حديثا في بيروت ، في نحو خمسمائة صفحة من القطع الكبير ..

ووزعت الالوف من نسخة ، على نطاق واسع ، في مختلف اقطار الوطن العربي .. وطارت نسخ اخرى الى دور الاستشراف ومراكز الدراسات العربية في الغرب ..

« مذمومة هذه الاحكام على دارسي الادب المعاصر ، بما لد يشوبها من خطأ او قصور او تجن ..

دون ان تقاح معها فرصة لتصبح او استندرك او دفاع ..

ولست انصور ان اتوال القضية العشرة قد برت هكذا في جامعة امريكية مع مناقشة ..

وتلك نعل العالم العلمي الكبير
«المسيح عند الله العاللي» حين وزع
الجزء الأول من مجلته الحلل، على اعلام
الدور، وطلب منهم ان يدوا آراءهم
ليه .

والقياس هنا مع الفارق
المعجم اللغوي لا يمس احدا ولا يشهر
بأحد، ولا يصدر على دارس او هيئة
حكما جائرا او غير جائر . .

وليس الامر كذلك في كتاب كهذا، يأخذ
سنة القضاء، دون ان يتوفر له ما يقتضيه
من حرمة وتقاليد . .

وبيان ذلك، ان هيئة الدراسات الادبية
بحامية بيروت الامريكية، قد اعلنت
باعتنائها الى القضاء العشرة الذين
اختارهم «من فرسان النقد الجليل» ومنهم
كل ثلثها، اعدوا على انظارهم راء
محقق، ونشروا ما عثر في الكتاب ليرد
بين كنده الادب العربي قديما وحديثا
لا يفتي منه اي كتاب آخر في هذا
الموضوع المتراعى الامارات

وتد وزعت مناطق المدان على «الفرسان
العشرة» لاخطت جولتهم فيه تيمنا
لاختلاف شخصياتهم وطرائقهم، ونفاوت
الموازين، التي حكوا بها علما معتم
الدورين، تبعاً لنفاوت مقبولهم من
الاجابة والخبرة، ومن العدالة والصادق
. . غير ان الكتاب يدعو مع تلك النفاوت
بشئ الخطوات، ووجد الهدف، وكأنا
كانوا جميعا يحررون في انشوا مرسومة
ليتموها آخر الامر الى الوقوف على
نصبة القضاة، واضدار الحكم على من
اشغفوا بالدرس الادبي عذنا به افرادا
او هيئات، في القرن الاخير .

والجامعة الامريكية طعنت كذلك الرزان
تضائبا فيما اسدروا من احكام، قد
نصموا كل ما في مكتبة الادب العربي
من مؤلفات الدارسين المعاصرين، او
اجاموا بها ملها على اهل تقدير، ومن
هنا سجلت على غلاف الكتاب «ان كل
دراسة من دراساته العلوية الرصينة،
قد اردت بثبت كامل بكل ما كتب عن
العصر الذي عالجه تلك الدراسة،
وبجميع المصادر والاصول التي نشرت من
آثاره .»

ولا احاول الان، ان اشرح هذا الاحماء
لادل على ما شانه من نقص وتصوير،
وما اعوز من احاطة وشبهل، وانما
حسني ان آتي هنا ما فرار بعض الفضاد
انفسهم . .

فالذكور محمد يوسف بحم، الذي
صالح وحال في حلة الادب العربي الحديث

بل الذي سمعته، ان قاعة المحكمة كانت
تضج بالخصومة في الراي، وان احكامها
بميتها قد طعن فيها بالجور والتجني .
وامسك هنا عن الخوض فيما سمعت
حيث لم اكن من شهود الجلسة، وانما
هي شائعات مفضانة، التخطبها اثنائي
من مروت وديني، ورددها بعض من
لبيت من الزلاء، في مؤثر القاهره لكتاب
اسما والفريقا . .

ولقد جرى العرف في المختبرات العلوية
والحلفاء التراسبية، ان ندون مناقشات
الاعضاء، لما تلقى فيها من بحوث، كي
تسجل في الكتاب الذي ينشر من اعمال
المجلس . .

وهذا كتاب بيروت بين يدي، لا اثر
فيه لشيء من ذلك، وكأنا اكنفي شهود
المحكمة، بالاصفاء الى حديث تضائبا
العشرة . .



ودون قصد الى تجريح الهيئة التي
تولت امر المحكمة . .

ودون قصد كذلك الى المساس بالقضاة
الذين اختارهم للهيئة الخفية . .
ارى الجامعة الامريكية في بيروت لا قد
تجاهلت حق الجامعات الاخرى في ان
يكون لها راي في اختيار اولئك القضاة
وكانت جديرة بان تحرض على التعاون
العلمي مع الهيئات المختصة، مختلف
الانوار العربية، فيما تسدت له من عمل
تضائي خطير، لا لان الامر يمس سمعة
الهيئة فحسب، ولكن لان الادب العربي
كذلك، تراث مشترك لا تملك هيئة
واحدة ان تدعي الوصاية عليه، فنفسه
بالحكم على المشتغلين منا بدراسته .

ومن شأن التعاون العلمي في مثل هذا
العمل، ان يوفر له من الثقة والسلامة
والحداد، ما لا يمكن ان يتقيا لهيئة
واحدة تستغل بالامر .

اما وقد نلت الجامعة الامريكية ان
تعمل، فهلا عتب سواد الكتاب التي
عدد من الخبراء، ليروا رايهم فيما
صدر من احكام، قبل ان تنشر ونذاع،
ليس هذا التقليد مدعا في الاوساط
العلمية، ولا هو بغريب علينا نحن العرب
فجميع اللغة العربية بالقاهرة لم يرفض
ان يستل بالراي في معجبه الكيم، بل
مرش نجرينه على المشتغلين باللمسة
العربية في شئ اقلها، به لم يتردد
في اعادة طبع الجزء الاول منه، وقد انفق
عليه ما انفق من جهد ومال، ليتسدم
نعمرة جديدة، في ضوء ما لقي من مآخذ
وملاحظات . .

باسم المؤنبر الذي انعقد في بيروت ، فليس
بالسهل تشيئة احازرة هذه بظنهم . فليها
التي منصومة بخادم الهبة التي تسمى
ان المؤنبر ، واخذت اصحاب الدلام
... وسيلت شر احكامهم . . .

وعو وضع مختلف تبايا عن التاريخ
الخاص ، الذي يقدم فيه الناقد احكامه
باسمه ، ويحفل وحده بمسؤوليتها .
اريد ان اتول : ان هذه الاحكام النقدية
تدخل الميدان الثقافي والعلمي للعرب ، وفي
الحساب انها عرفت في مؤنبر دراسي
متخصص ، وفي الحساب كذلك ان هيئة
للدراسات الادبية اشرفت على اعدادها
ونشرها . . .

وبهذا الاعتبار ، تداع احكام القضاة
المؤنبر ، طر دارس الادب العربي
مذا : ماوعة بسطة ، مصدره مكتبة
للكور نبيه فارس ، رئيس الهيئة ، يتول
فها .

« اتنا في هذه الدراسات لا نروج
لفكرة ما بل للفكر . . . ولاجرول على التفكير
الحر الا الرجل الحر . . . وبالفكر الحر
فقط ، تستطيع الداد العربية ان تصل
الى غايتها : مجتمع حر في عالم حر ،
يساهم في التاريخ مساهمة حرة ، ويخلق
جزءا من حضارة العالم »

ولعل قومي هنا ، يعتقدون ان يتالعوا
ثم ادب من تلك الاحكام الحرة التي تستقيم
بها بلادنا ان تصل الى مجتمع حر في
عالم حر ، وهذا ما ارجو ان احاوله في
ترجمة قريبة ان شاء الله

ختم احكامه على المشتغلين بدارسته قائلا :
« لا اظن انني بحاجة الى ان افول
انني لم افرا جميع هذه الكتب والمفالات
التي اوردتها في الكتاب ، فمثل هذه
القراءة تتطلب وقتا اطول وجهدا من نوع
آخر » ص ٢٨٢

والذكور انطون غطاسي كرم ، الذي
اخضع لدارسي الشعر العربي حسي
الحر عهد المنس ، امري ان الباحث فيه
لد فرغت وتكارت حتى بات استقصاؤها
عسرا في حيز المنح الواحد ، ولذا
الفا الانصار منها على التصنيف العام
نمعا لبرز المناحي ، فاخترنا اسنبا مختلا
لهذه المناحي ، وما اعتدناه بمرادها و
بانه « ص ١٢٤

والذكور جبرائيل جبور الذي درس
الحكم على دارسي العصر الادبي
اتر « بانه يستعمل على الباحث انا كان
ان بقرا في مدى بضعة شهور ، او يرى
كل الكتب والمفالات الملزمة التي تعالج
الادب في عصر كبير غني من العصور

العربية ، ثم يتقدها ويقيها . فلست
اكنكم ان هذه الدراسة التي بين ايديكم
وهذه الجداول - المحصية للمؤلفات
الدارسين - لست كل ما يمكن ان يوصل
الله « ص ٧٧ ٩٩ .

هنا يقال مع هذا ، ان كل دراسة
من دراسات الكتاب : قد اردت بشدة
الكل بكل ما كتب عن العصر الذي عالجته
ويجمع المصادر والامور التي نشرت
من المارة ؟

واحكام الكتاب النقدية . تد نشرت

التاريخ : ١٣ / ٤ / ١٩٦٣

كتاب من بيروت

٢

مراكز الإشعاع الفكري



د. طه حسين



الشيخ الخضر



الشيخ محمد عبده



عبد الراهب عزام

وعدت قراء الادب ، ان اقدم النظم هنا نماذج من الاحكام التي صدرت باشراف هيئة الدراسات
الادبية لجامعة بيروت الامريكية ، على الدارسين العرب لادبنا في مختلف عصوره ..
واحاول اليوم الوفاء بما وعدت ، في حدود ما سمح به المجال ، وفي نطاق ما يبلغه علمي بما
تناول كتاب بيروت ، من دراسات معاصرة للادب العربي .
ومسما للوضوح من التشتت ، انظر هذا المقال على الفصل الاول من الكتاب ، وهو خاص
بالمعصر الجاهلي الذي تعدد الدراسة الادبية (الاكاديمية) اساس البناء ونقطة البدء والمادة
الانطلاق ...
وبنبر الفهم الصحيح لادب الجاهلية ، يكون الانشغال بدراسة الادب العربي في اي عصر من
عصوره ، عينا ومضمنا للجهود ، لانه منقطع الصلة بالجذور والاساس .
وبلندر ما يولي الجامعات هذا الادب الجاهلي من عناية ، فتعددها لمدان الدراسة المنهجية
لادبنا العربي ..
وبهذا المنبر لاهمته وخطره ، ننظر في صحفنا التي نشرتها جامعة بيروت الامريكية ، بقلم
« الدكتور صالح المكي » احد الفخهاء العشرة الذين اختارهم الجامعة « لتقديم كل ما ساهم به
العرب كتابة ونشروا ، في السنوات المائة الاخيرة من دراسات للادب العربي »

قدمها : الدكتور صالح المكي

وتعاون عليها : الدكتورة بنت الشاطي

« وقد انشئت في بيروت ايضا كلية سنت جوزيف سنة ١٨٧٥ ، واصدرت منذ سنة ١٨٦٨ مجلة « المشرق » التي تتميز باهتمامها بالادب المسيحي والتاريخية والادبية بصورة خاصة وكانت شديدة الصلة بالغربيين ، فاستفادت منهم وتأثرت بهم ، ونشرت للكثير منهم . وقد اولت الادب الجاهلي عناية خاصة . نشرت بعض دراويته ، ونشرت ايضا ابحاثا تقسم بفقرات المادة وحسن العرض ، والنظر الى مواضيع جديدة ما كانت الناس تلمح لها من قبل ، غير ان هذه العناية بالادب الجاهلي ، تركزت بصورة خاصة بالاب لويس شيخو الذي نشر اقلية المقالات حوله فيها . وقد نشرت للاب انستاس الكرملي مقالين من الادب الجاهلي ، ومقالة عن عاصلة في نجد !! » ص ١١ : ١٢ .

وبهذا الرصد ، اخذت بيروت ، بكليةها الانجليكانية وسنت جوزيف ، مكان الصدارة لمراكز الاشعاع الفكري ، في مجال الادب الجاهلي ...



وتأتي مصر بعد هذا ...
فاذا الاهتمام الاكبر للدكتور العلي في الحديث عنها ، موجه الى علم الدراسة الادبية بها ، الى ان جاء الرسل من اوربا سن عشرين ومئتين واستشرقين يحملون اليها اشعة الشمس النور (واكسبر) الحياة ٤ (ص ١٤ : ١٦)
واستفرغ الدكتور اكثر جهده في هذا ليقول بعده على حبل :

« لم ير ان هذه الدراسات - الجديدة - لم تشر الاساتذة والطلبة كثيرا بمبدل ضعف مساهمة دار العلوم في دراسة الادب الجاهلي حتى العقد الرابع ، حيث بدأت مساهمتها النشيطة ، وخاصة بشكل بحوث ماجستير ودكتوراه ...
« ولما اصحت الجامعة المصرية حكومية ، صار له حسين يدرس الادب الجاهلي . وقد اثار محاضراته بعد طبعها في الشعر الجاهلي ، وفي الادب الجاهلي ، ضجة كبرى ... غير ان كافة الردود التي نشرت عنها ، كلها اناس لم يدرسوا او يتصلوا بالجامعة !! »
انه لم يقدم اي بحث عن الادب الجاهلي

وكان « الدكتور العلي » على حق حين قدر « ان الاهتمام بالعصر الجاهلي والبحث فيه ، الصق بالنطاق الاكاديمي . لذلك لابد ان تكون الجامعات والمعاهد الدراسة الاكاديمية ، اهم مراكزه »
ولذلك ، ايضا ، اعطيه واعلى نفسه من مناقشة احكامه على الجهود الفردية في الميدان ، وحسبنا ان ننظر في احكامه على الهيئات المشتغلة بدرس الادب الجاهلي .

وقد اتجه اول ما اتجه ، الى ترتيب هذه المراكز ، حسب اهميتها واسبقيتها ومفروض طبعها ، والتضحية خاصة بالادب الجاهلي على وجه التحديد ، ان يقوم الترتيب على اعتبار الرصيد العلي لكل مركز منها .

قال الدكتور العلي :

« كانت دراسة الادب الجاهلي تجري على اساليب قديمة مستقرة ، ولكن ظهرت بجانب دراسات تتبع اساليب جديدة وتهتم بنواح جديدة ... وكانت اكبر مراكز الاشعاع لها ، الجامعات التي انشئت على نمط غربي او تأثرت به ككلية سنت جوزيف والكلية الانجليكانية - الجامعة الامريكية - في بيروت - والجامعة المصرية ، ودار العلوم ، وجامعة الاسكندرية » ص ١١

ثم استطرد ، يقدم ، حيثياته :
« ان اهم مراكز الدراسة المنظمة من الجامعات والمعاهد العالية . واقدبها الجامعة الامريكية في بيروت - سنة ١٨٦٦ . ويظهر من انتاج اساتذتها قلة اهتمامهم بالادب الجاهلي ، اذ لم يبحث فيه منهم احد او ينشر مخطوطا !!
اللهم الا انيس المتدني الذي تقعد في كتابه (تطور الاساليب الشعرية) فصلا تصيرا من العصر الجاهلي ، هو بمثابة مقدمة بحث من العصر الاموي والعباسي . ولم تقدم هذه الجامعة اية رسالة ماجستير با عدا رسالة كمال يازجي عن (استعراض) للاتجاهات المأهولة للشعر العربي القديم ولما يطبع اي بحث عن الادب الجاهلي او شعرائه ، الامر الذي يوحى بعدم اهتمام الطلبة في هذا الموضوع ، وتشد يشير الى عدم استئثار المدرسين الطلبة الى مشكلته ودراستها .

(٣)

وفي منطقة الظل، وراء مراكز الإشعاع جاء « الدكتور العلي » بأقطار العربية الأخرى في فترة واحدة من خيبة أسطر (١٧) نذكر للعراق محاضرات لمعروف الرصافي ومهدي الصير ، ولتونس كتابا لحمد الخضر حسين عن حياة اللغة العربية، وللجزائر طبعة من ديوان علقمة عام ١٩٢٥ .

فهلا ذكر للسودان كتاب « الدكتور عبد الله الطيب المجذوب : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعاتها » وهو قريب في بابه ٢ .

وهلا ذكر للفلسطين ، كتابي الدكتور ناصر الدين الأسد : « مصادر الشعر الجاهلي وقبيلتها التاريخية - القبان والغناء في العصر الجاهلي » للذين اكتمل الدكتور العلم، بذكرهما في قائمة

الدراسات المطبوعة بالكشاف :

ولسائل : أين « دمشق » فلا تجد بها ذكرها .
كان لم تكن مركزا من مراكز الدراسة الجادة للادب العربي . . .

وكان ليس لها مكان في هذا المعرض بينونها العلمية العريقة ، وبجميعها العلبي العربي الذي أتم - يوم انعقاد مؤتمر بيروت - عامه الثاني والأربعين ، في خدمة العربية : لغة وأدبا . .

ونذكر الدكتور لبيروت مجلة المشرق ولم يذكر لدمشق مجلة المقتبس بقديم جهودها في الميدان . ومجلة المجمع العلمي العربي التي قدمت حتى عام ١٩٦٠ ، ثمانية وثلاثين مجلدا ، لم يكد يخلو واحد منها ، من بحوث في اللغة العربية وآدابها ، بأقلام علماء الشام . بل أن العدد الأول منها ، قدم بحثا في «معلقة طرفة بن العبد» بقلم الأستاذ عبد القادر المغربي .

وحين سرد الدكتور في الكشاف ، ما نشر في المجلات من مقالات عن العصر الجاهلي ، اسقط « محاضرات المجمع العلمي العربي بدمشق » وقد نشرها في مجلدات ضخام ، ومنها في المجلد الثاني وحده - مثلا - أربع محاضرات عن العصر الجاهلي للأستاذ : عبد القادر المغربي ، ومصطفى الشهابي ، وجعفر الحسني ، ولشؤاد الخطيب .

كان ليس لها من القيمة ، ما لمقالات صحافية في مجلات المكشوف والهلل ووادي النيل والكشاف ، أثبتها الدكتور العلي في كشفه (ص ٥٧)

حتى سنة ١٩٤٠ حيث بدأت مثل هذه الرسائل تتنازع فيه . . . وقد طمعت الأغلبية المطلقة لهذه البحوث والمؤلفات ، بل إن بعضها يعود لطبعة « كتن » ولا التزم « الدكتور العلي » على ما أغفل هنا من أثر الضجة الكبرى التي أحدثها استاذنا الدكتور طه حسين ، في زلزلة قواعد الجهود في المدرس الأدبي ، واحتدام معركة لتحرير مناهجه ، شارك فيها اساتذة جامعيون ، أوقفهم الدكتور العلي بمعزل عن الصراع . . .

لكن استغرب حقا ، أن يقرر « أن كافة الردود التي نشرت من القضية كلها أناس لم يدرسوا أو اتصلوا بالجامعة » ثم يأتي بعد صفحات تثبت بين أصحاب هذه الردود ، أسماء الاساتذة : الشيخ محمد الخضري والشيخ محمد الخضر حسين ، والشيخ محمد أحمد الفهراوي ، والدكتور محمد فريد وجدي (٣٥ ، ٥٤) كما يذكر من بين الذين خانوا المعركة ، التي اعتبت القضية ، الاساتذة أحمد أمين ، وعبد الوهاب عزام ، وزكي مبارك ، ومحمد عبد المنعم خلجاني ، ومحمد حسين (٣٥ ، ٣٦)

كذلك لا أتأهت في الموضع الذي اختاره لجاهليات مصر ، بين مراكز الإشعاع الفكري ، بعد كليتي بيروت وأنها احتكم إلى الكشاف الذي ذبل به حديثه عن العصر الجاهلي ، فإرى جامعاتنا قدبت القدر الأكبر من الرصيد العلبي في هذا الميدان . . .

دون حاجة إلى أن استذكر علي الدكتور ، ما فاته من دراسات مطبوعة قبل عام ١٩٦٠ لاساندة في جامعاتنا . ومنها على سبيل المثال ، لا الحصر : كتاب الدكتور إبراهيم أنيس في «موسيقا الشعر » وكتاب الدكتور طه الحاجري « في تاريخ النقد » وكتاب لي عن « الخنساء » لم يجد مكانه في الفصل الخاص بالعصر الجاهلي ، وانتقل بقدرة قادر ، إلى الفصل الخاص بصمد الاسلام .

بل دون حاجة كذلك ، إلى أن أذكر مصر ما قدمت للمهاجرين من دأري الادب العربي ، من بيئة طيبة صالحة كريمة ، أثبتت البذور التي لفظها بينها الأولى ، لنها مثل « جورجى زيدان » أن يصير من أشهر مؤرخي الادب العربي في عصرنا ، بما ألف فيه هنا من دراسات وبحوث قيمة ، وذلك ما لم يتبع شيء منه لزملاء له ، هاجروا إلى أمريكا فما اتجه أحد منهم إلى المدرس الادبي للعربية

(٤)

وماذا عن مؤسسات النشر لاصول
ادب الغربى ؟
قال الدكتور : « اكبر مؤسسة لها في
روت ، هي المشرق ، ودار صادر ، أما
مصر فدار الكتب المصرية »
واستطاع « دمشق » فلم يذكرها ولو
اساءة تشعر انها خطرت بباله ...
واستطاع مؤسسة قامت هنا من قديم
اشرف الامام الشيخ محمد عبده ، لطبع
الكتب العربية ، وقد نشرت عدداً من
إمهاتها ...
ونسى مطبعة بولاق ، التي نشرت
فيها نشرت - لسان العرب (١٣٠٨ هـ)
والمفصص لابن سيده ، والأغاني (١٢٨٥ هـ)
ودبوان الحماسة ، والمثل السائر لابن
الاثير (١٢٨٢) .
ونسى ان في القاهرة ، مؤسسة اسمها
« دار احياء الكتب العربية » واخرى
اسمها « دار المعارف » نشرت ثلاثين
ذخيرة من ذخائر العرب .
اقول هذا انصافاً لدمشق والقاهرة ،
دون ان اجحد ما لبيروت من جهود نوه
بها الدكتور العلي ، بل دون ان أنكر انها
كانت حقاً من مصابيح الدرس الادبي
الحديث .
لكن ليس على هذا النحو من حيث
يستمد المضاج كل زبته من الغرب وحده
(ص ١١) .
فدراستنا للادب الجاهلي لم تكن
امتداداً لخطه الغرب في تناوله وفهمه
وتوجيهه ، ولا كانت تدور في فلك
المستشرقين والمتعربين ، بل لعلها -
بشهادة الدكتور العلي نفسه - كانت
رد الفعل ضدهم ، ومظهر للبحث عن
الذات العربية « ص ١٦ .
او بعبارة اصرح : كانت حلقة في
نضالنا التاريخي الطويل ، ضد الغزو
المعنوي الذي تعددت صورته وازيادته ،
من اسرائيلية ، الى شعوبية ، ثم الى
صليبية واستعمار !



كتاب من هدايت

السرا المظهير !

يكشف عنه : الدكتور وليد عرفات

وتعاون عليه : الدكتور بنت الشاطئ

« كل الذين اشتغلوا منا بدراسة الشعر في صدر الاسلام ، وقعوا في خطأ اساسي ، دعا الى التخطي والتناقض ، والتكلام الذي لا يقوم الا على اساس نظرية او تخمينية .. باستثناء اثنين من الدارسين ، كتبت لهما النجاة من هذا الخطا وما اعقبه من تخطي وضلال » .

وكتاب « بديع القرآن ، لابن ابر
الاصبع المصري - تحقيق الدكتور حنفي
شرف - القاهرة ١٩٥٧ » .
ومن رصيدها في الدراسات الادبية
القرآنية، مثل :
كتاب « من منهل الادب الخالد »
للدكتور محمد المبارك عميد كلية الشريعة
بدمشق .

وكتاب « القرآن المجيد » للسيد
الاستاذ محمد عزة دروزه - ١٩٥٢ .
وبحوث : من هدى القرآن - للتفسير
معالم حياته ومنهج اليوم ، للاستاذ
ابن الخولي ، وقد طبع بالقاهرة ،
ما بين عامي ١٩٤١ : ١٩٦٠

وكتاب « منهج الزمخشري في تفسير
القرآن ، وبيان اعجازه » للاستاذ
مصطفى الصاوي الجويني ، من جامعة
الاسكندرية ، وقد طبع بالقاهرة سنة
١٩٥٩ .

وكتاب « شرح دلائل الاعجاز » للاستاذ
محمد مصطفى الراعي

وكتاب « الشكل الادبي في القرآن
الكريم » للدكتور مصطفى ناصف

ولا يشير من قريب او بعيد ، الى
جهود لدار الكتب بالقاهرة : والمكتبة
الظاهرية بدمشق . فجميع فرائد وطوبى
تتل ان تولد الجامعة العربية بزمان ..
ولا كلية ، من المكتبة النجديّة

والمكتبة الزكية ، بما جمعنا من كنوز
ولا اشارة الى علماء الشام والعراق
وتونس والزيوتنة ، والليوان وفاس
والرباط ونظوان ، ما قدموا من جهد
سخي باذل ، في سبيل تراث العربية
والاسلام ...



ذلك حين تحدث الدكتور عرفات عن
الشعر في صدر الاسلام ، فكان « الخفا
الاكبر الذي وقع فيه دارسوه منا ، انه
تحاملنا او تغادينا البحث في صحة الشعر
المنسوب لشعراء تلك الفترة واكثره
مصنوع ...

« وهذا الخطا الاساسي هو الذي
يفتني اكثر الكتب التي تتعلق بمصر
صدر الاسلام » . س ٦٢

واعوزته الدتسة هنا ، او اعوزته
الصراحة - لا ادري ا - فلم يقل
ان خطانا الاساسي عنده ، اننا ايننا اذ

بهذا صدر الحكم في بيروت
والذي نطق به : الدكتور ولد عرفات ،
احد « الفرسان العشرة » الذين
اخترتهم « هيئة الدراسات الادبية في
جامعة بيروت الامريكية » وحددت لكل
نارس منهم نطاق جولته في ميدان الدرس
الادبي ...

وكان عصر صدر الاسلام - او بتحديد
ادق : عصر النبي صلى الله عليه وسلم
- من نصيب الدكتور عرفات ...

ولكن .. ما هذا الخطا الاساسي
الذي وقعنا فيه ، فاضطربنا وتخططنا ؟
وكيف نجا انسان فلفظ من ذلة
الضلال ؟

وراء ذلك سر خطير ، كشف عنه
الدكتور ولد عرفات ، من حيث يدري ولا
يدري ونشرته جامعة بيروت لفضلا
ثانيا في كتابها : الادب العربي في اثار
الدارسين .

ولنبدا الحكاية من اولها .



الجهز الادبي الموجه الى صدر الاسلام
لا يجد في راي الدكتور غير ناحيتين
القرآن الكريم ، والشعر المنسوب الى
شعراء تلك الفترة . س ٦٠
اما النثر الفني ، فلم يشأ سيادته
ان يستغل به ..

ولا انالشي هنا مؤلف الدكتور عرفات ،
من الدراسات الادبية للقرآن الكريم .
وما نشرنا من اصول تراثه في اعجاز
القرآن ...

اذ لا مجال لمناقشة من يقدم مثل كتاب
الاستاذ الكبير ، مصطفى صادق الرافعي
- رحمه الله - في « اعجاز القرآن »
بجملة واحدة هي :

« اما كتاب الاستاذ الرافعي فقد
كان في الاصل جزءا من كتابه في تاريخ
آداب اللغة العربية » . س ٦٠
وحين ذكر الذخائر التي حنقناها من
اعجاز القرآن - للباقلاني ، والرماني ،
والخطابي ، والجرجاني - اغفل الاشارة
الى محققها ، وكلهم مصريون !

واسقط من رميد مصر وسوريا ، و
التراث المحقق ، مثل :

كتاب « المحكم لابي عمرو الداني -
تحقيق الدكتور عزة حسن - دمشق
١٩٦٠ » .

المشركين - على أساس مقطعات
موضوعة عهدا آحيانا ، واحيانا منسوبة
من غير قصد ... ان البحث في شعر
هذه الفترة ، قل البحث في صحته بحثا
كائنا ، يؤدي دائما الى التخييل ،
والتناقض ، والكلام الذي لا يقوم الا
على اساس نظرية او تخمينية « من ١٢
ولما استعير الدكتور عرفات ، يقدم
الحكم عليهم بالخطا الاساسي ، والتناقض
والاضطراب ، والنخب ، كانوا جميعا من
الاساتذة المصريين والسوريين » .

وارلهم « الاستاذ احمد الشايب
الوكيل السابق لكلية دار العلوم » في
كتابه « تاريخ النقائض في الشعر
المعربي ، وتاريخ الشعر السياسي الم
متمم القرن الثاني » .

ونص حكم الدكتور عرفات :
« وهما كتابان من الصعب ان يعزو
الانسان لهما هبة علمية على كل حال
... ويكفي دلالة على ذلك ، المسارة
الفالية : على ان عصر البعثة امتاز في
النقائض بتدخل اليهود وتغير موقف
الشعراء بين مكة والمدينة ، وظهور اثر
الاسلام في الشعر ، وهذه النهضة التي
لايست الدعوة الاسلامية الجديدة » ٦٢ .
وبعد الاستاذ الشايب : جاء دور
الدكتور محمد حسين بن جابنة
الاسكندرية ، والدكتور شكرى نبسى
من جامعة دمشق ، من ٦٤ : ٦٥

ثم جاء دورى بين المحكوم عليهم
وكنتم اتوقع : ان يتعرف الدكتور
عرفات لبحث لى في « الاعجاز البياني
للقرآن الكريم » نشرته مجلة المحب
اللتوى بالقاهرة .



مصطفى منانق الراهمي



احمد الشايب

نجزم بانهم كل الشعر المروي عن عصر
النبي ...

وذلك في رأى السيد الدكتور عبد
وفلال ... او نص عباراته :
« ... فمن العبث ، الحديث عن
النقائض في صدر الاسلام - بين شعراء
النبي وشعراء المشركين - اذا كان
اساس البحث نقائض صنعها قوم بينهم
وبين روح تلك الفترة وحوادثها قرن
يزيد او ينقص (!!) ومن العبث تحليل
طريقة حسان بن ثابت - في مجاء

انما هو الصدى المردد لدمواوى مريضة
— غير طيبة — تسج بها الميدان الغربى
من منتصف القرن الماضى .. ولم يكن
هدفها جحد شعر السيرة ، وانما المسألة
أخطر من ذلك بكثير ، لانها أدخلت في
دراسة شخصية محمد صلى الله عليه
وسلم ، وأصول الإسلام ..

فكل أخبار الرسول ، وكل أحاديثه ،
جائت من طريق الرواية ..

ومنى اهتزت الثقة بالرواية ، أغمعنا
طريقنا الى معرفة تاريخ نبينا ، وتصدع
كيان « السنة » المصدر الثانى للتشريع
الإسلامى بعد القرآن الكريم ..

وليس صحيحا أن الدارسين العرب ،
لم يبحثوا في صحة شعر السيرة ،
لحسن وغيره من الأسباب ..

فمن قديم ، من عهد الإمام مالك ،
بما راوى السيرة ، كان تجريح
واتهام ..

و « ابن هشام » كاتب السيرة نفسه
أشار الى الشك في بعض أشعارها
وابن سلام ، ثم غرر للتفتيش في « طبقات
الشعراء » أول كتاب نشره في نقد
الشعر العربى ..

ومحققو السيرة — طبعه الحلبي —
وكلهم عرب مصريون ، قدبوا بين يدي
الكتاب كلاهما طويلا في الموضوع ..

ليس صحيحا أن « أننا انتظرنا حتى
جاءت جامعة لندن ، تهدينا سواها
السبيل .. »

ولا كنا في غفلة من هذا ، حتى كشف
الدكتور عرفات عننا الغطاء ، وأذاع
السر الخطير ..

كل ما في الأمر ، أننا تفارنا قضية
الوضع والرواية ، على منهج علمي لم
ينحرف به زيغ الهوى وضلال التقمص
وفتنة الاستهواء ..

وبحثنا أحرارا ، التماسا للحل
وحده ، واحتراما لعقولنا وسمائنا ،
ونقدنا لخطر الرواية ، من حيث هي
سبيلنا الى « السنة » وإلى معرفة قديم
العربية والإسلام ..

وكنت بحيث أرجو الدكتور عرفات
أن يقرأ مواد السيرة وحديث ، وتفسيره
والتملق عليها ، في الترجمة العربية
لدائرة المعارف الإسلامية .. لكن ..
ماذا يجدى الرجاء ؟

لكنه اختار أن يجيء بى ، في كتاب

لى عن الخساء !

يقول الدكتور عرفات :

« ... كما ظهرت دراسة جدية ولو
أنها قصيرة ، للدكتورة بنت الشاطئ ،
ولا يسع الإنسان إلا أن يقول أنها
فرت من الممركة — يعنى الانتحال —
قبل أن تدخلها » ص ٦٦ .

والكتاب مطبوع .. يشهد أنى مسا
بدأت دراستي للشاعرة ، إلا بعد أن
فرغت من قضية عنوانها : الشعر
الجاهلى والشك فيه . وقد استفرد
حديثي عنها خمس صفحات كاملة
(١١ : ٧) .

ولكن ما الجيلة والسيد الدكتور لا يتصور
أن أحدا من الدارسين العرب نجأ أو
يكن أن ينجو من الغطا الاساسى ، إلا
انثنين فقط ، استثناء من الحكم
القاسى ؟ قال :

« .. بل لا يعرف الكاتب دراسات
تفارلت صحة هذه الأشعار ، غير رسالة
الدكتور عبده عزام عن صحة شعر
السيرة ، ورسالة كاتب البحث —
الدكتور وليد عرفات — عن صحة الأشعار
المنسوبة الى هسان » ص ٦٣ .

ولزيد بيان ، أقول :

الرسالتان كلاهما ، مكتوبتان
بالانجليزية ..
والدارسان ، كلاهما ، أحدا بحثهما
تحت إشراف أساتذة انجليز ، وألا بها
درجة الدكتوراه من جامعة لندن في عام
واحد (١٩٥٣) .

وبسكين نحن الذين لم نتج لهم ثمة
الدراسة العليا لادب العربى في جامعة
لندن ..

والظاهرة اللافتة حقاً ، اهتمام جامعة
لندن بمسألة شعر سيرة الرسول ، وشاعر
الرسول ...

وهل جاء الدكتور عرفات بجديد
حين وثق في جامعة بيروت الأمريكية
بمثل باسم الحرية :

« من الصعب الحديث عن شعر مصر
النبى ، وشاعر النبى ، إذا كان أساس
البحث نقائض صنعها قوم بينهم وبين
تلك الفترة وحواشيها قرن يزيد أو
ينقص » .

كلا .. لا جديد .

كتاب من بيروت

افضل الموازين .. وضلال المقاييس

الفصل الثالث من كتاب ((الادب العربي في آثار الدارسين)) خاص بدراستي ادب العصر الاموي .
وفارس هذه الجولة ((الدكتور جبرائيل جبور : عضو هيئة الدراسات الادبية لجامعة بيروت الامريكية))
وأركز حديثي ، والمجال ضيق محدود ، في ظاهرة لفتتني حين قرأت هذا الفصل
وتلك هي ظاهرة اختلال الموازين وضلال المقاييس .



ويكتشف اختلال الموازين ، حين بنصدي قنسيان من حيلة
واحدة ، للحكم على دراسة أدعة واحدة ، فمدير الاحكام
متفاوت ما بين الاعداد والامثال .
واختلاف الاحكام على العمل الادبي ، باختلاف تقادير
ومذوقه ، امر بالذات لا غرابة فيه .
اما حين نؤمن الحكم على دراسة أدبية فبالفروض ان هذه
الدراسة تستخدم لسواها من جهة ، هي التي تحكم في المنهج .
وحين يخلط النقد في الحكم على درسي ادبي ، فان شجرة
الحلال بينهم تتبدل ، بتقدير تراجيديهم في التقدير ، وتنازليهم
في المستوى العلمي ، ووعدهم لاسول المنهج التي تحكم
الدارس والنقاد على السواء .

وواضح ان الداعية الاجريكية ، هي
التي افتردت باختصار التفسير العلمي ،
ولاد انها خضعت في هذا الاختصار لقياس
واحد وان لم منسج عنه ، ككفاء بنويناها
انهم جميعا من خيرة الدارسين الادبيين وفارسان
الذوق المحللين ، وفي ظروف كهذه ، لا مفرور
ان يصل الخلاف بينهم في الحكم على درسي
ادبي واحد ، الى المدى السعيد ، ما بين
الاعداد والامثال .

ولعل القراء يتذكرون ما نقلت عنهم في
الاسموس المائتي . من حكم «الدكتور وايد
عرفات» على شالي اناريج الفخافين ،
وتاريخ الشعر السيلاني «للمسائل احمد
الشاب» .

الكتابان من الصعب ان نعزو الانسان
لهما هيئة علمية على كل حال «سي ٦٢
نلبسوا اذ حكم «الدكتور جبرائيل
جبور» على اول الكتابي :
«والكتاب علمي في مناهج ونائفة ، غريب

الدكتور جبرائيل جبور

المادة ، وكثير الشواهد التي تبين خصائص كل شاعر . وقد بلا فراغا في المكتبة العربية التي لم تكن بعد مثل هذه الدراسات . وقد وفق المؤلف تحليل الشعر وربطه بحياة الشاعر ومزاجه ، وبشعره ، ووفق كذلك باكثر الاستنتاجات التي وصل اليها » ص ٨٨
فهل سمعتم شواهد الدرس المنهجي ، بحث يمكن ان يختلف فيه الرأي ذلك الاختلاف البعيد ؟
وما حرمة الموازين ، اذا تفاوت التقدير بها الى ذلك المدى ؟

والذي اخشاه ، ان «الدكتور جبور» لم ير باسا في ان ينصف استاذ او اثنين من جامعة القاهرة ، كي يستجمع قواه للطعنة المسبوبة التي وجهها الى هذه الجامعة ، في اتهام صريح ، ضلت بقياسه فيه ضللا بعيدا !
أحد المهين : الدكتور شوقي صنف استاذ الادب العربي بجامعة القاهرة ، في كتاب قيم انه عام ١٩٥٢ عن «التطور والتجديد في الشعر الاموي»
وتبعته الاخضر ، عن كتاب للدكتور «حزائيل جبور» في صبر ابن ابي ربيعة ، مطبوع ببيروت عام ١٩٣٥ .
وقد ذكر الدكتور جبور كتابه هذا ، بكلام طويل ، واعتبر دراسته لابن ابي ربيعة «من اولي المحاولات للتوسع في دراسة شخص واحد وبحث اثره بأسلوب علمي» . وقد لفت انتباه النقاد واصبحت مرجعا لمن يريد دراسة شعره » ص ٨٦ ، ٨٧

ثم لما عرفت سيادته لكتاب الدكتور شوقي ضيف ، كانت التهمة الخطيرة التي نقل عن الكتاب المذكور ، ودليل التهمة عنده :
«ان المؤلف كتب فصلا في نحو ٢٢ صفحة من صبر ابن ابي ربيعة» . ومن غرائب الصدق ان يكون من المصادر التي رجح اليها في بحثه عن صبر ، وانفق وجسرائل جبور مذكرها والرجوع اليها ، كتب كاشفات الذهب لابن المعتز الخليلي ، والكايل لابن الاثير ، والاشفاق لابن دريد والمديح للبرقياني ، وتاريخ الطبري . وكان يتكلم في مثل بحثه الممام ان يرجع الى الاغاني لابي النرج الاسدي ، والغريب من هذا ، توصله الى الاستنتاجات نفسها التي توصلت اليها عن ولادة صبر وموته وموت والده » ص ٩٠

فهل سمعتم الدوائر العلمية مثل هذا دليل على تهمة كهذه ؟
اذن نحن جميعا يمكن ان نتعرف لمثل ذلك الاتهام ، فيما من دارس من هذا ، يستغنى عن الرجوع الى هذه الكتب وليست حكرا لمكتبة جامعة بيروت .

وحمد الله ، على ان الدكتور جبور لم يقرأ كتابي عن «سكينة بنت الحسين» . وقد كانت الكتب التي ذكرها ، من بين مراجعي في تحقيق صلة سكينة بصبر .

ولست ادري ، ان كنت فيها استعجت من رأي مخالف الشائع الذائع ، من سياسة بني أمية في افساد الشهاب الهاشمي بالحجاز ، واستنجاز الشعراء للفرز في الشريقات الهاشميات ، ثم ما طمأننت اليه

من ان قصائد صبر في مكتبة وغيرها من سيدات المجتمع ، لم تكن تسجيلا لواقع بينه وبينهن ، وانما كان يخسر اساجيبات عصره ، لتصادفه عن مشاهرات ومحية لها الاول : لست ادري ان كان هذا ومثله مما وصلت اليه في كتابي عن بنت الامام الحسين ، قد سقني اليه الدكتور جبرائيل جبور في كتابه عن صبر ؟ لكن الذي ادريه ، يقينا ، انني لم انشرف حتى الساعة ، بالاطلاع على كتابه الذي اعتبره مرجعا لمن يريد دراسة صبر ، وعصر صبر !

وبنهم آخر : الدكتور احمد عبدالسلام الحواري ، وهو استاذ بجامعة بغداد ، لكنه تلقى دراسته في جامعة القاهرة ، ونال منها درجات الليسانس والماجستير والدكتوراه في الادب العربي . وتهتم انه سرق الفكرة والمادة والبحث في كتابه «الحب العذري» الذي اجازته آداب القاهرة لدرجة الماجستير وطبوعه عام ١٩٤٨ ، عن كتاب بنفس العنوان ، للسيد موسى سليمان ، اعده الطروحة لدرجة البكالوريوس من جامعة بيروت الامريكية وطبع هناك سنة ١٩٤٧ .
ولا انانثي الدكتور حور في تقديره لسفوى الرسائل ، وحكمه بان رساله موسى سليمان قد احاطت بالموضوع من جميع جوانبه ، ووقفت من التوفيق (ص ٩٠)

وعلى رسالة الحواري بان صاحبها «اشنط في تفريعاته ، ولم ينف عند نقاط معينة من موضوعه ، ولا اعطى لقارئه

(٣)

فكرة توجيهية يريد أن ترسخ في العقول والقلوب . الا يدل ذلك على انه سرق فكرة الاستاذ سليمان، ثم لم يحسن معالجتها واراد بذلك ان يحجب عن نفسه الشبهة ويحجب الناس من اشتباهم به؟ من يدري؟ ص ٩٠

اجل ، لا انالقي الدكتور جبور في تقديره لمستوى الرسالتين ، وانما اقف عند هذا الاتهام الصريح بالسرقه ، مع المجد وسبق الاصرار .
نأنا اعلم علم اليقين ، ان الدكتور الجوارى اعد رسالته هذه من « الحب المذرى » قبل ان تطبع رسالة السيد موسى سليمان بزمن .

وثائق جامعة القاهرة بين يدي تسجل ان الجوارى قد موضوعه لدرجة الماجستير عام ١٩٤٥ عقب نيله درجة الليسانس ، المقابلة من آداب القاهرة .
واتم بحثه في « الحب المذرى » ونال درجة الماجستير عام ١٩٤٧ ، كما هو مبثوث في الكتاب النسخي لكلية الآداب بجامعة القاهرة (ص ٢٢٣ ، ٢٢٢)

فكيف يمكن تصور ، اخذ الجوارى لفكرة رسالته ومادتها وبحثها ، من كتاب طبع في بيروت عام ١٩٤٧ ، والرسالة قد تم اعدادها قبل ذلك ، وتمت مناقشتها العلنية بالقاهرة ، قبل صيف ١٩٤٧ ؟

وليس من الغريب على كل حال ، ان نخرج من هذه الجولة ونصينا من الحكم :
استاذ بجامعة القاهرة ، منهم بالنقل من كتاب استاذ بجامعة بيروت الامريكية .
وطالب ماجستير في آداب القاهرة .
متهم بالسرقه عددا مع سبق الاصرار ، من أطروحة بكالوريوس ، لطالب بالجامعة الامريكية في بيروت .
والبقية تأتي

التاريخ : ٤ / ٥ / ١٩٦٣

٥ كتاب من بيروت

شبكة معقدة .. بحار فيرا الليل !

الحولة الرابعة في كتاب بيروت «الادب العربي في آثار الدارسين» خاصة بدارسي الشعر العباسي الى آخر عهد المنيبي ..
وقد حال فيها فارسها «الدكتور انطون غطاس كرم» حولة طويلة تشتمل فيها الدروب والمساك ، فالأنا هنا آخر
الامر امام شبكة معقدة ، يشق علينا ان نلخص الخط الرئيس فيها ، لطول «الف بنا الفارس» ودار ..
واذا كنت اهدئت - فيما اظن - الى هذا الخط ، فالحق اني بذلت ما لي طاقتي من صبر وحلد واحتمال ، كسي
استخلصه «خبر» اخرى بوجهة بصر فيها النظر وبحار الدليل !
بل اني لانسأل : ان كنت حقاً قد اهدت الى الخط الرئيس ..

للتدب الى ان الدكتور انطون غطاس كرم ، القى الثقل في جولته على عميد الادب العربي استاذنا الدكتور طه
حسين

وفي سبيل هذا الهدف ، سمى بر بالعين ان يجبر جانبا .. فيقول كلمة طيبة عن كتابين او ثلاثة ، ما الفه تلاميذ
الدكتور طه حسين ، حتى اذا وصل الى استاذنا فتمت القضية . وتعددت الخطوط وتاهت المسام ..

جولة : للدكتور انطون غطاس كرم

تعالوا علينا : الدكتور بنيت الساطع

واهتز ميزان العدالة في يد الدكتور انطون غطاس ، حين حاول ان يمدح المولدة
بمعارات بوجهة ، حمل بمعبد للقاء المسجل انه امام قضية بقى عليه «مريب» منعد
لكن القراء المحارلة ، كشف عنه ما انتهت اليه من احكام مناقضة بلذاعة
يهدم بعضها بعضا ، ويورد بعضها على بعض ..

فسيادته بدم لنا «حدث» الارساء «تراسة ادبية» لها صفة الاحاطة ودعابا
الحجة الناصعة» ١٣٢

ثم لا يلبث ان ينشئ عنها ما انت به سكام جارح بيلا ثلاث صفحات



د. زكي مبارك



د. طه حسين

١ واما قوله .. فتشبهنا اصطلاحات
مستعملة : وتكسبنا .. غامض
احول ، يصدق على التسميم الاكثر من
التمثيل العربية المستعملة .. وهكذا اصاعت
الموضوعية وطلعت عليها التعميمات الجوفاء

١٢٧

وهكذا يمارح الميزان ارتفاعا وانخفاض
فدحكم على المنح الواحد بالقبول ،
دون ان يضبطه دهناس وانسج بصونه من
خلل الذبذبة ، وبخلافه بعض الانزان ..

واعود فاعل المحدث في الشكبة
المعقدة ، فارتب في هذا الخط الذي
تسبب عنه ، وسجل الى ان هناك خطبا
سواء ، ربما كان اولى بالاعتماد ..

ذلك هو ترويح الدعاية لدراسات
المستشرقين ، وترويض الثقة فيها ، وشد
الدارسين المحدثين اليها ، اذا شاءوا ان
ينفقوا درس ادب العربية والاسلام ، على
ادق منهج عامي وان يفهمه حق فهمه

فمنذ الغربيين وحدهم مفتاح الكل ،
ولي اصلهم الاجنبية لجام مسلماني .
ونحتاج الى وعي نقد ، منوطا بكون
الخط من اول فترة تطبقها « الدكتور
نظون قطاس كرم » . لانقده اذا حتى
الانقرة الأخيرة

فماذا به حديثه بشارد من كلامه .. من
اليوت « خلص منها الى تحفة مؤتمر سروت
الكريم ، ثم انطلق في جولته انشأ اول
حكم تطبق به هو :

« ان الدراسة الاصلية في العالم العربي
من زمان جرجي زيدان الى عهد طه
حسين ، قد نحت نحو المستشرقين . اذ
حقق المستشرقون اعبالا في غاية الجلال ،
من حيث احياء هذا التراث الضخم
وضبطه وشرحه ورده الى اسوئه ، ونشره
على دقة ، ونمحيص ضمر وثقافة ،
واخلاص متعطش الى الدين .. » ١٢١

ولم يعجبه مع ذلك « اشتغالنا بالتحقيق
عن التسميم الا » وبالدقوت من تحليل اكسير
الديال المرصود .. فتشابهت فيها قوة
الاخراج ، واحرفنا من العناء الكبر ..

ثم ان الدارسين عندنا لم يتحسوا
بخطية الاناة السوفية ، والاصطلاح المذمور
في الاستشهاد ، وانما ضمت جواندهم ،
ثقافة انسانية سامية ، فقصرنا عن المستشرقين

١٢٢

ودار الفارسي في الحيلة دورة ، ثم

فلسفة الاطاعة . يتلونها بغير ادق
ان الدكتور طه « بحري في احاديثه على
غير بالاستقاء بنحى الملامح ولا بتسلل
الى الدقائق ، ماذا به يخطئه طريق المؤرخ
الصدق في حلاء الشك .. ويخطئه المنهج
الفني اذ المص الى مواطن الجمال لمسا
عاجلة »

ودعاية الحجة الناصعة ، تنبأوى مثل
قوله :

« ان حديث الاربعاء قدس حاتم فيه
الاستنتاجات العامة محل اللطائف المستدقة
وخالط عرض الحقائق لون من التصدي
الخطابي في الاشياء .. ولا يدبر القول
على سبيل التخصيص ، ففجع الحكم هاتسنا
عائنا نلوا من الدلالة » ١٢٣

فماي قوله باخذ الى ايها هو صادق؟

وبذلك فعل بكتاب الدكتور طه « مع
المنهى » :

فهو عنده : « دراسته تمثل - بالنسبة
الى الدراسات العربية الخاصة - اوج
معنا ، ومن ميزاتها ان السجالة قد استحصت
خلاصة ما قيل في الشأن : رواية وخبر
وندا » ١٢٥

لكنه لا يدع هذه الكلية الطبية لطوب
دون ان يعقب عليها بقوله :
« ونوكتا - في احسن ملحوظة - على
النتائج التي انتهى اليها المستشرق
بلاشير : يتناها حينما ، او يرددها على
نك وانراض حينما آخر » .

وتسبل ليقول من ثواب استائنا
« من هذا الزمان » عرفت عندنا في
واحدة هذه الخصائص محبوه نفس المعجزة
الى الذوق الفني والثبات الحامية «
ثم لا بدعها غوت دون ان سحاب عليها
مثل قوله :

« غير ان دامية هذا البحث لا تختلف في
جوهرها عن مباحث طه حسين في عرفناه
في حديث الاربعاء ، ومن حديث الشعر
والشر ولرب مأخذ من غير المعنا اليه هناك
بدو مجسها هذا ..

فيل ان هذا الاعتراف من العلم بجهلاء
الحصري . وقد وضعا لجنبنا خامسا كثيرا
ما هذا المؤلف الى شاء وثاقه والاحداث
على الحصر والخصم ..

« ثم ارسل من الدائمة الجميلة حكما في الشرطين الاساسيين » ١٢٢
بدانا على لائمة فيه ..

التاريخ : ٤ / ٥ / ١٩٦٣

(٣)

اطلاعيهم على أحدث الاساليب العلمية ،
واحتذائهم نمط المستشرقين ، قد اتخذوا
مناييس علمية الصفة للنشر ، بعموديتها
تواعد لا محيس منها حتى ينكشف الحق
لطلابه ١٥٧

ومن قبله ، بايع الدكتور جبرائيل حيدر
في الحفاوة بالمستشرقين ، وقال فيها قال :

« وكنت اودس على ذكر المستشرقين -
لو كلف باحث خاص في هذا المؤتمر ،
بعرض ما ساهم به المستشرقون في الحقب
الآخيرة ، من دراسات عن آثارنا الادبية
وغيرها ، فان دراساتهم جديرة بان تعرف
وان تتخذ مثالا بنسخ على منواله ، واقتراح
على لجنة المؤتمر للسنة القادمة ، ان تقصر
عمل المؤتمر اذا امكن ، على ما ساهم به
المستشرقون في حقل التاريخ والادب عن
المصور العربية المخلفة » ٨٤

وكذلك فعل الدكتور وليد عربات ، حين
حكم على المستغلين بما بدراسة ادب المصير
النوى ، بالخطأ والتخط ، باستثناء اثنين
تلقيا دراستهما العامة لادب العربية والاسلام
على اساندة انجلز ، ونالا درجة الدكتوراه
من جامعة لندن ، فكتبت لهما النجاة ما
وقعنا فيه من خطأ ونسلا . .

ومن قبله ، أعلن الدكتور صالح العلي
ان « اكر مراكز الاشعاع لدراسة ادب
المصر الحاخلى ، الجامعات التى انشئت
على نمط غربي او بالذات به » ١١

فهل هذا هو الخط ؟
مازلت الاول ان الشبكة تبدو معقدة
الى درجة تحير الدليل . .
ولا يفر من انتظار ، رثما نفرغ من
تتبع الجولات الناهية ، لفرسان المدان . .
قالى الملقى

بقول سلال من علماء الفقه الفرسى ، على
دراسات في الادب الماترين لى اساندة
المصريين ، قدمت له عزيلة بدائية ، قال :
« وكان خالينا ان داف هنية عند نوع
استدلال من انواع الدراسات الادبية ،
الا وهو نوع الموازنة الادبية . كالذى
حاوله زعيمات في الموازنة بين الشرق
وعلى حسن بين المنفى والشرق ، ذلك ان هذا
النحو في الموازنة الادبية ، قد تحدى على
طابق اصدق في الادب الماترين منذ نصف

وثلاثة ارباع القرن ، في العالم الفرسى . مما
جعل هاتين المحاوتين بدائيتين حقا ، بالنسبة
الى الشوط البعيد الذى جازته الدراسة
الغربية في هذا المضمار » ١٤٨

ولا ارى جدوى في تذكير الدكتور الطويل
شماس ، باصالة الموازنة الادبية في النقد
العربى ، وتديم ترائنا منها ، من عهد
« ابن سلام » في طبقات الشعراء ، و « الابدى »
في الموازنة بين طوائين : البحتري وبنى
تمام ، و « الحرجاني » في الوساطة ،
« المبيدى » في الابانة . .

بل امضى به الى آخر الشوط ، لاسيما
يقول عن رصيدنا من المثالات الادبية في
الشعر العباسى :

« وفيما كان المستشرقون يبتشرون بمثالاتهم
على حذر طويل ، وحرص وتحر ، كانت
اكثر المثالات الادبية عندنا ، تكتسى التمجيل
والاسراج . مستندة للمباحة المصححة ، والى
الزائفة . ولربما كان للثقة انجلي التى
منت المجلة الادبية في الشرق العربى ،
اثر منظم في هذا الانحدار » ١٤٨
ويقول عن المستغلى منشورات العصر
العباسى :

« . . ثم انهم في المرحلة الاخيرة ، وبعد

١ كتاب من بيروت

سلام على الحق والشائج !

جولتان : للدكتور عمر فروغ
والاستاذ موسى سليمان
تعالى عليهما : الدكتور بنت الشاطئ



في تنبؤ لكتاب « الادب العربي في آثار الدارسين » اعاول اليوم ان الذي نظرة سريفة على جولتين من جولات الفروسان العشرة ، لما بينهما من تداخل وتماس :

فاحدى الجولتين ، حدد لها الشعر العباسي من عهد المنبى الى سقوط بغداد ، واخصص بها « الدكتور عمر فروغ » .

والاخرى ، حدد لها النثر العباسي وفارسها « الاستاذ موسى سليمان » من ابناء الجامعة الامريكية في بيروت . وتتماس الدائرتان ، حين يكون الحكم على دارس لادب عباسي ، شاعر ونائر . وتداخلان في كل دراسة لادب العصر العباسي ، شعره ونثره . .

والواقع ان « الدكتور فروغ » اعلنا - او اعنى نفسه - من مناقشته ، حين بدأ كلامه عن دارس الشعر العباسي . بن المنبى الى سقوط بغداد ، بآثار سريخ : ان هذه الحقبة فرحت عليه فرحا - من ١٥٨ .

ومع الغرض الاجباري ، لا مجال للسلاشة . . .

(٢)

انها تحدد الذات في حين تتوفر
للشأن حرية اختيار المجال الذي يمارس
فيه عمله ؛ فسادنا لم يكن منه ، وانما اراد
عليه ، وارتباطه به . .

ولا عجب ان رائدنا ، يتسم به علم
ثلاثة شعراء لا يدعونهم : المنبئ ، وامي
فراس ، والمصري . .

فإذا تحدث عن « المنبئ » فكل
الحديث بلف وبدهور حول ثقافته معشياً ؛
ماذا قال الدارسون عن نسب المنبئ ؛
وماذا في كتب الأولين والآخرين عن
حرفة ابنه . . سلاً بهذا الكلام ، اربع
مناجيات منتفل بمدهم الى « ابي فراس »
حيث يتسم كل حبه ؛ على لقي نائر
الشاعر - فنيا - ببقائه اسيراً في بلاد
الروم ؛ بضع سنوات .

ويجىء دور « ابي العلاء » فإذا
الحديث - كل الحديث - عن موت
والده ، مع كنهين عن ترتيب « اللزومات »
وأنشأ « الدرهمات » .

• ويهتم الدكتور بروح قائمته لاهل
الدراسات في العصر العباسي في ذلك
الحقبة ؛ فلا أرى عجباً ان يذكر سيادته
في مقالاً بمجلة الهلال ، وهذا آخر
عنايته « ابو نساء مكاتب الحياة -
مجلة الادب ١٩٤٤ » لا أذكر اطلاقاً
اني كنيته او سمعت به قبل اليوم ؛
ولا كلمة ، في حديث الدكتور بروح او
تأليفه ، عن كتب لي وبحوث في ابي
العلاء الذي تخصصت في دراسته ؛
وكانت « الحياة الانسانية عند ابي
العلاء - ط المعارف ١٩٤٤ » موضوع
رسالي الماجستير في الفخران ؛
وموضوع رسالتي للدكتوراه ، واتسد
باعتبرت بالمعارف برقيين ، اولهما ١٩٥٤ .
ولا اشارة ، في البحث او الثانية ؛
الي النص الذي حققته لرسالة الفخران ؛
وهو مطبع الآن للمرة الثالثة في مدينته
الذخائر .

وإذا كان هذا مبلغ احاطة الدكتور
بروخ بالدراسات العربية المعاصرة

لاديبنا الاكبر اذا استعجب فالدقة
للحال في مجله الهلال ، وآخر في مجلة
الادب - لا علم لي به - وتضافت عن
بحوث اجازتها الجامعة لاعلى درجاتها ،
وكتب طبعت مرتين وثلاثاً ، فسلام على
الحق والتاريخ في كتاب تدعى جامعة
بيروت الامريكية انه السجل الكامل
لكل ما كتب عن تصور الادب العربي ؛



وماذا يقول عن حيلة الاستاذ
« موسى سسلجان » في ميدان النشر
العالمي .

أولاً ان اردنا « يوفيق عداد » فقلصة
اعرفها حتى المعرفة ، لكن اقدس بها
حياة الفارس ، واستعجب موازين
القاضي .

لك في الرسالة الفخران « التي لا
تتلام عنها سفلحن من الكتاب .
واقترح هنا بول الطين ؛ ان
الاستاذ موسى ؛ هم على الطبعة التي
نشرت للفخران ؛ عن غير علم او دراية ؛
فنجربحه لنسخة جديدة وكلائي ،
(من ١٩٨) بنقول بنصه ، من وصفى
لهما في الطبعة الاولى للنص الذي
حققه ؛

فكل من هذا ، انه اترا تحقيق
لنص ؟

أشهد ان لا وانما التي عليه
نقطة غائبة ، النقطة منها وصفى لبعض
الناس ، ومنه في التحقيق .

ثم انفسار - كثير غيره - انفسار
بعض نسخة ، ظاهراً . . .
وبما درجة لم تتم . . .

وما يا شهد نسقي ؛ ان ارد هذا
النص ، حيث لاحق لي فيه ، حد ان
خبرت ان الاستاذ موسى لم يقطعه عن
فحص واختصار وانما ارتحل اثر
المشقة العارفة اني نقاه على ما قدمت

التاريخ : ١١ / ٥ / ١٩٦٣

(٢)

ومن هنا ، لا استحل مع شديد
الاسف - نقل النقص الذي يفتسل
الاستاذ موسى فانذقه على !
وبرة اخرى اقول : سلام على الحق
والتاريخ ، في كتاب يزعمون انه جميع
فأعني ..



وكلمة اخرى اقولها على استحياء :
للاستاذ موسى سليمان : كتاب عن
«الادب القصصي عند العرب» لم
يسمى الكتاب «تاريخه» ، لكني لم
اهتم ان يزكي الاستاذ كتابه مثل
قوله :

«... كما يعرض كتاب الادب
التحسيني عند العرب - لموسى سليمان -
المبحث الوحيد في التحسين العربي
القديم من مقتضى وانسبها . وهذا
الكتاب في تفسيره الفهمي العربي ،
ودراسته كل قسم منها دراسة ادبية
نقدية مفصلة . وفي الجدول الموالي
المدة هذه أسماء الكتب الأساسية التي
توقفا الادب التحسيني ... وفي مقدمته
التي تستعرض اراء النقاد العرب
والمستشرقين . . يعتبر من اولى
الدراسات النقدية الواسعة التي
صدرت في الفصاحة المعاصرة حتى اليوم»

٢١ .

لكني اعوذ بالتحسين العظمي للاستاذ
موسى ، حين اذكر ان الدكتور جبرائيل
حيور وقف ايام علمه على ناصية النساء ،
فخرج كتابه عن عمر من امر ربيعه بخلاف
طلول ، وقال فيما قال :

« وكتاب عمر . جبرائيل حيور
دراسة علمية استند فيها المؤلف الى
مخلف المصادر التي يمكن التوصل
اليها ، بحيث يزعم انه لم يعرف مصدرا
فكر من عمر شيئا ولم يقرأ «وقد ارحم
» هوامشه كل خير «لم الى مصدره .
وعارض الروايات المتناقضة وحللها
وناقشها ومحص ما ورد فيها تمحيضا
دقيقا ... وتعتبر هذه الدراسة من
اولى المحاولات الجادة في دراسة
شخص واحد وبحث اثره بالسير
عمر . وقد لفت انتباه النقاد واصبحت
مرجعا لمن يريد دراسة عمر . . . »

٨٦ : ٨٧

والدكتور حيور - استاذ بجامعة
سورب الايركية .

والسيد موسى سليمان بن بلادتهما
وبن شابه استاذهما فما نلام !

انصفه الى الطبعة الثانية من الغفران ؛
لا بد من حاجتها .
والذي انني تسلمت نص الغفران ،
في طبعه الثانية ظهر استاذي العربي
عبرت عليها في مكتبي الاسكنونية
وسوهاج ، بعد ظهور الطبعة الاولى .
وذا اني العلم بها اذ ذاك ، لخطا في
فهارس المشتري .

من ودي النص ، من بيان لنهج تحقيقه
بدليل :

انه زعم انني حققت النص « بمساعدة
فرقة من الطلاب الجامعيين لي في عدلي
الطويل » ١٩٨ .

القط هذه الفقرة من قولي في
القدمة : ان «الاستاذ مصطفى السقا»
قام معي بقراءة المراسل التي لايسهل
ان يقوم بها فرد واحد . وان «الاستاذ
محمود من قاريت الطنح» ساعدني على
قراءة الخط المغربي ، في نسخة
الاستاذ علي .

وبدليل :

انه كان اني شرفت من الغفران في
حزائين ، اولها ١٩٥٠ والثاني ١٩٥٤ .
ولا علم لي بمنزلة نان للغفران . .
فالنص الذي حققته ظهرت طبعته
الاولى كالملة ، و مخلص واحد ، سنة
١٩٥٠ .

اما هذا الجزء الثاني المزعوم .
فالمقطه الاستاذ سليمان . من فهرست
الموضوعات المراف ١٩٥٤ ، وفيه ذكر
«غفران» . . .

ولبيت جزءا «لرسالة» ، وانها
في دراسة نقدية موضوعية ، لما حول
الاسم ، والتاريخ ، ومما لا يخفى .
ومكانه في الفكر العربي ، وفي الادب
العالمي ، ونحقيق هذه الرسالة التواضع
والتواضع لان تيسر الانساني ،
والفرديوس النشائم ليلتون الانجليزي ،
والكروميدوا الالية اذ اني الاطال .

فكيف صارت هذه الدراسة جزءا
نانا لرسالة الغفران ؟

قد يقال : ان الامر اشبهه على
الاستاذ موسى المشهور طبعه ثابته من
رسالة الغفران سنة ١٩٥٧ ، فذكر
سبوا اثنا جزء نان ، وسجل لها علم
١٩٥٠ ، سبوا تلك :

واقول : كلا . . اذ لم كان الطبع
الطبعة المتسلسلة ، لما قاله ان
سيف الى رصدها من الفكر العربي ،
حين كتب «رسالة ابن الفلاح» انذي

التاريخ : ١٣ / ٥ / ١٩٦٣

الدكتورة بنت الشاطيء

استاذة كرسي الادب العربي

■ ■ ■ والى الجيش الامم لتجارات
على لسان الدكتورة والدة عبد الرحمن
استاذة لكرسي الادب العربي ببيت الحكمة
بجامعة عين شمس والدار المصرية للكتاب
محمود استاذة لمطبخ ومحمد توفيق
الشويعي استاذة للاخلاق مازاد الدفيرة
وعبد القادر القبط استاذة لثقافة المرونة
مازاد دين شمس .

وارسنت هذه القرارات الى وزير
السياحة العالي للشعبين منوها الى اادة
المرحله الثانية

كتاب من بيروت جولتان في منطقة الظل !

هل كان في استطاعة جامعة بيروت، سبيلها « ٢٠١ »
الأمريكية، أن تختار فرسانها العشرة،
وليس فيهم واحد من مصر وسورية ؟
كلا .. فان الموقف هكذا يبدو مريباً
غاية الريبة : إذ لا يتصور العالم العربي
أن يقام مؤتمر للادب العربي في آثار
الدارسين المعاصرين، مع تجاهل منطقته
يقرر التاريخ والواقع أنها قلب الوطن
العربي النابض والمركز الحي الخصب
لدراسة ادب العربية والاسلام، وصون
تراثهما ..

واغلب قلبي، ان طبعه المحرجه
من ناحية، واحساسه بشعق الدولة من
ناحية اخرى، اسياها ما كان يحب ان يتناول
في مواجعة اولئك الذين تحنوا على مصر
وسورية، ويحددوا مشهور آثارهما في
خدمة ادب العروسة ..
ولو كانت مكان الدكتور فهد سري، لكانت
لما تخرجت من الشواهد لتومر بالحق، وباتت

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الشايع

وقد تجدد جامعة
بيروت الأمريكية هذا
المكان، لكن من
جلبها اسماء شهاد
التاريخ وسلطان
الواقع ؟

كان لابد اذن، من اختيار اثنين من
مصر والشام، لكوننا ضمن فريق الفرسان
العشرة، الذين دعوا ليقوموا الدارسين
من ادب العرب، ويحكموا عليهم من
منبر بيروت ..

وقد فعلت الجامعة ..
اخارت من سورية : الدكتور (شكري
فصل) وهو المعروف بدهانة الطبع وحدا
الفلم واللسان ..
واخارت من مصر : «المرحوم الدكتور
كامل حسين»، الذي لانعرف له الحياة
الادبية تخصصاً او خبرة، سمر المكسة
الفاطمة :

(٢)

مقدمة ... ووجدت الجاهلية قد تدهورت ، ان هذين
من دواوين الفصحى الفاطمية او مدمورة
لاتزال في حاجة الى من يعينها من غيرها»
من ٢٥٠

✽

وكذلك وقت « الدكتور شكري فصيل »
بطل على المنطقة المحددة له ، من سائر
مصادر حتى اوائل النهضة ...
ثم لم يجد آخر الامر سبيلا الا ان
يتحدث عن مرآة العصر ، وبشائس الحكم
على اي دارس من دارس ...

وانتهت حيلته وهو ياتي بالتحريم ، لا
يجد من حقه ان يرنق ونساج النساء ،
ولاسهل امامه ليمسك بالطلاق الفريسي
وقال ممتنرا عن شروعه على الخطاة
المربوعة بالمرسان الممطرة :

« وقد اسمن مؤثرا سنة فكر المطرعات
ومرارة ، ودفن المرافد مدمورا
وعرض المقالات والتعريف بها »

« ولم استطيع ان اجد سكر حشيت هذا
الانتقاء ، لا مجالية له ولا ازورا عنه
وانها فرض المصروع على طرده مازجا
آخر ، ذلك ان مسعده ، ونحوه ،
والافكار المبينة القسرة حوله ، وعن
لاساد تهاول مستوى التدريس الذاتي
فامضى ان اوسى هذه الدراسة على
اساس وسطي تملس ، سفل بالسم
من حقيقة هذه الفترة ، وحديث معالها
ورسم الطيفي الذي يجب ان يسك في

وقد تدهورت الجاهلية قد تدهورت ، ان هذين
النافذين ، كلهما لن يكون عليه السحاب
على مصر وسورية .

ولذلك حددت لهما جولتين فسدفين ، في
منطقة النخل ، لاجال فيها لكر وفر .

فكان « الادب الفاطمي » من نصيب
الدكتور كاهل .

وكان « عصر الانحطاط » المسؤولي
والعنقاني « من نصيب الدكتور فصيل .
واثرت غيرهما ، بكل المناطق الحسنة
الخصبة ، من هذان الادب العربي : الجاهلي
وصدر الاسلام ، والاموي ، والعناني ،
والعصر الحديث .

✽

ووقف الدكتور كاهل - رحمه الله -
على المنبر ، فلم يجد مايقوله في الادب
الفاطمي ، الا ان يقدم مائة مرسيد
والنصوص التي نشرها من تراثه .

ثم تطمع فيها حوله ، محسورا في الحولة
الضيقة ، ثم يجد للاستاصرين من الدارسين
العربي ، مشاركة ذات مال في هذا الحال
اللهم الا بضعة آثار محدودة محدودة ،
التي عليها تذكرة مربعة ، ثم انتهى جولته
قائلا :

« وما سبق يتضح لنا ان البحث في
الادب الفاطمي لا يزال يحبو ، والجهود
التي بذلها علماء العرب لا تزال في البداية
من اخشى ان يقول ان الناس لا يزالون
يفتخرون الى العصر الفاطمي نظرة تعصب

ومن تراث « ابن حجر العسقلاني »
المؤلف بصير عام ٧٧٢ هـ طبعنا « الاصابة »
في ثمانية مجلدات : والدرر السكاكنة ،
وبخبة الفكر .

ومن ذخائر العصر الفوية والادبية ،
نشرنا : خزانة الادب ، وثمرات الاوراق
لابن حجة الحموي شاعر الشام في القرن
التاسع . و « لسان العرب » لابن منظور
الانريقي المصري ، في عشرين مجلدا .
« ومغني اللبيب » لابن هشام المصري امام
النحو واللغة في القرن الثامن الهجري .
وطبعنا من شروحه شروح الاثنية
الاشمونى ، والدسوقي ، والسدمايى
الاسكندري ، والازهرى الجرجاوى .
وطبعنا مرارا . الفية ابن مالك ، طبخ
دمشق والذي نسير لتعليم العربية بحلب
في القرن التاسع

ومرارا كذلك ، طبعنا « كتاب الكافي
في علمي العروض والقوافي » لابن شعيب
القناني ، من اعلام القرن التاسع .

ومن تراث « السندى » طبعنا : نكت
المهملات سنة ١٩١٠ ، والفيت المسجدة سنة
١٢٦٠ هـ ، ودعوة الباكي سنة ١٢٠٧ هـ .
ومن تراث « الشهاب الخفاحى المصرى
المؤلف « توبة برياقوس » طبعنا : شفاء
الفلل ، وشرح درة الفواص ، وطرار
المجالس .

ومن تراث « حلال الدين السيوطى :
ابن الصعد » نشرنا : بقية الوعاة ، وحسن
المحاضرة ، ومثنى العقول ، والانقان ،
والزهر .

وللوزير القفطى ، ابن الصعد كذلك ،
نشرنا طبعنا « انباء الرواة »
بدار الكتب المصرية .

وللبندى الدمشقى . طبعنا : الصبح
المنبى عن حشبة المنبى ، وهبة الايام فيما
يتعلق بابى تمام .

ومن كتب السارية ونراحم الرجال ،
التي تعد مراجع لدارسى الادب ، نشرنا
من تراث اجدادنا علماء مصر والشام ،

والسارية بصمدق
ومننا على
تول :

ان مصر والشام ،
صدنا معا لخدمة
العربية والاسلام ،

من الاعصار النورى
واتاره المدهرة ، فما ان فرغت هذه الجبهة
الموحدة ، في قلب العالم العربى ، من
صد موجة التار العاتبة ، حتى بدأت دورها
الجليل في استنقاذ بقايا التراث الفكرى
والادبى والثقافى للعرب ، بعد ان دمر
الاعصار القترى مالا يحصى من كنوزه ،
في بخارى ونيسابور والرى ثم اكتسح
العراق فالتف من ذخائر المكتبة العربية
مالا يحصى ولا يعد .

ولقد تلت في هذه المناسبة ، بكثير من
النخرا والامراز ، رصيد تومى في السنين
المائة الاخيرة ، من احياء الذخائر التي
دونها اجدادنا بعد سقوط بغداد .

وكان حسن ان اذكر منها :
معجم البلدان ، ومعجم الادباء ، لماتوت
الحموى الذى شهد خروج التار من الشرق
في صدر القرن التاسع ، ففر عائدا الى
بلده ، واستقر به المظالم اخيرا في ظاهر
حلب ، لندون لنا - فيبادون - هاتين
الذخيرتين الثمانيين من تراثنا .

ونشرنا من الموسوعات التي دونها اجدادنا
دوائر معارف عربية .

« صبح الاعشى » لشهاب الدين
القلقشندي المسمى ، من اعلام القرن
الثامن - طبعته دار الكتب بالقاهرة
محققا ، في اربعة عشر مجلدا .

« ونهاية الارب في فنون الادب » لاسى
العباسى النوبوى ، الذى خاض معركتنا
مع النار حدى في جبهة الشام ، ثم ا-
بعد النصر الى داره بمصر ليبيت كل
ما بقى من عمره لتدوين موسوعته .

طبعته دار الكتب بالقاهرة محققا ،
وسدر منها حتى عام ١٩٦٠ ثمانية عشر
مجلدا .



شكري فيصل

بعد سقوط بغداد :
« تاريخ حلب » لابن العديم الحلبي في
طبعة مخطئة دمشق .
والخطط ، والسلوك ، والاتعاظ ، واغانة
الامة - للبيروني .
ولشمس الدين «ابن الحسن» طبعنا «المنهل
الصافي» ونشرنا «النجوم الزاهرة» في
طبعة مخطئة مدار الكتب .
ولشمس الدين الذهبي ، امام دمشق
في القرن السابع ، نشرنا طبعة مخطئة من
كتابه الحلبي : «سرايا النبلاء» وتاريخ
الاسلام .
وطبعنا «المختصر في اخبار البشر» لابي
الفداء ، السلطان المؤيد : صاحب حماء
و «تكملة المختصر» لابن الوردي المعري
الحلبي ، من شعراء القرن الثامن .

و «مسالك الابصار» لابن فضل المعري
تلميذ القاهرة وامام الشام : في القرن
الثامن .
و «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير
البصري ثم الدمشقي .
و «شذرات الذهب» لابن العماد الحلبي
الدمشقي من اعلام القرن الحادي عشر .

وانه للبلبل من كثير ، يضيق المجال عن
استيعابه ، لكنه مكثي شامدا لما حملنا من
عبء الامانة الصعبة ، نحن ورثة تلك
الذخائر التي وعها التاريخ لاجدادنا ،
الذين تصدوا في بسالة واصرار ، لحماية
العربية والاسلام ، بعد سقوط بغداد .
فهل قد ابلغت ؟
اللهم فاشهد .

٨ كتاب من بيروت

لمن تدق الاجراس؟

لبس عنوان المقال لي ، وانما هو مستعار من اسم قصة لهيمنجواي .
وبالرغم مني فعلت ، حين لم اجد عنوانا آخر يغني عنه !
بل انه - في رأيي - العنوان الدقيق المناسب ، الذي يصلح كما لا يصلح سواه ، لكل ما كتبت واكتب ، في هذا الموضوع ..
فمنذ بدأت اتتبع فصول كتاب بيروت ، وصوت « هيمنجواي » بتردد ملء خاطري :

جولة للدكتور احسان عباس

تعالى عليها الدكتور بنت الشاطئ



هيمنجواي



جودة الركابي

لمن تدق الاجراس ؟
وقد اطلعت في المجلس منسي وانا
اصفى الى ركن الاجراس في ادي
الفرسان : صالح الهادي ، ووليد
عرفات ، وجبرائيل جبور ، وانطون
عطاس كرم ، وهوسي سليمان ..

ثم جاءت جولة « الدكتور احسان
عباس » في حلبة الادب الاندلسي ،
وعادت الاجراس تدق في قوة لم املك
بها اخبار عنوان آخر ..

لمن تدق الاجراس ؟

لجامعة بيروت الامريكية ، وليس لها
في المكتبة الاندلسية غير كتاب واحد
ننم ، هو كتاب « ابن عبد ربه وعقده »
الفه الدكتور جبرائيل جبور عام ١٩٢٢ !

والدكتور « احسان عباس » فاضل
من نلامذ الفاعرة ، وقد طفق دراسته
الادبية العليا في جامعة « وصال »
درجانه العلمية ، ولم يمس السلطة بلجوه
وقدمه الى الحساء الادبية : دارسا
ومؤلفا وانادا ..

(٢)

رغمنا ارتفع دوى الاجراس معلنا :
« ان الكتابين الاولين ، ثورة جهد
جامعي في نطاق الجامعة المصرية ،
والثالث ولید جهد حاسم ، في ظل
الدائرة العربية بالجامعة الامريكية في
بيروت »

اما ثورة جامعتنا ، نبيلة شيلة :
« ففى كتاب احمد ضيف بيان خطير ان
الى جانب تعميم الحكم وارسال القول
على علانه ، وهما ضعفنا الملحة النقدية
في تدوير الاثار الادبية ، وضعف الحس
النابض في النظرة الى حياة الافراد
والعصور الادبية من زاوية التطور .
وهذان العيان يتلسمان ابغسا كتاب
« كيلاني » وان كان اسبق واسر من
من كتاب استاذ (١) احمد ضيف »
ص ٢٦٠

اما ولید جامعة بيروت ، نبائع الفدوه
مكمل النور وانر المسحة والحبوبة :
« انحنى موضوعا مجددا ، والنزم فيه
بؤلفه الدكتور جبرائيل جهور ، المنهج
الجامعي والمناقشة الهادفة الهادئة ،
واثار كشوفات لاتزال حتى اليوم مشهولة
بالصواب ، على اتساع الكشف من
بعده » ص ٢٦١



وعلى طول المدى ، تلمس الفارس
يتردد بين شد ودفع :

تسجيل لرصيد لنا غفر حائل ،
وضعنا به في المكتبة الاندلسية نحو
ثلاثين مؤلفا ، وطبعنا بالقاهرة من تراث
الاندلس والمغرب نحو خمسين كتابا ،
فيها احصى الدكتور عباس نفسه ا
وتحريج قساس ، يتركز ثقله على
جامعة القاهرة ودمشق :

فكتاب استاذنا الدكتور احمد ضيف ،
وقد نشره بذكر عام ١٩٢٤ ، ثم
سبعنا ..

وكتاب الدكتور حودة الركابي
اجامة دمشق عن الادب الاندلسي
« مناقات في منائه ... لا يسلم من
التهويمات الكثيرة ، والتداخل ، والتكرار
، وفيه اعتماد في امور حاسمة على

جامعة بيروت الامريكية ، وله نبيل
رؤساء وزملاء ..
وبين المد والحزر ، حال في الميدان
ينظر في المكتبة الاندلسية ، اذا رمبدها
العربى الاكبر ، للمر وسورية .

واذا لجامعة بيروت كتابها الوحيد ،
بقلم الدكتور جهور :
وللمستشرقين آثار كنار ، سقونا بها
الى الميدان ، بحكم ظروف تاريخية
وسياسية ودينية معرونة ..

وعلى منسة النخساء ، وقف الدكتور
احسان ، يتأهل ويوازن ويحكم :

فأبام جهودنا في منطقة جولته ، وفي
تائمة مفصلة بما قامت به الحركة
الاستشرائية من جهود مسخبة في
الدراسات المغربية والاندلسية ، ونوه
بفضل اعلام المستشرقين « الذين
تضافرت قراهم - قبلنا - على خدمة
التاريخ والادب » ومن ثم اخذ ملنا ان
عنايتنا بالادب الاندلسي جاءت متأخرة ،
انخلا عن كونها اخذت صبغة عاطفية ،
تلتصق على المساقى الجبيل وتبكي
الفرديوس المفقود (ص ٢٦٠)

واذا كان نشرنا لكتاب « نفع العليب »
- ط بولاق ١٢٧٩ - قد حاصر حركة
الاستشراق ، « الا ان اثارته الكبرى
هنا ، كانت اثاره عاطفية قبل ان تكون
دافعا لتحقيق الادب والتاريخ ، ولذلك
ملات المدان بقصص وروايات ، نثرية
وشعرية .. ثم تسللت هذه الاثارة الى
كتابة التاريخ والادب عند الدارسين . »
ص ٢٦١



واختار الدكتور عباس ، من الدراسات
الادبية المبكرة ، ثلاث دراسات وضعها
في الميزان :
بلاغة العرب في الاندلس : لاجميد
ضيف .

نظرات في تاريخ الادب الاندلسي ،
لكامل كيلاني
ابن عبد ربه ، وعقده : لجبرائيل
جهور

التاريخ : ٢٥ / ٥ / ١٩٦٢

(٣)

— من دار العلوم — عن ابن زيدون :
« تلخفاً فيه كثرة الحشو ، وإيراد
المقدمات ، وإظهار المعالم والأطباع
على علم النفس ، وعمد الطريق
في منار الأخبار والروايات ، وكثافة
الانزياحات الطويلة التي لا تليق أي ضوء
على الشاعر وحده ، ولو حذف هذه
الأمور الدخيلة لظلت الدراسة لحياة
ابن زيدون فيها جدد واستقصاء » .

والاستاذ « عبد الله عنان » لم يشفع
له طبع خدمته لتاريخ الاندلس ، وسحق
جهد المذول في كتب له قيمة تميز بها
المثقة الاندلسية ، اذكر منها « الآثار
الاندلسية النافذة في اسبانيا والبرتغال

ط ١٩٥٦ ، وابن خلدون : حياته
وتراثه الفكري دار الكتب ١٩٦٣
وتراجم اسلامية ، شرقية واندلسية
(المعارف ١٩٤٧) ودولة الاسلام في
الاندلس ٢ اجزاء : لجنة التأليف

١٩٤٣ — ١٩٥٨ . . لم يشفع له كل
هذا عند الدكتور عباس ، الذي اعتبر
تحقيق « الاستاذ عنان » للجزء الاول
من (الاحاطة) ، أبرز مثل أسوء النثر
وأسوأ التحقيق : « فان نصه غاية في
الاضطراب والخطأ والصحيف ، حتى
استطاع المراجع ان يقيده على هوامشه
أخطاء في كل سطر ، في بعض صفحاته »
ص ٢٦٨ . .

وفي غمرة ذلك السحج المنار ، لا تكاد
تسمع صوت الدكتور عباس ، وهو يركب
في أسطر معدودات ، كتاباً « للدكتور
عبد العزيز الاخواني » عن الزجل في
الاندلس — ٢٦٧



وتنهي الحولة الشائعة المحبذة ،
مؤكد تشمر بالمطع على لارمها من
الشد والذبح ، وتقدر له على كل حال ،
انه لم يتجاوز الحسك هام أثار
الدواوين ، الى الحسك على الدواوين
التي لم تزل أخرون ، ومخاضة
« الدكتور يوسف نجم » لارس الحولة
السنية من السباق . . .

ثم لا نملك الا ان نردد السؤال الذي
يظل يواجهنا في كتب بيروت ، ما بين
حولة وأخرى :

ان تدق الاجراس ؟

مراجع ثانوية ، ويفتقر كثيراً الى
الاحساس بتطور الزمن ، وما يحدثه
التطور من تغيير في تاريخ الاندلس
وادبها . واستسلم ما فيه بحث عن
الموشحات ، وهي موضوع اولاه الركابي
غاية خامة من قبل ، بنشره دار
الطراز ، لابن سناء الملك »

وكتابه من شعر الطنبعة في الاندلس :
« هو استعراض لنماذج من الشعر .
ولا يقوم على نظرية او فكرة اساسية ،
ولا يستطيع المرء ان يلمح منه أي
خصائص تميز الطنبعة الاندلسية بشيء .
واضح ، كما ان اكثر الآراء فيه قد
وردت في كتابه السابق . . » ٢٦٦

وكتاب « الدكتور أحمد هبيل » —
من دار العلوم — في الأدب الاندلسي :
« جاء فيها أسلوباً يشبه الثالث
المعجز . . والفصول فارغة مسالمة
ليس فيها نظام منسجعة ، واكثرها
استعراض لامثلة محدودة واستخراج
لبعض الاحكام منها . ويعز استخراج
الاحكام احكاماً لمصباح عرض الامثلة هو
الشي الوحيد الذي تفتلح به النصوص
، ولو حاول قارئ ان يكون لنفسه
صورة من تدرج الشعر والنثر في هذا
العصر ، لما وجد ذلك مبسوراً ،
ولاستطاع بمسطلحات فارغة لا تحمل
في تساعدها أي حقائق . . اما المستوى
النثري في الدراسة فانه غاية في
الضعف ، ومناقشات المؤلف لآراء من
تقدمه ، مضحكة . . . ان من دتراً
كتاب الدكتور هبيل ، يحس ان البحث
في تاريخ الادب الاندلسي لم يتقدم خطوة
واحدة بين عامي ١٩٢١ : ١٩٦٠ بل هو
نكسة في هذه الدراسات ، من حيث
المنهج والنماذج والاحكام النقدية ، وعمدة
الى سطحية متفردة ، وتسرع وانتشار »
٢٦٥ ، ٢٦٦

ودراسة « الدكتور طه الحاجري » —
جامعة الاسكندرية — لان حزم الاندلس
« « يجد فيه الجهد في السور وفي جمع
الروايات ، قليلاً لا يتكافأ وما عرف عن
الدكتور الحاجري من استقصاء » .

اما كتاب الاستاذ « علي عبد العظيم »



يوسف نجم الاخواني

التاريخ : ٨ / ٦ / ١٩٦٢

من كتاب

ما أشرا الاختلاف تلميذ فيج أنظرون صفحة لم تنته



الم

البر

م. ر. ل. الكائنات : شمس في قلبها نجم

تعارف على الدكتور في: بيوت الشاطئ

وحدث لو اخلى هذا المكان ، الخياط
ارسله الاساذ الجليل المذكور عبر فروخ ،
حول مائتي عن جولته ، لا اذرا ما احقه و
الدفاع عن موافقه فحسب ، ولكن كذلك
لاي تسددة الجرمين على ثمر خيطه الذي
اعده ونخه ذات خيط في الاشعة السمي
تستلشى وشملت الراء من ادى شهرين
كاملين . . .

غير انه وبمساعدة ابني ان ارجع حبيرو
المرغ من هذه الجولات الاخيرة في كتاب
بروتة الادب العربي في اثار الدارسين

(٢)

الدراسة السوربية

وفارس الجولة : الدكتور محمد يوسف نجم ، من هيئة التدريس في جامعة بيروت الامريكية. وقد دعا قراءه لهذا النسط الأخير، مادي التسميم على ان يخرج منه فارسا للعلمة وملا للساق ..

كان الحال المحدد له ، هو تقويم مساهمته في الملة من العرب في تطورات النقد والفنون الادبية ، في الاعوام المائة الأخيرة .

لكن ذاك لم يعنه في الواقع ، بقدر ما عناه ان يحكم على اشخاص الدارسين انفسهم .. او بصورة ادق : على طائفة منهم بالذات ، تنتمي اما الى جامعة بيروت ، واما الى جامعات مصر !

فمن اللحظة الاولى ، بدأ فاضلي الميدان من كل الدارسين العرب في سورية والعراق والمسلمين والسودان ، ولي تونس والجزائر والمغرب ، واستيقظت ساعة مصر ولبنان لاغير كي يفرغ لها جهده ، وينطلق في الحلة بلاءه هنائه ..

وبرر مؤلفه ان «مصر ولبنان هما الديكتان المحوريان لادينا الحديث ، والشهر العظيم الذي نشقت منه الجداول وانحدرت الاوشال لتسب في الديتات الاخرى التي كانت دوما تعشمو بأبصارها الى هذه المنارة التي شمت من لبنان وسفاح النيل ، وتكسرت انشواؤها على شواطئه غرب المتوسط وانعدت الى مجاهل الجزيرة ، وغبرت بلاد الهلال الخصيب (١) ، ذلى هذا الملك العظيم : لبنان ومصر ، دارت اقطار النهضة الادبية في بلادنا العربية» .

٢١٤

الدراسة السوربية

وتقبل بطل على مصر في القرن الماضي فيماذا رأى وماذا قال ؟

حركة التنوير في مصر ، بدأتها محمد علي وواصلها خلفاؤه وبخاصة اسماعيل ، وبها استشرق الادب العربي الى الاخذ بمظاهر التجديد !

٢١٦
ورجال المدرسة السوربية المنسرة ، هم الذين امدوا لنا بتفاسي الحفاة ٢١٧ والمدرسة الحديثة في مصر ، تدب مجسودها الى : الحرية النسبية التي فرها «كرومر» !

والى الاتفاق الودى بين فرنسا وانكلره سنة ١٩٠٤ !

ثم .. الى مآثر الاحتلال الانكليزي لمصر منذ سنة ١٨٨٢ !! من ٢٢٠ ودعاة التجديد في المرحلة المبكرة ، هم سكرى والى والى والمناضى الذين استغلوا مدرسة اساطير النقاد على سبيلها بالمدرسة الانكليزية .. من ٢٢١

وبجاندهم ظهر «النفلولي» : ربيب المدرسة السوربية المتحصرة ، ونلمنذ فرج انطون ..

والجامعة الاعلمية بحمر ، روجت للمناهج الغربية في دراسة الادب ونقد ، وكانت خليفة ان تلغ الغاية ، لولا ظروف الحرب التي اصابها بالعسر المادي ، وحالست بينها وبين اسبقها المستشرقين او اسبقها ان حدثت نكسة في دراسة الادب حين تولاه

الشيخ محمد المهدي وعاد به الى ما فيه شموح الازهر ودار المعلمين ومدرسة النساء في تدريسه .. على انها عشرة سرعان ما انزلت منها اذ عادت الجامعة في ثوب تشيب سنة ١٩٢٥ - من ٢٢٨

ونسل اسلافنا «الدكتور طه حسين» على تارمنا الثقافي ، هو الاثر الضخم الذي خلفه في تحرير العقول وتصريك النفوس ، والوقوف بشجاعة في ابداء الرأي ، والابيان العمق بالثقافة الغربية وخاصة الانكليزية والفرنسية - من ٢٣٠

الدراسة السوربية

وماذا عن لبنان في تلك المرحلة المبكرة الحديث بدا باعادة التنويه بجهود المدرسة السوربية المتحصرة ، وانرها في تطوير النقد في مصر ، واكار لما ارسيت للنقد من قواعد واصول ، اصحت فيها بعد نهسا بوزعا تتعاوره ابدى النقاد - من ٢٣٤

٢٢٨

ورائدها الاول «فارس الشدياق» . «اول من حبل اللواء وذب عنه بحرارة واخلاص .. والشدياق يحدد حتى اشراف امسلمه ، يحدد في الحياة التي عاشها ولي الادب الذي كنه ، وفي الدراسات اللغوية التي عالجاها » ٢٣٤

ثم علا رنين الاجراس لمازون عيود : « ونتاجه في النقد لا يضارعه نتاج في نقدنا الحديث من حيث الفكرة والتنوع والاصالة .. وبغده نقد ثائري ، سداة الذوق المرفه ولحمته الثقافة الواسعة ..

« اقرا ما شئت من نقده ، تجده يتناول الاثر الذي ينقده ليوليه دقة النظر وحسن التمييز حتى يخلص الى مواطن التأثير فيه .. قد تختلف معه في بعض ما ذهب اليه من احكام .. ولكننا لا نملك بعد ذلك الا ان نقول : هذه والله هي البديهة التي لا تعارض ، والقياس الذي لا ينكسر والنقد الذي استحصفت اسبابه وثابتت عراه .. وذلك هو الفكر المرن المتميز الذي سطرغ بين الناس القنرة على تمييز الحق من الباطل ، والخارجي من الشريف فنستقيم لهم الطريقة ونلوح المنهاج ويسوي المسلك .. » ٢٣٧

واستبر الحديث عن الاستاذ مازون عيود ، ثلاث مناحات كوايل ، ختمها



وكانت المرحلة الثانية من جولة
النارسي ، في مجال النجاج القذوق لاساغة
جانباتها .

ورفع صوتة بالحكم صارما :
الاستاذ احمد الشاب :

في كتابه «الاسلوب» لم يمنع شيئا
الا ان نشر مادة كتاب John Gebung
واثنى بأمانة وشواهد عربية لتوضيحها .
وكذلك في كتابه «اصول النقد الادبي»

نشر مادة كتاب Wiichester والشمس .
ما يوضحها من الشواهد العربية - ٢٥٥
والاستاذ احمد امين :

كتابي في النقد الادبي : الجزء الاول منه
تلخيص في بعض المواضع . واسباب
في البعض الآخر لكتاب Hudson
في موضوعات هي : الموضوعات ، على انه
عاجها بالتقديم والتأخير ، وشرب المثل
والشاهد من الادب العربي - ٢٥٥

اما الجزء الثاني ، فاعتمد على دائرة
المعارف البريطانية وعلى كتاب سينسيري
المعروف ، وانساق لحيولا في تاريخ النقد
العربي ليس فيها كبير فناء - ٢٥٦

والمرحلة الاولى من جهود اساتذتنا -
هكذا على التعميم والاطلاق : - «نظما
كتب الشاب واحد امين ، وهي قائمة على
الجمع والتلخيص من اهلون السبيل
والقربها ، ولعلها غير ملوثة في ذلك ،
فمعرفتها باللفظ الاجنبية والثقافة
الاجنبية كانت محدودة - ٢٥٦

وبمثل هذا التعميم والاطلاق . حكم
الدكتور نجم على حيل جديد من الحاصيين
عندنا : «ان يكن حظه من اللغات والثقافات
اكبر ، فان حظه من الاستقلال لم يكن كذلك
في اكثر الاحيان»

وهنا ، خط النارسي بكل ثقته - من
من ٢٥٦ : ٢٥٨ - على الدكتور محمد
مندور «الذي انفتح صالحة جديدة ناصمة
في تاريخ النقد العربي الحديث ، لو لم
تسودها السياسة ، وبعت بها المرض

.....
الدكتور نجم بمنذرا عن تصرها بان «الحديث
عن مارون عبود ليس من هوان الشان
بحيث يوجز في صفحات معدودات ، ذلك
انه راس مدرسة في النقد المعاصر نستطيع
سبيله ونظما مواضع قدمه . . مدرسة
الذوق والاضطراب ، والاسلوب الحي
المتدفق ، والسخرية التي لها الم شوكة
في وخزها على مجلة لينة نائمة ، والتي
ابطلت سحر السحرة وتدلبيس المدلسين»
٢٤٥ : ٢٤٨

واستطرد «الدكتور نجم» بعد ذلك
الاعتذار يقول :

«في هذه الفترة التي كان فيها مارون
عبود يقننهم المجهل ويرود السبيل ويبلغ
بالنقد منزلة ليس وراءها مرتقى لهمة ،
كانت بعض الراغم الادبية تنبو بمتبعة
روحها وفذاها من هذه الثقافة التي
اخذت نعم ، مفتحة مصر . عظميا من عصور
الادب اللباني . . . وعلى صفحات
«المعرض والجمهور والمكتوب» الفتى اقلام
النقاد الشبان ، فتودهم عصبة العشرة -
ابو شيلا وخليل نقى الدين وحيش وابو
شبكة ولحم ويزك ونقى الدين السليح
وعواد ولحود وزكور - من نصر الى نصر
وتبهد لهم طريق الادب الصحيح القائم على
المهنية والاخلاص والثقافة» - ٢٤٨

واستمر يدق الاجراس لاعلام ذلك
العصر العظيم المنصر ، ويقدم اليها :
«الناس ابو شبكة» ناددا في ثياب شاعر
وشاعرا في ثياب ناقد .

و «سعيد عقل» داعية الرمزية
وخلفها .

ورثف خوري : «ادبا مشوع النجاج
ومثالا للاستاذ النقط ، وتلى ان نجد بين
اساغة الادب عندنا من يحسن استقلال
الذميسوس مثله ، فاني كل بحث ، له
وكل مقالة ، تساعد عدل على ذلك ، وهو
في ذلك يعطى الدليل ثلو الدليل على ذوقه
المتقف وجوهته الشرة» - ٢٥٢

(٤)

والحاجة ، لتحدث بين النصح الصفحات
في تاريخنا الأدبي »

ثم انتقل يتحدث عن الذكورة مهن
التي تخرجت من جامعة القاهرة
سنة ١٩٣٣ ، وصلت على الماجستير
سنة ١٩٣٧ ، وهـ ، الذكورة سنة ١٩٤١
وبعد ذلك طلفت الأدب العربي ، إذ عرفت
أن حظها معه سيكون سئلا ، وانصرفت
الى دراسة النقد الغربي ، وكانت تلخص
لطلابها في الجامعة ، النظريات الغربية
فيه ، معتمدة على كتاب سبنسبري الذي
لعب دورا هاما في كلية الاداب ، وقد
كانت سهر مخلصه لذوقها ومزاجها ،
فانصرفت الى ترجمة القصص الغربية ،
الى ان استيقظت على صوت التراحيم
على كرسى الادب الحديث ، فاضطرت الى
كتابة رسالة عن المحاكاة ، عرضت فيها
نظرية ارسطو وماكسه عنها النقاد الغربيون
وكانت بارعة في عرض هذه الاراء وتلخيصها
.. وكان كتابها هذا اول كتاب في
الموضوع في لغتنا ، وقد اخلصت فيه النية
وان لم تسعها الموهبة .. والقت في
معه الدراسات العربية عددا من المحاضرات
في الناد الادبي ، جبهت في كتاب ، تحدثت
فيها حديثا عاما عن النقد ونظرياته ،
ولخصت جوهر النظرية النقدية الغربية
في هذه الموضوعات . وليس لها عدا ذلك
سوى مقالات صحافية واحاديث اذاعية ..

٢٥٩
فهل من موازين التقويم لاثار الدارسين
ان احدهم يرضى محتاج ، وان اخرى

طلعت الادب العربي حين عرفت ان حظها
معه سيكون سئلا ، واخذت لذوقها ومزاجها
مترجمة القصص الغربية ؟
ولنفرض جدلا ان كل ما قاله عن اساذة
حامعا حق ، فهل عو كل الحق ؟ !



وارانى قد اطلت ، قبل ان تصل حولة
الفارس الى انصي مداها عند اموحة
الشعر باليسارية ، والشبوعين الذين
خرجوا الى الدور وسفروا عن وجوعهم
واندسوا في الدخول المحلات بخون عذبتهم
والنقاد الماركسيين ، ومؤنبر دوشق لادباء
العرب سنة ١٩٥٤ ، الذي انتقلت فيه
روابط الكتاب العرب ، الذين الشبوعين
الذبحه الفكرى لها " - ٢٨١

وذلك ما اترك لسواى من النقاد ان
يعلقوا عليه ، اذ لادراية لى في الواقع انصرار
هذه النيارات ، ولم اعلم - قبل اليوم -
ان مؤنبر دوشق ، كانت له صلة بوسائل
بين كتاب العرب ، الذين الشبوعين الموجه
الذبحى لها ..
وقد أن لى ان استريح واربع القراء
من هذا الحديث الذى امد وطال ، الى
حين يناع لى ان افرغ مرة ثانية لكتاب
ارجو ان اسأل انه كتاب مروت بالذند
الدقيق والدرس المستوعب ، على سعة
وطمأننة ، لم يتحدا لى مثل هذا الحال
المحدود الذى حاولت فيه جدي ان اميز
الخطوط الرئيسية للشبكة المعقدة ، واعرف
لن تدق الاجراس .



وثيقة من بيروت

قصة محرقة

... بروميلا الدكتور عمر فروغ ...

تفليس للدكتور بنت الساطي

في الحلقة السادسة من المقالات التي نشرناها هنا بعنوان ((كتاب من بيروت)) تناولت الكاتبة جولة الاستاذ الدكتور عمر فروغ في الادب العباسي ، ولاحظت عليه أنه لم يتناول فيه غير نسب المتنبي وأسر أبي فراس ، ونسبة الدرغيات وترتيب اللزوميات لأبي العلاء . كما لاحظت ان القائمة الملحقة بالبحث ... سجلا لكل الدراسات المعاصرة في الادب العباسي - قد سجلت بعض مقالات صحافية هزيلة ، واغفلت كتباً وبحاثاً هامة في المكتبة الجامعة .

وننشر اليوم، نفس خطاب ناقناه من الدكتور فروغ ، رداً على هذا المقال :
« ... ان عدداً من استاذات الدكتور بنت الساطي في محله ، ولكنها حادثة الحق وبجنت على الحقيقة :
١ - لقد قلت : ان الموضوع مرفر على، فتوهجت ان ذلك اقرار مني بأنني لا اعرف الموضوع . والواقع ان سيرة الدراسات الادبية بجامعة بيروت الامريكية تدعيني بموضوع « الشعر العربي من المتنبي الى سبط بناد » ولم تأخذ بيدي في ذلك، ولاكان الوقت الذي حدثه ، فلما لبحث هذا الموضوع .

(٢)

(١) لقد رتبنا المراجع في أسماء الشعراء المدروسين ، لا على أسماء المؤلفين وكتب المقالات كما أرادت الهيئة (١) لقد اقتصرنا على الكتب ، مع عدد يسير من المقالات كان فعلا يسيرا .
وأما لتقدير كتب في موضوع تلك المقالات .
وأما لأن تلك المقالات كان لها قيمة خاصة بها .

(٢) يبدو أن هيئة الدراسات لم تبرز إلى قائمتي ، فلففت هذه القائمة المشوهة التي تبدأ بـ «بشار» مع أن بشارا والذين تبعوه مائتي عام ، لا يدخلون في الحقبة التي كنت أعالجها . ثم أنني أود أن أذكر الناقد أن عددا من كسبي أنا لم تذكر في هذه القائمة التي حققت بحسن ولم تنصف بيت الشاطيء لما جعلته وزر القائمة المزورة ، ولعلها تعلم أن حكم الله أن لا تزر زرة وزر أخرى .
«أن هذه القائمة» قد جعلتني مع أشياء أخرى ، اعتذر عن الاشتراك في الدورة التالية التي أقامتها هيئة الدراسات العربية في الجامعة الأمريكية ، وقلت للقائمين على هذه الهيئة يومذاك : أن عملهم ذلك كان مخالفا للأمانة العلمية .

«ثبتت لي كلية واحدة : أنني لن أسد طريق الذكورة ولن أقول عليها كما فعلت على . ولكن كنت أود منها أن تسود نقدا غير هذا ، لكتاب يحتاج إلى نقد كثير . وحيدا لي تعود إلى الكتاب وثقده من جديد .»



تعقيب .

قرأت هذا الخطاب مرين وثلاثا ، لم أعرف منه أين جانب الحق ، ولهم كان مني النجنى على الحقيقة . .
ورجعت إلى مقالتي الذي كتبت ، وفابلته على هذا الخطاب ، وعلى الفصل المكتوب بقلم الأستاذ الدكتور عمر فروخ في كتاب بيروت ، أحاول أن أهتدي إلى موضوع النقول الذي أشار إليه الأستاذ الجليل لكن محاولتي ضاعت عبثا . .

٢ - وانتقدتني بنت الشاطيء ، لأنني قصرت هي على نسب المتنبي وأسر أبي فراس ونشأة الدرعيات وترتيب اللزوميات ، والواقع أنني ضربت ثلاثة أمثلة من أساليب الباحثين في هذه الحقبة : تناولت نسب المتنبي لكثرة ما بحث فيه الدارسون ، ثم لاختلاف طرقهم في البحث واختلاف النتائج التي وصلوا إليها ، ثم لقلة الجدوى من مثل هذه البحوث في النسب .
مجال عنصرية المتنبي . وتناولت أسر أبي فراس في بلاد الروم ، وكيف أن الدارسين المعاصرين تذبذبوا في تفصيل أسره واختلفوا في مدته ، ولكن لم يخطر لهم أن يعالجوا أثر ذلك على خصاله الفنية وفنون شعره . .
وكذلك تناولت ترتيب اللزوميات عند «المعري» ونشأة الدرعيات ، لما لها من أثر في فهم التطور في آراء أبي العلاء الذي قطع بنت الشاطيء نفسها في درس نثره وشعره زمنا طويلا . ونحن لا ننكر في باب العلم أن بعض الأمور تكون أحيانا أهم من بعضها الآخر ولكن يحسن بالآخرين أن يدركوا أيضا أن المماثلة العملية هي التي تكسب الموضوعات جانبا كبيرا من أهميتها

٣ - تنتقدني الكاتبة ، على أن عددا من كتبها القيمة غير وارد في قائمة المراجع الملحقة بحجتي ، بالمتذكورة قد حطمت فاسا وانقضت على هذه القائمة لحطما وتهشما .
أن هذه القائمة في الحقيقة تزوير رخيص وإن لها قصة محزنة . ولكن بنت الشاطيء نارت لأنها لم تر عددا من كتبها في هذه القائمة ، ولم تشر لأن القائمة نفسها لا قيمة لها .

«وأحب من التاريء أن يستعمل إلى القصص المحزنة للقائمة القيمة» كانت هيئة الدراسات العربية في جامعة بيروت الأمريكية ، قد طلبت من كل باحث أن يلحق بحجته قائمة بأسماء الكتب التي عالجت الحقبة التي خُص بها ، وألفت في المائة السنة الأخيرة وبمعاوين المقالات أيضا .
«وخالفني أنا رأي هيئة الدراسات في أمرين :

(٣)

ولقد وددت لو ان سيادته بفضل شاعرائي
من هذا الجهد الضائع ، بتحديد مواضع
التجني والبقول ، لكنه لم يفعل .
فلما يختص ببحثه عن الادب العباسي
لم يصف المذكور في رده علي ، جديدا الي
ما قلت انه قمر بحثه عليه ، وانما اوجه كل
همه الي تبرير اهتمامه بنسب المتنبسي
واسر ابي فراس ونشأة الدرعبات وترتيب
اللزومات . ولسيادته مطلق الحق في
هذا التبرير ، لكنه لا يبرر بحال ، انهامه
اناي بالتجني والبقول ، الا ان ينص علي
جانب من بحثه لم اثر اليه ، او يعين
علي وجه التحديد ، كلمة واحدة نسبتهما
اليه ولم يقلها .
وفيما يختص بالقائمة المطبوعة باسمه ،
لنلا لبحثه في كتاب بيروت : لا افهم حتي
هذه اللحظة ، وان افهم ابداء ، كيف تصور
الاستاذ الجليل ، انني كنت بحيث اعلم
ان هذه القائمة تزوير رخيص ، وان لها
قصة مخزية ، ما سمعت بها قط ، قبل

ان يكشف سيادته عنها الستار . في
خطابه هذا الذي قرأته بعد نشر مقال
شهر كابل .
رواجبيا ! يذكرني الاستاذ الجليل .
احفظه وانلوه من قول الله تعالى : «الا تر
وزارة وزير اخرى» وينسى انني نشر
اعلم القريب !
مرة اخرى اقول . سلام علي الحق
والتاريخ . وهذا احد القضايا العشرة
في محكمة بيروت ، بتقديم اليوم شاهدا في
قضية كتاب «الادب العربي في اثار الدارسين»
لقدما الي تاريخنا الادبي المعاصر ، -
الوثيقة الهامة .
للاستاذ الجليل . خالص الشكر
برصادق التقدير والاحترام من :
بنت الشاطئ .

التفسير البياني للقرآن الكريم

نقد كتاب الدكتور بنت الشاطئ
بمقلم الدكتور بشري محمد علي

هذه ربيع قرن تقريباً، كان الاستاذ امين الخولي يدرس على البلاغة والتفسير في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وكان الشعار الذي اتخذ لنفسه «اول التجديد نقل القديم فهماً، فلما رأى القديماً يقسمون العلوم الإسلامية ثلاثة أقسام: علم نفع واحترق، وهو النحو والاصول وعلم نفع وما احترق، وهو علم الفقه والحديث، وعلم لا نفع ولا احترق، وهو علم البيان والتفسير، تقدمنا إلى التجديد في هذا القسم الأخير، وكانت خلاصة الرأي الذي انتهى إليه ان القرآن الكريم، من حيث هو كتاب العربية الأثر وأثرها الأدبي الأعظم، يجب ان يدرس درساً أدبياً كما تدرس الأمم المختلفة ذلك القارئ مسلماً أم غير مسلم، وسواء عيون آداب اللغات المختلفة، ذلك ان تاريخ التفسير، على ما يحفل به من تراث ضخم، قد عانى كثيراً من القبحات الاعتقادية والفكرية والعلمية التي صبغتها بالوانها: تفسير مجتلي، وتفسير شيعي وتفسير فلسفي، وتفسير صوفي، وتفسير قمعي تغلب عليه الاسرائيليان، وتفسير فقهي يعني اولاً بما في القرآن من احكام وتفسير نحوي يحرص اول ما يحرص على صنعة الاعراب، وهذه الالوان كلها تمجيد للناسي النفسي المباشر الذي يجده كل من يقرأ هذا الكتاب الكريم، سواء اكان

وعلى هذه الطريقة سار اسلافنا فيما كان يلقيه على طلابه من دروس التفسير وتخرج عدد من هؤلاء الطلاب الذين اعدوا رسائل جامعية في التفسير، وتبذلت الجهود الأدبية اوسع ما تبذلت في العناية بالقرآن بهذه المعاني القرآنية فيما يقوم على نفع هذه المعاني في القرآن نفسه، واذا كان القديماً قد قالوا «من اراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن» فان اسلافنا

(٢)

تعرض سوراً من هذا الشاؤل ، في تفسير عدد من السور المكية القصار ، وعنى سورة الضحى ، وسورة الشرح ، وسورة الزلزلة ، وسورة النازعات ، وسورة الماديات ، وسورة البلد ، وسورة الكاثر وللبره ان يتسأل : لماذا اثرت الدكتور عائشة لكتابها اسم « التفسير البياني » بدلا من التفسير الادبي ؟ ولماذا اختارت التفسير حسب السور بدلا من التفسير حسب الموضوعات ؟ اما السؤال الاول فاتها لتجييبنا عنه ، ولهذا نرجى مناقشته بعد قليل ، واما السؤال الثاني فلعلها ارادت ان تجيب عنه بقولها : « وانجه بمحاولتي اليوم الى تطبيق المنهج في تفسير بعض سور قصار ملحوظ فيها وحدة الموضوع نظرا من كونها جميعا من السور المكية حيث العناية بالاصول الكبرى للبعدرة الاسلامية ، وتمددت بهذا الاتجاه الى توسيع الفرق بين الطريقة المعهودة في التفسير ، وبين منهجنا الحديث الذي يتناول النص القرآني في جوة الامعجزي ، ويلتزم في دقة باللغة قولة السلف الصالحين : للقرآن يفسر بعينه بعنانه - وقد قلنا المفسرون ثم لم يبلغوا منها مبلغا - ويحرر منهجه من كل العناصر الدخيلة ، والشوائب المقحبة على اسائته البيانية . »

ومعنى ذلك ان الدكتور عائشة قد اختارت ان تفسر « السور المكية السبع » لسببين : الاول ان وحدة الموضوع ملحوظة في هذه السور ، كما انها جميعا متقاربة الموضوع ، واذا فحن لانزال قوسين من التفسير الموضوعي الذي يحرص عليه المنهج ، والسبب الثاني ان تفسير سور كاملة ، على نحو ما ألف المفسرون يحصل الموازنة بين المنهجين القديم والحديث في التفسير مائة اهم التاريخي ، فتتضح الطريقة الادبية - او الطريقة البيانية - اتم وضوح .

اما من السبب الاول فاننا حين نقرا تفسير السور السبع لا نلاحظ تنافرا موضوعاتها ، بل نلاحظ ان ثمة موضوعات ثلاثة : فالموضوع في سورتي « الضحى » و « الشرح » تهئة الطمانينة الوجدانية

قد جعل تفسر القرآن بالقرآن بمنهج علمي يلتزمه الدارس : فكان من مقتضيات الطريقة الادبية عنده ان يدرس القرآن موضوعا موضوعا ، لا سورة سورة كما تعود المفسرون . فان الفهم الدقيق لمعنى القرآن واغراضه يستلزم ان يتضح الدارس الموضوع الواحد في القرآن ، ثم فرد اوله الى اخوه ومفهم لاحقه مسابقة ملاحظا الملائمات والمناهيات والاسماء التي احاطت بها مفهومه من التفسير . ثم كان من مقتضيات الطريقة الادبية ان يتضح الدارس استعمال القرآن للفظ الواحد ليحدد معناه اكل تحديد : مادنا بدراسة معاني المادة لغة ، ومحاولا ان يربط هذه المعاني بحسب تنظيمها بالمتن الدعوى من معنى الى معنى ، ثم ملاحظا سداد اللفظ في القرآن ، في كل موضع ورد فيه . وكانت هذه الطريقة في الدرس ثمانية محبذة ، فثبتت محسورة بين جذران الجامعة ، حتى ان استاذنا حين دعى ليلقى احاديث في الاذاعة بعنوان « من عدى القرآن » حرص على ان يخلف من الدراسة اللغوية ، مكفيا بنتائج هذه الدراسة دون مقدمتها ، ثم قال حين قدم محبوه من هذه الاحاديث في كتابه « التائفة الاول » انها كانت « عدى » للتفسير الادبي فحفظت منه خصاله الترتيب الموضوعي ، وفهم معاني الايات كما كان يفهمها اهل السيرة في عهد نزول القرآن ، والبحث في

القرآن من تدبير نفسي واجتماعي للحياة الانسانية .

واليوم تقدم الدكتور عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) الى المكتبة

القرآنية كتابها « التفسير البياني للقرآن الكريم » ، يتحدث عما ينبغي ان تكون عليه الدراسة الجامعية لكتاب العربية الاكبر ، من تناول ادس خالص لهذا البيان المعري المعجز ، وفقا للمنهج الذي امله استاذنا امين الخولي . ثم

الجو النفسى لما تناولته من السور وبها
تقينا راعيا ، واخصى تفسيرها لسورتي
«النسح» و«البلد» فقد ملأت فيها حياة
مايلج اليه المفسر الادبى . هذا الس
انها احدثت الى راي في اقسام القرآن
بنته على دالة موضوعية دقيقة لم تنسق
اليها على نهجنا الادبى - فسيما اعلم .
واما من السبب الثانى الذى دعسا
الكلمة الفاضلة الى تفسير سور كاملة ،
وهو اظهار الفرق بين المجهين القديم
والحديث في التفسير ، فقد كتبت اود لو
توارى هذا السبب لئلا يتم تشويش
في مناقشة المفسرين القدماء في تخرجهاتهم
النحوية ، او تأويلاتهم البعيدة ، او مرفوضهم
التي لا يوثقها السياق ، فان هذه المناقشات
كثرا ما غيرت المعنى الواقع الذى ارادت
الكلمة ان تجلوه . وكنت اود لو توارى
هذا السبب تلبلا ، فلم تسترسل في التحليل
اللغوى لبعض المواد ، استرسالا لانريد
شيئا في ايضاح الاستعمال القرآنى ، ولكنه
يزوع التارى بها فيه من جهد واستيعاب
ولعل هذا الحرس على مواجبة المفسرين
القدماء بمنزل مناعتهم هو العلة في اناساها لنا
عنه في عدد هذا المقال من ايشار الدخورة
عائشة عبد الرحمن لاسم «المفسر
البابى» على «المفسر الادبى» . فالبيان
صناعة من المنافع اللغوية . نعم انها
صناعة اقرب الى الادب من الصناعة
النحوية مثلا ، ولكنها يجب الا تستأثر
بتفسيرنا الادبى ، فالخاتمة من هذا التفسير
اولا واخرا هي «حسن القرآن»

للمرسول ، والموضوع في «الزلزلة»
و«النزعات» و«العاديات» هو الانذار
سهول الساعة ، والموضوع في سورتي
«البلد» و«النكاث» هو تنبيه الكفار الى
ضلالهم الاجتماعى تنبيها فيه زجر ووعيد
وقد اضطرت الكاتبة الفاضلة الى ان تتناول
موضوع «الساعة» في عدد غير قليل من
الابيات ، على طريقة التفسير الموضوعى
نوطنة لتناولها في السور التي امرتها
كما وقفت وتفتت طويلا عند القسم في
القرآن بوجه عام ، كلها تناولت القسم
في هذه السور . فانصح بكون اننا
قدمت لنا في هذه المحاولة الجديدة مزيجا
من التفسير الموضوعى والتفسير حسب
السور ، ولست ارى بهذه المحاولة باسا
في حدود السور القصار التي اختارها
الكاتبة ، فربما كان التارى في حاجة الى
ان يبين له الجو النفسى الواحد الذى
نزلت فيه السورة ، كحاجته الى ان تفسر
له موضوعاتها بالاحالة الى السور الاخرى
التي تناولت مثل هذه الموضوعات . وبيان
هذا الجو النفسى هو من صميم التفسير
الادبى ايضا ، الا انه لا يتيسر الا اذا وجدت
من بدى التفسير للسور تائلا بموضوعية
تجعل تناولها لكل موضوع في السورة
الواحدة قائما على اساس متين من تفسير
موضوعى سابق . وربما احتاج التفسير
في هذه المرحلة من حياة التفسير الادبى .

الى ان يقوم بنفسه بذكر من تلك التفسيرات
الموضوعية نوطنة لتفسير السورة ، وعليه
بعد ذلك الا يفرس هذا التفسير الموضوعى
الا بقدر ، حتى لا يخرق بالتارى عن جو
السورة . واشهد لقد وقت الدخورة
عائشة بذلك كله ، واستطاعت ان ترسم

التاريخ : ٢٩ / ٦ / ١٩٦٢

كلمة من الميثاق الانسانى بلا قيود ولا أغلال

« ان المرأة يجب ان تتساوى بالرجل ، ويجب ان تسقط بقايا
الاغلال التي تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع ان تشارك بعمق
وايجابية في صنع الحياة » . « الميثاق »
« فان تأسزعتن في شئ فرددوه الى الله والرسول ، ان كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر »
« قرآن كريم »

بسلام الرسالة بنت الساطع

اكان من الحق والخير ان نثار كل
هذه الضجة حول المرأة ، مجرد ان
المثال الوطني اوجب سائرنا بالرجل
ومرغى تشاركنا في هذه الضجة ، وبرغم
كذلك اكذب اليوم عنها ، لا دفاعا عن
المرأة او البشرية ، ولكن دفاعا عن الدين
الذي يتكلم المتكلمون باسمه ..
وباسمه كذلك ، ولدت المرأة بمنزلة لدى
هرون ذات عهد ..
وباسمه حربت ارجال من امهاتنا ، حفر
الانسان في العلم الذي هو في شريفنا
ليرفضه على كل مسلم وبسطة ا
ولا يترنن شوقا ، يشب بترنن ان ينسب
الى الاسلام ما امرنا الله من ..
لاني اكره ان تسبح الدنيا في مصر
انفساء ، ان يمركة السطور والحساب
عانت تشنن مصر التي شامت لها شروفها
وتأريجها ، ان تكون طينة قبابية للشعوب
العربية والاسلامية ..
واخرج كليا ليثت وسائل الاعلام
تذيع في أرجاء العلم الجديد . اننا منا
في أرض النيل ، مهد الحضارة وام المنية
مدنا نجسادنا في سائر المرأة سترحل
وفي خروجها للعمل . وتحررها (لن يلقاها
الاغلال التي تعوق حركتها ، حتى تستطيع
ان تشارك بعمق وايجابية في صنع الحياة)
كنا ارضنا الميثاق توله «ايزيس» تيز
بمحت الاتبيات برسالات النساء ..
وكتنها لم تتزوج حشمسوت وكيوبالرة
وشجرة الدر: قل ان تصبح الدنيا محقوة
النساء ..

(٢)

يجتمع بهما ببلغ مستواه الحضارى ورقبه
الفكرى ..

وانما الذى يضيرنا كل الضير ..
هنا المائل بالاسلام الخلقون ، وبراء دين
خالف لا يستحب لحنه التطور .. لا
مفسر الى دعاء التقدم ، ولا يكثر لاسر
الزمان ..

وانما لزمان انه دين خالد ، صالح
كل زمان ومكان ، ونشهد انه يستهدف
حرية الانسان وكرامه وسعادته ..



وقالوا : تقيد المساواة المنصوص عليها
في الميثاق ، بحدود الشريعة الاسلامية ..
وهو شرط ، كان ينبغي ان يعقبا
بانه ، ان الميثاق نص بصراحة ، على
التزامه بجوهر الدين ..

واتول مع ذلك : تعالوا نحكم الى
كتاب الاسلام ، لنرى ما اذا كان قد
وضع حدودا لمساواة المرأة بالرجل ، فيما
هو مفهوم من المساواة ينطق العقل
وقانون الطبيعة ؟

ولا مفر لنا من هذا الاحتكام ، ماداموا
يتكبرون عن حدود المساواة في الشريعة
الاسلامية ، والله تعالى يقول :
« فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله
والرسول ، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم
الآخر »

وكان ريفنا لم يشهد منذ كان ملايين
النساء هنا ، سائرات عاملات في حقول
الوادي الاخضر ..

وكان لم تنطلق الانواج منا .. من
ظلمات الحريم الى افاق النور ، نبيهن
الدنيا بها حققن من معجزة التطور
ويقولون : الاسلام ..

وامهات المؤمنين وبنات الانمة ومن
الصحابة كن ملء الحياة ، وقد سجلن
اسمائهن في اعز مكان من كتاب التاريخ
الدينى والسياسى والادبى للاسلام ..

ومصر الاسلامية ، قد عرفت قبل محتنها
بالغزو التركى ، سيدات فقيهاً يتصدرن
المجالس العلمية ، ويعترف لهن بالمشيخة
اي الاستاذية ، في علوم العربية والاسلام
لميجزن رجالات من اعلام المحدثين والمفهاء



ولن نساء مطلق الحق في ان يكره خروج
المرأة الى ميادين العمل ، وان يرى
بشأنها في الحياة العامة من اشراط الساعة
لكن ليس باسم الاسلام ..

ذلك لانه لا خير علينا في ان توجد
بيننا فئة رجعية ، تنظر الى المرأة بعقلية
سلاطين الترك ، وتحن الى الدمية
المخدرة في قفص اطلقوا عليه بحق ، خدر
الحريم ، فهذا في حساب الطبيعة من
الظواهر الاجتماعية التى لا يبرأ منها

ونؤمن بقوله تعالى: « الرجال قوامون على النساء » لكن لا على الإطلاق ، بل « بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما انفقوا من أموالهم » وليس بما هم رجال وبما هن نساء فحسب !

« وللرجال عليهن درجة » ليست لك مطلقة بغير قيد ، وإنما هي مسوقة بالمساواة الصريحة في الحقوق والواجبات :

« ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة »

درجة يستقيم بها حال الأسرة ويستقر البيت ، دون أن تنفى المساواة بينهما على الإطلاق ..

ولا أخفى هنا بأن تفاوت درجات الرجال أنفسهم ، في العلم أو الرتبة أو المكانة ، لا يهدر مساواتهم في الحقوق الإنسانية والقومية والمدنية .

بل احكم الى القرآن الكريم ، فيها إذا كانت «درجة» امتيازاً خاصاً للرجل على المرأة ، وليست للرجل نفسه على الرجل ؟

الرسول ، عليه السلام ، تتفاوت درجاتهم بنفس الآية :

« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ، ورفع بعضهم درجات »

والصحاباء ، رضى الله عنهم ، متفاوتو الدرجة ، بصريح قوله تعالى :

« لا يستوى منكم من اتقى من قبل الفتح وقابل ، أولئك اعظم درجة من الذين اتفقوا من بعد وقابلوا ، وكلا وعد الله الحسنى » والمؤمنون أيضاً تتفاوت درجاتهم بتفاوت أعمالهم :

« ولكل درجات مما عملوا ، ولو فهم أعمالهم وهم لا يظلمون »

والبشرىمة ، ليسوا سواء في الدرجة : « وهو الذي جعلكم ثلاثين الأرض ، ورفع

ولا أعلم أن في كتاب الله تفرقة بين الرجل والمرأة فيما يجادل فيه .

ليس في القرآن الكريم : « لا تستوى المرأة بالرجل » وإنما الذي فيه أن الرجال أنفسهم ليسوا سواء !

« ألهمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً ؟ لا يستوون »

« قل لا يستوى الخبيث والطيب ، ولو أعجبك كثرة الخبيث »

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين يعلمون ، إنما يذكروا أولو الألباب »

« لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون »

« وما يستوى الأعلى والبصر ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسء »

فليلاً ما تذكرون «

« وما يستوى الأعشى والبصر . ولا الظلمات والنور ، ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات ، أن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ، أن أنت إلا نذير »

« وضرب الله مثلاً رجلين : أحدهما ابكم لا يقدر على شيء ، وهو كل على مولاه أبنا بوجهه لا بات بخير ، هل يستوى هو ومن بآمر بالمعول وهو على صراط مستقيم »

« أجعلهم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ؟ لا يستوون عند الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين »

والآيات كلها صريحة في أن المساواة مرتبطة بالعلم والعمل ، والصلاح والإيمان دون أن يكون للجنس ، ذكراً أو أنثى ، ارتباط بها من قريب أو بعيد ..

ولا سبيل هنا إلى تأويل أو احتمال !



بعضكم فوق بعض درجات لبلوكم فيما
أتاكم ..



وضلال ما بعده ضلال . ان يقول
مسلم ان للرجل على المرأة درجة ، لجرد
كونه رجلا ..

ولو كان فاسقا ، وكانت مؤمنة !

ولو كان جاهلا ، وكانت عالة !

ولو كان خبيثا ، وكانت طيبة !

والذي يقول مثل هذا ، يلزمه القول
بان السيدات خديجة بنت خويلد ، وعائشة
بنت ابي بكر ، وفاطمة الزهراء ، اقل
درجة من ابي لهب ، وابي جهل ، ومسلمة
الكذاب !

وعليه ان ينتمنا : ابن درجة «أسيرة
امراة فرعون» من زوجها الطاغية ؟
وابن يا ترى موضع «ام المؤمنين بنت
ابي سفيان» من درجة زوجها الاول «ابن
جهش» الذي ارتد عن الاسلام بعد
هجرتهما الى الحبشة !

ان احدا ممن ناقشوا مشروع الميثاق
لم يجادل في مساواة رجال برجال ، ونساء
بنساء ، وانما كان الجدل المقيم في
مساواة المرأة بالرجل . بحرفون بها الكلمة

عن موضعها ، فيجعلونها من المسخ
الذي يجز لسائل ان يسأل : هل تعدد
المرأة الأزواج بمقتضى المساواة التي
أوجدها الميثاق ؟ وبقي ان يخشى مطالبة
المرأة بان يقاسمها الرجل سواء بسواء ،
اعطاء الرجل والوضع والارضاء !

ولم تذكر واحدة من اتيحت لهن فرصة
المنافسة لمشروع الميثاق ، في ان تطالب بان
تكون مساواتها بالرجال في حدود الشريعة
الاسلامية ، التي لا يستوى عندها خبيث
وطيبة ، وجاهل وعالة ، وضال ومسئبة
ذلك لاننا نرى ان الميثاق جهلة ، لا
يخرج على جوهر الدين ولا يشذ عن منطق
العقل وقانون الطبيعة ..

وتدرك حق الادراك ، ان المساواة
لا تعنى قلب الاوضاع واختلال الموازين
ومسح الفطرة !

وقد ان لهذه المعركة ان تنتهي ..
نهاية حاسمة لا تسمح لها بان تعود
لتتار من جديد كلما برنا خطوة على
الطريق ، لنفوق الركب الجدد ، وتستنفد
طاقات نحن احوج اليها لبناء وجرودنا
وتأمين المصير !

« وإذا قبل نهم بمعالوا الى ما نزل الله والى الرسول ، قالوا احسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهندون ! »

قرآن كريم

« ان جوهر الرسائل الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة ، وانما ينتج التصادم في بعض الظروف ، من محاولات الترجمة ان تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لمرقلة التقدم ، وذلك بافعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهية السامية ، ثم الميثاق

كلمة من الميثاق الرجعية وثنائية فكرية

يقام الدكتور بنت الساطي

كما تشابهت المساراة بالمشغ على من جادلوا لعماد الرجعية الميثاق من مساواة المرأة بالرجل ، تشابهت الرجعية بالمحافظة على كثير منهم ، الى الحد الذي وقف فيه استناد كبير بلول لنا بصوته الجهر : « ان الرجعية كلية حق براد بها باطل ويجب ان نطلي الرجعية لان لنا فيها كوابح تلجم النور والانتقال . »

ومكت الكلمة مسمى ، وانا اندبر عبارة الميثاق : « ان جوهر الرسائل الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة ، وانما ينتج التصادم في بعض الظروف من محاولات الترجمة ان تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لمرقلة التقدم ، وذلك بالفعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهية السامية . »

(٢)

... خبطة غريبة الانسان وسوس
 وانما التي نشأت في بيئة دينية محافظة
 اصرت على احيائها بنائها سوانا مقنن.
 في البيت ، وذاون القرآن الكريم ويتلقين
 علوم العربية والاسلام ، ولم سمح
 لاي واحدة منا بالخروج الى المدرسة
 لتعلم . فلما شاقن ان اقبل اسم احد
 سديلا الا ان اتسل خبطة فاؤدى امتحان
 الشهادات العامة من المنزل ، وحين
 تلامت الى المذات الادبي انطورت
 الى ان اذناه متحركة باسم مسمار ،
 احراما لابي الشيخ وخونا من غيبه .
 وكانت تجربة خروجي ، من القسوة
 بحيث لم تلق اخواتي الخدم احتالها
 فسفن حيث اراد لهن ابي ، ام تخلص
 حنة البيت الى طريق المدرسة !
 ومع هذا ، اقول اليوم ساء ابرام
 كلا بل الرجعية كلبة باطل براد بها
 حق ، وليس سمحا انها التي تخرج
 فواء المدفعين وحروج المستهترين ، وانما
 الشمس هو السحبي . فهي التي تفرى
 بالجبوح والتمرد ، وهذه قضية قرع علم
 الاجتباع من الفصل فيها ، وقالت الحصة
 فدما كلهنا ، بعد كل الذي عانت من ماسي
 الدجل الخلفي والفساد الدني والندهور
 الاجتماعي ، في ظل الرجعية !

الرجعية

والاسلام بني الرجعية : لانه دين الفطرة
 والفطرة سبوا الطور ، ومحل في قلوب
 الطبيعة ان تسير ويحيها التي الخلف
 وعند في منطق الفطرة ان تتحدى حكمة
 السطور ، ونصر في عناد على ان تسير
 في زمان غير زماننا ، ونفكر بعقولة عصر
 الذاتة ، في عصر القنات والسوارسة
 وسف الغشاء .

وان دينا معجزته كتاب ، وآيته الاوان
 «اقرأ» لا يمكن ان نجد عقولنا وسب
 حركتنا الحرة المطلقة في افان التون .

وان القرآن الذي ترو البشرية لاهر
 الملائكة ان يسجدوا لادم ، ام السير
 لاسكن عقلا ان يرضي لامته رجعية مخلقة
 مدعوم الى وراء ، والدنيا من حياوم

تشارك ونشير .
 والذين يندعون فندسات بتصادم بها
 الدين مع العلم ، يجحدون آية الله حل
 جلالة :
 « انما يخشى الله من عباده العلماء »
 ويجحدون ذلك حديث الشي على
 التسلا والسلام :
 « العلماء ورثة الانساء »
 ويتحدون على شريعة سمجة خلفة
 معسر «العرف» ويجعل «المصالح العباد»
 اسلا ، وتري «الضرورات تبيح المحظورات»
 ونقرر المادي والاسول : تاريخ ، دانا
 لسر الزمان .
 وهذا من امرار عظمة الاسلام والتدور
 ان جوهره ثابت لا يغير .
 وانما نحن الذين نتغير ، نجد كل منا
 في الدين ملاذ وخبره وهده ، على اختلاف
 الزمان والمكان ، ونساق الظروف والاحوال
 والاجواء .

ولولا ذات حزمه مع مرونة حيوت
 ورحمة الفرة لما اظل شعوبا تسير ، تبايت
 انجسوا وعقلياتها وسلاها ، وبالمسمر انها
 الحشاي ، ماديا وروحيا .

الفساد

وخطا : الا حدد دلالات الفساد
 وفاهيم الكلمات ، ولو ند فاعشا لما حار
 ان يتشابه الامر على بعضنا ، فخطا من
 المحافظة والرجعية .

المحافظة فانون طبيعي وسنة المودة :
 فما من طور من اطوار النباتات ،
 فليس سبوا من التطور الذي سطر .
 ما من نبات سمن ان يقوم ، بعد مذرة
 نخلة من زرع ساق .

وما من انسان يسكن اليوم ، وليس
 فيه عنصر جرمي من الانسان البدائي
 الاول ، في عصور ما قبل التاريخ .

وما من شريعة سماوية ، كم تحفظ
 بجواهر الانسان التي سبها : وان
 تغيرت الشرائع لتساير تطور البشرية
 ورشد الانسانية .

والمحافظة ، لا الرجعية ، هي التي
 ندم حنا من نسل المستهترين وكبر
 جروج المدفعي ، وهي التي تصون اصلنا

منايا اغلال يجب ان نسقطها ونحطمها ونغمر
على الطريق احرارا نقحم العقبات ونغمر
حسانا مائد غير مغلوله ، ونطير ايات
الكون واسرار السماوات والارض ، نلوي
بمسرة ، وعقول مذنحة للضياء :
« افلم يسيروا في الارض فتكون لهم
قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها
فانها لا تعي الابصار ولكن تعي القلوب
التي في الصدور »



ذليت الذين يحاولون تحدي التطور ،
ينديرون آية الله : « وقد خلقكم اطوارا »
ابيحوا ويستريحوا : يدركوا عشت
حائلة ناسدا الى الخلف
يكرم الله وجه « الامام علي » الذي
نسيح للبناء - من فجر الاسلام - الا
تسيروا ابتاهم على اوضاع خلقت : وقد
خلقوا لزمان غير زمانهم ..
ورحم الله « ابا العلاء » شاعر العربية
الاكبر ، الذي قال منذ الف عام
امس الذي مر ، على قربه
بعجز اهل الارض عن رده
الا وان الرحمة ونينة فكرة ، وما
اضل اما قبلنا الا انهم كلما جاءهم ، يد
من الحق ، ابوا الا التمسك بما كان
عليه اباؤهم :
« واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله ،
قالوا بل ننتع ما افينا عليه آباءنا ، او
لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون »
سدى الله العظيم .

وتحس بقائنا ، بتنايد واعراف لنا ،
تصلنا بأعز تراث ماضينا ، وتمنح وجودنا
قوة ومعنى . والشعب الذي لا يحافظ
على كريم تقاليد وموروث عائلته ، يحكم
على نفسه بالهدد والضياع ، ويبني حائره
على هواء
وبالحافلة ، لا بالرجعية استطاعت
العربية ان تحمي وجودها في مهبط الغزو
الشعوبي والتسدي والصليبي
والاستعماري ..

وبها استطاعت مصر ان تغرس وجودها
على التاريخ رغم كل ما بر بها من عصب
الحزن ، فلم تسمح لاي غار دخل
او اجنبى غريب ، او مظالم عمل ، ان
يزيف اصلتها او يمسخ شخصيتها ،
والدنيا من حولنا ، ناسد شعبنا بلا
ماني ولا تاريخ ، يحاول عنا ان ينجو
من عقدة النقص ، فندبه ان يعلجها مثل
ثراله اللامحش ومذنته المستحدثة ، على
حين استطاع شعبنا ، على فقره ، ان
مواحه الدنيا معنزا بامالته وعراقته ، وان
يستشرف ما وسعه الطموح الى اعز
مكانة ، دون ان يستكبردا علينا تاريخ
مرلنا منذ كان .



ونص الميثاق على تيسرنا بموروث
عقائدنا ، واعتزازه بماني لنا عريق ، لا
محال اموت يرتفع لنا مائدا موجوب
بشاعرية نكح انطلاقتنا او نحاول التشت

عزف الكلمة

في المجال الأدبي

الكلمة بين السامع والمستمع



«الكلمة»
شظيرة
وجلياسة
ولا يهاسك

حريتهما الا من يقبلن تبعتهما
ويؤمنن بشرفهما وجلالتهما!

كشفت الكلمات العلية والخاصة لبلدنا الوطني ، عن مدى حاجتنا الماسة الى تحديد دلالات الالفاظ التي يحدث فيها لبس او اشتباه .
ومن اجل هذا عالجت كلمة «المساواة» التي لها مناسبات على نظر من بالمسح الذي هو شذوذا وانحراف .
وكذلك لمعت لي كلمتي عن «الترجمة» لافرق بينهما ، وهي وثيقة عقلية ، وبين «المحافظة» التي هي قانون طبيعي وسنة الهمة ، وبها نصون اصلتنا ومحرم وجودنا والنوم اعالج - في النطاق الادبي - قضية «الحرية الكلمة» كيلا يساء قلوبها وتضل فيها المفايس .

(٢)

نكرها //

والعلم اقدس ، واعلمت من منحه حرية
النقد ، في المجال الأدبي ، ذلك
تشفه منه مقال بحث به الأسس الأدبية
نظم ، فإرسل الدولة العالمة من
بروت : «الأدب العربي في آثاره الدارسة»
واند أصدر سيادته على نشره ، باسم حرية

الكتابة ، وأنه باقى علمنا درساً في أدب
الحرية ، فإرسل الدولة العالمة من
الأدب ، فإرسل الدولة العالمة من
الأدب ، فإرسل الدولة العالمة من

الأدب ، فإرسل الدولة العالمة من
الأدب ، فإرسل الدولة العالمة من

الأدب ، فإرسل الدولة العالمة من
الأدب ، فإرسل الدولة العالمة من
الأدب ، فإرسل الدولة العالمة من
الأدب ، فإرسل الدولة العالمة من

الأدب ، فإرسل الدولة العالمة من
الأدب ، فإرسل الدولة العالمة من
الأدب ، فإرسل الدولة العالمة من
الأدب ، فإرسل الدولة العالمة من

لم أكن أتصور ، أن تهتر الحريات
بهذا المنطق الشاذ من الإنسالي ، وأن
يخلل الموازين في النقد الأدبي ، فنصر
أمانة المؤلف ، سرقة واختلاساً !

فهذا هو الدرس الذي يؤمنه الدكتور
أن منطقتنا أباد في أدب النقد ؟
وهل هذا هو منطق نهية لحرية الكلمة
وحرية الناقد وأمانة القلم ؟

لقد ضللت المساندات أفن ، فبالا
بعيدا ...

والذي هؤلاء جميعاً أثول !
إن الحرية في السوانح ، شعرة
ومستوحاة ...

والأمانة الشرائع المسيحية والنسبية
تتشبه بالبحر على حرية السفهاء فوثع
وسيا على من لم يوليغ سن الرشيد فونصاف

فأبنا من يتصور ، أن حرية الكلمة
تبيع لمن شاء أن يقول ما يشاء ، بتفسير
قضاة أو قبيد .

ومن هذا جاء الالتباس فيما أوجس الخناق
من حرية النقد ، فحسبها أنهم أباحوا
مطلقة ، تحيز لكل من هو وديب ، أن يذهب
الحريات ويستبدى بالآباء ، باسم - ريد
النقد .

واخفقوا ، بل أن يفتح حجابها
ثغرة لرصد النظم وتشليل الوحدات العلم
وترويض شعاعة فكرية سامية ، فمروحوها
المعلوى !

ونسوا أن «النقد» تبعه ملاحظة ، لا
يجوز أن تنصدي لها إلا من يقدر عليها
وبذلك يستولسها .

وإن «الكتابة» خطيرة وجليلة ، لا يملك
حريتها إلا من لم ينسرفها وحلالها .

ومن هذا الزمير المصوغ بحرية النقد
جاء لأدهم أن يبعث إلى الصحافة الأدبية
كلمة يحكم فيها علينا بتحرير كل كاتب
اللهمة ، لخطأ مطبع وشعره ، فإرسل
تكان «اعتداء» في الآية الترمية : «إنا
اعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً»
وباسم حرية النقد ، كتب اسفاذ جليل
كلمة أصول الدين ، مهددين بالاعتداء
السلطات على ، لأن احزمت مذهب الكفر
في تمييز العدد ، تيسيراً على العامة
ومدرس فاضل من كبر حسادة ، أمر

باسم حرية النقد على نشر مقال تهديدي
فيه بتلفيق قضية المساواة بين المرأة
والرجل ، حين أخصمت أثر المرأة الشريفة
وأقللت ذكراً الموارث .

الوصيكم الله في أولادكم المذكر مثل
حقه الأنثى ، وعز في وأنه - فإرسل
الحجة على أنسوية الرجل على المرأة
بمجرد كونه رجلاً فحسب !

والجدة التي لم أجد في ذلك إلا
الترمية عدا ، لادوية بتأنيق النسوة
ولكن لأنه لم يخطر بباله أن يخلل
الحظ المقوم لنا من الميراث ، فإرسل

الميراث ، بل لعله أقرت عندي ، إلى أن
يكون أمثالا لها ، ثم اعطياها النسوة
به أنها بدقى من أمي القزامة في حين أباد
الرجل ضعف خطها ، فإرسل بأعواء ومراعاة

ماهية ، والزم شعراً سعادتها وبها أولادها
مناه ، ولم كالمه مريم ، فإرسل
لها إذا شأنت أن تتبدل من ذكراً إلى
اعساره ، وإن مثلك حسنة في السفاة
المفروضة عليه ، إذا لم يؤدها ما دعا له

(٣)

حرية من يسيء استعمالها فليس بالحرية
او بمعنى على الغير ..
ان ذلك الاجر في حرية الكلمة
بحذر تلاها في حالات البسطة والت
الغالي ، ويصدر اذا امسك اسنم
فاسرت بالعبادة او انتهكت بالا يحو
بذلك من حرمان ..
فلا حرية لاديب بزيق الفهم ، او بدير
معنويات الامة ..
ولا حرية لظلم ماجور ، نشترسه
المؤسسات الاجنبية ، اداة لسلل الغسزو
الفكري ..
ولا حرية لنافذ ، بخون الامانة وينحل
من قنودها !
وفي تاريخنا القديم ، دروس حاضرة
بان تعليدا اديب القفد ، وتحرر ماثوبيا
اعز حرية الكلمة ..
وحسين ان الشير حنا ، والمحل سيق
البر بواقف لعدو من الخطاب ، السذو
اسفر تاريخ الانسانية مهورا الى كلمته
النايلة :
« اسابت امرأة واخذها مهر ! »
كانت حرية الفخر الاسلامي على يده
في امته ، والحبوب العربية شلال بحافدة
نعم والقر الاسلام ، في العبادة الواحدة
المسقة من اطراف بلاد الشام ، التي تفرق
واحد ، اول ..
ولم يرافقه الانشغال بذلك ، الجهاد
والمرعة من العرب ومن الفرس والروم
في ذروة احتدامها ، عبر الانكبات التي
المكان الانبياء انشط مشاهير ، تقديروا
منه لظلم الكافة ، واحراكا لقودهم ها
على كتاب الامة ، دافوز ، ايلها على
الوجدان العام ..
من اجل هذا ، لم يتدد من ربح الاسم
حرية من يسيء استعمالها فليس بالحرية
او بمعنى على الغير ..
ان ذلك الاجر في حرية الكلمة
بحذر تلاها في حالات البسطة والت
الغالي ، ويصدر اذا امسك اسنم
فاسرت بالعبادة او انتهكت بالا يحو
بذلك من حرمان ..
فلا حرية لاديب بزيق الفهم ، او بدير
معنويات الامة ..
ولا حرية لظلم ماجور ، نشترسه
المؤسسات الاجنبية ، اداة لسلل الغسزو
الفكري ..
ولا حرية لنافذ ، بخون الامانة وينحل
من قنودها !
وفي تاريخنا القديم ، دروس حاضرة
بان تعليدا اديب القفد ، وتحرر ماثوبيا
اعز حرية الكلمة ..
وحسين ان الشير حنا ، والمحل سيق
البر بواقف لعدو من الخطاب ، السذو
اسفر تاريخ الانسانية مهورا الى كلمته
النايلة :
« اسابت امرأة واخذها مهر ! »
كانت حرية الفخر الاسلامي على يده
في امته ، والحبوب العربية شلال بحافدة
نعم والقر الاسلام ، في العبادة الواحدة
المسقة من اطراف بلاد الشام ، التي تفرق
واحد ، اول ..
ولم يرافقه الانشغال بذلك ، الجهاد
والمرعة من العرب ومن الفرس والروم
في ذروة احتدامها ، عبر الانكبات التي
المكان الانبياء انشط مشاهير ، تقديروا
منه لظلم الكافة ، واحراكا لقودهم ها
على كتاب الامة ، دافوز ، ايلها على
الوجدان العام ..
من اجل هذا ، لم يتدد من ربح الاسم

عنه من ان زجر حسان من ثابته : سامع
الرسول ، عذرا من به في السجدة السوي
فسيعة بشند قسند كال اند قاتبا قرحاء
المشركين قول سبع مئة ، وكان اعز
ان مسادر حرية الانبياء في اسناد هاجيم
التي قابوا بها المرددين غرضوا المسلمين
كبلا نهيج فينة ثابت بدخول الناس في دين
الله امواجا ..
و« من اسر » الصلوة الشاعر ، انا
الملك لسانه في ال « الزيفان بن بخران »
وكان قد مر بين لم يحد ضيافتهم ، وقار
يحوهم ..
ملوا فراه وحرية كلابهم
وتخفوه بنسب واضراس
دع المكارم لاسرل لبقينها
وافعدفانك انت الطاعم الكامي
كذلك قول رضى الله عنه ، يسبح
الشاعر « النجاشي الحارثي » : مسادر
حرية حيايه لافراض الناس ، وحدده
منطع لسانه ، حين اطلقه في « بني
المحلان » لخصومة ميه وبين شاعر منهم
قال فيما قال يجر اياهم :
وما سدى « المحلان » الا لفسله :
خذ الذهب واخلياها العبد واعجل
وقد ان لنا من السد من الفد وسن
الذهب والذهب والذهب المسف ، وان
يسر انهما لحرمة الشمة ، فستل في
سجل شهابها لتكلم ، اديا او نافدا
من كل اعدا لاحتال سعادها ، وقنودها
التي مفرقها مركزه الفسدى في المحتج
وهذه القسود ليست عدوانا على
حرية الكافة عند من بقدرونها حق قدرها
وانما هي اجدر بان تكون احراها لمدينة
الانسان ، وسونا لكرامة الكافة وشرف
الحرية !

هذه الوحدة الفكرية تتحدى كل تفرقة بيننا



في مجموعة من ذخائر التراث العربي ، نشرت حديثا بدمشق
والقاهرة وقطر ، فأحييت آثار علماء وشعراء ، من نجد والعجاز ،
ومن العراق والشام والمغرب والاندلس ، شهدت هذا اللقاء
بيننا على امتداد الزمان والمكان

بقلم الدكتورة بنت السالم

في خشوع واجلال ، وضعت امامي ما طالعت في هذا الموسم ، من ذخائر
تراثنا التي نشرت ، استعيد به كربات عصور للعربية زاهرة ، شهد التاريخ
لها جنودا من ابنائها ، على طول القطر الممتد من قلب الشرق الاسوي
الى أقصى المغرب الاقصى ، عاكفين ورهينة علمية على خدمة العربية ، وكان
بينهم هذا ان يتقاسموا العبء الجليل وان ينفذ الشعلة المباركة خلف عن سلف
كي تظل وهاجة ابدية ، لا تخبو ولا تنطفئ ...
وعجبت لهذه الوحدة الفكرية بيننا ، نلتقي فيها عند تراثنا المشترك ، ونربطها
بها واصر وثقة لا تنفصم ولا ننحل ، تجمعنا على تتابع الاجيال ، نناني الديار عبر
الحدود والحوجز والاسوار ..
وطال تأمل ، وانا اشهد هذا اللقاء بيننا ، فكرا ودلما ، ومزاجا ووجدانا ، بتحدى
كل تفرقة بين اقطار الوطن الواحد ، وبؤكد ان ليس في طاقة بشر ان يمزق الشمل
الملتئم !

فهذا الرصيد الذي تزودت به
من كتوز تراثنا ، قد اشترك في خدمته علماء ،
من شتى اقطار وطننا الكبير ، لم يتواعدوا
على لقاء ، ولا كان بينهم سابق بدير او
اتفاق ، وانما اخذ كل منهم طريقه في
نطاق تخصصه وحدود طاقته ، ثم اذا
بهم في آخر الشوط ، يتقدمون جميعا الى
محراب العربية ، يشار الجهد الناصب
والليالي الساهرات .

لعل دهمشق الفيحاء ، تجرد نفر من
علمائها لخدمة تراثنا ، فظفرت مكتبتنا
بأربع ذخائر غاليات ، نشرها المجسم
العلمي بدهمشق :

كتاب الابدال ، في مجلدين كبيرين
تأليف الامام اللغوي ، حجة العرب ،
ابي الطيب عبد الواحد بن علي . واصل
ابي الطيب من الاهواز ، وفي بغداد
كانت دراسته وشيوخه ، وفي حلب كان
مستقرا شيخا لها . وكتابه الابدال :
بعد من اوسع ماصنف في الابدال اللغوي
وكان الظن به انه ضاع فيها ضاع من
مؤلفات ابي الطيب الذي استشهد في
فاجعة حلب الشهباء عام ٣٥١ هـ . لكن
اراد الله ان يبعث الكتاب بعد الف عام
فيكشروه مجمع دهمشق ، في طبعة بالغة القيمة
والضبط والانتقان ، حققتها الاستاذة الجليل
« عز الدين التتويحي » عضو المجسم
وقدم لها ببحث قيم مستفيض في الابدال
اللغوي .

وكتاب النوادر ، في اللغة ، لابي
مسحط الاعراس . وهو من بادية نجد ،
رحل الى بغداد في عصرها الذهبي
وسحب « الكسائي » راس مدرسة اخونة
في زمانه . وعنه اخذ اللغة والنحو والقرآن ،
ثم غلب عليه الاشتغال باللغة وروايتها ،
فترك في خزانته كتاب « الغريب » وكتاب
« النوادر » الذي يمثل لغة البادية في
الجاهلية وصدر الاسلام ، الفاظها واساليبها
وامثالها ، ويعتبر اوسع نص
لغوي وصل اليها من المرحلة الاولى لجمع
اللغة وتدوينها ، مرويّا عن اعراس مسيح
بطريق علماء كبار ، منهم ابو العباس اشطب
وقد نال كتاب النوادر مذكونا في سراديب
الخزان التركية ، حتى عثر عليه الدكتور
عزة حسن ، مع كتاب « اصلاح المطلق »
لابن السكيت ، في مجلد واحد كبير ، بخزانة
كوبريلى في استانبول .

ومن هذه المخطوطة الاسيلة الفريدة -
فيما نعلم - والتي يتصل نسبها بأبي
مسحط عن طريق رواية معروفين ، نشر
المجمع العلمي بدهمشق هذه الطبعة
الحيطة في مجلدين . بن ، بعناية « الدكتور
عزة حسن » الذي قدم الى المكتبة العربية
منذ عامين ، النص الحق لديوان الشام
الجاهلي « بشر بن ابي خازم »
ومن تراث الاندلس الادبي ، نشر
المجمع كذلك ، كتاب « اعقاب الكتاب »
جميع كتاب - لابن ابرار القضاعي ، المولود
ببلنسية عام ٥١٥ هـ وفيها تضي طفولته

غوامشه ، بمقابله على ما في مؤلفات
جغرافيين العرب ، والرجوع الى الشروح

والتعليقات التي كتبها مستشرقو الروس
والألمان في الطبعات الغربية للرسالة .

وفي القاهرة : نشرت طبعة أولى محققة

من (الديوان قيس بن الخطيم) شاعر الأوس
وفارسها في أخريات الجاهلية . عن
نسخة مصورة لخطوط في مكتبة «طوب
تبوسراي» بالقسطنطينية، حققها الدكتور
ناصر الدين الأسد» مع تخريج كل قصيدة
من قصائد الديوان ، بالرجوع الى المصادر
التي روت القصيدة ، أو أبيانها منها ، أو
خبراً عن المناسبة التي قيلت فيها . وفي
هذا التخريج ، وضع الدكتور ناصر ، قديم
المكتبة الأدبية للعرب ، في خدمة ديسوان
الشاعر الذي قال عنه «ابن سلام» في
طبقاته و«المرزباني» في معجمه : «إن من
أناس من يفضل قيساً على حسان بن ثابت
شعراً . وقال عنه حسان نفسه : «أنا إذا
نافرنا العرب فأردنا أن نخرج الجبرات
من شعرا ، أتينا بشعر قيس بن الخطيم»
والديوان يضيء لنا فترة الأرماس الأدبي
قبيل المبعث ، ويتقدم لنا من قيس ، شاعر
القبيلة كما عرفه العرب في تديهم الأصل ؛
سيداً وثائداً ..

وفي القاهرة كذلك ، ظهرت طبعة جديدة
مقتنة من كتاب «الفاخر» الذي ألفه «أبو
طالب المنفل بن سلمة بين عامي . من
أئمة اللغويين في القرن الثالث الهجري»
وحقق فيه طائفة من مشهور الأمثال والأقوال
التي تجرى على السن العامة ، فردها
الى أصولها ، وجلا معناها ، وناتش
أقوال العلماء فيها ، بما يبين فقهها
اللغوي وتوجيهها النحوي والصرفي .
وكان المستشرقون قد انفتحوا قبلنا الى
هذه الذخيرة اللغوية ، ولطعنوا الى أن
كثيراً من الأمثال والمعارف فيها ، لا
يزال يجري اليوم على لساننا ، فنشرها

وصبا ، يلقى علوم العربية عن سيوخها
الكبار ، ثم اشتغل كاتباً لأمرائها ثم
سقطت المدينة ، فهاجر بأسرته الى تونس
لغير عودة أو مأب

وفي تونس ، هيات له جاريه وخدرته
وقلبه ، سهل الشهرة والنجاح ، ثم غيب
عليه السلطان ، فكانت وسيلته اليه . أن
عكف على ما في تاريخ الأمراء والملوك
مع كتابهم ، في المشرق والمغرب
فالتقط منه مواقف يمينها : تعرض فيها
الكتاب لغضب السلطان ، ثم ارتفع الغضب
واقبلت العثرة بوسيلة ما . ومن هذه
المواقف ألف «ابن الأبار» كتابه : نجاة
نبطاً فريداً في الترجمة لأعلام من الكتاب
ركبها اهتمامه حول صلة الكاتب بالسلطان .
بين غضب ورضا . وقدم الكتاب الى
«السلطان أبي زكريا النونسي» ثم

ولاول مرة ينشر هذا الكتاب ، حققه
وعلى عليه وقدم له «الدكتور صالح الانسر»
عن ثلاث نسخ خطية . في مكتبات القاهرة
والاسكوريال والرباط

ومن تراث العربية في القرن الرابع
الهجري ، نشر مجمع دمشق نصاً حققه
«الدكتور سامي الدهان : عضو المجمع»
من «الرسالة ابن فضلان» في وصف رحلته
الى بلاد الترك والخزر والروس والصقالية
وكان فتيد العربية ، العلامة (المحمد كرك
على) هو الذي لفت الدكتور الدهان
الى الرسالة ، وحنه على العناية بها
ليقرأ أبناء العربية حديث أجدادهم
سمعت بهم هماتهم وطموحهم الى ان يحويروا
الاناث ، والسفر اذ ذاك قطعة من العذاب
التباسا للثقافة ومعركة الدنيا والناس .
وقد منى الروس بهذه الرسالة ، سرا
ودراسة وترجمة ، منذ مائة عام ، ومدوها
مرجماً هاباً لا غنى عنه . في وصف بلادهم
وبلاد الترك والصقالية ، حضارهم
واجتماعيا وجغرافيا في القرن العاشر
الميلادي .

ولدى سنوات طوال ، عكف الدكتور
الدهان على تحقيق النص واستجلاء

(٤)

في ظل دولة المنصور بن أبي عامر وولده المخضر ، ثم رأى من بعدها تصدع دولة العرب بالاندلس ، وتجزئ شمل الجماعة بقبائل ملوك الطوائف .

وقد حرص «الدكتور مكى» في خدمته للديوان ، على أن يشير إلى ما فيه من تسجيل لأحداث هامة ، لم نذكرها المراجع التاريخية للمكتبة الاندلسية . والديوان مصدر بذليل هام ، يرشد إلى المصادر والمراجع القديمة والحديثة في ترجمة «ابن دراج» سواء منها ما كتبه العرب ، وما كتبه المستشرقون . ومذيل بلحق بهاورد في المراجع الشرقية والاندلسية من شعر ابن دراج ونثره ، وليس في هذه النسخة من ديوانه .

ومن « قطر » كذلك ، أخرج سببو « الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني » من مكتبته العاربة ، نسخة خطية لشرح « مقصورة ابن دريد » وعهد بها إلى « المكتب الاسلامي للطباعة بدمشق » حيث نشر لها طبعة جيدة ، حقق نصها الأستاذ « عبد القادر زكار » وضبطه وخرج شواهد « الشيخ زهير شاويش » .

والمقصورة هي أشهر شعر أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، من أشبه العربية في القرن الثالث . وقد بلغ عدد شروحه نحو خمسة وثلاثين ، أشهرها شرح « الخليل التبريزي : تليد أبي الملاء » وهو الذي نشرت منه طبعة دمشق .



هكذا تتأزر الجهود على خدمة تراثنا المشترك ، فتنتشر منه هذه الكنوز الغالية التي تطوى ألاماد واصله ما بيننا وبين ما بيننا العرب ، وتلغى الحواجز والابساد رابطة ما بين الاهواز وبغداد والكوفة ، وقطر ونجد والحجاز ، وحلب ودمشق والقاهرة ، وتونس والرباط ومكناسة ، بسجلة حقيقة هذه الوحدة الفكرية بيننا على امتداد الزمان والمكان .

فما أروعها من آية تتحدى كل تفرقة بيننا ، ونعصنا من الياس حين تنكأف الظلال والغيوم على الأفق ، وتزأر ربيع الفتنة واعاصير الاهواء .

فلتكن كلهم هذه ، نحية متواضعة لهؤلاء النفر العلماء من جنود العربية الفدائين البواسل ، يجاهدون تحت اللواء المشترك في أعز ميدان ، ليعلموا أننا نقدر جهودا يبذلونها في أريحية سخية لخدمة تراثنا ، وهم يدركون أن مثل تلك البضاعة الغالية تجدن الرواج والاجر المادي ، ما تجده أغنية رخيصة مأجنة ، أو قصة مبتذلة تالفة .

المستشرق الانجليزي « ستوري » منذ نصف قرن ، عندما كان يعلم العربية في معهد «عليكرة» بالهند . لكن طبعتها نلدت من زمن ، ولم يعد من السهل العثور بنسخة منها ، لندرتها في الاسواق .

وبتكليف من الادارة العامة للثقافة ، بوزارة الثقافة والارشاد : قام «الاستاذ عيسد العليم الطحاوي» رئيس تحرير مجلنا اللغوي ، بتحقيق الفاخر عن بصورة مخطوطة في مكتبة «نور عثمانية» وأخرى في مكتبة «الفانج» بتركيا : وقابل عليها قطعة من الفاخر ، نشرت مطبعة الجوائب سنة ١٣٠١ هـ ، ضمن مجموعة عنوانها «خمس رسائل»

أما التخريج والتعليق ، فحشد له السيد المحقق ، عددا من أصيل كتب اللغة والامثال والدواوين ، ثم قدم للكتاب بترجمة مفصلة لأبي طالب المفضل ، وشيوخه وتلاميذه ورواته ، ومكانته العلمية ، وآراء العلماء فيه ، مع لفت ببزلفاته التي احمى منها «ابن النديم» في الفهرست : مشرين كتابا . وذيل الكتاب بفهارس علمية دقيقة وافية ، وراجعه فضيلة الاستاذ «الشيخ محمد علي النجار» عضو المجمع



ومن «قطر» على ساحل الخليج العربي شد السيد عبد البديع مقرر رحاله إلى المغرب الأقصى ، وقدأ من «سببو الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني» عالم قطر وحاكمها السابق للبحث عن نسخة خطية من ديوان الشاعر الاندلسي «ابن دراج اللسطللي» الذي عقدت له ايامة انشعر بالاندلس في عصره ، وقال فيه «ابن هزم» : «لو لم يكن لنا من الشعراء الا احمد .» دراج ، لما تأخر عن شأو حبيب - أبي تمام - والمتنبي .

وإدطف الشيخ مقرر بمكتبات الاسكوريال والدار البيضاء والرباط وجامعة القرويين وطنجة ، حتى اهتدى - بعد مشقة وطول بحث - إلى مخطوطة للديوان في المكتبة الزيدية بمكناسة ، ومنها اخذت نسخة مصورة ، عهد بها سبو الشيخ عبد الله إلى «الدكتور محمود علي مكى» وكبيل معهد الدراسات الاسلامية ببغداد فنهض بعبد تحقيق الديوان وخدمته ، ثم طبع في دمشق على نفقة الامير الشيخ ، صدرا بتقدمة كتبها العلامة «الشيخ محمد بن مانع» واذا كانت العربية قد كسبت باحياء هذا الديوان ، ذخيرة أدبية من تراثها الشعري ، فان المشتغلين بنا بالدراسات الاندلسية : سوف يجدون فيه مدى وقع الأحداث الكبرى على وجدان شاعر عاش وتفرجت هامتين من معصور الاندلس تشهد مجدها السياسي والحربي والأدبي

قصة

الإيمان بين الفلسفة والعلم والعقائد

تأليف : الشيخ محمد الجبر
تقديم : الدكتور بنت الشاطئ

كتاب
من
طرابلس

وقرات الكتاب القراءة الأولى بل
اتخذ في الحكم له كتاب الموم
وسجلت حكمي هذا في مقال كتبه لنيوتن
اتخذت فيه على بيان مبررات الحكم
دون أن أتناول الكتاب بدراسة موضوعية
لم أكتبها لي. القراءة الأولى .
ومرت أشهر وأنا أترقب فرسه
أعود فيها إلى الكتاب على طائفة
وسمة من الوقت ، ثم كانت كلمة من
مباني الوطن ، من التي تدعني إلى
الكتاب رغم كل الشوائب والشاغل
للتسعة لي تسعة بالغ ، ولم يدر
شعور. بخطة اللقاء المومود .

لك الكلمة من :

« أن جوهر الرسائل الدينية »
بصانم مع حقائق الحياة ، وأن الانعاز
المر هو القاعدة الصلبة للإيمان »

الكتاب هذا الكتاب في مسهل الله
فكان أول ما لفتني الله ، أن والله
الفلسفة الشيخ محمد الجبر : ما ي
طرابلس ولبنان الشمالي قد طبعه ، له
الألف ، جامعة مغلطة باهتله المكلف
ورزحها على المواقف الإسلامية ، هدية
خالصة إلى الهيئات العلمية وطلاب
المكر في الوطن العربي ، مع الأراء
من لميلته يبيع به لن يشاء ، أن يعيد
طبع الكتاب أو يترجمه وينشره ، دون
الزام بأي حق يادي للذلة الذي لا
يشترط غير إيمان الطبع وصحة الترجمة
وبيع الكتاب بثلث مئة ، من غير تنازل
صاحبه عن كل أجر أو مكافأة .

وانفعلت بمسلك الشيخ ، وأنه سعيته
في عالم وثني عبد الدولار والشلل
والزبال ، وينتشي براءه - التلزل - و
تسطع من الصغراء نقادة مخرقة ،
لتخلق مشاعر الخمر وأنسانية الإنسان



من الفكر المطلق والانتفاع الحر ، حتى
أوصله بعد جهد ومشقة إلى منطقته
الإنسان ، هناك حيث تنجلي الشبهات
وتنجلي الشكوك ، وينجلي نور الحقيقة
ساطعا ، ليحقق ظلمات الزيف والحيرة
والغلال . . .

في هذه الرحلة الشاقة المجهدة
وعلى طول المسرى لى متاعب الوجود
وغيره الكون الغيبى للهدى ، كان
الفكر «حيران» يسأل ويجهل ، وانشيخ
«أبو النور» يمشى ويجيب ، لم يحاول
مرة أن يزجر سائكه أو يهزمه ، ولا
أبدى ملحة ملل أو شج ، مما ينعش
الفكر من شكوك أرهقت عقله ، وعملت
جسده النفس . . .

وللأسف الشديد ، كان الحوار بيننا
يبدأ حتى مطلع الفجر ليمود لهساتك
إذا رلى النهار ، ويرفل ومسابرة
واحتسا ، أخذ الدليل بيد فتاة
يسير الجمع الباحثين عن الله ، من قديم
الآباد ، لم خلق به سمدا إلى قصة
«لألى المسافرة» حيث يلتقى مقام
الغلاسة ، والذاد الملياء ، وانابر
المشايخ ، عند مشارف الإيمان بأن السق
واحد ، وان تعددت سبل البحث منه
وطرق الدليل عليه . ولا تغلب طهسه
المأزول عاد قوم يلهكون ويعلمون ،
ويوهنون ، ويؤهنون ، كما ومسلمهم القرآن
الكريم . . .

من سر الوجع شرد ، منه الخلق ، فلا
يجوده . بنير الرجز وانصد والوعيد .
ولما يمشى منهم ، منى يلتمس الجواب
من أسئلته في كتاب الفلاسفة ، للم
تروء إلا خيرة وعلا . . . ولغفت الحنة
لروءا لمرد من الجامعة ، فلا يمشى
ساو المشايخ وراء أسوار جودهم
ولا يسم . مقول زلزاله الطلاب ، طوته
الشك والحك النقش . . .

وقال له أبوه ناسحا :
.. نللك كابتك طيلك يا بنى ، كوكب الشك
وولاء الحيرة ، ثم كانت بجاني غيا
مكلمة تسمعتها من ذى العالم اللقب
الفيلسوف «أبو النور» أنزلون السرفندى ،
أن الفلسفة بحر عاى خلاف البحور
سوأخله خطرة بقل فيها الزاكبر
والإمان والإيمان فى لججه وأعماله ،
تدع منك يا بنى هذه القراءات النائم
الشوشة البراء الذم ، وير الإيمان وتجمله
والقل على طرس نقيش . . .

(شكلا «حيران» رملته يلتمس الشهب
«أبا النور» لى سـ . رقتد ، وكان سـ
امتزل بها الناس فى شهوره . ساطعا
الى الله ينظرنا للزعد والنمد . . .
واحتال «حيران» حتى التدم «لسر
الشيخ مؤلفه . من ثم بدأت رحلته معه
مأزول به «حار» الفلاسفة وجاهل العلم
وحال به لى أفانى الدبر على «حار

بها تذكرك قصة الإبلان ، برودها
عالم دين لم يمشى الجود غفله . ولم يلمج
حربته ، فلتلق بوجوب أفانى المسرفة
ويتصل بسلبي الفكر الفلسفى وبيادين
البحث العلمى ، حتى اختار الحاجز المقام
الذى يمد على فكر جوده ، وشرك «حامد
مدانى عن التطور الملاحق . البنى كدفعه
جهود البشر فى كل مكان . . .

واليوم يسمعتى حقا ، أن أقدم الم
قراء الأدب ، ذلك الشاب الذى يلتقى
فيه العام والدين ، لقاء لا شى فيه لذلك
المراغ الموهوم الذى يلهو بها فندبر
بجثمان . . .

وأعتدل لهم ، يادى ذى بدء ، أنه
ليس من الكتب التى تيسر أعلنى بجر
ويستوعبها القارىء فى بساطة . . .
وانبا هو كتاب يجب أن يتروء له
بطامه بكل طائفة العقليّة . والنوحية
والوجدانية . . .

والقصة بخيرة ، تبدأ حيث يبدأ سراج
الموهوم بين العلم والدين : شاب قديم
تربية دينية ، وأمنى طفولته التامة
رسماء الطزى ، فى حضنة والد شيخ
تلى ، ثم التحق بجامعة ، امرها ، وكول
الى نفر من المشايخ الجاهدين ، وهناك
طلعت نفسه الى الأمومة فبدأ يسألهم

(٢)

من تضاد بين العلم والدين ، وحلهم
من أولها قشور ومن الآخر مياه ..
أما الراسخون في العلم ، فيقولون
أن الإيمان حتى ضرورة ..
وأما لقيماء الدين ، أحرار الفكر
والعمل ، فيقولون : إن الاطلاع على
أسرار العلم فريضة ، وضرورة لكل
الإيمان : «أنها يخشى الله من عباده
العلماء»



وأنتبه هنا إلى الحظ جليل وهذا
للاستفاد الشيخ الجبر ، حين حشد
الأدلة العقلية للإيمان وتنبع الشواهد
العقلية ، رياضية وطبيعية ، المؤيدة
له ، لم يغف عنه أن ومن هذه الأدلة
أننا نحتاج أول ما نحتاج إلى شغل
بالحق ، وإلى فكر يتحرر من أغلال
التعصب ، ومن الخضوع لسيطرة الزعم
الشائع ، بأن العلم والدين عدوان لا
يتجسسان .

وهن تتبع فضيلته ما في القرآن الكريم
من آيات محكمة ، مطابقة لأحدث ما وصل
إليه العلم ، لم يخطر بباله نقطة
أن يدعو إلى القولة الساذجة بأن القرآن

ثم قبل الشيخ برحة في القولة : «للعلمان»
حتى إذا طلعنا إلى أن لقاء حوران ،
قد أجاز مرحلة الشك والحرارة ، وتلج
بإيمان العقل ، على يتلو عليه أن كلمات
ربي «آيات بينات ، يفتح لها العقل
الحر المستنير ، مطلباً يفتح له الوجدان
المؤمن المخلص» ..

وكانت خاتمة المطاف ، ومهبة للشيخ
إلى لقاء ، تلقى نظرة شاملة على
أشواك الرحلة المثيرة ، فإذا «حق
بين والضلال بين ، وإذا كل ما أجيد
الإنسانية من سراع من العلم والتبر ،
أما كان مدبره في الحقيقة :

جود شيوخ يمشون في مئلة من العلم
والحياء وراء أسوار صماء تحجب عنهم الإنقي
الرحبة الحائلة بآيات للفرقة يهدى إليها
العقل البشري الحر ، ويكشف عنها
العلم في داب وامرار ، ولا يتركها إلا
الذين يملكون أحراراً مستعبيين لدماء
السماء :

« مسلوبهم أياننا في الألمان ، ولي
أنفسهم ، حتى يبين لهم أنه الحق »
ولرور مفلسين ومتعالمين ، يندشقون
بكلمات خارية هائلة طنقة جونا .

(٤)

الكريم جمع كل نظريات العلوم ، بلا
مدرس الشيخ على أن يصعد قباء من
النكر بلك الهدية السانحة ، وكان في
نفسه منها شيء جعله يقول لشيخه :
« اننى سمعت من بعض العلماء
أن القرآن لم يترك شيئا من المعلوم
إلا أشار إليه » .

فكان الجواب مريحا :

« كلا يا حسيان كلا .. فالقرآن
ليس بدائرة معارف علمية ، ولا من
بمصدر أرساد الناس إلى العلوم الكونية
من باب التعليم . ولكن ماورد فيه
من الآيات ، إنما ورد بتمهيد التنبيه
إلى ما في خلق العالم من آثار الإرادة
والقدرة ، والعلم والحكمة ، والإنسان
والآثار ، الدالة على وجود الله ،
الثابتة للكونين بالمصادفة ، ولم يرد
به تقرير العلوم الكونية .. لقد أشار
إلى دلائل وجوده تعالى وقدرته وعلمه
ومعرفته ، ببيان عجيب بليغ ، على
شأهره ، البديع الساذج لى القرن
السابع ، وبلغ أسرار رجل العلم
في القرن العشرين .. وفي هذا يتجلى
عجز القرآن ، لا في بلفظه وحدها
التي يتركها العرب ، ولكن بما يرى
البشر كماله من آياته تعالى في أنوار
السموات والأرض ، ولأنفسهم ..
بقرع القرآن الذي نزل منذ نحو أربعة
عشر قرنا ، على النبي الأمي في الجزيرة
الامية ، بأبلغ عبارة وأوجز إشارة
والطف تنبيه ، تقريراً معجزاً يدرك

الغاية فلا يحصره ، ويبقى تحت الأمل
للأجيال ، مالا يستطيع أدراكه إلا المائلون
للاطلاع على هذه الآيات المحيكة ،
مع ما أهدا من حقائق العلم على صعيد
واحد ، ظهر الحق الذي يستحيل على
الشك أن يتعارض له اليقين أو يزعمه
أو يزله .

والى هذا تمتد الشيخ ، حين جمع
أدلة القرآن وأدلة الفلاسفة مع شواهد
العلم ، على صعيد واحد ، لتظهر الصورة
الشاملة للحق بكل جلالها وجمالها .



وبعد لما أردت ببقاى هذا التعريف
بكتاب يحتاج كل كلمة من صفحاته التي
تأريث خمسين ، إلى التدبر والتأمل
كلا .. ولا كان التحد من المثال ،
تدبرا للمؤلف أعلم حق العلم أن لا يسير
إلى الولاء به والأعراب عنه ..

وانما هي كلمة سرية ، أردت بها
الولاء بحق القراء على ، حين الفت
طلاب الحق وعشاق المعرفة منهم ،
إلى قصة رائعة بمن نظرها في هذا
الأوان ، وحين أفلم على أومي وأخشب
ما طالمت في موضوع : الإيمان بين
الفلسفة والعلم والقرآن

« ليسليكن الذين أولوا الكتاب ،
ويؤدوا الذين آمنوا إيماناً »
سبح الله العظيم

علم بلا أجر

بسم : الدكتور بنت الشاطئ

يا رسول الله !
مع هلال ربيع يحتفل بذكرى سود
والى مقامك العالى نقدم قرباننا
العلم لكل طالب
بلا أجر ولا ثمن
ملين دعائك الكريم
الذى ظل يردنا ملء سمع الزمان
بمذكرك الله تعالى فى الامين
الرسول منهم ينلو عليهم آياته ، ويذكرهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان ثابوا من
قبل لى لى لى

يا خاتم النبیین
ای نchie تهدي الى كرى المولد
احب اليك ، واحق برضاك ..
من ان يهل هلال ربيع
غيرنا على صراطك الحق
قد شارفنا الغاية الجليلة
واستجبنا للدعاء النبيل
فامذا ان «القرأة» واجب وفريضة
وان العلم حق شرعى مشترك
وان الجهاد لكفالة هذا الحق
دين .. واجاب ..

والتاريخ الذى بهره ان يكون « كتاب »
معجزة نبى امي ، من قوم امين
والذى رنا اليك مأخوذا
وانت لتلقي كلمة الوحي الاولى
« الرا »
فنجيب بعتدوا : ما انا بقارى ..

« وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا
تخطه بينك ، ان لارتاب الممثلون »
التاريخ الذى اصفى اليك فى عجب
وانت تتلو فى الامين العرب
بمذكروا اربعة عشر لونا من الزمان
كلمات السماء
« الرحمن ، علم القرآن ، خلق الانسان
علمه البيان »
« ويعلمكم الكتاب والحكمة ، ويعلمكم ما لم
تكونوا تعلمون »

التاريخ الذى لاعد به رسول امي
بجعل جهاده فى سبيل العلم
جهادا فى سبيل دعوته ..
مؤكد ان الانبان برسائله
نور بهتدى اليه «اولو الاباب»
ومبلغا دعاء السماء :
« ابل هو آيات مبينات فى صدور الذين اوتوا
العلم »
« والراسخون فى العلم ، يقولون امنا به »
« الويرى الذين اوتوا العلم ، الذى انزل
اليك من ربك هو الحق »
« وتلك الامثال نضربها للناس ، وما بدعها
الا العالمون »
« انما يخشى الله من عباده العلماء »

هذا التاريخ ..
يشهد اليوم انا سمر على نهجك
ونتهدى بهداك ..

(٢)

كان لم يكن من نعمة الله عليه :
ان وجدك بتيما فاوى .
« ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك هائلا
فاغنى »



فليكن لبيك ، ياداعى السماء ..
العلم لنا حق .. وعلينا فريضة
وبابه مفتوح عندنا لكل طالب
يدخله حرا كريما ..

لانذل وجهه بسؤال واستجداء
ولا يصد عنه عجز عن اداء الثمن
ولقد هدانا الله بك
والعلم فى شريعتك لا يباع ..
لانه سبيل الله ..
به يستكمل الانسان ، مانيته
ويصح ايمانه

وبفوره يهتدى الى الرشيد
ويميز الحق من الباطل
ويعرف الطيب من الخبيث
وقد بعثت فينا لتعلمنا
وما كنت تطلب اجرا او تنقضى ثمتا
« قل ما اسالكم عليه من اجر ، الا من
شاء اتخذ الى ربه سبيلا »

ويا هلال ربيع :
هذه تحية مصر الثائرة المؤمنة
فى احتفالها اليوم بك
وموعنا معك قريب
لترانا فى دورتك المثالية
وقد تم لنا النصر فى المعركة الاخرى
فادينا حق الله والانسانية
لكل محتاج ومحروم
واكرمنا كل اليتامى
اكراما للنبي اليتيم
فالى موعنا غدا بالهلال ربيع
اوليس الغد بقريب -

ويسجل انا قد حملنا لواءك الاغر
لنحسم معركة طال مداها
منذ بدأت جهادك لتعلم الاميين
وجعلت فداء الاسير المتعلم
ان يعلم مشرة من صخابتك
القراءة .. والكتابة
وقلت لقومك اصحابك داعيا ومحرضا
« اطلبوا العلم ولو فى الصين »
وبينهم وبين الصين حينذاك
اماد وامعاد .. ومخاطر واحوال

ولقد طال على امتك الابد
وهم راسفون فى اغلال الجهالة
بحجوبون عن نور العلم ..
وقد جعلته « فريضة على كل مسلم ومسلمة »
وعاشوا رونا وادهارا ..
يخبطون فى ظلمات امية عمياء
كلما ارادوا ان يخرجوا منها
شدتهم اليها ايدى جبابرة طفلة
يخشون ان يفتح العلم عيون عيايك
وان يكشف الوعي اوضاعا باغية لثمة
تعطل شريعتك الفقراء
وتهدر انسانية الانسان



وتتابعت اجبال وراء اجبال
والعلم فى امتك يباع ..
باغلى الاثمان
كى يحال بينه وبين ملايين الفقراء
من سلبوا ثبرة كدهم وحصاد زرعهم
ووثدت فيهم نوازع الطموح
وباعوا بالشقاء والحرمان ..
فبانوا ليلهم الطويل البهيم
يحلون « بجنة اكثر املها الفقراء »
مخدريين باصوات مأجورة تغنيهم
الجهل نعمة ، والصبر طيب ، والقناعة كنز ..
والفقراء لهم جنة الاخرة ..



١ شاعر من الشارقة

جمهرة القراء يعرفون سمو «الشيخ صقر بن سلطان القاسمي» حاكما للشارقة على ساحل عمان ، وصيفا عزيزا يحل بنا اليوم ، في بلده وبين اهله وعشيرته لكن كلبلا من خاصة المهتمين بالحركة الادبية للعرب اليوم ، في افقها الواسع هم الذين يعرفونه كما اعرفه : ادبنا شعرا ومعرفتي به لم تكن بقاء شخصي ، وانما هو اللقاء الفكري الذي بدا منذ قرات ديوانه : «الفواغى ، وصوت الحق» وقد تفصل فبحث بهما الى قبل سنوات ، من اقصى شرق الجزيرة .

بمطافاة الأمير !

بقلم الدكتور عبد الساطع

يومها تلك في نفسي ، واستغفر الله ما قلت : لعل الشيخ الأمير يشكر بالشمع او لعله بعد ان تمت له امة السلطان ، يأنى الا ان ينسب اليها بمعنى : نزل الادب : ريلة وحلية ..
ومن قبل ، عرف التاريخ الادبي لبعض السلاطين ، مثل هذا الولي بؤينة الادب ، غير اني ماكنت ابغى لي مطالمة الديوانين ، حتى ادركت اني اصغر الى صوت شاعر ، برعب الماطلة لكسي الوجدان ..

ورجعت القاه في بسعي ، مدى من قديم الجزيرة الاميل ، حين كان للشمع فيها دولة وسلطان ..
كان الشاعر ، في ديوانه هذين ، ملتزما بالمسار التقليدي ، لا يخرج على قيود لسانه المروني ، ولا يكاد يتجاوز حدوده المشهود . روث ، غير اني لمحت من وراء تلك القيود ، رغبة خفية في التحرر ، وتطلعا ملجما ، الى الانطلاق نحو افاق جديدة ، وا . بقيت شاعريته تحرق حول النبع المظبور في اعناق المسراء ، وكأنها كان كل جهد الشاعر ، ان ينفذ الى تلك الاماني بغية ورود النبع الصافي ، في اصوله الالهية لم يختلطة بالزيت الذي ينساب تحت سطح الرمال ..
ومن ذلك الزمان نهل شاعر الشارقة ، ومن رجليته سقى «ثوالمية» ..
المطرز ، ولا اثر ابيه لوانحة البقول ..
وانطلق «صوت الحق» يشدو بالنغم يتجاوزها مع ما رعت السحراء من اسرار شمرائها التدامي ، الذين رووا رباعيا بالشجن العذب ، وفقروا مله فساتينها المربى لختات قلوب البشر ، وحنيناء الابل ، وطرب وحش الدلاة ..

(٢)



وابسكت نسي مع ذلك ، فلم اكتب
عن شاعر الشارقة ؟

القول لماذا ؟

كنت اذ ذاك قريبة عهد برحلتى الى
جزيرة العرب ، وة بهرنى هناك جبروت
العلم الذى نقل البدو بقنة من عصر الناقة
الى عصر الطائرة ، حين كشف عن سر
الزيت الذى اخفته الصحراء طويلا ..
وتأثرت بما لتينا من كرم ضيافة الملك
الراحل ، (العزيز آل سعود)
امر بهنقى («أميرة الصحراء») نعية
لاعتزازى بمسروبتى ، ورلى بدراسة
تاريخ العرب والاسلام .

وتأثرت بذلك ، بما سمعت من شعر
«الامير عبد-الله الفيصل» حين استقبلنا
بقصره الفخم في جدة .

لكنى رويتها رايت وسمعت ، بعيدا
عن قصور «ضيافة» ومعامل البترول ..

رعدت لكتب من رحلتى في «ارض
المعجزات» كان امتحانا لامانة قلبي وشرف
شبرى .

وانصرفت الامانة :

نسجنت في «ارض المعجزات» اشجع
«حزوة» والنعية - «ماساة» الرق في نجد .
ونقلت المشهد الفاجع لجباة البدو
رايتهم . . . يسلون صلاة الاستسقاء
بعد أن اجهدهم الظما واخر بهم الجوع ،
على بعد خطوات من مطعم الضيافة في
« مطار الظهران » حيث تناولنا افطارنا
السخي الشهي ، وعلى مائدتنا من الشراب
حليب ولهوه ونساي وكاكاء ، وعصير انواع
من المأكهة . . .

وكتبت بعد ما من صدمة الانفصال المبالغت
الذى اعطى الترف المادى على حساب
انسانية الانسان !

والامير الشاعر هناك ، يشدو بتمسانده
العاطفية المطربة ، وكل هذا يحدث برأى
منه ومعه .

ولا انر قاسيا !
ذلك ، ان الامانة بان

فيوم نشرت «ارض المعجزات» وكتبت
بعده ماكتبت عن افاعيل الزيت ، كان الجو
السياسى بين القصر الملكى بالقاهرة ،
وبالرياض ، صافيا لا تشوبه سحب ولا
تعكره غيوم .

والمثل عندنا يقول : اطعم الفم تسنع
العين ..

ولقد بلوت نللى ، لما استطاع كرم
الضيافة ولا لقب «أميرة الصحراء» .
يكسر عيني فلا ترى ماساة الرق ، ومشهد
صلاة الاستسقاء ، وافعيل الزيت ..

ولقد خطر لى ، انى اذا كتبت من شاعر
الشارقة ، قربها القيس وسيلة لكرامى
على نحو ماكرمنى عاهل الجزيرة الراحل .
ناعطيت نللى من التعرض مرة
اخرى ، للامتحان ..



واذكر اننى تساءلت بعد ان فرغت من
قراءة «الخواص» ، وصوت الحق

ترى ان تيار العصر بشاعر

الشارقة ؟

والى متى يظل حالها حول النبع الصافى

بجاذبية لا تقاوم ؟

وما مصر ازاهير وخواصه ، يوم تنفذ
الات التكتيب عن البترول ، الى الاعمال
النقية ، فيختلط سبل الزيت بغيض النبع
وتغزو ابار الذهب الاسود كل المنطقة
هادرة ساخبة ؟

وكيف يغدو صوته ، عندما يتسلل دعاء
اليقظة الى رجااء الجزيرة ، وتنقل جولات
الصراع في معركة التحرير ، الى سواحل
الخلا . وعدن والبحرين وعمان ، فيملو زئير
الاسود الفئسا . من اثناء العرب الاحرار
هناك ؟

ومكتبت : سئلتى بغير جواب ..
حتى نمدد ان زوت « الكويت » .

وشاهدت هناك نفرا كراما ، احتفظوا
بفضائلهم ورعوسهم ، فلم تصبهم اللسة
الذهبية بدوار .
وحتى مع يقيني انه لا يزال لي صميم
الجزيرة ، نفوس عربية حسرة تتلهم من
لعنة « الملك ميداس » وتقاوم لكي تحتفظ
برشدها وایمانها .
اجل ، بتيب استلتي بغير جواب .
الى ان اجاب عنها بطاقة الامير « فغسل
فتركها لي ، تحية ، عندما زار مصر منذ
سنتين وكنت حينذاك في رحلة بالخارج .
واعترف بانني لم اناثر للتحية الكريمة ،
تدري ما تأثرت لهذه البطاقة غير المألوفة ،
وانشعلت بأسلوب التحية فيها .
لقد طبع الشيخ الحاكم اسمه على ظهر
سورة (لوتوغرافية) ملونة لبناء المقاطعة
الشرقية للشارقة : حور فكان
وكنت تحيته بخط يده ، كليات ثلاث :
« صورة من بلادك »
وصدق ، فهذه صورة من بلادى ، وكل
شبر من ارض العرب بلادى
ولو كنت يومها بمصر لرددت تحية
الشاعر قلة ..
وانت يا اخي مرحبا بك في بلادك
من هذه البطاقة ، عرفت الى حد ما ،
جواب ما كنت اسأل عنه ..

وكانت كلمة الشاعرة : ابلغ ما ترات
من قصائد .
وتوقعت ان يل الزيت ، لن يمسح
الى نبع الشاعرة فيعكرها .
وان يريق في سم الاسود ، لن يغلب
نور ايمانها بعريقته ، ولن يفتنه عن دماء
الحق والخير والجمال ..
ورجوت لقول : شاعر عربي الصوت
حر النشيد ، يحدو الاباة في معركة
هناك من ايدى حباية حقيقتهم ، ويلهب
نفسهم في سبيل الوجود الكريم ..
و« تطيشة » الى ان بطاقة الشاعر
واعده بخير كثير .
ولم يطل في الانتظار :
ففي شهر نوفمبر الماضي ، حل البريد
الادبي الى ... من ساحل عمان ، تجربة
اولى للحمية شعرية بطولية لشاعر
الشارقة ..
تجربة لم ... وانها هي مخطوطة
بقلم الشاعر ، بعث بها الى قبل نشرها ،
على غير تعارف شخصي بيننا
وقد اقبلتها لطالعات الصيف .
لما ترات نبا زيارة « الشيخ مقرر
القاسم : حاكم الشارقة » لمصر ، التهمت
التجربة المخطوطة ، لا تدم بها الى قراء
الادب شاعرا عربيا ..
لاني لقاء ، في القتال التالي ببشيرة
الله .

٢ شاعر من الشارقة

ملحمة ... لم تتم



امير الشارقة

محي الدين صابر

بسم: الدكتور بنت الماس

وعدت الغراء بان اقدم لهم اليوم ، تجربة ملحمة تلقيتها مخطوطة من شاعر الشارقة «الشيخ صقر القاسمي»
وقد ذكرت في هذه التجربة ، ملحمة اخرى افريقية جديدة: اعني ملحمة «الرسالة من افريقيا» للشاعر السوداني «محيي
الدين صابر» وقد تلقيتها منها فصولا ، بادرت بمغنيطة ، الى تقديمها لقراء صفحة الادب .

وهي ايضا ملحمة بطولية لم تتم ..
وان لم يخطئنا مع ذلك ، ان نلمح في اناشيدها الاولى ، ينطلق الشاعر نحو افاق جديدة ، حيث يرقب من مرصده
المرتفع بقطة العملاق الافريقي بعد سبات طويل ، ويمضي الى صوت تحطم الاغلال التي كبله بها المستعمر الغربي ، لدى
قرون واجيال ..

وحيث نوا للشاعر ، وهو محلق في الافق العالي ، ان يرنو الى اخيه في ربوع القارة الاسيوية ، وهو يمارس فلس
التجربة : تجربة البقطة وتحطم الاغلال .
ومن هناك ..

من شط النيل الازرق في قلب افريقية تنطلق رسالة محيي الدين ، الى كل المناضلين في شرقنا الكبير ، مشبعة ظلمات
الليل الذي طال ، ومباركة جهاد البواسل من «بان دي هوا» الى الكونغو ، ومن اوراس الى الغزال ..
وتسمع في الملحمة ، من يستلها ، هدير المارك المثبوبة ، رسالة الشهداء الابرار ، ودعاء الحجر الجديد .

لهذا عن ملحمة شاعر الشارقة ؟

الفصل الذي تراه فيها ، يتأهب للتطبيق مسعدا نحو الاتق الذي ومن البسه
شاعر السودان ، ولكن «الشيخ صقر» لا يزال في مرحلة انطلاقه الاولى بحوما
حول معركة التحرير في الجنوب العربي لم يجاوزها بعد الى حيث تلتقي الرواند
لتصب في النبع المشترك للوطن الكبير .. وعذره ، ان هذه المنطقة من الشرق العربي
لا تزال تنهال للجولة الحاسية ، فلا عجب ان تريت في وثائقه هناك ، الى ان تبلغ
المعركة ذروتها الناصلة ..

(٢)

وبعدما يستطيع الشاعر ان يخلق بدياحيه هاليا ، الى سماء الشرق الكبير
هناك حيث تتجاوب اسداء النغم ، بمساعدة من ارجاء افريقية وآسيا ، في
«سيفونية» واحدة ..
هناك حيث تلتقي ارواح الشهداء ، من الجزائر ومصر ، ومن الكونغو وايرلان
في الملوكوت الاعلى ..
على نحو ما ذهب لشاعر السودان في ملحته «رسالة من افريقيا» منذ استهل
النشيد ..
وشاعر الشارطة ، في النشيد الاول من ملحته ، يحسم المعركة الدائرة في هذه
المنطقة ، بصورة بطولية شاعرية ، قبل ان يحسمها السلاح ..
وهو في هذا يعنى دور الشاعر الحركى عرفه التاريخ : بحدو الركب في
مسراه ، ويغنى لفجر النصر ..
وبطلة المحبة فتاة هوية
وقد اختار لها الشاعر اسم ابنته «فاطمة» الطالبة بمدرسة «فاطمة الزهراء»
للبنات بالشارطة ..
ويؤكد الشاعر ان القصة واقعية ..
واذن فقد استطاعت فتاة العرب هناك ان تلتقي اللواء الذى حملته جواء العربية
قبل ان تنبلى ببعثة الياد المعنوية والنشيد الاجتماعى ..
وويل لاعداء الحرية ، اعداء الحق والخير والجمال ، اذا كانت «فاطمة» قد
استعادت قدرة ساعدها على الحركة بعد ان عطلتها القنود والاصفاد ، وانطلقت بكل
ارادة حواء ، وبكل موروثها القيم من العزة والاباء ، تشارك في المعركة على نحو
ما فعلت جيلة الجزائر ، وفاطمة الشارقة في ملحمة الشاعر :
« فاطمة » بنت الامير العربي ، التى ترمع صباحا الفس في حبى ملود اشم ،
رد هادية المزاقتونا ، بصموده العنيد .
وتوسم فيها ابوها بخايل النجاة والطبوح ، في الوقت الذى كان فيه الغزاة
قد اعدوا الكرة ، واقتربوا من الحمى بعد ان تهاوت قلاع وحصون وجاورة .
فانقلب الامر على فتاته بعدما لليوم المرتقب تدربها على فنون السلاح والفروسية
وتعهد في مسيرها بذرة الاباء والعزة حتى ازدهرت .
ثم حان اليوم : انقضت طائرات العدو على الحمى بليل ، ووقع اخو فاطمة اسيرا
بخدعة ثيبيه ، فكتبت فاطمة اسماءه واقامت قرب المعركة الدائرة بين قلة مؤمنة بـسه
عزلاء ، وبين كثرة باغية ، مستحقة باحدث آلات القدر والدمار :
المسوارىخ والقنابل تنهال بلا رحمة ولا مقدار
طائرات يرج من صوتها الجو ، وتهوى بآمن وجدار
وقلاع مرت عليها مئات من سجن ملينة بالفخار
شادها الفتح من بنى يعرب الصيد ، وباهت بمجدها القهار
هدمتها قنابل البنى والقدر ، بليل يمجع بالاعصار
الايلمى يصرع اثر الثكالى ، ورشح حواء صدر حار
وقرى كن اهلات فاصبحن من الاهل والسلام عوارى
خف عنها حمايتها للقا الموت ، وصعد العادى ، ولك الاسار
كلها هدم البقاة جدارا ، حصنته اجسامهم بجدار
ومضى العام ، والردى فاغر الشفق ، وزند الجهاد - لازل - وار
هاذا اقبل الدجى ، هاجبوا انخصم ، وهبوا حصونه بالنار
قاتلوه ببعض ما غلبوه منه ، من مدفع ومن بئار
ونفذت طائفة فاطمة على الانتظار ، فتسللت في الليل الى مخزن السلاح ،
وحملت مدفعا صغيرا ، ومعه بعض الزاد والماء . ثم خرجت متتكة في زى
فارس ، تلتبس الطريق الى معتل من مقاتل قوبها الابهاء ، فمارعها الاثرى طائرة
بغيرة يهزى صمت الليل ، فربشت في مكان هناك ، وقد صبت على امر :
لا نمننى السراة من آل فحطان ، ولا الصيدين حماة نزار
ان وهى دون صدها مدفعى الغالى ، واسقاطها شواظ شرار
يا لنار الاحرار ! اى حياة بعد احرار امتى وديارى !
لتهن هذه الحياة اذا لم احم في حومة الجهاد ذمارى
لست للخدر ! ثم لركنت اتنى ، ان خدرى في حقل جرار
لست للبل ! بعلى المدفع النائر في قبضتى على الاشرار
فاشهدى يا سماء عهدى ، وخطى قسوى واحملى منار شعارى

(٣)

هاك ، يانذل ، انها رمية الله رمتها من لم تصم بشنار
فسقطت ريشة الزناد فطارت للاعلى قلبية من نار
وتماثلت : الله اكبر ، تشدوها شفاء الملائك الاظهار
ايه ياشمس اشرقي ، واغسلني العار ، وردى لموطني احرازي
قبلي كل ربوة من ربا الشامخ كانت سخية بالثمار
وتشرق الشمس ، والسلا الطائرة بمثرة خطايا يلتهب ، وتالدها . لقي على
الساحة يلنظ آخر اناسه .
وامسخت فاطمة الى لهاك المحتضر لما ركبت انه يلتبس جرعة ماء . فاسرعت
الى مكبها وجاءت من جعبة رايها بكورليه ماء ، واقبلت على حذوها تستقيه . .
واذ بدت نراها لتسند ، اخذت مني المحتضر نظرة دهشة ، قبل ان يطننهما
الموت .
لقد عرف ان الفارس البطل ، الذي صرعه ثم سقاء ، فتاة !
واسدل الستار على هذا المشهد ، وفاضت بعض مع موكب الضياء للشروق
وليس لنا الا ان نتنظر بقة اناسيد الملحمة ، لنعرف الى اين ينطلق الشاعر
وان وسما مع هذا ان نسجل : ان الشاعر ان انشيد الاول من ملحته ،
ظل ملتزما بقبود المصطلح المعروف في الوزن والقافية ، مع جدة في ال
والمشيون .
ولعل التزامه بالتبذ الشكلي ، هو المسئول من بعض النماط قلقة انطوته
اليها وحدة القافية ، ومن انفجائه ، كذلك ، الى ما يعرف في المصطلح ،
بالشروقات الشعرية .
ولا اعرف ان كان الشاعر سوف يفرغ من الإيقاع ، وزنا وقافية ، فيما يلي من
انشيد الملحمة .
لكني اعرف انه قادر على التخلص من هذه الشروقات ، حين يبتغي في انطلاقته
الشعري الى اتص طاقته ، عند غاية الملحمة .
وحسبنا الآن ، ان فبارك «فاطمة» في معركتها الباسلة ، وان نحى نشيد
المطلع ، للمحبة شاعر الشارقة ، تحية الامل والرجاء !

التاريخ : ٢١ / ٨ / ١٩٦٣

الشوقيات المجهولة

بحث الدكتور محمد صبري السوربوني
تعليق الدكتور بكتورة بنت المشاط

أضواء
على
تاريخنا

استاذنا المؤرخ « الدكتور محمد صبري » لا يدع ناره بلوت ..
فعندما قنيت الى قراء الادب، في مستهل هذا الموسم ، المجلد الاول من «الشوقيات المجهولة» كرهت للاستاذ الدليل ان
يصدر الكتاب بتحذير صارم ، بحفظ فيه لنفسه بكل الحقوق فيما ينشر من مجهول الشوقيات، وبها حق استاذانه في الاقتباس
منها او الاخذ عنها ، واستشهدت لوفى بكتابة « الياض الشافعي » رلى الله عنه : «وددت لو ان الناس انعموا ..
العلم دون ان ينسب الى منه شيء»



الدكتور محمد صبري السوربوني



احمد شوقي .. أمير الشعراء

(٣)

ثم حدث ان اثيرت هنا في شهر رمضان
تضحية الكتيب الذي نشرته وزارة الثقافة
هدية الموسم الديني الكبير ، اعنى كتيب
«القرآن وعلم النفس» بقلم استاذ جامعي
استباح فيه ان ينقل الصفحات كاملة
من بحث استاذ لنا كبير - نشر ثلاث
مرات في البيئة الجامعية .
ولم يدعها الاستاذ الدكتور صبري تمر .
بل بادر فاتصل بي تليفونيا ليتناول
«لم اشأ ان ارد على نذكك للتحفة
الذي صدرت به الشوقيات المجهولة»
احتراما لحرية رأيك . لكن بشاء الله
ان ينصف لي منك ، بقلبك انت فيكون
فيها كتيب اليوم من تضحية القرآن وعلم
النفس ، ابلغ رد : اذ انه متى سمعت
الحرمان الى هذا الحد ، واستباح استاذ
جامعي ، ان يدعى ما ليس له ، على هذا
النحو الصارخ ، فقد صار لي كل العثر
اذا انذرت وحذرت ، كىلا يستباح جهدى
وينهب !
وقد ذكرت هذا كله ، وانا اقرا المجلد
الثاني من «الشوقيات المجهولة» وانثر
لما بذل فيه الاستاذ المحقق من جهد
مضن ، لكن يكشف عن آثار شوقي المطوية ،
التي لم يسبق نشرها في المطبوع من
شوقياته ودواوينه :
والواقع ان عمل الدكتور صبري في
نشر مجهول الشوقيات ، ليس الأ مرحلة
الاساس في بناء كبير ، شأنه في ذلك شأن
كل ما ينشر من تراثاء حيث يقدم المحققون
مادة الدرس الادبي لمعاصريهم من الدارسين
ولاجيال منهم خالفة .
ونحن حتى اليوم لم نتمكن من المواد
الاميلة التي يصح بها تاريخنا الادبي
وبطهم ، كما لم نؤد حق شاعرنا الكبير
ولم نستجل من تراثه صورة ما بيننا
القريب .

والنصوص الشعرية لا تكفى وحدها
لجلاء هذه الصورة ، بل نحن في حاجة
الى انواء من ظرونها وبلاساتها ،
تعين على وضوح الرؤية ، وهو ما يقرنه
الراغب الادبي على «ن عرفة» الشاعر
معرفة شخصية ، واتصلوا به اتصالا وثيقا .
واشهد ان استاذنا «الدكتور صبري»
هرف واجبه ونهض بعبد ادائه : فهو
لم يكف بنشر المطوى من شعر شوقي ،
نصوصا مروية ، وانما عنى كذلك بان
يجلو لنا الجو الذي نظمت فيه القصائد
وان يزيح الستار عن كثير من اسرار
تاريخنا المعاصر ، لا يعلها الا قليل .
وهذا الكتيب لخفايا الدواعي الملهمة
للشاعر لا يضى عصر شوقي فحسب ،
ولكنه كذلك ، يقدم لنا شاعرنا مؤرخا ادبيا
لعصره ، ونموذجا فذا لشاعر معاصر ،
يعيش بوجدانه في دوامة الاحداث الكبرى
ويرصد ولحمها على نفسه ، ويسجلها
بشاعرية ملهمة .
وذلك ما لم يتح لنا ان نظن به في
اكثر المطبوع من آثاره ، وقد قرأتها جميعا
وحفظت منها الكثير ، وشغلت احيانا
بمعنى دراسات فيها ، ومع ذلك ، لا
احسنى عرفة الشاعر مثلبا عرفته وانا
اطالع ما . الدكتور صبري من حواش
وتعليقات ، في الهوامش التي تشغل مكانا
هاما من «الشوقيات المجهولة» وتعتبر
في راسي عنصرا جوهريا لفهم هوقسى
وعصره .
ومن اين لي ، ان ادعى فهم الشاعر
ولم اكن قد قرأت مثلا ، شوقياته المجهولة
التي نظمتها في وداع «اللورد كرومر»
بلسان الشعب على اخلاص طوائفه ،
واخرى رد بها على الدعوة التي تلقاها
للمشاركة في الاحتفالية لشمس
«الفتحى زغلول» اثر فاجعة دنشواى ؟

(٣)

وما كان اخرجنا الى مثل الدكتور صبرى ، وقد ادرك عصر شوقي واطلح على اكثر اسراره وخفائيه ، اطلعنا على حجة في التاريخ الحديث ، لكي يسجل ما حث بالشوقيات من ظروف ويبدد ما غطاها من ظلال ، بايانة ومدق ، بعدا عن المؤثرات والشواغل والثبوت ، التي اجتمعت بعض اقلام الدارسين والمؤرخين ، وانحرفت باخرى ، — ايان حكم الاسرة الابانية الدخيلة — ففصلت وزيمت .

وقد اختلف مع الدكتور صبرى ادبنا على ملاحظته النقدية المتصلة بالتذوق اللغوي ، واحتكم الى متسايس غير التي بحثكم اليها ، وبخامة حين يوازن شوقية ونواسية او بارودية . .

وقد يعزى الاقتناع احيانا حين يصف قصيدة مجبولة الى الشوقيات ، دون ان يقدم البنا مبررات اعتقاده بانها لشاعرنا الكبير (ص ١٠٧)

وقد انكر عليه ، كما سبق ان فعلت في نقدي للمجلد الاول ، بقره لابيائهم بعبث بانها في تقديره « من جيد شعر شوقي » في ص ٢٨٦ — واستقاطه لانيات المديح اكتفاء من التصديقا لا علاقة له بالمديح

— ٢٢ — وقد أسف لتسع قصائد كاملة من مطوى آثار شوقي ، امر الدكتور صبرى على اعدادها وتركها بمنطقة الظل بحجة كونها في رايه « مجرد نظم » كما انها ليست في مستوى شعر شوقي في ص ٢١٧

وقد اقول له ما قلت من قبل : ان لك مطلق الحق في استقاط ما شئت من ترك الشاعر ، لو كنت تقدم اليها « مختارات » من الشوقيات المجهولة ، اما وانت فتشكل ديوان شاعرنا بالجهول من آثاره ، فليس لك اي حق في ان تسقط بيتا واحدا مما اعتديت اليه ، لان للنفس الانبي حربة الوثائق والاشار التاريخية ، من حيث هو خيط في نسج عصره . وتظم هبلك التجليل ، حين تكتفى في مثل هذا الموقف بذكر المصادر التي يمكن ان ترجع اليها في التباس ما استقطعت من الشوقيات المجهولة ، فتتاليها الفلمام والباحثين ، وانت منهم ، تضع جهد السابق بين يدي اللاحق يتنفع به ويبدأ خطوة جديدة في ميدان البحث ، من حيث انتهت الخطوات السابقة

قد اقول كل هذا ، لم لا اتردد مع ذلك في الاعتزاز بالشوقيات المجهولة

بل من اين كان لي ان استبين بطولة الضمير الحر لشاعر يخوض بوجدانه المعركة الكبرى لقومه ، وهو مكبل بأغلال الوفاء لاولياء نعمته ؟ وان اعزى الى اي مدى استطاع شوقي ان يفي بأمانة الفن وشرف الكلمة ، رغم كل القيود التي كانت عليه . مكبل هويته في الاستجابة لنداء الشر ، والتعبير عن الوجع العام

اني لانحني جلالة للشاعر ، وانا اظن « الدور » الخناسي ، الذي بعث به الى احدى الصحف القومية ، باف ما يستعار ، مطالبا بان يبدأ الخفي في حذات الانراج ، بهذا الدور :

يا حيامة دنشواي نوحى للسير جرائ في الظلام . . كيلا ينام . .

وابتسم ضاحكة من سذاجة انفعالي بقصيدة « سداح يا ملك الكنار » وقد كنت انشدها في الندوات والمحافل الادبية ، وفي يقيني انها دفاع في قضية تحرير المرأة ومواساة شاعر لباحثة البادية وبنات جيلها ، بين قسبال السجن !!

ولم اكن ادري ، انها رسالة انشاعر الى « الورداني » في سجنه ، حتى اعاد الدكتور صبرى نشر القصيدة في الشوقيات المجهولة ، وحل رموزها فعدت اطالعتها بانفعال جديد ، بعد ان انكشف السر :

وكذلك فعلت مع قصيدة « ورد الربيع » التي حسناها زمانا من رحي الطبيعة ، وغاب عنا الرمز بالورد الى « الورداني » :

يا ورد انت سنا السيو

ن اذا الدجى لم ينجل

احببت من ميت النور

س وكذا خير مؤمل

يا ورد ان ابعدت عن

نظري ، فانت بمنزلي

واذا خلوت مفكرا

كنت الانبي الفرد لي

اسقى على هذا الربيع

سعد ووده المرحل

احيا النفوس بعرفه

وناي ، كان لم يفعل

لمعنى فري نفحاته

في روضة المستقبل !

الا ما كان اشد سذاجتنا ، ونحن نقرا

قصيدة « الكنار » الاسير في ديوان الشعر

الاجتماعي ، ونعد قصيدة « ورد الربيع »

من ادب الطبيعة

١٩٦٢/١٠/٥

الأسبوع الثقافي



داريل



نحسب مظلوما



سيد المصطفى

محاضرة يوم عبد المنعم الصاوي

الذكورة بين الساطع

« جيتو العمل الذي في الثلاثيات ، او الرباعيات والخماسيات ، يقوم على فرق دهن بنهايتين قصة مسلسل ، بحيث تستكمل كل حلقة أسئلة لها الغنى والظاهر ، فبدون في غير حاجة الى نكته اوبقية ».

فترات « الساقية » عقب ظهورها ، وتحدثت طويلا قبل ان اكتب عنها .
فلقد عرفت كاتبها « الأستاذ عبد المنعم الصاوي » زميلا لي في قسم اللغة العربية بآداب القاهرة ، ثم عرفته كاتبا صحافيا بارعا ، فإذ ان تفرق منا الدرب ، غابني في الجامعة حيث احب ، وبقي هو جادا حتى وصل الى منصب الوكيل لوزارة الثقافة .
والد كنت انتي ممثلة من الكتابة عنها ، حين تولعت انتي لن الفرع من دراستها ، حتى يكون عدد من الزملاء لسد بادرنا بالكتابة عنها قبل ان بجى المسند الذي طبعت به ، والذ ذاك تكون كتابتي في موضوع قد ابتل . . .

١٩٦٢/١٠/٥

(٢)

« أبو المسكرم » الاخرس الذي
الطيب ، الذي احب الفحبة حبا صوفيا
لا ابل فيه ، لم يؤد دوره بعد . . .

و « أبو عوف » والد الفحبة ، وراء
قضبان السجن ، محكوما عليه ظلما بتهمة
قتل ابنته ، ينطوبا على سر رهيب ،
باعترافه بجريمة لم يقتربها .

و « أم الهنا » ولبيدة « والدة
الفحبة وشقيقتها ، يتهبان لرحلة ،
حددا من حرج الجربة ، الى محم
مجهول . . .

و « جلال » طفل الفحبة الرضيع ،
وحيد على المسرح ، لا يدري احد ما تخبئه
له الايام ، ولد لسبوه ظلما والمراء
الى غير ابيه .

و « المحرمون » الذين اتفروا كل
هذا الاثم ، مانهوا الفحبة البرئية
بالزنا كيلا يكون لطفلها حق في ميراث
أبيه الثرمي . وقذلوا بالفحبة الى
امواج الرياح ، وتسلسلتوا اباما الى
السجن بالتهمة الخالصة ، هؤلاء المحرمون ،
مطلق السراح ، الى حين يتكشف
السرا . ولا بد ان يتكشف .

وهكذا انتهت الحلقة الاولى من
الخيال ، والجو يشحون بأسئلة
جوابها في مفسر الغيب ، وسرها مطوى
في ضمير الكاتب . . .

نهما ، كما يسدل الستار ، على
مشاهد الفصل الاول لاحدى المسرحيات
محيح ان « الفحبة » قد انتهت

امرهما بنصرهما الثاني لخرقة في الرياح
ولكنها نهاية معلقة .

نليس ممرها ابرا بغمها وحدها ،
وقد تركت وليدها ، موسوما بخرقة ابن
الحرام ، بين مخالب همه الوحش
« أبو سريع » . . .

ثم هو حسيح مؤقت ، مادام سر
مصرعها لم يكشف على حقيقته ، وتائلها
مطلق السراح ، رابوها البرى بين قضبان
السجن .

المكان الاسدال عبد المنعم ، مستظيما
ان يستقل بهذه الحلقة ، غير معلقة على
ما بعدها ، الا بوجه يكشفه تسابع
الحلقات .

غير انى ما ذهبت مرة الى الزين ،
واخذت مكاني هناك بجانب المسافة ،
اصنى الى انيتها ، الا ذكرت اللصة
التي اغفلتها رمنا ، دون ان المكر الى
الظلم الذى يلحق اى عمل فنى ، من
كتابات سريعة مرتجلة ، تصدو عن انفعال
هابر ، بها لا صلة له بالفن .

انها اتسبه بضجة « الزفة » تعلو
صاخبة ، ثم لا تلبث ان تغتر وينلاش
مداها . . .

ولصصة « المسافة » عمل فنى جاد ،
وليس من الانصاف ان يدعها التلاد ،
دون تلويح جاد . . .



لكن الاسدال عبد المنعم ، قدم لنا من
« السالفة » حلقة واحدة هي « الفحبة »
في خمسمائة صفحة نه واعدة بحلقات
اربع تاليات ، يكمن الحماسية .

فهل يسبل تقويم قسة لم تتم فصولا .
هذه هي اللصبة . . .

والادب المعاصر قد عرف هذا النوع
من القصص ذات الحلقات ، في مثل
مجموعة « زولا » التي تصور تلاما
رميا من المجمع الفرنسى الى اجيال
متعاقبة ، وفي مثل « رباعية داريل » التي
جمل الاسكندرية محورما ، ثم ترك
لابطا قصته الاربعة ، ان يروها كل
واحد منهم ، كما انفل بها ، وهنا في
مصر ، اشتهرت « ثلاثة نجيب محفوظ »
وقد سلك فيها مسلك « زولا » مع
اسالة واستقلال .

وهبد المنعم الصاوى لا يكتفى بثلاثية
او رباعية ، بل يبنى شوطا امعد ،
ليجمل « السالفة » خباسة الحلقات ،
اولاها هذه « الفحبة » . . .

والاصل ، في منهج النقد الادبى ، ان
نقوم بمثل هذه الحلقات في مجموعتها
متكاملة ، بحيث نستطيع ان نستبين مجرى
الاحداث الى نهايتها ، وان نلج الخيط
الذى يربطها في حلقاتها بتسلسلة ،
ونتبس مدى الطائة الفنية للكاتب ،
بمقدار مهارته في هذا الربط ، وان نقبس
كذلك ، مدى الاسعاد الترتيحية له ان يبلنها
منذ نهاية الشوط .

(٣)

لقد اغرق الضحية في ظلمات رهيبة ،
وسلط عليها من افاعيل الاقطاع ،
ما يهون معه صرختها فريضة بين الامواج
اسرعه في وسعه سعادتها بالحياة
الظلمة الخشنة ، صبية حسناء لاه
سبح ، بكبح في سبيل كسرة الخبز ،
بين به عليه مناهب الارض .

ثم اسرعه في مسخ اديبة المسبية
والها ، حين ساتها صاحب الارض الى
داره عروسا ، وابر على والديها
واختها ، ان يقتربوا من بيت صهرهم
الغنى ، ان ينكروا في ان لهم بنتا هناك
واسرعه في وصل مخنة الواد التي
استجنت بها الصبية المروسة ، قبل ان
تحل من زوجها جنينا ، بجن به جنون
الورثة حقا واستكبارا .

وتلفن في شمسهم المصرع الاليم
للمروسة ، حيث ساتها هم الطفل ، ليل ،
الى الرياح ، وابر اباما ان يخذل بها
بين ابواجه ، ليقاتل ابو قبل عارها
المكذوب ، فلما عجزت الابوق عن اقتراح
هذا الالم ، تولى الاب سفايح ماجور ،
ثم سبق الاب الناكل الى المحكمة ،
ليترك بحرية لم يقرنها .

ولا عيب في هذا الاسراف كله ، لو لم
يعدنا الكاتب بفجر جديد ، ادركه فعلا ،
وكان عليه ان يهد اليه خلفه ، بان

يستبلى وسط امواج الغلبة ، شماعا
بشر من بعيد ، الى مرمى المنهجين في
جوف الليل البهيم . . .
ومن حقه ان يتسك بحرية الاديب
في ان يخفى هذا الشماع ، فلا شك
الا ان نسلم له انها ، ثم نقول مع ذلك :
لا عيب في هذا الاسراف ، لو لم يقول
الاقتناع .

ذلك ما لا يمكن الحكم عليه قبل قراءة
الغالبية كاملة ، وليس امامنا اذن ،
الا ان نقاؤل الضحية بنقد جزئي ،
باعتبارها عملا لم يتم .



واستطيع ان اتول ، ان الضحية
تروى مأساة الانسان في هذه الارض
الطبيسة ، حين كانت القدام الاقطاع
تسحق فيها النسابة البثر . . .

واذا اخذنا نقاد على الضحية ، وعلى
كل شعاب الاقطاع من الها ، هذا النوع
من الاستسلام اليأس المابر ، تحت
وطاة البفن والجبروت ، فلتست معهم
في هذا الماخذ ، وقد عشت المأساة
النادحة ، فلما اردت ان ارويها في قصة
« سيد العزبة » لم استطع بحال ما ،

ان انلت من اهتمام الواقع الاليم ،
لتأجو بالشعاب من هذه المواجهة
التمسة للبشر ، بالمسبر والاستسلام .
وانا مع كاتب الضحية ، في ان هذا
المست الحزين اعلى منونا من عنافات
التبرد ، وان تلك الاستسلام المابر ،
اقوى من اندفاع العصيان . . .

لكني لم انتظر بقصتي ، وقد كنتها
قبل الثورة بشائية اموام ، حتى ارى
جيل الشعاب يحدد لنفسه ، بالمست
والمسبر ، مكانا يمارس فيه حياة جديدة .

اما الاستاذ عبد المنعم فقد انتظر
فلم يرو من التمس كلة ، حتى راي
الشعاب يمارسون حياتهم الجديدة ،
التي لم تليح موانرها في الضحية . . .

والملب ظني ، انه سوف يلتقنا في
حلقة تالية من « الساتية » وقد اصابنا
الثورة للشعاب ذلك الطريق الموهود ،
وان تكن احداث الضحية ، لا تسبح
بأمل ، ولا تعد بنجدة ، ولا تغري بتطلع
الى فجر يرتقي . . .

(٤)

لنسى الناس الرواية ، للاديب بطلان
الحق في ان ينقلها اليها عبر وجدانه ،
مقبلها اليها من اعماق ذاتيته الفنية ،
ما شاء من صور وظلال ، لكن على ان
ينلح في الطاعنة ، بان هذا امكن او يمكن
ان يحدث في الواقع ، لكن نتج من
احداث القصة ، وهم التجارب بيننا
وبينها .

والناقد يصر على هذا الالتئاع ، اذا
كان قد عرف مسرح القصة ، وماش ل
البينة التي اختار منها المؤلف اطلاله .
وانك ان معرفتي المباشرة بالريف ،
وصلت الوثيقة بأهله ، تسبحان
لي مثل هذا الاصرار على الالتئاع الذي
التقته وأنا اقرا الصفحة ، واشتد
احداثها على المسرح الذي عشت فيه
اكثر مبرى .

ولم اعجبي بعجبة هذا العمل الفني
الذي يشهد باصالة والمدار .

ومع تاترى البالغ ، للقصة تأخذ الدور
الاول فيها ، تلك السالبة التي احببناها
وعرفناها علامة مميزة لارمنا الطيبة .
ولم الزميل الاستاذ عبد المنعم ، في
لمر حاجة الى ان اؤكد له انني سوف
اترفب الحلقات الاربع الباقيات من
لهاسية « السالبة » لاري ما صنعت
الايام . باولئك اللحن اعترت لهم قلوبنا
باعقب مشاعر الرحمة ، وهم يهيمون
حباري صامتين ، في مناعة الضباب .



اعتذار :

في مقالتي عن « ملحمة لم تتم » اشرت
الى ملحمة « رسالة من المربطيا » للشاعر
السوداني محيي الدين فارس . ولقد ذكر
في المقال سهوا ، باسم الاديب السوداني
الدكتور محيي الدين صابر ، فرايت من
واجبي ان الفت الى هذا الخطا واعتذر
عنه .

بنت الشاطي

التاريخ : ١٢ / ١٠ / ١٩٦٢

في موكب التضرع

تحية إلى المجاهدين
جميلة بوعيرد وزهرة بوطريف

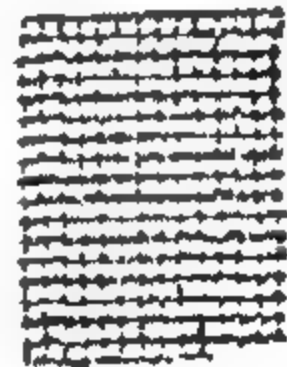
بنت الجزائر

من : بنت الشاطئ

أخت يا بنت الجزائر
كل الفاظ لنا تبدو هزيلة
عندما نرفعها إلى عالي مقامك !
والمعاني الخصبة الكبرى الجيلة
نراهي تشبه صماء عقيمة
حين تدنو ، في خشوع ، من رهابك



أخت يا بنت الجزائر
أهسى ... واللعل بهميم
وظلام البغي داج قتلهم
كنت أدري ما أقول
كنت أهوى أن أخفي في الجزائر
نمضي ولي بدعنا المصير ..



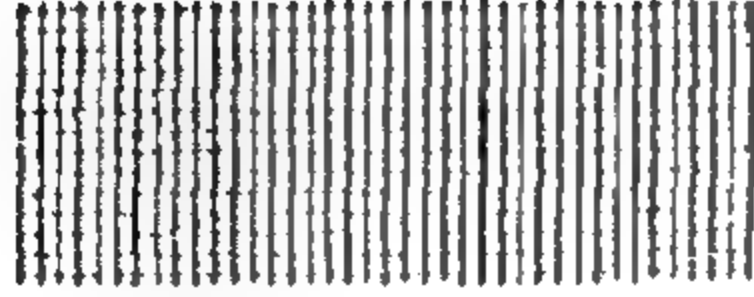
لا لي بد أخرى ، بباريسي أو ببلاد الغم سام
كنت أهوى في عناد الكبرياء ؛
أن أخفي في الجزائر
أختي جميلة ، زهرة بوطريف



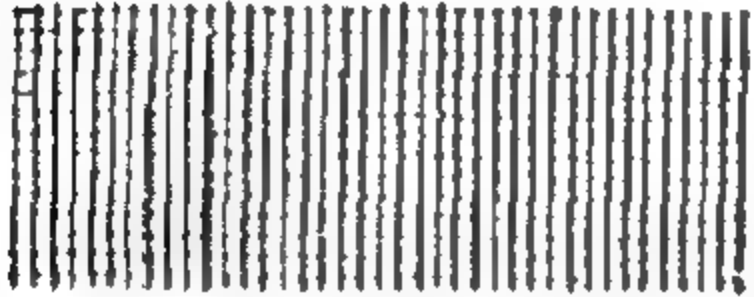
التاريخ : ١٢ / ١٠ / ١٩٦٣

(٣)

والاخرى
كل اخت في الجزائر
في كل هي ، بل كل تسر ، من حمى الوطن العزيز
لقد ادرت هذا المصير لفرمها
من وقت ان بدا الكفاح



لا النغي نشنها عن الهدى القيسل
لا النار ، لا المذيب ، لا افاعيل الوحوش ...
بل لا المشاق ، لا المذبح ، لا المخزيات المتكرات
لا شيء من هذا ، لا شيء قط
بمستطيع صرفها
عما ارادت للجزائر



تغنى وفي يدنا المصير
تغنى بكل جلالها وابائها
رمز البطولة والكرامة والشرق ...
لتعلم الالى انتهكوا حلقى الادمية
الا مكان لشرعة الغاب الدنية ..
في ارضنا :
مهد النبوة والرسالة والبطولات الكبر :



اغت يا بنت الجزائر
امسى والليل بهيم
كنت ادرى ما اقول
والان يبهني جلالك
فاعود فليجئة اللسان :



البيان اليوم قد صار عصا
كلنا حاولته الفيتة ، شقى علينا
كان حتى هذه اللحظة طوع لسانى
ويديا ...
ثم لما جئت اشدو لك يا بنت الجزائر
ابطل السحر البيانى صباوك
لماذا الالفاظ حيرى في شفتيا

جميلة

التاريخ : ١٢ / ١٠ / ١٩٦٣

(٣)



زهرة

اهت يا بنت الجزائر
بظلم القاتل انك رمز العريسة
انت رمز الجوهر الحر لهذه البشرية
انت رمز الطهر فيها والاباء
رمز كل الخير فيها والجمال

انت يا اجمل زهرة
انت يا اعذب ثمرة
انت يا اروع رؤيا
في ضمير البشرية

اسمك العالي على كل لسان
يبهر الدنيا على مر الزمان
طيفك القدسي في كل مكان
يبعث النشوة فينا مبهجة ا

فالذا ما عدت يا أخت الى ارض الجزائر
قبلي طيب ثراها

صالحى ، لى ، كل اهلى بالجزائر
أسجدي ، على ، على الارض الزكية
باركتها روح طيون شهيد ..
يتمنون اليوم في موكب نصر
مجد ، وحياة ، وخلود

أخت يا بنت الجزائر
كل الفاظ لنا تبدو هزيلة
عندما نرفعها الى عالي مقامك
والماتى الخصبة الكبرى الجيلة
لتراوى شبه صماء عقيمة
حين تننو في خشوع من رحابك ا

التاريخ : ١٩ / ١٠ / ١٩٦٣

قضايا أدبية

« متى استعبدتم الناس
وقد ولدتهم أمهاتهم
أحراراً؟! » عمر بن الخطاب

أين مأساة الرق في أدبنا المعاصر؟

بمقام الدكتور بنت الشاطئ



خالد رجب
وجزيرة العرب



علي أحمد باكثير
سلامة



توفيق الحكيم
سلطان الحائر

اعترف بانى لم أفكر في عرض هذه القضية ، قبل أن أسافر الى الخارج في منتصف أغسطس الماضي ، دون أن يؤثر بيالى انها سوف تواجهنى هناك . فما كادت الطائرة تهبط بنسبا في « ميونخ » حتى فوجئت بموضوع « الرق في بلاد العرب » يشغل الصفحات الاولى من الصحف المعروضة بالمطار . وكانت المفاجأة اقصى ، حين انفتحت الاقلام يخوضون في حديث مأساة الرق لمناسبة الاحداث لاحسره في الجزيرة ، وقد عجبوا ان يكون بيننا نحن العرب ، من لا يزال نستعبد اخاه الانسان . واذا عرفوا انى كاتبة عربية ، اقبلوا على يتساءلون كيف جرى الحال في اسواق النخاسة ، وكيف تتم صفقات البيع والشراء المضاعفة الادمية ؟!

وقد استحييت ان اجيب السائل - بعد ان ذكر قصة كوخ العم توم - باننى شخصيا كتبت عن الرق في قصتين : رويت في احدهما مأساة «الأميرة» التى تالفتها في بلدة «الخير» - بنحصد - مهددة الادهية . وعرضت في الاخرى مأساة «الحلمة» نقلا عن احدى معنقات الخديو المخلوع . فليست القصة من مستوي قصة الكوخ ، وقد طويلا في مائة النسيان دون ان تحدثنا اى اثر ، فذل هذا على اننى فيها لم اعبر عن وجدان ادبى عام ، يلقى مثل هذه المأساة بعطف ومشاركة وانفعال .

وترددت كذلك في ان اشير الى مسرحية «السلطان الحائر» للاستاذ توفيق الحكيم ومسرحية «سلامة» للاستاذ على احمد باكثير ، وقصصى عن «فريدة» : جارية الخليفة الواثق .. لعلمى انها جيبعا ، لاتعالج مأساة الرق في عصرنا ..



وطال صمتى وان اجهد ذاكرتى عننا لتسمعتنى بما اجيب به السائل ، ويبدو انه فطن الى حيرتى ، فاستدرك بقول فى شبه اذكار ، انه يقدر حرج الموقف بالنسبة الى الكتاب العرب ، وبخاصة من يدينون منهم بالاسلام !

ولم يدرك انه بمثل هذه الاشارة الجارحة - عن غير قصد - الى الاسلام ، قد هيا لى قرعة الانلالت من سؤاله المخرج عن موقف ادبنا المعاصر من الرق ، لاتحدث من الاسلام فالفتة الى خطأ الحكم على شريعتنا المسبحة ، بسطوك بعض المسلمين فى مصر من العضور او بيئة من البيئات ثم اؤكد له ان موقف الاسلام من الرق كان كقبلا بالقضاء عليه قضاء حاسما فى

وظفنت انه يكفينى ان اسألهم ان يتركوا الشرق العربى بعضى هذا التفسير المتخلفة من عصور كان الرق فيها وضع اجتماعيا سائدا فى الشرق وفى الغرب على السواء ، واجدر بهم ان يهتموا بتضايب الانطهاد المعمرى الذى يمارسه الغربيون ، فى امريكا وفى حادوبافريقيا بمارسة بشعة تؤرق القسير الانسانى . اما عن مصر ، فقد اعفانى من الدفء عنها احد رفاق السفر - وهو جاعلى مستشرق ، زار اكثر الاقطار العربية - حين اكد لاصحابه ان مصر لاتمارس هذا المصنف من التجارة باى حال ، فلا اثر فيها لاسواق النخاسة ولا لسفاعة الرقيق بل ان الرق محرم فيها بحكم القانون .

فمر انه لم يلبث ان التفت الى «يسالنى محسوقنا ادبنا المعاصر من هذه المأساة التى لاتزال تجرى فى بعض مناطق من بلاد العرب . وقال فيما قال ، انه وان لم يجرؤ على ان يدعى الخبرة الكافية بأدبنا الحديث ، الا ان اتصاله بالاستشرق وتتمعه لا يترجم الى الالمانية من افعال ادبائنا المشهورين ، يسبحان له بسان يدعى بعض المعلمين بشاغلنا الادبى والفكرى وهو لا يذكر انه قرا اوسيع عن ادبى عربى معاصر ، عالج هذه المأساة الانسانية وكم يسره ان ادله على مايجعل من اعمال ادبنا لنا ، موضوعها الرق ، على نحو ما فعلت «هاريت بيتشر ستوا» فى قصة «الكوخ العم توم» .

ولست ملبا الذكر فى سؤاله ، وتدخلاتنى ذاكرتى فلم تسمعتنى بجواب . فملغ علمى ان ادبنا المعاصر قد نخل عن هذه القضية فلم يواجهها مواجهة صريحة سالرة او رمزية مفعنة .

التاريخ : ١٩ / ١٠ / ١٩٦٢

(٣)

واقبت هناك ما ذهبت ، وأنا لا اكن
من التفكير في موضوع خطي ادبنا الحديث
من قضية انسانية ما كان يجوز له ان يغفلها
او يتجاهلها .
ونشرت انذكم طالعت من مؤلفات حديثة
لكتاب زاروا جزيرة العرب او اقاموا فيها
او كتبوا عنها فلم اذكر ان كتابا منها تعرض
لمسألة الرق ، ولم اذكر ان كتابا من تلك ان اكتب
في الموضوع ، حتى رجعت الى الوطن
والتمسيت باقي مكتبي من هذه المؤلفات
لاعبة النظر فيها رجاء ان اكون نسيت
او اخطأت .
وبين يدي وأنا اكتب هذا المقال ، ما كتبه
السادة : الدكتور عبد الرهمن غزام -
رحمه الله - وحافظ وهبه واحمد حسين
وعبد الرحمن نصر . وما كتبه السيدات :
هند سلاته ، وزينب الغزالي ، وسنية
لواصة .
ولا اشارة لهما لمسألة الرق من قريب
او بعيد .

وخطر ببالي ، ان الشعراء المعاصرين
من عاشوا في الجزيرة ، اولي بالانفعال
بالساعة ، يحكم وجدانهم البلاط وحناسيتهم
المهنة . فعدت اقرا - للمرة الثانية -
ديوانين كبيرين : احدهما من (شعراء
هجرة) في القرون الثلاثة الاخيرة ، جميعه
الاستاذ «عبد الفتاح الطول» في سبائة
صفحة ، ونشر عام ١٩٥٩ .
والثاني الشعراء نجد المعاصرون» وفيه
مختارات من قصائد ثلاثة وعشرين شاعرا
مع دراسة للشعر الحديث في الجزيرة
يقلم الشاعر «السيد عبد الله بن ادريس»
وقد نشره عام ١٩٦٠ ، في ثلاثمائة صفحة
وخاتمة الرجاء : فالمجلد الاول مختفد
ثلاثة الشعراء فيه ، منظومات الزهد
والوعظ ، والهجر والعقاب والوصال ،
وشكوى المذول والرقيب ، والمدح والاعتذار
والثناء . وفي الديوان قصائد في مدح
الساعة ، ومصلح الساعة ، والشكوى
من ارق بسبب الفراغ (١) ووصف
الورد ، والعبادة الحجازية ، وفي القهوة
والشاي ، ومجلس انس في النخل .
وتناظرت خيرا . حين قرات في الفهرس
عنوان قصيدة عن الزيت ، وتجار الزيت
يشير الى صفحة ١٩٣ . فلما التفتتها
هناك ، القيت عنوانا فحسب ، ليس تحته
الا بياض وقراغ !

اقصر وقت ، لو ان الظروف الاجتماعية
وانت على ذلك . فالاسلام قد فتح كل
الابواب لتحرير العبيد الذين اوجدتهم
نظام مقرر ، ووضع اجتماعي سائد في
ذلك العهد البعيد : رصد نحو (١/١٢) في
في المسألة من اموال الزكاة - وهي
الابرار الثابت لمزانية الدولة الاسلامية -
لتحرير الرق ، وجعل عتق الرقبة :
كفارة شرعية من القتل الخطأ ، والفطر
غدا في رمضان ، والحنث في اليمين ،
وغير ذلك . ثم سجد الباب الاكبر لمورد
الرق ، بآية حددت موقف المسلمين من
اسراهم في الحرب باحدى اثنتين : اولاهما
ان يمنوا على الاسرى بالحرية ، والاخرى
ان يقتلوا منهم الفداء . منيت بذلك قوله
تعالى في سورة محمد :

« حتى اذا اخذتموهم فشدوا الوثاق
فاما منا بعد واما فداء ، حتى تفصم
الحرب اوزارها »

واوشكت ان اشير الى موقف الاسلام
من الاوضاع الاجتماعية التي البهاها الرسول
صلى الله عليه وسلم في البلد الحرام ،
فلظن من وحى ربه هذه الايات من «سورة
البلد» فتكر تلك الاوضاع الفاسدة التي
ورثوها ولدا من والد ، وتغرى الانسان
بوضوع آخر كريم ، جدير بمسئولية
انسانيته . ورشد ادراكه :
« لقد خلقنا الانسان في كبد . ايجسب
ان لن يقدر عليه احد . يقول املكك
مالا ليدا . ايجسب . ان يره حد
الم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين .
وهديناه النجدين . فلا اقتحم العقبة .
وما أدراك ما العقبة ؟ فك رغبة ، او اطعام في
يوم ذي مسغبة . يتيها ذا مقربة . او
مستكينا ذا متربة . ثم كان من الذين
امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة »
غير اني قدرت ، ان الامر في هذا
النسق التراثي المعجز ، يدق مسن
شرحى له بلغة اجنبية ، يدق عن فقه
اي مستشرق ، لاسرار البيان العربي .
واكتفيت بان انهي المحادثة بيننا بكلمة
الامير المؤمنين «عمر بن الخطاب» حوالية
على مصر ، عمرو بن العاص :

« متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم
امهاتهم احرارا ! »



التاريخ : ١٩ / ١٠ / ١٩٦٢

(٤)

أما «الشعراء نجد المعاصرون» فلم
ارأي واحد منهم تعرض لمأساة الرق ،
وان تأثرت أعيننا ، بقصائد فيمتسجل
صدى انفعال بعض الشعراء ، بمحنة الفقر
وأوضاع النظام الطبقي ، وأرجو ان تنجح
لي دراسة دراسة هذا الدبوان على
مهل .



وأحاول مع هذا ، ان التمس بعض
المعذر لادبنا المعاصر بما تشغله من معركة
التحرير الكبرى التي خاضها ضد
استرقاق الشعوب ، وضد نفى الطفيلان
وضراوة الاقطاع ، وهي معركة كانت كافية
لان تستغرق أكثر نشاطه ، فلمله من
اجل هذا ، ترك مأساة الرق للزمن عليها
بوسيلة أو بأخرى ، وانما ان موجة
التحرير والوعي لابد ان تجتاح - فيما
تجتاح من رواسب العصور الخوالي -
تلك البقايا المتخلفة من الرق ، في مناطق
محدودة من بلاد العرب ، مهد الرسل
والانبياء ، ومبعث الرسالات الكبرى التي
لحزت حق الانسان في الحرية والكرامة
والشرف .

"من فأت قديمه تاه" مثل شعبي

قضايا أدبية

وجودنا الأدبي بين القديم والجديد

د. نواف الكسوف



نواف الحكيم

التقصير ، وإنما هي في رأيي
خطيئة ونقص ، لوثيق صلتها
بما نلهج به اليوم من تحقيق
وجودنا ووعي ذاتنا .



والذي يعرفه عالم المثقفين من ماضي
أدبنا ، لا يمدو اللمحة السطحية والادراك
الفحل ، واكتفه بما تلقوه في الدراسة
الناتجة التي بعد مهدهم بها نسبيا ،
وانتظمت سلكهم بالأدب العربي فيها
سجودهم بمرورهم تلك المرحلة إلى التعليم
المعالي . وهذا الذي تلقوه ، على

إذا كان الزميل (الدكتور
لؤيس عوض) قد شكوا
عزلتنا عن جديد الأدب
العربي ، فإننا - من ناحية
أخرى - أشكو عزلتنا عن
ماضيها الأدبي : قريبه
وبعيده ..

وما من شك في أن ضعف
اتصالنا بما استحدثت الغرب
في السنوات العشر الأخيرة
من أعمال أدبية ذات شأن ،
يعتبر قصورا في ثقافتنا ،
غير أن عزلتنا عن ماضيها
الأدبي لا يمكن أن تحتسب
من قبيل القصور أو

مسألة ، كان محصوراً في نطاق مختارات
ما اصطفاه قدامى نقاد الادب ومؤرخيه ،
متأثرين بمقلية رمانهم ومزاج مجتمعهم
المحكوم بفردية مستبدة ، المتصدع بطبقية
ضاربة .
أما نقاد الادب الذين يسيطرون اليوم

على مراكز التوجيه للوجدان العام ،
فأكثرهم مشغول بالبضاعة الطازجة .
و حين يمييهم ان يلاحقوا ما تخرجه
مطابعنا التي لا تكف لحظة عن الدوران ،
موردة إلى السوق الثقافية ، في كل يوم
بل في كل ساعة ، جديداً من البضاعة ،
حين يمييهم ان يلاحقوها ، اختار كل
ناقد منها ما يرضى مزاجه ، او يتمسك
بمذهب له في الادب والنقد ، وبقي أكثر
الجديد في منطقة الظل ، حتى يمر عليه
الموسم فيمسي قديماً لا يصح ان يتناوله
ناقد من يؤثرون جديداً البضاعة ،
ويستنكرون من الانكشاف الى الامس الذي

مضى وراح ، معذرين لهذا بأنهم انما
يعيشون يومهم ، وبالعاجون قضاياه
الحية . وربما عدوا من يجرؤ بنا على
مناقشة كتاب ادبي فات موسمهم
رجعياً يمشى في الماضي ، ويترك ما نسجته
المنكبات على كتب القى بها فوات
الموسم . في غيابة بخازن دور النشر
ومحفوظات دور الكتب

ولست اعفى نفسي من المسامحة ،
فكم تخرجت من تقديم كتب الى القراء
بمسد عام ظهورها ، وحين كنت اطلع
في متاومة هذا التخرج واجد الشجاعة
لانعل ، كنت اكتب ما اكتب ، وفي نفسي
شمور بانى اعيش في واد غير ذلك
الذى يمشى فيه القراء ، لكثرة ما الفوا
الا يتحدث اليهم النقاد الا في احدث
ما اخرجته المطابع . اما تقديم الكتب
الادبية فما جرؤت على ان اتناول منها
الا ما ينشر حديثاً من كنوز تراثنا ،
فيكسبه هذا النشر صفة الجديد
ويعطينا الفرصة للاحتفال علر وضعها
بين كتب الموسم

والثقافية في رأيي ، جديرة بان تاخذ
حظها الاوفى من العناية ، لقد شابها
البس خطير ، صارت به حيوية الموضوع
رهنأ بحدائثه ، وثيقة المسبل الادبي
محصورة في موسم ظهوره .
ولست اجهل ان من النقاد من
لا يزالون يشغلون بتترحيات شوقي
وعزيز اباطلة وتونيق الحكيم ، وقمص
البيكل وجبران ونجيب محفوظ ويحيى حقي ،
فات موسمها ، كن هذا القنول ، مضلا
عن قلة من يجرؤون عليه ، وارتيباطه
بشهرة الاديب ، لا يلقى من الاستجابة
لدى جبهة القراء والمثقفين ، ما تلقاه
مقالات عن جديد الاعمال الادبية . تنبر
السوق الثقافية ، وتسيطر على اذواق
الجمهور .

ولن شاء ان يتنصع ما يكتب في الموسم
الواحد ، عن مسرحية جديدة لكتاب
محفوظ ، في مختلل الصحف والمجلات ،
وان يتأبل هذا كله بمقال يتيم ، يكتبه
ناقد جاد ، من سل ادبي فات موسم .



ولم اكتب هذا المقال لادعو الى الحد
من الاهتمام بجديد اعمالنا الادبية ،
والا كنت داعية الى عزلة اخرى اشد
وطأة ، واقرب الى ان توصف بالشذوذ .
واخشى ما أخشاه ان يتقرا قارىء مقالى
خطفاً ، ثم يتوهم اننى افكر ، او يكن
ان افكر ، في الدعوة الى الانفصال عن
حاضرنا الادبي ، او اخذ على النقاد
اهتمامهم به . ويلوته - مع القراءة
السطحية الخاطفة - ان يدرك حقيقة
ما اقمده اليه هذا المقال ، حين يؤكد
ان الحاضر لا يمكن ان يتفصل عن
ما مضى ، وان وعى وجودنا الادبي
لا يمكن ان يتم ، ما لم نستعين ملامح
امسه ، ونصله بجذوره المضاربة في
اعماق الزمن .

والاهتمام بماضينا الادبي ، ليس
مقصوداً به مجرد الوقوف على الاطلال ،
والنبش عن الجذور ، وانما هو القصد
الى استكمال العناصر الجوهرية التي



(٣)

لهم في مرحلة الدراسة والتعليم ،
الاتصال بترائنا في أميل منابعه ، ثم
لقد هم دواية العصر ، خضها المائج ،
فلم تترك لهم فرصة العودة الى ذلك
الماضي الادبي ، يدرسون قرائه معق
واستقلال . وهنا يبقى المبد على من
تخصصوا في الادب العربي ، رسالة
لا يجوز لهم ان ينخلوا عنها .

وبهذا تسد الثغرات في وعينا الادبي
الحاضر ، لوجود من يهتمون بمعالجة
قضايا ما فيه متعة بحياتنا وواقعنا ،
الر جانب من يشغلون مقتبع الادب
الجديد ويعلمون القراء يستحدث
اجاهاته ، في الشرق والغرب جميعا .



واعود فلأؤكد ان ما انكرت الدعوة
الى الاهتمام بجديد الادب الغربي ،
وانما اردت الا تطلق هذه الدعوة في
انفتنا دون ان نقترب بدعوة اخرى ، الى
وضع حد لهذه العزلة التي نشكوها ،
عن ماضي ادبنا : تربيته والبيد .

اما قريبيه ، فاعني به اعمالا تبني
لادباء محاسرين ، لم يهتم بها النقاد
حين ظهورها ، ثم طويت بعد ذلك فلم
يعد احد يذكرها او يشير اليها ، بالرغم
من اهميتها وجدواها على وجودنا الادبي
الحاضر .

واما البيد منه ، فنخالف ترائنا التي
يندر بين النقاد من يراها اهلا لموضوع
حي ، بنذي الثقافة العامة بها لاستغنى
عنه من عناصر الوعي والاسالة .

ومن عجب ان المستشرقين الاجانب ،
يجدون في هذا التراث الادبي مادة خصبة
لا تعوزها الحيوية والاثارة ، ولهم في
هذا الميدان رصيد ضخم بلوت المد
والاحصاء ، وهو ما ارجو ان اتناوله
في مقال مستقل ، يعطي القارئ فكرة
عن اهتمام الغرب الحديث بلدينا ،
يراه اكثرنا غير أي موضوع !

لا بد منها في معركة تحثيق الذات .
والماضي - كل الماضي - بعض هذه
الذات ، منه نستجلي بلايح امالنا
واسرار وجودها ، ونذكر ما تعرضت
له من ثباتات وما خاضته من معارك ،
في صراعها من اجل البقاء .

وماضينا الادبي هو في حساب
الطبيعة وتقدير التاريخ ، الشسطين
الوجداني من : اننا وليس بهون على
من يناضلون في معركة اليوم ، ان يلقى
بهذا الماضي في متاهة انسيان وزوايا
الاعمال ، وان نحسى في اهتمامنا بجديد
ادبنا - وهو اهتمام واجب ، تفرغه
علينا حياتنا - ان نخلل معه على صلة
بكل ما صنع بزاجنا واثر في نفسياتنا
ووجه ذواتنا ، على مسار الزمن ، جبلا
بعد جبل .



والهمة شائعة وعسيرة ، وربما كان
اشق ما فيها ان غير السوق الثقافية
بمقالات النقاد عن الصحافة الجديدة ،
قد ترك اثره في استحباب الجبهة من
القراء ، والقي على القديم في دلوهم

ظل الرجعية والجهود فصاروا لا يهشون
اليوم الا لكل جديد مثير . ولكن لا ارتاب
في انهم لن يلبثوا ان يستجيبوا بوعيمهم
لما نكتب عن ماضينا الادبي ، اذا
- ما تناولناه نحن بأسلوب حي ، يصل
ما بينه وبين حاضرنا الذي نعيش فيه ،
ومحركنا الكبرى التي نخوضها لحياة
حقيقتنا ، ومسور متوماتها الروحية
والمعنوية .

ثم يبقى بعد هذا ، ان تناول القضايا
الحية لماضينا الادبي ، شاق على الشباب
من نقاد جيلنا الحاضر ، من لم يتج



يحيى حكي



احمد شوقي



عزيز أباطة



نجيب محفوظ

• رأي شخصي

معارضة في ترشيح بنت الشاطئ للمجمع اللغوي



بنت الشاطئ

تجري بعد غد (الاثنين) انتخابات المجمع اللغوي لشغل الكراسي الخالية ، والمجمع اللغوي هما قيل في نشاطه الحال - هو احد هيئاتنا الثقافية الكبرى ، تسبغ عضويته على مكتسبها شرفا عظيما لا في بلادنا وحسب وانما في الخارج ايضا . كما انه على قدر مكانة « الخالدين » الحقيقية يمكن ان تقاس الى حد ما مكانتنا الثقافية . ومن هنا كان من حقنا جميعا - بل من واجبنا ان نتابع نشاط المجمع في اهتمام واذنهم بما نستطيع في تدعيم كيانه وان نعلن على وجه الخصوص

بقسم
عباس الزواحي

راينا في المرشحين لعضويته وعلى اساس هذه الاعتبارات اعلن اعتراضى على ترشيح الدكتورة عائشة عبد الرحمن وادعو الى عدم انتخابها في مجمع الخالدين ولا علاقة لاعتراضى بانتاجها الادبى . فهذا الانتاج سيكون موضع تقدير دقيق من ادباء المجمع الكبار . خاصة ما تعلق منه بزعمها الاخير الجرى من انها ابتدعت مفهومات جديدة للشعر العربى سبقت بها الاولين . ان سبب اعتراضى يرجع الى انها ارتكبت خلال العام الماضى مخالفتين جسيمتين لا يحق لمرتكبهما ان يرنوا الى مقعد بين الخالدين .

المخالفة الاولى

اما المخالفة الاولى فتتعلق بالسلوك الادبى المتعارف عليه بين الادباء جميعا . عندما يقع بينهم خلاف فى الراى . وهذا السلوك يقضى بان تنحصر معاركهم فى نطاق المجادلة حول وجهة النظر المختلف عليها بها استمرت نار المعركة وتطير الشرر من الفاظها القاسية وتعبيراتهما الجارحة وقد انتهكت السبيلة بنت الشاطئ هذا العرف الادبى انتهاكا معينا . عندما احتدم النقاش بينها وبين الاستاذ العتاد حول كتابه (المرأة فى القرآن) وعندما اثارها وهو يؤيد وجهة نظره بشواهد من حياتها هي ثم يطالبها لى

(٢)

السيدة بنت الشاطئ، لا تلتزم كثيرا بهذه المسؤولية حتى ولو اتصل الامر بقضية ادبية هامة .. فقد نشرت الدكتور في ١٠ يناير سنة ١٩٦١ مقالا تحت عنوان « سرقات ادبية » مقالا طنانا تناولت فيه اتهام الشاعر نزار قباني بأن قصصه (رجيده) التي نشرها باسمه مسروقة لفظا ومعنى من قصيدة لشاعر فرنسي معاصر . وقد طالعت مقالها - وكانت قد اوردت فيه القصيدة - فادهشني انها اخطأت في اسم الشاعر الفرنسي .. لامرأة واحدة ، وانما عدة مرات .. ثم راجعت الترجمة العربية للقصيدة الفرنسية المسروقة فوجدتها ترجمة غير دقيقة .. سقطت منها أبيات ثابتة في الاصل الفرنسي .. وعادت الدكتور فرددت اسم الشاعر خطأ في مقال آخر في ١٠ مارس من نفس العام فتأكد لي انها لم تطلع على النص الفرنسي للقصيدة مطلقا بل انها لا تكاد تعرف اسم الكتاب الذي يتضمنه اذ ثبت انها هي نفسها قامت بالسطو على الترجمة الخاطئة والاسم المحرف دون ان تشير بكلمة الى محل السطو .. وحملت هذا الخطأ المزدوج الى سرادقها في الصفحة الادبية حيث اتخذت في صدره مجلس الباحث المدقق والناقد الحصيف .. وراحت تتولى القصيدة بالشرح والتعليق وبيان الوجه السرقة ومصادر الاختلاس .. وبذلك ادانت السيدة بنت الشاطئ نفسها وقدمت بيدها الدليل على انها لا تلتزم بمسؤولية الناقد الذي يقرأ مئات الآلاف ويتعجب عليه دائما - قبل التصدي لاية قضية - ان يبحث عن الاصول وينقب عن الاسناد وحتى لا يجهد الدكتور نفسه .. هانذا اقترح فارشدها الى اسم الشاعر صحيحا فهو جاك بريفسير واسم الديوان هو « بارول » !

ولو استطاعت الحصول عليه - لنفاده من السوق - فسقطت في صفحة ١٧٦ قصيدة (الافطار) التي اغتصبها الاستاذ قباني بلاخشية ولا حياء .. والتي نشرت هي لها ترجمة غير دقيقة وباسم مفترط لانها لم تكلف نفسها عناء البحث ولا مشقة الرجوع الى النص الفرنسي ..

هاتان هما المخالفتان اللتان ارتكبتهما الدكتور بنت الشاطئ، وهما مخالفتان لم يسقطا بغير المدة .. ولم يصدر عنهما عفو شامل من الراي العام الادبي ولذلك فمن الواجب ان يوضع تحت اقطار جميع الخالدين .. وان يرفقا بورقة الترشيح عباس الاسواني

النهاية بان تقسح يرقما على عقلمها لا وجهها !

وكما نعرف للاستاذ العقاد بفضلته على الادب فنحن نقسّم ايضا بانه كثيرا ما استخدم في كتاباته قلنا جادا ومنطقا جادا جليلا .. يسلم على هذا .. ولكن راجدا من الذين هاجمهم العقاد - حتى بقي يثق - لم يفعل .. افعلته ابنة الشاطئ التي اخطت في نورتها كل الحدود .. ونسيت اصل القضية وراحت تتهم العقاد بالخيانة الوطنية لمناصرته الغرب ضد النازي خلال الحرب الاخيرة .. ولم تكثف بذلك .. وانما صمدت الى التشكيك في ايمان العقاد بثورتنا ورمته بالتخلف عن ركبها وراحت تعدد تواريخ مناسباتنا الوطنية ثم تعقبت في أسلوب بوليسي مقالات العقاد في هذه التواريخ .. لترمي بانه لم يشارك في هذه المناسبات وانه كان مشغولا عنها بالرد على رسائل القراء .. وهذا الاتهام الخطير الظالم .. والذي لم يقصد به بطبيعة الحال سوى اثارة السلطات على العقاد .. كان واضح الغرض طاهر البطلان .. لان العقاد من اوائل الثائرين على طغيان الملكية ومن اوائل الذين شاركوا - بعد قيام الثورة - مشاركة فعلية في منظمات الثورة ولجانها الثقافية وتوجت الثورة كفاحه الادبي الطويل لمنحته جائزة الدولة في الادب .. وتسلمها العقاد مكسرا من يدى السيد رئيس الجمهورية في حفل عظيم ..

اولا جدال في ان فقدان السيدة ابنة الشاطئ لاعصابها وانسيانها وراء غيظها في معركة ادبية الى الحد الذي يدفعها الى محاولة الاضرار بخصمها عن طريق قذف باخطر الاتهامات التي لاعلاقة لها بموضوع المعركة - مخالفة تشين السلوك الادبي الذي يلتزم به الادباء كالة .. كما انها مخالفة يمكن ان تنعكس منهنسا دلالات لا تحسن الى السيدة بنت الشاطئ في شيء .. وانما تجعلها - وبحق - غير اهل للظفر بمسئولية المجمع ..

المخالفة الثانية

اما المخالفة الثانية فتتصل بمسئوليتها الادبية كناقذة شهيرة .. وهي مسئولية كان يجب ان تدفعها الى التدقيق في النصوص والاطلاع على المراجع والاصول قبل التصدي لايذاء النقد واصدار الاحكام خاصة والسيدة شديدة الفخر بينهجها الجامعي الذي يقوم اساسا على البحث والتحقيق .. وانني اعلن في اسف ان

النقد شهادة، يقف فيها الناقد
على حفرة من نار، ليقول ما يؤمن
انه حق، كيلا يبوء بلعنة الائم -
ائم القلب والضمير - التي تحيق
بمن يكتم الشهادة ...

قصصا يا أدبية

حفرة من نار

بقلم: الدكتور بنت الشاطئ

ترتفع في افئنا الابن بين حين وآخر شكوى مرة من ضعف حركة النقد عندنا
والمصورها من القيام بدورها الخطير في الرقابة على حياتنا الادبية، وتتبع اعمال
الادباء والمفكرين، بالنقويم الجاد الذي لا يمكن ان تصح حياتنا بدونهم.

(٢)

« الدكتور فندور فندور داي ما بدور »
وغيرهما من وثقوا على حفرة النار ،
ارفساء لفسائدهم واداء لواجبهم
الاجتماعي والخلقي .

وابت مع ذلك ان اكنتم شهادة او من
انها حق ، بباعث الخوف مما قدرت ثابا
اني سوف الاتيه . .

وكان الوقوف على حفرة النار ، اهون
على فمري واخى وطاة ، من ان الجم
قلى تجاء كتاب ينشر في الناس باسم
القرآن الكريم ، ولبه ينفي المذنب بأقصى
ما يستطيع من قوة جدل ، من
خلقية المرأة ، ما عرف منها من حياء وحنان
ونظافة ومن طهر وعفان ا

وكنت قد قرأت هذا الكلام كله ، بنصه
في مؤلفات سابقة للاستاذ العناد ، واخص
بالذكر منها « هذه الشجرة » فتركت له
رايه في المرأة دون ان اعلق عليه
بكلمة ، اما بعد ان نقل هذا الكلام في
كتاب يحمل اسم القرآن الكريم ، ثم سجل
في يومياته « ان رايه في المرأة هو راى
المخالق » - سبحانه - فان الموقف قد تغير
وحان على ، ان اتف على حفرة من نار
لاؤدى الشهادة في لطاق معرفتى بكتاب
الله تعالى ، كجلا ابوء بلمنة الاتم ا
اتم القلب ا

ولكى ابرا كذلك من لمنة اجيال من
بناتنا ، صال : كيف جاز لنا - ولينا
قارئات وكاتبات - ان نسكت على مثل
قول الكاتب الكبير ، في كتاب عنوانه « المرأة
في القرآن الكريم » :

« جرى حديث متنقل في مجلس يفسم
رهطاً من الرجال والنساء على قسط شائع
من التلميم والعرف والاداب الخلقية ،
فانساق الحديث الى رجل يتجاوز الخسين
ذاع منه انه يستدرج الفتيات الغريبات
الى داره فيلهو بهن . . ويدفعهن الى
سهرات العبث والمجون ، فكان النساء
اقل من حفر المجلس ، استلزا من
سيرة ذلك الخليع ، كاتهن لا يرين نكصا
في رجل من الرجال بعد ان تكتبل له
الفحولة الحيوانية ! او كاتهن لا يصدقن
ان الفتيات الغريبات يسقطن في شركه
مخدوعات مغلوبات على متبقيتهن ، ولكن
راضيات مسرورات ، بما اتبع لهن من
فرص المتعة والابتهاج ا ا » ص ٦٠

وقد نصح نى قاض كريم ، في مجلس
ادبي ضم شهودا من اساتذة الجيل ،
ان استعدي القضاء على هذا الكذب العلني
المهين ، لسكنى ابيت ان العمل ، كراهة

ولو قدر الشاكرون اى امتحان رهيب
يتعرض له الناقد الحر ، في المرتور ولا
المأجور ، للهبوا ومذروا . .
ومن الامتحان ما هو مخنة ا

.. ولست اعنى بها « ان كلمة الحق لم
تدع لى صديقا » المائل الحق حين يخسر
صديقا واحدا ينقده ، يكسب في مقابل هذه
الخسارة ، الوف الاصدقاء من يحترمون
كلمة الحق ا

اتما المخنة ، حين يعلن الناقد رايا
له في ادب مشهور ، يخالف الراى الشائع
المألوف ، فيصدم بذلك الحس العام ،
ويتعرض لتسخط من تستهويهم شهرة
الادب ، او من يتعصبون له ويحملون
غرضه ، على حد تعبير « العميدى » في
كتابه « الابانة من سلطات المتن »

وقد نهون المخنة ، مع ادباء مات
رؤيتهم ، لكنها لا نهون بحال ما ، حين
يكون المنقود واحدا من مشهورى العصر ،
لا يطبق نقدا لما يكتب ، ويستعمل
في الخصومة الادبية او الفكرية ، اسلحة
الخصومة الحزبية ، مما يفرى الناقد
بكتان رايه في مؤلفاته ، ايثارا للسلامة
وتجنبنا للادى ، فيخونون بذلك الامة
الصمبة ، ويتخلون من مسئوليتهم في
الرقابة النقدية .

وللسلف المصالح كلمة مأثورة هي :
« اعراض الناس حفرة من نار ، لكن
يوقى عليها في الرواية والشهادة »
والنقد شهادة ، وادائها لريضة لا
يجوز لناقد امين ان يتخلى عنها ، ولو
وقف على حفرة من نار . .

كجلا بيوه بلمنة الاتم التى تحيق بهن
يتكم الشهادة ، والله تعالى يقول :
« ولا تكونوا الشهادة » ومن يكتنها
لهانه اثم قلبه »

واثم القلب افدح من اثم الجوارح . .
بل ان النقد اخطر انواع الشهادة ،
لانه يتصل بالصلحة العامة ، لا بصلحة
فردية ، ومن هنا كانت المسؤولية فيه
مشاعفة ، والتبعة ثقيلة .

وقد تعرضت لهذا الامتحان ، الذى
هو مخنة عندنا تصديقتى لكتاب الاستاذ
الكبير ، عباس المقاد ، عن « المرأة في
القرآن الكريم » وانا اعى اثم الوعى ، ما
تعرض له نقاد قبلى ، فغضب عليهم الكاتب
الكبير ، والذكر اسلوبه الجارح في الرد
على المنفور له « الدكتور محمد حسين عيكل »

(٣)

كذلك من حق أي إنسان ، أن يسألني مثلا : لماذا لم آخذ نفسي ، بما ناديت وأنادي به دائما ، من ضرورة الرجوع إلى النصوص المنقودة ، حين نأثشت قضية اتهام الشاعر « نزار قباني » بسرقة قصيدته وحيدة ، من قصيدة المطار لشاعر فرنسي معاصر ، أخطأت في كتابة اسمه .

أكثر من مرة .
لكن المرقى هنا ، لم يكن يقتضي حتمية الرجوع إلى القصيدتين ، في مرجعهما الأصلي . ذلك لأنني لم أقل قط أنني التسي اكتشفت ما بين القصيدتين من تشابه ، أو أطلعت على النصين الأصليين لهما ، وإنما قررت في مستهل المقال ، أنني أنظر في دعوى السرقة ، بمقابلة النصين كما نشر في صحيفة الاتهام ! دون أن ادعي ، وما كان لي أن ادعي ، أنني قرأت أصل القصيدتين ، أو عرفت صاحب المطار ! وكان لي رأي صريح في أن القصيدتين ، كما جاءت في دعوى الاتهام — متشابهتان ، وأن تكن وحيدة فيها أضافة جديدة ، غيرت الموقف الشعري في المطار ، ثم لما سمعت من نزار ، أنه هو الذي قدم قصيدته مقترنة بقصيدة الشاعر الفرنسي ليؤيد بهاريا له أن الشفيع الجديد يهتم بها قد يعده أصحاب التديم من توافه الحياة اليومية للإنسان ، التي لا يليق بشاعر أن يلتفت إليها ، فضلا عن أن يتخذها موضوعا شعريا . أقول : لما سمعت دفاع نزار ، بادرت إلى نشره راجية أن ألفت إلى خطأ من يظنون بتهمة السرقة الأدبية ، على عجل ودون تثبت . وفي كل هذا ، لم أشر قط إلى اطلاعي على النص الفرنسي للمطار ، بل أجريت المقابلة على الترجمة الواردة له في دعوى الاتهام ، مقابلة على قصيدة وحيدة التي لم أكن قراتها في غير صحيفة الدعوى

وما أقول هذا لأبري نفسي من خطأ أو تقصير ، فحاشاي أن ادعي المعصية مما يجوز على البشر ، كل البشر . بل أقوله اعترافا بواجب كل فرد ، في أن يقتنع عزوات الناقد ، واعتراضا بحق جمهور القراء ، في أن يسمعوا كلمة الحق فيما يقرأون !

وتفسيرا لمسئولية الناقد ، الأدبية بصرامة من كرم تقاليدنا وحرف أسلوبها والاجتماعية ، التي تفرض عليه احتمال كما أهدما دليلا على الاستيصال في الوقوف أي امتحان ، وتلزمه بالوقوف على حفرة

على حفرة من نار ، لأقول كلمة حق أومن من نار ! بها !

الفكرية ، لكنني وجدت في عبارته ، شهادة منه لي ، بأنني لا انتهى إلى الفصيلة التي عرفها ولأل إليها ما قال .
ثم أنني قدرت أن هذا القذف العلني ، لا يختص بنبات حواء وحده ، بل هو قذف في البشرية على العموم والاطلاق ، لأنه ما من رجل لم تلده أم !

والناقد نفسه ، غير معصوم من الخطأ ، ولذلك كان من حق أي قارئ ، يلتفت إلى هذا الخطأ ، أن يؤاخذ عليه . بل إن من واجبه أن يتسوف في محاسبته ، إذا هو انحرف عن تقاليد الخصومة الفكرية ، لكن بشرط أن يقدم عبارة الناقد بنصها ، وفي سياقها ، لا أن يلتقط الفكرة منها ارتجالا ، أو أن يتر العبارة من مكانها وسياقها ، أو يعتمد على الذاكرة ، وما أكثر ما نخون !

وكل ما كتبته في نقد كتاب « المرأة في القرآن الكريم » سجل محفوظ ، وليس فيه على الإطلاق ، أدنى إشارة إلى قذف بخيانة ، أو استعلاء عليه بسلطان ! ولن شاء أن يرجع إلى ما كتبت ، في نقد الكتاب ، ويحاسبني على كل كلمة فيه ، دون أن يخلطه بمقالات لي آخر ، كمقال الذي كتبته تحية لرائد الفضاء — وليس له بنقد الكتاب أدنى صلة — وبشرت فيه بعصر جديد للإنسان ، يحقق فيه وجوده الحر الكريم ، وتحترم إنسانية الشعوب ، فلا يجوز كاتب — لم أصرح باسمه — على أن ينشر في مصر المربقة ، أبان محتها بالاستعمار الإنجليزي ، متسالا عنوائه «الإنجليز حلفاء طيبيمون للشرق الأوسط» يفاضل فيه بهذا الشعب الأصيل المريق ، بين سيد وسيد !

وتحجرت من التمرحح باسم كاتب المقال ، فكيف يتصور مقلا ، مع هذا النحرج أن استعدي السلطان على كاتب لم أذكر اسمه ، وأنا التي كرمت أن استعدي القضاء على هذا القذف العلني في أم الإنسان !
وكل ما أرجوه أن يفتح لي طبع مقالتي في نقد كتاب الاستاذ العقاد ، وردوده عليها ، في كتاب مستقل ، أبرأ به أمام الحق والضمير والأجيال القادمة ، من أثم كتاب شهادة اعتز بكل كلمة لي فيها لأنني أهدما دليلا على ما أقدمه من شرف الخصومة الفكرية ، وما آخذ نفسي فيها بصرامة من كرم تقاليدنا وحرف أسلوبها والاجتماعية ، التي تفرض عليه احتمال كما أهدما دليلا على الاستيصال في الوقوف أي امتحان ، وتلزمه بالوقوف على حفرة على حفرة من نار ، لأقول كلمة حق أومن من نار ! بها !



د . محمد حسين هيكل



العقاد



د . مندور

أن استعدي سلطة ما ، على كاتب من كان ، ثم أن الاستاذ المقاد أمثاني من مجرد التفكير في مشورة القاضي الكريم ، حين رد على نقدي — الذي لم أخرج فيه تيد شعره من حدود الموضوع ولا تجاوزت ما يقتضيه شرف الخصومة الفكرية من عفة الأسلوب — فكتب سيادته بقلبه الجارح يقول : أنني لا أنهي إلى فصيلة حواء ، فأنا بذلك ، وبغيره من حياتي الخاصة ، آخر من يجوز لها

الدفاع عن المرأة ..
وهذا أسلوب لا نعرفه في الخصومة

كتاب رائد

أهدت الشاعرة هذا الكتاب الرائد ، الى سيادة الرئيس عبد الناصر ، تقديرا لايمانه بالامة العربية ، وجهاده المخلص في سبيلها .
وانا بدوري ، اهدي هذا المقال ، تحية متواضعة ، الى بغداد العزيزة : عاصمة العرب الفكرية الكبرى لدى خمسة قرون ، ومهد الشاعرة الاصيلة البسدة ، التي نخلت تاريخنا الادبي رائدة وموجهة ، لجديد شعرنا المعاصر .

قصايا الشعر المعاصر

تأليف : الشاعرة نازك الملائكة

تقديم : الدكتورة بنت الشاطي

تؤمن حق القراء ان اعترف لهم ، بان مؤلفة الكتاب «الشاعرة نازك الملائكة» تربطني بها اعز صداقة واعمل مودة ومن حلقهم كذلك ، ان اعترف لهم بان «نازك» عندي هي شاعرة العصر ، بل لا اتردد في الحكم لها بانها شاعرة العربية الاولى .

(٢)

ولكن من حقى عليهم ايضا ، ان يعلموا ان صداقتى لثارك ، بدأت قبل ان النقى بها بسنين ، وكان اعجابى بالشاعرة هو الذى ربط بينى وبينها على البعد ، ومنحنا نعمة التجاوب النفسى والمشاركة الوجدانية والالفة الروحية . كما اؤكد لهم ، اننى لميا كتبت واكتب عن «ثارك» احاول قدر ما تطيق بشرتي ، ان اتجرد من الهوى ، والتزم ادق ما تفرضه على امانة النقد وحرمة المنهج وشرف الكلمة واذا كنت ابادر اليوم لتقدم «القضايا الشعر المعاصرة» ولما بينى على وصوله الى يدى غير ايام معدودات ، فبا ذلك الا لاني عشت مع «ثارك» في كتابها منذ اتجهت اليه ، وكنت حينها التقى بها ، في بغداد او القاهرة ، اصفى اليها وهى تتحدث عبا بشغفها من قضايا الشعر الحر ، وكثيرا ما استاذنا الحديث عنها فيها لتبادل من رسائل



لهذا الكتاب فيما اعلم ، لم تظفر بعقله مكتبة الشعر العربى منذ وضع «الخبيل بن احمد» في القرن الثانى الهجرى ، علم المروى ، ثمة مستقراء دقيق بلوع ، ونذوق واع ، لتراثنا بين اصيل الشعر .

ثم هو - من ناحية اخرى - كتاب رائد في ميدانه ، وشيخ الامول الفنية والصرايط العروضية ، لهذا الشعر الجديد الذى لا اعرف احدا قبل «ثارك» قد حدد له منها او ضبط له قواعد . بل ان الكترة الكثيرة من قوما ، حسوه غريبا من الفوضى لا ضابط لها ، او تطلبا من النثر لا صلة له بالمروى الخليلي واذا كان الشعر الحر ، يعترف بثارك رائدا واولى في المبداء ، بتسديدها «الكوليرا» التى سجلت فيها بتأطوب جديد في الشعر ، صدى وقع محنة مصر بهذا الوباء - عام ١٩٤٧ - على وجدان الشعيرة فان تارمخيا الادبى

سيذكر لها ، بجليل التقدير والاكبار انها اول من قدم دراسة منهجية ، خصبة واميلة ، تحرر مفهوم الشعر الحر من الفوضى والعبث والابتذال ، وتسطر اصوله وقواعده وترسخ قبه الفنية ، وتربطه بأسيل جذوره في عروض الخليل وليس بغريب ان تكون «ثارك» ذاتها اول من يحرص على حماية الشعر الحر من سوء الفهم وتضرر التجربة ، وتسير على ميانه من اسباب الابتذال وعبث الفوضى . شأنها في ذلك شأن اصحاب الدعوات الجديدة : يشقيهم ان يساء لهم ، ويمذّبهم ان يدعّ بها من ليسوا اهلا لها ، وبزرقهم التفكير المضنى في حراسها ، لا من فضول الادعياء فحسب ولكن من اتاعها المظلمين كذلك ، ممن استهوتهم الحرية ، فلم يتدروا تيماتها الباطنة .

وعذا هو ما حاولته «ثارك» في كتابها الجديد ، الذى يشهد بمضى معاناتها ، وتحصى في الفانلة وعباراته ، بل في مقاييسه العلمية وصوابه العروضية . نبض قلب الشاعرة الرائدة . وناخذك نشوة الريحية ، بما يمبر قلبها من ايمان بالحركة الجديدة ، وما يساورها من حوم القلق عليها ، والثقل في حراسها



والقضية الاولى التى تسفلت لثارك ، هي النثر في الشعر الحر باعتباره حركة تستجيب لدعاء التطور ودفع الحياة ، وتفرسها ظروف اجتماعية وسنن ذاتية لا مقر للشعير المعاصر من مواهبها ومسايرتها .

وكل حركة جديدة ، لم يكن من المستطاع ان تتقى مثرات البدابة الفجة فذل ان تسنكل ليومها وتلك رشدها و ن لها ادائها وتلك جذورا راسخة ومن هذه المثرات ، ما قست به ظروف نشأة الحركة ، ومنها ما جاء

(٣)

وحكذا ينقلب ما هو مزية للشعر الحر من حرية وموسيقية وتدفق ، الى مزالق خطرة وشراك خفية ، فضلا عن ان اعتماد الشعر الحر على التفعيلة الواحدة قد يسوق الى رتابة مملة ، لا ينجو منها الا ذور الاصل والاعتدال ..

وتنتهي « نازك » من هذه القضية ، بان الشعر الجديد غير مسئول عن افتقار ميدانه بمواهب فجة وثقافة سطحية ، اما الشعراء الذين ولعوا في الشراك الخفية وكان منهم ضحايا مزالقها الخطيرة ، نحسبهم انهم هم الذين انتقدوا الشعر الحر ، بعثراتهم التي كانت معالم هادية على الطريق الوعر ..



نازك الملائكة

وتعالج « نازك » بعد هذا في قضية الجذور الاجتماعية للحركة ، فلا تنفيق بتسك جبهة القراء بالنسق الموروث للقصيدة العربية ، بل تعد مقارنتهم للجديد الملائكي ، مظهر تماسك واصالة في شخصية الامة ، تريد ان تصون مقومات وجودها وتعتر بنا لها من ماض في الشعر غنى وعريق ..

ثم تكشف عن مجهول صلة هذا الجديد بلدينا : فالحركة قامت في جوهرها ، على النفات الى خاصية رائعة ، في ستة من بحور الشعر العربي ، تجعلها طبيعة لاداع اسلوب جديد من صنع هذا العصر طيبة لحاجة روحية تبسط كيان شهاب جيلنا ، واستجابة لنداء الحرية التي يهيمن بها ، وتحققا لوجودهم الفني المستقل ، مع ارتباطه الوثيق بجذور ماضيه . ليس هذا فحسب ، بل ان بحورا ثمانية من القديم ، مستظل حيث هي ، لا يهلك شعراء العصر ان يتخلوا منها ، لاعتبارات فنية ، تجعلها غير ملائمة لاستحداث جديد وتستقيها لموضوعات شعرية ، لا يسهل على الشعر الحر ان يمالجها ، في البحور الثمانية الاخرى ، التي لا تزال الحركة

عن مزايا مضللة في الشعر الحر ، اخطرها هذه الحرية البراقة التي التبست بالفوضى وانزلت بكثير الى منحدر الابتذال والرخس والتكرار المقلد لجديد الشعر . وتؤكد « نازك » بالتبسيط الدقيق ان من اغلب الشعراء الناشئين الذين كتبوا الشعر الحر ، كانوا فؤن مستوى الحرية التي اعطيت لهم . بل ان شعراء املاء ، قد ضللتهم موسيقية الشعر الحر ومزية التدفق فيه ، فانقلب هذا التدفق الى انحدار ، واعوز الشعراء معه ، فبسط الوقتات ، وانتفاء بؤنة الخاتمة ، حيث يغري التدفق بالمضي ، فبلوذا الشاعر بما سمته نازك الظاهرة : ويظل يحتم بها القصيدة ، وكأنه يقول : وعلى هذا النحو يمضي الوقت .. او يضطر الى تكرار مطلع القصيدة ..

محصورة في نطاقها . وهنا تصبح الدراسة الرائدة ، ما شاع خطأ من سهولة الشعر الحر ، محتجة لهذا ، بما يشهد به الواقع من سهولة التقليد ويسر الخضوع لنمط مقرر ومعتاد بالوفاء ، وبما تعرف الحياة من مسئوليات الحرية وتكاليفها ، فالمقلدون معنونون من مشقة الاختيار ومخاوف الاستئصال وأمامهم كذلك فرصة مضاعفة ، بالنظم في بحور ستة عشر ، وبالوقوفات المريحة التي يكتفيها ان تعتمد على وحدة الثانية وليس ادل على صعوبة الشعر الحر من ان شعراء كبارا ، كتبوا القصائد التقليدية والحرية فلم تقع اغلاط الوزن الا في قصائدهم الجرة ، حيث لا يأتى الشاعر ان ينزل من «الرجز» الى «السريع» او «المنسرح» ليجرد ان مستعملان تنصدر البيت .

وتدبت «نازك» دراسة تعادلية ، وتطبيقية واستقرائية ، لتراين الشعر الحر ، متسكة على فلسفه بالفروض الخليلي ، ينسدر مثله في عصرنا ، وعازضة شواهد من نماذج الشعر الحر ، فسبغت ايقاعها على المصطلح العروضي في دقة واحكام ، كما استقصت بجانبها الاخطاء العروضية في شعر المجددين ومنتبيه من هذه القضايا العروضية الى ان خطا الذين تهاوتوا بهذه الضوابط في الشعر الحر ، كخطا الذين حكموا عليه بأنه نثر ، فكلما الخطاين ناتج عن جهل بعروض الخليل ، ومدى صلته الوثيقة بجديد الشعر .

وللذين اسلموا فهم حركة الشعر الحر ، او ظنوا بها الثنوت ، فأنشطوا منها على اصيل تراثنا ، واخطأهم وعى سلطنا الوثيقة بقديتنا ، القول ما قالت «نازك» :

« ان بعض النقاد يفتقدون اعتقادا جازيا اننا دون مستوى الغرب في الشعر ، وان علينا ان نستعير اساليبه ونظرياته وبخايبه ، اذا اردنا ان نلش شعرنا جديدا او ننقده ، دون ان يدركوا مدى خصب الشعر العربي وغناه . وهم لن يدركوه الا بعد ان يؤمن بانفسنا ، ونعتر باصيل موهبتنا ، ونأبى ان نقف من ادب غيرنا موقف الاستجداء المهين . وقدسنا سماع الكلمات والنظريات الغربية في الافق العربي ، واصبحنا نعطش الى قيم نقدية جديدة متكئة على اصالتنا ، ومركزة على لمح الظواهر الخاصة بشعرنا . لا بشعر سوانا . وسيرتوى هذا الظما حين نتخلص من عقدة النقص ، وتكتشف الامة العربية ، منابع فنها ووجودها ، في ذاتها وكيانها » .

تحية لنازك في معركتها الباسلة . . .
وليشهد الله اننا بلغنا .

وتأتى بعد هذا قضية الضوابط العروضية للشعر الحر الذي يتوهم على وحدة «التفعيلة» بدلا من وحدة الشطر ، ويتصرف في التوزيع الموسيقي للتفعيلات ، ملتزما قواعد التدوير والزخاف والرتد وغير ذلك مما هو قضايا عروضية بحتة والتهاون في هذه القواعد ، هو المسئول عن الاغلاط الذوقية والموسيقية لشعراء الجديد ، كما ان الجهل بها هو المسئول عن ذلك العيب المبتذل ، الذي يلعب فيه بعض المحدثين بالاوزان الحرة ، كما يلعب طفل غير مسئول بحزمة اوراق ثعينة غالية ، فيدعكها ويلفها ويترقها غير مقدر ما بين يديه من ثروة .

وتقدم «نازك» هنا ، ادق الضوابط للشعر الحر ، القائم على وحدة التفعيلة مستنلا تلك الخاصية الرائعة في معدن من بحور الخليل ، مع بيان طاقة من بحر منها على اختلال حرية التصرف في التوزيع الموسيقي ، دون ان يخرج قيد شعرة ، على ضوابطها الاصلية في العروض الخليلي . وانما التفعيلات فيها ، شأنها شأن النسيب في الموسيقى ، ثابتة ثبوت الارتام في الرياضيات ، مما تتجدد الانباط

قضايا نقدية

الظاهرة الأدبية العامة ، لا يمكن ان تؤخذ من أعمال فردية قليلة ، سجلت انفعال عدد من أدبائنا بالمأساة ، دون ان يكون لها من الصدى العميق في الأفق العام ، ما يورق الضمير العربي فلا يهدأ ولا يستريح ، حتى يسترد الأرقاء آدميتهم الهدرية .

أصداء المأساة

بقلم الدكتور عبد الساطح

عندما يتناول الناقد أو الدارس قضية أدبية ، لا يجوز له ان يصدر فيها حكما عاما مطلقا ، الا على اساس من الاحصاء الدقيق لكل ما في الميدان الأدبي من مواد القضية ، والاستقراء الواعي لظواهرها ودلالاتها .

وذلك مالا يتناقض لاحدنا ، الا بقدر ما

الشعلة يظلمها ظلم من سلف ، لتبقى مخبئة على تماكب الاجيال .

اقول هذا لمناسبة قضية مأساة الرق في ادبنا المعاصر ، التي عالجتنا هنا في اكتوبر الماضي ، في ضوء كلية سمعتها ببيودخ من مستشرق المثلث ، لا يذكر فيها قرا أو سجع ان ادبنا عربيا عالجا مأساة الرق التي لا تزال تجري في بعض مناطق من جزيرة العرب ، وكما يسره ان ادله على ما يجهل من أعمال أدبية لنا تناولت المأساة على نحو ما فعلت «هاريت بيتشر ستو» في قصة «كوخ العم نوم»

وقد كتبت في المقال ما لم اقله للسان : لا يبلغ علمي ان ادبنا المعاصر قد تخطى من هذه القضية فلم يواجهها مواجهة سريحة سائرة او رمزية مقنعة

تستعفى غلبة طائفته ، ويمكنه اطلاعة ، ويتسع له الوقت الكافي للاحصاء والتتبع ، في طمأنينة واثابة .

وفي تراثنا الفكري والأدبي كسب مشهورة تحمل عنوان «الاستدراك» او الفوات ، او التكملة ، ولها مستدرك لاحق لما فات سابقا في كتاب الفه ، فلا تری في هذا الاستدراك ما يمس مكانة السابق او ينقص فضله ، او يهدر ما لكتابه من قيمة .

وظاهرة الاستدراك هذه ، مما تعزز بها المكتبة العربية ، وتعدنا تعاونًا مثمرا بين الكتاب في خدمة العلم .

ومثلها ظاهرة التذييل أو اللاحاق ، يضع المؤلف كتابا في موضوع ، ينتهي به عند عمره ، ثم يأتي بعده من يظنون الامانة ، فيضيفون جديد عصرهم ، فكانها

مقيدا بمبلغ علمي، يشفق على فيما لا أعلم.
وكتاب السيد حافظ وعنه الذي كان .
بدى وأنا أكتب المقال ، هو «خمسون عاما
في جزيرة العرب»

وليس فيما ذكره الزميل السيد ناجي
ما يتصل بالتفسيه مباشرة ، الا قصائد
السياب والسيبوي ، وأهتراف بانى لم
أقرأ «أغاني التافلة» اما «شخصيات
الفريقية» ففيها حديث عن قائد ثورة الزمان
في العصر العباسي ، لا في عصرنا الحاضر
ومثلها كتاب «عبد الملك بن مروان» الذي
يحالج موقفه من الرق في العصر الاموي
ومن ثم لم اشر اليها ، والا لكان من الحق
ان اشير الى القصة الرائعة «على باب
زويلة» للاستاذ محمد سعيد العريان ، لولا
ان موضوعها مسألة الرق في عصر
المماليك ، لا هذا الرق الذي يمارس في
عصرنا بأسواق النخاسة .

والذي كنهه الكتاب عن موقف الاسلام
من الرق ، لم يكن موضوع مقال محدد
بمناخه : مسألة الرق المعاصر في ادبنا
المعاصر . واذا كنت قد اشرت الى موقف
«القرآن الكريم» من الرق ، فما كانت
الإشارة الا تلخيصا لعبارة قلها للمستشرق
دون ان اتعد بهال ما الى ان استقصى
مؤلفات الذين كتبوا عن الرق من حيث
هو قضية اسلامية ، لا قضية ادبية فنية
ومثل هذا ارد على «الاستاذ محمد
شوكيت النونى المحامي» الذي ظن انى
تجاملت كتابه القيم «محمد : محرر العبيد»



ومن الكويت ، جاءتني رسالة من الزميل
الشاعر «محمد مصطفى حمام» اشار فيها
الى كتاب الاديب الحجازي عبد الله عبد

ومبارة (المبلغ علمي) ساعدة على انى
لم أجرو على اطلاق الحكم عاما جازما ،
بل حصرت في نطاق ما أعلم . وأبيت مع
ذلك ، الا ان احدد اسباب الكتب والدواوين
التي كانت بين بدى وأنا أكتب المقال ،
ونكلا لكتاب زاروا جزيرة العرب اوماءوا
فيها . وبالغة منى في الاحتياط والحرص ،
واعترافا باحتمال وجود اعمال ادبسية
اخرى ، عن الرق المعاصر ، فانتى
من اطلع عليها ، او اطلعت عليها وخاننتى
الذاكرة فلم اعد احفظها .

وكم شعرت بالغبطة ، حين تلقت في
بريدى الادبي ، رسائل عديدة ، يستدرك
فيها كاتبوها ما فانتى ، ويلفتون السى
تصورى في التتبع والاطلاع ...



واحدى هذه الرسائل ، من الاديب
لمرأتى السيد «هلال ناجي» وقد بداها
استغراب حكي القاسى الذى يرانى فيه
البيت نفسى وظلمت الادب العربى ، عندما
غفلت قصائد ليدر شاكر السياب في
ازهار ذابلة» والسيبوي في «أغاني
تافلة» كما غفلت كتب المعاصرين ، عالجوا
وتف الاسلام من الرق ، وخص بالذكر
هم : السيد عبد الحميد الخطيب
«أسمى الرسائل» والشاعر ابراهيم
اشم فلالى في «الارق في الاسلام» -
هذا الكتاب فيما أعلم للاديب الحجازى
سعد الله عبد الجبار - والاديب محمد
سن عواد في «عبد الملك بن مروان :
محرر العبيد» والشاعر عبد بدوى في
«شخصيات افريقية» والسيد حافظ وهبه
«جزيرة العرب في القرن العشرين»
وعذرى واضح ، فالحكم الذى اسدرته

(٣)

بيده الدليل على ان انفعاله بالنساء كان
عابرا ؟

واقول مع هذا ، اذا اضفنا القمبيدة
الى رصيدنا الادبي في مائة الرق المعاصر
واضفنا معها قصائد السياب والسماعى
وقصائد الشاعرة نازك الملائكة « الارض
الحبيبة - الهاربون » في وادى العبيد
وكلها من اصدااء النساء ، فهل تكفى
وامثالها معها ، لتسجل ظاهرة عامة في
ادبنا المعاصر ؟

في رايى انها مثل قصتى عن « آمنة
وحليمة » ليست سوى افعال فردية ، تسجل
اصدااء ألوقع السريع العابر للنساء
على وجدان أربعة ادباء او خمسة دون
ان يكون لها من الصدى العميق على
الوجدان العام ، بعض ما كان لقصة
« كوخ المم توم » .

والظاهرة الادبية لا يمكن ان تؤخذ من
مثل هذا ، وانما يستطيع ادبنا المعاصر
ان يدعى الاهتمام بالنساء ، لو ان فيه ميلا
ادبيا لفرص نفسه علينا جميعا ، وهز الوجدان
العربي العام ، وترك اصداؤه في الالف
تشعل ثورة انسانية لتحرير العبيد ،
وتزرق الضمير العربي فلا يهدأ حتى
يسترد الارقاء بشريتهم المهذرة وحرثهم
المسلوبة .

وذلك مالا علم لي به .

وان كنت عذريتين من ان ادبنا الثورى
بنفسه في معارك التجديد من طغيان
الاقطاع وقراءة الاستبداد وبهانة الاستعمار
قد شارك بعمق وايجابية في انتصار
الثورة الكبرى التي لن تدع ميدان المعركة
دون ان تصلى هذه البقايا المتخلفة من
عصور الاسترقاق .

وقد بدأت اقصد الثورة على الرق
تتردد في شتى ارجاء الالف العربي .
ولن يطول بنا الانتظار لنهاية المأساة التي
اباحت استرقاق البشر في عصر لا يطبق
ان تهدر ادمية انسان ، او يسلب حقه
في الوجود الحر الكريم .



سعيد الغريان

الجبار : « لا رق في الاسلام » كما ارفقتها
بقصيدة نظمها الشاعر حزام حين حج الى
الارض المقدسة ، وذكره مقالى بها ، فجعل
يبحث عنها حتى عثر عليها

والقصيدة مؤثرة حقا ، لكن كيف يمكن
ان نعصبها للادب المعاصر ، وقد
ابتاعها صاحبها مطوية حتى كتبت
مقالى ، فبحث بها الى ، ليبرى نفسه من
تهمة القصور ، دون ان يدري انه قدم

التاريخ : ٢٣ / ١١ / ١٩٦٣



ضباب على الأفق

عندما نشر المستشرق «كارل بروكلمان» كتابه القيم «تاريخ الادب العربي» ابنى عليه صغيره العلمى ان يحدد ما لمفكرى العرب من جهد خصب فى نمو الثقافة الانسانية ، وبناء صرح العلم .
وانا انكر ان يكون للتشعر العربى مثل هذا الاثر .
واعتبرناها شهادة للغربيين انفسهم قبل ان تكون شهادة لنا ، فقد طالما انحرى بكثير منهم التعصب والهوى ، فضلوا ضللا بعيدا فى احكام جائرة لهم علينا ، لا يؤيدها منطق ، ولا يقرها منهج ، ولا يسلم بها الحق التاريخى ..

وكان من بين تلك الاحكام الجائرة ، ان العقلية العربية لاحظ لها من عمق ولا طاقة لها على الابداع . وكانت بذرة هذا الاتهام ، من بين ما القاه دعاة الاستعمار فى ارضنا الطيبة ، ابام كان الهوى يستباحها .

وللنا لما قرانا هذه الشهادة : كلمة ينصفون بها انفسهم قبل ان ينصفونا ، ولو لم نقلها «بروكلمان» او غيره ، لشهد لنا بها التاريخ الذى راي الامة العربية فى عصر ازدهارها الحضارى ، تحبل بمشعل الفكر فتضئ به ارجاء الدنيا ، وعرف الدور الكبير الذى قام به تراثنا الفكرى والادبى ، فى حركة الاحياء التى بدا بها الغرب نهضته الحديثة ، وما قدم لها من عناصر حيوية ، اتاحت لها ان تنطلق باوروبا من ظلمات العصور الوسطى .

وتد سمعت المؤرخ الحليل «ارنستو لربن» حين التفتت به هنا منذ عام ، يتحدث فى قاهر واندلس ، عبا بدين به الغرب الحديث لمفكرى العرب ، ويؤكد ان حركة «الرينيسانس» لا يمكن ان سيرة بأمانة او لفهم موضوع ، الا اذا ارتبطت بها انتقل الى اوروبا من تراث الفكر

الدكتور بنت الشاطئ

العربى ، من طريق تركيا والاندلس ، او من طريق مسيحية وشعور المحرر المتوسط الذى ملكت طسوال عصور ، تطلعي بشاعة الشرق العربى ، الحضارة والفكرية والفنية .

ولقد تحول القبار بعد ان بلغت النهضة الغربية اوج ازدهارها ، وهبت رباح مشنوية اطفات النشاعل المضنة التى كانت تتألق فى وطننا العربى ، وترسل اشعتها الى بعيد الافاق .

وطال علينا ليل المحنة ، قبل ان يلوح نور الحجر مؤلنا ببعث جديد

ولم تكن فى حاجة الى زمن طويل منذ اصغينا الى نداء البحث ، لكسى نستود ثقنا بأنفسنا ، ونعرف طريقتنا لكن الذى عوق خطانا ، ان احادنا ماضينا كانت قد طويبت عشا ، وان عربى

(٢)

لبننا الطويل ، بذكرنا بأجساد لنا هزيت
ولمح علينا في أن نلتصها ، لنكون الأساس
الراسخ لجديد نهضتنا ، ولا بأس علينا
في أن فنصل بتيارات الفكر الغربي ،
وان نلتفع بما استحدث العقل الانساني
الذي هو ملك مشترك للبشرية ، دون
ان نلغى قنومات شخصتنا ، او نبتز من
جذورنا ونذوب في غيرنا ..

وكان النذل ان يطلع جديدا الفكري
في ان يحسم كل شئوة جاءت حول المثالية
العربية ، وان يضيف رسميه التي ما
اعترف لنا به التاريخ من قديم مسلوكتنا
في بناء صرح المثالية الانسانية . لكن
الظلال عادت تحسوم في الافق : مشككة
في المثالية العربية المعاصرة ، ومستريفة
في أن تكون قد استسلمت - ولما بعض
على البعث غير قرن واحد - ان نتخلص
من آثار الخمول الذي ران عليها في
ليل الظلمة الطويل ..

وشباب الجيل : متأثرون بهذا الشك
ولا حق لنا في أن نلوهم ، فهم معزولون
عن أصيل تراثنا الفكري .
وربما ضلوا بين يلائهم اليه ، وزهدوا
فيما تقدم اليهم منه ، واعتقدوا المشتغلين
به «ثقافة قديمة» لا تصلح للمصر !

ربل أخشى أن أقول أنهم معزولون
كذلك عن جديد أعمال وفكرنا الاصلاح
وقد اغرقت السوق الثقافية ببضاعة
رخيصة ومطالعات سريعة ، اذا تهورنت
بأعمال فكري مغرب بدأ هزالها وظهورت
تفاهتها وسطحياتها .

ولو اتصلوا بما يقدمه فكرونا الاصلاح
الى المكتبة العربية ، لامنوا بأن العقلية
العربية لم تصب بعقم ، ولا ادرتها
الفسور والذبول ..

تراثنا الفكري قد ضاع اكثره في سبب
الاعمار القترى الحالى ، والغزو الصليبي
الفاطر . والذي بقى منه ، تصب اكثره
الى الغرب ، واهل قدر كبير منه فيها
حمل من ثروتنا ، الى خزائن الترك ،
ابام محنتنا بالحكم العثماني ، فلم يبق
لنا منه الا اقل القليل .

وشددت اميننا الى الغرب ، مبهورة
بجديد حضارته المادية والفكرية ، فلم
يكن لنا بد من أن نستعير ، وننقل ،
ونترجم ، دون أن نشعر بقضاية من
يستجدي ، لتلك اخذ الغرب عنا وانقل
بنا ، واحتاج النشأ ، ولم يقل احد انه
استجدي ، لكنه لم يكف بها نقل واستعار
بل حد - بعد ثقلته - في البحث عن
جذور مذهب الفكري ، والذهاب الى تراثه
القديم ، اليوناني والروماني ، ما يدمج
نهضة الاحياء ، ويدها نهضة القوة
والامالة ..

وكذلك فعل العرب في مستهل المصير
العاصي : نقلوا التراث الفكري لليونان
والفرس والهند ، وفسوه اسم الهضم
ثم رملوا مستحدث فكريهم بأصيل تراثهم
الروحي والادبي ، فكانت لهم شخصيتهم
الفكرية المبهزة ، وحامت ثبار عقولهم
المنهجة ، ذات طابع خاص مستقل ، لا
بغيرها ان انتفعت بتراث الفكر الانساني
ولا بسخها ان تولدت ما ترجم اليها
من معارف ..

وقد ادرك رواد البعث مدى حاجتنا
الى ان نصل ثنائنا المستحدثة ، بما
لنا من ماض فكري ، اصل وعريق ،
نشهد بحر العتاة حركة احياء لتراثنا
واصفي الى صوت الدعاة ، في اعتاب

التاريخ : ٢٣ / ١١ / ١٩٦٢

(१)

بديرون او لا بديرون .. بما يدعون اليه
الارتباب ، في ان يكون كتاب قيم ، يتم
بالمعق والامالة من صميم دُعنية عربية !



ولقد بلغ من نفس المحدثين على كرايتنا
المقفلة وبمعتنا الفكرية ، ان الهضم
اسانذة في جامعاتنا بالسرقة ، لان فيهم
من رجع الى مصادر تاريخية عربية ،
استقى ان رجع اليها طالب بجامعة بيروت
الامريكية !

(ولان آخر ، المتنبس في كتاب له عن
التند العرس ، آراء لكتاب شرمي ، وسجل
السفر الذي قتل عنه بمائة ، قتل :
سارق ! دون ان يشار الى اماتته في
ذكر مصادر مادته !

ولان نائنا ، من ائمة الفكر العربى
المعاصر ، عالـج فكرة سسقى ان
عالجها كاتب اوروبى ، فاجتاز المنطقة
الحرمة على المفكرين العرب .
والمثل عندنا بقول : الميار الذى لا
ايصب ، يدوش !

وبلنقطه لقطه ، قضية في الكتاب سبق) فهل فلوم شبابنا ، اذا غشهم دوار
ان عاجها بفكر غربي ، ليقذف بالتهمة لكثرة ما ينطلق في الجو من اذائف
الخفالة ، التي راجت في مبادي الفن) وهل تنكر عليهم ، ان يحجبوا عن
والادب والفكر عندنا ! . الاتصال بالاثاق العالية لمفكرنا ، لكثرة
وكاذبا لا يجوز لمفكرنا ان يجروا) ما يغشاهما من ضباب يحجب الرؤية ،
على اقتحام ميدان شغله السادة الغربيون) بالابخرة المصاعدة من السطوح الدائبة
ولا ان ينقلبوا الى ممالحة شباب) والمستويات الهابطة ؟
تشرقت باغضام الفرنجة . كلا . لا ملام ولا عتاب .

والدلعون بهذا التشكك ، يحبون لها بمزيد بيان ، في مقال لاحق ، والله بذرة الإنهام للمغلبة العربية ، من حيث المستعان !

فضائيا فكرية

معركة وجود.. ومصير

بقلم الدكتور بنت الشاطئ

الفكرى ، الذين سهروا على ابتكار لومهم
وايداد الحركة القومية بحاجاتها المنوية ،
تد ادركهم المذبة ، واحدا بعد الآخر ،
والذين اود الله لنا ل حياتهم ، تركوا
المعب الساعظ ، الذي حملوه ملبلا ، لحبل
جديد من المفكرين ، كانت الجساسة
ومدرسة الفسفاء ، قد بدأت في
اعداده ونكويته ، على اعين الرواد الكرام
مع البقية السالحة من شيوخ الازهر
راسلغة دار العلوم .

لكن هذه الطلقة الجديدة ، لم تستطع
ان تتقدم الى الميدان بسرعة ، فقد نفتح
ابوابها من افان المعرفة بالمعظم لها من
قل على بال ، وبدا لها لمبق الوصول
ابعد مما قدرت ، واطول مما نسورت .
وكانت كلها تطلعت شوطا منه استشرفت
الى ماوراءه ، وابتدأت ان تحصلها من
العلم والمعرفة جد شغل . نذات على
الدرس المتخصص في تواسع العالم الذي
يكشف انه يزاد حاجة الى العلم ، ونظما
الى المعرفة بمقدور مايزداد تحصيلها وقتها .

في تلك الفترة - التي كان افراد الطبقة
الجديد من مفكرينا ، في اذن فيها من
حل الاملنة السمية ، وبوثلون في ارتداد
المجهول من الماني المعرفة ، ويمكنون على
الدرس المتخصص في وحدة علمية ، بعيدا
من الاضواء كان دعاء اليقظة القومية
الذي فتح عيون الجماهير ومقتولهم ،

اشرت هنا ، في مقالى الماضى ،
الى ما يغشى افئنا الفكرى من
ضباب يحجب الرؤية ، بالابخرة
المتصاعدة من السطوح الدنيا
والمستويات الهابطة . وهذا
الضباب يحول بين شبابنا المثقف ،
وبين الاتصال بالآفاق العسالية
لمفكرينا الاصلاء ، فيتصورون ان
كل بضاعتنا الفكرية هي هذه
المطالعات السريعة ، واللقطات
التي يلها السكاتب من ساعات
يقضيها بين دوائر المعسارى
الاوربية .

ويظنون بالمقلية العربية
الظنون ، فيولون وجوههم شطر
الغرب ، يلتهمون لديه ما اعوزهم
من زاد فكرى خصب ، لا يجدونه
فيما يغمر اسواقنا من ثمار فجة . .
وهذه هي الازمة التي لابد من
مواجهتها بكل صراحة وشجاعة ،
مهما تكن كلمة الحق مرة وقاسية .

وللازمة اسبابها البعيدة : منها ما هو
ظاهر بكتوف ، ومنها ما هو خفى مقنع .
ونحتاج الى تكشيف هذا ، الى ان نرجع
الى اسبابنا القريب بحث رواد البحث

والمأخوذ من المحاسب والمؤيد والموصلين
من هؤلاء من غره ما حصل من
قشور المرء ، ولم يطق احتمال بشقة
الجهل المسمى سحنا من اللباب الحر
فلم يدع قمره المهر نفوسه وخبر يمول
وبجول في الميدان الخالي ، قبل أن يراجه
فيه ذوو الأصالة والاعتدار ..
وأخرون منهم ، قلموا الأسواط ، لكن
على اكتاف يدهم ، وعسروا الطريق اليهم
لكن على أجنحة غير مذبذبة ، حيث
وجدوا في حارم أبي تثنى عنها
قبرها ، تذبذب الانقلاب الجامعية بغير
استحقاق ، وبخيل عليهم رداء العلماء ،
منحة دس أو مقبل ثمن ، على نحو ما كانت
الرتب والالقاء وكسوة التشريرة ، منع
وتخلع من القصر على من يحوزون الرضى
السامى أو يدفعون الثمن !
ونرى ، ، لم يجد لديه فضالة
والاستعداد ، ما يستحقه على الفوس في
بحار المعرفة فالتبس فتات الموائد الغربية
ثم ظهر في الميدان يتنفس بالفاظ غصية
رنانة ، ويتقدم إلى السوق بشماعة ، مستعمدة
جميعها جينا لما من هناك ومن هناك ،
وأعطى عناوين اعلانية براقية !

ومع المد الثورى ، أن لكل هذه الأوضاع
الفاسدة أن تنحصر ، وأن يقوم الوعى
رقيا على التهوين الفكرى بقصد موريته
ومخابسته !

بتطلب قذاه الفكرى ، ويلتمس مقومات
وجوده الممنوى .
وانتهز المنتهزون الفرصة ، رموا
بموت حاجة الجماهير المستغلة لمرنة
فمن جانب كان المستعمر حذر و
الادراك ، أن معيره هنا وهن الوعى الثورى
يقوى قيادته منكون انهاء وكتاب احرار ..
ومن جانب آخر ، كان القصر والاحزاب
السياسية ، في اشد الحاجة الى دعاء
لهم ، يؤثرون في الراى العام ، ويخدرون
وحدان الجماهير وعقولها ، في اعقاب ثورة
١٩١٩ التى كانت نذرا بالغ الخطر ..
والتي هؤلاء جواسيس القصر في الحركة
التي ابتغوا حق البتة انها بالخدمة الميم
والى الالة ، معركة وجود ومسير ..
وحطوا اعينهم على الجامعة ، التى
أريد لها ان تكون قلعة الوعى
البقطة ومخارة الفكر .

وكان الظن بها ان تنزل حارسه على
الوعى الفكرى ، وفى الحق انها فاضلت
طويلا لتعصون منارتها فى مهب الريح ،
وسكن القول ان مقاومتها امتدت الى العقد
الثالث من هذا القرن ، ثم لم تلبث آفة
السياسة ان احدثت نفرة نفذت منها الى
الحصن الذى طالقت مقاومته .

وكان ما كان ، وعاء تاريخنا الفكرى
وسجلته وثائق الهيئات العلمية في الجامعة
وغير الجامعة : اقبالا الميدان ، بالادعاء

نهضنا الفكرية ، ولا يترددون في امداد
المعركة بالسلحة لهم بادية ومعنوية ، توجب
نراهم وتكتف غبارها ، لكي تخطئ الكيم
وتضطر الموالين ، وتخلل المقاييس ، الى
مناهة النقع المثار ..

واذكروا السكينة التي تلتها اليكم في
مثل هذا الشهر من العام الماضي ، من ادب
افريقي ، سمعته به ونحن نعد لمؤتمر كتاب
آسيا وافريقية به يقول لنا في خلسة
وايمان :

«نقرا . مستقبنا برحة فكرية»



وانساءل في دهشة وعجب : اهم من
الذلة بحيث يحسبون ان الذي يمكن ان
يعيش طويلا ، بعد ان ومينا ذاتنا وحققنا
وجودنا ؟

ام انها محاولة يائسة ، لتعويق
خطواتنا على الطريق ، وكل يوم نفوت
مكب ؟

ومهما يكن الامر ، فان الامة مستخوفة
معركتها الفكرية كما خاضت معاركها
الاخرى .

والنصر آت لا ريب فيه ، « انهم يرونه
بعيدا ونراه قريبا » .

لكن ، لم يكن من السهل على اصحاب
الفساعة المزينة او الرخصة المنذلة ، ان
يفقدوا السوق .

كما لم يكن من الجبن على الادعياء ، ان
يتخلوا عن مراكزهم المالية .

وهكذا لم يكذبوا الاصلاء بتقديرون
الى الميدان لينذروا وجودنا النور .

عند النفاذ الفكرية والمليحة بعد ان
استكبروا عدتهم لها ، حتى لمح الانق
مؤثر حرب مسورة ، تتوفا ومستقرة ،

بقسنا المزيون ويمشون لها كل طائفتهم
واسلحتهم ، تشبنا بيتناهم وحرما على

مراكزهم ، وحماية لكاسبهم في السوق .

المعرفة يستنبئون في امداد
الاصلاء عن الميدان ..

والذين اختلسوا الدرجات العلمية بطريق
حرام ، لا يطبقون رؤية من نالوها بجدارة
واستحقاق ..

والذ . يعيشون على فئات الموائذ
القريبة للمعرفة ، او الذين يؤبسون

مترجماتهم لحساب المؤسسات الاجنبية ،
بطلاء القالب والابتكار ، يؤرقهم الخوف

من قوى الامالة والابداع ..

ومن بعيد او قريب بب اعداء لنا
مرتدين زى الصداقة ، يهمهم ان يعطلوا

قصصا

فكرية

ضمير التاريخ



احمد شوقي

بمقام الدكتور بخت الشاطي

• لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين بالحق
الى يوم القيامة لا يضرهم من نأوهم •
من حديث شريف

ذات مساء ، من شهر يوليو الماضي كنا في ندوة ادبية نتحدث عما اشار اليه « الميثاق » من محاولات لتزييف تاريخنا .
واذكر اني قلت يوما : ان ضمير التاريخ قد غلب زيف المزيين لهما مضي فاستيقى بين ركنم الزور والبهتان ، كلمات
صدق هدنا الى الحقائق المظنونة ، وكشفت لنا عن اكاذيب المصلين واباطيل المفتين .
ولموجئت بسؤال يتم من تهكم وانكار :
« وهل التاريخ انسان خفي يقال ان له ضميرا ؟ وهل يعدو ان يكون كتابا يؤلف بافلام بشر ملون عليه ما ارادوا ؟ »
واكاد اليوم ، وانا اكتب مأساتي تحت هذا العنوان ، انتمثل ابنسامة السخرية على وجوه من لا ينصرون ان
للتاريخ ضميرا حيا وبصيرة نافذة وذاكرة واعية ، واجازي مع ذلك ، بالكتابة عن هذا الذي سخروا به وجدوه !

(٢)

لقد وجدت الإنسانية في مصور مختبئ،
من استعصمت قسائمهم على الزيف
والفساد والاستهواء ، لكن أولئك
الآخر حانت بهم لعنة مصورهم ،
فأحرقت آثارهم ، أو صودرت وحملت
تزامنها بقرار من ذوي السلطان ، أو
قتلوا من سائرهم من رجال الدين .
وكانت تلك مخنة الأدباء والمفكرين
الآخر ، فيما سلف من أزمان .
أو بتعبير أدق ، كانت مخنة تاريخنا
الذي ألح عليه المزيّنون والمخدعون ابتداء
وتشويهاً ومسحاً .
لكن قسّم التاريخ قلباً - كما قلت

في ذي . . .
ولقد تمّ هذا الضمير في كلمات حق
جرت بها أفلام أمينة ، ولي آثار فكرية
وأدبية استغلّوها التاريخ من برائن
الضياع والمصادرة ، وظل يحرسها حتى
وضلت الدنيا ، فكانت الثور الكائن
الذي استطاعنا على هداة ، أن نعرف
ماضينا على حقيقته ، لا على الصورة
المسوخة البتراء ، التي رسمها المزيّنون
من عهد أو من استهواء .
ونحن في الجامعة ، لا يشغلنا شيء
لقد ما يشغلنا توثيق النصوص التي
هي مادة الدرس المنهجي لتاريخنا ، ثم
أفادتنا من جديد ، التماساً لما وعنت ذاكرة
الزمن من آثار الحقيقة التي تاهت
طويلاً .

ربما صحح إيماننا بأن للتاريخ فسيرا
لا يقبل الزور ، ولا ينطلي عليه بهتان .
لدرجة ما يلتصق من أسرار على رصد
ما يكشف عن أي تزوير فيه .
ولطول ما نشهد من عقم الجهود التي
بذلت هبها لتزييفه .

انما عرّب بمعنى الأمثال ، لما كان من
ذلك الجهد المقيم ، في ماضينا البعيد
والقريب .

« أبو حيان التوحيدي » : انكره أهل
عمره لقوة نفسه ، ففسدوه بالتهمة
التقليدية : الزندقة ، ونفساء « الوزير
المهلب » فظل ثائلاً حتى مات عام ٤٠٠ هـ
وجاء « ابن الجوزي » من بعده فنقل
عنه في (تاريخه) ما قال .

كما أوسع « الذهبي » في « ميزان
الإعتماد » في نقد الرجال : طمعا
وتجرباً .

أن التاريخ يكتب حقاً بقلم البشر .
وقد شهدت الدنيا - منذ كانت -
محاولات لتزييفه بأفلام مأجورة أو
موتورة ، أو مسخرة مستهواة !
ولمست لي الجراءة على ادعاء العلم
بذلك المحاولات في نطاق التاريخ
الإنساني العام ، ولا أنا من وهبهم الله
القدرة على أن يحيطوا بكل شيء علماء
فيجمعوا الدنيا في صفحات كتاب ، أو يفتوا
في قضايا العالم كله ، قديمة ووسيطه
والحديث ، شرقه وغربه ، وشماله
والجنوب !

بل أن علمي يلصر عن أن يحيط بالتاريخ
العام للمغرب والإسلام كله ، ومن ثم لا أتناول
منه إلا شيئاً مما يتصل بتاريخنا الفكري
والأدبي ، احتراماً لكرامة عقلنا وعقول
القراء !

ومحاولات التزييف في هذا
الجانب من تاريخنا ، كانت نتيجة
خشية للأوضاع السياسية التي
حكمت الشرق العربي - لدى
قرون - بفردية طاغية مسيطرة ،
حملت من بيت المال خزائنه خاصة
للحاكم فرداً أو حزباً أو أسرة .
وومع المال قام الإرهاب يحمي
تلك الأوضاع ، حين لا يجدي
الأفراد والترقيب .

وبيعت الأفلام وصانوا ، في سوق
التفنية والنفاق ، وراج من صناعة الفكر
والادب ، ما يحمل بمسحة البلاط أو ما يجيزه
التمزب الغالب .

واشغف من الكتاب والشعراء ، من
تدفعوا على الامتاع ، وباعوا أنفسهم
رخيصة لكل من جاوز قدره ونسي بشرته ،
فراح يمارس حقولاً الهبة ، يرفع بها
ونضع ، ويعز ويذل ، ويغني ويفقر ،
ويحس ويبعث . . .

لكن . . . هل يمكن أن يكدر الناس
جميعاً ، في أي عصر ، بالقيم الإنسانية
العلوية ، فلا يوجد بينهم ذو ضمير حي ،
لا يلين تحت تأثير رغبة أو رهبة ؟
أو يمكن أن نصور ، أن الإرباء مهما
تألف غشاً ، لا ينجر منه إنسان ،
يمتدح أن يقول كلمة الحق بأي ثمن ؟
محال ! !

« وابن رشد » : الفيلسوف الحسبي
الأصيل ، تسعى به خصومه وحساده
لدى السلطان بتهمة ، لكن أجداهما
للقتل عليه : الكفر وعداوة ولي الأمر
، وضربوه في المسجد ، وظنوا أنهم
فرغوا منه واستراحوا ، وما دروا أن
الحق لا يلبث أن ينجلي ، وأن التاريخ
سوف يضع اسمه بين أقطاب الفكر
الإنساني : أماما للفلسفة الرشدية التي
كانت مددًا للثقافة الأوروبية في عصر
الاحياء !

وسلطان العلماء « العسز بن عبد
السلام » : أرقنهم شجاعته في قسول
الحق لا يخشى فيه لومة لائم أو غيبة
أرد ، فحددوا أمانته ، وحرموا عليه
الاتصال بالناس ، وخيل اليهم أنهم بذلك
أخربوه وأعدوه ، لكنه عاش في ضمير
التاريخ ، مثلاً أعلى لعزة العلم ، وإمانة
الفتيا ، وكرامة الإنسانية .

وشوقي : أمير الشعر العربي الحديث :
نبخته أصوات حساده ، والقوا خلال
الشك على وطنيته الصادقة مستظنين
صلته بالقصر ، لكن يسلبوه مجسده
الغنى ويرثوا مكانته بعد أن يزحزحوه
منها ، وبقي التاريخ سائماً من الزيق
والدجل ، فسخر لنا « الدكتور محمد
صبري » ينشر المطوي من التسوقيات
المجهولة ، لتري فيها الشاعر الذي
أخلص الفن وأمه واستطاع رغم مكان
يكلمه من قيود الوفاء لأولياء شمس
أن يسهر على معنويات الشعب ويذكره
بأنجاد ماضيه ، وأن يحتال ليرسل
صوته ، من داخل قلاع الطفافة ، بحدو
أمة إلى الوجود الكريم ، ويشدو لها
بأنشيد الحرية وأباه القسيم ، ويغريها
بأنثر لشمسها الجسور والاستبداد
والاستعمار . ونحن كان شعراء
آخرون لا تربطهم بالقصر أدنى صلة ،
يطبلون ويذمرون للطاغية ، أو ينشدون
قصائدهم في وداع اللورد كرومر وفي
استقبله ، كان « شوقي » شاعر القصر ،
يلهب الشعور القومي بقصائد تحمّل
توتيعاً مستعاراً ، ويطلب إلى المطربين

ولكن شعير التاريخ ، نعل في شهود
ثلاثة عدول ، سجلت شهادتهم في كتاب
« طبقات الشافعية » ، للإمام الشافعي
على الدين السبكي « ونص الشهادة :
« أبو حيان الترحيدي . . كان أماما
في النحو واللغة والتسوي ، فقيهاً ورخا
. . تلى ابن النجار : كان فقيهاً صابراً
متديناً صحيح العقيدة » .
وبعد أن نقل الشيخ السبكي كلام
الذهبي وابن الجوزي وغيرهما ، عقب عليه
بشهادته :

« أقول : الحامل للذهبي على الوثيقة
في الترحيدي . . مع ما يعلنه للصوفية -
مذاهب الكلامان . . ولم يثبت عندي إلى
الآن من خال أبي حيان ما يوجب الوثيقة
فيه ، ووقفت على كثير من كلامه ، فلم
أجد فيه إلا ما يدل على أنه كان قسوي
النفوس مزدرياً باهلاً عصره ،
ولا يوجب هذا التقدير أن ينال منه النيل .
ومسئل الوالد . . رحمه الله . . عنه
فأجابني بقريب مما قول . . » هـ ، ص ٢

ونجا التاريخ بهذه الشهادة لأبي حيان ،
لأن مثل كتاب « طبقات الشافعية » ، ما
لا يتعرض لأهراق أو مصادرة !

وأبو العلاء المعري : ضاقت به مصور
الحنين ، فأنكروا شامريته لأنه من بها
عن الاستجداء والهوان ، وزموا بالزندقة
لأنه كثر بارتان زينة وطواغيت مجتمعه
وأبى أن يسجد إلا لله وحده . وزعموا
أنه ألقى كتاباً عنوانه « الفصول
والغابات » يمارض به سور القرآن
الكريم .

لكن التاريخ حفظ لنا نسخة خطية
من « الفصول والغابات » لنقرأ فيها
ابتهاالات صارفة في تعجيد الله تعالى .
كما حفظ آثاراً له أخريات ، مرفئة فيها
على حقيقته : الأديب الكريم الذي باع
كل الدنيا لتسلم له حرية رأيه وشرقى
كلمته وعزة إنسانيته ، والذي خاض
معركته في مسألة تقرب من الاستشهاد ،
فماشى به عمره . . عدواً للنفاق والظفان

(٤)

في عصره ، ان يستهلوا غناهم في
الاندراج بمنزل هذا الدور المشر :
يا حمامة دنشواي
نوحى للسير هداي
تحت الظلام
كيسلا بنسام

و « مصطفى الراجحي »
داعية الوطنية والايمان : حاولوا تزيين
تاريخه ، فسخوا صورته في كتاب التمسوا
له كل وسائل الدعاية والترويع ، ودقوا
له الطبول والاجراس ، لنقرا
فيه اول ما نقروا ، ان ادب الراجحي لا يمكن
ان يقم الا في ضوء عقد ثلاث ابدى بها
كان مريضا ذا آفة تملأ نفسه بالحقد
على الامحاء ، وكان لقيرا ، والفقر
في رايهم آفة ، وكان سوري الاصل
بعاني عقدة الغربة : ان رضى تلقى
رداهن ، وان غضب سب نقمته على
اصحاب البلد الذي آواه واهل بيته ،
وما نشيده :

* املى يا مصر انتى المدي
الا سدى لهذه الفتنة *

وظنوا انهم بهذا المسخ قسحوا علينا
وعلى التاريخ ، وطووا الى الابد سجل
الراجحي ، بكل ما فيه من مفاخر .
لكن الراجحي عاش في ضمير التاريخ
ووحدان الامة ، كما عاشى شوقي ،
والعز بن عبد السلام ، وابن رشد ،
وابو العلاء ..

والزيتون هم الذين مضوا وبمضون
الى فناء العدم ، موصومين بعسار
الجريمة ، ولعنة التاريخ .



وبعض هذا الذي ضربت من امثال
يكى لكى يطعنن الذين يشغلون على
حياتنا الفكرية الحاضرة من زلق المضللين
واباطيل المهرجين ، ولزباد الذين امنوا
ايماننا ، ولا يرتاب الذين يتلون في شرق
الانسانية الحرة ، كما تمثله الرسول
عليه الصلاة والسلام في حديث معناه :
« لا تزال طائفة من امتى ظاهرين
بالحق الى يوم القيامة ، لا يضرهم من
ناوهم »



د. صبرى السريوني



مصطفى الراجحي

ذكريات
وأحاديث

كيف تحوينا اليأس؟

بقلم الدكتور بنت الساطي



أحمد لطفي السيد

د . هـ . هـ . هـ

في عيد العلم

الى اهلنا واساتذتنا الكرام ،
الذين وقفوا معنا ونحن نخوض
معركة التضحية ، وأبوا ان
يسلمونا الى اليأس والضياع !

ودون ان يدري اسي / تسلمات من
البست خفية ، فادبت الامتحان الشهادة
الغاية ، مع الذين ادوه من مبارزتهم ا
ولم ادخل مدرسة ابتدائية او ثانوية
وان الامر ليها لاهون من دخول الجامعة !
وهكذا واثمت بيلها حائرة ، لا اجري
على الالتجاء بها علنا فادوه بفقدت
اسي ولعنته ا

ودخلها خفية ، يتنصلي ان يكون سي
ميل ابر به اتاني في العاصفة ، وادفع
منه اجر تعليمي وهو اجر باهظ ، لا
يملي منه تفوق او امتياز ..

والطلاب الذين دخلوها بشهادة فقر
وامياهم ان يسددوا الرسوم الاسافية
لم يكن يسمح لهم بدخول قاعة الامتحان
ولو كانوا من الاوائل المتنازين ..

ولم يزل حياننا العلمية ، ان يرجع
الى سجلات الجامعة ، يحصى عدد الذين
حيل بينهم وبين مواصلة التعليم ، المعجزم
عن دفع ثمنه وسداد رسومه ا

اما نحن الذين تطعنا الطريق الوعر
على الشوك والصخر ، فنستظل مسا
عشنا نروي ماوعت ذاكرتنا من مواعف
عصية واجهناها !

وكثيرا ما ساءلت نفسي : كيف اتبع
لنا ان نعبر ذلك الطريق السخري
الشائك ، دون ان يتعننى جواب ا

حتى سمعت كلمة السيد الرئيس في
هذا العيد :

« كان جبلنا ، هو جبل تحدى الياس
والثقل عليه »

نعمت الجواب ، وادركت اننا ما
سارنا الطريق الا بالتحدى لجواهر الياس
ودواعي التذوق .

لكني ذكرت كذلك ، اننا لم نكن وحدنا
في معركة التحدي ، بل كان معنا اساتذة
لنا كرام ، ابوا ان يسلمونا الى الضياع
وفي مركب العلم جرت بي اطيافهم ،
فرق قلبي من فرط الخشوع والاجلال ،
لاولئك الذين وقفوا معنا في غشبية
الحننة وابلان الكرب ..

منهم من تقدم في اللحظة الحرجة ،
فأدى الرسوم الجامعية عن طلاب جبل
بينهم وبين دخول قاعة الامتحان .
واعانهم من هوان الموقف ، بكلمة

معذرة الى القراء ، اذ القاهم
اليوم بغير ما عودتهم من قضايا
فكرية وادبيية ، فامضى معهم
هذه اللحظات في جو مشحون
بذكريات عاودتني وانا اتشهد عيد
العلم ، ومع اطياف كريمة ملأت
دنياي ، منذ سمعت كلمة السيد
الرئيس عن جبلنا الذي تحدى
الياس !

ولقد دعيت الى الحفل مع
اساتذة الجامعة ، ثم مع اعضاء
لجان الترشيح لجوائز الدولة .
وكنيت اوثر ان ادعى اليه مع آباء
المتفوقين وامهاتهم ، لكن لجنة
تنظيم العيد - عفا الله عنها -
اسقطتهم من حسابها ، وهم اولي
بالحفل واحق من يدعى اليه .



ومع ابنتي ذهبت ..
وبها رجعت الى ذلك العهد الذي
وقفت فيه بباب الجامعة ، اطرقته لذي
مايم طويل ، حتى كلت يداي ، وهو في
وجبي موصد ا
لم يكن في يدي جواز المرور الوحيد
المعترف به حينذاك : اجر العلم ونفقات
الدراسة

ولا سبيل الى الظفر بهذا الجواز
الا عن طريق العمل ، والانتساب بسوء
سوقيل ان الجامعة قد تعفنت عن الرسوم
اذا حرر والذي شهادة فقر وقسول ،
حسبها اثنان من موظفي الحكومة الكبار
ويشهدان بمبجحة ما فيها من كشف لحال
الاسرة !

والذي نه حفظه الله - كان يؤثر
ان يراني احمل الى التبرجئة حابدة ،
على ان يراني طالبة بالجامعة ا
وعذره ، انه من جبل يحرم على بنات
المشايخ العلماء ، ان يخرجن من بيوتهن
الى المدارس .

وقد بقيت مع اخواتي الخبيث لذي بيتنا
ننلو القرآن الكريم وننطقى علوم العربية
والاسلام !

(٣)



الشيخ مصطفى عبد الرازق



د. محبوب ثابت

المفاجأة أشد وقعا وتأثيرا ، عندما ، انى
في لطف وعتاب :

« وبماذا عن ظروفك المالية في مثل
هذه الحال ؟ انك لم تحدثني عنها ،
لاعلم كيف تسدين اجر التعليم وتدبرين
نفقات الدراسة ؟
ولم بدعنى انصرف ، حتى اطمأن
الى انى اكسب من عملى ما انفق منه .

وماذا اقول عن ابى الروحى ، استاذنا
الجليل «احمد لطفى السيد» الذى حرص
على ان يشهد امتحانى لدرجة الليسانس
فسعى من مكتبه بإدارة الجامعة الى
لجنة الامتحان الشففى ، ثم لما عرفت
إصرارى على الدراسة العليا ، اباح
لى مكتبته ادخلها متى شئت ، وحين
قضت الظروف على ، ان ارجع الى الريف
فأتيمنيه عزودونى يوم السفر بزادهمونى
من التشجيع ، وبزاد آخر ماذى : هبنا
من ذخائر الفكر الغربى وامهسنات
المراجع العربية ، تطف لعملى علم
قبولها ، بما أكد لى من استفناله عنها
بنسخ منها مكررة ، اصنع له جيلا لو
خففت من خزانة كتبه صيقها بها !

بل ماذا اقول من امى ، والجنة تحت
الذيها ، تلك المودة التى كبلتها اغلال
الحريم فلم تتردد فى ان تدفع حياتها لى
تحررنى من تلك الاغلال ، لى ظروف عصية ،
كان اليأس فيها زاحة ورحمة ، وكان
تحديه مجازفة وانتحارا ؟ !

مع هؤلاء عشت واعيش ، منذ
شهدت عيد العلم مع ابنتى ، واسفيت
الى تلك الكلية المثيرة من جيلنا الذى
تحدى اليأس !

الا ما ابعد اليوم من الامس !
وما اروع ذلك الانقلاب الدورى ، الذى
المن مثوية التعليم ، ثم اناحه لابنائنا
جميعا ، بغير اجر ولا لاس ؟ !
واين كنا ، والامتيار غير معترف به
جوازا للحرور الى دور العلم ، من هذا
الحاضر الذى تسلم فيه ابتناى كل شهر
مكافأة سخية من الجامعة !

لا تزال ملء مسعى :

« ليس هذا من مال وراثته ، وانما
هو بعض ما يدفعه لى الوطن لكسى
اعليكم ، ولست اقدبه اليكم هبة او
احسانا ، بل اعتبروه ديننا فى تهكم ،
تسدوناه بعد اليسر ، لاحتاجين من ابناى
الجيل الخالف ، فى هذا الوطن المنكوب
الذى لا ينال فيه حق العلم ، الا
ذوو الثراء »

والذى قال هذه الكلمة ، هو نفسه
الذى عهدناه يسس نقراء الطلبة المهددين
بالحرمان من الفنى فى الدراسة ، فتقدم
اليهم بحاضراته كى يطعموها ويوزعوها
على المتدربين من زملائهم ، وبستمهوا
بشئها على مواصلة الدرس !

ومهم من كان يقرأ بحوثنا الخاصة ،
ثم يتحرى الدتير المجهد منا ، فيقدم
اليه بكافاة مالية ، على ماقدم من بحث
ولست انسى يوما وقتت فيه احتج على
استاذنا الدكتور طه حسين - رحمه
الله بالصحة - حين كافا زهيدا لى على
مقال لم اراه يستحق التقدير ، وامضيت
ساعة المحاضرة ، انانثى الزميل وانتده
واستاذنا يعضى فى ضيق ظاهر ، حتى
اذا انتهت المحاضرة ، محينى الى
بكتبه ، وقال لى بنح كليات ، فهبت
منها السبب الذى دعاه الى تقديم المكافاة
المالية ، وان لم يقله صراحة ! وخرجت من
حضرته ، وملء نفسى شعور باكباره ،
وخجل من موافى مع الزميل !

كذلك لن انسى ما عشت ، يوم سمعت
الى استاذنا الجليل «الشيخ مصطفى ميد
الرازق - رحمه الله » استاذته فى
التخلف من محاضراته الى مين ، فلما
استفسر من السبب ، جدته بقلقى من
ناحية ابنى ، لما ابدى من ارقاب فى
امر ذهائى الى الجامعة ، وخشيتى ان
يبعث من يرائيتى ، فتكون كارثة !

رفوجلت باستاذى الشيخ غاضبا
يحتج على ما كان من تقصيرى فى حقه ،
حين لم انض اليه بكل ستاعبى ! ثم كانت

كان الله معنا

«إن لله عبادة»
«إذا أراد الابدوا»

عند مات حديثنا اليأس

بطلان
الكتابة بنت الشاطئ

مرة أخرى ، اعتذر الى القراء
اعما اشغلهم به من حديث خاص ،
اتابع فيه رواية بعض ذكرياتي
عن معركتنا مع الياس : تلك
الذكريات التي طويتها زمانا تحت
ضغط الشواغل والمشاكل ، الى
ان سمعت كلمة السيد الرئيس ،
في عيد العلم ، عن جيلنا ، فاذا
بها تشدني الى ذكريات المعركة
بجاذبية لا تقاوم ، وتسيطر على
وجداني فلاملك الانصراف عنها.

وعلى الهامش : ارجو ان يكون السادة
القراء قد انتبهوا الى الخطأ المطبعي الذي
عكس العبارة المختارة شعرا لقلبي في
الماضي : « ان لله عبادة » اذا ارادوا
اراد « وقد هون على » ان العبارة وردت
بروتين في سياق المثال ، على وتسمها
المصحح .

(٢)

انجليزيات ، لا يترددن في اسقاط الاجابة كلها ، اذا شابتها كلمة مريبة ، وبسذاجة الفتاة الرينية ، ناديت مراقب اللجنة ، وشرحت له ظروفى ، وقوسلت اليه ان يذكر لى لفظ نسر بالانجليزية فان مصرى كله ، يرتن بها !

والجنته دهشة ممزوجة بالقلق ، للحظة طالت ، حتى خفت ان يخرجنى من القاعة ، لكنه ما لبث ان قال :

— آسف ، فانا بدرس عربى من تلاميذ والدك ، ولا امرى الانجليزية

ومضى يغيدا ، وكأنه يشفق على نفسه وعلى ، من مضط حادثة التلبس بمحاولة الغنى !

والقيت القلم من يدى ، ومضيت اخذق شبه ذاهلة ، في حطام الامل الذى تقوضا لكن الله تعالى انقذنى من حيث لا احتسب !

وقعت عيناى فجاة ، على قلم الرصاص الذى كنت اكتب به (مسودة) الموضوع فافلتت من فمى صيحة فرح لم استطع كتمانها .

وجدتها !

وجدت صورة نسر باسط جناحيه ، مرسومة على قلمى ، وبجانبيها : Eagle Pencil

وفي لحظات قصار ، كنت قد فرقت من كتابة موضوع — عليه التوبة — من نجاة السندباد من وادى الانامى ، وكائناتى التى نجوت من وادى نظوى فيه انامى اليأس والقنوط ..

وخرجت وقد استراحت نفسي من قلق طالما ساورنى ، كلما فكرت في اننى اعصى والدى في السر ، وكنت في ريب من رضى الله عن موقفى ، حتى جاءت آيته ، لانجو بها من محنة القلق ، واطمئن الى ان الله يريد لى ان امضى في طلب العلم !



بعد عام واحد ، من نيلى الشهادة الابتدائية ، كنت استعد لاداء امتحان الشهادة الثانوية قسم اول . وفي ليلة الامتحان ، ارقنى خوف طاع ، بعد ان سمعت من جارة لى متقدمة للامتحان نفسه من (المعمل ، واجهزة ، وتجارب عملية) في دروس الطبيعة والكيمياء ..

وفي حياتى ، ما سمعت عن شيء من هذا ، ولا تصوريته ! وانما كان كل هوى ان استظهر الكتب المتررة على المدارس الثانوية ، في « الحرارة » والمغناطيسية والكهرباء ، تأليب اسماعيل حسنين !

وامود : فاسأل : كيف استطعنا ان نعبث الطريق الوعر ، متحدى الياس لظروف عصية ، تجعل من ذلك التحدى مجازلة وانتحارا ؟

ان اساتذتنا الكرام ، الذين وقفوا معنا وابوا ان يسلبونا الى الضياع ، لم نلتق بهم الا في الجامعة ، لئلا كان من امرنا في المراحل الاولى من الطريق قبل ان نصل الى الجامعة .

وهل كنا وحدها ، ونحن نهشم الشوك ونفتت الصخر ، ونتحدى لوم تنشوية التعليم لنقتحم باب الجامعة الموحد في وجوهنا نحن الذين تعلمنا في الكتابيب ، ولم يسمح لنا بدخول المدرسة الابتدائية او الثانوية (والاخرى) كيلا نخلط بتلاميذها ، اساء الطلبة الاستقراطية ؟

كلا ! لم تكن وحدها قط !

بل كان الله دائما معنا ، ياخذ بأيدينا في المازق الحرجة ، ويلقي علينا من نور رحيته ، يابيثت قلوبنا النضة ، عندما تدلهم الظلمة ، وتضبط علينا دوانع الياس . وتعمى فذوهم المزمرة المباحقة .

جئلى ، الذين خاضوا تلك المعركة ، قصته المثيرة .. وما ارتاب في انهم جبها تدادركهم رجة من ربههم ، في اللحظات التى اوشكوا فيها على انهيار ..

فما الذى ارويه اليوم من ذكرياتى ، ليس الا بعض مشاهد من القصة الكبرى ، للجيل الذى تحدى الياس وقهره .



اجل ، كان الله معنا !

جلت لى رحيته وانا اؤدى امتحان الشهادة الابتدائية ، في لحظة غلب فيها الياس ، وبدأ الامل مرابا ببدد .. كنت اؤدى امتحان اللغة الانجليزية ، معتدة على موضوع الانشاء فيه ، فقد كانت قصة «السندباد البحرى» المقررة علينا من القصص التى قراتها بالعربية ووعيتها وثلثت ان ما حفظت من مفردات اللغة الانجليزية ، يكفى لان اكتب في اى موضوع ياتى من القصة .

لكنى حين بدأت اكتب «اثنى عشرة جيلة ، من نجاة السندباد من وادى الانامى» استحال على ، ان اذكر كلمة (نسر) بالانجليزية ، والنسر هو بطل الموقف ، ولا بد من ذكره في ست جيل على الاقل !

وكنت بحيث اتخلص من المازق ، بكتابة نسر بالعربية بين قوسين ، لكنى سمعت من زميلات الامتحان ، ان مدرساتهن

واجهتني الارق ، فلم اتم الا قليل
النجر !
وتجلى الله لي في الرؤيا !
جلست انا اودي الامتحان في الطبيعة
من طرق نقل الحرارة ، وفي التاريخ عن
حركة مارتن لوثر ، وفي الجيولوجيا عن
العصر الفحمي ..
ومحوت من يوم ، وقد عاودني ما
اضعت من ثقة واطمئنان ..
ودخلت الامتحان وانا اردد كلمة
الصوفية :
« ان لله عبادا ، اذا ارادوا ارام »
ولم تكن بحاجة لي ، ان جاء سؤال
في التاريخ عن مارتن لوثر ، وسؤال
في الجيولوجيا عن العصر الفحمي ! ثم
في الطبيعة من طرق نقل الحرارة التي
حفظتها من ظهر قلب : الحبل والتوصيل
والاشعاع ..
ولكن سيدة المفاجأة روعتني ، حين
وجدت هذا السؤال الذي اعتمد عليه
لانجح ، مذبلا بعبارة « مع شرح خاصية
الترمس في حفظ الحرارة » !
وفي حياتي ، لم اكن عرفت او سمعت
الا بهذا الترمس - بكسر الميم - البقل
المعروف !
وسالت مراقب الامتحان ، ما اذا كان
في هذا اللفظ خطأ مطبعي ، والا لما
الذي ادخل الترمس في الحرارة ؟
ولما اجاب بالنفي ، استعنت بذكائي
فظننت ان شأنا المحدث الكبري يستعملون
بقل الترمس في تطهير الحرارة ! ولم ار
في ذلك ما يدعو الي العجب ، فقد قرات
في بعض كتب المرحلة الاولى ، ان لوى
المشيش ، يستعمل في تنقية مياه الازيار !

واجبت عن السؤال بكل شجاعة
وثقة ، فذكرت - بعبارة لغائية مقلدة
ان لبقل الترمس خاصية طبيعية لتطهير
الحرارة ، واستشهدت لذلك بباعسة
الترمس ، الذين طالما رايتهم في دمياط
يضعون القلل على عرباتهم في عز الصيف
لتروى الظامئين بمائها اللطيف بالترمس
وخرجت من قاعة الامتحان وانا انفس
ارتياحا ، لقد انتهت ايامه !
راحطت بي الزميلات ، يسألن عما
دعاني الى الاستقاء في خطأ مطبعي للترمس !
اجبت بكل بساطة !
- لم اكن اعلم انكم تظفون الماء
في المدن ببقل الترمس ! ولكن ذكائي اسعفني
فاجبت عن السؤال بكذا وكيت ..
ولست انسي ما حييت ، ما ارتسم
على وجوههم من دهشة واستغراب
وتقدمت احداهم - السيدة تحبه ماهر :
ناظرة القبة الثانوية ، الان - فارقتي حلبة
معدنية اسطوانية الشكل ، كانت معها ،
وستقتنيها ماء منلجا ، وسمعت انه فيها من
مطلع الشمس !
وظننتها تسخر بي ، حين اضافت ،
انها تضع فيه الشاي المغلي في صبح
الشتاء ، فتشربه في المساء دون ان
يبرد !
ولكن تبرىء نفسها من السخرية بي
اذنت لي في احمل هذا الترمس معي
الى البيت ، واجرب !
وبقنا ليلتها ، انا واخواني الخمس
وما ينتهي لنا عجب من ذلك السحر الذي
ظنناه من عمل الشيطان ، فاعلقتنا علينا
غرفتنا خوفا من والدنا الشيخ المتصوف
وقد كنا نعرف «الزمزية» التي يحبها
معه في حجه كل عام ، اما هذا «الترمس»

(٤)

لشيء وراء معرفتنا ، وتخليها ، وتصورها .
وظهرت نتيجة الامتحان :
ساقطة في الطبيعة !
وناجحة بدرجات النهاية المعظم في
المواد الادبية ، ومنها الحساب والجبر
وبدرجة جيدة في اللغتين الاوربيتين
وفي الهندسة التي لم اجب فيها الا عن
النظريات !
وكانت حكاية « الترمس » لكافة الموسم
لرجت عن السادة المصححين ، كرب
معلم في الصف ، وبلغت مسبح الاستاذ
الجليل « محمد المشايوي » السكرتير العام
لوزارة المعارف فبادر بنقلي من وظيفتي
مدرسة بالمدارس الاولى ، الى وظيفة
مكتبية بكلية البنات ، كي ارى (المعلم
والاجهزة)
وكان قد عرفني ، حين تقدمت لاسفل
وظيفتي الاولى ، وانتدني من مدرسة
(المسز جارفيس : كبيرة طبيبات المعارف)
وظلمها !
فلقد حدث ، قبل ان اتقدم اليها لاجراء
الكشف الطبي ، ان اجريت كشف تجربة
بمعرفة احد اطباء ، فاشار باستعمال
نظارة طبية ، لان احدي العينين ، وصيت
الي ١/١٨ .
وكنيت اقيم مع ممي ، الذي كان ناظرا
لاحدى مدارس البنين بابابية ، فلم اتردد
وليس ممي ثمن نظارة - في ان اخذ
نظارته ، واذهب بها الى وزارة المعارف
لاجراء الكشف الطبي .
نون ان يخطر ببالي ، ان لكل عين
هندسة خاصة على مقاسها !
واجرت «مسز جارفيس» الكشف على
لكانت النتيجة ١/١٠ (واشترت على ورثي)
بعدم صلاحيتي قطعا ، لممارسة التعليم
وبانجليزيتي المكسرة ، حاولت ان اؤكد
لها اني استطيع بغير نظارة ، رؤية
ملايات الصفين الثاني والثالث من اسفل
اللوحة !

لكنها اشارت الي ، بمعجزة ، ان
انصرف ، دون ان تلقى بالا الى ما اقول !
وذهبت من ثوري الى الاستاذ المشايوي
اشكو اليه هذا الظلم ، وانا اولي الناجحات
في النظر كله ، لشهادة كفاءة العمليات
الاولية !
واصغى الي قصتي مع النظارة في محب
ثم امر بإعادة الكشف الطبي علي !
وابرئ من حفظه الله - بأن اذكر
ذاثا ، ان بابه مفتوح لي ، كلما واجهت
عقبة !
وكان نقلي الى كلية البنات ، نجدة
لنفيها اخذت فكرة عن (المعلم) وتقدمت
لامتحان الدور الثاني في مادة الطبيعة ،
ونجحت .
وادركت ان الله ما امتحنني بالرسوب
الوحيد في حياتي ، الا لحكمة !
فقد فرغني بالعلم الغرور ، وظننت اني
استطيع تحصيله - بن - الكتب - فإراد الله
لي الخير ، بما كبح من جماح غروري ، وبما
هداني الي الطريق الصحيح للمعرفة .
ولولا هذه الصدبة ، لضللت ضللا
بعيدا ، وعشت عمرى في جهالة عباء
لا الفرق بين ترمس وترمس ، او بين
نظارة ونظارة . . ولا اميز بين راي ورؤية
ورؤيا ! ولا بين دراسة منهجية ومطالبات
في الكتب . . .
وقد تداركتني رحمته ، فلم اتلق ذلك
الدرس القاسي الا بعد ان فرغت من
اداء الامتحان !
سبحانه ! ما اكرمه رحيم ، وما اعظمه
مؤدبا ، وما اجله هاديا !
هو الذي انلاذنا من وادي الافاعي
ومناهة الظلام ، واسطفى جبلنا لمعركة
تعدى الياس ، فمضينا على الطريق ،
وشعارنا الهادي :
« ان لله عبادا ، اذا ارادوا اراد »

اكتشفت حساب عن الوجود الأدبي للمرأة العربية تقدمه : بنت الساطع

لم يكن على ، وأنا اطالع ما قدمه الاهرام من عرض حافل لحصاد عام ، أن ادع المناسبة نفوت ، دون أن ألقى نظرة خاصة على الوجود الأدبي والفكري للمرأة العربية الجديدة ، التي خاصت معركتها ضد الرجعية في بسالة وشجاعة واصرار ، واستطاعت في مدى جيل واحد ، أن تقطع الشسوط الطويل ما بين متاهة الامية العمياء وآفاق النور والمعرفة ، وأن تعبر على الصراط الممتد من ظلمات الحريم الى المنصب الوزاري .

ولقد يقال أن المرأة انجمت في الركب السائر ، ولم يعد لها ان تستأثر بعديث خاص ، لكنني حين أذكر أن بنات هذا الجيل منا ، قد ولدتن امهات اميات يتنمين الى صميم عصر الحزم التركي ، أرى من حق التاريخ المعاصر ، للوطن العربي أن نتقدم اليه بحسابنا الخاص ، ليشهدنا كنا اهلا لذلك الرجاء الكبير الذي ناطه بنا زواد البعث ، حين جعلوا تحرير المرأة العربية عنصرا جوهريا في برنامج تحرير الوطن ، ولتشهد الامة أننا نحمل نصيبنا من العبء الجليل ، في نضالها الظاهر من أجل تحقيق الذات .

لكن ان للموضوع جانبه الانساني المثير لهذه المرأة التي تقدمت ككشف حسابها من عام ، لا تزال تواجه من يساري في انسانيتهاء ، ويجادل في ان الله تعالى خلقها والرجل من نفس واحدة . . .

(٢)



الشاعرة نازك الملائكة



الدكتورة نور شريف

ومريزا ، لثلاث جامعات ، تم تعيينهن في هذا العام ، في درجة « استاذ ذي كرسي » وتتجلى دلالة هذا الشرف ، اذا ذكرنا ان رعيده الجامعات في عامنا من كرسي الاستاذية كرسى وسيدهن كله ، في كفاحهن العلمى الطويل ، وذكرنا منه ، ان احدهن - الدكتورة نور شريف - وصلت الى « كرسي اللغة الانجليزية وآدابها » بجامعة الاسكندرية ، وهو منصب

وتواجه كذلك ، من يرتابون في جدوى تحررها من مخنة النبت والتعطل ، وينادون بارجاعها الى القصر الحريم . فضلا عن ان كثرة من قومنا ، لا تزال تؤثر تعليم الولد ، ويهون عليها ان تجوع لتدبر نفقات دراسته ، ولا يهون عليها ان تتحمل ابط قدر من التضحية ، لتستكمل اخته تعليمها وفي ظروف كهذه ، يكون الكفاح شاقا وعسيرا ، بما يلقي على كاهل المرأة من عبء التصدي لرواسب الرجعية فيها .

وحين القى نظرة على ماينا الذي مضى اسجل تلك المعركة التي خاضناها مع هؤلاء الذين افسدهم ان ينص « الميثاق » على وجوب مساواة المرأة بالرجل . فقد اساء كثير منهم لهم مغزى هذه المساواة ، من جهل او تجاهل ، وتعامل منهم بتسائل عما اذا كان يحق للمرأة - بمقتضى هذا النص في الميثاق - ان تعدد الزوجات ويطلب بطلان لحظ الرجل في المرات . ويتأذى المتباكون على الفسيلة المتحفة بنا ، وعلى التقاليد المهدرة بهذه المساواة وكان على الواعيات منا ، ان يتصدى لتحرير منهنم الالفاظ من الدلالات الخاطئة ليمرقي الثوم بين المساواة والمسخ ، بين التحرر والتخل ، بين الانطلاق والوقوف ، بين التقاليد التي هي قوام اصالتنا ، والرجعية التي تفرض علينا ان نعيش بعقلية العصر العثماني !

ثم كان كلانا ، لانتحام ابواب ظلت الى ما قبل هذا العام موصدة في وجوهنا : نفى « الازهر » تم افتتاح كلية اسلامية للبنات ، بعد ان لبثت الرجعية لدى اجيال ، تطبق رؤية بنات المسلمين في (المراقص والكباريهات) ولا تطبق رؤية احدهن في حرم الازهر الشريف ! ورشحت اثنتان منا لعضوية المجمع اللغوى ، الذى ظل حتى اليوم دائرة مغلقة على الرجال . واذا كانت المحاولة لم تتم ، فيكنى ان يسجل هذا العام ، سابقة الاعتراف بالوجود العلمى للمرأة وحقتها في عضوية المجمع ، وبخاصة اذا ذكرنا ان المرشحتين ، فلنا في الجولة الاولى للانتخابات : ثمانية أصوات وعشرة ، على حين لم يظفر بعض المرشحين الا بصوت واحد !

وسجلت « الجابجة » نصرا علميا غالبا

(٣)

تطوره من سوء الفهم، وابتدأ الاستعمال،
وتشلى عنه أولئك الذين اقتحموا... هاته
بموجبة لجة، أو بنجر موجبة على...
وقد خيل إليهم انه يكفي اقدم ان يبعثر
الالفاظ ويزق العبارات، ليحسب على
شعراء الجديد.

وتلقت معه، في كتاب «التفسير البياني
للقرآن الكريم» محاولة منهجية، لأول دراسة
عربية تشتغل بتفسير كتاب العربية الاكبر
ومعجزة الاسلام الخالدة. وفى في هذه
المحاولة، تطبيق المنهج الجديد لتناول
القرآن الكريم من حيث هو نص ادبي معجز،
وتذوق اسرار البيانية الباهرة، بعد
تحرير فهمه من الشوائب الدخيلة التي
اقتحمتها على تفسيره، اسرائيليات ومذهبيات
وقفت بها اذواق اعجية، متأثرة بطروف
رمانها وعقلية بينتها ومزاج مجتمعا.

وقد وفى تاريخ العربية والاسلام،
الى ما قبل العصر التركي، اسما نقيها
اعترف لهن بالامالة والافتدار، وبهن من
وصلت الى مرتبة «المشيخة» اى الاستاذية
ومن تالفت (تاج العلماء) ولكنهم يحفظ
لنا اى اثر مدون لهن في العروى او
التفسير بل لم يات باسمائهن - غالبا -
الا في سياق الترجمة لمن تلقى عنهن من اعلام
اللغة وأئمة الفقه ورواة الحديث.

من يخرى المل لهن آثارا في ذلك الميدان
الصعب، طواها الزمان فيما طوى من
تراث فكرى وادبي للبراء العربية التي
وادتها عصور الظلمات وأدا مغنوبا
واجتماعيا، والقت بها الرجعية، مخدرة
في سجن الحريم التركي المسى حقا
بالخمر، والجنتها بأسناد من الاساور
والعتود والخلخال، طهبها بها من اغلال
مغنوية من الجهل والرق والهوان.
دون ان يردعها ضمير..

ودون ان تخشى يوم الحساب العسير:
« واذا الموعودة سقلت، باى ثقب
قتلت، واذا الصحف نشرت »
واذا مد الله تعالى في العمر، رجوت
انلقى قومي في آخرعامنا الجديد، يكشف
حساب عن الوجوه الادبية والفكرية،
لهذا الجيل من بنات المودات. والله
المستعان.

بنت الشاطيء

لم يصل اليه بعد اى جامعى هندا.



ومن قبل وصلت الدكتور «درية فهم»
الى كرسى الاستاذية للغة الفرنسية
وادابها، وحتى اليوم لم يصل اى جامعى
هندنا الى هذه الاذية.

وشاركت الكاتبة العربية، في كبرى
القضايا الفكرية التي شغلت الميدان
الادبي هندا، واود ان اجلو هنا موقفها
من بعض تلك القضايا التي شاركت فيها
بدافع من الحرص على سلامة وجودنا
القومي العام، دون ان يكون لهذه القضايا
اتص - مباشر بالمرأة خاصة -
كتمت قضية «الماتسة الرق» في ادبيات
المعاصر» كان الصدى لها لفتا الى هذه
الماتسة الانسانية التي تؤرق الضمير
العربي الحر.

وكتاب جامعة بيروت الامريكية «الادب
العربي في آثار الدارسين» كان نقده
الموسمى، دفاعا عن الحق الذي
اضله التعصب والهوى، وكشفا عن
هدف بدا واضحا وملتمزا، وهو تشويه
السمعة العلمية للجامعة المصرية في
الدراسات الادبية.

كما كان الاهتمام بقضية السرقات الادبية
في كتاب «الإبانة عن سرقات المتنبي للمعيدى»
ثم في كتاب «القرآن الكريم وعلم النفس»
للاستاذ عبد الوهاب حمودة «موجها الى
تصحيح القيم والموازين الادبية، والدفاع
عن حرمة الحق وكرامة الجامعة. وقد
كان الحرص بالغا، في ان تساق دعوى
الاتهام بالسرقة، مؤيدة بالنصوص، الشاهدة
عليها.



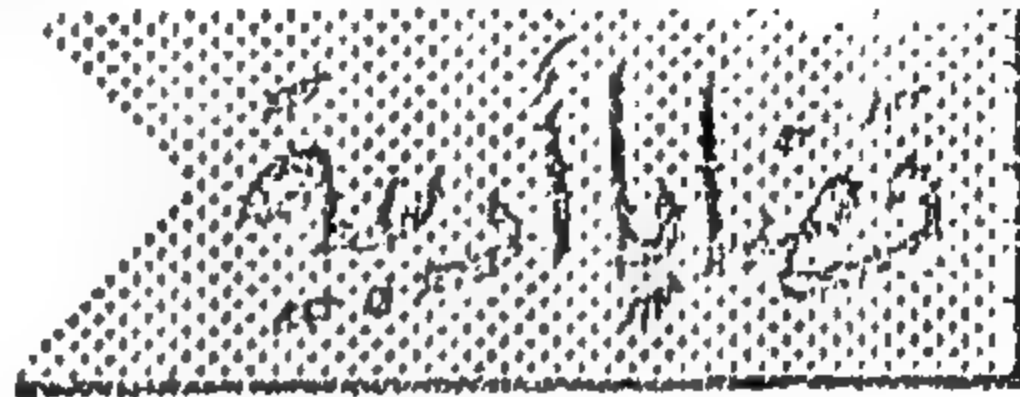
وسجل علينا هذا ظهور الدراسة
العربية في ميادين سنية، لم يسبق لها
ان تظنها مؤلفة - فيما مر من طويل
العصور -
فللول مرة في تاريخنا كله، علقى

المكتبة العربية في «قضايا الشعر العربي
المعاصر» محاولة أولى رائدة، في الفوايط
العروضية والغنية لشعرانا الجديد.

التاريخ : ١٨ / ١ / ١٩٦٣

النطاق الفكري للأدباء والعلماء

« أننا لانملك ، ولا يجب أن نملك ملكية
أية سلطة تحرم قوى التطور الجديدة ،
من حقها المشروع حتى في الخطأ »
من خطبة الرئيس
في عيد العلم



عجاري



صلاح عبد المجدد



لكي نجيب محمود



أعذر هذه المرة ، إلى الذين لم يأتوا
الكثيرون ، الذين إلى ، إلى مع لكريتي
من معركة السحق لجيلنا ، إلى ربي أن
مثل تلك الذكريات ، يمكن أن تفسر
كتاب ، أسرك هذا المثير العام ، للمهاجرين
المكرمة التي يصح بها وجودنا المعنوي ،
وما كتبت الذي كتبت من لكريتي ، إلا
لناسبة فرحت ، حين تحدث السيد الرئيس
في عيد العلم عن جيلنا ..
وما زلت أمشي في جو ذلك الحديث المثل
لم أكن اليوم أتناول منه قضية من أخص
الكتاب الأدبية عنفنا :

فهذا «النطاق الفكري» الذي تحدث
عنه الرئيس ، قد مس الؤثر العباسي و
الوجدان الأدبي العام ، وهو يرقب الصراع
المرير بين القديم والجديد ، ويشهد ما يكابد
شعراء اليوم لينتزعوا حاتم في أن يمارسوا
تجربتهم ، ويتفلسفوا في الحرية والانطلاق
في النطاق الفكري لمعصرهم ، والرجعية والقفلة
لهم بالمرصاد ، تحاول كنم انفسهم يكابوسها
الخانق الذي يجثم على عقولهم . الشابة ،
والأوبهم المستنحة للحياة ..

وما لبسنا ساعة « مهرجان الشعر
بدمشق » حين كتب رئيس لجنة
الشعر بالجلسة الأولى لرئيس
المنتدى والادباء ، بنذر باستقلته من
اللجنة ، وبأنه يقدم القاء كتيبه المهرجان
إذا سبغ لعبد المجدد وهجاري - وهما
من شعراء الجديد - بالاشتراك في المهرجان
ولا لمن والمثلين من تعريم مفهومة
لجنة الشعر على أي شعراء جديد يبع
أن من اغفلها ، من لم ينظم في حياته
بيتا من الشعر ، كالذكور لكي نجيب
محمود !

التاريخ : ١٨ / ١ / ١٩٦٣

- ٢ -

وحسب الساعه ١٠:٠٠ الى دواوين الشعر
الجديد بفسحة فنية ، لايجوز في رأى
الجنة ان تبتاع متبقيا المتدسة ، او بطيه
ديوان مليا الى جائزة من جوائز الدولة
ولو كان : « الديوان » مأساة جميلة
للشاعر ، او « الناس في بلادى »
لعبد المصور ، او « ... »
ويقال حينئذ ان المصنف الجديد خرجوا
علم لديم الشعر العربي ، فالحسين ، فالحسين ،
وتراثا « قصايا الشعر العربي المعاصر »
لكن كانت اللدنية ليه هرامة الالتزام بشواهد
المصطلح المروني للخلول ، الى حد يسر
... وكنت الدعوة الى التخليص من هذه
النقص التي تشعنا الى جديد النوب ،
فالحسين من أصالة العربية ، زطاعتها على
الابداع والتجديد ، وتحويها الذخيرة التي
تمكها من لدية دماء الشعر ، في مروة
وطوامية .

وقبل انما ايلان ان شعراء البعديين
لرأفة ، وتمثل : القبايل ، والذين ، والذين ،
« تسقى زهران ، والخب والبنزل ،
والشرب ، والارزون ، وصلاة الاشباح »
تستاد حراء .

فاسموا موت شاعرة الجديد ،
رمي ذلك الملتين في ابائه يمثل تعبدتها
الارض المحببة التي خدروا بها وجداننا ،
لم قالوا : ان فيها بلسم
هيسانه لجساج البشرية
واردناها فلم نطلسر بهما
ورجعتنا لامانينا الشقيه .

الملايين عيسون قلعت
مز ان تلك سلاى واحده
والملايين شفاء عطش
ليس ترويهما الومرد الباردة

ومبانا كان جرحا ساهدا
بشرب الملح ويلتصات السمرا
والمانينا رمتناها اسى
رسلتناها غروما وهجرنا

لم نزل نحس في اعمارنا
قلعتا ليس فيها طيب شمله
ورحلتنا وجورنا معنا
الى قيد في الاكنى المصحله
ورجعتنا دربتنا مقبرة
مالنا فيها سوى الموتى ادله

هدلونا من رخاء ناعم
فوجدنا دربتنا جوعا وعريا
وسمنا من فناء وشذى
لراينا حولنا فيها وحزيا
ورجعتنا في شفاء قاتل
وكلمنا بلسمنا شجعا وريا
وعربتنا وكسوتنا حبرا
وكسبتنا اللبد والدمع السخيا

اين لك الارض ؟ من حجبها ؟
نحن لسدناها برنات القنوس

التاريخ : ١٨ / ١ / ١٩٦٣

- ٣ -

نقل هذه الحرب الشعراء التي تعرض لها
الشعر الجديد ، فليكن الجواب عند مبدئ
كتاب المرح مقدنا لا ندلا من ان يجد
على قديمه ، ويبدد جهده في عدم الجديد ،
سار بلكاه مع التيسار ولم يتقدم في ان
يبارس تجربته . وبما بين الراي في جديد
الاطالع الشجرة لا بل مبنا برليها معهم
سجالة ومخامرة من مثل توفيق الحكيم ،
ليكن انما تشهد بتدريته على احتيل المجزلة
والمناورة ، حتى لو كلف ذلك ان يتسارم
المشهور من حرمه ، ليتبرع لسرح الجيب
ياحدي مسرحياته ، على سبيل التشجيع
متازلا من الثمن النسالي ، وهو الذي
من ملينا بنسخة - هدية - من مسرحيته
الجديدة ، وهان عليه ان لومل - على
راي منه ومسح - من يشترها لنا من
لسوق بثلاثين لرشا .



وميق الحكيم

رلى الدراسات الادبية ، اعلمنا اساتذتنا
الكبار من تبحر الجهد في حرب بين قديم
وجديد ، فكانوا هم " بين المورثا بالتفاهم
التي لم لاتحتم من قبل بوركوا بولكون خطراتنا
اداء موجهين ، ويبارن ما نستحدث من
قيم جديدة ، في فطنة الاب المنجب ولوحة
الرائد الصديق وراوا لغنا استجابة فكرية
لهم ، وامدادا لحياتهم الخصبة البالية .

وقد ان لامداد جديد الشعر ان يدركوا
متم محاولتهم تحدث التطور ، ويتعبروا بلها
كلمة السيد الرئيس في حيد العلم :
" انها سوف تكون مسئوليتنا نحن ، اذا
حار لنا اى سبب من الاسباب ، مبنا كان
الخطا ، ان نقسم استمداد هذا
الجيل للثمن ، او نمرق امكانياته من
الانطلاق الى مداها .
" اننا لانملك ان نكون او صياء على هذا
الجيل كهرا ونحكما ، حتى ولو كان دافعا
الى ذلك ما تنصرونه من الرغبة في تجنب
الخطا لضرورة لنا ، او الاضطرار عليه
من مسئوليات ربما لا يطيق حملها
" اننا لانملك ، ولا يجب ان ندعى ملكية
اية سلطة نحرر قوى التطور الجديدة ، من
هلقها الم شروع حتى في الخطا ، فمن طريق
الخطا ، وبالتجربة وحدها ، يباكد الصواب .
ان لهم ان يولروا على الالة ، جيدا
عقبا يتبدد مبنا لقر جيل اليوم على ان
يتمش في المناخ الفكرى لجيل ملى ، وقد
خلقوا الزمن غير زلتهم .

وبعد للقد يبدو لربنا ان ادافع عن
الجديد مع المعارف من مخالفتي ، بل قد
يبدو لي موقفى : ما يشبه النفاق ، مع
تخضعي في نصوص ترائنا وولعي بوالع
الدينا الاصيل ، زدموني الى الاتصال
بمناخنا الفكرى والادبى . والحلق الا
نفاقى فيه ، منذ من لا يخالطون بين
الحفاظة والرجعية ، ولا ينش علىهم
ان يميزوا بين الامانة والجمود .

واجعلنا في الدجى اطالنا
للذئبنا ، وجدنا بالنفوس
وسيلنا ارفها من دمننا
ومتخسنا لارباب الكسوس

اين تلك الارض ؟ هل حان لنا
ان نواها ام سبقى بمسلة ؟
المتحوا الباب للعد صاح بنا
صوت الاك الصفايا المرفه

صوتهم خشنه الباسى لغنا
ايسه خليم او برفه قد ليرى
وخسنا الدمع ملحا لانسبا
وشكايا وجوها وخشونة
صوتهم خالطه الصور وعم
قد صبرنا في تسدوب وسكنه
لمنة الحسن علينا ان يكن
لشدنا كالامس امسدا مهينه

وهذه ترمزية ملحة ، ان راى البينى
الاطهار ، وايمان ما يمدد ايمان ، ان
بشئى كبيرهم ان يكون لها ، نصاله
احدا من : ماذا نطلى لو كنت لها ؟

ليجيب :
بل او غدوت كما اشتبهت واشتهى
ربا ، اخذتك انت اخذ الواثق
انترين لك حين فزت بحدوثي
اخلى واجعل من جميع خلاتي
وتسيدرني على الصرور وقرها
لنفسات قلبى المستهام الواثق
ان كان رب الكون عنسدك قلبه
اهون لديك بانجم وصواعق
وبكل شمس في السعفاء وشينة
وبكل بحر في البسيطة دالح

والا سال قارى : لماذا لا تعرض المرح
الجديد - ولا خلال كون مساعاة اجنية -

مائة واق الزواق

تأليف : الأستاذ محمد محمود الزبير
تقديم : الأستاذ عبد الرزاق البصير



كاتب القصة : الأستاذ الكويهي الأستاذ « عبد الرزاق البصير » تعرف له الدوائر الأدبية نشاطه في مجال الوحدة القومية ، واهتمامه بالتمويل للثقافة الأدبية العربية المتأخرة ، وقد ظل الكويت في مؤنح أدباء العرب ، ثم في الوطن الكتاب الأسبوعي الأديبي الذي عقد بالهجرة في الشتاء الماضي . أما كاتب المسار ، فهو المجاهد البصير الشاعر الحر « الأستاذ محمد محمود الزبير » الذي جعل قلبه سلاحاً في معركة وطنه والهب تسعيره الثوري وجدان الشعب ، وادي الحرية الحرة ، نجينا في « حصن وشحة » تحت سنوات ، هاجر بعدها إلى عدن لثقل جديته « صوت اليمن » ثم هاجر إلى القاهرة ، حتى جيت الثورة ، فعاد إلى وطنه وزيرا للمعارف . ومباشرة « واق الزواق » - التي أنفلها بزا لبلاده - قصة صرحية ، يبلغ الأرقام الثوري فيها لبروته ، وتعتبر طليعة البحث الأدبي ، ودعاء الجهر الجديد .



عبد الرزاق البصير

تتمثل الرسالة المفعلة : « البصير » الملاءم للمزى ، بكثرة فريدة في إنشاء المزيين والأدب العالي ، وقد فاق بها عدد من الأدباء في الشرق والغرب ، ولعل من أحدهم هذا « الأستاذ محمد محمود الزبير » في نفسه « مائة واق الزواق » التي مالت قصة القومية العربية ومزاج شعوبها ضد الطغاة والاستبداد ، بكلوب البصير رمزي ، في صورة رحلة خيالية إلى الجنة والنار وقد بدأ الزبير رحلته ، بطلان اسم خندا ، من ملية الشريعة ، في ليلة القدر ، وقد راها يتحدثون في كسبي الأحداث الجارية في مصرنا ، كمنظرة المتضربة وبسلة الكرنفل ، وكان المزي محمود ، بطل القصة ، يصلي اليهم غير مشارك في الحديث ، وقد أهله أنهم لم يهتروا بناسا بلده ، واق الزواق ، نطقوا بالفساد والاستبداد ، ولكن بكنهم بسدقه ، أنفق بهم ، أن ان يأمروا به إلى الشيخ سعدان ، المسموم المديوني . لكن يتوسع ويطلق روحه بالحديث عن سياسة بلده الذي يظنونه من قبل الأساطير ، وانطلق مترواح المزي محمود فشاهدت الملائكة مائلة سامدة ، في سماء مشرقه بالانوار الخسبة ليلة القدر ، ثم تطلعت الروح بأحد الملائكة ، لمالك بجزء الساري

١٩٦٣/١/٢٥

(٢)



الزبيدي

حول الكعبة، وسواها من البحار، الأضرحة،
مصغية إلى إلهية العبادة من الكواكب
لا بن القصور... ثم بعد ذلك إلى
الملك، والسياسة، والروح، فملتقى به، طيرا
بسلطنة، تورائية، فيها حرية تشبه
فيمر للمزى، محمود، يسمو، فمسي
ساحر، وسلك الحورية «ليس» الملك
هنا يعمل، فاجاب انه يعمل روح انسان
تملقت به على غير رغبته، لانه يحسب
من الاحياء، ثم الملك، اجابته
للشعلة، استقبلت الروح، فتملقت به
السلطنة، وما ان امسكتها «ليس» على
مرزقها وكانت قد سالت الله عز وجل
ان يرزقها بهيبة المحالفة على مياه الشهداء
لئلا تسقط قطرة منها على ارض تطوعها
اندام المستعدين الاذلاء، كما اتست
على الجاهل، ان تجيع بناء الشهداء

ويعد هناك حار، وحدث طويل، اخذ
الشهداء يذكرون في الرسالة التي يدخل
بها «المزى» الجنة، وهو بعد من الاحياء
وتلوع، لندم «الشهداء» عبد الرهبان
لعمري، لمضى إلى الجنة وجاء برخصة
مشروطة لا يستغل فلسفة لكن الجماعة
استقر رايها بعد طول مناقشة لهذا
الشرط، ان ينهل «المزى» رغبته يرضى
له برخصة غير مشروطة، وزهرة الانتظار
بدأ له ان يذهب مع راند - إلى
الجحيم، ليرى «الجنة» طافية بلاذ
في اهرام الخلق -
وفي جوارحه يجمع، من يرمى ومسابك
من املوا الطائفة على الدين والجور
والاستبداد، هو ليس لنام، ليتوا في
حيطان النار بالسلم، وتذائف الرصاص
تبهل عليهم من مكان خفى -
المنافقون من رجال الدين، وعلى
درهمهم صامت من اللعب غير اذنتهم
وخرج اذنتهم عيك متوجهة تشبه الخناجر
والمسحوقون الذين باعوا اقلهم
الشهداء ولم يزل حينه فداء الوطن
بالحياة «ليس» -
دع هذا لي ولا تفك -
ثم في مقابلة امين الاولى لسمعت
روحه إلى رهبان الشهداء حيث التهم
الذي لا يوصل ولا بعد - ومنها انقل
إلى الامراء، التي جماعة من شهداء
بلدم «والى الوال» في مشربهم إلى الجنة
الى ان بلغ بقر «الطائفة» في سراديبه من

«إمام الشهداء» بالتدور الأكبر منه ، وانزلت في قلوب الزائرين شغلا بها ، فودع كل منهم أن يشتر بها زوجة في الجنة ، ويشتت قصة مشقهم ، فمسمع زوجها الأول ، عن طريق موجات تحيل الأبناء إلى أهل الجنة ، فأقبل برقع دمواه إلى «الحكمة الصب» برثاسه «ذات النطاقين» أسداه بنت أبي بكر ، وعسوبة «رابدة المعنونة» والحالة الخارجية ، وليلي «العابرة» . وبعد أن استمتعت الحكمة إلى الدموي وناقشت أقوال الخصوم المتنافسين ، ففكت بأن يترك الأمر إلى «إمام الشهداء» ليكون لها مطلق الحرية في أن تشار من تشاء ، زوجا لها في الجنة .

وتنقل الحكمة ، لينقل «المزى» سحوده إلى مشهد آخر ، المحطس بشم جماعة من الشهداء ، يدرر الحديث لها بينهم من ثمة انتقال الأبدية والمذهب الزيدي إلى بلاد «راق الرائق» ، وعبد مصلحه اللطاة ، من أمر بالمعروف ونهى من المنكر ونشر العدل والإسلام ، إلى جرد واستبعاد للنفس ، وانتبكت لحرمات الشجب ونهب أمواله ، وبنقى الحديث إلى انتزاع بمقد برثر طقت له الخطب والتصدد المثرة ، وبتدور بمقد محاتمه كبرى للطائفة ، حيث بلد السحابا ، واحدا بعد الآخر ، فيروي كل منهم ما لقي من بني المستبد الإثم ، وبعد ذلك تصدر الحكمة حكما ، بأن يبيت الشعب ليخوض بحركته الباسلة مع الطائفة ، ثم يقضى إليه بحكيمه ، وويل للطلاة من غلبة الشعوب .

وبعد فلتى الشعر بأش أرجزت الحديث من «ملكه راق الواق» أيجازا شديدا وفصحا المتنام من ذكر شيء مما جعل به الكتاب من روايع امنية وأحداث تاريخية وكل ما أرجوه أن أكون بهذه الإشارة الموجزة ، قد فسدت أراء الشريحة التي جعلت ليس يفرح ، بروي فمسولا حية من تاريخ بلد هو جزء من وطننا المرص الشعر بنيت المشاطلي و

ثار لولها جنال من لهما ، وحديث «المزى» من جرائمه ، ومن أمية الحكم الذي خلها ، فاستحق لعنة الرعية ، الليرة وعذاب الجعيم ويقول الطائفة : ولتكن كذت محكما بمقتية أبائي وأجدادي ، فلماذا لم تنسروا لي يمشى الممر ؟

فيجيب المزى : ومن التست المخرأ فشمب يراد به أن يحكم بمقتية المصور : الوستلى ، في العالم الجديد ؟ أنك كنت بنية شاذة خلقت من الماني في غلة من الزمان ، فكان وجودك وجودا غير شرعي في هذا العصر الحديث ؟

وعتب الطائفة : إذا كان ما تقول حقا وأخطأتى التوفيق ، فلتتوبن ليس يهدى وأيا هو بيد الله ، وبهذا أكون شعبة القدر ، ومظلوما لا ظالما .

وأجابه المزى : بل هو العدل الذي يؤهلك بما سلكت من دماء الأبرياء ، وما سلبت من ثوت الشهداء ، وما التزلت من أثم ، لحق عليك سوء للمصير وهول العقاب .

ورأى الرائد أن يترك «المزى» في جهنم تد ملأواشفق عليه من خلة النار ، فاجتنبه وخرج به من الباب السري ، إلى حيث وجد مرأته الشهداء في انتظاره بالأمراء ، وقد استلماوا أن ينظروا له برخصة غير مشروطة لدخول الجنة ، وانتلت جياذ بن جياذ اللردوس ، فخلقت بهم في الفناء ، وحلنهم إلى رحاب الجنة . وهناك التقوا بأحد شهداء راق الواق وأسمه «جفتان» لاستقبلهم بحثا وفتحوا رحاب ودار الحديث بينهم مما كابت بلادهم من معن وبلاد ، فكان مما ذكره حديث «أم آل أبي ثناء» التي نبح الطائفة أولادها الثلاثة ، لوثلت تحاكبه بين يدي الله . واستقلوا رحلتهم في الجنة ، التي إن تزلوا في حيلة فسيف من قوينهم لعمد ان الذي يلى له في القردوس على غرار قمره بلدين ، واللوا معه يمشى زائره ، فطاب لهم الحديث ، وقد استأنرته

من البيان المعجز

إن سعيكم لشيء !

« والليل اذا يغشى » والنهار اذا تجلى »
وما خلق الذكر والانثى » ان سعيكم لشيء »
فاما من اعطى واتقى ، وصديق بالحسنى »
فستيسره اليسرى » واما من بخل واستغنى ،
وكذب بالحسنى ، فستيسره اليسرى » وما يغنى
عنه ماله اذا تردى »

« قرآن كريم »

بسم الله الرحمن الرحيم

موسسه . بن سورة الليل ، وهى مكية
نزلت بعدها على الترتيب ، سور
الأنعام ، الأعراس ، والشرح ، والحصر ،
فبنت فيها ظاهرة اسلوبية من البيان
المعجز ، بجلو فيها المعاني بماديات
من الاضواء والانوار والظلمات ، في
مختلف درجاتها على مدى اليوم الواحد :
من فحشية الليل وتجلى النهار ، ومن
اشراق الضحى وسجود الليل ، ومن
تألق الحجر ايدانا ببولد الصبح ، وفطور
العصر في الاصيل ايدانا بفروب الشمس
ويتتابع الوهى من بعد ذلك ، فنجلو
المعنى من الهدى والضلال ، بالمادى
من النور والظلام .

والسورة تبدأ بواو القسم . والرأى
النسائد عند المفسرين ان القسم القرآنى
بها دليل على عظيمة القسم به . وسيطرت
عليهم هذه الفكرة فراحوا ينكفون وجه
التمظيم في كل قسم عليه بالواو ، دون
ان يفرقوا بين الحكمة والعظمة ، وسفلهم
ذلك من لمح الاسرار البيانية للسياق
الحكم ، الذى يربط القسم به بالمقسم
عليه .

والاستقراء الدقيق لواضع القسم القرآنى
بالواو ، يهينا الى انه اسلوب بياني
رائع ، لجلاء المعنويات بالحسيات .
ففيه يكون اللفت القوى بالواو ، الى
واقع حسي مدرك مشهود ، توطئة لبيان
ملا يدركه الحس ، من معنويات وغيبات
وفي سورة الليل ، نجد اللفت بهذا
الاسلوب البياني ، الى تفاوت ما بين
الليل والنهار ، واختلاف خلقه الذكر
والانثى ، توطئة لجلاء ما هو معنوى
من تفاوت سعى الناس ، وغيبى من
تفاوت الثواب والعقاب .

وان كنت اخشى ان يلتقط احد المطالعين
الآيات الاولى من سورة الليل ، فيتعجل
الاستدلال بها على رأى له في (دونية

(٢)

ودلالة القصد اوضح في آيات :
البقرة ١١٤ : «لومن اظلم ممن منع
مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسمى
في خرابها»
والمائدة ٣٢ ، ٦٤ : «ويسعون في
الارض فسادا»
رواضح ان السعى في آية الليل ،
هو من الدلالة الثانية ، اي العمل مع
القصد . وبطله السعى في آيات : الانسان
٢٢ ، النجم ٤٠ ، الغاشية ٥٩

واصل الشئ في اللغة التفرق .
يستعمل حسيا في الشئ (من الثغور) وهو
الفلج الاسنان . وذهبوا اشتقا ، اي
متفرقين . ومن التباعد والتوزع المحوطين
في التفرق ، استعمال القشت مجازيا
في تفرق الاهواء والقلوب واختلاف المقاصد
وفي الاستعمال القرآني ، جاءت المادة
خمس مرات : اثنتان بصيغة اشتقات ،
منصوبة على الحال :

النور ٦١ : « ليس عليكم جناح ان
تاكلوا جميعا او اشتاتا »
الزلزلة ١ : « يومئذ يصدر الناس
اشتاتا »

والثلاث الاخباريات ، بصيغة شتى :
آية الليل ، وآية الحشر ١٤ : «تدسبهم
جميعا وقلوبهم شتى»

وآية طه ٥٢ : «فاخرجنا به ازواجنا
من نبات شتى»

رواضح ان اشتاتا في الاستعمال
القرآني ، من التفرق المتقابل للتجمع ،
اما شتى فمن الاختلاف والتباين .

ولا حاجة بنا الى ان نجهد انفسنا
مع جمهرة المفسرين ، لتناول مقصد
القرآن الكريم بتباين السعى ، فقد تولت
الآيات بعد ذلك بيسانه ، بما لا يدع
مجالا لتناول :

«فاما من اعطى واتقى ، وصديق
بالحسن ، فسئسره للمعسر . واما
من بخل واستغنى ، وكذب بالحسن
فسئسره للمعسر»

ويعني هنا ، ان تبين وجه الاعطاء
والبخل .

ونستقرى مواضع الاعطاء في الكتاب
الكريم ، فنراه استعمال الاعطاء بسندا
الى البشر ، في : الصدقات ، والجزية

المرأة ١١ وكلا . . ليس في الامر الا
اللفت الى ما بين الجنسين من اختلاف
في الخلقة لا تسخ فيه نظرة احدهما ،
وهو واضح وضوح الليل والنهار ،
ولو جاز الاستشهاد بهذه الآيات على
اشراق في طبيعة احدهما دون الآخر ، كان
لنا ان نقول ان «الليل اذا يقشي» للذكر
«والنهار اذا تجلى» للانثى ، بمقتضى
النسق النظمي للآيات !

ولكن لا تتعلق بشيء من هذا ، لان
اللفت هنا - فيما لرى - الى ظاهر
الاختلاف ، الذي يدركه الناس بفطرتهم
ويشهدونه بحواسهم .

والتوجيه بهذا ، الى ما سيأتى بيانه
من تفاوت في سعى الناس في الدنيا

ثم من تباين الثواب والمتاب في الآخرة
والمال ، بما هو غير حسي ولا مشهود



« ان سعيكم لشتى »

وربما كان اصل السعى في الاستعمال
الحسي الشئوي ، هو الشئ . لحظ
فيه ان السامى ، بمعنى الماشى ، يبنى
ههنا او يتجه الى مقصد يداب له ،
فكان السعى بمعنى العمل مع القصد
والدأب .

وفي الاستعمال القرآني للبادء ، نجد
الدلالة الاولى للسعى بمعنى الشئ ،
على الحقيقة او التخيل ، في آيتي طه
٢٥ ، ٦٥ عن عصا موسى التي القاهما
«فاذا هي حية تسعى» وعن حبال السحرة
وعصيم : «ليخيل اليه من سحرهم انها
تسعى»

او على المجاز في آية (التحریم ٨٠) :
«النورهم يسعى بين ايديهم» وبمعناها آية
(الحديد - ١٢)

كما نجد الدلالة الثانية للسعى بمعنى
العمل ، في آيات :

الانبياء ١٤ «امن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن فلا كفران لسعيه»

الاسراء ١٦ «لومن ازاد الآخرة وسمى
لها سعيها وهو مؤمن فاوذلك كان سعيهم
مشكورا»

الكهف ١٠٤ : «قل هل ننبئكم بالآخرين
اعمالا ؟ الذين فعل سعيهم في الحياة
الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا»

(٣)

(التوبة) ، وامسك من ذكر وجه العطاء
في آية النجم :

« الفرايت الذي تولى . واعطى
قليلا واكدي »

التي نستأنس في تفسيرها بآية
الليل .

أما البخل ، فجاءت المادة في القرآن
لعلا ومصدرا - في احد عشر موضعا
يتبين من سياق الايات فيها جميعا ،
انه البخل بالمال ، وبما آتى الله من
فضل .

من هذه المواضع : اربعة في «سورة
مجد» متبعة بقوله تعالى : (والله الغنى
وانتم الفقراء) «

ومرتان في آية (آل عمران - ١٨٠)
متبعة بقوله تعالى : « ولله ميراث
السموات والارض »

ومرتان في آية (الحديد ٢) التي تختم
بقوله تعالى : (فان الله هو الغنى الغنى)

وانه كذلك ، الاعطاء والبخل
بالمال ، في آيتي الليل :

« فاما من اعطى واتقى »
«واما من بخل واستغنى»

بشاهد من النص في الايات بعدهما:
«وبما يغنى عنه ماله اذا تردى»

«الذي يؤتى ماله يتزكى»

والبخل بالمال او اعطاؤه ، انما
يكونان - كلاهما - فيما يجب ان ينفق
فيه المال من وجوه الخير العام ،
واداء حق الله فيه لاصحابه وذويه ،
على ما هو بين من تتبع الاستعمال
القرآني للمال والاموال ، على وجه
الاستقراء .

ومذا هو التصديق بالحسن ، من
اعطى واتقى . والتكذيب بها من بخل
وظن انه بماله مستغن عن فعل الخير
واداء حق الله والجماعة .

والتييسر لليسرى ، هو وعد الله
للباذلين المعطين المتقين ، ولم سأت
اليسرى في القرآن الكريم الا مع التبشير
مسندا الى الله تعالى ، وذلك في آيتين :
آية الليل ، وآية الاعلى :
(الونيسرك لليسرى) خطابا للرسول
عليه الصلاة والسلام . وما اروع ان
يرعد الذي اعطى واتقى ، بهذا الذي
اوتر به النبي الكريم !

اما العسرى ، فلم تات في القرآن
كله - بهذه الصيغة - الا في آية الليل
وحدها ، وان جاء العسر متابلا لليسر
في آيات «البقرة ١٨٥ - والطلاق ٧ -
والشرح ٥ ، ٦» كما جاء من المادة
عسر ، وعسير ، صفة ليوم القيامة بخامة
في آيات :

القمر ٨ : (يقول الكافرون هذا يوم
عسر)

المدثر ٩ : (فذلك يومئذ يوم عسير.
على الكافرين غير يسير)

الفرقان ٢٦ : «الملك يومئذ الحق
للرحمن ، وكان يوما على الكافرين
عسيرا»

وهذا الاختصاص ، يجلو حس البيان
القرآني للعسر الذي استعملته العربية
في تدبيرها اسما لقبيلة من الجن او ارض
يسكنونها : ثم قيل العسر للشكس الشرس
وللانثى عسيرة عليها ولانثى ، كما قيل

اعتسار البعير ، ركوبه قبل ترويضه .
وترفض بذهب القائلين بأن العسرى
جاءت في آية الليل ، مجرد رعاية الفاصلة
لما يجوز في البيان العالي ، التعلق
باعتبار شكلي ولزخرف لفظي ، دون
ان يقتضى المعنى استعمال اللفظ .

وقلينا طرق المعجيسون بين العسر
والمعسرة والعسرى في الدلالة اللفظية
مع ان العربية تغير صيغة المصدر او
الفعل ، للحظ خاص في الدلالة ، وهو
ما تشهد به المعجزة البيانية ، حين تؤثر

(٤)

«لما أغنى عنه ماله وما كسب»

والتردى ، لم يستعمله القرآن الكريم بهذه الصيغة إلا مرتين : في آية الليل وآية طه ١٦ :
«ان الساعة آتية .. فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى »
وتردى ، في التماس المرفى ، مطاوع النمل اردى ، ومنه في القرآن الكريم « وللكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم » - فصلت ٣

الفاطحة فراءه - في - سواء - الجحيم - قال تالله ان كنت لتردين - المانات ٥٦

والردى في اللغة : الهلاك ، وهيهات ان يغنى عن بخل ماله اذا تردى في مهواة الضلال والجحيم ..



« فانذرتكم نارا قلظى ، لا يصلها الا الاشقى ، الذى كذب وتولى ، وسبجنيها الاتقى ، الذى يؤتى ماله يتزكى ، وما لاحد عنده من نعمة تجزى ، الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ، وللسوف يرضى »

هو اذن الاتفاق للخير والحسن ابتغاء برضاة الله تعالى ، لا على سبيل الرياء والتصد الى منفعة فردية لآخر فيها لامة : (البقرة ٢٦٢ - النساء ٢٨ التوبة ٣٤)

وعلى هذا النسق الباهر ، يتم الربط بين المفسم به والمفسم عليه ، فيكون تفاوت المقاب والثواب على قدر تفاوت معنى البشر بين بخل خاسر واعطاء خير ، قد تجلى في اروع بيان ، بما استهلكت به السورة في اللفت الى واقع مشهود ، من اختلاف الليل اذا يفتى ، والنهار اذا تجلى ، وما خلق الذكر والانثى

صيفة بعينها فلا يمكن ان تقوم بصيغة اخرى مقابها .

واستعمال العسرى هنا ، ليس ملحوظا فيه المصدرية كالعسر والمصرة ، وانما الملحوظ فيه الصي العسر واشده او هو العسر الذى ما بعده عسر . ونظيره - من غير المادة - آية الدخان : « يوم نبطش البطش السكبرى انا منتقمون »

وآية الاعلى : (ويجنبها الاشقى ، الذى يصلى النار الكبرى ، ثم لا يموت فيها ولا يحيى)

واستعمال التيسير مع العسرى ، مبالغة في الوعيد والاذار ، ونظيره قوله تعالى في آية التوبة ٢٤ :

« والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ، فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحى عليها في نار جهنم فتسكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون »

ومما آيات : النساء ١٢٨ - التوبة ٣ - لقمان ٧ - الجاثية ٨ - آل عمران ٢١ - الانشقاق ٢٤ .. وفيها جميعا التيسير بعذاب اليم للنافقين ، والكفار ، والمتكبرين والباغين : مبالغة في الوعيد ، كهذا التيسير للعسرى لمن بخل واستغنى ..

(لوما يغنى عنه ماله اذا تردى) والقرآن الكريم يفرق تباها بين الغنى والمال ، ويكرر النذير لاسحاب المال من اسلتهم فتنته :
«لما اغنى عنهم ماله وما يكسبون» . (لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا) «لما اغنى عنى ماله»



« ويل لكل همزة لمزة • الذي جمع مالا وعدده • يحسب أن ماله أخذه • كلا لينبذن في الحطمة •
وما أدراك ما الحطمة • نار الله الموقدة • التي تطلع على الأفئدة • إنها عليهم مؤصدة • في
عند مودة »

قرآن كريم

وما أدراك ما المحطمة

بقلم الدكتور بنت السالح

هذه آيات « سورة الهنزة » وهي من السور المكبة التي اختصت بالدعوة إلى
تحرير البشرية من أوضاع اجتماعية فاسدة مادية . واللافت في السورة ، أنها لا تتحدث
من الوثنية المبنية ، وإنما الحديث كله عن وثنية المال وما تدفع اليه من تجبر وغرور
وإزدراء للناس ممن لا جاء لهم ولا مال - وتحطير لهم .
والنذير فيها بالمصير الرهيب لهؤلاء المتكبرين المفتونين بجمع المال وحشده ،
مثلها في ذلك مثل سور الليل ، والتكاثر والبلد ، والماعون ، والطفلين . . وفيها
الويل لأولئك الذين تكالبوا على الحطام الغاني ، وزين لهم الغرور أنهم طبقه
فوق البشر ، فراحوا في خيالاتهم وطمعائهم يستعبدون الناس ويزدرونهم . .

(٢)



وتبدأ السورة بآية :

(ويل لكل همزة لمزة)

وذلك الإنذار بالويل، تكرر سبعاً ومشرين مرة في القرآن الكريم: للكافرين، والمشركين والمكذبين، والظالمين، والمطفلين، والذين هم عن صلاتهم ساهون، والمرأتين، والذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون: هذا من عند الله، والقاسية قلوبهم، وكل آفاك أثيم ..

ولم تأت «الهمزة» — بهذه الصيغة — في القرآن كله إلا في هذه الآية، وإن جاء من مادتها صيغتان أخريان في موضعين : آية القلم (١) : «ولا تطع كل حلاف مهين. همار مثاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم»

المؤمنون ٩٧ : «وقل رب، أعوذ بك من همزات الشياطين»

كذلك لم تأت «لمزة» في القرآن كله بهذه الصيغة إلا هنا، وجاء من مادتها الفعل مشارفاً في ثلاث آيات :

الحجرات ١١ : «ولا تلغزوا أنفسكم، ولا تنابزوا باللقاب»

التوبة ٥٨ : «ومنهم من يلغزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون»

ومعها اللز في الصدقات كذلك، في آية التوبة ٧٩

وهذا كل ما في القرآن الكريم من مادتي الهمز واللمز ..

ولاختلاف بين المفسرين أو اللغويين، في أن مثل صيغة همزة، ولمزة، تستعمل فبين يكثر منه الفعل حتى كان ذلك عادة منه قد ضرى بها. لكنهم لم ينتقلوا على الدلالة : فبينهم من لا يفرق بين الهمزة واللمزة، ومنهم من جعل الهمز للتحقير والعيب في الغيبة، أو التعريض بالإشارة والكلام البهم. أما اللمز فهو تحقير الغير صراحة ومواجهة .. ومنهم من قال بالعكس ..

ونحتكم إلى القرآن الكريم، فنراه يفرق بين الداليتين، حين يستعمل الهمز لوسوسة الشيطان، والنعمة، وفيهما الخفاء والغيبة، أما اللمز فيستعمله مع المتنازير باللقاب، وفي الاعتراض على تقسيم الصدقات، ولا يكون ذلك إلا مواجهة ..

وهذه التفرقة، تؤكد أصالة الاستعمال اللغوي، الذي فرقت فيه العربية بين المادتين، فاستعملت اللمز في الضرب والظعن، أما الهمز فاستعملته حسياً، في الدعوة — بفتح الهاء — للمكان المنخسف، والنقوة، والمهاز حذيدة في مؤخر خذ الذي يروض الفرس، والمهاز مقارع النخاسين، ينخسون بها الدواب والرقيق، ولا يكون النخس في العربية إلا في مؤخر الدابة أو جنبها ..



وبين القرآن الكريم، دوافع ذلك

الدأب على تحقير الناس همزا ولمزا، في الآية التالية :

«الذي جمع مالا وعدده»

هو أذن غرور المال وضلاله. ويلحظ هنا أن القرآن استعمل جمع، وهي تأتي في الحشد مع الكثرة والاختلاط. وذلك هو حس العربية الأميل للبادء، حيث أطلقت الجمعية على ما اجتمع من الرمال، وجباة الناس اخلاطهم، وتجمعوا، اجتمعوا من هنا وهناك، والاجماع تسوق الأبل جميعاً، والجمع الجند يحشد للمعركة. وذلك هو مانحسه، في تتبع الاستعمال القرآني للبادء، وأكثر ماتجىء ليوم القيامة في نحو أربعين موضعاً، لا يخطئنا فيها هذا الحشد الكثير المخطط : المرسلات ٢٨ : «هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين»

الشورى ٧ : «وتنفر يوم الجمع لأرباب فيه ..»

الكهف ٩٩ : «ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا»

الباقية ٢٦ : «قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجعلكم إلى يوم القيامة»

(٣)

ومع الردع بكلا ، يأتي هذا النذ الذي
استعملته العربية في الشيء الهين المطروح .
والمنبذ : ولد الزنا ، واللقيط الملقى في
الطريق ، والنبيذة : الناقة لا تؤكل من فرط
سقمها وهزالها . والانسا : الأوباش
وبكل ما في هذا ، من دلالة الهوان
والضياع والطرح واللقاء يستعمله القرآن
في آية الهزة ، بصيغة التأكيد ، لعابد المال
المتجبر الذي يحتقر الناس ويزدريهم
ويبهزنا هنا في البيان المعجز ، أن يختار
النذ للهزة . اللزة الذي يزدرى الناس
قاتلين وحاضرين ، وإن يتوعد سبحانه
من يحسب إن ماله أخذه ، بخلود لم
يخطر له على بال ، منبذاً في الحطمة !
وأصل الحطم في العربية الكسر ، مع
اختصاص بكسر ما هو يابس كالمنظام .
ومن استعماله الأصل فيها : الحطوم
للأسد يحطم كل شيء بدقه ، وللريح تقوض
البناء . والحاطوم والحطمة : السنة المشنومة
ورجل حطم : يلتهم كل شيء ولا يشبع .
وهذا الملاحظ ، من التكسير مع الفرواوة
والعنف والقسوة ، لا تخطئه في الاستعمال
القرآني للباد ، وقد جاءت فيه ، في ستة
مواضع ، أحدها فعل مضارع ، في آية النمل
١٨ :

«لحقى إذا اتوا على وادى النمل قالت
نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم
سليمان وجنوده»
ولنا أن تصور ، وطأة الحطم من جنود
سليمان من أنس وجن ، للنمل مع ضآلته
وضغفه !

وثلاثة ، بصيغة حطام ، للزرع المصفر
البيس المهيتم ، تمثيلاً لحطام الدنيا ،
في آيات الزمر ٢١ ، والحديد . ومنها
آية الواقعة ٦٥ .

والمرتان الباقيتان ، بصيغة الحطمة ، في
سورة الهزة ، التي انفردت بهذه الصيغة
وتولت الآيات بعدها بياتها :

« وما أدراك ما الحطمة ؟ »
واستعمال ما الاستفهامية في هذا الأسلوب
يحتفظ لها بأصيل دلالتها الملوية على النفي .
والدراية أخص من العلم . والخاصة البيانية
لهذا الأسلوب في القرآن الكريم ، استعماله
في التهويل والاثارة ، لما يجاوز دراية البشر
أبداً لجلال الأمر وعظمه ، كما في آيات :
القدر ٢ : «أنا أنزلناه في ليلة القدر .
وما أدراك ما ليلة القدر» .

التناب ٩ : «يوم يجمعكم ليوم الجمع»
ذلك يوم التناب»

آل عمران ٩ : «ربنا أنك جامع الناس
ليوم لا ريب فيه»

الدخان ٤٠ : «إن يوم الفصل ميقاتهم
اجمعين»

هود ١٠٣ : «ذلك يوم مجبوع له الناس
وذلك يوم مشهود» .

وجاء الجمع ، في غير القيامة ، ملحوظاً
فيه كذلك هذا الحشد مع الكثرة والاختلاط
في مثل آية المعارج ١٨ :

« كلا إنها لظي ، نزاعة للشوى ، تدعو
من أدبر وتولى . وجمع فاروس »

وفيها النذير والوعيد ، لن جمع فاروس
كهذا النذير في «الهزة» لن جمع مالا
وعده .



«يحسب أن ماله أخذه»

والخلد في العربية ، النبات وطول المقام

استعملته حسياً في الخوالد ، وهي الجبال
والحجارة والصخور ، لطول بقائها ، ومنها
تيل المخلد ، فترجل الذي أسن دون أن
يشيب !

والخلد في المعجم القرآني مره البياتي
الباهر : فهو لا يكون أبداً إلا في الدار الآخرة
وقد أحصيت من مواضع استعماله فيها
٧٥ مرة ، مناصلة بين الخلود في الجنة
والنعيم (٢٨ مرة) أو في النار والعذاب
والجحيم (٣٧ مرة) !

أما حين يستعمله في الدنيا ، فعلى
وجه النفي والإنكار ، أن يكون في العاجلة
الفانية خلوداً ترى ذلك واضحاً في آيات :
الأنبياء ٣٤ : «وما جعلنا لبشر من قبلك
الخلد ، أفئن من فهم الخالدون ، كل نفس
ذائقة الموت وتبلوكم بالشر والخير فتنة ،
والينا ترجعون .»

الأنبياء ٨ : «وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً
نوحى إليهم ، فاسألوا أهل الذكر إن
كنتم لاتعلمون . وما جعلناهم جسداً لا ياكلون
الطعام وما كانوا خالدين»

الشعراء ١٢٩ : «ولتخذون مصانع لملكم
تخلدون . وإذا بطشتم بطشتم جبارين»
ومنها آية «الهزة» : الذي جمع مالا
وعده ، يحسب أن ماله أخذه !

« كلا ! لينبذن في الحطمة »

البلد ١٢ : « فلا اتحمم العقبة . وما ادراك ما العقبة »
واما لكونه من الغيب المتعلق بالمصير المحتوم ، في اليوم الآخر الذي تقصر دراية البشر عن تصور . ومبطله ، وذلك في آيات : المطفون ١٨ : « كلا ان كتاب الابرار لغى عليين . وما ادراك ما عليون »
الحاقة ٢ : « الحاقة ، ما الحاقة . وما ادراك ما الحاقة »
القارعة ٣ : « القارعة ، ما القارعة . وما ادراك ما القارعة »
المرسلات ١٤ : « لا يوم اجلت . ليوم الفصل ، وما ادراك ما يوم الفصل »
الانطار ١٧ : « وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين »
القارعة ١٠ : « وما ادراك ما هي . نار حامية . »
الذثر ٢٧ : « سألني سقر . وما ادراك ما سقر »
المطفون ٨ : « كلا ان كتاب الفجار لغى سجين . وما ادراك ما سجين »
وفي كل هذه الآيات ، يعتب القرآن الكريم عليها ببيان لناط العظمة او الهول . والخطبة في آية الهزة ، مملوءة ببياناتها :
« نار الله الموقدة »
وباستبراء الاستعمال القرآني للنار تدرى الغالبية مجيئها لنار الآخرة حيث استعملت فيها نحو ١٢ مرة ، مقابل ٢٥ مرة للنار في الدنيا ، اما على الحقيقة ، واما على المجاز في نار الحرب (المائدة ٦٤) .
ومع قلبية استعماله للنار في الآخرة فلم يستعملها قط مضانة الى الله تعالى ، الا في آية الهزة افشهد ذلك بفداحة النكر

لمبودية المال وما يغري به من تكبر وبني وضلال . .
والاصل في النار ، ان تكون مقتدة . ونرى البيان المعجز قد وصفها مع ذلك ، في هذا المقام ، بانها نار الله الموقدة ، مخالفة في التفسير والترهيب . وقد استعمل القرآن الكريم صيغة وقود ، لنار جهنم على التخصيص ، مع بيان لمادة هذا الوقود في آيات :
البقرة ٢٤ : « فابتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة »
ومنها آيتا : آل عمران ١١ ، والتحريم ٦٦
والانبياء ٩٨ : « انكم وما تمبدون من دون الله حصب جهنم »
والجن ١٥ : « وما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً »
ونلاحظ بياني آخر نار الله الموقدة . « التي تطلع على الانثدة »
فقد اسند الاطلاق الى النار فخصها بهذا الاسناد كائنا حيا يطلع على الانثدة فخصها في شأها اخرى .
بصرة : « اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا »
داعية : « تدعو من ادبر وتولي . وجمع فاوغى »
منفعة : « اذا اللوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ »
واعطاهما صفة اللابة على المفتونين المخدوعين والكنار في آية الحديد :
« فالיום لا يخذلنكم ندية ولا من الناس فكروا ، ما واكم النار هي مولاكم ، وبشس والكسب »
فوجب التنبية والامتنار .

وتختتم السورة بهذا الوعيد الرهيب : « انها عليهم مؤسدة . في عهد ممددة »
فنلح السر البياني الرائع في استعماله : عليهم ، بما تفيد من الاطباق الملاصق المباشر ، ولا يمكن ان تقوم مقامها بيانيا : فوقهم ، . . لاحتمال أن تكون الخوفية غير ملاسقة ولا مباشرة .
والعربية استعملت الوصيد كلبية يتخذ للمال من حجارة في الجبال ، كما استعملت المصيد ، لخدر المزة المحجة ، ومن هذا الاحكام والتحسين ، قبل اوصد الباب اذا اغلته وسده سدا محكما .
ولم تات المادة في القرآن الكريم الا ثلاث مرات : المصيد في آية الكهف ، ومؤسدة في ختام سورة البلد :
« الذين كفروا باياتناهم اصحاب المشامة عليهم نار مؤسدة » والآية مسبوقة ببيان لوضع اجتماعية فاسدة ، ضل فيها ذور المال ضلالا بعيدا . فاسترقوا اليسر ، وطفوا واستكبروا . . .
وفيها من الايصاد ، والاطباق الملاصق المباشر ، ما في ختام سورة الهزرة .
« عليهم نار مؤسدة . في عهد ممددة »
نذيرا ، كذلك ، لكل هزة لمزة ، الذي جمع مالا وعدده



من

البيان
المعبر

« أرايت الذى يكذب بالدين ؟
فذلك الذى يدع اليتيم
ولا يحض على طعام المسكين »
(قرآن كريم)

أرايت الذى يكذب بالدين؟

بسم الله الرحمن الرحيم
الكسوف بنت الساطع

من القرآن الكريم هذه الآيات
الى الانسان الشريفة ، فى طموحها الى
الخير ، وسعيها الدائب نحو مجتمع
مثالى ، يتوأمى فيه الناس بالحق .
ويتشاهون عن المنكر .
والآيات الثلاث مكية ، من « سورة
الماعون » وقد نزلت بعد « سورة التكاثر »

التي ابتدأت من يتكالبون على حطام
الدنيا ، الى اثره وغرور ، بالجحيم
يرونها . فمن اليقين .
وتستهل السورة بهذا الاستفهام
المثير : « أرايت الذى يكذب بالدين »
والاصل فى الاستفهام ، فى الوضع
اللفوى ، ان يكون من اسائل يطلب فهم
ملا يعلم . اما حين يكون السائل على
علم بالمستفهم عنه ، فان الاستفهام يخرج
بذلك من وضعه اللفوى الى وضع
بلاغى .
ولما احصى البلاغيون من اغراض يخرج
اليها الاستفهام عن معناه الاصلى ، لا اجد
المصطلح الذى يجلو السر البيانى لمل
هذا الاستفهام القرآنى فى آية الماعون

كما لا اجد فيها ذكرا مفسرون - منهم
الإمام الشيخ محمد عبده - من ان المقصود
به هنا ، التنبيه الى خفى مجهول . على
هين ارى اعجازه البلاغى ، فى الاستفهام
فما يراه الناس واضحا غير خفى ، ويحسبونه
معلوما غير مجهول ، اذ ليس التكذيب
بالدين مظنة خفاء ، والناس يرون انه
سركى الانسان لى يكون مصدقا بالدين .
ان ينطق بالشهانتين ، ويؤدي العبادات
المفروضة من صلاة وصوم ، وزكاة وحج .
ومن ثم ياتى هذا الاستفهام ، عما يراه
الناس مستغنيا عن كل بيان ، فيثير أقصى
الانتباه واليقظة ، والدهشة والترقب ،
انتظارا لجواب غير متوقع ، وتطلعا الى
معرفة ماذا يكون التكذيب بالدين غير
الذى يعلمون من امره :

(٢)

والكذب نقبش الصدق ، وقد استعملته
المربية أمالة في الناقة يظن انها حامل
ثم تخلف الظن ، وفي البرق يومهم ان
وراءه مطرا ثم لا يكون مطر : كما استعملته
في خداع الحص . فقالوا كذبت . حين
اذا اخطأت حقيقة ما تبصرة . وانتقل
الاستعمال مجازيا الى الرؤيا الكاذبة ،
والرجاء الكاذب ، وكل ما خلف الظن
والثقة .
وبهذا الحس الاصيل ، من خيانة التقدير
ومخالفة الحق ، ياتي التكذيب في القرآن
الكريم ، اكثر مايجب ، في التكذيب بالله
وآياته ، وبين اسطفي من انبياء مرسلين ،
وهو التكذيب بالحق والصدق . ومنه كذلك ،
التكذيب بالنذر ، وبالساعة ، وبلقاء الله
والآخرة ويدوم العمل ، ويجهنم والمذاب
وكثير في القرآن الكريم اللعن والاذار
بمعاذبة المكذبين ، ووصفوا بانهم الضالون
والجرامون ، والكافرون ، والخافلون .
كما اسند اليهم : الافتراء ، والظلم ، والاثم
والاعتداء ، والمعصية والخسران ، واتباع
الاهواء .
وجاء التكذيب بالدين في آيات :
الانفطار ٩ : « يا ايها الانسان ما غرك
بربك الكريم ، الذي خلقك ، ثم سواك فعدلك
في اي سورة مناساء ركبك . فلا بل تكذبون
بالدين » .
التين ٧ : « لعل يكذبك بعد بالدين .
اليس الله باحكم الحاكمين »
وأية الماعون : « ارايت الذي يكذب
بالدين » .
« فذلك الذي يدع اليتيم »
والدع : الدلع العنيف مع قسوة وجفوة
ولم يستعمله القرآن الكريم الا في موضعين
الاول ، عن المعاملة في الدنيا ، وقد
خص به اليتيم في هذه الآية .
والثاني ، عن المعاملة في الآخرة ،
وقد خص به المكذبين ، في آية الطور :
« قول للمكذبين . الذين هم في خوض
يلعبون . يوم يدعون الى نار جهنم دعا .
هذه النار التي كنتم بها تكذبون » .
وهذا وحده ، يكفي للسح الحس القرائي
للدع ، بها فيه من قسوة وجفوة وصرامة .

واليتيم في العربية الانفراد . واليتيم
من الناس من فقد اباه . استعمله القرآن
الكريم ، مفردا ، ثمانى مرات ، بينما
لا يتعرض له اليتيم من ظلم ، وضياع
وتقهر ، ودع ا واحداها للرسول الكريم
في آية الفصحى :
« ايم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا
فهدى . ووجدك عائلا فأغنى . ذلها
اليتيم فلا تقهر » .
نلمة كبرى يذكر الله بها عبده اليتيم
المسطنى للنبرة ، ليحيى اليتيم من التقهر
كما حياه سبحانه وآواه .
والعربية تجب اليتيم على : ايتام ،
ويتامى ، وميتمة . لكن القرآن الكريم
لا يستعمل من هذه الجوع الا اليتامى ،
في كل المواضع التي ورد فيها جمع يتيم
وعدها اربعة عشر موضعا ، مما يؤكد
اختصاص القرآن بمعجمه الفريد .
ويلاحظ في تتبع آياته الكريمة في اليتيم
واليتامى ، ان اليتيم جاء مع المسكين والاسير
في آية الانسان (٨) ومع الرقيق ،
ومسكين ذي متربة في آية البلد (١٥)
ومع الضال والعائل في آية الفصحى (٩) .
كما جاء اليتامى مع المسكين وابن السبيل
في خمس آيات ، وجاء معهم الارقاء في
آيتي البقرة (١٧٧) النساء (٣٦)
فشهد ذلك بحساسية باللغة الدقة لكان
اليتيم في الوضع الاجتماعي الفاسد
المتصدع ، مما اقتضى ان يقرر القرآن
الكريم حق اليتيم في المجتمع الاسلامي
الصالح ، وان يجعله تاليا لحق الله
والرسول وذي القربى ، في آيتي
الانفال (٤١) والحشر (٧) وبمهما آتينا
البقرة (١٧٧ ، ٢١٥) كما جعل الاحسان
باليتامى ، تاليا لعبادة الله والاحسان
بالوالدين وذي القربى في آيتي البقرة
(٨٢) والنساء (٣٦)
وصور من ياكلون اموال اليتامى ظلما
بهذه الصورة البيانية البالغة اتقى الترهيب
والبشاعة والوعيد :
« ان الذين ياكلون اموال اليتامى
ظلماء ، انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون
سعيرا » النساء ١٠
واكل مال اليتيم ، مع ذلك ، ليس افدح
ذكرا من « دع اليتيم » الذي يمسده
القرآن الكريم تكذيبا بالدين ، كما بعد منه
كذلك :

(٢)

والمرحمة ، وفي حسابهم انه يكفى الانتماء
ان يعيش لنفسه ويعمل لصالحه ويؤدي
واجبه الفردي ، وان خطيئات غيره ،
لا تقع عليه منها تبعه السلبية والسكوت على
منكره



وبمثل ذلك البيان المعجز ، يروى
القرآن الكريم بشريتنا على احتمال
المسئولية العامة ، ويرتقى بها الى حيث
لا يكتفى منها بالعمل الايجابى او السلوك
الفردي ، بل يعتبر دع اليتيم تكذيبا
بالدين ، كما يعتبر عدم الحس على
الخير كفرا وخطيئة ولعنة ، وليس وراء
ذلك مطمح للانسانية ، في الالتزام بتبعه
انسانيتها ، واحتمال امانة الحق العام ،
في التسامح بالحق والخير ، والتناهى
عن المنكر



والان وانا اوشك ان ادع هذا الحديث
الى القراء من البيان المعجز الى حوسبه
في رمضان المقبل ان شاء الله ، اود
ان اعتذر الى محبتهم ، شكوا الى ،
ما يجدون من صعوبة في متابعة ما اكتب .
واشهد لقد حاولت جهدى ، التبسيط
والتيسير والابحار ، فاذا بقيت بعد ذلك
صعوبة ، فلاباس على القراء من احتياها
وهم الذين يحتفلون اليه . تسراة
«اللامعقول» ولا مجال للقياس او مقارنة
بينه وبين ما لتساؤل من اسرار المعجزة
البيانية الخالدة



« ولا يحض على طعام المسكين »
والعرية تستعمل الحشر في الحث
وبعث الحية ، واعمل استعماله ل الحث
على السير ، او لعل الاصل فيه : الحث
وهو داء يشقى بمصاراة العبر ، او
هو مصارة العبر يتداوى بها .
اما القرآن الكريم فله ملحظ خاص
في هذا اللفظ ، حيث لم يستعمله قط الا
في انكار عدم الحس على رعاية
المسكين . ويظهرنا من اتساق بيانه المعجز
انه جاء بهذا الانكار ، قرين الكفر بالله
والتكذيب بالدين :

نفي آية الحاقة ٢٤ : « انه كان لا يؤمن
بالله العظيم . ولا يحض على طعام
المسكين . فليس له اليوم ههنا حبيب .
ولا طعام الا من غسلين . لا ياكله الا
الخاطنون »

وفي آية النجر ١٧ : « كلا بل لا تكرمون
اليتيم . ولا تحاضون على طعام المسكين
وتاكلون الثراث اكلا لما . وتخبون المال
هبا جاء كلا اذا دكت الارض دكا دكا »
وفي آية الماعون : « ارايت الذي
يكذب بالدين . لذلك الذي يدع اليتيم .
ولا يحض على طعام المسكين . فويل للمصلين
الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين
هم يراعون ويعلمون الماعون »
وذلك هو كل ما في القرآن الكر
من الحس خمس به اولئك المسلمين الذين
لا يودون حتى الجساعة ، ولا يتدأمون بالخير

شاعرة من العراق

في قديمنا ، تلقى بنو الخنساء الميراث
الشعري عن أمهم الشاعرة ، وفي
حديثنا ، تلقت نازك الملائكة
ميراثها الأصيل ، عن أم شاعرة !

.. من أم نزار .. إلى نازك ..

الدراسة التي أجراها

يقام الدكتور بنت الساطع

في دراستي للخنساء : شاعرة العربية
الأولى ، ولقت طيل التأمل في الميراث
الشعري الذي تلقته الشاعرة عن قبيلتها
فيس ميلان ، وآبائها المسلمين ، ثم
أورثته بنيتها من بعدها ، فكانوا كلهم
شعراء !

وتمثل « أم نزار » بشخصيتها وشعرها ، ذروة التمرد الثوري في أعماق المرأة العربية المكبلة بالاغلال ، كما تسجل هدير الموجة المتخفزة للانطلاق عبر العواجز والسدود ، وترجع أصداً شحنة باهظة من الأسى والشجن ، لاجيال متعاقبة من أمهاتنا ، طال عليهم الأمد وهن بهدرات. الوجود العاطفي ، مجهذات بالواد المعنوي .

ولقد ظهرت « عائشة عصمت تيمور » في الأفق الأدبي ، قبل أم نزار بنصف قرن أو أكثر ، فكانت شاعرة الطليعة. لكنها اكتفت بتحقيق وجودها الأدبي من وراء حجاب ، دون أن تفكر قط في التمرد على الاغلال ، أو تعلن دعاء فجر جديد للمرأة العربية المخدرة في قفص الحریم ، اللامية بصليل أصفادها من عقود واساور وخلاخيل ، تحيط بالعنق والذراع والساق ! بل ان التيمورية اعتزت بحجابها التركي وباعت بحجلها مفاخرة في تضيقها البائس المشورة :

بيد العفاف أمون عز حجابي
وبعضني أسمر على اثرابي
ما عاتني حجلي عن العلياء ولا
سدل الخمار بلعني وقساى
وكانت « أم نزار » مثلها مقيسة بالحجل مكبلة بالاغلال ، لكنها ظلت ما عاشت تهدر بالثورة عليها ، وتئن من معاناة الصراع بين واقعها المقيّد وطموحها الطليق :

فلام يا قلبى الطموح تهيم في
وديان افكار تضيق العلقما
جاوزت بأقلبي الحدود الم يحن
لك ان تكف عن الطموح وتساما
ثم لما اعيها ان تحطم قضبان القفس ، تركت الامانة لجيل باتها ، يحدوهن دعاؤها المير :

رغبتين على الاسر
فهتتن مدى العمر
وامعتتن في الصبر
على غائلة الدهر !

متى تعملن للافلا
ت من اسر الشقا المعاني
متى تفخرن بالماضي
متى تبسمن للآتي

الفناء الضعف وارتحنا

ولم يكن الذي لفتني الى ذلك الميراث الشعري ، تلك الاناشيد الحماسية التي قالها بنوها الاربعة « يوم الفادسية » والتي اعتزت بها كتب طبقات الصحابة مثل « الاصابة » و « الاستيعاب » ونقلتها اكثر الكتب المدرسية للدب العربي . وانما لفتني اليه بوجه خاص ، ان الخمساء هي ام الشاعر « ابي شجرة ابن عبد العزى السلمي » الذي حرص « الطبري » - عميد مؤرخي الاسلام - على رواية شعره في حروب الردة ، وانها كذلك ، ام الشاعر المشهور « العباس ابن مرداس » الذي احتفل به مؤرخو الادب العربي من قديم ، فترجم له الاصلهاني في (الاغانى) وابن قتيبة في (الشعر والشعراء) والوزباني في (معجم الشعراء) واختار ابو تمام عددا من قصائده في (ديوان الحماسة) كما اختار البحتري ثمانى قصائد له في (حماسته) .

واحتفل به كذلك مؤرخو الاسلام وكتاب السيرة الاولون ، وبحسبي ان اذكر هنا ان « ابن هشام » روى له في (السيرة النبوية) اكثر من عشر قصائد طوال جياذ ، قالها في « يوم حنين » وحده ، مما يشهد بمدى مواتاة شاعريته الخصبة .

ولم يتخلف هذا الميراث الشعري في ابنة الخمساء « عمرة بنت مرداس » الشاعرة المشهورة بمراثيها في ابوها مرداس ، واخيها العباس بن مرداس وولدها الاخير .



وحين بدا لي ان اتبع ميراث الامومة الشاعرة في تاريخنا الادبي ، ذكرت اول ما ذكرت ، الشاعرة العراقية « أم نزار الملائكة » التي انجبت شاعرة عمرنا نازك الملائكة .

وام نزار : « السيدة سلمى بنت عبد الرازي الكاظمية » تنتمي الى اسرة عربية عريقة ، يتصل نسبها بالثلث في العيرة ، وليس بينها وبين « نازك » من فرق السن ، غير خمسة عشر عاماً ، لكن هذه الفترة الزمنية القصيرة ، شهدت برادر الانتقال الحاسم بين جيل الحریم التركي ، وبين جيلنا الذي اثلت من قفس الخدر ، وانطلق الى الافاق الرحبة .

لباوانا، رضىات
فلم نهو من الدنيا
مسوى ثوب وبرة !

كذلك لم تحاول شاعرة الطبيعة ان تتجاوز حدود دنياها الخاصة ، الى الحياة العامة لتؤمها ، اللهم الا في المجال المشنوم ، الحدود ببلاد السلطان والخبو ، فجاء شعرها الى ياس هابطا سقيما مسقا ، على حين استطاعت « ام نزار » - ولم تتج لها مثل ظروف عائشة تيمور - ان تنطلق من محبتها عبر الاسوار والتضيقان ، محقة في الاتفاق القومي العام ، ومشاركة في قضايا المرب بكل حباسها ووجدانها وقد استأثرت قضية فلسطين ، حين لاحت نذر اللكة ، باهتمام الشاعرة ، ولها فيها قصائد ذات ملد ، بلغت احداها مائة بيت ، وفيها ترنم النجوى الى الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا :

بخيوش من كل عان مريد
واستحالت ارض السلام مبادي
ن حروب بين الهدى واليهود !

وتقول في قصيدة اخرى :

هادث فيسه للعروبة دل

سبعند عز قد طاول الاحقاب

افترضي الليوث ان يطا الفا

ب عدو فيستبيح الغابا !

مسجلة بذلك انطلاق الشاعرة العربية من حدود ذاتيتها الفردية ، الى رحاب الذاتية الجماعية للامة العربية

وفي الصورة الفنية ، مالت « ام نزار » الى نوع من التحرر في الشكل التقليدي للقصيدة العربية ، فتصرت في التوزيع الموسيقي لبعض قصائدها ، استجابة للنغم الداخلي في وجدانها ، ويظهر هذا بوضوح في قصيدتها « المذبح الصامت » :

ايها الصامت العذب رحي
بعدما كنت مؤننى وسيمرى
هاج لى صمكت الحزين شجونا
مبهيات ، فغاب عنى سرورى
ودعنتى الاوهام تبعث في الاف
سق صنوفا من العذاب البشرى
اتانى بالقرب منك لعل
قرب شاف من لوعتى وسيمرى
وامنى النفس التى فانها الصيرة
مر بلحن من صوتك المسحور
لنقل البحث ساعدى وامنى الى
جهنم لللى وهنتى تفكرى
فلمنى استطيع لحرمان سرورى
غاب عنى فتنتى في ديجور
وسجا الليل واعتكر
وتفنييت بالسر
اجهد القلب بالفكر
كيف اسلو والسكون شبح
مرعبسات وللدجى اوهام
وحسوالى عالم يتنوى
في اصاليه ، فلا يلتام
وعلى الافق حمرة تترادى
وعلى الارض من بنيتها ركام
وحيالى من اشتبال الماسى
نعم جسد جدها وفهرام
ثم تمضى على هذا النسق حتى نغتم
القصيدة بهذا القطع :

فانا بين وحدتى
وسكونى ولهنتى
وهن شجو وحيرة !

مقدمة لنا من قرانها الشعرى ما يضيء لنا شخصية ابنتها الشاعرة « نازك » اضاءة كبرى ، تكشف عن سر ذلك الالم العبقري الذى يصهر وجدانها الرهف ، وتجلو ملامح « الذاتية الانسانية » التى تميز شعر « نازك » بحيث يشق على القارىء ان يفعل فيه بين تجربتها الخاصة ، وبين التجربة البشرية المعلقة في اعماق النفس الانسانية وفي شعر « ام نزار » المقدمة الطبيعية لجديد ابنتها « نازك » والملاح الاولى لما اضافته بسخاء الى الشعر العربى ، حين انطلقت به في امثلة وابداع من حدود السطح والشكل ، ومن ابعاد الطول والعرض ، الى العمق والجوهر والعميم !

واذا كانت نازك في اهدائها ديوانها الى امها ، قد سجلت انها اكبر شاعرة خفية تلمذت عليها ، فمن الحق ان اضيف الى هذه التلمذة ، ما اخذت نازك عن امها تلقائيا ، من ميراث شعري اصيل ، هيا لها ان تكون دون اديبات الجيل ، شاعرة عربية الاولى في عصرنا ؟



نازك الملائكة

يارسول الهدى اجر قدسك السا
من وانفسد مسراك من تهديد
فلسكم في ديار مسرك بسؤس
وشهيد يروح اثر شمس شهيد
لحرقت حرمة البراق. وريعت



الدرس الأخير

معلم الجليل

لم يمت لحياته ...

ولم يدخل هنا بغير وداع ...

بل لبث المدي أسابيع وأيام ، يذوي أمام أعيننا في استسلام وديع ، وينيب
هنا لحظات في تأمل مستغرق ، فيخيل البنا أنه يتصل بغير عالم الأرض ، وبطل
بروحه على المني بعيد ، غير مدرك ولا منظور ...

لم يلوب البنا ، هشا كالطويل ، شحاشا كالروح ، رابعا كالملك ...



وتخلق من النقال مادته رويدا رويدا ، فتضال جسده ووهنت حركته ، وخفت
صوته حتى صار الى هس ، ولم يعد كيانه النحيل يستجيب لجاذبية من أرضنا ،
ونحن حاشمون بين يديه ، نبرك أنه يمر الجسر الخلفي بين الأرض والسماء ،
ليتمهل في خطوه ، كيلا يروعنا بصدمة الباعثة ، وكى يمتلأ فرصة الفوز
للفراق لا يدري أحدا كنهه أو مداه ...

وكما خطا خطوة على الممر الخلفي ، تلفت البنا في حنان لمام ، واللى علينا
نظرة اشفاق ورحمة ، قبل أن يموت فيسأل بعبدا عنا ، تحلى به
أرواح رفاق له وصحب أعزاء ، خلفوه من زمن ، وساروا على الدرب قبله ،
ومضوا الى حيث يوثك أن يمضي ...

ورغم ذلك ، لم أسمع له يتحدث عن الموت ، ولا بدا منه في أخريات مقامه
لبنا ما يتم عن جزع أو قلق ، وإنما كنا نحن الذين نجزع ، ليلقي جزعنا بابشامة
مشغلة ، ونظرة من يرثي لجهلنا ، ومعلمنا وغرورنا ...

بقلم الدكتور عبد الشاطي

(٢)

وكنا نلهم ، ونذكر ، ونعى ...
نلهم انه المصير المحتوم ... لا مفر !
ونذكر ان الاوان قد آن ... لا مهلة !
ونعى الا حيلة لنا في الامر ... اى
حيلة !
لكن لا شيء من هذا كله عصفتنا من
الجسزع ، ونحن نرى معلمنا الحبيب ،
يوثسك ان يمضى !
وتزودنا منه ، كما شاء لنا ...
لكن لم يفن عنا ذلك الزاد شينا ، حين
خطا معلمنا خطوته الاخيرة على المعبر ...
ومضى ... وبقينا .
واستراح ... وشقينا .
ونام ... وسهرنا .
وتخلف من كل انقال المادة واعبسا
الوجود ...
وخلفنا اسارى القيود ...
وخلى لنا الهموم والاشجان !
نام معلمنا الذى سهر طويلا ، ونحن
راقود نيام ...
وانطلق الوجود ، فبين كان قبس نوره ،
اضاء لنا ظلمة ليلنا الداجى البهيم ...
وتشبتت به قبل ان يمضى ...
ووقفت بجانبه ، ارنو اليه خائفة ،
قبل ان يحطوه الى مضجعه الآخر ، في
التربة المباركة التى عاش عمره يطهرها
من البذور المثلومة ، للرجعية والفساد ،
والرق والطغيان ...
ومن عجب انى لم تصدع امام هول
المشهد ...
من عجب انى لم امتلىء منه رعبا ،
ولا وليت منه فرارا ، كيلا ارى الراس
الكبيرة معصوبة ، والعين البصيرة مغطاة ،
والقلب الجى اخرس هامدا !
قلب الشعور بجلال المعلم ، على
فضاعة المشهد ... وسيطر على احساس
التلميذة المريدة ، وانا واقفة بحضرة
معلمي ، اتلقى عنه الدرس الاخير :
« الكون والفساد » في المادة ...
و « الخلود والبقاء » ، للفكر والعقيدة
والروح ...

و « السياسة » مهلكة ولعنة ، اذا
كانت حرفة مرتزق ، والاعيب بهلوان ،
ونفعية وصولي ...
و « السياسة » سر البقاء ، حين تكون
امانة حاكم ، ومسئولية راع ، ورشد عقل
ناصح ، وصحة ضمير سليم ...
و « احمد لطفي السيد » : المخلوق
البشر ، يموت كما يموت كل حي ، فلا
تكشف شمس ولا يخبس قمر ، ولا يتولى
الفلك لحظة في مداره ، حدادا على فقيد ؛
غال وكريم ...
و « المعلم » يبقى : فكرة لاقية نيرة ،
وروحا رائدة ملهمة ، وعقيدة ثابتة راسخة ،
وجوهرا حرا اصيلا ، يتالى سناء الوهاج ،
ليهدينا على الطريق ...

هزاء لمر الخالدة ، في البقية الصالحة
من آمنوا بها ، حين كفر بها المعتلاء
والغافلون ...
وهزاء للحرية العقلية والاجتماعية ،
التي ناضل عنها معلم الجيل ، حين
سكت المستضعفون ، وتخاض المقاتلون
والمجاهدون ...
وهزاء للشخصية الشريفة التي تجلت
فيه بكل اصالة القديم وعزته ، وكل
حيوية الجديد وجاذبيته ، حين جسد
الجامعون متخلفين ، وجمع الجامعون
مختونين ...
وهزاء لنا ...
نحن خاصة اهله واصحابه ، وتلاميذه
ومريديه ...
نحن الذين شيعناه الى منواه بالغفر .
وارقدناه بايدينا في مضجعه ...
وهان علينا ان نسوي فوقه التراب !
هزاء لنا ...
لقد مضى معلمنا ... وبقينا .
واستراح ... وشقينا .
ونام ... وخلفنا من بعده يتامى
مسهرين !

التاريخ : ١٥ / ٣ / ١٩٦٣

فقهائنا تفتقد الحرية

مسئولية الحرية في التقيد بالأدب



شوكري : علي مودج طه : ابراهيم تاجر

بقلم الدكتور عبد الساطح

المخطر بها تتمرد له الحرية ، هو
الجهل بضعائها وسلوليتها ، والفساد
بغيرها بشوائب مسألة من الفوضى والتحلل
للاصل في الحرية ، على غير ما يتصور
أكثرنا ، أن تكون لبدا والتزام ، وهو
الفرق بينها وبين العبودية ، أن لغير
الحر مفرقة عنه من ظلام نفسه ،
يلتزم بها عن طواعية واختيار ، أما لغير
العبودية لغيرها الغير لغير ، على
وجه الظلم واللام ..

وهذه الكلمة أرى النواع الخسوف
لأنها أداة التمييز من الرأي الحر ، وبغير
الاحترام لكرامة الإنسان في الخمس
بليغته من الحيوان الامعج ..

وحيث تدرس حرية الكلمة في المجال
العام ، تزداد مسئوليتها خطرا ، بحكم
خروجها من نطاق الحرية الشخصية
التي تخص بالذود وحده ، لا تتجاوز الى
سواه ..

والنقاد الأدبي ، يسارسته حثه في
حرية الكلمة ، يحتل بطنه هذه الحرية
ببعض المشاركة ، التوجيه الفكري
للأمة ، والناتج على وجدانها العام ،
وعلى وجدانها المنسوي الذي هو مناط
سلطانها وجانها ..

ولا يتعدى لهذه الآلة الصمة ، إلا
التأثير على احتياك قيودها الباطنة ،
المقدر لجلال تقايدنا الصارية ، واسط
لمرير في هذه التقليد ، أو استبداد
بذلك القيود ، يقع الناقد دون مستوى
الحرية للكلمة النافذة المسئولة ..

التاريخ : ١٥ / ٣ / ١٩٦٣

- ٢ -

وبشخصي صوت « لبي العلاء » من وراء
الحقيب والقصود ، ولا أمل سحرة
« الشوقي » وناجي ، والزهاوي ، والاخل
الصليبي ، والهمشري ، والشبلي ،
والتيباني ، وكذلك جبران ، وعلى محمود
طه « في ورائهم ، كما انفسل اليوم
بمصادد الاسلاء من شعراء الجسد
والقديم ، واستجيب لما ل طرب وشعر
كل ما تصمت اليه ، هو الدناع من
حق شعراء جبلنا في ان يارسوا نحرهم
وان ينفسوا هواهم مصرم بلء الحرية
والانطلاق ..



وقد تلقت بعد نشر المقال ، رسائل
ذات مدد ، يستغرب كثرتا التي جئت
فيه بقصيدة موزونة ، وهم لابن خلدون ان
حربة الشعر الجديد تفقده باني وزن او
قافية !

وتحاررت بعدا من هذه الرسائل
وانا النمس المثلر لكاتبها ، وهم من
عامة اللراء ، ان فانهم التنبه الى ما
سجلته في المقال فليس ، من التزام الشعر
الحر بقبول قاسية من الضوابط المروضة
ثم اني في الواقع ، لم ادز باذا
امتنع لا تنبهم بخطا الفكرة الشائعة من
الشعر الجديد ، بعد ان كتبت اكثر من
مرة ، اؤكد انه لم يسنول من سلامة
الادبيات ، من التنبوا بيدانجوبة لغة
او بغير بوحية على الانلاق ، وهم يقولون
انه بكني اقدم ان يمتنر الانفاق وسنول
الضوابط ، ليصب على شعرا تحند
ولا حيتي ، وفي قصيدة التي بها من
دواوين شعراء الجديد الاسلاء ، لانخرج
بحال ما من بحور الخليل ، ولا نخل
بسرابطه ، واننا نأخذ هويتها في الالتزام
برحلة النغميلة بدلا من وحدة الشطرن
ول النمر في النوزع الموسيقي للنفعلات
استجابة لنغم الابحاح وجدان الشاعر !
من اجل هذا كله ، تجاوزت عن الرسائل
الخاصة التي تلقيتها ، ولما نلست شعور
بتسبح ، غير بشوب يادني فائبة من
سخط او سبق ..



غير اني مجيت حتا لاشين من الزملاء
النقاد ، كتبا الاث ثلاث من ذلك الخطا
الذي نوزطت فيه ، حين خلطت بين الشعر
الموزون ، والشعر الجديد الحر ، وتطوع

وتعن المشغلين بالنقد الادبي ، اجنر
الناس باحترام حقوانا في ان ينقلنا
والا شهننا على انفسنا باننا لمر اهل
لشرف الكلمة الحرة ..
بل اننا نأخذ قضية الحرية ، اذا
جعلنا حق لمرنا فيها ، لخطا يتورط فيه
او تصور بلخذ عليه ، لالخطا والتصور
ما بجول على البشر ، بل البشر ..
لمر ان علينا واجبا اخر نحر حرية
الكلمة الناقدة ، وممر ان نصيبها من
الزيف والانحصار ، او من النسلول
والانقواء ..

فمن حق اي شائد ، ان ينتش ما انت
سكتيس من حق من حرية ، ان ينتش من
ثم ينتش فيما لم اتله ، وبزاحشني
على مالم يجر به قلم لي او لسان !



اقول هذا لمناسبة مقال كتبه حتا من
« المناخ » الفكري لادباء المعصر « دانعت
ليه من حق شعراء الجديد في حرية
التعبير » ، وما بخلت الراي فيها ،
واشرت الى بعض ما كادونه تحت هذا
رجمية ذات سلطان ، نال لهم بالمرصاد
وتحارول كتم الناسهم بكابوسها الخافي
الذي يهيم على عاتلهم الشاة ، ولقوبهم
الميلحة للحياة ، ووجدانهم المتائر بملخ
المعصر ..

وتصديت في هذا الدناع ، لما يتل
من خروج اصحاب الجديد على قديم الشعر
المعصر هدامين بتخللين ، على حين تشكو
لحن ، من هراية التزامهم بابق الضوابط
للمرونة الخليلي . كما تصديت بعد ذلك
للنبهة الرخيمة المبنطة ، التي تصنع
اصحاب الجديد بسببنة ترمزية حياء ،
فنقلت بتلطم من تصيدة « الارض المحببة »
لشاعرة الجديد ، واخرى من تصيدة
« لو كنت الهاء » لكير امداء الشعر الحر
واردت بهذا النقل ان استبين مفهوم
الترمزية والاحياء ، بعد ان فرقت بين
التزام الشعر الجديد بالمصطلح المروفي
فون ان ابدى رايا خاصا في المذهب
المستحدث او المناقل بين قديم وجديد ،
اكلفا بما سبق ان قورته غير مرة ،
من ان الشعر هندي ، بجيب اولا ان
يكون شعرا ، ثم لا يمتنني بعد ذلك ان
ياني ل اي صورة ، وعلى اي قالب ؛
لنا انفسل بلسول الشعر الجاهلي ،

التاريخ : ١٥ / ٣ / ١٩٦٣

- ٣ -

الناقد الأدبي لجريدة المساء ، لشبني
الى ان التمسيد من بحر الرمل ، ولا
يمكن ان تحسب من الشعر الجديد ،
ثم نأمل لمرر خملي ، بما يعزى من
المطورة الادبية .

فبالمه ماذا اتول له ؟ ومطخ حلي
ان التمسيد من الشعر الجديد يكون من
بحر الرمل ، كما يكون من بحور الفرج
والرحز والكابل والنتارب والخب بوهي
البحور الصافية التي يتلف فطرها من
لكرار لمعيلة واحدة .

بل بحور كذلك ، ان تصاغ تصاغ
الشعر الجديد ، مع صعوبة وهو .
من النحور المزوجة التي يتكون فطرها
من لمعيلتين ، تكرر احدها بمللية ،
كالسريع والوالر ، ولك بالنبوع لي مدد
اللمعيلة المكررة وهذا ، دون غيرهما .
وليس المهم ، على كل حال ، ان
ينحلي نقد مهم الخوايط العروضية
لشعر الجديد ، ثم يتصور انني انني
اغفلت ، فالحظا يجوز عليه ، كما يجوز
على .

وللرجل كذلك ، يطلق العربية لي ان
يقول ما شاء ، بما يعزى من بوهية
ادبية فليس من حق ان الرئي عليه
او على سواء ، الاعتراف لي باي بوهية
انما يعني هنا ، ما يتصل بمسئولية
الناقد تجاه حرية الكفة التي يارسها
في المجال العام ، فالنقل الذي نشره
الزميل « المساء » ، يقوم على مناقشة
مسألة نسبية الى نقل محمه .

« ان الكاتبة جاءت لي بقاتنها - من
المناح الفكرى سبابات من بحر الرمل
موزونة كاملة التفعيلات ، وقالت لرائها
انها من الشعر الجديد الذي لا يلتزم
بالاوزان » .

كيف ، ومتى ، وابن ، قلت لرائي
هذا الكلام الذي لا يمكن ان يخطر لملي
ملي بل ؟

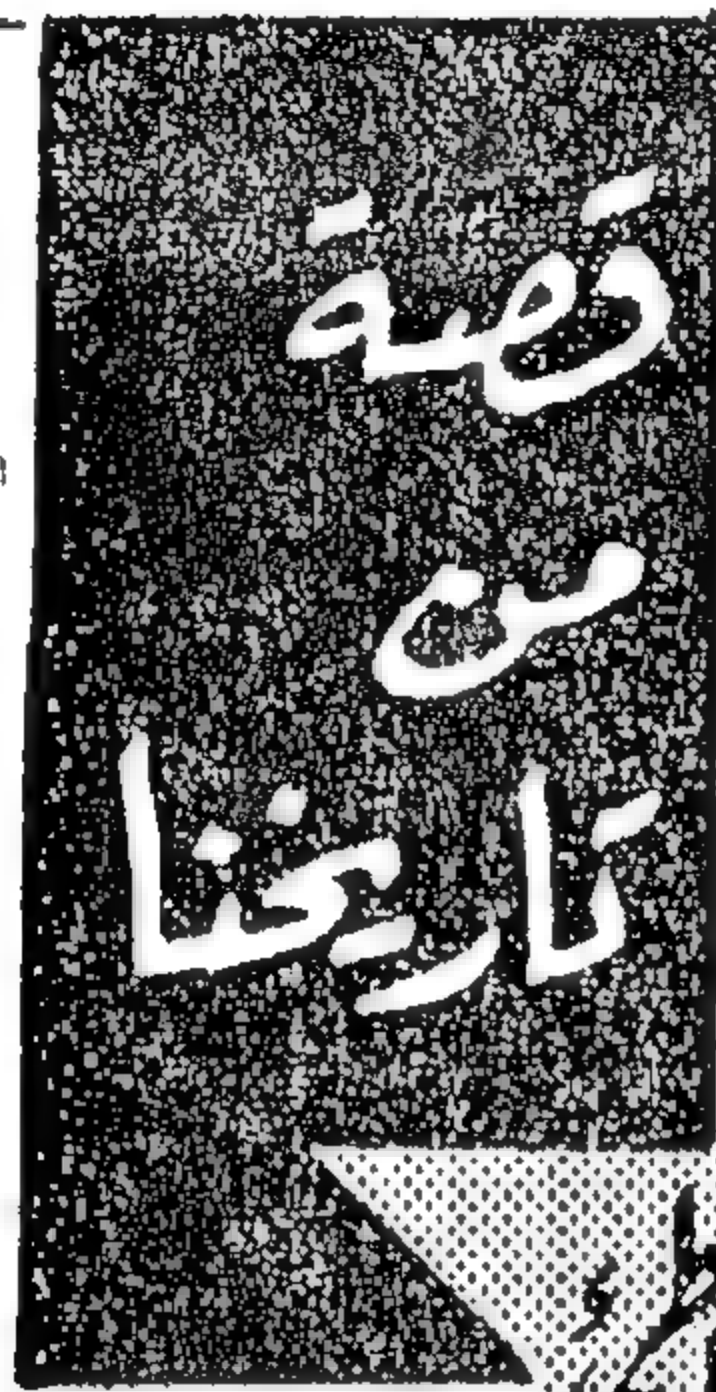
لملي قلته دون ان ادري ، من غللة
او سهو ، وجل من لا ينفل ولا يسهر .
وارجع الى نص بقلي من المناخ الفكرى
لرائي حيث يتسيدة « الارض المحببة »
لي مجال الحديث من جهة الترتيب
المبذلة ، التي قدنوا بها سمراء
الجديد .

اما حكاية الوزن هذه ، فكنت قد وضع
أخر ، يتصل بنهية تحليل الشعر الجديد
من الخوايط العروضية . ونس ماري
نقلا من صفحة الارب يامرام التجمعة
١٩٦٢ - ٦ - ١٩٦٢ .

« ويقال حينئذ : ان اصحاب الجديد
خرجوا على قديم الشعر العربي هدايين
وقرائنا كتاب : لخصايا الشعر
الذي لم يشاء ، بما يعزى من بوهية
ادبية فليس من حق ان الرئي عليه
او على سواء ، الاعتراف لي باي بوهية
انما يعني هنا ، ما يتصل بمسئولية
الناقد تجاه حرية الكفة التي يارسها
في المجال العام ، فالنقل الذي نشره
الزميل « المساء » ، يقوم على مناقشة
مسألة نسبية الى نقل محمه .

دعاء المعصر لي برونة وطواعية . »

لكيلا ننسى ، وسط هذا الضجيج المثار لعيد استعرناه من الغرب ، أن لنا نحن العرب ، عيداً مقدساً للأمة : نحتفل به منذ ما لا يحصى من القرون ، في مواعيد السنوى الذى لا يتخلف : عبادة ودينا ، وشعيرة من شعائر الحج في الجاهلية والاسلام !



لكيلا ننسى

بسم الله الرحمن الرحيم

مرة أخرى ، اكتب عن عيد الأيومة
هذه العرب كما عرفه تاريخهم العريق
منذ كان ..

وليس أشق على الكاتب ، من أن
يعود ليكتب في موضوع سبق أن تناولته
أكثر من مرة . ذلك لأنه يشقى ، مع
العصور ، من ابتذال التكرار واملال
الالاحاح ، وأجازف مع هذا فالكاتب في
الموضوع ، ولا أتى فيه بجديد لم أقله
من قبل ، لكن يهون على ، أن أحتفل
كل مشقة ، في سبيل الدفاع عن حق
أومن به ، والالاحاح في التذكير بماض
لنا ، مجيد وعريق ، مرت عليه الحقب
والانهار ، وما يزال يفرض ذكراه
على الدنيا ويتحدى بها الزمان ..

وان كنا نحن عنها لاهين ..
ولقد شق على الزمان أن يطمس
بهاء هذه الذكرى رغم امعاننا في تجاهلها
نحن الذين نخوض معركتنا من أجل
هباية حقيقتنا ، ووعى ذاتنا ، وتحقيق
وجوبنا !

(٢)

ثم ودعهما ، وهم بالرجوع من حيث جاء ..

وطانت مينا « هاجر » بالبرية الجرداء من حولها ، لما أخذها الرعب ، وتشبثت بسيدها تسأله ان كان حقا ، متركها في هذا الخلاه المتفر ؟
ولما اجاب بالاجاب ، لم تجد ما تقوله الا ان تسال :

— آله امرك بهذا ؟
قال : اجل ...

لرفعت وجهها الى السماء وقالت في ضرامه وابتهال : « اذن هالاله لا يضربنا ! »
وابعد « ابراهيم » في السير شمالا ، وهو يدعو زيه :

« ربنا انى اسكنتك من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل الفضة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون . »

ثم كان المشهد الثانى ، وهاجر لانذة بوليدها باطلال البيت المتيق ، وقد تعد ما لديها من زاد قليل وماء ، فهامت على وجهها في الوادى الاجرد ، تبحث لطفلها عن قطرة ماء . ثم بدا لها ان تخرج على سلح الصفا او المروة ، لتشره على الوادى من اعلى مكان فيه . وكما بلغت قمة ولم تجد شيئا ، انقثت من جديد فهولت الى القمة الاخرى ، متشبثة بأمل لاتجرو على التظلى منه ! وظلت تسعى مهولة ، ما بين الصفا والمروة ، سبعة اشواط ، حتى خابرها الياس نهدها النعب ، وتهالكت على اديم الصحراء ، دون ان تتسوى على النظر الى ولدها والحياة تتسرب من كياته او على الاصفاء الى لهاث ظبئه يوشك ان يكون حشرة احتضار . بل « غطت وجهها بلثاعها — كما تقول التوراة — وهى تكن قائلة : لانظر موت الولد ! »

وتبغى القصة فنقول : ان السماء استجابت لصرامة الام المتيسودة : لخلق طائر في الافق لم يبط تريبا منها فنبش

نحن الذين القيت علينا — بحكم وجودنا في هذه المرحلة الثورية — مسئولية تصحيح تاريخنا الذى اوسعاه عملاء الاستعمار والظفيان ، بسخا وتشويهها وطبا ..

ومن يجب ان نكون نحن الذين نتجاهل ما اعيا هؤلاء جميعا ان يطمسوه اويزيقوه !



والقصة — كما وهاما تاريخنا الدينى تبدأ من قديم موغل في القدم ... وقد تنامت لصولا ومشاهد ، باللغة القوة والاثارة ، ثم لم يستل عليها المستشرق قط ، على تطاول المصهور ومن الادمار ..

فمنذ ما لا يحصى من القرون ، التقت الاتحاد بقلعة مصرية تسمى « هاجر » في اغلال الزرق ، وطوحت بها بميدا من الامل والدار : امة غريبة مستعبدة ، للسيدة « سارة » زوجة ابراهيم عليه السلام ، في ارض كنعان ..

بدأت المساة حين بلغت السيدة « سارة » سن الياس مقبلا لا تلد ، فبدأ لها — في لحظة قنوط — ان تهب زوجها هذه الفتاة المصرية ، لملها تمطيه الولد ، او لحسبها ان تملحه راحة الياس ! وحلت « هاجر » فصاحت بها سيدتها اذ تغدو بحلبها اياها وتروح ، فتذكرها بعثها !

وتجملت « سارة » بالمنبر طويلا : معنى اذا وضعت هاجر وليدها « اسماعيل ابن ابراهيم » نفذ المسير وغبه القهر واتسمت السيدة على زوجها ، الايظلا وجاريتها ، سقت بيت ! قال مقدرنا وعائرا :

— هي جاريتك ! والامر اليك .. وانطلق متجها الى الجنوب ، تتبعه « هاجر » ووليدها في حفتها ، فما زال ييمن في السير بميدا ، حتى بلغ بقعة مهجورة في واد اجرد غير ذى زرع ، عند اطلال البيت المتيق ، حيث تركها هناك وحيدتين في البرية الوحشية ، وترك لهما بعض الزاد ، وسقاء ليه ماء ..

في الربال ، لتفجر الماء من نبع
« زمزم » !
وجلب الماء قوافل الرعاة من البدو
الرحل ، فذبت الحياة في الوادي الجرد
ومائس « اسماعيل » ليرفع القواعد
من البيت العتيق ، مع ابيه ابراهيم ،
ويتلقيا عهد الله سبحانه :
« وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل :
ان طهرا بيتي للطائفين والماكفين والركع
السجود »
ومائست « هاجر » الامة المنبوذة
ارمزا للامومة الانسانية ..
وصارت هموم امومتها قصة تروى
اكما صار مساعها بين الصفا والمروة :
اعبادة ودينا وشعيرة من شمسائر الحج
في الجاهلية والاسلام !

وأخر اخبار العيد ، ان مؤسسة
عيد الام ، اقترحت ان تلقى الطائرات
اكياسا من الحلوى ، في اليوم المشهود !
ولا بأس بهذا كله ، لكن بشرط الا
تنسى في غمرة الضجيج الاعلاني والرواج
التجاري ، ان لنا هيدا مقدسا للابوة
يحتفل به العرب منذ ما لا يحصى من
القرون ، وسبطلون يحتفلون به ما عهد
الله في الارض !
في موعده الذي لا يتخلف سنويا ،
مع عيدنا الاكبر في شهر ذي الحجة
من كل عام قهرى ..
وهو في عقيدتنا - نحن العرب
والمسلمين - عبادة ودين ، وليس فرسة.
لدى طبول الدعاية وابواق الاعلان ،
وسوقا لرواج بضاعة المتاجر !

ولقد قرانا القصة في تاريخنا الديني
اولونا ماجساء من مشاهدنا في كتبنا
النبوية المقدسة ، دون ان نتدبر
وفي كل عام ، يسمى الوب والوب
من الحجاج ، بين الصفا والمروة ،
مهرولين سبعة اشواط ، دون ان يخطر
ببالنا انهم انما يجدون الامومة ، ويميدون
بتنيل المشهد الحي ، لذكرى ام خلدتها
اهوم امومتها !
وحين ان لنا ان نحتفل بعيد الام ،
استقرنا موعده وصورته من القريين
فاحتفلنا به مثلهم في يوم ٢١ من شهر مارس
وسط ضجيج من طبول الاعلان التجاري
عن هدايا تقدم للامهات !

(٤)



ههه اشق على قومي العرب ، لو
رجوت ان يذكروا اليوم ، اننا لم نكن
قط في حاجة الى ان نستعير عيد ٢١
مارس من الغرب ، ولدينا عيدنا العريق ،
بكل جلال رمزه وسمو مفزاه ؟
او هل اشق على امتي العربية ،
لو رجوت ان يكون احتفالها بعيد الامة ،
في مستوى جلال اصلته فينا ، وروعة
دلالته ؟

وماذا تصنع هدايا السوق ، واكياس
الخلوى وشجيج الطبل والزهر ، لامبات
شقيات بالحسمن واخريات كادحات
تضغطن الارضاع بين شقي الرحي ؟
وماذا علينا ، لو استبدلنا بكل ذاك
الفشجيج الذي يكلفنا الول الجنيبات سنويا ،
مشروعا قوميا عابا ، يتقدم الى الامم
في شهر ذي الحجة من كل عام - يوم
يسعى الحجاج بين الصفا والمروة -
هدية اكثر جدوى من زجاجات المطر
واكياس الطوى وادوات الزينة النائية ،
والحلى الزائلة ؟

كان تقدم لهن قانونا جديدا لتشريع
الامرة ..

او قرارا يلزما بنقل كل موظفة عابلة
الى حيث يعمل زوجها ..

او قرارا آخر يمدح اجازة امومة
للموظفات والعمالات ، تمتد الى ثلاثة
اشهر في فترات الوضع ، بأجر كامل ..
او انشاء دور حضانة تستوعب اطفال
كل العمالات ..

او مشروعا تقبني به الدولة ، كل
الصغار اليتامى واشباه اليتامى ، ممن
لا يجدون رعاية الابوة ..

اننا ببئس هذا ، نسعد ابهاتنا ، وندفع
الى مستوى عيسد الامومة ، كما عرفه
تاريخنا العريق الاصيل : عبادة ودينا ،
وانقادا لامومة شقية مهمومة من اجل الولد .

هان ذهبت كلمتي هذه ايضا ، صرخة
في واد ، كما ذهبت اخوات لها من قبل ، لحسبي
ان اظل ادمو واتادي ، دون ملل او
ضجر ، الى ان تجد دعوتي مجيبا ويلقي
ندائي مسمعا ..

« والسلام على من اتبع الهدى »

قضايا فكرية

شعار للجامعة

بلغني أن العلماء يسألون يوم القيامة
عنما يسأل عنه الأنبياء !
«الإمام مالك»

بسم المكتوبة بنت السالم

في مجالس الانتماء والكلمات سمعنا حفاها
عن بعض ، ولا في مجالس الجامعات
ننظر فيها تفتت من قرارات مجالس كلياتها
بقيدة بنموس اللائحة . ولا في المجلس
الاعلى للجامعات حيث لا يلتقي فيها الا
المديرون والوكلاء وعدد محدود من الاعضاء
وانما يتكون جثا يوم يكون لنا مجمع
للاساتذة يلتقي في مؤتمرات دورية ،
لننظر فيها يشغل الامة من قضايا تنصل
بوجودها الفكرى والعلى ، ويحدد موقف
الجامعة منها ورايه فيها ، وقد يبدو له
فيتواصى بنقله معين ، يلتزم به اعضاء
الاسرة الجامعية .

واذا اردتم المثل ، فهذا «الميثاق» بين
ابدينا ، التى على الجامعة المسئولية عن
صنع مستقبل الوطن : واثار تربية
المعلم للعلم والعلم للجمع ، واثار الى
ما لحق تاريخنا القومى من تزييف ،
فان يا ترى يمكن دراسة هذه القضايا

بمساعدة ، فضلا عن الشروط الصارمة التى
تفرض عليها اللائحة ، من حيث بفتح ستة
مشرعاما على الاقل بعد تخرجه من الجامعة ،
وتقديمه ابحاثا اصيلة في مادة تخصصه ،
تشكل للحصص لجان من كبار الاساتذة
يعتقدوا المجلس الاعلى للجامعات . .

اريد ان اقول : ان هؤلاء الاساتذة
قد اخفوا المبرر كله في الجو الجامعى
فانضجتهم التجربة والزمن ، ولمسوا
مشكلاتها طلابا ومعينين ، ثم مدرسين
واساتذة . ولست اتعجب لهم بحكم شرف
انتمائى اليهم ، حين ادمى انهم يشغلون
مراكز القيادة الفكرية والماضية في الامة .
وهذه المراكز تلقى عليهم نعمة سائلة وامانة
معية ، وتحملهم مسئولية الرقابة على
التكوين العقلى للوطن ، مما يقتضى وجود
راى جامعى عام ، يقول كلمته في مشكلاتنا
وقضايانا القومية ، وبخاصة ما كان منها
ذا طابع فكرى .

وهذا الراى العام ، لا يمكن ان يكون

المتروكة في عدد من الندوات الجامعية
التي نظمتها الكليات لدراسة الميثاق ،
وقد لفتنى هذه الندوات الى ما يعوزنا
من وجود راى جامعى عام ، يقول كلمته
فيما يشغل الامة من قضايا فكرية وعلمية
والوضع الجامعى القائم ، لا يسمح
بوجود مثل هذا الراى على النحو الذى
انصوره ، لكل قسم بالكليات الجامعية
مجلسه الذى ينظر في شئونه الخاصة ،
ويلتقى الاساتذة ذوو الكراسى في مجلس
الكلية ، تعرض عليه شئونها ، ثم يلتقى
المعدهاء مع مدير الجامعة ووكيلها في مجلس
جامعتهم ، ومن بعدهم يلتقى المديرون
والوكلاء في المجلس الاعلى للجامعات .
ومثل هذا النظام ، اذا نهض بامور
الجامعة على ما تقتضى به لوائحها ، فان
فيه ثغره لن يملأها الا النفاذ اساتذة
الجامعات كلهم في مجلس جامع ، بتدارسون
فيه القضايا الفكرية الكبرى التى لا
مكان لها في اللائحة ، ويتبادلون وجهات
النظر في الشئون الثقافية العامة التى
لا تختص بها جامعة دون اخرى

ونظام الجامعة ، لا يسل معضو هيئة
التدريس الى كرسى الاستاذية ، الا بعد
ان يلتقى سنين عددا ، اذناها تسع
سنوات ولا حد لآخرها . مدرسا واستاذًا

(٢)

والجاس الاعلان ، واشرف على طبعه
والدناغ عنه ، استاذ جامعي عربي ،
يعمل مندوبا ووكيلا لمؤسسة ثقافية اجنبية
في احدي عواصم الوطن العربي .
وقد التى الكتاب للال الرب من المستوى
العلمي لاساتذة جامعتنا ، واتهم عددا منهم
بالسرقة الادبية انها صريحا معلنا
ومسجلا ، وجرح آخرين ، بعدم وجودة
مؤلفات لهم اصيلة في مجال تخصصهم .
وكتبت من هذا الكتاب عشر
مقالات متتامة في هذه الصفحة ، نشرت
في احداها وثيقة « للاستاذ الدكتور عمر
فروخ » ينشر بعض ما نسب اليه ونشر
باسم في كتاب بيروت ، وبمنه بالتزوير
الرخيص - كمن عبارته . وفي عام . .
وبعض عام ، دون ان ترى الجامعة ضرورة
اللاكتراث بهذه القضية التي تمس سمعتها
المعلية في الوطن العربي ، وكان الامر
لا يمتها من قريب او بعيد . .

وحيث نقول : ان من حق الامة على
الجامعة ، ومن حق الجامعة على نفسها
الا ترم هذه القضايا وامثالها دون ان
تحدد موقفها منها وتجلو للوطن وجه الحق
انها : فان المسؤولية في هذا لا تقع على
كاهل جامعي ، مهما يكن منصبه ، فردا
كما لا يمكن ان يحلها مجلس من المجالس
الجامعة ، المحددة في اللائحة ، مستقلا . .
وانما هي مسؤولية مجمع الاساتذة الذي
ان له ان يظهر في هذه المرحلة الثورية
من حياتنا الجادة ، الطامحة الى الوجود
الكريم . .

والامر ، على هذا الوضع ، يتمثل
بقضية كبرى طالما شغلت البال ، وقال
تائلون فيها ما قالوا من سلبية الجامعيين
وعزلتهم ، ودافع هؤلاء - مصادقين
بمخلصي - بان طيبة عليهم ، وما اجله
احد من نشاطهم العام ، دون ان تعزلهم
عن الحياة بحال ، وان ليس من الحق
القول بهذه العزلة ، في قوم هالكين على
منع حقول الشباب ، مجاهدين في
سبيل العلم . وامنذر لربق منهم
بانهم لو دعوا الى المشاركة في اي مجال
عام لاجابوا ، وانكر عليهم منكر ان
يشظروا حتى يدعوا . .

ولن ننحصر المؤلف الا عن طريق
مجمع للاستاذة ، يتخذ له شعارا من كلمة
اقالها « الياهم مالك » منذ اثني عشر قرنا
من الزمان :
« بلغني ان العلماء يسألون يوم القيامة
عما يسأل هذه اليباء »

الفكرية ، اذا لم يلتق اعضاء الاسرة
الجامعة ويتدارسوها .

والامة العربية تشقى من تيارات الغزو
الفكري ، تنسل الى مقول ابنائنا ووجدانهم
من طريق مؤسسات اجنبية فاضحة الثراء
ولم نسمع من راي الجامعة في هذه
المؤسسات ، ولا نعرف انها ادركت
مسئوليتها من رقابة على ما يقدم الى
ابناء العرب من غذاء فكري ذليل ، ولا
سيمنا من راي جامعي عام ، ياخذ
الاساتذة بتقليد كرم ، يقارنون به جاذبية
الافراء المادي الذي يمرض عليهم لقاء
الميل لحساب هذه المؤسسات ، حتى لا
يخدع الشباب باسمائهم مطبوعة على
مخرجاتها ، ولا تصدم الامة الواعية ،
باسم استاذ جامعي ، يقدم ترجمة لتسعة
ثانية او بضاعة هزيلة او مسيوبة ، فالناس
لا يتصورون ابدا ، الا اننا يمل هذا ،
ننزل وراء الكسب المادي ، من قصة
المسؤولية والتحكيم ، الى سوق الانجار
بالقسطم والارتزاق الرخيص من خزانة
مؤسسات اجنبية ، يفرض علينا وهبنا
وشرف منصبتنا العلمي ان نكون نحن
رفقاء عليها لا ماجورين لها . .

وتثار بين حين وآخر ، قضايا
خطر ، منها ما يتصل بالوجود الم
للالة العربية : كذهاب الفكر الحاضر
وصراع القيم الروحية والمادية ، والاتصال
الفكري بين ابناء الوطن العربي ، ونشاط
الاستشراق الغربي ، وتراث لنا محتر
وبشيع ، وازمة المثقفين ، وهبوط المستوى
النقائي للجامعيين ، و . . . و . . .

ومنها ما يمس سمعة الجامعة : كارتاج
حذيفة او وهيبة ، يقال ان اساتذة
الجامعات يكسبون منها من طبع مذكراتهم
وبمعهم ، ومثل نهم السرقات الادبية
والمعلية التي تنسب الى بعض المنتمين
الى الجامعة ، والتي لو صحت ، لوجب
حرمانهم من شرف الانتماء اليها . .
والجامعة صابئة ، وعظما الا مجال النظر
في مثل هذا ، في مجالس الكليات والجامعات
المشحونة بشئون الطلبة واعضاء هيئة
التدريس والميزانية والامتحان والمقيدة
نصوص اللائحة . .

وتنشر بين حين وآخر ، كتب مطبوعة
في الخارج او في بعض عواصم الوطن العربي
تعرض حياتنا العلمية والادبية عرضا
شوها وزائفا ، مثل كتاب « الادب العربي
في اثار الدارسين » الذي نشرته جامعة
بيروت الامريكة ، ودقت له طول الدعاية

قصصا فكرية بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

بين
شقي
الرحى

هشت هذه الايام مع اخوتي الاعزة الاحرار أبطال الجزائر ، وكان الحديث بيننا يدور أكثر ما يدور ، حول مأساة الضياع الفكري الذي يرهق جيلا من شباب العرب ، انقطعت صلته بجذوره الاصلية ، ولم يشأ - ولا كان في استطاعته لو شاء - أن يستعير جذورا غربية طارئة وأنه للجيل الذي واعدته القدر ، فشهد مشرق البعث ، وعاش المعركة الكبرى التي خاضها الشرق الكبير ، من أجل الحياة الحرة والوجود الكريم ..

ففي الوقت الذي تجاوزت فيه آفاق الوطن الكبير بهتاف الثورة على الرق والهوان ، واختلط هدير الثورة بأصداه الاغلال المحطمة والصروح المنهارة للغيرم والطغيان ، وتراكمت على الساحة المجيدة أشلاء الشهداء وانقاض الاستعباد ، ففي فريق من شبابنا المنكف أنفسهم تحت ثقل فراغ روحى رهيب ، يضغظهم بين شقي الرحى : فعقولهم قد تشبعت بالثقافة الغربية ، ووجدانهم قد تسلط عليه غزو فكري طويل ضار ، حتى ما عادوا يستطيعون أن يجدوا ذواتهم في هذه الغربة المعنوية ..

وتذاكرنا دور الاستعمار في هذه المأساة ، وكيف عبا قواه وجند عملاؤه لعزلنا عن اصولنا وبقرنا من جذورنا ، فزبن للشباب المنكف من جيلنا ، أن الالتفات الى ماضينا رجعية وجمود ، وأن الاتصال بمنابع الفكر العربي والحضارة الشرقية تخلف وتاخر ، وشبوا وفي وهم أكثرهم أنهم لن يستطيعوا مسايرة الزمن والاستجابة لروح العصر ، مالم ينسلخوا من ثرقينهم وينبذوا عروبنتهم ويقبلوا على الفكر الغربي ينهلون من موارده

وكنت قد فرغت لقوى من قراءة الكتاب القيم للاديب الشاب (غالي شكري) من (سلامة موسى وأزمة الضمير العربي) فادركت - كما لم ألدرك من قبل - أن مأساة الضياع الفكري لا تقتصر على هؤلاء نفر من سرق الاستعمار عقولهم ووجدانهم ، وإنما هي مأساة عامة ، يتعرض لها أكثر الشباب العربي المنكف ، من أبناء هذا الجيل .. ذلك لأنهم في الغالب الأعم ، يحبون حياتهم الفكرية غير متصلة بجذورهم

الفكرية عن اهلهم ، وانفصالهم العقلي
عن جماهير الشعب .



ومن عجب ان تلقنا دراما المأساة ،
ودعاة يقتلنا كانوا شديدي الحرص
على ان تكون نهضتنا الحديثة حركة بعث
يرسخها اساس من ماضينا العريق .
وقد تقاسم رواد اليقظة فيما بينهم مناطق
الميدان ففاضل فريق منهم في المجال السياسي
وتولى آخرون عبء الدعوة الى الثورة
الاجتماعية او الفكرية .. فلما تخطى
احدهم عن اصراره على البحث عن جلورنا
في منطقة جهاده تحت اللواء الموحد
وفي الميدان المشترك ..

واذكر في المجال ضيق في من كلام
السيد الرئيس جمال في «فلسفة الثورة»:
«... ولخص كفاح الشعوب ليس
فيها فجوات يملأها الهباء .. ان كفاح
اي شعب ، جيلا بعد جيل ، بناء يرتفع
حجرا فوق حجر ، وكما ان كل حجر
في البناء يتخذ من الحجر الذي تحته قاعدة
يرتكز عليها ، كذلك الاحداث في قصص
كفاح الشعوب »

ثم استمر في « فلسفة الثورة »
تشخيصا للمأساة التي لا تزال تعاني
من آثارها :

الضاربة في اعماق الزمن ، فيفقدون
اصالتهم في زهو المعاصرة .

وفي وهمهم ان اليوم مسبق عن الابق
وان دعاء التطور لا يجوز ان يختلط بصدى
يتصل اليه من ماضى ولى وراح ..
مقولهم مشدودة الى الجديد الحاضر ،
وصيونهم مبهورة بأضواء الحضارة المادية
المستعدنة ، وهم مع ذلك عاجزون
وان جهلوا حيزهم او تحدوه مكابرين
من التخلس من احتكام الميراث الذي
تأصل في اعماقهم ، وجهازية الارض
التي انبتتهم من نوى الآباء والاجداد ..
فان لم يبلغ الموقف بهم مبلغ الضياع
فأقل ما يوصف به انه محنة تمزق بين
العقل والروح ..

تظاهرها محنة أخرى من الانفصال
الفكري والروحي بين الشباب المنتف
وبين جبهة امله من فرغت عليهم الابهة
بليل ، او تقطعت الاسباب بينهم وبين
الفكر الغربي المحدث . وقد سبقتني
السفير الهندي «بانكار» فعالج هذه الازمة
بعق ووعى ، في محاضرة له القاها
بباريس عام ١٩٦٠ من «المشكلات الثقافية
في الشرق الاسيوى الاخرى» وكشف فيها
عن تعطل الدور القيادي لشباب الشرق
المنتف في نهضة بلادهم ، اثرا لعزلتهم

(٣)

الحرية التي افتدناها في الجزائر وحدها مليون شهيد وبقي أن نعرف السر الأكبر الذي صنع المعجزة فصلا وجودنا رغم عوادي الحن ، وعبر بنا ظلمات ليلنا المدهم الذي طال .. ولا يزال هو الذي يحى بقاءنا ويشد أعصابنا في مرحلة الانتقال ..

ومن ماضي تاريخنا ، لأن شيء آخر يمكن أن نهتدي إلى ذلك السر ونجعله نفتقد الشباب العربي المثقف من حسنة الباطنة بين شقي الرهي ..

لقد مر مرحلة ثورية، كالتى تجتازها يجب أن يتأصل الرعي الثوري ببدى حاجتنا إلى الكشف عن ذلك السر الذى اضطلع بمعجزة حماية وجودنا فلم تنب بلادنا عن مسرح الأحداث على مسار الزمن الطويل ، وصنع معجزة البعث دون أن تمسخ شخصيتنا أو تذوب في غاصب أو دخيل ، وأنه لقادر على تحرير شعبنا من براثن الضياع الفكرى في مهب الرياح الدخيلة والتيارات الطارئة



وما أرائى بعد في حاجة إلى أن أؤكد لقرائى أنى لست من الأسيين الذين يستهويهم أن يعيشوا في الماضي مشغولين به من حاضر ومستقبل ، ولا أنا ممن يطبقون أو يتصورون أنكار حتمية التطور وإذا سمعوا دعاء العصر لروا رؤوسهم ووضعوا أصابعهم في آذانهم وصدوا معرضين ..

كلا

وأنا التفت إلى الماضي رائية دائما إلى المستقبل ، بتشبهة بكرة أدين بها ورأى اعتقده من إيمان لأن سذاجة أو استهواء : وهو أن وعينا لذاتنا يقتضى حتما أن نرتبط بأصيل جذورنا ، وذلك بما أرجو أن أفرغ للإجابة منه لا حبا في نبش التربة بحثا عن جذور في مقالى التالى ، إذا وفق الله وأعان .. غائرة في الاعمالى ، ولكن لكى نعرف حقيقتنا ونعز معدن اصلتنا ونهتدي إلى

« ... أن شعبنا صنع معجزة ، ولقد كان يمكن أن يضيع أى مجتمع تعرض لهذه الظروف التى تعرض لها مجتمعنا ، وكان يمكن أن تجرفه هذه التيارات التى تدفقت علينا ، ولكننا صمدنا للزلازل العنيف .. »

« أنا أنظر أحيانا إلى أسيرة مصرية عادية من آلاف الأسرى التى تعيش في العاصمة : الأب ، مثلا ، فلاح معمم من صميم الريف ..

والأم سيدة منحدره من أصل تركى .. وأبناء الأسيرة في مدارس على النظام الانجليزى ..

وفتياتها في مدارس على النظام الفرنسى كل هذا بين روح القرن الثالث عشر ، ومظاهر القرن العشرين ..

أنظر إلى هذا وأحس في أعماقى بفهم للحيرة التى تقاسيها والتخبط الذى يفرسنا . ثم أقول لنفسى : سوف يبلور هذا المجتمع وسوى يتماسك ، وسوف يكون وحدة متجانسة ، إنما ينبغى أن نشد أعصابنا ونتحمل فترة الانتقال ..

أجل ، مازلنا نعانى من آثار هذا التخبط وتلك الحيرة في الصعيد الفكرى ، الذى لم يساير وعينا القومى في ثورته ، فشئى عليه أن يأخذ دوره القيادى في مجتمع يتنادى (بشعارات) عربية متينة وشرلية أصيلة ..

وما يزال يمانيه ، بصورة القسى وأشد وطأة ، شباب مثقف في أقطار أخرى من الوطن العربى ..

والسؤال الذى يعرض هو :

إلى من تكل الأمة المصرية هذه الامانة الصعبة ؟ وعلى أى وجه تكون نجات ابنائنا من مأساة الضياع الفكرى ؟ وذلك بما أرجو أن أفرغ للإجابة منه لا حبا في نبش التربة بحثا عن جذور في مقالى التالى ، إذا وفق الله وأعان .. غائرة في الاعمالى ، ولكن لكى نعرف حقيقتنا ونعز معدن اصلتنا ونهتدي إلى



ولقد توجه معدن اصلتنا في معركة جوهر شخصيتنا وسر وجودنا ..

التاريخ : ١٩ / ٤ / ١٩٦٣

قضايا فكرية

على الوطن الكبير يخلق اللواء الموحد في الفقه العالي ، عربي المنبت واللون والروح ، لقد ارتكزت قاعدته على أعين ما في وجودنا من أصالة ، وأعدت ما في تاريخنا من جذور
وفي ظل هذا اللواء ، اتبع الحديث عن وجودنا الفكري ، رجاء أن يساير وعينا اللامعي في توريته ، ويأتلي معه لونا وصفة ، ومزاجا وروحا .
اتابع تشخيص مأساة الصراع الفكري الذي يقف شهابنا بين تسلي الرخي ، ويهتفهم بمكابدة الصراع بين تيارات فكرية أجنبية غريبة ، وبين جاذبية الأرض العربية التي أبتنتهم ، والهتافات العربية التي تصيح بها دنياهم .
والحديث اليوم عن الأسباب القريبة المباشرة للمأساة

صناديق الدُعي ومقابر الأُنبياء

بقلم الدكتور بنت السالم



سلامة موسى



محمد حسين هيكل

لها أسبابها البعيدة فقد مضى القول فيها ، بما شهدته دنيانا من حرص الاستعمار على أن يبتزنا من جذورنا لكي ننوء عن أنفسنا في مهب الريح الغربية ، وننتفس عبقيا روجدانيا في جو مشبع بسجود الغزو الفكري الدخيل ..

وإحتاج لكي أجلو الموقف ساهما ، التي أن استرجع مدى من الأصوات التي رجعت دنائنا وزلزلت الأرض تحت أقدامنا نحن أبناء هذا الجيل الذي لم يدرك فجر اليقظة ولم يعاصر رواد البعث ، وإنما حاصر الرميل الذي جاء من بعدهم ، ومن بين أفراد من استغلال فترة الانتقال رندا له عقم المحاولة التي لاذ بها الرواد الأولون ، حين النعسوا لنهضتنا المرجوة جنورا من ماضينا العتيق .

(٣)

عنوان على ما بلغ الفكر الانساني من

تهوش وانحلال في الترون الوسطى ..
لماذا نظرت فيما ابرز العرب من صور
الفكر ، من علم او ادب او فلسفة او
فن ، وجدت ان فيها من اثار النخلخل
والتشعب ، ما هو جدير بان يبرز في
عصر فكك فيه الفكر على طريقة الشك
الغيبى لم يمدحها الى طريقة التحليل والنقد .
ذاعت بينهم مذاهب فلسفية ثقلا المترجون
وجلهم من النساطرة واليهود ووثنيي حران
عن اليونانية ، ولكلك لاتجد عندهم مدارس
فلسفية ينسب اليهم ابتكارها .. »

وكل المدارس الفلسفية للعرب ، عند
اسماعيل مظهر : مذاهب لاهوتية استمانت
بالفلسفة وبيغض ثمراتها دون بعض .
وكل مؤلفاتهم ، حتى العلمية منها ، وسيت
يطبع عقليتهم : « هذه العقلية بذاتها هي
التي ورثها السيد جمال الدين الافغانى
ورقفت عند الاسلوب الفيبى . وتكتبت
كل طريق كان من الممكن ان يسلم الى
الاسلوب الفيبى . »



وبمع صوت « اسماعيل مظهر » دوى
صوت « سلامة موسى » الذى لم ير في
ماضينا العربى كله خيرا قط ، ولا وجد
في تاريخ الحضارة الاسلامية بذرة تصلح
البقاء . بل انه حين نشر كتابه المشهور
« هؤلاء علموني » لم يسمح لاي فكر عربى
ان ياخذ مكانا ولو في ذيل الموكب الجليل
لاساتذته : تولستوى وماركس وبافلوف
اودستوينسكى ، وبرناردشو واليوت سبيث
اواطسن ، وفريد وادلر ويوتج وهانلوك
اليسى ، وما لا احصى من اسماء اجنبية ،
اليسى فيها اسم عربى واحد !



وكنا نصفى الى كل هذا في مطلع
اصباننا ، ومنا من نشأ ، مثلى ، في بيئة
دينية محافظة ، وصلته بايجاد الحضارة
الاسلامية وروائع التراث الفكرى والادبى
للعرب ، ووعى من آيات القرآن الكريم
اقبها انسانية ومثلا عليا ، لاتطمح البشرية
الى اعز منها ، وحققا كلمات كبارا لائمة
لسلفوا ، قررت عزة الانسان وشرف العلم
وحرية الفكر ومسئولية العالم وامانة
الكلمة ..

ومنا من لم يتح له شيء من ذلك قط ،
اثرا لنشأته في بيت تركى الطابع ، او
بيئة مفرجة مزهوة بعصبيتها ، ملتونة
بجديدها المحدث ..

وتفرقنا طرائق قديدا !

وجلجلت الاصوات في الاذن ، داعية
الى التحرر مما سمته عتيقنا البالى ،
ومبشرة بارضى جديدة لانت ابيه بادننى
ملة .

واصغت اذاننا ونحن في مطلع الصبا
البكر ، الى اصوات المعاول تنقش في
قسوة واصرار ، على الاسس التي ارساها
نورق ارضنا ، اولئك الذين تولوا عبء
ايقاظ الشرق في داجى الظلمة ، وسهروا
على مضاجع قومنا بهزونها بدعاء الفجر ،
ويخيلونها برؤى مثيرة ، من ماض لنا
مزيرو مجيد ، طوته المحن في غيابة العصور
الوسطى الاسلامية .

اصغت اذاننا مثلا ، الى صسوت
اسماعيل مظهر يقول في مقالات مهداة
الى « استاذنا وصديقنا » يعقوب صروفه
في عالم الارواح :

« لقد وملئت اقدام الجيش الفرنسى
ارض مصر وتركتها ، واهل مصر في فجوة
من كهف الزمان ، بل في اعبق فجواته :
باتحركت فيهم شاعرية ، ولا انلجرت فيهم
انفعال ، ولا اتمزت لهم مشاعر لايحوزنا
لأثبات هذه النظرية من دليل .. »

وتشتد ضربات المعول ، على « السيد
جمال الدين الافغانى » الذى ميزه عن
غيره من زعماء المقتدين ، « انه اراد
ان يتخذ من قوة الدين سبيلا للتاثير السياسى
والدعوة السياسية القائمة حول فكرة

استقلال الشعوب الاسلامية ، واعداد
العدة لمقاومة النفوذ الاوروبى في الشرق
الاسلامى (١) وقد تعلم السيد جمال الدين
بفتحها الاساليب العلمية المتيقنة التى مك
عليها العرب منذ القرون الوسطى ،
فهو بذلك صورة مصغرة او مكبرة لعصر
من العصور البائدة في تاريخ الفكر
الانسانى . وهو بنزعته السياسية اثيره
الاشياء في عصره بالهياكل الحفرية التى
تميش بيننا بجثمانها ، وان رجعت بتاريخها
الى ابعد العصور ايفالا في احشساء
الزمان »

ثم يهفى المعول نافذا بضرباته الحادة
الى اعباق وجودنا مثلا في جمال الدين
الذى اعتبره اسماعيل مظهر : (لوريث
العرب بحق في علومهم وفلسفتهم .
وقف من الرقى الفكرى حيث وقفوا عند
النظر الفيبى ، فكان في كل ما يدرجه براعته
او تحرك به لسانه ، مثالا حيا لما اختلط
من مباحث آباءه في كتب اختلط فيها العلم
بالفن ، ليخرج من مجوعها فلسفة هي

(٣)

نقوم بعملية انتحارية ، نهدف منها ان نرج
بقوام مجتمعنا الكبير داخل صناديق حديدية
صغيرة لاتتسع الا للنبي (!!) فما كان

يتسع لطفولة الجنس البشري ، لارسيب
ان يضيق عليه في شبابه « - ص ٢١ »

ثم يتناول الاديب الشاب بعوله ، يهوى
به على الكتاب الذين لم يشروا - مع
سلامة موسى بالارض الجديدة : « فقد
تمكنت القوى الرجعية من اجتذاب اكثرهم
والانحراف بهم الى طريق مصالحها » .
وفد من هؤلاء (المحمد حسين هبكل ، اذ
يدع جان جاك روسو جانبا ، ويهرول
الى التاريخ الاسلامي ، يجتر منه افكارا
بالية « ص ٢٠

«وذكر نجيب محمود في (الشرق الفنان)
يتبنى اكثر النظريات رجعية في الفكر
الاوروبي ، حين يقسم العالم الى شرق
وغرب : الشرق محراب الروح والغرب
محراب المادة ، لا شيء الا لان الطبيعة
ارادت للشرق ان يظل شرقا ، والغرب ان
يظل غربا (!!) ان يفوز الشرق الى الابد
بمركزه الاستراتيجي في مقابر الانبياء !
وان يفوز الغرب الى الابد بخاصية العلم
والقدم . اي اتنا يجب ان نشجع بالسواد
فتد كتب علينا التخلد ، في لوح القدر
الذي تخطه اناهل الدكتور زكي نجيب
محمود ، التي فقدت الحياة فيها بيدو «
ص ١٤٢

ولا اليوم الاديب الشاب ، بل اؤكد
له اني قرأت كتابه كله ، ومله نفسي
شعور بالمعطف والفهم والناثر . وما
نقلت الذي نقلته منه ، الا لكي يري قادة
الفكر فيما صورة ضائعة وامينة ، لماساة
الضياع الفكري الذي شد عقول شباب
منا الى مخدث الغرب ، دون ان يبقى
لهم على شيء يربطهم بجذورهم في الارض
التي عرفها التاريخ زمانا صانعة للحضارة
والتي مسخت في ضمير هؤلاء الشبان
ووعيمهم ، فلم يعودوا يرون فيها الا الصناديق
الحديدية للنبي ، ومتحف الهياكل الحجرية
ومقابر الانبياء ..

واني لارجو ان نلتقي هنا مرة اخرى
لعلنا نلتقي وسيلة ترد على الشباب
ايمانهم بهذا الشرق العريق !

وكان من الممكن ان يتبع لنا وعينا
التنومي ، هضم الثقافات الغربية دون
انقاذها اصلا ننسى فيه اصلنا !
كان من الممكن ان نفذي وجودنا الفكري
بكل جديد الغرب ، دون ان نفقد اصلنا
وننوه عن ذاتنا !

كان من الممكن ان نسمى الى بنسائه
مالنا الجديد فوق ارضنا ملكن الذي
حدث لعلنا هو ان الكثرة من اصحاب
القديم جعلت على قديمها في رجعية
كافرة بالتطور ، نفقدت كل صلة لها بالعمر
والحياة . كما ان الكثرة من اصحاب
الجديد فقتت بمعديتها وفقدت كل اتصال
بقديمنا ، فمز على القلة التي احتفظت
برشدها واتزانها بين التيارين المتضادين ،
ان تحيي جبهة الشباب العربي من
باساة الحيرة والتزق .

ومن شاء ان يدرك الى اي مدى
بلغت المأساة ، فليقرأ كتاب الاديب
« غالي شكري » عن « سلامة موسى واومة
الفسير العربي » نموذجا حيا لتفكير شباب
وصلتهم بسلامة موسى ابوة فكرية
وروحية ، وتأثروا بالاصوات التي علت
في الانق داعية الى نبذ قديمنا كله ،
ومبشرة بارض جديدة لاجذور لنا فيها ..
ان دعوات الإصلاح الاجتماعي والتفكير
العلمي وكل ما هو من التطور والتقدم
يسبب ، تبدأ عند امثال هؤلاء الشباب
بسلامة موسى ، وهو قد تلقاها من
الغرب مباشرة ، حيث سافر الى اوربا
وهو في الثامنة عشرة من عمره ، توجد
طريق الخلاص ، وعاش فترة الطبذة بعيدا
عن « الهياكل الحجرية في اعق لمجوة
من كهف الزمان » كمن عبارة اسباغيل
مظهر !

فأي عجب في ان يكون الاديب الشاب
بكل مالنا من تراث فكري وميراث روحي
والا يلحق بين الاديان ورجال الدين
« لان الذين غالبا ، يتمثل في كهنة الذين
يعنيهم في الكثير ان يتجدد الوضع القائم
في قلوب حديدية ، اسبوا : تعاليم
النساء ، ونواميس الله ، وغيرها من
الاسماء الكهنوتية .

«لماذا جاء كتاب ديني ليصور ذلك
المجتمع البعيد ، وجب ان ندرسه من
الزاوية التاريخية ، لا ان نطبق تلك القيم
بصورة آلية على حياتنا الحديثة وكاننا

دفاع عن العاطفة

بسم الله الرحمن الرحيم
الرسالة بنيت الشاطئ

قلمي طويلا ، عن هذه الكلمة التي أكتبها اليوم
دفاعا عن العاطفة !

بعد كل الذي قيل وكتب ، تحذيرا من خطر
الانقياد اليها والانفعال بها ، حين كنا نقرر
مصريا يجب - فيما يقال - أن يحتسب فيه
العقل وحده !

وما كان ليخطر ببال أحد ، أن تعلن وثيقة
الوحدة قبل دراسة رئيسية واعية ، ومن ثم لم أفهم
وجهها للالاحاح في طلب « وحدة مدروسة » غير متأثرة بعاطفة
الجماهير ...

لكن هون على ، ما أعلمه علم اليقين من أن هذه العاطفة
تفرض وجودها ، مهما يحاول المحاولون تنحيثها عن وجودنا !

وليتل من شاء ، أن حواء تتألف من
العاطفة ، فليست أكره هذا ولا أبرأ منه ،
لاني أن فعلت ، وجدت لطرتي وجدت
مكان الفن في الحياة ...
وانكرت تاريخ الإنسانية الطويل ،
الذي كتبه عاطفة البشر قبل أن نكتبه
مقولهم !
وهل يظل البشر بشرا ، إذا تجردوا
من عراطلهم وخضعوا لسيطرة العقل
وحده ؟
ولنفرض أنهم حاولوا ذلك أو أرادوه ،
هل هو ممكن في حساب الطبيعة ، جائز
في قانون الحياة والفضة ؟
اللهم اني لأدرك أن العلماء
سواسهم ومعاملهم ، لا يتجردون لحظة
من عاطفة !

وسهر وجداننا المشترك على هذه
الوحدة يصبها ويصونها ويحققها ، عبو
الحواجز والحدود !
حتى بلغ المد الثوري أقصى مداه ،
فاندفعت جماهير الشعب العربي بعاطفتها
للغلبة القاهرة ، كتشج كل الموانع
وتفرض ارادتها على التاريخ .
وما كان قادتنا الذين سجلوا وثيقة
الوحدة ، إلا معبرين عن وجدان الشعب
ومستجيبين لارادته !
ومن أجل هذا تريثت ، فلم ادافع من
العاطفة تجاه الذين هونوا من شأنها
وطالبوا باستأطافها من الحساب ، الر أن
تم تسجيل وحدتنا ، نجحت أقول الكلمة
التي كانت في نفسي !

فهذا الحدث الجليل الباهر ، الذي هو
الدنيا باعلان الوحدة ، لم يكن في حقيقة
الامر ابذانا مولد أمة ، استقل العقل
وحده بتدبيره ، وانما كان تسجيلا لواقع
مشهود مقرر ، لم يعد في استطاعة أحد
أن يتجاهله .
واقع أمته على التاريخ المعاصر ،
ارادة شعب عربي لم يعترف قط بأن
الذي بين أيديهم يمكن أن يفصل أو ينقطع
وقد شهدت دنيانا فيما مضى ، محاولات
فشل بائسة ، أقامت بيننا الحدود
والحدود ، وبنت الحواجز والموانع
وبلينا على البعد نلتقي قلبا وروحا
وعاطفة !

أسكت

(٢)

وأدري أن غزاة الفضاء ، يطلقون في
أناتهم المالية يوجدان بقطر وعواطف
مستنارة ..
واقترن خطر التسيئة الوجدانية التي
بتولاها الفن في الدول ذات المجد العلمي .
ولا علم لي اطلاقا ، يبطل من ابطال التاريخ ، خاض معركته بقلب مغلق
وعواطف صماء !

ولا ترات فيما ترات ، قصة ثورة 'ولّى العقل قيادتها' بغنى عن العاطفة !
وكما استرجعت في بالي أحداث التاريخ الكبرى ، ثقب على ، ان اجسد
بينها أي حادث ، أهدرت فيه العاطفة ، رأياني أن تصور امكان وجودنا بنهر
عاطفة ، وقيام حياتنا بنهر فن ينسذى وجداننا ويرضى مشاعرنا !



والقول مع هذا : ليس من الحق أن أزعج لجنسي وحده حق الدفاع عن العاطفة ،
لأنظم أصحاب الفنون ، وكل ذوي القلوب الكبيرة والوجدان الحى والحس المرهف !
وفي بريدى ، هذا الأسبوع ، قصائد لثلاثة شعراء : أولاها نظمها الشاعر الشيخ
« صقر بن سلطان القاسمي : حاكم التمازقة » على ساحل الخليج « رثاء
لفقيد العرب وبطل المغرب ، الأمير عبدالكريم الخطابي ..
وقد تماحت المسافات والحدود في وجدان الشاعر ، فهزه المضاي في نقيد
تفصله عنه أبعاد شاسعة ، وأصفى الرقبة يبكى أخا بطلا وهب حياته لتحرير
أمته ..
ومن ساحل الخليج ، جاء صوت الشاعر يطلب أن تردد على مثنى الفقيد تشييد
الوحدة ، وأن تكون تحيتنا اليه في مرثدته ، القسم العظيم بالنسبي لتحقيق حلمه
الكبير في جمع شمل العرب :

سفر مجد ينهر عبر الصحارى ويعيد الامجاد من عهد خالد
بظل الرقي با تشييد البطولات وسيفا للبغي والجور حاصد
علم الرقي والعروبة والاسلام والنصر والعدو الحاقد
واروبا بجمعها ، بالصليبيين ، بأقوى استعمارها والمكابد
انك الفارسي المجلى اذا الروح تجلسى وهابه كل ماجسد
عد بجنمائك الطهور الى الرقي لكيما يضمه ضم والد
ان فيه شوقا اليه فدعه ، يلثم العطر من رفات المائد
وينير السبيل للنشء منه ويصورغ الجهاد اغلى قلائد
بحبائني يا واهب المغرب النصر ومثني من راحتيه الفراقد
لا وحق الاخا ، سواك الذي برثى وتبكيه بالدماء القصائد
ليس للشعر في رثائك باع ، ما الذي قد يقوله فيك واجسد ؟
عد الى الرقي حيث صلت ابااء بالمجلين من بنيك الاماجد
وصبغت الانيم بالاحمر القاني وارهبت كل خصم معائد
عدت والارض حرة بمخر الجو بعلياك سابح بك صاعد
فانس ما قد حطته من غناء وانس ما قد كبده من شدايد
يا بني المغرب الحبيب وانا رغم بعد الحدود كفى وساعد
جمعتنا الالام والدين والدم والفساد واتحاد العقائد
فانركوه لا تنيشوا الجرح فيه رب جرح ادماه باك وعائد
واندبوه اذا اردتم رضاه باناشييد وحدة وقصائد
الفسعوا عند قبره أن تردوا وحدة العرب انه خير شاهد
والقصيدة الثانية ، من الشاعر الحجازي : السيد (عبدان اسعد) يشارك
بها ، ملء عواطفه ومشاعره ، في أفراح الوحدة !

قصائد من الخليج والحجاز والصعيد



الشيخ صقر بن سلطان القاسمي

دفاعاً عن العاطفة التي خيل لبعضنا أن
وجودنا يمكن أن يستغنى عنها ، أو أن
أمرنا يمكن أن تدبر وتساس ، دون أن
تحتسب لعاطفة الجماهير كل حساب ...

رغم الارتفاع السياسية التي باعدت
بيننا وبين الأرض المباركة - مهد النبي
العربي ، ومبعث الإسلام الذي اظننا
جميعاً بلوائه الأقر الميمون !
في هذه القصيدة ، يتناول الشاعر
الحجازي منشداً :

صطفى يا أغني أو فاشهدي
مولد النور يحيى مولدي
مولد الشعب الأبى الإجميد
مصر والشام وبغداد ، غدي
كلنا يوم الغدا في الموعد
نفتدي بالروح أرض الموعد

يا أخي هذي يدي ، أنت يدي
أنت عوني ، أنت ذخري للغد
كل أرض في بلادى مولدي
كل شبر من ثراها مرقدي



والقصيدة الثالثة من الصعيد ،
مطلوعة رائعة « من وحى الوحدة »
للشاعر الأستاذ « أحمد أبو بكر »
أبراهيم « بني سويف » يوقع فيها على
وتر العاطفة المشتركة التي تجمع أبناء
الشعب العربي على اختلاف أقطاره ،
ويعبر عن المشاركة الوحدانية التي
تتحدى كل حاجز بيننا !

وابيات القصيدة ستة وستون بيتاً ،
يضيق المجال عن استيعابها كلها ، ومن
ثم اضطر كارهة الى الاكتفاء بمطلعها
من الصوت هادراً من بعيد
من ربا الشام ، من مغالي الرشيد
يتخطى حواجز البحر والبر
ويطوى للنيل زيف الحدود
أمة تلشق على الأمل الرحب
وتلقى الزمام لابن الصعيد !
جهمتنا الدماء وهي ظهور
ونمتنا لكابر في الحدود
وحسبي ما نقت من تصائد لشاعر
الخليج ، وشاعر الحجاز ، وشاعر الصعيد ،

من

ذكرنا
عبدنا

"لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق: لقد خُلِنَ
المسجد الحرام إن شاء الله آمين مُحَلِّقِينَ
زعماءكم ومُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ
ما لَمْ تَعْلَمُوا ما فَعَّلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا
قَرِيبًا" قرآن كريم (من سورة لفتح)

الرؤيا الصادقة !

اليوم يتم الزمن الفا وتلاثمائة وستة وسبعين عاما كبريا ، منذ شهد التاريخ وحيدا صلى الله عليه وسلم على مشارف مكة ، في الفا وبضع مئات من محابى
سموا من دار الهجرة الى المسجد الحرام ، المصدتهم عنه الوثنية الباغية ، مأخوذة بحسبة الجاهلية .
كل قد منى على هجرتهم من مكة مستعنين ، مبيدا من الحسى ، تهنو قلوبهم الى البلاد الحثيقي ، وتطرب لرواحهم بالخمبة ، حيث فقس « ابراهيم » امر ربه من
تدبير الحنن والادهار .

« واذن فى الناس بالهجر بانوك رجلا
وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عبق »

ست سنوات حائلة بجليل الاحداث
شهدت نصر الفلة المائنة على الكثرة الباغية

الذكرى بنت الساطع



رواحلهم هناك، ينتظرون مايتى به الفد...
ومع الفد ، جاء المنذرون من قريش
واحدا بعد الآخر ، يؤكدون ان تريشا
مصيبون على القتال ، ليصدوا محمدا
واصحابه عن مكة والبيت العتيق .

ويقول النبي مؤكدا :
«انا لم نات لقتال احد ، ولكننا جئنا
معتدين »

وترفع اصوات المسلمين بالطيبة :
لبيك اللهم لبيك !
لاشريك لك لبيك !

فخشع الدنيا ، وترجع الارض تحت
اتدام من جاءوا من قريش ، ويعودون وقد
اخذهم جلال المشهد فيقول قائل منهم :
«لايحل لكم ان تصدوا هؤلاء عن
بيت الله »
ويتعقب آخر :

«اي قوم ، لقد وفدت على الملوك ،
وفدت على كسرى وقيصر والنجاشي ،
فو الله ما رايت ملكا قط يعظيهم اصحابه
كما يعظم اصحاب محمد محمدا... اذا
توضا كادوا يقتلون على وضوئه ، واذا
تكلموا عنده خفصوا اصواتهم ، وما يحذون
النظر اليه تعظيما له !



ومال الاخذ والرد...
والمسلمون عند الحديبية ، ينتظرون في
لهنة ، ان ياتن لهم الرسول ليدخلوا
مكة . وما يسمعونهم ادنى ريب
في انهم المنتصرون ، لو بدا لتريش
ان تقاظهم وتصددهم عن المسجد الحرام !
ولكن كيف يكون قتال ، في البيت الحرام
والشهر الحرام ؟

وماذا يكون من امر الذين يقيون بمكة ،
من مسلمين ومسلمات ، آمنوا بمحمد
وصدقوا بوسالته ، ثم حبسوا هنالك فلم
ينح لكثير منهم ان يعلن اسلامه ، خشية

في البدر» وشهدت بعدها يوم « احد »
ويوم «الخذق» واياما اخريات ، واستوصلت
الجرثومة الخبيثة لليهود من بني النضير وبني
قريظة ، وتطهر جو هذه المنطقة العربية من
انفاسهم السامة !

لكن شيئا من هذا كله ، على خطره
وجلاله ، لم ينسى المسلمين «مكة» :
مهوى افئدتهم وارواحهم

ومثابة حجهم وحج ابائهم واجدادهم ..
ومبعث النور الذي انشق في داجي
الضية ، يؤذنا بفجر جديد ..
ومهد النبي المصطفى ، المبعوث بآخر
رسالات السماء ..

وانهم ليستقبلونها في صلاتهم ، بقلوبهم
ووجوههم ، حين يصبحون وحين يمسون
وفي الظهيرة والعشي ..
قبلة واحدة ، لا يعرفون قبلة سواها ..
وكعبة واحدة ، اليها الحج وعندها
الملتقى ..

واله واحد ، لا يعبدون ربا سواه ..



وفي الطريق الى مكة ، ذاع النبا ان
تريشا لن تدع الرسول وصحبه يدخلونها.
ويبلغ النبا سمعه الكريم ، فيشق عليه
هناذ قومه وكثرهم ، ويمز عليه عنيتهم
وهم الاهل والعتيرة ، فيقول عليه الصلاة
والسلام :

« ياويح قريش ، قد اكلتهم الحرب
ماذا عليهم لو دخلوا بيني وبين العرب ،
فان هم اصابوني كان ذلك الذي ارادوا
وان اظهري الله عليهم دخلوا الاسلام
والفرين .. فما تظن قريش ؟ فو الله
لازال اجاهدكم على الذي بعثني الله به
او تنفرد هذه السالفة ! »
واشار الى صفحة هنته .

واستأنف الركب المؤمن طريقه حتى
بلغهبط «الحديبية» من اسفل مكة ، فاناخروا

مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان
تظنوهم فتصيبكم منهم معرفة بغير علم ،
ليدخل الله في رحمته من يشاء ، لو
تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا
النا . ال جعل الذين كفروا في قلوبهم
الحيمة حمية الجاهلية ، فانزل الله سكينته
على رسوله وعلى المؤمنين ، والزمهم كلمة
التقوى وكانوا أحق بها وأهلها . . . »
ومع هذه الآيات الكريمة نزل الوعد
الحق بالنصر الأكبر والفتح المبين :
« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ،
لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين ،
محدثين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فاعلم
مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى
بالله شهيدا . »
وصدق وعد الله .
فتحت مكة بعد اقل من عامين اثنين .
من صلاح الحديبية .
ودخل المسلمون المسجد الحرام آمنين
لا يخافون . . .
وخضع التاريخ ، وهو برقب ذلك الذي
خرج من مكة بهاجرا قبل ثمانين سنة ، اهل
الا من ايمانه ، تطارده الوثنية العاتية .
وقد جن جنونها ، يقف يوم الفتح - وهو
في ذروة مجده وانتصاره - على باب
الكعبة المطهرة من رجس الاوثان ، فيهنف
بله الخشوع والتواضع :
« لا اله الا الله وحده !
« لا شريك له . . . »
« صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم
الاحزاب وحده . . . »
وبقى الهتاف يتردد ملء سمع الزمان .
على مر القرون وتتابع الاجيال !
هتاف عيد ، ونشيد ايمان !

فينصرف عائدا الى المدينة ، رعاية لحرمه
السد الحرام !
لكن ظننا قد خاب ، وهذا هو مقيم
بالحديبية بؤرق ليل قريش سهدا ، وبلا
سهارها حيرة وقلقا . . .
وان هتافه وهتاف من معه .
ليبك اللهم ليبيك !
ليسرى ملء اللضاء العريض . فتصفي
اليه افئدة مشوقة الى الايمان ، وتنخلع
قلوب اخرى قاسية ، من لرم الخوف
والذعر . . .



وبين الحديبية مكة يسمى الساعون
في مفارقات الملح . . .
وكان حسب قريش ان تظن بهدنة بعد
ان هدتها الحرب ، وتذظنت انها انتصرت
حين رضى محمد - صلى الله عليه وسلم -
شرطا من شروط الصلح ، يتفق بأن
ينصرف عابه هذا فلا يدخل مكة ، على ان
يعود في العام التالي بن شاء من صحابته ،
ليدخلوها حجاجا ، ويقيموا بها ثلاثة ايام
لا تزيد ، يكون المشركون اثناءها خارج
مكة . . .



وما دروا انهم قد باءوا بالانتم الكبير
حين صدوا المؤمنين عن البيت الحرام . . .
وانصرف الرسول عائدا الى دار الهجرة
وبين صحابته ، من شق عليه هذا
المنصرف ، ورأى في بعض شروط «الصلح
الحديبية» اجحافا بحزب الله المنتصر . . .
وغابت عنهم الحكمة في عقد مثل ذاك
الصلح ، حتى تلا نبهم صلى الله عليه
وسلم مما تلقى من آيات ربه في طريقه من
الحديبية :
« (وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم
عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم ،
وكان الله بها يعملون بصيرا . هم الذين
كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى
معكوا ان يبلغ محله ، ولولا رجال

ان يفتن في دينه !
او يامن الرسول ، ان نشب قتال ، ان
تصيب سهام المسلمين مقتلا من اخوانهم
واخوانهم في الدين !
ثم . . . ألم يك ما اكلت الحرب من هذا
الحق من العرب ، طوال سنوات ست :
التفتيح قريش فلذات اكبادها وتودا للنار ،
في معركة خاسرة ؟
كلا . . . ان محمدا ، عليه الصلاة والسلام
سم يات لقتال ، ولن تستطيع قريش بحبيبتها
الجاهلية ان تجره الى معركة لا يريد . . .
وان قلبه الكبير ، لمع بمؤمنين ومؤمنات
بمكة ، لا يعلمهم ! ويأبى الله ان يكون قتال ،
يصيب هؤلاء ، فتصيب حزب الله منه
معرة !

ليس كل من بمكة اثبا قلبه . . .
وليسوا جميعا من الضالين المشركين . . .
بل ان الامل لم يتخل عن انبي لحظة ،
ان تثوب قريش الى رشدها وتؤمن بحين
الحق . . .



وفي منقدي قريش بالحرم ، كان زعمائها
يتدبرون الامر وقد ارهقتهم حيرة ما بعد
حيرة . . .
لقريش تعلم علم اليقين ، ان لو كان
قتال ، لانتصر محمد في القلة العزلاء من
صحابته المؤمنين !
وما نسبت قريش يوم «بندو» .
ولا نسبت يوم «الخندي» حيث فلبت
القلة المؤمنة الاحزاب محتشدة متكاثرة . . .
ثم ان قريشا لم تكن بحيث تجهل ان
من بين اهل مكة من يضمرون الاسلام ، فلو
قد نشب قتال لنصروا نبيهم وانضوا تحت
لوائه مستبسلين !
وقد بليت امثال هؤلاء ، وعرفت كيف
يجدون الموت في سبيل دينهم ، مجدا
وانتمسارا !
وما انذرت قريش محمدا بالقتال ، الا
وهي تطمع في ان يحدث الانذار اثره ،

مأساة الضياع الفكري

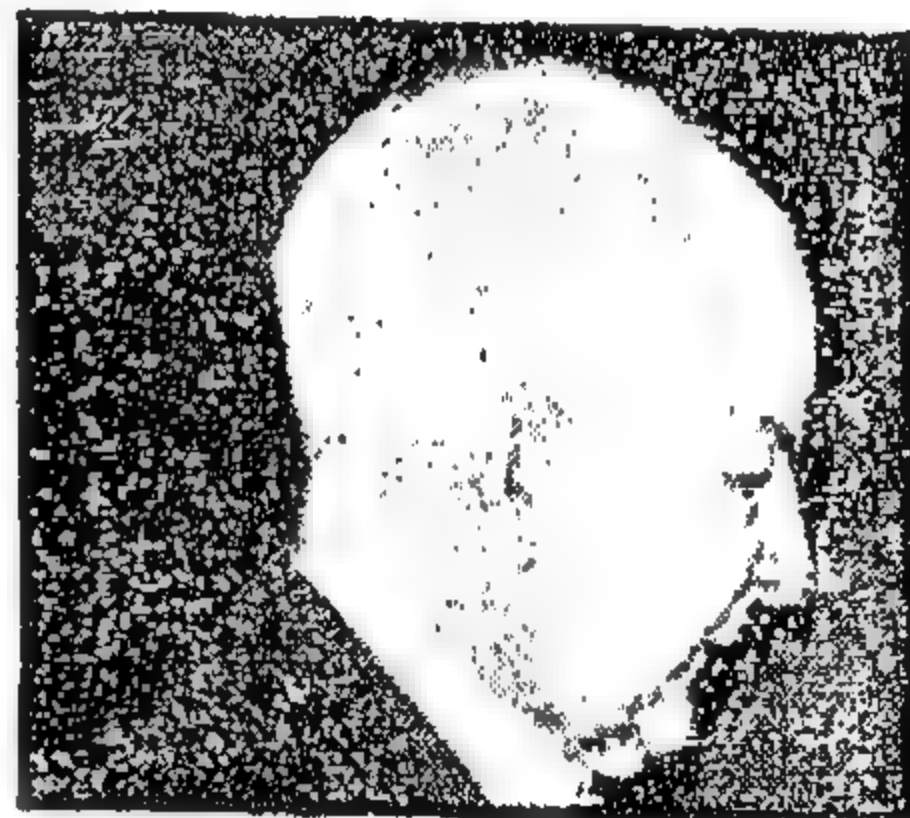
بين قصرالد وبارة وكلية الآداب!



شكير



الافناني



كرزويل

مقام الدكتور بنت الساطي

أكثر الذين كتبوا إلى ، معلقين أو معجبين على ما كتبت هنا في «مأساة الضياع الفكري» لشباب هذا الجيل ، تساءلوا عما إذا كنت في شعوري بالمأساة والفكرتي منها ورأيي فيها ، بمثابة بينوتي لأب شيخ ، ونشأني في بيت دين محافظ ؟
ولماتهم أن يلحظوا أن كثيرا من أبناء جيلي ، كانت لهم مثل هذه النشأة ، وقد تربوا في حجور آباء من رجال الدين ثم أعشى سحر القرب ابصارهم فكانوا من أشد الناس عقولا للدين ، وتكرار البيئات ، وانسلاخا من شرايقهم !

(٢)

واكتشف اليوم عن لغز طالما حيرني وأنا في مستهل حياتي الجامعية .. كنت حينذاك حديثة عهد بالخروج من بيتي العربية الخالصة ، وكانت الجامعة تبدو لي من بعيد ، تحف بها هالة من العظمة والجلال ، وقد شاقني الذي سمعت من مناهج فيها حديثة ، لا عهد لي بمثلها وأنا أتلقى دروس العربية والاسلام على والدي وزملائه من مشايخ الأزهر . وقد طالمت خلسة بعض المجلات التي كانت محرمة في عرق بيتي كمجلة المقتطف ، واعتزفت باني بدأت استرب في قيمة تلك البضاعة الفكرية التي تزودت بها وخامرتني بعض شك فيما لقوس من رصيد في تراث المعرفة الانسانية ..



وكان المناخ الفكري الذي تعيش فيه العاصمة ، يسج بالحديث من هبت الاشتغال بالدرس الانبي ، ويرى ان يخونهم الحظ أو تقسو عليهم الظروف فتومد في وجوههم ابواب الكليات الطبية ، ولست انسى ما تعرضت له من ضغط هنا كي اعدل من التحضير لامتحان البكالوريا قسم ادبي ، وما اجهدتني من الحاح الناصحين بأن اختار القسم العلمي ، وكأنما كان لي في الامر حيلة أو خيار ..

لم كانت المفاجأة التي لم تخطر لي قط على بال ..
فما كنت ابنى في دراستي بكلية الاداب عابا وبعض هام ، حتى تنامي الى معنى صدى مراغ حاد بين الدول الاستعمارية ، حول كراسي الاستاذية ورياسة الانعام في هذه الكلية ، وعجبت ايما عجب ، حين بلغني احتفال « قصر الدوبارة » بالنصر الذي حققه ، حين عين « الكابتن كريزويل » رئيسا لقسم الانار الاسلامية .

وكانت فرنسا تطمح الى ان يشغل احد ابنائها هذا المنصب الخليلي ، الى جانب زميله رئيس قسم اللغة الفرنسية ، واذكر انني سألت « الدكتور شاخت » يوما - وكان يدرس لنا لغة اللغة العربية واللغات السامية :
« .. »

وزادني توله . وكان حقا به ثوبا الى ما يدور حولنا من صراع ، ورحمت أتبع ما تسجله محاضر مجلس الكلية من أمعاء التصادم بين النفوذ الاستعماري وحماء القومية المصرية العربية . وكانت

اقسام الكلية على عهدي ، يتولى رئاسة اربعة منها اساتذة اجانب ، يكفى لبيان مدى سلطانهم المرهوب ، ان اشير الى خطاب رسي ارسله مدير الجامعة - الدكتور ابراهيم ثوقي رحمه الله - الى مبد الكلية على يقرأه في أول جلسة تعقد لجلسها ، وفي ذلك الخطاب يقول :

« (اداب بعض اساتذة الكلية المصريين ، على الدعوة الى تصير مجلس الكلية ، وقصر رئاسة الاقسام على الاساتذة المصريين دون الاجانب بدعوى انهم يجب ان يقتصر على مهنتهم اساتذة خبراء . وأود ان اؤكد ان الوضع الحالي بالنسبة الى الاساتذة الاجانب لن يتغير فلا مجال للمضي في اثاره مثل هذا الجدل الجارح لزملائنا العلماء الاجانب ا »

وسجل الخطاب - بعد تلاوته - في محضر مجلس الكلية : وثيقة رسمية .. وسجل معه تعليق الاستاذ المصري المقصود بكتاب السيد مدير الجامعة . « ليس لاحد ان يحتكم في المستقبل وسير التطور ، واني اترك هذا للزمن » ثم اعلن انسحابه من مجلس الكلية الى ان يتم تعيينه ا

(٣)

فيقال : متخلفون يعيشون مع الموتى
ويولعون بأكنان الجثث المحنطة !
ويكتب عنه القس الاسباني (بيجويل
اسين بلاسيوس) فتقوم دنيا الغرب وتتعهد
وتزلزل الارض زلزالها !

وندعو - متأثرين بجمال الدين الافغانى
الى الاتصال بتدبيرها والكشف من
جذورها ، فنوصم بالتخلف والغبية ، اما
حين ترصد الادارة الثقافية بجامعة
الدول العربية الوب الجنبات ، لتعيد
ترجمة مسرحيات لشكسبير ، سبق ان
ترجمها امثال مطران ومحمد عوض ابراهيم ،
فان مشروع اعادة الترجمة يعتبر خطوة
لتقدمية تعين على تطورها ، وتثقلنا بساحرات
مكيث وعصر شكسبير ، الى عصر غزو
الفضاء !

ويهتم المهتمون منا بدراسة تاريخ
الاسلام ، فيقال اننا نمر على « ان
يظل الشرق في مكانه الاستراتيجي
بمقابر الانبياء » !

اما اذا مشنا في اساطير اليونان
مع زيوس وباخوس ومارس وديانا
وما لا ادري من آلهة خرافية ، فنحن
ذو ثقافة عصرية ، نستحق بها جائزة
الدولة وتقدير هيئاتها الرسمية العليا
للآداب !

الى مثل ذلك المدى البعيد افطرت
المقاييس ونشابت القيم واختل المنطق
وقلت الموازين ، فيكون الشيء الواحد
حراما علينا حلالا لغيرنا ..
وما هذا الذي تصح به دنيانا من
الازراء بالدراسة الادبية والاستهانة
بمعلومات وجودنا الروحي والمعنوي الا
نتيجة حتمية لذاك الاختلال ..

وما هذا الذي يرهق شبابنا من ضياع
فكري وضغطة مرهقة بين شقى الرقى
الا بعض الاثر لما تسلط على فكرهم
ووجدانهم من مغالطات ، لن يشق عليهم
الكشف من زيفها وسذاجتها ، لو انهم
تابوا الى منطقتهم ، وسألوا عن سر
اهتمام الغرب - غازی الفضاء -
بصناديق الدمى عندنا ومقابر الانبياء ..

ولم ينقص لي عجب وانا
ارى كلية الاداب - دون غيرها من
الكليات - تستأثر بكل هذا الاهتمام من
الدول ذات النفوذ الاستعماري ، مع
ان الكلية كانت في حساب قومي اقل
الكليات اهمية واهونها شانا !
ثم ميا الله لي من اساتذتي المصريين
من كشف لي عن سر اللغز المحير :
فهذه الكلية بالذات ، هي التي تتولى
دراسة وجدان الامة ومزاج الشعب
وتكشف عن عناصر شخصيته ومعلومات
وجوده ، بما تقوم به من دراسة للغة
الامة وادابها وتاريخها وفلسفتها ، ثم
هي التي تتولى في الوقت نفسه ، فتح
التواضع الغربية امام عقول الشباب ،
بما تدرس من آداب اجنبية ، قديمة وحديثة
وبما تختار من تيارات الفكر الغربي
ومذاهبه ، فاي عجب في ان تتصارع
الدول الاستعمارية على مناطق النفوذ
فيها ، وان يعدوها مركزا للفتوى الفكرى
والتأثير الوجداني والدراسة في الكليات
الآخري علمية موضوعية ، لا مجال فيها
لتسلل الفتوى ، ولا فرصة فيها للتشويه
او تحريف ؟

وباهتدائي الى سر اللغز ، نجوت من
الضياع الفكرى !
وتفتحت بصيرتى ، فادركت قيمة الكنز
الذى نملكه من تراث المعرفة ، والذى
طالما اغرانا مقرون بالصد عنه والزهد فيه
والحوا علينا في اهماله ونبذه !
في الوقت الذى كانت دوائر الاستشراق
تحرص فيه اشد الحرص على جمعه
وتعكف في شبه رهينة ، على درسه
ورعيه !

وانكر عقلي سذاجة المغالطة !
اذا استغلنا نحن العرب بترائنا ،
انهمنا بالرجعية ووصينا بالتأخر وحبنا
بالهياكل الحفرية !

واذا اشتغل به امثال مرجليوث وجب ،
وماسينيون وبروفنسال ، وكايتاتى ودبلا
فيسدا ، وكراشوكوفسنتكى ، وشاخست
وجيومز ، فهم علماء انشاذ
يعتز بهم الغرب الحديث ، ونماهى هم
انجلترا وفرنسا وايطاليا وروسيا والمانيا
واسبانيا !

ونعنى بدراسة « ابي العلاء » مثلا ،

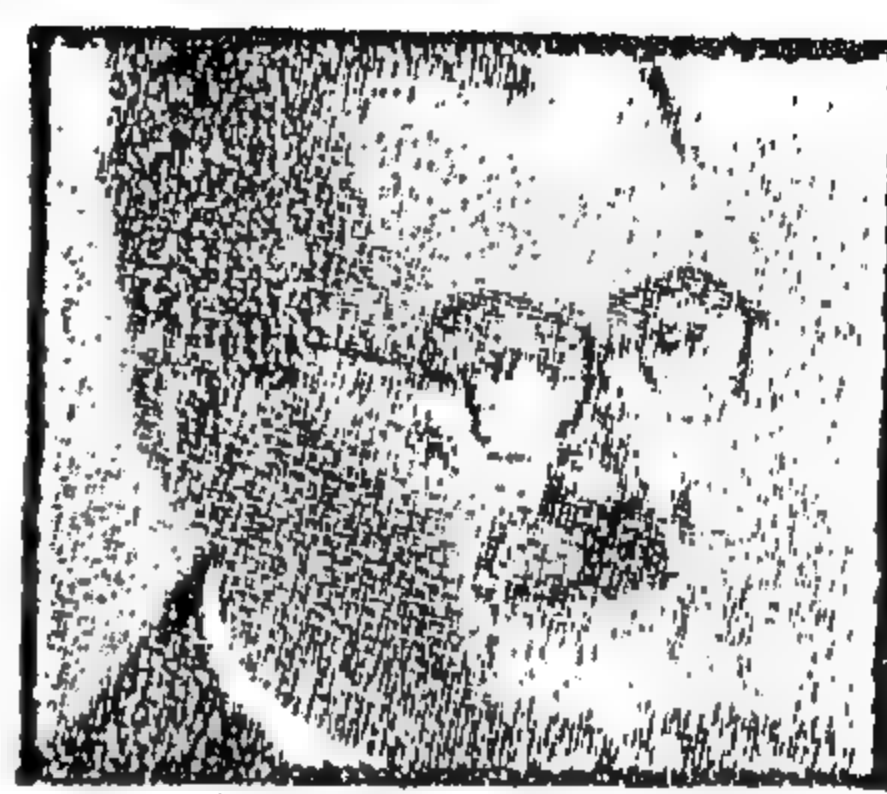
التاريخ : ١٧ / ٥ / ١٩٦٣



محمد الأسير



لويس التاسع



د. علي مصطفى مشرفة

مهداة الى
بلدتي دمياط
في عيد
انتصارها على
الصليبيين

مع الذكريات

البلدة الطليعة

احتاج من حين الى حين ، الى التوقف قليلا عن متابعة الاهتمام بالقضايا الادبية
لاصفي الى مافي اعماق وجداني من رجح الذكريات .
وربما كان هذا الاصغاء ، ضرورة نفسية ، استريح بها لحظة من جهاد
المعركة في ميدان وجودنا الادبي والفكري .

او لعله بمعنى تعويض عما اعتدت ان أجده من غبطة ونشوة ، عندها كنت
اكتب القصة ، قبل ان تشغلني عنها الحياة
العلمية والادبية ، وتلفني في دوامتها
العنيفة الصاخبة !

او من يدري ؟ لعله تنفيس عما يشحن
وجداني من مشاعر ورؤى لامجال للاقتضاء
بها فيما اناول من دراسات علمية
للادب !

الكتبة بنت الساطي

(٢)

واسلمت نفسي الى تلك الذكريات

الغوالي ، وهي تضي بي خلال الإباد ،

معيدة روى ماض بعيد لهذه البلدة الطبية ،

وأطباء أجداد لنا كرام ، صنعوا تاريخا

حافلا بالبطولة والعصامية والكناف ،

وتركوا طابعهم الاصيل في حياة الوطن ،

كما تركوا ملاح شخصيتهم المنيزة في

الاجيال المتعاقبة بنا ، على مر المصور

وما كل هذا الذي يميزنا ، نحن أبناء

دمياط من حسنة وإيمان ، ومن حب

الكناف وصدق العزيمة وصلابة الإرادة

ومن الشعور الرفيع بالخير والجمال ..

ما كل هذا الا بعض ميراث أجدادنا الكرام

وانظر الطابع الاصيل لبلدنا المفردة ..

فمن وراء التاريخ ، كان هذا البلد

الطيب يفرح وجوده على الدنيا والتاريخ ،

وكان اهله العاملون يشقون طريقهم في

البر والبحر ، ويصنعون حياتهم بعزيمة

ماردة وكفاح عنيد وإيمان صادق ،

وأرادة غالبة لا تقهر ..

وحين استرجع ذكريات طفولتي الخاصة

وجولتي على سفان النيل وشطوط بحيرة

المنزلة ، وعلى ساحل البحر عند المصب

الشمالي ، اذ ارقب اياب التجار على

سفنهم الشراعية وعودة الصيادين من

رحلاتهم على متن الموج ..

حين استرجع هاتيك الذكريات ، ادرك

تمام الادراك لماذا نشأنا وفي معنا هب

الكناف وأرادة النضال ، وفي خلقتنا طبيعة

العزم والصبر ، وفي قلوبنا نلحة التقوى

وعز الايمان ، وفي وجداننا عشق الطبيعة

والشفق بالحق والخير والجمال ..

وامسى اتم الرعى ، لم كان في مزاجنا

هذا التلازم العجيب بين القيم المادية

والروحية ، بين الحرص على الكفاف

الدنيوي ، والخلقية المتدبنة التي تسكاد

اتكون لنا من التصوف ..

وانبسم كل الفهم ، كيف كان مولد

« سيدى ابي المعاطي » يتام في مسيم

الحى التجارى عند سوق السبك وبشارب

الارز ومصانع الاثاث ، وكان « المعهد

الدينى » بكل وقاره ومهابته ، يقوم في

اجامع البحر الى جانب دور التجارة

وقاعات نسج الحرير ومراسى السفن

ومخازن ما تحل من بضائع .

وانهم معه ، كيف كانت ارسنقراطية

التجارة ، تعيش في وثام تام وانسجام

نادر ، مع ارسنقراطية العلم وروحانية

الدين : قلم يكن اعتزاز المدينة بأقطاب

التجار من ابنائها ، الذين كنوها مهانة

الحساسة والفقر ، دون اعتزازها بأبناء

الها صنعوا مجدها العلى كالكتور على



وقد وقفت هذه الوقفة مع ذكرياتي ،

أهنيها أصغيت الى خطبة السيد الرئيس

في عهد العلم ، نمشت بها عهد الكفاف

المضى الذى كابدته أبناء جيلي ، لكي

ينتزعوا حقهم في العلم وسط ظروف

عصية قاسية ، لم تكن تسبح لاهلنا ،

من أبناء الشعب الذين حرمت عليهم المدارس

الابتدائية والثانوية ، ان يقتحبوا ابواب

الجامعة ، فيختلطوا بأبناء الذوات ويمكروا

مزاجهم المرفه !

واليوم أعيش مع الذكريات ، على

الشاطئ الحبيب الذى كان لطفولتي مهدا

ولصباى بلعيا

فلقد أصغيت أياها من عطلة هذا العيد

في بلدتي دمياط ، التي اعتادت ان تدعو

أبناءها غير المقيمين بها ، في مثل هذا

الموسم من كل عام ، كي يشاركوها

الاحتفال بعيدها القومى ، ويحيوا معها

ذكرى انتصارها على الجيوش الصليبية

الخادرة ، وصبودها الباسل لغزو القراصنة

.. وليجددوا مذهبهم بالبلد الطيب : مهد

الذكريات ، ومثوى الامل والاحباب ..



وهناك وانا اسير على الشاطئ فوق

أرض المولد ، وجدت نفسي !

لقد تغيرت بي الدنيا وتقلب الحياة ،

وتنقلت ما بين شرق وغرب ، وجبت الاقطار

من « طشتند » في أقصى المشرق الاسبوى ،

الى « غزنات » في أقصى المغرب الافريقى

ومن « غانا » في قلب القارة العريقة ،

الى « السويد » على أطراف الغرب

الشمالى ، وبعد من المقام من وطنى

الاول ، ولكنى ظللت وسأظل ، بنت هذا

الشاطئ ، لم تفتنى عنه مواطن أخرى

تنقلت بينها ، ولا انسأى أباه كر الغداة

ومر العشى !

أ قد يهون العمر الا ساعة

وتهون الارض الا موضعا

والساعة التي لانهون عندي ، هي

حين أعود الى ربوع بلدتي الحبيبة ..

وموضع الذى لم يهن ولن يهون ،

هو هذا الشاطئ الذى كان كل عالمى

ودنياى !

يبار بها حل الشباب تعامى

واول أرضى من جلدى ترابها



هناك تنفست ملء الراحة والانطلاق ،

وانا استرجع ذكريات تفيض على وجودى

نشوة غامرة من الشجو والشجن ، ومن

الحب والحنين ، ومن الالف والاعزازة

الها صنعوا مجدها العلى كالكتور على

مشرفة ومجدها الديني كالشيخ الخضري ،
والشيخ الديموجي - جدي لاسي -
وقد ولي مشيخة الأزهر ومجدها الأدبي
كالشاعر محمد الأسمر ، وكل من أضاف
آفاقها بنور المعرفة والإيمان .
نفى هذه البلدة الطيبة تعلم أجدادنا
في مدرسة الصيد ، الصبر والإيمان ،
أن يبدلون أقصى الطاقة والجهد ، ويفرغون
النباش للخالق الرزاق . . .
وفي مدرسة التجارة والصناعة ،
تلقنوا من قديم لذة العمل ومعة الجد والمثابرة
والاعتماد على الله والنفس ، واحترام
السمي في سبيل الرزق الحلال
وفي هذه البيئة الساحلية ، ما بين
البحر والنهر والبحيرة ، تعلموا جرأة
الاقتحام ومصارعة الموج ومواجهة الأعاصير
والأنواء ، وأدركوا منذ كانوا ، أن الحياة
ارادة ونضال
وكما كان هذا الموقع الفريد حافظا
لانتظامهم إلى ما وراء البحر ، وسعيهم
على متن الموج إلى سواحل الشام وتركيا
وقبرص واليونان ، كان كذلك مدعاة
الحرص والتنبه إلى الخطر الأجنبي
يأتي من وراء البحار ، وينفذ إلى
النيل من ثغره على ساحل البحر الكبير ،
ومن هنا شب أبناء هذا النفر على
تقدير مسئوليتهم الكبرى من سلامة
الوطن وحماية أمنه السياسي واستقلاله
الاقتصادي ، من الغزاة الطامعين والمرتكبة
المخافين ، وكان هذا هو الدور العتيد
الذي لعبه في تاريخ مصر ، حيث ظلت
قائمة على هذا النفر تحرسه من
عدوان القراصنة وتحميه من نهب الدخلاء ،
وتعده بأسباب القوة والرخاء والثراء . . .

وأقصى مع الذكريات ، فأراني طفلة في
مجلس أبي حفظه الله . . . بيع عدد من
رملاته العتيقة ، شيخو المهد الديني ،
يتبادلون الرأي في حال الإسلام والمسلمين ،
لناسبة أزيمة تبشيرة . ويروي أحدهم - لعله
الشيخ محمد الخضري فيما أذكر - حديثا
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،
قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « يا عمر ، أنه سيفتح على يدك
بمصر ثغران : الاسكندرية وديياط . أما
الاسكندرية فقريبة من البسور ، وأما
ديياط فهم صفوة من شهداء ، من رابطها
ليلة ، كان في حظيرة القدس مع النبيين
والشهداء » . . . وقرأت نص الحديث في
معجم البلدان لياقوت الحموي ، ثم لم
أشأ أن أحاول تحقيقه بالرجوع إلى
كتب الحديث الأمهات ، لأنه - على أي
وضع كان - لا يفتقد دلالة على ما اشتهر
به أجدادنا من بسالة ونجدة وحفاظ على
الدين ، هكذا عرفهم التاريخ من قديم :
حماة بواسل ، يربطون على الثغر
الشمالي حراسا أضاء ، ساهرين على
حماية الوطن من الأجنبي الدخلاء .
وأذكر فيما أذكر ، مظاهرات حماسية
كانت تجوب أنحاء ديياط . وأنا طفلة ،
واسمى فيما أسمى إلى أمعاء خطب
ومسائد كانت تلهب بشاهر الجناهم ،
دون أن أميز منها غير كلمات من الحياة
والاحتلال ، والانجليز والاستقلال . . .
وكبرت ، وقرأت تاريخ بلدي ،

(٤)

مادية القرامسة والطامعين والمرتزقة
من الغرباء .
وقامت وتقوم في الوادي - بعد
ديباط - مناطق صناعية مستحدثة مزدهرة
ولكن الوطن سينكر لديباط ما تفردت به
من مجد صناعي عريق تليد ، كذب دهوى
الزاعمين أن مصر لانصاح لصناعة ، ولن
يشي تاريخنا الاقتصادي ، ان ديباط
كانت تبهير الدنيا بمصنوعاتها التي كانت
« تهدي إلى ملوك الأرض » كما يقول
« يأتوت الحوى » في معجم البلدان
ثم يستطرد بعد حديث طويل عن عجيب
منسوجاتها الحريرية :

« واخبرني بعض وجوه التجار ولقاتهم
أنه بيع في سنة ٢٩٨ هـ ، خلتان ديباطيتان
بثلاثة آلاف دينار . وهذا مما لم يسمع
بمثله . ومن عجيب أمر ديباط ، أن الحاكة
في حاملها يبدعون للثياب الرفيعة الجليلة
القدر التي لاتنجب الا بها ، فإن عمل
بها ثوب وبقي فيه شبر نسيج بغير
حاكها ، علم ذلك السمسار المبتساع
للثوب ، فينتقص من ثمنه » !

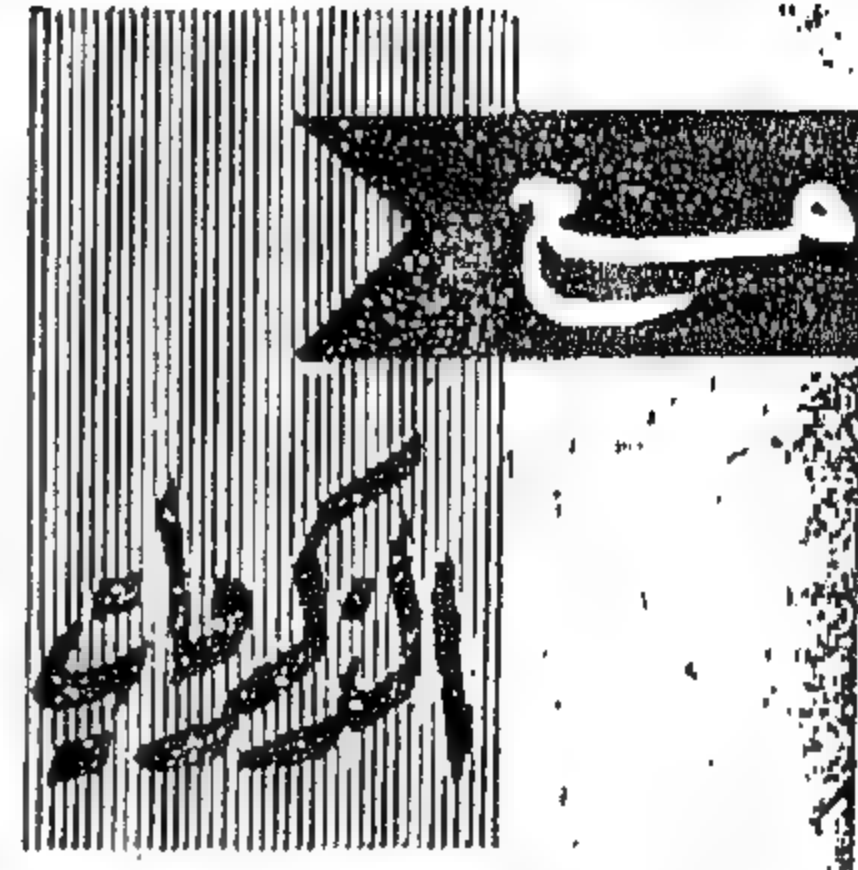
وستتغير معالم البلدة الطيبة ، مع
الثورة العمرانية الجديدة ، ومن يدري
ربما جئت في غد إلى ديباط فسرت في
طرقات جديدة لا تعرفني ، ومررت بجبل
حديث من ابنائها لا يدرون من اكون ، لكن
هذه البلدة الطيبة ستظل وطني الروحي
وان جهلتي ، وسينقل أهلها أهلا لي
وعشيرة ، وان فسوني .
بلادي وان جارت علي عزيزة .
وأهلي وان ضنوا علي غرام !

«عرفت لماذا لم تكن ديباط كريمة مع
الخيال ، واعتزوت بما شاع من
أنفل ، فقد كنا حقا لا نؤمن بشعار الكرام
لضيوفنا الذي آمن به غربنا ، وما أطقنا
أن ندع الأجانب الغرباء يرجون في
ربوعنا ويتقهقرون خيراتنا ويسلبون
توتنا ، ولقد حاولوا معنا مخالفتهم بكل
وسيلة ، فأبوا بالخفية والفشل ، يتندرون
ببخلنا الذي هو في الواقع شهادة . ومي
وحفاظ ، ويتناقل السمار قصة ذلك اليهودي
الذي دخل ديباط فبعث ولده بقرش إلى
السوق ، وأخذه أن يشتري به طعاما لهما
واللحمار الذي يحملها . فقام الولد على
وجهه في طرقات المدينة جائرا لا يدري
بماذا يسيح ، حتى مر به ديباطي هرف
أخذه فوقف له وكأنه يلقيه درسا :
« اشتري بطيخة بالقرش ، فكل أنت وأبوك
قلبها وأطعم الحمار قشرها ، ثم ادخسر
اللب للتسليبة بقية النهار . »

وعاد الولد إلى أبيه فرحان ، فما
كاد اليهودي يسمع حديثه حتى وفى
الدرس ، فذهب مذهورا وهو يقول لولده :
« تم بنا فلنرحل ، إذ ليس لنا مع الدمايطية
هيلة ، ولا لنا بينهم مكان . »
ويضحك الدمايطيون للقصة ، ولسان
حالم يقول : معاذ وعينا أن يضحك
ملينا يهودي ، ومعاذ تاريخنا أن نبسح حيانا
للخلاء !



ولقد غرق التاريخ ثغورا ومنا أخرى
كان لها دورها المشهود في النضال القومي
ولكنه سينكر لهذه البلدة الطيبة أنها
حملت الامة من قديم ، وتصدت لعدو



الخطوات الأولى

بقلم : الدكتورة بنت الشاطي

لم أستطع - هذه المرة أيضا - أن أشد نفسي وقلبي من جو الذكريات الذي أزال أعيش فيه ، منذ رجعت الى الشاطئ ووجدت نفسي التي يشغلني عنها هنا في العاصمة فصحيح الحياة ، وتلفني بها دواية الشواغل والمشاكل ..
هناك على شط النيل في بلدتي دمياط ، كنت حينها سرت واتي اتجهت ، اهز خطواتي الاولى على الطريق ، واستبين بوضوح وجلاء ملامح الصورة التي انتهت اليها ، لم أكد أخطئ منها ملجأ .
هناك ، عدت أجمع شتات ذاتي المبعثرة ، وألم أحلام طفولتي ورؤى صباي ، واقف من جديد عند نقطة الانطلاق لخطواتي الاولى التي بعد عهدي بها ، دون أن تغيب عني في متاهة النسيان ، أو يطويها كسر الغداة ومر العشى !

وأمام وجداني المتفتح ، امتد خيط طويل ما بين مكاني اليوم في الجامعة ، وبين مقعدي الاول في (المدرسة اللوزي للبنات) الى جانب احدي النوافذ الشرقية بحجرة الدراسة ..

وتراعى لي حلم بعيد عبر الى ، حدود الزمان ، لردني الى يوم بذاته ، كنت فيه ، في السابعة من عمري ، اجلس في مقعدي مع تلميذات السنة الثالثة الاولى ، فاذا مفتش وقور يدخل الفصل ، ويبدأ امتحاننا فيمنا حفظنا من سرور (جزلي عم وتبارك) المقررة علينا ، وتقول له ناظرة المدرسة «السيدة زينب الحناوي» انني احفظ اكثر القرآن ، فيسألني ان اسمع له جزءا من سورة النور ،



فرويد



افو اندريتش

(٢)

ذلك انه كان يعارض والدى في موقفه
العنيد من قلمي ، وامراره على حرمانى
من الذهاب الى المدرسة . وثناء القدر
ان تحدث الحادثة الالية ، اثر انصراف
جدى مفضيا من حجرة ابي في المعهد
الدبى ، فصدته حربة لم ينفذ اليها
واتعدته كسيحا لى سنوات ..

وتحت الشهور بوطاة الندم ، الزمت
نفسى بخدمته متفانية ، وكان من واجباتى
المفروضة ، ان اكتب له ، بعبارة مجودة
ما يلبه على ، من (عرائض ومقالات)
يبحث بها الى الحكام في مصر ، والى
الصحف اليومية ، مطالبا فيها بانقاذ
ديباط من الموت الاقتصادي ، بعد ان
سدت رواسب النيل بوغازها قرب
المصب ، وتعطلت الميناء التى كانت
مرسى السفن التجارية ، حاملة الحرير
الخام والاحشاب الى مصانع المدينة
من ثنور الشام ..

وكانت تلك هى خطوتى الاولى .
فلقد تعودت في ذلك الماضى البعيد ،
ان اترقب الصحف كل صباح في لفحة ،
لاطلاع ما كتبت لجدى ا

وغرنى الفرور ، ففضيت انظن في
الكتابة ، وابذل لتجويدها كل طاقتى ..
ثم مات جدى رحمه الله ..

وترك لى هذه الرغبة في الكتابة ،
غلاية محنة ، لا قبل لى بمقاومتها ..
وشاقتنى ان استمر ، فكان على ان

اقول هذا وانا اتبل لقرأ من قوسى ،
يهزوت رموسهم حين يقرأون هذا الكلام
استفكروا لتأثرى برؤيا عارضة في مقام
ولعلمهم لو نشأوا في مثل بيتى ، وتلقوا
المراث الذى تلقينه ، لما استفكروا ..
ومن عجب ، انهم لا يستقربون قصة
شربية ، قائمة على رواسب في اعماق
الذات من عهد الطفولة ..

وانهم ليقراون بشسفف واحترام ،
بحوث « فرويد » وغيره من علماء النفس
الغربيين في « الاحلام » وآثارها وبواعثها
وامدادها وظلالها ..

حتى اذا قلناها نحن من صميم واقعنا ،
عجبوا وتندروا ، ناسين اننا بشر ، قد
يفلب اثر الرؤيا فينا منطق العقل واليقظة !



وابام وجدانى المتفتح ، ابتد خيط آخر ،
طويل كذلك ، ما بين مكاني المتواضع
في هذه الصفحة من اهرام الجمعة ،
وبين مجلسى القديم في غرفة معينة ، تطل
على شاطئ النيل قرب (كوبرى دمياط)
حيث منزل جدى لأمى ، ورحمها الله .
كان جدى قد أصيب في شيفوخته
العالية ، بحادث كسر عظم حوفه ،
والزبه الفرائش مقعدا ..

وكننت اشعر نحوه بولاء الدين بدين
باهظ ، اذ اعتبرت نفسى مسئولة - بصفة
غير مباشرة - عن اصابته ا

ثم آخر من سورة الكهف . وينصرف
راضيا وأنا أضحك في سري مما حسبه
امتيازا لي ، اذ كنت أعلم أنه امتياز
موهوم ، يشاركني فيه كل طلاب المعهد
الديني ، بل كل ريلاني الصغار في
(كتاب الشيخ مرسى) الذي كنت ألقى
فيه القرآن ، اثناء عطلات الصيف التي
كنا نمضيها مع أهل والدي ، في قرية
«شبرا بخوم» بالثولبة ..
أجل ، ضحككت في سري ولم ألق الى
كلام السيد المفتش بالا ..
فيم أني عندي أويت ليلتها الى فراشي
رابتني في المنام جالسة في متعدي بالفصل ،
واذا بهلاك مجنح يهبط من السماء قرب
النافذة الشرقية ، ويمطيني لفافة خضراء
ثم يطير عاليا . ولما فتحت اللفافة وجدت
فيها مصحفا شريفا ..
وكنيت بحكم نشأتي في بيئة بحرية نهريّة
تموج بالاساطير وتجسم تهاويل الخيال ،
ثم بحكم بنوتي لشيخ متصوف ، اناثر
بالرؤى وانغمسل بالاحلام . فلما
صحوت من نومي ، أدركت - عن يقين -
أن حياتي كلها مرتبطة بهذا المصحف ،
هدية السماء الي ..
ومن يومها ، عرفت الطريق ...

هكذا امتد الخط بين رؤيا الصبا ،
وبين ما أنتهى اليه تخصصي العلمي
من الاشتغال بالتفسير البياني للقرآن
الكريم ..

اتوارى خلف اسم مستعار ، لانجو
من غضب والدي ، اذ كان مما لا يحل
لبنيات الشيوخ العلماء ، ان تظهر
اسماهن في الصحف .
والى الشاطئ انتسبت ، وبه تسميت
فلزمني طول عمري ..
راسم اليوم ان مشروع ميناء دمياط قد
أخذ خطواته الاولى مع الدفع الثوري ..
واسمى الى السيد « اللواء محمود »
طلعت : محافظ دمياط وهو ينقل اليها
في احتفالنا بالعيد القوي للبلدة الطيبة ،
انباء ما وصلت اليه اللجنة الفنية الثابتة
بدراسة المشروع ، ويعدنا بأن يحمل اليها
في عيدنا القادم ان شاء الله ، بشرى
البدء الفعلي في تنفيذه .
أصفى الي كل هذا ، فالتفت الى
الماضي في حنو غامر وشجو مستغرق ،
واذكر حلم اجداد لي ، عاشوا يناضلون
من أجل تحقيقه ، واتمني لو اسقى الزمان ،
فكتبت « قصة النافذة الشرقية » كما كتب
« أندروفيتش » قصة الجسر الذي على
نهر درينا ..
واندهج بكل مشاعري في جو الذكرى ،
فاعود بها الى موضوعي المألوف على
الشاطئ ، وانية الى اطياف الذين
رحلوا ، وما تزال ارواحهم تطيف بنا
وتحوم حولنا ، معيدة اليها رؤى ماض
تحييه دورة الزمن قد ولي وراج ..

التاريخ : ٧ / ٦ / ١٩٦٣

شاعرة من تولد

زبيدة إيشير

شاعرة
العواطف
المكرومة

"دعيت في هذا الموسم لالقاء محاضرات عن الشاعرات العربيات المعاصرات ، على طلاب القسم الادبي بمعهد الدراسات العربية العالية ، فشعرت بقصور البحث حين يقف عند شاعرات العراق والشام ومصر ، غافلا عن اخريات لعنا لا نعرفهن ، في بقية مناطق الشرق العربي ووطننا الكبير . . .
ومكنت على المطبوع من دواوين الشعر العربي المعاصر ، فلم أجسد اي اثر لشاعرة بالجزيرة العربية او الشمال الافريقي . ولقد استطعت ان الهم صمت حواء في المناطق التي لا تزال اخواتنا فيها مهدرات الوجود الادبي ، لكني لم استطع بحال ما ، ان اتصور عجز المرأة العربية عن ان تحقق وجودها الانسي في الطار من وطننا ، تحررت نساؤها من الحلال العزلة والواد المعنوي ، وشاركن في الحياة العامة مشاركة ذات بال .

بقلم
الكتيرة بنت الشاطئ

وكنيت كلما ذكرت جميلة بوحيرد ، وزهرة بوظريف ، وخديجة خضير ، وملابن اخريات من اخواتنا اللواتي خضن معارك التحرير في فدائية واستبسال ، عجبت كل العجبا ، كيف لم يصل الي اذاننا هنا ، صدى من نضال ادبي في المعركة ، للعربيات الحرائر اللواتي تقدمن الى خط النار ، واجن ضرامها بالوقود الحي من الابناء والازواج والاخوة .
ذلك لان اصالة العاطفية في فطرة الانثى ، تجعلها اهلا لثل هذا الدور الحاسي في معركة الحرية ، وتؤهلها للقيادة الوجدانية فيها . واذا حيل بين المرأة وبين هذا الدور الطبيعي في بلاد تحكمها الرجفيلة وتخلق انفاسها ، فلا مجال للظن بان تكون المرأة العربية في الشمال الافريقي ، مكتومة النفس تحت الكابوس الخانق ، وهي التي اشتركت في جيش التحرير

(٢)

البشرية ، قدر لهم أن تهتز مبادئهم على
دوى القذائف ، وأن تكون أغاني طفولتهم
خليطا رهيبا من آئين الفحشا ونواح
الثواكل وجوار اليتامى ، أبناء الملايين
الذين حصدتهم الحرب قبل أن تبلغ ذروتها
المشؤمة في هروشيا ونجازاكي ..

ثم كان لزبيدة ، الى جانب نصيبها
من الصدمة المشتركة المقدرة على ابناء
جيلها ، نصيب آخر من صدمة عائلية مزقت
شمل اسرتها وبعثت جميعا ، ثم بد
الموت يده فاختلف شقيقتها الكبرى انصر
ما تكون شيابا ، فتهاوت بموتها بقية
أمل في انس وعزاء ..

وانطوت الصبية على نفسها ، تجتر
اشجانها وتسامر احزانها ومواجهتها ،
ثم كان خيط النجاة التي تلوح به الحياة
امام صرعى الاحزان : تعلقت زبيدة بالمطالمة
وشغفها الشعر حيا ، فهامت مع الشعراء
نصفى الى اناسيدهم وتتذرق مواجدهم
وتتلمس جراحهم وتلتقط رؤاهم ، حتى
نافس وجدانها بالنغم الشجي ، فبدات
محاولتها الشعرية وهي في عامها الثالث
عشر ، وظلت مع التجربة المتدا ، ثمانيتها
في نشوة وقلق ، حتى ظهرت تصديدها
الاولى «نهاية قلب» .. وهي بلغت ست
عشرة سنة ، وفيها تقول :

لهف نفسي ، اكذا تمضي حياتي
بين آلامي وبؤسي !

كان امسى مصدر الشكوى
وانى الان اشتاق لامسى !
ما لكأسي اترعت خبرتها الايام
باسا فوق ياسي !

ثم صاغت من خيالها المحروم وصباها
الظالم طيف حبيب تناجيه :
عندما تكشف الدموع شجوني
وترى الحزن واضحا في عيوني
وتراني كأنني حين اغفو
يرسم الياس ظله في جبيني
لا تلمني ، فليس دمعي بكاء
بل حينا وانت تدري حيني
ثم ترتاب فيه :

وكنت قد تحدثت في هذا من قبل ، الى
بعض الزملاء من ادياء الشمال الافريقي
الذين التقيت بهم في مؤتمر الكتاب
الاسبويين والافريقيين بطشقند ، وفي
الحلقة الدولية لدراسة الادب العربي المعاصر
في روما ، وفي مؤتمرات ادياء العرب
بالكويت والقاهرة ، فأكد لي الادييب الجزائري
« كاتب يسن » ان المرأة في الجزائر « قد
اثبتت وجودها في الصعيد الادبي ، كما
اثبتته في الصعيد السياسي والاجتماعي »
وقال لي « الاستاذ محمد مزالي » محرر
مجلة الفكر التونسية : « استطيع ان اشهد
بانه يوجد في تونس وفي الجزائر والمغرب
اديبات مناضلات الهبن حماسا المجاهدين
يشعر نابض بالحياة ، واسجاع وازجال
فيها من المعاني والقيم ، ما سوف ينف
عنده مؤرخ ادبنا المعاصر ، ويقدره حق
قدره »

وكذلك حدثني الاخيت الصديقة « خديجة
« خفي » عن مشاركة للمرأة الجزائرية في
معركة وجودنا الادبي ، وعن اناسيدها
في الشعر الشعبي باللغة القوة والاثارة ..

وقد سمعت هذا كله ، وظللت مع
ذلك انتقد آثار أولئك الشاعرات ، واسأل
كلها جدت مناسبة متى يتاح لنا استكمال
دراستنا للادب العربي المعاصر ، بهذا
الشعر المقتد ، الذي لا يزال مطلوبيا
عنا مجهولا لنا ..

واليوم يتاح لي ، لأول مرة ، ان
انصرف الى شاعرة من تونس ، كان
للاديب التونسي « الاستاذ الشاذلي روكار »
فضل تزويدي بمجموعة من قصائدها ..

واسمها : زبيدة بشير ..
ويطلقون عليها في تونس ، لقب « شاعرة
المواطف المكلومة »

وزبيدة شاعرة شابة ، اثبتت في عامها
هذا ربيعها الخايب والمشرين ، فقد
ولدت في الثامن من فبراير عام ١٩٣٨
بمساقية سيدي يوسف ، ونظر الحرب
العالمية الثانية تتجمع في الافق ، وتلقى
ظلالها الربداء على جيل جديد من ابناء

(٣)

..... اننى اسخر من نفسى

ومن امسى القريب

عندما كنت حبيبي

عندما كنت اظن الحب حقا

لماذا الحب خيال في خيال

ووتعتها باسم مستعار ..

وظلت متوارية ، لا تجرؤ على اعلان

اسمها ، وهى تفنى للحب ، في بيئة طالما

وادت المرأة عاطفيا ..

واتجهت بعيدا .

بهتت بتصادمها الى اذاعة ماريى ،

لفارت بجائزتها عامين متتالين ، وهزتها

فرحة الفوز ، فتقدمت الى الميدان الادبى

سافرة غير متعنة ، واتبلت على الحياة

بارادة مصبة على انتزاع حقا في افراح

الوجود ونعمة الشباب ، لكن صدمة حب

ياثس صهرتها في بوتقة الالم ، وكادت

تسحقها ، لولا ان تشبثت بايمانها بالحب

وان كثرت بالحبيب :

كان لابد ان يمضى كلانا

في طريق

لم يسمى ليرى في الفه

وجه صديق

وكانا لم يكن يجمعنا

حب عميق

وليل لم نزل منها سكارى

لا نفيق

انا في نشوة احلامي غريبة

فليكن حبى وهما لا حقيقة

ولكن قلبى قد ضل طريقه

فانا في نشوة الحب غريبه

وتظل ترفع نجواها في محراب الحب

وتذيب قلبها امام حطام التمثال الذى

تهاوى وانهار :

اتراه يعلم اننى في الليل

اذ اخلو بنفسي

تشتد الامى ويجتاح الهوى

روحي وحسى

وخيماله ابدى يناجيني فادرك

ان ياسى

لن يمنع المأساة ان تبدو

كما كانت بامسى!

اتراه يهوى غيرنا يا قلب ، لا

هذا محال

لو كان هذا ممكنا فيم الذى

ابدى وقال

صدق الرجا

ومتى احببوا مخلصين كم

تحب ونفهم

اتراه ؟ لا ، حسبي الذى قد قلت

فيه وحسبه

انى وان طال الجفاء والانتظار

احبب

ولسوى اخلص في هواه وان

تغير قلبه

لا ، لن يبسل من شمرورى

بعده او قربه

فلقد خلقت لسكى اعيش

بحبه اترن

وزبيدة، باتزال تتع في عشرات ماسبيه

المراهلة الشعرية ، واعنى بها المرحلة التى

سبق النضج . ولكن خطواتها على الطريق

واعده ، فمعانيها شعرية في الغالب الاعم

وحسبها الفن مرمز ، وان خاتنها التعبير

الروائى المسعف ..

ولست ادري لم يخل الى وانا الفرا

شعرها ، انها تشدو به في وجدانها

بلغة فرنسية ، ثم تغضى به بترجما الى

العربية ! ويسيطر هذا الاحساس على -

ولعل في واهية - فانلقى شعرها وكأنه

قد مر في طريقه الى ، بمرحلة ترجمة

تهارسها الشاعرة تلقائيا ، قبل ان تنطق

به !

وهى تغنى موهلة في اعناق ذاتها

كاشفة من سرها المحجب . ولم تتجاوز

فيما قرأت من قصائدها - نطاق ذاتيتها

الفردية ، ولا استطاعت في هذه المرحلة

من تجربتها الشعرية ، وتحتضن ظروفها

ان توسع من افق ذاتيتها بروافد من

وجدان الجماعة وضمر الامة ، على نحو

ما فعلت أم نزار ، ونازك الملائكة وفدوى

طوقان . لموقع «زبيدة» بين شاعراتنا

المعاصرات مع هؤلاء اللواتى شغلتهن هموم

حواء عن الانطلاق عبر حدود الفردية ، الى

حيث تغدو الذاتية الخاصة ذاتية جماعية

اللبم الا اذا اعتبرنا شاعرة تونس معبرة

بموتفها عن جبل من لداتها واترابها ،

تضيق الحيرة والقلق ، ويكابدن الصراع

المنهك ، بين شد الطبوح وعجز الوسيلة

وهنا تقدم لنا «زبيدة» ملاحج لغتاة

الجبل في هذه المنطقة من وطننا العربى

حيث يستيقظ فوج الظليعة على دعاء

اليقظة ودوى معركة التحرير ، فيقدر عليه

ما يقدر على كل ظليعة تسبق واقمها

بطموحها ، وتخوض معركتها ضد روااسب

من الرجعية لا تزال تلجم المرأة بباهظ

الافلال المتخلفة من عصر الحريم .

فلا عجب ان رايناها تتوارى اول

الامر خلف اسم مستعار ، وتغنى شجوها

وظلمها بمتعة من وراء حجاب ، ثم لما

رفعت القناع ، وجسوت على البوح ،

جاءت قصائدها معبرة عن شوق جائح

الى حب تبثله وذات حينا اليه ، ولم

تجده في واقعها الارضى ، حيث التبود

الباهظة ، والظما العاطفى والضمير

الروحى :

انى اهيىم وليس لي

في هذه الدنيا قرار

واود لو اسمى اليك

اخر من دنياى ، لكن

لا سبيل الى القرار

فانا مفيدة بالاقى القيود

تسدد دري كالجدار

ولقد صليت على عمود القهر

حتى بت اخشى الانهيار

انى اتوه بسلا دليلى

الى الصحارى والقفار

فلأى صدر استريح

وكيفى انجسو من ضباى

كلها شطط المزمار ..

فوارحيتاه للشاعرة فيها تكابد ، وتكابه

مهما كل حواء شاعرة ، من هذا الجبل

الذى وجد نفسه ، ففقد الراحة الوهمية

التي خدرت امهاتنا وجداننا في عصر

الحريم !

قصايا أدبية المجال الفني للساعرة العربية

بقلم الدكتور عبد الساطح

الحديث اليوم مفسور على الشاعرة العربية في القديم ، ولست أراني به أبعد من هاضمتنا ، فوالعنا الأدبي مرتبط بجذوره المنيعة ، ولهمنا لحببتنا لا يمكن أن يصح ويستكمل ، ما لم تجله أضواء من تاريخنا على مسار الزمن .
وقد لفتني فيما اشتغل به من دراستنا الأدبي ، أن النقاد الأكاديميين حددوا المجال الفني للشاعرة العربية للقصور على الرثاء وحده .

جاري أباه فأقبلنا وهما
يتماوران سلاءة الفخر
حتى إذا نزلت القلوب وقد
لوت هناك العذر بالعذر
وفلا هنأى الناس ابهما
قال المجنب هذاك : لا أدري !
برزت صحيفة وجهه والده
ومضى على غارائه يصسمري
أولى فأولى أن يسمسأويه
لولا هلال النسيم زالقصد
وهما كأنهما وقد برزا
مفران قد خطا على وتم
وما ذكرت هذه القصيدة ، إلا لأنها
فللرثاء من خبير بالشعر كالاسمى
بشهادته تقدير لم تظهر بها قصيدة أخرى .
نقد سئل : لم لم يرو هذه الرائية بين
المجموع من شعر الخنساء ؟ فأجاب :
المائة أسقط من أن يجاد عليها بمثل هذا
الشعر .

ويبدو - من النظرة العجلى - أن
شاعرتنا «الخنساء» تتفوقها في الرثاء ،
قد صرحت النقاد من سواها ، بل صرحهم
كذلك من شعر لها في غير الرثاء .
النقاد المشهور «ابن سلام» - يعترف
بها إلا رائية بحسب ، ومكانها في كتابه
«الطبقات الشعرية» ثانيا شعراء المرائي .
و«ابن هجد الدين» في «الاستيعاب»
يحدد أولادها شاعرة بمسوت أخيهما
صخر ، و«الأب لوييس شيخو» يقول
في مقدمته لديوانها : «أن مجرد ذكرها صير
عند العرب مثلا يقرب في مناحة الاقوام
وبكاء الأخوان الكرام»
والواقع أن الترتيب الزمني لشعر
«الخنساء» قد أبرز لها قصائد قالتها قبل
لجيمتها في أخويها ، بنها مثلا ، قصيدة
رائمة في سباق بين أبيها وأخيها ، وقد
قال لها القوم : لأن محنت أحدهما مجرت
الأخر ، فانشدت :

(٢)

ملأوا ديوان الشعر القديم بروائع مراثيهم
لاخوتهم بوجه خاص .

.....

وما من شك في أن الشاعرة بطبيعتها
تجيد الرثاء ، ولكن ماذا عن غير الرثاء ؟
هل لم تستطع الشاعرة العربية في
القديم ، أن تحقق وجودها الفني والعاطفي
إلا في هذا المجال ؟

أو عبارة أخرى :

هل كانت حواء العرب تظل بلحمة
اللسان مغلقة الذائب منحجرة المشاعر صماء
الوجدان ، حتى تقوم مناحة فتحل عقدة
لسانها ، وتطفر ينابيع الخس والشعور
في قلبها المفلق ووجدانها الاصم ؟

لقد رايتني الأمر حين شق على ، أن
اتصور وجود ستين شاعرة عربية ،
في زمن متقارب وبيئة واحدة أو تكاد ، لم
يظهرن إلا في المائمه . ولا كان لهن نشاط
فني وعاطفي خارج هذا النطاق الحزين .
وبمع ذلك ، لم يكن لي بطبيعة الحال ،
أن ألقى برأي خاص في القضية ، دون أن
أحتكم إلى تراثنا الشعري .

وفيما قرأت من تراثنا ، وجدت لشاعرات
العرب مصيدا ذا بال ، في غير الرثاء .
ولكنه ثوارى خلف الفكرة المسيطرة .
وغاب أو كاد ، في مسجيج المناجات .
بحيث كان على ، أن اهتدى إليه
بمصباح ، ثابها بمعثورا على آلا من الكتب .

وقد ايسر النقاد والمؤرخين ، تد هرفوه . لا
شك قبل أن أهرفه . ولكنهم أهروه
فلم يلقوا إليه بالا .

أما لماذا أهروه ، فلان حركة الإشتغال
بتراث الشعر العربي : جمعا وتدوينها ،
ثم تصنيفا ودراسة وتقددا ، نشطت في
المصر المباسى الذي مزل المرأة من
الحياة العامة وفرض عليها نوعا من الواد
العاطفي والاجتماعي ، وهؤلاء النقاد
قد كانوا يعيشون سقراطية زمانهم ومزاج

وأقول مع هذا ، أننا نلتبس للنقاد
كل العذر ، اذا علمنا أن «الخنساء»
بعد موت اخويها تخصصت في الرثاء
واستفرغت فيه كل طاقاتها الشعرية .
ولو كان النقاد قد قصروا حكمهم على
«الخنساء» بتحديد الرثاء مجالا فنيا لها
لما وجدنا في هذا موضع فرائية أو استنكار
لكن الغريب حقا ، أنهم جاوزوا «الخنساء»
إلى شواعر العرب بعمامة ، فلم يهتوا
بغير الرائيات منهن ، والقيت الاخريات
في منطقة الظل ..

والفكرة قديمة ، أرجع - ليما أعلم -
إلى «ابن سلام» حين لم يعترف بشاعرة
أخرى - غير الخنساء - في (طبقات
الشعراء) سواء منهم الجاهليون
والاسلاميون .

وجاء «اللدن» في حياته ، فصر
باب الرثاء على النساء وحدهن
وأختاره كله من شعر الرائيات ، دون

أن يكون فيه بيت واحد . لرجل . من
شعراء العرب .

وانتقلت الفكرة عبر القرون إلى عصرنا
نوجدنا الآباء اليسوليين في بيروت
يهنون جميع مراثي شاعرات العرب ،
وذيلوا ديوان الخنساء باختارات من
هذه المراثي ، لستين شاعرة من الجاهلية
وصدر الاسلام .

ولم ينح المستشرقون من سيطرة الفكرة ،
أذكر منهم « بروكلمان » في (تاريخ الادب
العربي) وكذلك « رودو كاناكيس » في
(الخنساء ومراثيها) المطبوع بالامانية ،
ويكنى أن انقل هنا ما يشهد بسيطرة
الفكرة - والترجمة للدكتور النجار - :

« لظاهر الحزن لم يكن يناسب رجال
القبيلة كما كان لانفا بنسائها وخاصة بالاخوات
ومن ثم يلقى نعهد الرثاء الفني من ملاصدهن
حتى عصر التسجيل التاريخي »

ونسوا هنا لحول الرائيين ، الذين

وانما اعدوها ، ندمهم ، انها تجاوزت
المجال الفني الذي حددوه لشاعرية الانثى
فمازست وجودها العاطفي والادبي
بحرية وانطلاق

بل ان « رابعة العدوية » التي حررها
الرق من الوداد العاطفي المفروض على
الحيائر ، نالها ذلك الجحود ،
فسقط اسمها من ديوان الادب العربي
كله ولم يرد لها ذكر الا على قلم ((الجاحظ))
في معرض الحديث عن الزهد والمعة
وكتب التصوف لا الادب - هي
مرجعنا ، فيها وصل الينا من روايات
نحوها ، وانشيد حبها الالهى

و « المقرئ » مؤرخ الاندلس الكبير ،
رسم شاعرات المغرب العربي في فترات
معدودات من كنه (نفع الطيب) وكان
كل هبة ان يستشهد بهن على ان الشعر
طبيعة اهل بلده ، حتى النساء والصبيان

وهذه الشفرة في تاريخنا الادبي يجب ان
تسد ، لانها تهيئ لنا معرفة اوضاع
المجتمع العربي ، وتقويم المؤثرات من
مقاييسه النقدية وقيمه الفنية

ثم انها التي تضي لنا فهم آتينا المعاصر
بما خلقت من اثر في ذوق عصرنا واحكامه
الادبية ، وبما تركت من زواجب محكمة
في النفس والمزاج ، لجيل الطليعة من
أدبيات العرب ، وهو ما احاول ان اتناوله
في فرصة اخرى ان شاء الله

بيئتهم ، فلا عجب ان لم يكن للمرأة
في نظرهم ، ان تعبر من اسرار ذاتها
او تغنى اشواقها وحبوبها

الاماء وحدهن ، هن اللواتي اعطاهن
الرق من هذا الوداد المعنوي المفروض
على الحرائر ، فمارسن نشاطهن الفني
في الشعر والموسيقى والغناء ، وحققن
الوجود الادبي لحواء العرب

وتهربت بعض الحرائر - في ظروف
خاصة - على اغلال رقع المعنوى ،
فوقى ذرائع الادبي حديث مشاعرهن ،
وخفق قلوبهن ، وان يكن النقاد قد
تجاهلوه

واذكر منهن : علية بنت المهدي ، وولادة
بنت المستكنى ..

ومن يجب ان المصادرة الوجدانية
امتدت الى ما قبل العصر العباسي ،
نجدت شاعرات عربيات لم يدركن
ذلك العصر ..

« ليلى الأخيلية » مثلاً جدها
« ابن سلا » فلم يجد لها مكاناً ولو في
ذيل الطبقة العائرة من طبقات شعرائه ،
وانما ذكر اسمها مرعاً في ترجمته للناطقة
الجمذى ، فاقرب بان « ليلى غلبت عليه »
والناطقة عنده في اول الطبقة الثالثة
اما التي « غلبت عليه » فلا موقع لها
عنده ..

وكان من خبراء الشعر - كعبد الملك
ابن مروان ، والاصمعي - من يرى
« ليلى » اشعر من الخنساء

مقاييس الحكم الأدبي

معلم الكثرة بن الشاطئ

كل ما يعني هنا هو ان الفت النظر
الى مدى حاجتنا الى ضبط مقاييس الحكم
الادبي عندنا ، ابقاء على حرمة ، وحملنا
على شيء من الثقة به ، بحيث لا يتفاوت
تقديرنا على العمل الواحد بين ابيض واسود ،
او بين الاهدار والامتيار !

معلم الكثرة بن الشاطئ

لهذا التفاوت بيننا في التقدير ، فعدت
أقرأ المقال مرة أخرى ، لملي أغربه
رأى في الكتاب ، الى حيث يتقارب مع
رأى الزميل ، وكنت على أتم الاستعداد
للمذول من رأي السابق ، لو اقتنعت
بأنى كنت فيه على خطأ .
و « نازك » صديقتي ، لكن النقد أمانة
والحق فوق كل صداقة وقربى .
وبكل اخلاص أقول : أنتى تمنيت ان

ومن أجل هذا كان اهتمامي البالغ
بمقال الزميل ، لاتصاله المباشر بمقاييس
الحكم الادبي .



كان موضوع مقال ثورة العروض ،
كتاب « قضايا الشعر العربي المعاصر »
لشاعرة العراق « نازك الملائكة » .
وقد سبق لي ان قدمت الى قراء
هذه الصفحة ، وحددت رأيي فيه .
وكان تقديري للكتاب انه ممتاز

على حين رأى الزميل الدكتور لويس
موض ، انه « كتاب جيد أو لا بأس به ،
إذا أخفناه بأخفنا لخواطر شاعرة
مربية لامة في شعر الشعراء المعاصرين
ورأينا فيه سجلا لما تحبه نازك الملائكة
ولما لا تحبه في الشعر الحديث واعتبرناه
دليلا الى ذوقها الخاص وإلى آرائها
الخاصة في الشعر والشعراء . أما
إذا حكمنا عليه وفي ذاكرتنا ما قالته بنت
الشاطىء في وصفه . من أنه أهم كتاب
ظهر في العروض العربي منذ الخليل بن
أحمد ، لم يسعنا إلا أن نرفقه ونفلسنا
لكتاب ردىء بها كانت فيه هنا وهناك
لحات ثابتة ونظرات صادقة » .



نازك الملائكة

ذكرت وأنا أقرأ مقال الزميل الدكتور
لويس موض عن ثورة العروض ، ماواجهه
بين حين وآخر من اختلاف أعضاء لجان
التحكيم على العمل الادبي الواحد ،
يرفعه احد المحكمين الى مرتبة الامتياز ،
ويرفضه آخرون منهم لهبوط مستواه .
واستعدت في خاطري ، كلمة سمعتها
من « استاذنا الدكتور على مصطفى
مشرفة » وهو مدير للجامعة ، وقد
عرضت عليه قضية رسالة دكتوراه في
كلية الاداب ، تفاوت تقدير الاساتذة
المحكمين لها تفاوتاً بعيداً فقال رحمه الله :
« المهم أن يختلف اثنان منا على أن
هذا اللون ابيض أو عاجي ، أما أن
يصل الخلاف الى ما بين ابيض واسود ،
فهذا ما لا اهمه .. »

واختلف الاحكام على العمل الادبي
المبتدع ، جائز وله مبرراته ، لأنه قد
يرجع آخر الامر الى مسائل تفسيرية
أو اعتبارية ، من تفاوت اذواق النقاد
ومستوياتهم الفنية وبيناتهم الفكرية ..
ولكن الحكم على درس ادبي ، من نوع
التفصيل في موضوعه ، لا يجوز في
رأى ان يتفاوت ما بين الاهدار والامتيار
لأنه يستند - أو يجب ان يستند - الى
مقاييس مكررة ، قد تماثل مقاييس الحساب

(٢)

كانت المقاييس التي مرصت عليها كتاب قضايا الشعر ، واضحة ومحددة : اولها : انه الكتاب الرائد الذي لم تنطق مكتبتنا قبله . كتابا في الارتباط العروضية للشعر . ذو وضع تحليلي علم العروض . وكان على الزميل الناقد ، أن يصحح لي هذا المقياس ، بذكر كتاب في الميدان ، قبل كتاب نازك . لكنه اجابني بأن الاوان لم يحن بعد لضبط قواعد الشعر الجديد ، ولعله لن يحن قبل خمسين عاما . وما أمتع أن يكون الحق معه ، لكنه بهذا لا يرد بحال ما ، على مقياس الريادة الذي حكمت به للكتاب ، ولا يلقيه . وثاني المقاييس : أن نازك بكتابتها هذا قد صحتحت الفكرة الشائعة عن الشعر الجديد ، بماضبطته من موازين عروضية وفنية ، نرفض بها الادعاء الذين اقتحموا الميدان بموهبة فجأة ، أو بلا موهبة على الإطلاق ، وفي ظنهم انه يكفي أحدهم أن يبعثر الكلمات ويمزق النسق ، ليحسب على شعراء الجديد . . . وكان رد الزميل الدكتور : أن نازك اقامت نفسها وصية على الشعر الجديد ولم يندبها احد لهذه الرماية . . . واقول : معه حق ، ولكنه بهذا لم يبلغ (الصنعة) التي وضعتها في الميزان النقدي ، حين عبرت للكتاب تحريره ليهوم الشعر الحر ، وفسبطه لقيود حريته التي تشابه فيها الامر على كثير منا ، فحسبوا فوضى وعبتا .

الشيء ، لاني كرهت ان نلقى القراء هنا برأين في كتاب واحد متباينين ما بين ابيض واسود . واهون علي ، ان اكون على خطأ ، من ان تهترأ مقاييس الحكم الادبي امام القراء فيفقدوا بها الثقة في الحساب النقدي ، ويهتروا حرمة ، ويتولوا فيه ما قال استاذنا الدكتور مشرفة ، رحمه الله . بل اني مضيت في الحرم الى مدى



د. علي مصطفى مشرفة

ابعد من معاودة قراءة المقال . فتحدثت الى الزميل الدكتور لويس في الموضوع ، رجاء أن يقتنعني بما لم يقتنعني به مقالته .

ويحصل فيها تنازعنا فيه !
ولكن الذي يعينني هنا ، هو ان الفت
الى مدى حاجتنا الى ضبط مقاييس الحكم
الادبي عندنا ، ابقاء على هرمته ، وحملها
على شيء من الثقة به

وكنت اتصور اننا اوشكنا ان نصل
الى هذا الضبط ، بعد ان استقرت
اصول الدراسة الادبية عندنا ، وتقررت
لها مناهج علمية ، بحيث يمكن ان يتفق
حكام الادب على موازين يقومون بها
الدرس الادبي واصحابه .

ولكن يظهر اني اسرفت في التفاؤل ،
اطمئنانا الى ما اعلم انه استحدثت في
الدرس الادبي من اصول علمية مقررّة .

و ضبط المقاييس النقدية لا يعني بحال ما
اننا لن نختلف على تقدير العمل الواحد ،
بل يصح مع هذا الضبط ان تختلف على
التقدير ، لكن في حدود منطقته وموازيهه .
فهل يشق علينا ، بعد كل الذي حققته
الدراسة الادبية من تقدم علمي ، ان
نلجأ بضوابط للحكم الادبي تعصمنا
من ذلك التصدع الذي يمثله ما نرى من
تفاوت الاحكام بين ابيض واسود ، وما
نسمع من اختلاف المحكمين في لجان
التقدير ، بين اهدار لقيمة كتاب ، والصعود
به الى مرتبة التفوق والامتياز ؟

وقد رت للكتاب ، انه وصل هذا الجديد
من الشعر ، بجذوره الاصيلية في عروض
الخليل ، على حين حسبه اكثرنا خروجا
على اصيل العروض العربي .

كما وضعت في ميزان التقدير ، هذا
الحرص البالغ - المسرف - على حماية
الشعر الجديد من العبث والوقضي ،
لكن الزميل - فيما يبدو - حسب هذا
على الكتاب لا له !

كذلك حسب من مزاياء ان الدراسة
فيه ، تتناول الموضوع بحس الشعيرة
وذوقها المرفف ، على حين يرى الدكتور
لويس ، ان العيب الجوهرى في الكتاب ،
ان « نازك » شاعرة ، نهى طرف في
الموضوع !

ولم اكن اتوقع ان يقول هذا ، وهو
الذي يكتب المسرحية بالقدار ، ويعتبر
مع ذلك من اكبر نقاد المسرح عندنا !
وطالت المناقشة بيننا دون ان نلتقى
او نتقارب ، رغم حرصنا - كلينا -
على هذا التقارب .

وليس ما يعينني اليوم ان اذاع عن
كتاب قضايا الشعر العربي المعاصر ،
ولا يعينني كذلك ان اذاع من زاي
ليه !

فالزم كليل بان يحكم في فضيله ،

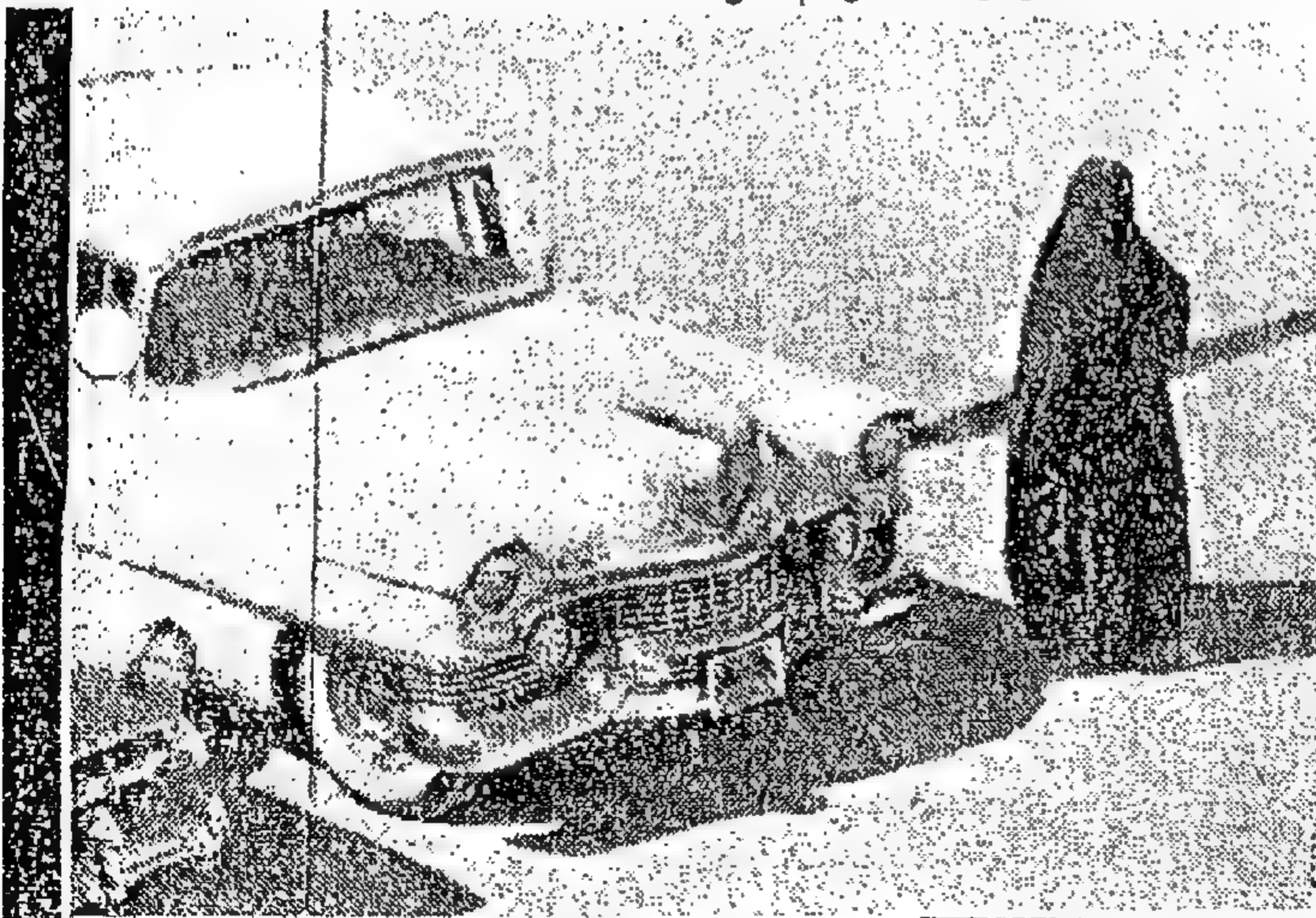
التاريخ : ٥ / ٧ / ١٩٦٣

شاعرة من الجزيرة



وقفت أرقبها وهي تمضي بعيدا إلى حيث لا أدري على وجه التحديد...

دون أن تترك لي عنوانها ، أو تتواعد على مراسلة أو لقاء .
لكنها تركت لي أنفاسها المكتومة وأناشيدها البعثرة ، مكتوبة بأنامل
نخيلة مهتزة على صفحات منتزعة من كراسة مدرسية .
ورجعت من حيث جاءت ، وقد تقنعت بحمودها الموهم ، وعادت



بقلم

الدكتورة بنت الشاطئ

(٤)

او هي انغام مزقة واصداء حمري ،
لا يتردد ناقد ملتزم ، في ان يعتبرها
تجربة مبتدأة لم تستوى حظها من النضج
وكنت وشيكة ان اصدر عليها مثل
هذا الحكم ، لولا اني تمثلت «السمراء»
وهي تشدو بهذه الاناشيد عندنا زارتنى
وكانها تذيب فيها قلبها ، وتتفاعل معها
بكل كيائها .

اذ ذاك ادركت ان للسمراء وجدان
شاعرة ، ومدت اقرا اناشيدها في جو
عالمها النفسى الراجح تحت رطاة واقمها
المادى ، المضغوط بانقال الواد والكبت ..

★★★

ماذا تقول السمراء ؟

تصيدة «لحن نائه» :

لحن انا نائه

يا منشد الالخان .

نغم انا حائر

في مهبط الربيعان

معنى انا ذائب

في عالم الحرمان

اصغى الى اصداء

من قلبى الظمان

والمح الاطيفاف

في رعشة الاجطان

وتعموى الرياح لتخلق الصدى

ويزحف الدجى ، فيخربس النغم

★★★

وتصيدة «شباع» :

همرنا ، حلينا ، ايامنا ..

باتت خواء ..

قلبنا يبغى العطاء

وهو يبكى في رجاء

حبنا ، غاب ، ذاب

لكن عطرنا

لم يزل عالقا باطراف السماء

كما يراذ لها : دمية خرساء ..
وقبل ان تمضى ، استردت
اسمها واسدلت عليه الحجاب ،
واختارت ان استمير لها اسم
«السمراء» اذا ما بدا لى ان
اتحدث عنها من وراء ستار .

واستردت مع اسمها بضع
قصائد لها اكتفت بانشادها على
مسمعى ، ولو انها تركتها لى ،
لما جرؤت على ان اذيعها من هذا
المنبر العام .

فقد جاوزت في بعضها حدود
المباح لحواء في البوح والافضاء ،
ولعنت في بعضها الاخر
ماسساة الشمس لود الجنسى
ورجعت المسوخين والمسوخات
بحجر ...

★★★

واقبلت على اوراقها ، اصغى الى
نفس وجدانها الحى ، ووجيب قلبها
الخائى ..

ولم استطع ان اود اناشيدها الى
نوع من اساليب المصياغة الشعرية
المقترنة ..

فلا هي بقصائد موزونة على النسق
التدريج ، ولا هي من الشعر الحر الذى
يتصرف في التوزيع الموسيقى ويتخذ من
وحدة التفعيلة اساسا لانطلاقه من قيد
الاطرين ..

ولعلها اقرب ما تكون ، الى الشعر
المرسل الذى يصوغ المعانى الشعرية
في ملاحقة لا تموزها موسيقية النغم ،
وان لم يضبها اى قيد من المصطلح
المرونى ..

في جناح الطيف في نجم المساء

دوحنا ، ما يزال

مزهرا في الشتاء

مشرا في سحاء

رجع انفسنا

ما يزال

عالمنا بالرمال

بالتراب ، بالهباء

عبرنا ، يمضي جفاء

في متاهات الخواء

★

من قصيدة «عذاب في الصحراء» :

صحراء واسعة كالافق

سحبها تلحني

ارضها جيرة

يلهبها عذاب

جبالها لا ترحم

يطربها انيني

رفقا يا صحراء بابنتك

انت كل دنياي

وعبري كل ما لدى

فلا تقسي علي

يومك لاس يا صحراء

وليلك طويل

وبقدر ما اتسع مذاك

ضائق نفوس بنيك

وهم يترصدون خطاي

داخل الضباب

ويحصون انفاسي

وان لم تنطق شفتاي

سلبوا عمري

وخنكوا حياتي

بكلمة ترددها لفاههم :

حرام ..

كل شيء علي ، حرام

وكل شيء لهم حلال

وانا مثلهم ..

انا ابنتك يا صحراء ..

★★★

ومن قصيدة «نقب في الجدار» :

من نافذة ضيقة

من ثقب خلفي

في الجدران المساء

وقفت اخنكس جزمة من هواء

في لحظة خرساء

من حياتي الفراغ

وضموني بين هذه الجدران

وشحنوني بعباءة سوداء

كانها ثوب حداد

علي عمري الذي مات

سوداء سوداء ..

مثل قلبي اليتيم

ورددت الجدران اصواتهم :

لا تنظري ، لا تبغني ، لا تنظري

انا منحناك الكثير

هذي ثيابك من حرير

هذا طمايك طيب

هذا فرائشك حشوه

ريش وشر

فكفك ، لا تطعمي

لا تنظري ، لا تشنكي

انا منحناك الكثير

ما انت الا امرأة

تحيا يسيدتها الكبير

تحيا كما يهوى وكما يريد

ونظرت من ثقب الجدار

التاريخ : ٥ / ٧ / ١٩٦٣

(٤)

لماذا الحياة تضج من خلف الجدار

كنت اختلست كتابا من اخي
فصحا به عقلي الغريب
وتفتحت عيناى للضوء المنم
اسلمت نفسي للخيال
اسلمتها للوهم يخلنى

باقصى ما يطبق
لاجوب افاق الحياة
في غشية الرؤيا
لذاك العالم المسحور

وصحوت من حلمى على وقع الخطى
مال الكتاب من يدي
وانسد ثقب الضوء في ذاك الجدار
وطواني الليل البهيم
في شملة سوداء حالكة السواد
كانها ثوب الحداد
يحكى شجاع العمر في القفر اليابس .

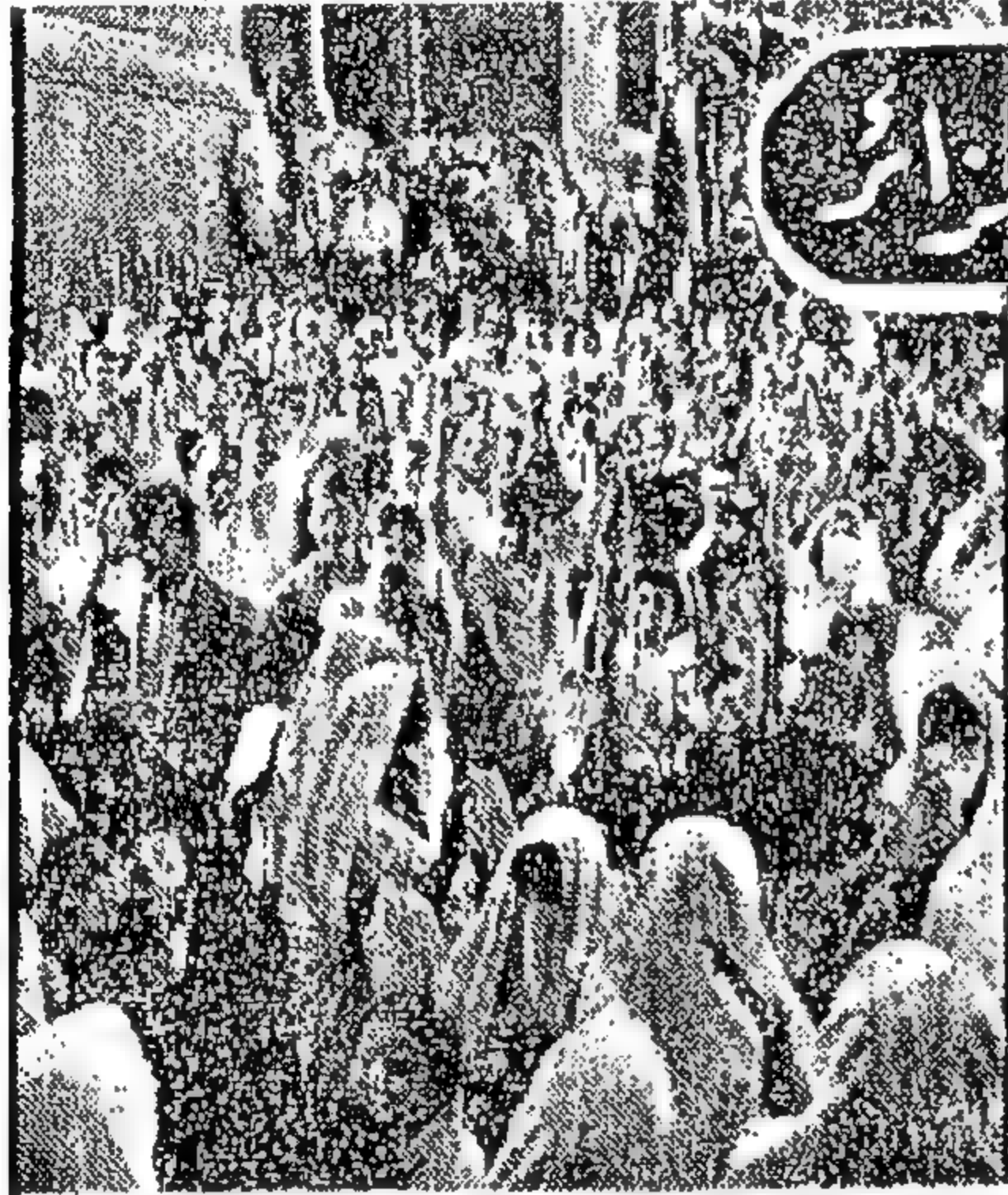
☆☆☆

هذا بمنى ما لدى من نغم سرق ،
خفي به وجدان «السراء»
قد ترقبه موازين الشعر وتنكره
توالب العروش ، وقد يرى فيه سواى
من النقاد عثرة البداية ..
ولكنى اجرو على ان اعد تمزقه
بتباس اصائله الشعرية ، ومظهر صدقه
الفنى .

لقيمته الكبرى عندي انه يسجل صليل
القيد الباطل ، ويأخذ منطلقه تحت سقفه
المسخور الجائبة على وجدان الشاعر
فنصدر نغماته مزقة حري ، لانها تعبر
سائق عن معاناة مجودة بالفراع المبر
ولو قد جاء شعرا مثنى التغم
منضبط الايقاع ، لنقد سر قوته وسمة
اصالته ، حين لا يحمل آثار الضمطة
الخائق ، ولا يسجل تعثر الكلمات الاولى
على شفتى حواء الجزيرة التي فرض
عليها ان تعيش دمية خرساء ..

أغنية الانتصار !

هلم لركبة قبة الساطع



١ رحلة إلى الجزائر

من بعيد كنت اردو الى الجزائر
وانتظر اللحظة التي اخرج فيها
الى ارضها الطيبة
لاسجد على ثراها الطاهر
الذي روته دماء مليون شهيد

من بعيد ..
كان قلبي يهفو الى المزار المبارك
ويطيق بالمشاهد التي فرضت
على التاريخ المعاصر ..
ان ينحني اجلالا لشرف الانسان
واكبارة لعزة بطولته ، ومجد
ارادته !

وعبر المسافات الشاسعة ..
كان ((اوراس)) يلوح لى شامخا
مهيبا
منارة تهدي المدلجين الحيارى
في مهامات المسالك ومنعرجات
السبل
حيث تتصارع القيم وتشببه
المعالم
وحيث لا يزال شعوب من ابناء
البشر
يخوضون معركتهم ضد مهانة
الرق
واثم التفرة العنصرية ، ولعة

الاستعمار
ثم انن الله لمسميت الى الارض
التي صارت مزارا ومنارا ...
ملء قلبي خشوع ، وحنين
مستثار
كمثل مساي يوم توجهت الى
البلد الحرام
والى المدينة النورة ، والمسجد
الاقصى !
وتدانت الاماد والابعاد
وانا استقبل ارض الجزائر
حيث تجلت آية الله ..
فمحقت ظلمة البغي ..
وازهقت انفاس الباطل
وابطلت كيد الشيطان
والتقى الماضي بالحاضر
وانا اصلى الجمعة بحى القصة
في مسجد سيدى عبد الرحمن
ودعاء السعاء ينطلق من مذنته
العالية
فيلتقى عبر القرون بصوت (بلال)
وهو يؤذن للصلاة في مسجد
المدينة
مستهل عام الهجرة ..
فتصدع لجلاله صروح الوثنية

(٢)

وتنتهاوى قلاع الطفيان والذلال

تماحت الأباد والإبعاد
والتقى الماضي بالحاضر

وانا اسمى بعد الصلاة مع ركب
الحجاج الى « مطابر الشهداء »
حيث استقبلنا هناك ارواح الذين
قتلوا في سبيل الحق ..
في كل زمان ، وفي كل مكان ..

وتلقى الافق من حولنا بفيض من النور
الاسنى، فخشع الكون وهو يرقب مبهورا
تحقق « معجزة النار » التي اضرعتها
الوثنية الباغية ، والقت فيها بابراهيم
فاطفاها ايمانه وثباته على الحق ، وهادت
بردا وسلاما على ابراهيم ..

كمثل هذه النار التي أججها ابلهه
الفرنسيين ، فاقتحمها جنود الحق
مستبسلين ، نورهم يسمي بين ايديهم
في طريقهم الى لقاء المجد والحياة ..

وحين شحنت الرجال الى مدينة
« تيزي ووزو » مقر الفرقة السابعة من
جيش التحرير ..

مرت في طريقتي اليها بالجبال السماء
التي كانت مساقط الجهاد ..
وببلدان حمير ، وروبية ، والماء ، ونقية
القرى التي مورت مع المجاهدين ،
وزودتهم بالمثونة والسلاح ..

واصبغت الى كلمة « ألكولونيل ولد
الحاج » وهو يقدم الى « المشير عبد
الحكيم عامر » بندقية المظل الشهيد
« مراد ديدوش » احد الثوار التسمية
الاوائل الذين اطلقوا نداء الجهاد المسلح
عام ١٩٥٤ ، واول من استشهد من قادة
جيش التحرير ..

لذكرت بكل هذا ، قصة الصراع
اللوليل بين الحق والباطل ، وكان الذي
ارى واسمع ليس الا جولة من جولاته
التي تتابع على مسار الزمن ، وقدمت
فيها البشرية قربانها الى الحق والخير ،
لنحى شرقي الانسان وحرية وكرامته
وكل ما به يكون انسانا !

واستمر بي المطاق حتى عشت الى
« القصبة » في قلب العاصمة ، وليثت
بوما او بعض يوم مع مشرات من اخواني
الجزائريين ، امنى الى حديقهم عن

المعركة ، وما منهن الا من شاركت فيها ،
وقدمت لها الذخيرة الحية : ابا او اخا ،
او زوجا او ولدا .. فلا والله ما سمعت
قط كلمة تفجع على شهيد ذهب ، او
حصرة على عزيز مضى ، او اسف على
متاع تبدد أو بناء دمر ، وانما كان الحديث
كله اعتزازا بالفدية الغالية ، للوطن
الغالي ، ومن الدماء الزكية التي ظهرت
الحمى من دنس اللصوص ورجس
الفاصلين ...

ومنهن عرفت عن طبيعة المعركة ، مالم
أمرقه من كل ما قرأته عنها ..
ومعهن رددت أغنية النصر التي
سمعتها لأول مرة في احتفال ميد
الاستقلال ، يشدو بها مطربهم الكبير
« محمود عزيز » .

وسمعتها من بعد ذلك تتردد على
شفاه الجماهير من أبناء الشعب ، في
سائرهم ومحافلهم ، من أوراس الى
القصبة ..

والاغنية من ثاليل « الشاعر عبد
الرحمن عزيز » وتستهل بهذا البيت
الثير :

★ يا محمد مبروك عليك ★
★ الجزائر رجعت ليك ★

كاشفة من السر الذي حير المستعربين
ودوخ جيوشهم لدى سبع سنين دأبا !

لقد خاضت الجزائر الباسلة معركةها
المجيدة معتدة على طاقة معنوية يزودها
الايمان بقوة لا تقهر ولا تغلب ..
وواجهت بسلاح ، لم تكن تلك منه
عام ١٩٥٤ ، الا بنادق صيد واعواد
كثريت ، جيشا مزودا بقنايل الشيطان ،
مجهزا بأحدث آلات التدمير ...

ولقد شاهدت في القطاع المتد من بادة
حمير الى تيزي ووزو ، مساحات كبيرة
تغطيها دبابات فرنسية ممتلئة بهم تستطع
ان تغلب بندقية صيد في يد مجاهد مثل
مراد ديدوش ، او العربي بن مهيدي ، او
مصطفى بو عياد ، او اي جندي من مليون
شهيد ، وجندوا في الموت حياة ، وفي
الاستشهاد مجدا وانتصارا ..

ومن وقع خطاهم على ساحة الجهاد ،
انبعث النغم الذي ترجمه اليوم معازف
الاحراز في ميد الانتصار :

★ يا محمد مبروك عليك ★

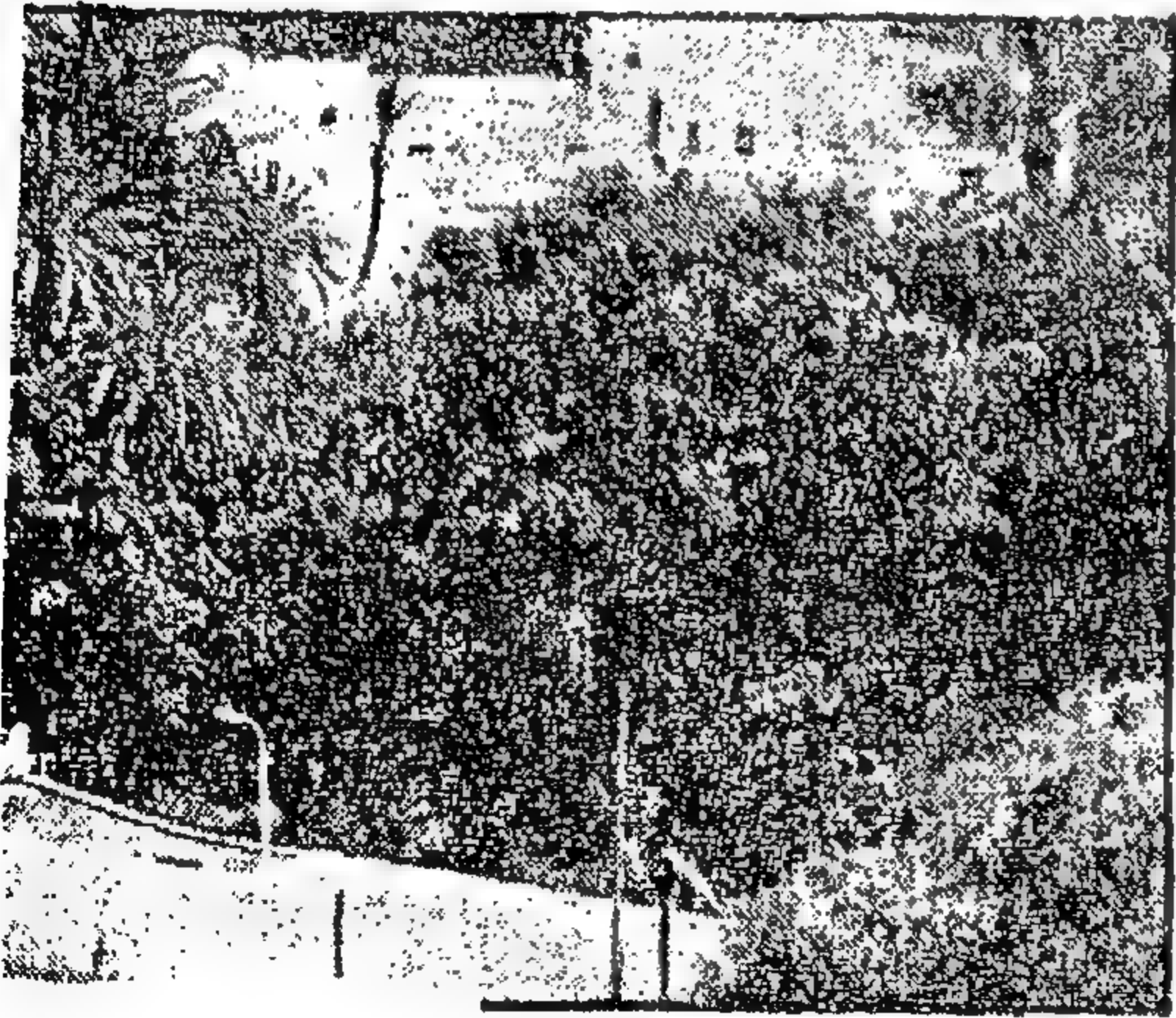
★ الجزائر رجعت ليك ★

التاريخ : ٢٦ / ٧ / ١٩٦٢

رحلة إلى الجزائر ٢

بقلم الدكتور بنت الساطي

لم يكن في حسابي قط ، يوم
سمعت أحج إلى الجزائر ، أن
أشغل بدراسة قضاياها الفكرية
والادبية ، وإنما أردت أن تكون
رحلتي الأولى إليها ، خالصة
للطواف بمزاراتها المباركة ،
وتحية أهلها الأحرار البواسل ،
الذين قدموا أغلى فدية لحماية
شرف الإنسان ، وتحقيق وجوده
الحر الكريم ..



(٢)

ويمكن القول انها ظاهرة مشتركة ، بين كل الشعوب التي امتحنت بالاستعمار ، غير ان من الخطأ ان نقيس هذه الظاهرة في الجزائر ، بشيئات لها في اقطار عربية أخرى ..

نحن في مصر مثلا ، قد واجهتنا أزمة فقدان التعاصر الفكري ، مع مخلفات ما قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ ، لكنها كانت في الواقع ، اثرا للوضع الإقطاعي الذي جعل التعليم الابتدائي والثانوي والعالي ، حقا لبناء الطبقة الثرية وقضى بان تكون القدرة المالية على دفع اجر هذا العلم جواز المرور الوحيد ، من الرحلة الابتدائية الى الجامعة ، اما جهة أبناء الشعب فحسبهم ان يتلقوا التعليم في الكتائب والمدارس الازلامية ، التي تسلك طريقا موازيا لطريق المدارس الابتدائية ، بحيث لا يلتقيان ابدا ..

نشأت من ذلك الوضع اللئيم طبقية ثقافية تزارر الطبقة الاجتماعية . وكان وجود الازهر والمعاهد الدينية ، الى جانب معاهد الرسائل التشريعية والبيعات الأجنبية ، عاملا خطيرا من عوامل فقدان التعاصر الفكري بيننا . وهي أزمة حسمتها الثورة وقضت على اسبابها بالقضاء على الوضع الطبقي ، والقضاء ثنائية التعليم وتقرير مجسائته ورفع وصاية الرجعية على الازهر المجيد ، وانهاء سيطرة العناصر الأجنبية على التعليم الخاص .

والذي بقي من آثار الأزمة ، فيها نشكوه من تصدع فكري يتكفل به الزمن ، بعد ان تنسبنا على اسبابه

أما الوضع في الجزائر فيختلف عن ذلك : فالأزمة لم تنشأ في الواقع عن ضراوة طبقية تحسمها ثورة اشتراكية ولم تمن عليها سلطة رجعية تحسمها حتية التطور ، وانما نشأ في الحقيقة من صدام بين سيطرة المستعمر ووعي الشعب ، بحيث يمكن اعتبارها جولة من جولات الصراع الطويل بينهما في ساحة الجزائر ، واحتسابها مظهرا من مظاهر ارادة الشعب الواعي وامراره على مقاومة الغزو الثنائي المسيطر .

فحين كان المستعمر داثبا على فرنسا المدرسة الجزائرية ، كان وحي الشعب يدفعه الى الناس كل وسيلة ممكنة لتعدي هذا التيار الفكري ..

وعند الاستعمار الى اخيث سلاح ليقبل مقاومة الوعي الشعبي : جعل المدارس الحكومية كلها فرنسية خالصة ففرنست فيها لذلك كل الشبكات

غير اني لم اكد اصل الى ههاها والقي الاصدقاء الاعزقة من أهلها ، حتى الفيتني اندمج بكل كيان في حياة قومي هناك ، وأنشغل - دون قصص منى - بما يواجهون من اعباء عهدهم الجديد ، المثقل بمخلفات المسافى ورواسب ليله الطويل ..

ومن اللحظة الاولى ، بدا لي ان قضية التعريب من اخطر القضايا التي تشغل البال .

فلقد حرص الاستعمار طوال هذه المشنوم ، على ان يصنع كل ما هو جزائري بصبغة فرنسية ، واضله الوهم فخليل اليه ان مثل هذه الصبغة المستعارة الطائفة ، يمكن ان تنسخ قانون الطبيعة وتبحو صبغة الله !

ولم يمتلي ان انتع اثر المحاولة ، في المجال السياسي او الاقتصادي ، وانما الذي مناني ان ارصد آثار الغزو الفكري الذي طال مداه ، وعشت له قوى عاتية في ظاهرة مكثونة ، ومثمنة خلية .

ولا اني بجديد يكشف عن مجهول ، اذا اشرت الى اصرار الاستعمار على ان يسرق لسان الامة ، باعتباره عنصرا جوهريا من عناصر ذاتيتها الاصلية

وملوما اساسيا من مفومات وجودها .. لاندنيا جيما ، تعرف هذه الجريمة الاستعمارية التي تجوز في شنامتها اخلاص لروة الشعب وانتهاج خيرات بلده . ذلك لان الخسارة في هذا مادية يمكن ان تعوض بمجرد ان يسترد الشعب حريته ، ويظهر حياه من دنس الفاسيين ، ويبقى عليه بعد ذلك ان يخوض معركة ملوية لتعريب لسانه ومقاومة آثار الغزو الفكري الذي لا يلقى سلاحه ابدا ..

وقضية التعريب ، ادق واخطر من ان اتناولها جلة في مقال ، ولذلك اكتفى منها اليوم بظاهرة عامة من ظواهرها ، وهي فقدان التعاصر الفكري بين أبناء الجيل الواحد .

واعنى بها ان تجد الامة ابناوها ينتهون الى عصور فكرية متفاوتة ، اثرا لتفاوت الثنائيات التي توزعتهم ، وتباعده المدارس التي تلقوا فيها تعليمهم ..

(٣)

وأمام قصور التعليم الأولى المناهج
لتلاميذ المدارس العربية، خرج فوج يعدلوج
من اتبوا الدراسة بها، يلتبسون بجالات
أرحب للتعليم، خارج بلادهم : فذهب
بعضهم إلى تونس أو المغرب، رشح
آخرون منهم الرجال إلى القاهرة يطلبون
المسلم في الأزهر الشريف، ملتحقين
برواق الفارسية ..

ومن هؤلاء، الأخ الكولونيل « هواري
بومدين » قائد جيش التحرير في المعركة
الفاصلة ..



خديجة خضر

وتحررت الجزائر بعد معركةها الجيدة
الباسلة، التي اشعلت فيها حريتها
بأكبر من مليون شهيد ..

لواجهت فيما واجهت من مخلفات
الاستعمار، ذلك الوضع الفخافي المنحد
الذي يكنى لبيانه أن أذكر هنا على
سبيل المثال، أن الجزائر لما استقلت
بأمر جامعتها، لم تجد العدد الكافي
من الطلاب الذين تعلموا في الجزائر
لمعهد الدراسات العربية في الجامعة،
اذ كانت المدارس الجزائرية الثانوية،
المعترف بها رسميا تمنح طلابها شهادة
(البريتية) أو قل ليهم من أتاحت له ثقافة
عربية خاصة منظمة تسمح له بقاعة
الدرس في المعهد الجامعي للدراسات
العربية ..



هواري بومدين

ومع هؤلاء، دخل المعهد بفتح عشرات
من الطلاب الجزائريين لم توجد بينهم
ثقافة مشتركة سابقة، اذ كانوا قد
تلقوا علومهم الثانوية في الزيتونة أو الرباط
أو القاهرة أو بيروت : فتفاوت اعدادهم
وتوجبهم، فيما تفاوت المناهج الفكرية
والثقافية بين العواصم العربية ..

التي يمكن حسم هذه الازمة باجراء ثوري
كأذي حدث في مصر، حين حسبت الثورة
اسباب ازمتنا، بتوحيد التعليم الابتدائي
والغاء أجز العلم، وتعمير المدارس
الاجنبية ..

الوضع هنالك مختلف، لارتباطه
الوثيق بمشكلة التعريب الكبرى، وهي
مشكلة لم تصطدم بها تجربتنا الثورية
في مواجهتها للآزمة ..

وحتى اليوم، لم استكمل بمدرسة
هذه المشكلة .. ولكن الذي اعلمه يقينا
أن معركة التحرير الكبرى قد احدثت
اثرها الحاسم في وقاية الأمة من خطر
ذلك التصدع، بما صانت من جوهر
اصالتها، وبما اتاحت لها من وحدة
فكرية ووجدانية، يلتقي عندها الراد
الشعب جميعا، من فلاح الريف إلى
رئيس الدولة ..

وهذا وحده يكفي لأن يحتكم في تكوين
الجو الفكري هناك، ويكفل نوعا لويانا
من المعاصرة الفكرية بين أبناء هذا
الجيل الذي شهد مشرق الصبح الجديد ..

الرسمية ووظائف الدولة
لكن الشعب لم يلق سلاحه، بل مضى
مصرًا على المقاومة ..

وتصق لي الأخت الصديقة « خديجة
خضر » كيف أمكن أن يستبقى الشعب
شعلة عربية لاتنطفئ في مهج هذا
الاعصار الجائح، وكيف استنطاع
أن يسهر على حوية بذرتها، تحت
ذلك الضغط الاستعماري الباهظ ..

أمر جيل الأباء، وبخاصة أهل الريف
والقبائل على لسانهم العربي، وحين
اضطروا إلى إرسال أبنائهم ليتعلموا
في المدارس، حرصوا ماوسنهم الجهد
على أن يعيشوا في بيوتهم، في جو عربي
اللسان والطابع والمزاج وبذلوا محاولات
مثيرة، ليفسحوا إلى ثقافة أبنائهم
الفرنسية، عنصرًا عربيا قل أو كثر ..
فمن الطلاب من كانوا يذهبون إلى
المدرسة الفرنسية في الصباح، ثم يخرجون
منها بعد اليوم المدرسي إلى أحد الكتاتيب
الاهلية، ليتعلموا العربية ويقرأوا
القرآن ..

ومنهم من كان يجد في انتظاره
بالبيت، معلما من الشيوخ، يلقنه القدر
الضروري من علوم العربية والاسلام ..
ومنهم من أمر أهله على مقاطعة التعليم

الحكومي الفرنسي والحقه بمدرسة اهلية
عربية، مع طلبه منها لاتعطي شهادة
رسمية، ولا تمنح رخصة للعمل في وظيفة
في وظائف الدولة ..

فتاتينا.. والدمية الخرساء

الجزيرة العربية

شاعرة من الجزيرة...
مهذرة الوجود مغطلة النطق
يفيض عالمها النفسي بشعور جائع من الشوق والشجو والظما
وترمقها شحنة عاطفية باهظة تكاد تمرق كيانها
لكنها لا تملك حق التنفس
فقد الجوا لسانها ، وفرضوا عليها أن تعيش دمية خرساء !

الدمية الخرساء



ونقلت اليها الطائرات انلابا بشرة من
مولبور وباريس ، استطاعت ان تكشف
نقاء بصرها ، وان تغزو فطرتها البدوية
النقية بصور وشاهد من حياة الخواني
ولجوم الشاة ، لكنها لم تنقل اليها
لحة مضينة من افق المعرفة ، ولا حاولت
ان تكشف النقاء المسدل على بصيرتها
وعقلها !

وكان الحراس هناك دائما ، يحرسون
كل بشاعة تجتاز اسوار الحرم ، حرما
على بقاء النائية مسقطة بلذة الخمر ،
سعيدة بخمول النعاس ، مننشية بصلل
اغلالها الذهبية ، وحقيقة ثيابها من
النابلون والحريز ...

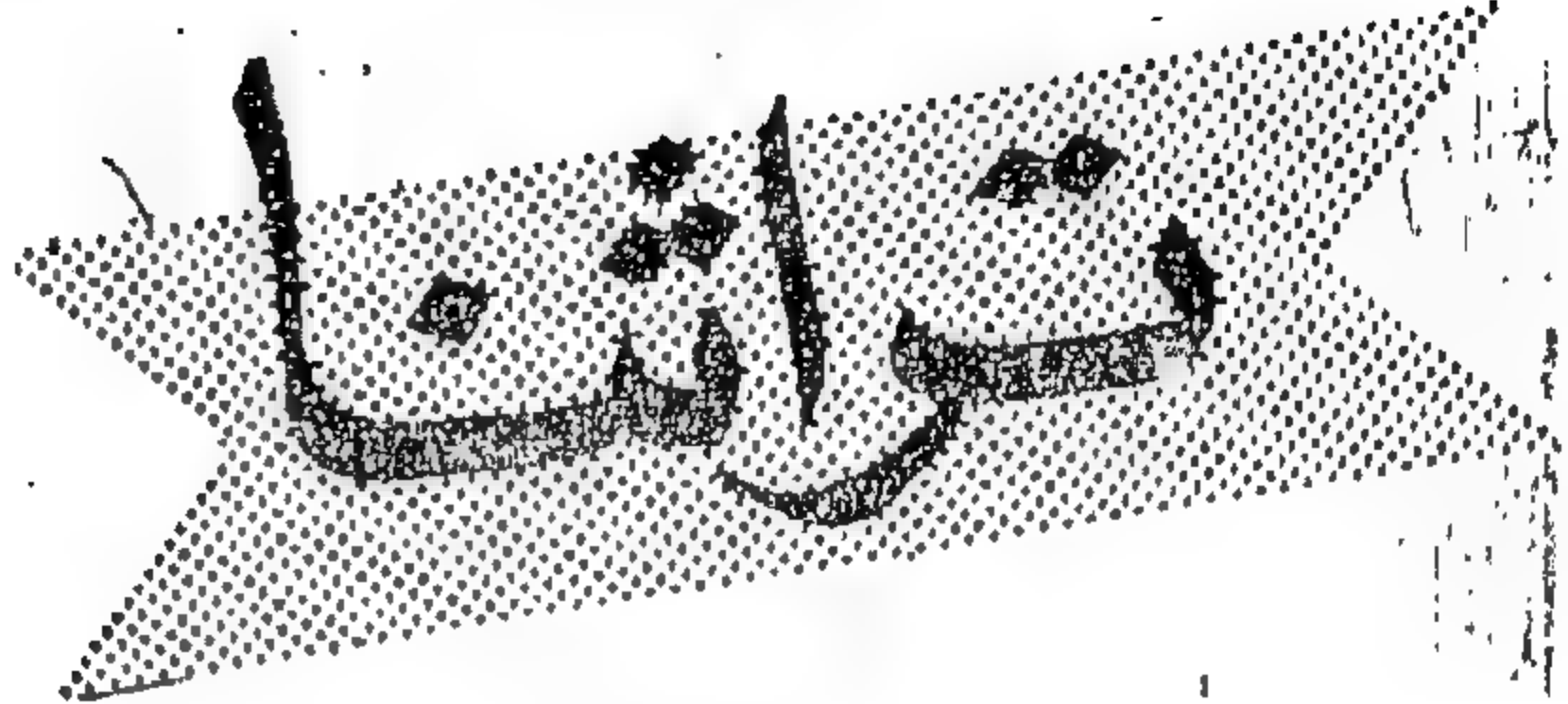
وعلى هذا الوضع تركت النائية
بعد رحلتى الى الجزيرة عام ١٩٥٠ .
وكتبت عنها ما كتبت ، ولم تلى
شمور بالرحلة لها والرفاء لما يكلمها
من اصناد ، اعلم يقينا انها لا تحسها...
ومست اعوام عشرة .
نقلت البشرية الى عصر الذرة ..
ثم فيما مابان ، انتقلت فيبادنيانا الى
عصر النساء
والنساء المسحورة مانزال هناك ،
لم تنقل خطوة واحدة على مدى العمرين
ولم تغادر اسوار خدرها الى مدرسة
ابتدائية تحل لها رموز احرف الهجاء .
وتحبو بها على مدرجة النطور ، ما بين
حيوانيتنا العجباء ، وانسانيتنا الناطقة ..

ثم كانت المفاجأة ..
لقدتها على غير موعد ، فداة نشرت
فنا مقالى عن « زبيدة بشير » شاعرة

لقدتها هنا في القاهرة على غير
موعد
وكان الظن الا القاما قبل سنين :
بعد ان طال بحثى عنها وانا اجود
ارجساء الجزيرة المصرية ، وانتقل من
الحجاز الى نجد ، ومن الاحساء الى
اللطيف ، ومن الدهناء الى الربع الخالى
دون ان اهتدى الى اثر بنم عنها
او اسبع صوتا يعلن عن وجودها .
وان رايت شبحها هناك خلف القضبان
والابواب ، تعيش وراء حدود الزمان .
لا تنسى الى مصرنا ، وان ولدت فيه ..
كانها بقية متسبة من اثار القرون
الخوالى
بقية تحجسوت ، وتراكمت فوقها
ضاريس الرجمية . فخذت فيها حسي
لحياة ، واخرست لفيض الوجود
وان بنت لعينى كالاميرة الاسطورية
للمسحورة ، لي نوبها الطويل ..

وتساءلت يوما .
الى وكيف ياترى دخل منها عقده
لسحر تصحو ؟
! وظل السؤال يلاحقنى وانا اطوف
سمائل الزيت في « الظهران وبقيق »
وارتب نائلات البترول الرابضة قرب
الساحل مند « الدمام »
ايهان ان تصحو النائية ، على هدير
الناقلات الصاخب ، وضجيج الآلات الماردة
التي تزار في جوف الصحراء ، فتتمزق
صمتها المزهوب ، وتفرج دنياها رجا ؟
ورابلى الامر ..

فلقد كان لهذه الرجة لملا ، صداها
الذى نفذ الى خدر النائية ، دون ان
يحل منها عقدة السحر !
تنطق سيل الذهب الاسود ، فالتحم
عليها الجدران الصباء ، يحل اليها كل
ما وصلت اليه مصانع اوربا وامريكا من
مستحضرات التجميل وانوات الزينة
وازياء العصر ، لكنه لم يحل اليها ببريكه
الكابى المنطلى ، سمعا من نور الوعى
او خلفه من روح الحياة



والنخطيط الجديد لفكر العربي

كان في نيتي ، ان اتابع ههنا ما بداته منذ حين ، من حديث عن رحلتي الاولى الى الجزائر ، لكنني اراني مضطرا الى ارجاء هذا الحديث لسببين :
اولهما : انني انتهيت للسفر فدايمشينة الله عائدة الى الجزائر ، ولا ريب ان ستتاح لي فرصة اخرى لاستكمال ما لايزال يعوزني من فهم لقضاياها الادبية والفكرية والنقاء باسنادة جامعتها الذين لم يتح لي ان القى منهم في الرحلة الاولى ، الا الاستاذ « الدكتور بن شنب » عميد معهد الدراسات العربية بجامعة الجزائر ..
والسبب الاخر : ان مشروعاتنا كبرى ، اعلن عنه في صحفنا يوم ١٦ / ٧ / ١٩٦٣ ، وفيه مجال لكلام كثير يقال ..

اعني مشروع وزارة الثقافة ، لتنفيذ التخطيط الذي وضعه للمكتبة العربية ، مجلسنا الاعلى لرعاية الاداب والفنون ..

الكتوة بنت الساطي



عبد الوهاب عزام عبد العزيز الاهواني

(٢)

في الفصل السابع والعشرين من (مقدمته) مجلدات كل موادها في حرف الالف، وذيلت
بشير الى الضرورة التي تقتضي بمثل هذا كل مادة باسم كاتبها، كما ذيل المجلد
« بعد ان كثر التأليف وتعددت طرقه » الثالث بدليل « على حروف المعجم »
بحيث لا يفي غير المتعلم لحفظ ما كتب للاسبأ المعرونة وما يقابلها من اسبأ
في صناعة واحدة ولو تجرد للتفصيل « غريبة » في الاجزاء الثلاثة ، ودليل آخر
وشرب مثلاً لذلك الكتب المدونة في للاسبأ والمصطلحات العلمية .



الكتب المألكى وما كتب عليها من شروح
« ينقضي الضر ولا يستحضرها طالب » كما
مثل بكتاب سيبويه وما كتب عليه من شروح
متقدمة ومتأخرة ، في المشرق والمغرب
وقد اشتهر منذنا بهذا النوع من التأليف
الحافظ جلال الدين السيوطي ، فكانت
مؤلفاته التي زادت على مائتين ، جميعها
وتنسيقاً لمطالعائه في علوم العربية
والاسلام .

فمن ان الغرب استحدث نوعاً من
دوائر المعارف ، لا يقوم بها فرد واحد
وانما توزع موادها على اعلام المتخصصين
كل في مجال تخصصه ، وتذيل كل مادة
بشبه لمصادرهما واهم مراجعها ، كي تكون
بين يدي من يريد التوسع في دراسة
المادة او الاتصال بمصادرهما . وتتجدد
الطباعات ، لتساير ما استحدث من جديد
في مواد الدائرة ، وتنسق المواد على
حروف المعجم ، وتشرف على اخراج
الدائرة ، هيئة من كبار العلماء .

واخذنا نحن عنهم المظهر الشكلي في
التنسيق ، دون ان نأخذ بنهاجهم . بل
ظل الامر محصوراً في النطاق الفردي،

اعني ان فرداً واحداً يقول كتابه كل
مواد الدائرة ، علمية وفنية ، على نحو
ما فعل المعلم بطرس البستاني في دائرة
معارفه التي صدر منها احد عشر مجلداً

تنتهي عند مادة « عثمانية » ومن بعده اصدر
الاستاذ محمد فريد وجدي « دائرة معارف
القرن العشرين » وقد انفراد بكتابة موادها

وراضح ان المنهج العلمي لا يسبغ
ان يكتب المادة الا متخصص فيها ، خص
به مادتها ومراجعها

وهذا هو ما التفت اليه « دائرة
المعارف الزراعية » حيث بدأ المشروع
بتأليف لجنة من العلماء المتخصصين ،
وزعت عليهم مواد الدائرة ، وتولت
الاشراف على اخراجها ، هيئة علمية
يراسها « الدكتور احمد رياض » عضو
المجمع المصري للعلوم .

والجهد المبذول، سخي وجليل، واساسه
المنهج سليم . وليس من حق ولا في
تدريسي ، ان انظر فيها نظرة موضوعية
او ابدى رأياً في موادها العلمية . وانها
مبلغ جهدي ان اثير هنا الى ثلاثة ملاحظ
اولها : ان اللجنة التي تتولى العمل
بؤلفة من ذوي التخصص العلمي في
الزراعة والحيوان والعلوم ، ومعهم
عالم في الآثار هو استاذي « الدكتور محمد
المنعم ابو بكر » عبيد آداب القاهرة .

وليس فيها احد من فقهاء اللغة العربية
مع وضوح الحاجة اليهم في عمل كهذا
ويبدو ان اللجنة اكتفت بأن تنسج في
مكتبتها معالجتها اللغوية ، والمصطلحات
التي نشرها المجمعان العلمي واللغوي
ومؤلفات علماء اللغة مثل لفكرة الشيخ
داود الانطاكي ، والجامع للرداء الادوية
والاغذية لابن البيطار ومعجم اسماء
النبات لابن العرب وعجم الحيوان
لاحدميسي ، والالفاظ الزراعية للفرنسية
والعربية لمصطفى الشهابي .

غير ان الامر في هذا ادق وامعب
من ان يكتب فيه بالمراجع ، دون ان
يكون بين امضاء اللجنة خبير بالعربية
فقيه بأسرارها .

واعلم ان الزميل « الاستاذ محمد
صبيح » - وهو ينتمي اصلاً الى اسرة
اللغة العربية - يشترك في الاشراف
على طبع الدائرة واخراجها ، لكننا لا
ننسى مع تقديرنا له ، انه ترك الميدان
اللغوي منذ تخرج في الجامعة ، الى
بيدات الصحافة والدراسات القرية .
ونحن ننتق العبر كله في ادق تخصص
لغوي ، دون ان نجرؤ على ادعاء الفقه
الكامل بأسرار العربية . وحسبي ان
اشير هنا الى ان لجان المصطلحات العلمية
والتقانونية في المجمع اللغوي ، يشترك
فيها جميعاً اعضاء من علماء العربية
الى جانب اساتذة العلوم والقانون .

المركز ، الضبط والتخطيط والتنسيق ، والإشراف على كل ما ينشر من ذخائر التراث العربي ، بحيث لا يصدر كتاب منه قبل أن يجيزه المركز ..

ولكن المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون ، انخرط بالمشروع دون أن يفكر في هذه الهيئات الرسمية والخاصة ذات الخبرة بالموضوع والتجربة فيه .. ويبدو خطر هذا الانفراد ، حين الفت هنا إلى ما في مشروع المجلس المؤثر من أخطاء كان يمكن تجنبها ، لو قام به مركز خاص بالتراث ، يشكل من خبراء أصلاء ، وتمثل فيه كل الهيئات المتصلة بالموضوع ..

وأوضح المآخذ ، أن القائمة التي أعدها المجلس في مشروعه ، تتضمن ذخائر سبق تحقيقها ونشرها وليس الخطير هنا أن تجهل رصيد مكتبتنا من النصوص المحققة ، ولكن الخطير حقاً ، أن يكون من بين النصوص المطلوب تحقيقها أو إعادة طبعها ، ما قامت بنشره هيئات رسمية مسئولة ، منها وزارة الثقافة التي تتولى تنفيذ المشروع الجديد !

وبعض هذ النصوص المحققة ، نشر حديثاً أو أعيد نشره بعد عام ١٩٦٠ ..

فكتاب «الذخيرة لابن يسلم» بدأت جامعة القاهرة بتحقيقه ، وألفت له لجنة من الأساتذة الزملاء «عبد العزيز الإهواني وعبد القادر القط وبخاطره الشافعي» ونشر الجزء الأول منه بإشراف استاذنا «الدكتور طه حسين» .. وكان التنسيق

بمقتضى أن تتولى هذه اللجنة نشر باقيه بعد أن جمعت أصوله وقومتها ، وتوفر لها من الخبرة بمخطوطها ومراجع خدمتها ، ما لا يصح إهداره لنبدأ العمل من جديد ،

وكتاب «البعلاء للجاحظ» .. حققه

«الدكتور طه الصاغري» الاستاذ بجامعة الاسكندرية ، ونشرت طبعته المحققة منذ أعوام ..

و «الشاهنامة للبنداري» : حققها

واعجب من هذا ، ما حدث بعد ظهور الطبعة الأولى من نص الفخران محققاً ، وإبداع ضمن نسخ منه في دار الكتب بمقتضى قانون الأيداع .. وفي الطبعة وصل «المخطوطة كوبريللي» التي اعتمدناهما أصلاً :

جاء «الدكتور سامي الدهان» إلى القاهرة وعرض على دار الكتب - أن تشتري منه نسخة مصورة من مخطوطة كوبريللي لرسالة الفخران .. وكادت الصلقة تتم ، لولا أن فضلت الدار فعمرت المصورة على ، لأبدى رأياً في قنيتها وأصلتها ..

دون أن تدري أننا نملك هنا في مصر (ميكروفيلم) من المخطوطة ، هو الذي بهمة المستشرق ريتز ، وأودع في مكتبة جامعة القاهرة ، بعد أن ألفت بأخذ صورة إيجابية منه !

وهذا المثل وحده يكفي لبيان وجه العذر حين أقرر هنا ، أن أي مشروع لأحياء تراثنا ، لا يمكن أن يجرى ، ما لم يتحدد كل مقبة في سبيل معرفة ما أبقي لنا الزمن من ذخائره ..



وتوقعت كذلك ، أن يتجه المشروع الجديد إلى تنسيق الجهود المبثورة ، التي تقوم بها هيئات تسمى رسمية ، مثل دار الكتب ، والمجمع اللغوي ، والجامعات وإدارة التراث بوزارة الثقافة ، ومعهد المخطوطات ..

والهيئات الخاصة التي لها عناية بنشر التراث ، مثل لجنة التأليف ، ودار الحلي ودار المعارف التي نشرت بضعة وثلاثين كتاباً في سلسلتها المشهورة « ذخائر العرب »

بل لم استبعد ، أن يسبق كل عمل في حق التراث ، ناليف مركز خاص به تمثل فيه كل هذه الهيئات المختلفة ، ويشترك فيه ممثلون للدوائر العلمية في أقطار الوطن العربي ، ويكون من اختصاص

الدكتور عبد الوهاب مزام استاذ نشرته ادارة التراث بوزارة الثقافة
الفارسية بجامعة القاهرة ، كما حقق - عام ١٩٦٠ ، ومهدت في تحقيقه السي
رحبه الله - كتاب «كفيلة ودمعة» ونشرتها الاستاذ عبد المليم الطحاوي ، وفي مراجعته
دار المعارف بالقاهرة في طبعة فاضلة الى الشيخ محمد النجار عضو المجمع
اللغوي ، وما تزال نسخته في اسواقنا
وفي مخازن وزارة الثقافة نفسها .

وكتاب «المكافاة لاحمد بن يوسف» حققه

الاستاذ محمود شاكر ، وهو من الخبراء
الثقافة .

اما ان يكون المجلس المؤخر - وليس
جهة اختصاص - يهتد الاعتراف بهذه
النصوص المنشورة ، وينهم كفاية من حققوها
وراجعوها واجازوها وهو فرض اذا
لم يبطله اعتراف الدوائر العلمية المختصة
باعمال هؤلاء المحققين ، ابطله ان المجلس
اختار منهم من يقومون بتحقيق التراث
في مشروعه المعلن .

وبقي الفرض الاخر ، وهو ان يكون
المجلس ليس لديه علم برصيد مكتبنا
من نصوص محققة ، وفيها ما نشرته وزارة
الثقافة ذاتها ، وما حققه اعضاء في لجان
المجلس نفسه .

وهنا لا مجال لقول عما نشر في قبر
مصر مما جاء بتأليف المشروع ، ككتاب
(كشف الظنون لحاجي خليفة) وقد نشرته
وزارة المعارف التركية في طبعة بالغة
الدقة والضبط والانتقان .

ولا مجال لقول من احياء مطوى من
ذخائر تراثنا ، وفي القائمة ما نشر بعد
عام ١٩٦٠ ، وفيها ما ينشر للمرة الثالثة
في موسنا هذا من عام ١٩٦٣



واعود فاقدر ، انه لا امل في الوفاء
بحق تراثنا ، اذا ظلت الجهود - التي
لا اشك في سخائها واخلاصها - تنلق
على هذا النحو المعقيم .

والذي افتكدها فيها مضي ، من تاصيل
العبل وتنسيق الجهد ، عن طريق مركز
خاص للتراث ينهض بالمعبء الجليل ويحمل
المسؤولية الصعبة ، لا يجوز ان نظل
نفتكده اليوم ، مع كل ما تهبنا لنا من
وعى وارادة وطموح .

وكتاب « البصائر والذخائر لابي
حيان » : وضعه المشروع في تراثنا من
الفلسفة والاجتماع وهو من صميم
التراث الادبي ، وقد حققه الاستاذان
احمد امين ، والسيد احمد مقرر - مدير
ادارة التراث بالثقافة - ونشرت لجنة
التأليف والترجمة والنشر ، الجزء الاول
من نسبه المحقق ، عام ١٩٥٣

وكتاب «القوانين الدولية لابن ممان»
توجد منه في مكتبنا طبعة محققة بتقنة
قام بتحقيقها الدكتور عزيز عطية-سوريال
استاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة
الاسكندرية ، وطبع على نفقة الجمعية
الزراعية .

وكتاب «التنبيه والاشراف للمسعودي»
نشره الاستاذ عبد الله الضاوي ، من
الطبعة الاوربية المحققة .

وماذا اتول من « رسالة الغفران »
التي حققت على ادق ضوابط المنهج العلمي
وجيمت لها المخطوطات من شرق وغرب
وقد نالت جائزة المجمع اللغوي لتحقيق
النصوص عام ١٩٥٠ ، ونشرتها دار
المعارف في سلسلة الذخائر ذلك العام
ثم نشرت طبعة ثانية في عام ١٩٥٧ مرفقة
بنص محقق لرسالة ابن القارح ، بفتح
فهيها . وتصدر في هذا الشهر ، الطبعة
الثالثة من الغفران ، مراجعة على جديد
ما نشر من اصول لغوية وادبية .

بل ماذا اتول من كتاب «الفاخر» وقد

قصايا فكرية

التفسير الديني لتاريخنا



توفيق



د. محمد كامل حسين

لبثت أعواما مشغولة بالفكرة طالما أبحث على ، وهي أن
أضع كتابا في «التفسير الديني لتاريخنا» بعد أن لم يقنعني في فهم
هذا التاريخ ، كل ما قرأت عن «التفسير السياسي للتاريخ» وهو
ما أخذت به الجماهير من مؤرخينا وعن «التفسير الاقتصادي»
الذي استحدثه الغرب المعاصر ، وقرأت معه تاريخ « ويلز »
للحضارة الإنسانية ، وما كتبه «توينبي» عن الأطوار الحضارية .
ولا يشق على أن اعترف ، بانسيانها لعملا للعمل في هذا الكتاب ،
وجبت ما استطعت من مادته ، ثم حدث أن قدم استاذنا «الدكتور محمد كامل
حسين» الى المكتبة العربية ، كتابه في «التفسير البيولوجي للتاريخ» لبهمني
بسمه الله وعبق نقوله وخصب مادته بحيث أدركت أن الاوان لم يحن بعد ،
لأضع الى جانبه في المكتبة العربية ، كتابا في التفسير الديني لتاريخنا ، مع
تصور طائفتي ووسائلتي ، من مشاركة المدى الذي بلغه استاذنا الجليل ..
وطوبت أوراقتي ، ونسيت الموضوع أو ناسيته ..

بقلم
الدكتورة بنت الشاطئ

(٢)

هذا للأنبياء ومنزلا لرسالات السماء ..
وتاريخ الاسلام نفسه ، لا يمكن ان

ينهم بمعزل عن سلطان الوثنية الدينية
في الجزيرة وسموم الاسرائيليات التي
داب اليهود على يثا في الجو العربي
كما لا يمكن ان يفهم بعد الفتوح الاسلامية
الكبرى ، متفصلا عن الفزو الشعبي
للنحل والمقائد والمذاهب ، ومتجاهلا
سلاح الدين في خضم المترك الصاحب
على ساحة الشرق الاسلامي الكبير ..

وضلال ما بعده ضلال ، ان تؤرخ
الحروب الصليبية دون تقدير العامل
الديني الذي حسم معاركها كما لم يحسبها
عامل آخر ، وخطا ما بعده خطا ، ان
ندعي فهم تاريخ الاستعمار الحديث ،
ونحن نجهل انه اعتمد اول ما اعتمد على
فهم مزاج الشعب المتدين ، وقراءة تراث
الديني ، قراءة واعية

ومثل هذا يقال في تاريخنا الاجتماعي
والفكري والادبي اذ ليس من المستطاع
فهم اي جانب منه في اي عصر من
عصوره ، ان اعوزنا ادراك العامل
الديني الذي احتكم في صنعه وتوجيهه
الى مدى بعيد .

فعلوم العربية كلها ، قامت في الاصل
لخدمة القرآن الكريم كتاب الاسلام
الخالد ومعجزتها البيانية الخالدة ..

والشعوب التي اظلمت الاسلام بادرت
الى التعرب بدافع ديني ، هو ان العربية

وفي عيد الثورة ، كنت اصغي
الى خطاب السيد الرئيس جمال
عبد الناصر في جامعة الاسكندرية
فشددتني كلمته ، عن اصالة
التدين في شعبنا ، بجاذبية آسره
وذكرتني بتلك الرغبة التي طويتها
وظننت اني فرغت منها ..

واذا كنت لا ازال منذ موقفي الاول
من الاتفاق من تأليف الكتاب ، شعورا
بني بجلال موضوعه وتصوري من الوفاء
بحقه ، فان هذا لا يمنع من ان اعرض
فكرته في مقال او اكثر ..

والفكرة تقوم اصلا ، على ملحظ
لم اخطئه قط فيها قرات من تاريخنا على
مسار الزمن ، وهو وضوح العامل
الديني ، ومشاركته الفعالة في توجيه
الاحداث التاريخية لشعبنا ، وتقرير
مصيره على مدى العصور .

فتاريخ مصر القديمة مثلا لا يمكن
فهمه مع تجاهل الطابع الديني المسيطر
على حضارتها ، والنقوش القوي لكهانتها
او مع الغفلة عن لالة ثورة « اخفانوت »
التي بشرت بالتوحيد ، ومصارع الشهداء
في عهد « دقلديانوس » وقصة المراع
المذهبي بين مصر وروما قبيل الفتح
الاسلامي ، وما كان من انسحاب رجال
الدين الى الدير في الصحراء ، تحت
مخطط الاضطهاد الديني من الرومان ..

وتاريخ الشرق العربي ، لا يمكن ان
يفهم حق فهمه ، مع تجاهل الحقيقة التاريخية
الكبرى ، وهي ان هذه المنطقة كانت



لسان القرآن ، كتاب الإسلام الذي
ارتضته ديناً .
والأوضاع الطبقية ، قد بررتها لدى
الشعب في عصور الفطرة ، رجعية دينية
سلطانها الإقطاعيون على وجدان الجماهير
ليبدوا فيها دوافع الطموح ، ويزينوا لها
نعمة الفقر الذي زعموا أنه جواز مرور
إلى الجنة (واكثر أهلها الفقراء) !
واستبداد الطبقة قد مكن له نفوذ
من محترفي الدين ، سبوا على تحرير
الطفيلين وباركة أصحابه ..
والذي ابتغيت به المرأة العربية
لدى مصوري ، من جهل ونبد ونسخ
كان يفرس على المجتمع العربي حياض
الدين ، ليخفي كل محاولة للتحرير ..
وما ابتلى به الفكر العربي - في
الفصول الإسلامية الوسطى - من شلل
وجنود وعقم ، كان اثره لمناطفنا الدينية
التي استجابت لما خيل اليها بالتفصيل
والاستهواء والإيحاء ، أنه سنة السلف
الصالح وحكم الشريعة الغراء وإرادة
الله سبحانه وتعالى ..
وحرفت كلمات الله من مواضعها
لصالح الحكم الاستبدادي والوضع
الطبقى ، فراجت فينا أباطيل ومفتريات
باسم الإسلام ، اعتبدا على ما في نظرتنا
من تدين ..
وكنا بحيث نضيع تحت وطأة الرجعية
المسلطة على وجداننا الدينى ، تكبه بأغلال
الجمود والاستسلام والتواكل والزهد ،
لو لم يتح لنا في كليلنا الطويل ،
يلتمسون من جوهر الدين شعاعاً من
نور ، يضيء تجراً جديداً لهذا الشعب
المتمسك بعتيقته ..
والذين يربطون منا عصر النهضة
الحديثة ، بالاتصال بالغرب وحده ،
يفوتهم أن يقدروا أن أى اتصال بالغرب
ما كان ليحدث ، لو لم تؤازره محاولات
رواد اليقظة ، لاصلاح الفكر الدينى
ومقاومتهم الباسلة لاثار الرجعية التي
تسلطت علينا ، فجذبت عقولنا وموقت
يقظتنا ، مستغلة ما نعرف من سلطان
الدين على مشاعرنا ووجداننا ..
وبحسبى شاهداً على هذا ، أن الفكر
دعاة مصلحين ، نعرفهم بأسمائهم ، قاموا
ببشرون فينا حديثاً بالذهب المادى ، بعد
أن بلغ اتصالنا بالغرب أقصى المدى ،
ثم لم يتح لهم مع ذلك أن ينجحوا ، بن
ظلت دعواتهم بمعزل عن الشعب ، لانهم
لم يقدروا ما في فطرته من تدين ، ولم
يحسبوا حساباً لذلك الميراث الأصيل
المحتكم في مزاجه ووجدانه وتفكيره ..
فهل اغلو أو اسرف ، حين اقول انه
إذا كان التاريخ العام يأخذ بنظرية
التفسير الاقتصادى أو البيولوجى ، فإن
تاريخنا يحتاج في فهمه الى أن نضيف
التفسير الدينى ، الى ما وصلت اليه
المعرفة الإنسانية من نظريات قديمة
ومحدثة ، في تفسير التاريخ ؟

التاريخ : ١٦ / ٨ / ١٩٦٣

ديوان محمد الإسلام

أو الألبان الإسلامية

يقام

الدكتور عبد الساطح



احمد محرم

تلقيت هذا الديوان من نحو شهرين ، وبالسرغم من طول انتظارنا له ، شغفنا عنه الشواغل حينما حلت ذكرى المولد النبوي الشريف ، فحيات لي الجوى النفسى لمطالعة الديوان وأفرغتنى بان التمسسه من بين كتب عدة ، ظهرت في هذا الموسم ولم اجد بعد الفرصة لقراءتها .

وابادر فاقترع هنا ، اننى لا اتجه في هذا المقال الى تقديم دراسة نقدية للديوان ، فهو من الاعمال الادبية التى لا اجيز للنفسى المبادرة بالكتابة الدارسة عنها ، عقب القراءة الاولى ، وانما حسى ان اقدم الى تسراء الادب بين طال انتظارهم لالبانة بحرم الاسلام ، والى الزملاء الدارسين بين يعينهم استكمال النصوص التى هى مادة الدرس الادبى . ثم لا اتناول الديوان بعد هذا التقديم الا من حيث اتصاله بنا يشغلنا من قضايا ادبنا المعاصر ..

ولست أخشى حين اعود الى الديوان فانتاوله في دراسة او اكثر ، ان يقال ان موسسه قد فاتت وصار بعده بفسامة قديمة ، فالانار الادبية ، ككل انار الفن تظل ابدا مجالا لجديد من القول حتى بعد ان تبغى عليها القرون ذات العدد ذلك لانها في حساب الحياة خيوط من نسيج مصرها ، وتميز من مرحلة من تاريخنا وسجل لنفس الحياة في وجدان بيئة ومجتمع ..

(٢)



احمد شوقي

واول ما يعني ذكره في تقديم هذا الديوان ، انه يسجل الصلة ظهوره ، شهدا من مأساة الجحود للادب الذي لم يتخرج على الاعقاب الملكية ولم يترك في تلك اصحاب السلطان في معترك الاحزاب ، فلقد مضى على الديوان حين من الدهر ، وهو مطوى مغفور ، لا يجد سبيلا الى الظهور مع ما امتلأت به اسواقنا من رخيص المطبوعات وخبيث المخترات الفنية . ولقد ضلت عليه الاوضاع ان يتنقل مخطوطا من مكتب الى هيئة ومن مجلس الى مجمع ، في حلقة صماء لا تفلح به الى النور .

دخل مكتب وزير المعارف قائما فيه حيناً ، ثم اميد الى الشام برفقاً بقران اعتذار عن عدم نشره . وطاف بعده بوزارة الاوقاف ، ثم بشيخة الازهر . . . بلا جدوى . ووصل به الطائف الى المجمع اللغوي لا اعلن من تشجيعه للاعمال الادبية . ات القبة يرجع الى صاحبه وعليه الشيرة رئيس المجمع . محمد توفيق رفعت باشا ، بان نص مشروع المجمع ، تأسر على تشجيع المطبوع من الاعمال الادبية اخلال عامين ، وليس للمخطوط منها اي نصيب من ذلك التشجيع ، بنص القرار المجمعى . . .

وانتقل الشاعر الى جوار ربه عام ١٩٤٥ ، بعد ان اجهده الدوار في تلك الحلقة المصعبة .

ومع عام الثورة سنة ١٩٥٢ - لاح شعاع من الامل ، حين قامت دار الكتب بتصوير مخطوطة الديوان على (ميكروفيلم) يصونه من التلف ويحييه من فائلة الضياع .

ومع هذا الامل الجديد ، تجددت محاولة طبعه ونشره ، ولكن المحاولة سارت في خطوات بطيئة متمثرة ، نفذ بها صحر « الاستاذ محمود محرم » ابن الشاعر . فحمل الديوان الى دار العربية واتفق معها على طبعه « بمعاية » الاستاذ محمد ابراهيم الجيوشى ، الذي اشرف على تصحيحه ومراجحته .

وظهر الديوان الى النور ، قبل شهر واحد من اعلان وزارة الثقافة من مشروعها الجديد لتخطيط الفكر العربى ، وفيه قرار للجنة الشعر في المجلس الاعلى لحماية الاداب والفنون ، بنشر التراث

نور الوحي ، الى اخر سرية من سراياه
وهي التي وجهها الى مشارف بلاد الشام
الخاضعة للروم ، وعند لواءها لاسامة
ابن زيد بن حارثة ، وفي الجيش صاحبة
ابو بكر وعمر .

ويطول نفس الشاعر ، حتى يسلا
بنفسه ما يتجاوز ارمينية مسيحة من
القطع الكبير ، متبعاً مراحل السيرة
ومشاهد البطولة ، ومصارع الشهداء
من باعوا الحياة في سبيل العقيدة
ومتبعاً كذلك جولات المراع المير بين
الوثنية والتوحيد ، وهي تنقل من مكة
الى بدر واحد ، ومن الخندق الى خيبر
ومن الحديبية الى البيت المتين ومن حنين
الى تبوك .

يمكن ان نعد الديوان نظماً للسيرة
النبوية ، وعرضاً موزوناً مقفى ، لتاريخ
عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ؟
كلا . فالشاعر وان اتخذ من السيرة
مادة ديوانه كله ، وكان تاريخ العصر
النبوي هو النبع السخي الذي تزود منه
الا انه استطاع مع ذلك ان يصوغ المادة
التاريخية ، مياغة ننية لا تخطئ لها
طابع ذاتية ونبض وجدانه ورؤى الهامة
ومن هنا يأتي الفارق الكبير بينه وبين
ناظم للسيرة او راو لتاريخ العصر النبوي
في قالب متنى تموزه مع الوزن والثانية
شاعرية التناول وفنية الاداء .

فهل نعد الديوان ، من رصيدنا الشعري
الفني في المدائح النبوية ، ونفسه مع لامية
كعب بن زهير ، ورائية النابغة الجعدي
ومدائح خسان بن ثابت وقبلة الله بن
رواحه وغيرهم من شعراء الرسول ، او
مع همزية البوصيري ونهج البردة ،
ونبويات شوقي وخالف الجارم ومن بعدهم
من شعراء العصر ؟

كلا . فالمادة التاريخية في ديوان
محرم ، مكتوبة بادق جزئياتها ، على نحو

الشعري لاهد محرم .
ويجب ان القرار جاء متأخراً بعدنوات
الأوان : الإنسان شعاع الامل الذي لاح
في عالم الظلمة ، قد اضاء طريقاً آخر
للنور بحق الشاعر .

وعلى هذا ، اتجهت بحافظة البحيرة
الى احياى نكري شاعرها الكبير ، وكان
المقرر ان يقيم مهرجان الاحتفال به في
شهر مارس الماضي ، ثم تأجل الى شهر
اكتوبر المقبل .

وفي الفترة باين الموعدين ، ظهر ديوان
مجد الاسلام المعروف بالباذة محرم ،
فبادرت لجنة الاحتفال الى اهداء نسخ
منه الى الهيئات الادبية والى الادباء
والدارسين الذين وجهت اليهم الدعوة
 للمشاركة في المهرجان .

ومنعت حبلاً .
ودلت بطل هذا الصنيع ، على صحة
فهمها لمعنى التكريم ، وتقديرها الواحي
لجلال الذكرى .

واقرغ من هذه التهمة : لا عرض
لقضية ادبية ذات خطر ، تتصل بمكان
هذا الديوان في انواع الفن الادبي .
وليس الامر في هذا يسيراً . فالاعمال
الفنية يصعب ان تكون مبنية مقسمة ، على
النحو الذي نشهده من تصنيف المبادئ
والنبات والحيوان في متحف التاريخ الطبيعي
وانما ياخذ الممل النفس عنوانه وصفته

من اوضح العناصر فيه ، فينتج تحت
صنف بعينه ، مع وجود عناصر فيه من
اصناف اخرى .
فمن الشعر مثلاً ، ما نعهده من باب
الحباسة ، وفيه قدر من الشعر الفثاني
او الدرامي .
ومن ما يندرج تحت الشعر الديني
وفييه ملامح من الشعر التعليمي او
الحبائي .

وهذا الديوان كله ، خاص بمسيرة
الرسول صلى الله عليه وسلم ، من مطلع

والواقع ان نشيد محرم ، تد يلتقي
مع الالبازة في كونها من الشعر الحماسي
المجد للبطولة ، مع اختلافها الجوهرى
في تصور البطولة وتبطل البطل .

فشعراء الاغريق ، تطلوا البطل فوق
البشر ، او نصف اله ، بحيث ساع لبعض
النقاد الغربيين ان يقرروا ان غسق للشعر
الحماسي في مثل ملاحم الالبازة والاوليسا
والانبياء ، كانت مرحلة انتقال من الشعر
الغنائى الدينى القديم ، الذى مجد الالهة
بابيات رثاء . ويقول الناقد الايطالى
« لباريني » : ان الانتقال من الالهة الى
الابطال لم يكن مبعدا في الحقيقة كان البطل
على صورة اله الى حد ما ، حيث افسى
الناس على ابطالهم من صفات العظمة
اقصى ما في طاقة خيالهم البشرى ان
يتصوره ، ونسبوا اليهم من خوارق الامم
ما جعلهم وسطا بين الالهة والبشر .

اما البطل في التصور الاسلامى ،
فلا يمكن ان يكون على هذه الصورة
الاغريقية من قريب او بعيد ، وبخاصة
اذا ذكرنا اصرار الاسلام على تكمين
بشرية الرسل .

فتسمية ديوان محرم بالالبازة الاسلامية
انما هي من التجول الغنى الذى يقسم
فيها انها من شعر الحماسة وتمجيد
البطولة ، مع الفارق الجوهرى بين فكرة
البطل عند الاغريق في العصور الفابرة ،
وبين فكرته في التصور الاسلامى الذى
بعد ان بلغت البشرية رشدها ، وحق
لها ان تجرد البطل من ظلال اسطورية
وثنية وان ترى في الانبياء بشرا مثلنا
ياكلون الطعام ويمشون في الاسواق .

لانعلم انه توفر فيها لدينا من الدائع
النبوية التى ينفى الشاعر فيها مسطها
هذا الجانب او ذاك من قطبة الرسول
او يترنما بموتها من موافقة بطولته ، غير
ملتزم باستقصاء تاريخى للسيرة الغراء
او يستجمع كل طاقاته للاصفاء الى وحى
الاحداث الكار التى كتبت التاريخ الاسلامى
من مطلع النور ، الى السرية التى
جهزها النبى في السنة الحادية عشرة
للهجرة ، وهو يتبها للقاء ربه .

فهل نعدده من الشعر الدينى ؟
كلا . . . فهذا الشعر في المصطلح
النقدى لانواع الشعر ، يتجه الى تجميع
القوة الالهية غير المنظورة ، ويرفع اليها
اناشيد الضراعة والابتهال ، والشكر
على ما اولت من نعم ، والاسترحام .
تبقى به المباد من نعم . . .

فهل نعددها « الالبازة اسلامية » وهى
الصفة التى اشتهرت بها وعرفت ، في
قوائم الادب عندنا ؟

بعض النقاد يخرجون من اطلاق اسم
الالبازة على هذا الديوان ويؤثرون
عليه اسم « ديوان مجد الاسلام » لينفوا
منه العنصر الاسطورى حتى لا يحد في
ملاحم الاغريق على نحو قل او كثر .
واخرون منهم ، ينظرون في فنية
الالبازة من حيث الشكل والمضمون ، فلا
يقبلون ان يعدوا قصائد محرم الاسلامية
البازة ، ويذكرون في ذلك ما نفتقد من
عناصر جوهرية للالبازة ، كالمقدمة القصصية
والوحدة التى تربط اناشيد الالبازة من
مظلمها التقليدى للملاحم ، الى النشيد
الاخير .

كتاب من تونس

الخيال الشعري عند العرب

تأليف الشاعر أبو القاسم الشابي

تقديمه الدكتور بخت الساطي

عرفنا «أبا القاسم الشابي» شاعرا سريلا بلها ، تجاوز حدود أوطانه ليرجمت آفاق الوطن العربي اناسيده وغانينه ، وشغل بشعره عددا غير قليل من الدارسين والناقد في المشرق والمغرب ..
وقل فينا من اتصل بآثاره غير الشعريه مع شديد حاجتنا اليها ليصح لهما له ونعرف اتجاه تفكيره ونستكمل ملامح شخصيته في ضوء كل ما ترك من آثار ..
وكنيت اسمع عن كتاب له في «الخيال الشعري عند العرب» خلت منه أسواقنا بعد ظهوره بتونس في طبعة محدودة عام ١٩٢٩ .
وليت المتقده ، حتى أعادت نشره حديثا «الشركة القومية للنشر والتوزيع في تونس» الخاتمت لي ان اعزل ما كنت اجهل من صراع كتابه «الشابي» بين النفاثين العربيه والغربيه ، ونفسه الى أن يفهم معركة فكرية أخرى مع ما كان يجهد من أبناء قسالة : شاعرا قويا يهرالوجدان السام لانه وبخودها الى الوجود الحر الكريم ..

وهذا الصراع يتصل من قسرب بعناسة الفصاح الفكرى التى كُتبت منها في هذا الموسم ما كُتبت ..
لقد فتق أيام الشاعر الشاب ، أفق جديد من النالذة الغربية ، وأتيح له ان يتصل اتصالا محدودا بيننا وبيننا بيننا وبيننا ، فنهل منها ما استطاع . ثم لما آب الى دنياه بنفقد جذوره في الأرض القبية التى أنشته ، وبعيد النظر قبا تزود به من البيئة العربية ، الفى الذى يملكه ، أو الذى تبسر له منها ، ركايا من آثار هتليات متحجرة وفنوس مختلفة ووجدان أسم فكر بكل ما لدينا وأعلن ثورته على قدينا ..

(٣ -)

وقد دأب قومنا أن يتهبوا كل ثائر على القديم بالمرق والكفر ، وأن يصوبوه بوصمة الانسلاخ من قوميته : ولئن أنصروا أن أحدا منا يجرؤ على اتهام أبي القاسم بشيء من هذا ، وهو الذي ناضل بكل أصرار وإيمان في سبيل قومته ومضى شهيدا من شهدائها ..



أبو القاسم الشابي

وهذا هو ما يعطى كتابه من «الخيال الشعري عند العرب» قبته الكبرى ، من حيث هو مادة صادقة لتاريخ مرحلة الفياح الفكري لهذا الجيل من شباب العرب ومع تقدير مدوره من شاعر شاب ، لا ترقى إلى قوميته نسبة ولا تشوب إخلاصه لمرويته شائبة من ريب أو اتهام !

والشابي في كتابه واضح المتبع محدد الفكرة في كل ما تناول من موضوعه . تلقت منى يلتبس الخيال الشعري عند العرب ، في أساطيرهم ، وفي نظرتهم إلى الطبيعة والمرأة كما ظهرت في أدبهم . ثم في فنهيم القصص .. منى يلتبس هذا يعين فتتحت على الانق الغريب :

الادب العربي ، ويشر بمصر جديد ..

ولم تكن مأساة الشاعر ، انقطاع صلته بماضى تراثه وجذور وجوده فالتسلى في كتابه قد عرف أدبا العربي ورواه وكان حظه من الثقافة العربية أوق من حظه من الثقافة الغربية ، ولكن المأساة انه اطل على الادب العربي من جانب المظلم ، وتصور أنه وصل إلى النبع ثم عانى الورد الآن ..

دون أن يدري - رحمه الله - انه انما وقف عند حفر حفرة واحدة بعيدا عن المنهل الاصيل الصافي : فالذي فسراه من تراثنا هو الذي اختاره جامعون ينتهون إلى العصور الوسطى زما أو فكرا وذوقا . وهذه النصوص المختارة التي لاتزال تقدم انعكاس النماذج إلى طلاب الادب العربي ، قد أقامت الحجب والارصاد بين أبي القاسم وبين النبع الاصيل المخيب في منطقة الظل وليس ذنب الشابي أن وجد في تلك النصوص البائسة ، عقم الخيال الشعري . ليس ذنبه أن كان ما قرأ من أساطير العرب «أمعاء جامدة لم تتذوق لذة الخيال» وأوهاما شاردة لا أثر فيها لنبض الحياة وحس الرجود - ٢٢ : ٤١ .

وعقلية أرتوت بقدر من يتابع أدبه . بحيث لا يخطئ القارئ في كل فصول الكتاب ، أثر الانفعال بجمال الخيال الشعري ومناصير حيويته وخصه في الادب الاجنبية مقارنة بما بدا للشاعر من عقمه وجفافه وشلله ، في الادب العربي !

بل اكاد أقول : اننا من الفصل الاول الخامس بالخيال الشعري في الاساطير العربية ندرك مذهب «أبي القاسم» في المقارنة ومنهجه في التناول ، وتبني خط سيره الفكري فيما يتلو من فصول الكتاب ، ونعرف مقدما ما سوف ينتهي اليه من نتائج !

ويبهنا اخلاص الشاعر في دعوته إلى التحرر من العقم والجمود ، كما تبهنا جراته في ايقاظ قومه من لذة المغفوة وخدر النعاس ، بقدر ما ترونا هذه المكابدة التي عاناها الشاعر بكل فكرة ووجدانه ، حين اقتلد في أرضه النبع الذي يرويه ، والجسذور التي تربطه بلاديم له اصيل

وكانت معاناة شقية باهظة ، صدرت عنها الكلمات وكأنها جذوة تتلهب ، كاشطة من ضرام متقد في أعماق كيانه

وانت تقر كل الذي قاله من مضم خيالنا الشعري ، فلا يخسارك ريب في أن الشاعر الشاب ، خاض المعركة بإيمان صادق ليفتح آفاقا رحبة أمام

(٣)

ولا أن كان ما تراه من ادب الطبيعة ، والنظرة الدنيئة السائلة المنحلة الى يؤكد له « أن العرب كانوا واقفين أمام المرأة : » هي النظرة الشائعة في الادب بشاهد الكون ، لا وقتة المتوهم الخائض العربي كله ، والتي يتساوى فيها جميع المنتشى بنشوة الحس وسكرة الجمال ، بل شعراء العربية على اختلاف مظهرهم وقتة الآخرى الذي لا ينطق ، والاعشى وتباين طبقاتهم وثقافتهم وأوساطهم ، سواء الذي لا يبرر ضوء النهار « - ٥٢ في ذلك مفهم وفاجهرهم . وأولهم ولا أن كانت تلك النصوص التعيسة ، وآخرهم ا - ٧٤ »

« لا تتحدث عن المرأة إلا بما يتحدث به الفاسق الفاجر ، من أوصاف جسدية ولا تمثل عنده إلا الفدر واللوم وخساسة الطبع وحطة النفس وخيب الضمير » وقد أعياه أن يبصر ما وراء جسدها من حياة عذبة ساحرة وعالم شمري جميل « - ٧٥ فصل من فصول الكتاب ، يتل ليطو

كلا ، ولا كان ذنبه ان ما لدمه اليه في خشوع آيات ما سحره ، لم يتفنى معلومه ، « الامزية فيه للشاعر على غيره من تشوته بها ليصبح في ثورة وبخط : « لبتوني ياسادة . هل تجدون في العربية وضلالة الصنعة . وباخية الشعر من يحدثكم عن تلك المعاني العميقة التي وباسخف الحياة ، أن كان كثير من الناس طوؤ برحاب الفكر وثسماب الخيال ، لهم عقول يفهمون بها ، ثم لا يزالون كلا ، ولكنكم وأجدون من يستطيع أن يحسبون ان رسالة الشاعر الفاظ هزلة يحدثكم بكل أسلوب وصوت ، عن تلك نصيدة ، وعبارات مرصعة ، وكلام مرصوص ا - ٧٤ »

« لبتوني ياسادة ، هل تجدون في العربية (وشر من كل ذلك أمة تقتل أنوارها من مفاسد الموتى ، ثم تخرج في نور النهار متبججة بما تلبس من اكفان الجثث وأكسية القبور » - ١٠٦

وزاد في عنف المأساة ، أن أبا القاسم - رحمه الله - كان يتناول موضوعه تناولاً خطيبياً ، ويمانه بزجاج الشاعر ووجدانه المستثار ، فأغوزه ما يحتاج اليه الدارس من يثقة الذهن وطمأنينة التأمل ، وضبط الفكرة من الجروح العاطفية والحاسة الخطابية . وجاءت أحكامه حادة مرسلة ، يشوبها الاطلاق والتعميم ، وشاعت في أسلوبه الفاظ : (كل ، وجميع ، وعلى الاطلاق ، ودون استثناء) وأمثال لها مما ينفر منه أسلوب الدرس الأدبي ، ولا تحمله طبيعة منهجه :

فهو يرى أن ادب العرب - على الاطلاق - « مادي لا سرفيه ولا الهام ، ولا تشوف الى المستقبل ، ولا نظر الى صميم الاشياء ولباب الحقائق » - ١٠٢

« خذوني يا سادة ، أي شاعر عربي يستطيع أن يحدثكم حديثاً شمرها صادقاً عن نشوة الحب وسكرة المواطن ومعنى الامومة ورحاب الامل ، أو يريكم هجسان القلوب وغلجاتها ؟ » كلا . . ولكنكم وأجدون وأكثر منه عند آداب الامم الاخرى « ص ١٠٧ : ١٠٩ ونقرأ كل الذي تلاه من الشعر العربي فنعقره ا

ونصفي الى ما اختار من الادب الفرنسي فنذكر لماذا أموزه حياد الدارس وتجرد الباحث . .

ذلك لأن الذي رواه من شعراء ، ليس كل تراثنا . .

بل أنه لا نعلم ما في ديوان شعرنا
العربي !
ولو قد اتصل بالنبي الصافي ، ما
من عليه أن يجد مثل الذي وجد في
الأدب الرومانيكي . الجسالم المجلق في
وادي الخيال ، ولما أخطأ مثلا أن يحس
في مثل مرتبة أبي العلاء ، ما أحسه في
كلمات لامرئين من الصدى أقدام الزائر
تقع على مضاجع الموتى في الدبر لـ ١٥٥
ولوجد في نجوى شعراء الصوفية
وبوآدم مثلا شينا آخر غير ما وجد
في الفزل العباسي ، والاندلسي ، حيث
تضت المدنية الفاجرة على منبع الرجولة
في الشاعر ، فأصبح أكثر حديثه عن
المرأة كاذبا لا تنس فيه حرارة الحب
ولامدق الهوى ، بالرغم من جمال رثته
وخلابة نسقه .. - ٩٢
بل لعله لو التقى السمع إلى (مراوينا)
الشعبية ، لوجد فيها ما بهز الحياة فينا
هذا !
ولكنه كما قلت لم يجد إلا تلك النصوص
البائسة ، وليس لأنه أن كانت هي
الرائجة في دنيا ، المعترف بها من حراس
القبور !
ولن يجد شينا أن نرجم أبا القاسم
بحجر ، لقد أعطاه الموت من لمة الذين
يوزعون على خلق الله صكوك التكفير
وصكوك الغفران ، ولم يعد في طاقتهم
أن يزيلوا تاريخ شاعر خاض معركة
الوجود القوي والأدبي لأمته ، في فدائية
واستبسال !
كما لن يجد شينا ، أن نصيح في
شباب الجبل يمثل تلك الصيحات المبتذلة
عن قدسية القديم وروعة الماضي ، ولا
أن نفسح عقولهم ووجدانهم بالخيال
الساخرة ، من فخامة الديباجة ونصاعة
الأسلوب ووقع الرنين وأحكام الصياغة
وجودة السبك ..
كلا ...
ولا في طاقة قوى الترجمة مجتعبة ،
أن تضع عصاة على عيون الشباب
وأذانهم ، وأن تخفق فيهم حسي
الحياة وروح العصر ونفث الوجود ..
وأنا الذي يجدى حقا أن نبذل الجهد
كله ، لنقدم إلى الشباب روائع تراثنا
ونستخلص قبا جديدة لأدبنا . غير تلك
التي نرسمها علينا عقليات منحجرة ،
واختارنا لنا أذواق جانية ونلوس بخلقة
وبغير هذا ، لا مجال لامل في وضع حد
لأساسة الضياع الفكري التي تضغطنا
جميعا بين شكلى الرهي وتبرقنا بين
جهود عقيم كافر بالتنطور لا يحس سير الزمن
ودعاء الحياة ، وبين حديث طارىء
يمسخ قدينا ويجعده ولا يرى فيه إلا
صناديق دمي وأكفان موتى وأكسية
اضرحة !
ورجم الله أبا القاسم ، ما أقسى
ما كابد ، وما أقدح ما احتل وهو يسرى
في الليل يملأ دماء الحجر ، وموظفا
أرادة الحياة !

(٢)

كثرت المخطوطات في سراجيب الخزائن التركية والكهول اليمنية وأمثالها. ونكتفي مؤقتاً بأن نبداً بحصر الموجود من تراثنا في فهرس دور الكتب المنظمة بالمسلم . لكن هذا المطلب المتواضع يبدو مسرفاً في الطمعية ، إذا ذكرنا أننا حتى اليوم لا نعرف على وجه التحديد ما نملك في مصر من ذخائر تراثنا ، بل ما تزال كثرت مبعثرة في خزائن الكتب العامة الخاصة ، لم يحصها بيان دقيق ، ولم نحصها سجل جامع

أذكر هنا على سبيل المثال ، أنني عندما انطلقت تحقيق «رسالة الغفران» انفتحت سمين عدداً في البحث عن مخطوطاته وسافرت لهذا الغرض إلى مكتبه «الاسكوريال» بمدريد ، و «المتحف البريطاني» في لندن ، و «الفاتيكان بروما» كما حاولت السفر إلى تركيا لتصوير مخطوطته في «مكتبة» ذكرتها «بروكلمان» في كتابه تاريخ الأدب للعرب ، ثم لما تعذر السفر ، أرسلنا عن طريق الجامعة ووزارة الخارجية إلى المستشرق «ريتر» في تركيا ، فقام بتصوير المخطوط على (ميكروفلم) . وكان هذا الجهد يبذل ، دون أن ندري أن في «المكتبة سوهاج» نسخة خطية قديمة من الغفران ، رقيها في سجل المكتبة . . . ، ومكتوب على فلافها . كتاب في الأدب نادر الوجود جداً ، مجهول اسمه واسم المؤلف

وكانت الصدفة وحدها ، هي التي هدتني إلى هذه النسخة المجهولة ، في رحلة لي إلى الصعيد !

وأخري بمكتبة جامعة الاسكندرية كانت تحمل عنوان «الرسالة في الأدب لعلي بن منصور» المعروف بابن القارح عرضها على هناك ، بعض الزملاء من أبناء المكتبة ، لما يعرفون من صلة صاحبها بأبي العلاء فنوجدت بأنها نسخة كاملة من «الرسالة الغفران» التي أراها أبو العلاء رداً على رسالة تلقاها من ابن القارح !

ولقد قرأت هذا المشروع يوم الإعلان عنه ، وأمسكت قلبي عن التعليق عليه كرامة أن أخرج جهداً مخلصاً ، أعلم علم اليقين أن وزارة الثقافة تبذل في هذا الميدان ، ولا أقن عليه برعاية . . . لكنني عدت فرايت من حظها علينا ، أن نلفت إلى ما في هذا المشروع الكبير من مأخذ أو إخطاء ، كيلا يضيع بعض جهدها علينا . . .

ثم أتى بحكم عضويتي للجنة النشر في المجلس ، أحمل نصيب من التبعة ، فيما يصدر عنه من مشروعات ثقافية وأخون الأمانة ، أن أنا الغضيت عن تلك هيئة ثقافية أنتمى إليها أو أشارك في نشاطها .

ومن أجل هذا أكتب اليوم ما أكتب راجية أن يحسن موسى تقبله ، وأن يمدوه أداء بني لواجب التعاون على الحق والخير رحم الله أمراً والذي يعني من المشروع بصفة خاصة هو ما يتصل منه بتراثنا الذي اشتغل به على وجه التخصص ، تحقيقاً ودواً منذ بدأت حياتي العلمية .

وكنث أتوقع أن يتجه المشروع الجديد أول ما يتجه ، إلى الكتب من تراثنا المبعثر في شتى أنحاء الدنيا ، وبذل كل جهد مستطاع ، في سبيل الظفر بفهرست جامع لما في خزائن الكتب بالشرق والغرب من مخطوطات هذا التراث . . .

لكن المشروع لم يشر إلى هذا من قريب أو بعيد ، بل لا يبدو أن مثله مما خطر لواضعي المشروع على بال . . .

وأعترف أن المهمة بالغة الصعوبة ، بحكم ضخامة تراثنا وتوزعه . ووجود أكاديس منه مملونة مطوية ، لم تر الضوء بعد

وقد تفرض علينا قسوة الحال أن نتواضع فلا نطبع الآن في الكشف عن

(٣)



مصطفى الشهابي

وعلى سبيل الدعاية ، لاحظ على دائرة المعارف الزراعية ، انها بدأت بحرف الالف وادرجت تحته كل المواد المدونة بحرف الهمة ، وقرن بعيد عندنا نحن اللغويين ، بين الهمة والالف . وكل معاجمنا تبدأ بحرف الهمة ، وتنتهي بحرف الالف الذي هو في الاصل واو ارياه !

وعلى سبيل الدعاية ايضا ، لاحظ على قائمة المراجع و الدائرة ، انها ذكرت قاموس «المنجد» مع وجود «السان العرب» فيها ، وهو اصل ما في المنجد من مواد لغوية ، ولا حاجة لوجود الفرع مع الاصل .

كما انها اكتفت بالمراجع الحديثة في المصطلحات العلمية وفاتها ان تستأنس بالتقديم منها ، وهو كثير ، يعرفه خبراء المكتبة العربية ، ويستطيعون في سر ان

يستخرجوه من مثل فهرست ابن النديم وكشف الظنون لخاخي خليفة ، وبقية المهارس المسجلة لرصيد المكتبة العربية الى القرن الماضي .



عبد النعم أبو بكر

الملحظ الثالث : ان الدائرة في وضعها الذي ظهرت به مجلداتها الثلاثة ، اقرب الى المعاجم منها الى دوائر المعارف . واوضح ما يفرق بينهما ان دائرة المعارف في المنهج الحديث ، طقزم باثبات الاصل الذي نقلت منه كل مادة من موادها ، وتشير الى ما في الميدان من جهود علمائها وتذيل المادة باثبات مصادرها .

وهو ما نفتقده تماما في دائرة المعارف الزراعية التي لم تقدم لنا في موادها اي مرجع ، ولا اشارت الى تاريخ ظهور المصطلح العلمي ، ولا اهتم محرروها بان يثبتوا اصول المصادر التي اخذوا منها !

القول هذا دون ان يخطر ببالي ان اغض من قبة المشروع الجليل ، اوابخسه حقه من التدبير الذي يكافى ما بذل فيه من جهد سخي مثمر ، وما قدم الى نخبة التعريب العلمي من خدمة لا يجوز ان نجحد !

أصهواء على تاريخنا نداء من روما

بسم الكسوة بنت الساطح

أصغيت بملء وجداني الى ذلك
النداء الذي حملته الينا من (روما)
الزميل كمال الملاح ، ونقل فيه عن
استاذنا السفير « أحمد نجيب
هائسم » قوله :

« مازال تاريخ صقلية وتراثنا
وحضارتنا التي عاشت في ربوعها
٢٥٠ سنة ، تنتظر مزيدا من
الضوء ومزيدا من الاهتمام »

والثقت كلمته في مسمى بكلمة سمعتها
في الجزائر منذ شهر تقريبا من الاستاذ
الوزير « أحمد توفيق المدني »
كنت يومئذ في صيافته الكريمة بوزارة
الأوقاف ، ومعا القائد الوزير « السيد
محمدي سعيد » نائب الرئيس بن بيللا ،
والسيد « الاستاذ هلي خشبة » سفيرنا
بالجزائر ، وعدد من صولة علماتها .
وقد امتد الحديث بيننا ساعات المساء ،
ونحن نتذكر أمجاد ماضينا التي طواها
ليل مخننا فيها طوي من تاريخنا ، فغابت
عن هذا الجيل من شباب العرب ، وكانت
جديرة بان تكشف لهم عن عز اصالتهم
ونفدى ثقتهم وطموحهم .

عندئذ سمعت الاستاذ المدني يأسف
لما فاتته من متابعة الاهتمام بتاريخ العرب
في صقلية ، ثم بسالني عما اذا كان
هذا الموضوع الجليل مازال يشغلنا
بالقدر الذي يستحقه من عناية بالغة .

(٢)

ولم أعرف به أجيب .
فبلغ على أن محاولتنا فيه « انصرفت
على خطوات رائدة ، مضي عليها أكثر
من ثلث قرن ، دون أن يتقدم بها إلى
حيث كان الظن أن تبقى تدما نحو غايتها
على حين تصدى الأجنب الغريب لحمل
هذه الامانة الصعبة ، ومضوا يتابعون
الكشف عن آثار حضارتنا هناك ، باعتبارها
جزءا من تاريخهم ، واساسا من اسس
نهضتهم ..

وليس يختص صقلية ، اعلم ان
المستشرقين الطليان :
نشر في اباطاليا ديوان شاعرنا
العربي « ابن هوديس الصقلي » كاملا ،
في طبعة مختلفة مثقنة مع مقدمة وجوانب
بالاطالية ، ووقف جهدنا نحن العرب ،
عند مختارات قليلة من ديوان الشاعر ،
نشرها « الاسكاذ مصطفى السقا » في كتاب
شبه مدرسي ..

ونشر المستشرق الايطالي الكسيس
« ميخائيل اماري » كتابه الجليل « المكتبة
الصقلية » في مجلدين كبيرين ، جمع فيها
ما جاء من صقلية في الكتب العربية
المشهورة والمغمورة ، المطبوعة والمخطوطة
ونشروا كذلك ما يتعلق باباطاليا وصقلية
من كتاب « نزعة المشتاق في اختراق
الافاق » لمارسيل الجفراي « الشريف
الادريسي »

وتعني « جامعة باليرمو » في صقلية ،
عناية خاصة بتراثنا الحضاري الذي
يضيء تاريخها في العصر الوسيط ، ويتبع
اسانذة قسم الدراسات العربية بها ،
آثار حضارتنا في جزيرتهم ، وتنمات
الاجيال منهم على خدمة هذا الموضوع
من « اماري » في القرن التاسع عشر ،
إلى « ريتسانو » المستشرق المعاصر ،
والاستاذ بجامعة باليرمو .

ومنذ عام وبعض عام ، جاء « ريتسانو »
من صقلية فالتقى هنا في المعهد الايطالي
بالزمالك ، محاضرة عن الدراسات الخاصة
بالعرب في صقلية ، وما كان أشد خجلي
وانا أراه يحاول أن يجد لنا في الميدان
رضيدا ذا بال ، فلا يذكر الا مقالا رائدا
للاستاذ الخولي ، وإشارات عارضة
في بعض مؤلفات الاستاذ عبد الله هناك
ومحاولة واحدة للاستاذ احمد توفيق الدني
تقابلها دراسات « اماري » وبدرسته في

جامعة باليرمو ، وزملائه من مستشرقين
الطليان
يودها قال لي استاذنا « الدكتور محمد
كامل حسين » - وكان ممن استمعوا إلى
محاضرة ريتسانو :
- أين أنتم ؟
راجيت في استنباء :
- حيث تعلم

واليوم اسمع أن استاذنا السيد
« احمد نجيب هاشم » سفيرنا في روما ،
يشغل بذات كفاية عن ايطاليا ، ويهتم
بالبحاث التي تكشف عن تأثيرنا الحضاري
في أوروبا ، عبر صقلية وايطاليا .
وليس هذا بمستغرب من عالم مؤرخ
كاستاذنا السيد ، ولكن المستغرب حقا
الا تشغل اعباء منصبه السياسي من
الموضوع الجليل ، في الوقت الذي انصرف
عنه اسانذة التاريخ المنفرغون .

واحسست مع ذلك ، أن هذا النداء
من روما بمزيد من الاهتمام بترانسنسا
الحضاري في صقلية ليس موجها إلى
اسانذة التاريخ فحسب ، وإنما هو موجه
كذلك إلى اسانذة الدراسات الإسلامية
والادب العربي .

ذلك لأن الحضارة العربية التي ازدهرت
في صقلية ما يقرب من ثلاثة قرون ، قد
شارك فيها رجال من اعلام الفقه والحديث
واللغة والادب .

ويحسب أن أذكر منهم هنا :
أمر البحر « اسد بن الفرات » هاتج
صقلية ، وقد كان هذا القائد المظفر ،
من كبار فقهاء المالكية .

و « ابن بري » الصقلي ، من أئمة النحو

و « ابن ظفر الصقلي » الذي وضع في
المكتبة العربية ، الكتاب الفريد عن
الحولة العتلاء .

والشاعر « ابن هوديس الصقلي »
الذي سجل ديوانه الكبير ، بطولات العرب
في معاركهم الظاهرة بالبحر المتوسط
وأوروبا .

والحافظ « الفلوري » - نسبة إلى
كالابريا - والحافظ « المازري » وقد كانا
من كبار رجال الحديث .

التاريخ : ١١ / ١٠ / ١٩٦٣

(٣)



توفيق الحامسي نجيب هاشم

فأين هؤلاء وامثالهم في دراسات
جامعاتنا ، وفي برامج مؤسساتنا الثقافية
المشتغلة بخطط الفكر الغربي ؟
واين تراثهم . فيما ينشر فينا . ويذاع .
من قوائم هذا التخطيط ؟
من عجب اننا ما نزال فدا ونعيد ونحور
وندور ، في حلقة من كلام مكرر معاد
عن موضوعات مبدلة واسماء طنانة ،
لها في تاريخنا دور الطبول الجوفاء ،
ومكتبتنا خالية من دراسات لامثال لوانك
الاعلام الذين نقلوا ثقافتنا الى اوربا و
ظلمات عصرها الوسيط .

بل انه . ليعجزنا حتى الان ، ان نعي
ماكتبه الغربيون عنهم وان نجيع ما
في مكتبة الاستشراف من تراثهم المضيع
فينا .

بالنسبة الى الحضارة الاربية ، ما
لخصه كلمته المشهورة :
Nostro Mare !

وان تاريخ العصر الوسيط ، ليعجز
ان هذا البحر كان « بحيرة اسلامية »
كما قال « ابن خلدون » في غير جلبة او
ادعاء .

وليس الذي يعنينا اليوم ان نفتش
بهذه الحفلة التاريخية ، ولكن الذي
يعنينا ان نعرف من تكون ، لذلك هو
واجبنا الذي تفرضه علينا كرامتنا العلية
ويغرضه وجوبنا الحر ، بما يعني من
انراك لحقيقتنا ووعي لذاتنا ، واتصال
بالجذور المريقة لاصالتنا .



وتحية الى استاذنا السطر « احمد
نجيب هاشم » ابعتها اليه من راس البر
المطل على بحرنا الكعب ، الذي وعى
قصة حضارتنا وحديث تاريخنا ، من
قديم الابداع وعلى تر العصور والادوار !

و « صقلية » بوجه خاص ، تشغل في
تاريخنا مكانا جليلا ، حيث كانت الممر
الثاني ، بعد الاندلس ، لحضارتنا الى
الغرب .

والدور الذي قامت به في الاتصال
بين الشرق والغرب ، امان العصر الوسيط
يشبه الدور الذي قامت به « كريت »
في التاريخ القديم ، في اتصال الحضارتين
المصرية واليونانية .

واذا كان الطليان والاسبان يمتازون
بالهم الذين نقلوا الى اوربا مشاعل
حضارتنا ، فنحن اولى بان نعرف ماضي
دورنا الجليل في تاريخ النهضة الحديثة
وان نميز مكاننا في ثقافة المعرفة على
مسار الزمن .
ولقد يذكر الذاكرون منا ، ما كان يغاخر
به « موسوليني » من اعبية مركز ايطاليا

قد يخجل المثقف منا ، ألا يعرف الملاح البرتغالي
فاسكو دي جاما ، ولا يخجله أن يجهل
اسم الملاح العربي (ابن ماجد) ربان سفينة فاسكو ،
في رحلته التاريخية المشهورة .



كتاب عربي قديم ينشره المجمع العلمي بموسكو وتقدمه الكتبة بنت الساطي

ونشره ووسع فهرسه ، وترجمه الى
الروسية !

لان المؤلف هذه ، في غير حاجة الى
تعريف ، لدى من يقرأون النص العربي !
وربما جرح كرامة مستشرق بلده ،
لو ساق اليهم تعريفا بهذا الملاح العربي
الذي دخل التاريخ العلمي للانسانية .
واعترف علما من اشهر اعلامه !

ابا هنا ، فليند أن نجد بين أبناء هذا
الجزل من شباب العرب ، من سيع بابن
ماجد ، فضلا عن أن يكون قد عرف تاريخه
أو قرأ شيئا عنه !

انه ينسب الى القرنين التاسع الهجري
١٥٠٠ م ، وشباب هذا الجزل يحسبون
أن كل من لا ينتهي الى عصرنا ، أثر متخلف
لا يمت الهم ببسلة ، وجثة بخرطة
بلد ربحها مناخ العصر !

والغرب العجيب ، ان أي متقف عندنا
بخجل اذا لم يعرف شيئا عن الملاح
البرتغالي « فاسكو دي جاما » مثلا !
ولا يخجله الا يعرف اسم الملاح
العربي « ابن ماجد » !

وابن ماجد ، كان ربان سفينة « فاسكو
دي جاما » في رحلته التاريخية المشهورة .

استطيع انن أن اتقدم الى قراء
العربية هذا الكتاب وساحبه !

من « موسسكو » تلقت كتابا
عربيا من قديم تراثنا ، نشره
المجمع العلمي للاتحاد السوفيتي
وقد تعمدت ان اغفل اسم
الكتاب في هذا العنوان الذي
اخترته لقال ، كي اغري بقراءته
هؤلاء المحدثين الذين يجحدون
قيمة تراثنا ، ويرون في اشتغالنا
به مضيعة للجهد ، وانفصاما عن
العصر ، ورجعية مفتونة بصناديق
الدمى واكسية الاضربة واكفان
الموتى ...

ووالسفا ! نحتاج هنا الى ان
نبرر بمثل هذا عنايتنا بقديمتنا ،
وأن نلتمس ما عليه من بصمات
العرب الجديد ، لكي نقنع قوما
باهميته وخطره ، ونثبت لهم أن
غزاة القضااء يجحدون فيه
ما يقدمونه مكتبة العصر !

والاسى من هذا واهر ، اننى لن اجز
على تقديم الكتاب دون تعريف بدولته !
وهذا ما لم يفعله المستشرق الروسى
(نيودور شوموفسكى) الذى حلق الكتاب

(٢)

واحتياج هنا
ايضا الى تفسير
لفظ « تدخوسا »
فأقول أن الفعل
يُدعى في معاجرتنا
التيوية ، بمعنى
ضمم ويضمحل في
الجوارخ بخامسة
فيقول ركب البحر
تدخسا ساحل كذا ،
وايوجسا المركب
الياحل .
ونشر النص
المعنى بالتصوير
الزئكوسواني ، لم
يدع مجالاً لهوامش
وتعليقات في توثيق
النص وخدمته ،
ولم يثبنا من هذا
قصد أورده المحقق

« تيودور شوموفسكي » في الملحق المطبوع
بالروسية ، التي حال جيلي بها دون قراءتها ،
فاكتفيت بالأصل العربي الذي لا يحمل
من المعالم الهادية الى توثيقه سوى خطه
ونمط أسلوبه .
وخط النسخة به فيها أرجح من
خط القرن التاسع الهجري ، أي
من عصر ابن ماجد .
أما نمط الأسلوب ، فمن النظم العلمي
الذي شاع التأليف به بعد أن استقرت
العلوم ورسيخت في العربية ، فهو هلن
غرار « الفية ابن مالك » في النحو ،
« وعينية ابن سينا » في الفلسفة ، أو
« متن السلم للاخضرى » في المنطق ،

و « ملن الشاطبية » في القراءات ، وغيرها
من المتن العلمية المنظومة في أكثر علوم
العربية والإسلام .

بعد أن اقترن اسم الكتاب باسم
أكبر ، أصبح علمي حديث ، وحمل بصلة
مطبوعة (الأكاديمية العلمية) في موسكو .
وبعد أن اقترن اسم مؤلفه ، باسم
الملاح البرتغالي ، اكتشف طريق رأس
الرجاء الصالح .

أما الكتاب ، فعنوانه على الغلاف
الخارجي للطبعة الروسية : « ثلاثة ازهار
في معرفة البحار » على حين يحمل في الغلاف
الداخلي هذا العنوان :

« ثلاث راهمانجات مجهولة

لاحمد بن ماجد ، ريان

سفينه فاسكو دي جاما »

والراهمانجات ، جميع راهمانجات - أو
راهمانجات - وهي كلمة أمجية تعني كتاب
البحر . وينسب اليها فيقال رهاني ،
أي عالم بالبحار . . .

نشرها المجمع العلمي للاتحاد السوفيتي
من نسخة عربية فريدة ، مكتبة معهد
الاستشراق في لينينجراد ، وطبعت في
مطبعة المجمع .

ومن قبل نشرت « باريس » كتاباً آخر
في علم البحرية لابن ماجد ، هو « كتاب
الفوائد في أصول البحر والقواعد »

ويلج من فنية المجمع العلمي في موسكو
بهذا الكتاب القديم ، ليحتمل النص
المطبوع مسورا (بالزئكوسواني) عن
المخطوط العربي ، ثم الحق به الترجمة
الروسية وفهارس البلدان والمصطلحات
الفلكية والبحرية ، مع مرسوم جغرافي
يحمل هذا العنوان :

« صورة بحر الهند ، ولها البنادر

التي تدخها احمد بن ماجد »

(٣)

ويطلق الإرجوزة الثالثة :
سرت نسمة الفردوس من أرض مكة
بربح الصبا ، فاشغلت الشعر خلبي
ومدة أيتها خيمة وخمسون بيتا ،
وفرد ربابنة البحار ، يادى بيان ، الى
الملاحه لى بحر القلزم به البحر الاحمر
من جده الى عدن .

لكن بلساننا هنا بكتاب فى علم البحار
ولن الملاحه واسرار الفلك
الواقع ان المادة العلمية الكتاب لا تدخل
فى نطاق هذه السلسلة ، وليس لى بها
ادنى حظ من العلم ، غير ان الكتاب يعطينا
منا من نواح اخرى ذات شان :

فهو أولا : مرجع تاريخى علم لمعجم
الفاظ عصره وانماط اساليبه ، كما انه
يسد فقرة كبيرة فى تاريخ المجتمع الشرقى
بما يصف من احوال الناس وعاداتهم
ومواييمهم واخلايقهم وامزجتهم ، فى كل
منطقة من بها بلاحنا العربى ، من الشرق
الى اسبوري الانريقى . . وكل ذلك مما
يفىء لنا تاريخ ادبنا . .
وهو ثانيا : يثرى بالسؤال من سر
اهتمام علماء الروس المعاصرين ، بهذا
الكتاب القديم الذى الفه بلاح عربى ، ابقى
فى البحار نحو نصف قرن من الزمان ،
وخبر من اسرار الفلك ما لا ثرتاب
فى قبته وجوداه ، للشغفيلين معلوم
الفناء :

وهو ثالثا : يقدم البنا نموذج اميلا
من المثلية العلمية للعرب ، وقد طالما
ارتاب المرتابون فيها . كما يقدم البنا
شخصية عالم عربى ، يستطيع ان يفتح
الفكرة الشائمة من شاحج الدرس العلمى
فى البيئة العربية ، وان يهب المسلم
الحديث شوايط منهجية ، يحسبها
كثير منا ، من بضاعة الغرب الحديث
لأبن ماجد ، كان يفتخ فى دراساته
ويحدثه ورسلاته بالبحر ، لادق منهج
علمى ، ويجعل «التجريب» اساسا للعلم .
ليقول فى كتابه النوائد ، ص ١٨ : « ما يارسى .
» ان التجريب شىء ما بعده شىء « .
وبللت الى الملك الذى تشوب القياس .

وموضوع الكتاب ، ثلاث اراجيز لى علم
البحار وارتباطه الوثيق بعلم الفلك ،
والنظم فى مثل هذا ، اشل واعسر من
النظم فى العلوم الادبية والفلسفية ،
ومن حجب ان «ابن ماجد» استطاع ان
ينظم مادته العلمية وخبراته البحرية ،
الدائلة بامرار الملاحه والفلك ، المشحونة
باسماء المدن والموانى والجزر والخلجان
والشعاب ، لكن هون عليه الامر ، انه
دسى احيانا بقواعد النحو ، واغل احيانا
اخرى ببعض شوايط الصرف والاستفان ،
لكن نسلم له المبادىء العلمية . كما
احتاج الى امانة الفاظ هنا وهناك ،
تضت بها نسوية نسمة النظم وحكم
الفانية ، وهى ضرورة قلما ينجو منها
ناظم من اصحاب المتون العلمية .

ويطلق الإرجوزة الاولى ، المسببة
بالسببية - نسبة الى انليم سفلة من
بر الرنح ، على سسائل المسووال
الجنوسى - السفلى :
الحمد لله الذى انشأ الملا
من علم ، جبل تعالى وعلا
قد كلف الانسان عن ارضاه
وكم نرى فى البحر من الطافه
ومدة ابياتها سيماته رسمة واربعون
ولها بيان دقيق لهر الهند وسواحل
افريقية الشرقية ، وجزيرة القبر
بدمشقر ، ووسد لسكان هذه المناطق
واحوالهم الاجتماعية .

ويطلق الإرجوزة الثانية ، المسببة
بالسببية :

هزمت والعزم حديد لى السيفر
لاسيما من بلدة فيها قرر
طالب تحت السريح بالادعان
فى مركب بطر كالمقبيسان
من ارض كالبكون بالعفسايه
باول المسنين لولى المايه
ومدة ابياتها مائتان وواحد وسبعون
ولها بيان للملاحه من بر الهند الى بر
سبلان ومسطرة والسيام وجارة ، وما
كان فى طريقهم من الجزر والشسعين
وكذلك بلاد الثور والصين الى الحدود
الشارقة على البحر المحيط .

في التجربة ثانياً لرياسة البحار :
« فلو قاس هذه الأنجم المجهولات أحد
منكم ، لا يتكلم بها إلا بعد تجربة مكررة
ولم مكررة ، صافية من العطل ، فربما
جرب أحدكم قياساً وفيه علة وما اطلع
عليها ، فإذا رآه تكرر ينفي أن ينطق
به ، هو الله ما خلقت هذه القياسات
المنتخبات إلا بعد أن كورت عليها التجربة
عشرين سنة (ص ٨) ولم أترك في
السماء نجماً إلا وقد درجته ، وعرفت
نقصاته وزبائنه » ص ٢

ويحذر كذلك من استهواء المنطق ، ليس
أدلتها التجربة ثانياً :

« فإن أكثر الخطأ في كثرة المنطق
خصوصاً في هذه الصنعة ، وخطوها
في المنطق أكثر من خطوها في العلم » ص ٦٢
« وأصل علم البحر : الفن والتجريب
فإن كان مجرباً موافقاً للملأ فهو صحيح
فجزم يصححه ، لاستكمال الأصلين » ص ١٨٦

ولأن ماجد في فن الملاحة ورائة أصيلة
مبتدئة ، تلقاها من أبيه وجده « ريان
البحرين » ومن الرياسة المحققين الذين
ازدهرت به حلقات المسلم في زمانه :
« جدى عليه الرحمة والفقران كان
نادرة زمانه في ذلك البحر ، واستفاد
منه والذي عليه الرحمة والفقران ، وقد
أخذت علم الرجلين مع كثرة التجربة ،
وحضرت عشرين حلقة زاهرة بالمسألة
المختلفين » ص ٦

ولهذا ، يحدد « ابن ماجد » موته
بالتأخرين من المتقدمين ، فيلزم التأخر

بالاطلاع على جهود من سبقوه في الميدان
ليبدأ من حيث انتهوا : « فإن نهاية المتقدمين
بداية المتأخرين »
وقد التزم الرجل بهذا السلوك الملتزم
فتتبع آثار السابقين وراكب جهودهم ،
واختار لنفسه لقب « رابع الثلاثة »
اعترافاً منه بفضل أئمة من علماء البحرية
العرب بتقدمهم : هبدي العزيز بن أحمد
المغربي ، وموسى الهنداني ، وميرون
بن خليل . وقال في ذلك :
« وقد عظمنا علم سابقينا وثابليهم »
وجعلنا قدرهم رحمة الله عليهم بقولنا
أنا رابع الثلاثة »

وفيه كذلك من شيم العلماء تواضع
من لا يرى نفسه قطب العلم ونادرة
الزمان وعبقريه الدهر ، وما كان أعظمه
حين قال من بعض مخترعاته : ص ٦
« ومن اختراعنا في علم البحر ، تركيب
الغناميل على الحقبة بنفسه ، ولنا فيه
حكمة كبيرة لم نودع في كتاب .. فإذا
كان أحد يعرف (غريتا) فنحن مسئولون »

ثم أعود على بدء فأقول :
هذا رجل من علمائنا صبيحة
أهله ونهض به الأجانب الغرباء ،
وذاك أثر من قديمنا يحمل بصمة
العصر الجديد ، فهل تراها تكفي
لتبرير ما ندعو إليه من عناية
جادة بتراثنا المضيئ ؟
سؤال لا أدري إلى من أوجهه ،
فهل من يدري ؟

(٢)

وقبل ان نعلم ان من اساتذة التاريخ العربيين - مثل توافيليان - من يقدرون القصة التاريخية للامر الادبي ، وللاثر الادبي بوجه عام ، فان المخصص في دراسة الاسماء التي لا بد من بطلان هذا القول ، وانما لنا في المؤرخين القدامى كتابوا على حق حين اعتبروا النصوص الادبية مادة تاريخية .

وكشف لنا كذلك عن الصور الفهم لمعنى التخصص ، حين تلام حدود فاصلة بين دوائر ، هي بطبيعتها متداخلة متكاملة .

فنحن في دراسة النص الادبي ، لا نستطيع بحال من الاحوال ، ان ننبهه سنائي من تاريخ عصره ، وانشاع مجتمعه ، ولا ان نستخلص دلالاته بتروا من الحياة انما هي التي نفس فيها الادب وعائس . . .

وهي قاعدة منهجية مخررة في دراسة الادب ، لا اعلم ان احدا منا يجزئ على الاخلل بها او الخروج عليها

فحين استثنى المؤرخون من النصوص الادبية ، ولما هم انها وثائق تاريخية ، من حيث هي خبوط في نسج عصرها ، ونفسر وجداني لتاريخه .

وانادر فاضى شسبة قد تروهم انني ارمي مؤرخينا جبهة شسبة انحرافا شديدا حين اقول بمزلةهم عنه . . . ونك ما لم يدر بخلفي قط ، وقد كان لي اساتذة منهم ، ذور علم واسع بترائنا الادبي ، مع ذوق له برونه . . . وحسبي ان اذكر هنا استاذي الحبيب : «عبد الحميد المصاوي»

ومحمد نسيف غريال « - رحبها الله - لا استمد كل شسبة انهام بتحويل وانما زدت ان اتول : ان هؤلاء المؤرخين

مع طيبه بترائنا الادبي ، بهدرونه حين يكسبون التاريخ . فانت شرا مثلا بحوث استاذنا شقيق غريال في تاريخ مصر الحديث ، دون ان نشر على نفس ادبي يستشهد به لعائنة بعينة ، او يمحرو في شجرته منبرنا تاريخيا او بذكره من المؤثرات الموجبة لهذا التاريخ . . .

ولم انس ان للشيد « الاستاذ عبد الرحمن الرافعي » كتابا من «شعراء الوطنية» يشهد بحسن اطلاع على عصر ادبنا المعاصر ، غير اني لا انسى كذلك انه لهذا الكتاب سمزل من مكنته التاريخية التي ارجع لها للحركة القومية ، دون احنفال بالوثائق الادبية ، او اعتماده مادة تاريخية ، مما يشمر بان الاستاذ الكبير يرى في الاعتراف بها ، احكاما على السبيل التاريخي . . .

والمؤرخون المعاصرون ، يمحرون احية تترك للمؤثرات السياسية ، ويضمونها في آخر مكان من قائمة مصادرهم ومراجعهم وهذه المؤثرات يتبها عادة من لعوا دورا على مسرح السياسة ، وقلما يبرأون من قلبه هوى مذهبي ، وسيطرة اتجاه حزبي ، لا رجاء معه في تسجيل الاحداث والوقائع بحياء مجرد يرتفع على الهوى وذلك ما يبر الثقة بها ويتشنى الحرص انشاخ على نحصها بأدق حوازين المنهج النقلي ، قبل الاطبئسان الى شوء بها في كتابة التاريخ وتفسيره .

وحسبي مع الافتراض مدتها التاريخي ، فاما لاتمدو ان تكون مادة لجانب واحد من تاريخنا القوي ، وهو الجانب السياسي . وقد خسرنا زمانا لاتحفل بغيره ، ولا ننصون

التاريخ : ٢٥ / ١٠ / ١٩٦٣

(٣)

الاجتهاد ، وشهدوا على هذا المنهج ،
وانتروا بهما في سوق البقية
والنفاق ، بل مثلوا لها امساكاً والتفسير
الذي للمؤرخين به ، انما هو مثل
حين تفسر الشعوب وشيخه اسب وجماع
الرائي اسب .

وسا تشي اسما من اعداء الاسمة
التي لا تشي اسب اسب اسب اسب اسب
في عصر الاسب من اسب اسب اسب اسب .
وبما تشي اسب اسب اسب اسب اسب
التي تشي اسب اسب اسب اسب اسب
تشع احداث اسب اسب اسب اسب اسب
تشع اسب اسب اسب اسب اسب اسب
الوعى اسب .

وحدها تشي اسب اسب اسب اسب
لحده ليلنا اسب .

ثانها في ذلك من حيث الدلالة
التاريخية - تشع اسب اسب اسب اسب
الذين حبوا اسب اسب اسب اسب اسب
ورفعوا صوبه في داحي الظلمه عداه
الشر ، بلنا عن اراده الشعب المكلم
بالاغلال ، وكاسبا عن الحشر اجر
المالك في اسب اسب اسب اسب اسب
وانصر والاحبال .

واللحده بعبه ارحو ان تشي !

الحياة الا دائرة في ملك السياسة
مستودة الى عجلها ، وهو تشع اسب
للتاريخ اسب اسب اسب اسب اسب
هت اسب تشي اسب اسب اسب اسب اسب

لانعتبر السياسة وحدها صافه الوجود
بل لا تعتبرها الموجه الاول للتاريخ
والعش اسب اسب اسب اسب اسب اسب
وانما السياسة في الواقع نسخة خفية
لثورات فاعرة محبته ، منها ما هو مادي
كالوضع الاقتصادي ، ومنها ما هو معنوي
كاهزجة الشعوب وعقليتها ، ومبراه
الروهي والحضاري . . .

وحده تشع اسب اسب اسب اسب اسب
الشره اسب اسب اسب اسب اسب اسب
في تلاق السياسة ، ولتقدم لنا الدلالة
الصافية على ما افعله كتاب التاريخ ،
من تسجيل نبض الوجدان الشعبي ، ورصد
المنابع النفس للامة . . .

واذا شريت اليوم مثلاً ، تشع اسب اسب اسب

وزعماء الاحزاب . . .

ولا يهدر تشع اسب اسب اسب اسب اسب
من وثائق تاريخية ، ان تشع اسب
الاسب اسب اسب اسب اسب اسب اسب

التاريخ : ١ / ١١ / ١٩٦٣

أضواء على تاريخنا

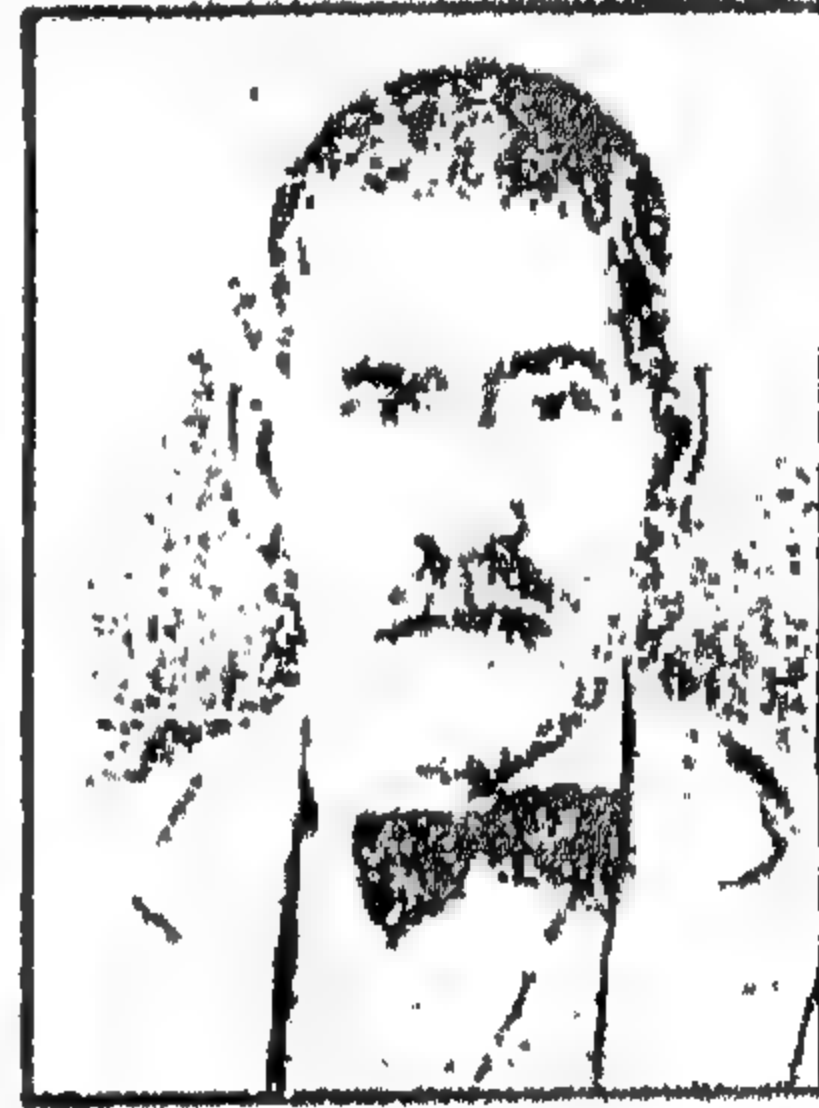
أشعلت الثورة لم تنطفئ!



سعد زغلول



أحمد هاني



أحمد محرم

بشم الكثرة بنت الساطع

عاشروا ثورة ١٩١٩ وشهدوا محاولة
واندفاع لان هذه الاثار تقدم لنا من روح
الاجتهاد والافاس الشعب ، بالانجليزية
بذكرات تروى المصراع المخدم في معترك
الاحزاب ، وتعتبر بتسجيل ماجرى وتدور
على المسرح السياسي ..
وكان في ذهنى وانما انكبت بكتابة
موسم ميمونة من ثراث اديبه
جيل الثورة ، استطعت بها ان اسجل
المناح احسن لوطنى ، الى اعقاب ثوريه
التي كشفت الزناد عن الحذرة المتوجهه
في حشر الشعب ، بغيره باقية لم تنطفئ
من عهد عرابى .

« ان قوة الاحتلال
البريطاني العسكري ،
ومؤامرات المصلح
الاحتكاري والافطاع ..
ذلك كله لم يستطع ان
يطفىء شعله الثورة على
الارض المصرية »
الميثاق

كتبت في مقالى السابق : ان مذكرات
سعد زغلول وحمده من السياسه الزعماء
لا يمكن ان تغنى عن الاثار الادبيه ان

وانما حسنها ان تمنى بيان ظاهرها له
وان تدون احوال « ابطال المواقف الخلاب
الوقت » وهم يتكلمون باسم الشعب ،
ويخوضون الحركة الحزبية تحت شعار
الدفاع عن حقوقه وامانيه .

التمسح اذن صوت شاعر من صميم
الشعب ، لم يكن قط داعية الذي سلطان
او باجورا الحزب من الاحزاب ، ولا عرف
الطريق يوما الى سوق النخبة والنفوذ ،
حيث تنافس الكلبة ، والظهير ، والشرف ،

لم يدع الثمن : مالا او رتبة او تمساح .
بل عاش حرة في غبار الشعب ، ووقف
مع الملايين من ابنائه الكادحين ، يتفرح
على مشاهد المسرحية بوجدان بطل رحس
مرهب ، دون ان يخونه وعيه بان ما يرى
وبسبع لا يمدد ان يكون تمثيلا في تمثيل ،
ودون ان يخله ايمانه بما رشح في ضمير
الشعب من القول المأثور :

« مصر كنانة الله في ارضه ،
من ارادها بسوء قصمه الله » .
وهو الايمان الذي عصم الامة من
البأس في احلك المحن ، وابداها بطاقة
عجيبة من الارادة والصمود .

لنسمع صوت واحد من الملايين ،
يستقبل المييد الجديد بالثبير والوعيدة
ويهزق عنه الرداء المستعار الذي تزييه
في الهند ، ويذكره - ان كان قد نسي -
بمصر طائفة من ترويه ، عنا هنا ونحبره ،
واطلق جنوده يستبحون حبي الكنانة ،
ويظهرون بمسجد البشر والحيوان في دنشواي ،
ثم دالت دولته وبادت ، وبقيت لمصر خذلة
لانبيد .

اتصال مصر باخيل المييد ا
وهل عند الزماة لها جسد ؟
هو السهم الذي عرفته قديما
وجرب واقعه الشعب الوثيب

« مسيح الهند » ان بمصر شعبا
يشق عليك ان خضع الهنود
دع « الزعماء » ان لهم لدينا
يدين بقره الشعب الرشيد
اذا ذكروا الزعامة فهي دعوى
يكيد بها الكنانة من يكيد
ان يتسالب الاحزاب شتى
وما هذى الصواعق والرمود

ولا مطيع لي في ان ايسر هذا كل
باعدت اليه الوثائق الادبية من اعادة
لتاريخ ما بعد ثورة ١٩١٩ ، يعوزنا مظهرها
في كتب المؤرخين وبذكرات زعماء الاحزاب
واقطاب السياسة ، مصريين واجانب .
وانما اتدنى ما استطيعه في هذا المجال
المحدود ، هو ان اتدبر هذا ويحيا في
الفكرة ويؤيد الدعوة .
وليكن النموذج من ديوان الشاعر
« احمد محرم » الذي احتفلنا به بمرجان
ذكره منذ ايام .

أهني قصيدة له دالية ، نطهرها عام
١٩٢٥ ولد راج عبيد بريطاني زهاء عبيد
جديد ، كان قد لعب لعبته الاستعمارية
في الهند وهو برندي زي « المسيح » عليه
السلام ، مضطحا وراءه المخابل والانياب .
برمذ مسائل المتسائلون في مصر عما
عسى ان يكون المييد الجديد قد حمل
بمه من خطط واساليب للمستعمر ، وسمي
السامون من وفود الاحزاب واقطاب
المهد الى قصر الدويارة ، وكل منهم
يهرس على الظهور فوق مسرح الاحداث
ويشفي دوره في الفصل الجديد من
المسرحية ، وكل منهم يؤكد انه النخيل
بين السياسة واسلوبها المجدي مع هذا
الشعب المتورد المنيذ ، وأنه وحده
القادر على قيادة السفينة وسط الانواء ،
وتوجيه دفتها نحو شاطئ الهدوء والاستسلام

وكتب المؤرخين ومذكرات الزعماء هي
التي تستطيع ان تقدم لنا باذن تفصيل
وبيان ، مشاهد المسرحية واسماء ابطالها ،
وان تحدد لنا باليوم والساعة ، موعد
رفع الستار عن كل مشهد ، وموعده
اسياله . . وربما استطاعت كذلك ان
تكشف لنا عن الايدي التي تمسك بالخيوط
الحركة للدمى والشخص المسرحية .
لكنها لما بلغت الى نفسية الشعب
الذي اولف مولف المسرح ، او رمدت
ولم الاحداث على وجدانه المصدوم بمنه
زعمائه وقد تخلصوا عن دورهم النشوري
واستبدلوا به دور السياسة المحترفين ،
واثروا مهانة المستعمر بالاشفراك في
الحكم على اساس الاعتراف بنصر ٢٨
فبراير المشنوم .

(٣)

تداعوا لاولى بهوى صريحا
على ايديهم الوطن الشهيد
«عميد الفاصيين» نزلت ارضا
بييد الفاصيون ولا تبيد
يدود « الواحد القهار » عنها .
اذا همرت جنودك من يدود
انذكر ان القومك ما ارادوا
واذ استكروا اليائس الشديد
تعلوف جنوده فتصيد منا
ومن سرب الحمام ما تصيد
انذكر « دنشواي » وكيف كادت
جوانبها باهلها تبيد
تضج من المذاب ولا سبيل
الى غير المذاب ولا محيد
الذكور... نعائسه فيبقى
ويهدر في مقاتلته الوعيد
صندعنا ركنه فانقض بهوى
ولاب الصخر اجمع والحديد
هوى جبل من المدران حال
وزلزل لسلاي صرح مشيد
ونحن اللانسون بحق مصر
اذا ما استسلم القوم القمود
نحن بمصر ان عدت الموادي
ولكننا بانفسنا نجود

«أخا السكسون» هل نبئت أنا
جلاوزة للومك أو هبيد
لقد كذبوا عليك فليس علينا
لمن يبغى الهزيمة مستفيد
اذا سمعت «الولود» البك للاحذر
عواقب ما نقول لك الولود
لها احد بمالك ابر مصر
ومسا بالثعب جين أو جمود
بلاد ما تبساع ، وباقسات
من الاثار ممدنها الخلود
انلا يقدم لنا مثل هذا الاثر الادبي ،
اضاءة تاريخية كاشفة للسياخ التنسي
للالة ، ومسجلة نفس وجدانها الحي ،
ومدى ايديها الراسخ بالخلود .
لنسمع منه اذن ، هذه الابيات من
قصيدة لشوقي في العام نفسه ، انشدها
في ذكرى مقتل كمال ، وقال فيها
يخاطب الزعماء :
الام الخلق بينكموا الامنا
وهذه الضجة الكبرى هلاما
واين ذهبتو بالحق لنا
ركبت في قضيتيه الاسلاما
للسد صارت لكم حكما وغنما
وكان شعارها الموت الزواما

شبيتم بينكم في القطر نارا
على محتله كانت مسلاما
وانظر جيشه من نصف قرن
على ابصارنا ضرب الخياما
ونللى الجو صياغة ورغدا
اذا « لصير الدويارة » فيه غايا
اذا انفجرت علينا الخيل منه
ركبنا الدجيت او قدنا الكلايا
فابنا بالتخايل والتسلاحي
واب بما انتهى منا وراما
ولينا الامر حزبا بعد حزب
لم نك مصلحين ولا كراما
جعلنا الحكم تولية وعزلا
ولم نعد الجزاء والانتقاما
اذا « التصريح » كان براخ كثر
لم جن الرجس بال به غراما
وكيف يكون في ايد حلالا
وفي اخرى من الابدى حراما
ثم يتجه بالخطاب الى روح الفتيد :
شهيد الحق قم تراه يتبينا
بارض شيعت فيها التباي
اقام على الشقاء بها غريبا
ومر على القلوب فمسا القاما



هذه النصوص وابثالها من التراث
الادبي للمصر ، لا غنى عنها لاستكمال
صورة الواقع من شتى زواياها وبخلف
ابعادها .

وفيها ما يمين على فهم مرحلة التحفز
الثوري ، ويصحح مايقوله أساندة التاريخ
في أحداث ما كنوا ، من « ضرب ثورة
١٩١٩ قربا نهائيا ، وتمنية كل آثارها »
على حين يشهد تراثنا الادبي - مؤيدا
بالواقع التاريخي - ان تلك الثورة لم
يقض عليها القضاء المبرم ، ولا منيت
كل آثارها ، وانما الذي انتهى منها
مشهد وجولة فحسب .

وبقيت شعلة الثورة متوهجة في ضمير
الامة « لم تستطع كل قوى البغي ان
تطفئها » حتى بلغت ذروة احتدامها عام
١٩٥٢ لمسطع لبيها في حريق القاهرة ،
مؤذنا بالجوالة الحاسية في صراع مرير
استغرق نحو قرنين من الزمان .

وبها استدل السائر على القصة ،
ليكشف التاريخ المعاصر ان بطلها الاول
كان هذا الشعب الذي خيل للواهي انهم
ابعدوه من مكانه الحقيقي على مسرح
الاحداث ، واوقفوه موقف المفترج ...

أضواء على تاريخنا

رَبَّانُ السَّفِينَةِ عَلَى مَعِيرِ الْحَضَارَةِ !

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْكَتُوبَةُ بِنْتُ السَّالْحِ



د. حسين فوزي



فردينان ديليبس

والذي يدفعني الى استئناف الحديث عن « ابن ماجد » ان هناك بقية يجب ان تضاف الى ما سبق ان كتبته عنه ، حين قدمت كتابا له في علم البحار ، نشره الجمع العلمي بموسكو وكان كل همي ، ان الفت الى ذخيرة من تراثنا تحمل بصمة الغرب الحديث ، لكي ابرر عناية لي بهذا التراث المضيع فينا ، واردت اليه اعتباره لدى من يحسبونه اكفان دوتي ، يفسد ريحها مناخ العصر !

« شهاب الدين احمد بن ماجد »
ربان سفينة « فاسكو دي جاما »
في رحلته التاريخية الى بحر الهند ، عبر راس الرجاء الصالح او راس الاعاسير ، الاسم القديم ..

دون ان أشعر انني بمثل هذا الحديث ، ابتعد عن النطاق العام للمحاولة التي بدأتها منذ حين ، واتجهت بها الى التاريخ الادبي للحركة الوطنية ، التماسا لمزيد من الضوء السكاثف لتاريخنا ..

(٣)

وكان هذا هو موضوع محاضرة لجنسناز الدكتور ، القاهما في الكويت عام ١٩٥١ وانطلق فيها السندياد برناد مجاهل تاريخ الملاحة العربية في القرون الوسطى ، وبنلو هذه الصفحة المطوية من تاريخنا الحضاري .. وقد لاحظت وانا من المحاضرة الخصبة المبتعة ان استاذنا السندياد ، مر بمسألة سكر ابن ماجد مرتابا فيها غير مكثرت بها ، لانها في راي لاتيننا في نليل او كثير . على حين اراها بالغة الاهمية والخطر ، في تفسير موقف الملاح العربي الذي قاد « دي حاما » الى بحر الهند واسلمه مفتاح الطريق الى كنوز الشرق ، مما جعل بعض المؤرخين العرب ، يحمله اثم النكبات التي لحقت بالشرق الاسلامي من ذلك الحين ، ويعده مسئولا عن مأساة الغزو البرتغالي والاسباني للشارقة الاسيوية .

واذا كنا سيمتلية العصر الحديث ننظر الى الرحلة من حيث اثرها الحاسم في التقدم الحضاري ، ولا نستطيع ان نلقي على كاهل فرد — من كان — تبعة حركة حتمية قضت بها ظروف وعوامل مادية ومعنوية ، فان للمؤرخين القدامى مذهبهم . حين ينظرون الى الرحلة من زاويتها القومية ، ويرصدون باطل بالمالم الشرقي من جرائمها . شأنهم في ذلك شأن الذين اعتبروا حفر قناة السويس ، مسئولا عن النكبات والمحن التي حاقت بمصر ، منذ تسلم « فرديناند ديليبس » رخصة البحر المير الذي ظل موطنا لفول الاستعمار وقراصنة الراسمالين من يهود الغرب ، الى ان ظهرته الثورة من كابوسهم الجاثم ، باعلان فاندھا « الرئيس جمال عبد الناصر » تأميم القناة عام ١٩٥٦ ، لنعود معبرا مصريا عربيا ، للتبادل الحضاري والتجاري بين الغرب والشرق ..

اجل ، للمؤرخين القدامى مذهبهم ، اذا حملوا « ابن ماجد » وزر المأساة التي كان الشرق الاسلامي مسرحا لها منذ حرق البرتغال طريقهم الى ساحل الهند ، فاذا قال مؤلف « البرق اليماني » ان الرجل فعل ما فعل ، وهو مسلوب الارادة من اثر السكر ، وجب ان تستوقفنا هذه العبارة بداليتها على محنة الملاح العربي الذي قاد الغزاة الى بطنه ، وبكتشفها .

الخبينة التي لجأ اليها « كبير الفرزج » ليحل غلدة لسانه ، ويستدرجه الى اذاعة ما خبر من اسرار البحر وفنون الملاحة ،

واصفيت الى صدق المثال بعد نشره . فاذا به يتجاوز ما توقعنا ، ويحيل الى جديدا من امر الكتاب وصاحبه ، لم تكن مرفقة فيها مضي .

واذكرت ان الموضوع الذي شغلني قد شغل عددا كبيرا من كرام الزملاء ، وكنت احسبه لايعني سوى الاحاث الغريبة ، وعلمت بآلية كنت اجهلها ، من قصة هذا الكتاب الذي وضعه المجمع العلمي بموسكو في برنامج اعماله في عصر غزو الفضاء !



واول ما عرفت من جديد في الموضوع ان استاذنا السندياد المصري العمري « الدكتور حسين فوزي » عناية تديبة سان ماجد ، منذ التقى به في رحلته عبر تاريخنا عن طريق مؤرخ عرس ، سجل المشهد المير لانتقال شعله حصارية من الشرق الى الغرب ، وكان « ابن ماجد » ظل ذلك المشهد !

واسم المؤرخ العربي : « قطب الدين النهر والي » مؤلف كتاب « البرق اليماني » وفيه يقول :

الوقع في اول القرن العاشر من الحوادث الفوادح النواذر ، دخول البرتغال — البرتغال — اللعين من طائفة الفرزج الملاعين الى ديار الهند وكانت طائفة عنهم مركبون من زقاق سبته في البحر ويلججون في الظلمات ، ويبرون موضع عريب من السباحل في مضيق ، احد جانبيه جبل والجانب الثاني بحر الظلمات ، في مكان كثير الامواج لا تستقر به سفائهم وتكسر ولا ينجو منهم احد واستمروا على ذلك مدة وهم يهلكون في ذلك المكان ولا يخلص من طائفتهم احد الى بحر الهند .. الى ان قلعهم شخص ماهر من اهل البحر يقال له احمد بن ماجد ، صاحبه كبير الفرزج وعاشره في السكر فعلمه الطريق .. واجتازوا المضيق الى ساحل الدكر

وكنزوا في بحر الهند ، وصارت الامداد تترادف عليهم من البرتغال ، فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين اسرا ونهباً ، وياخذون كل سفينة غصبا ..

واطال « الدكتور فوزي » الومون امام هذه السطور متأملا ، وتنع اثار رحلة ابن ماجد على السفينة البرتغالية ، وهو الرحلة التي دخلت التاريخ خطوة حاسمة على معبر الحضارة من الشرق الى الغرب ، وكانت ابدا بمقرب شمسنا ، ليبدأ ليل الغزو الاستعماري الطويل ، والاستغلال الاجنبي لخيرات الشرق الطيب ..

أحمد بن ماجد . ولم نسمعه براجعه التي بحث فيها ، مثل كتاب بروكلمان وكشف الظنون لحاجي خليفة ، وظلت شخصية ابن ماجد مجهولة لديه إلى منتصف العقد الثاني من هذا القرن ، حيث اتحت له

فرصة التعرف إلى جورد المشرق الفرنسي «فيران» عن الجغرافية البحرية في القرن الخامس عشر . وكان هذا المشرق قد عثر في المكتبة التومية بباريس ، عام ١٩١٢ ، على مخطوطين عسريين لأن ماجد ، يتضمن أولهما تسع عشرة أرسوزة في وصف الملاحة بالبحر الأحمر والخليج الفارسي والمحيط الهندي . وظن «فيران» أن هذا المخطوط ، نسخة نريدة نقلت

من أصل غير معروف ، إلى أن تبين أن بعد عشرة أعوام ، من مقالة في مجلة المجمع العلمي بدمشق ، وجود نسخة سائلة في العاصمة السورية . أما المخطوط الثاني فيتضمن خمس مقالات أخرى لأن ماجد . اثنتان منها بكررتان في المخطوط الأول . وقد بدأ «فيران» في دراسة المخطوطين من عام ١٩١٤ .

« وكان من المعروف أن ملاحا سرييا في صاحب لاسكودي جاها في رحلته الأولى سنة ١٩٤٨ من مالدي في الهندية الشرقية إلى كلكتا بالهند . وما ورد في المصادر البرتغالية من هذا الملاح ، مشوش ومتضارب . وكان «فيران» على معرفة بلفات الشرق الأدنى والامني ولغة الملايو والهند ، وعندها ربط بين المسموعات البرتغالية وبين المعلومات العربية التركية استطاع أن يحدد الاسم الحقيقي لهذا الملاح ، وهو . باب الدين أحمد بن ماجد بن معلى السعدي بن أبي الزكائب النجدي . واستطاع أيضا أن يحدد مسقط رأسه وهو مدينة جلفار بعمان .

«ولما كانت هذه الأراجيز التي اكتشفت في مكتبة باريس ، تتشابه في الشكل والمحتوى مع الأراجيز الثلاث التي عثر عليها كراتشكوفسكي ، بادر بالكتابة إلى «فيران» بسأله عما إذا كانت لديه معلومات عن وجود نسخ أخرى لها . فرد عليه فيران بالنفي ، وذهب إلى أنها هي نفسها يعلم . تعتبر وحيدة مريدة . وأشار كراتشكوفسكي على فيران ، بأن يتولى مهمة تحقيق هذه الأراجيز الثلاث ونشرها

ويتخذ منه دليلا مرشدا لرحلة الغميزو الاستعماري ، التي هي في حساب التاريخ رحلة انتقال للحضارة من الشرق إلى الغرب ، قضت بها حتمية التطور . .



ومن الأستاذ « الدكتور محمد كامل أمين ملى المحامي » نلتيت خطا علميت منه أن سيادته عرف ابن ماجد عندها كان يدرس القانون في فرنسا ، بعد عام ١٩٢٢ ، وأطلع على ما في المكتبة الأهلية بباريس : بن ذخائر ترائه . ثم لما عاد إلى مصر عام ١٩٢٦ ، لفت « دار الكتب المصرية » إلى ضرورة تصوير هذه الذخائر . كما حرص من ذلك الحين ، على أن يتعرف إلى رصيدنا التاريخي في توانين الملاحة البحرية وقرات للأستاذ الدكتور ملى إحصاءة القاه بالازهر عام ١٩٦٠ عن الأساطيل الإسلامية والأصول العربية للتشريع البحري الحديث» وفيها إشارة إلى ابن ماجد وأثاره في مجال العرض التاريخي الرائع لأجداننا البحرية مع دراسة مقارنة للتشريع البحري الحديث وتقاليدنا الملاحية تكشف عن أثر باق للمغرب في هذا الميدان ، تشهد به المصطلحات العلمية العربية في نصوص التشريع البحري الحديث . وقد بلغ ما إحصاء السيد الأستاذ من هذه المصطلحات في اللغة الفرنسية وعددها ثلاثمائة مصطلح لا تزال تعتقظ بأصلها العربي على لسان الفرنجة . .



وأترك ما بقي من المكان المحدد للبقا للسيد الأستاذ المحمد منير مرسى - مدرس اللغة العربية سابقا بجامعة الاتحاد السوفيتي »

وقد عرف « ابن ماجد » من طريق المستشرقين الروس ، وتتبع في حرص ولهفة ، قصة الكتاب الذي نشره المجمع العلمي بوسكو ، وفيه ثلاث أراجيز طوال في علم البحار ، لابن ماجد . يقول الأستاذ مرسى :

« أن قصة هذه الأراجيز تبدأ عندها اكتشفها كراتشكوفسكي شيخ المستعربين الروس ، ضمن مجموعة مخطوطات في معهد الاستشراق التابع للمجمع العلمي السوفيتي . ولم تكن لدى المستشرق حينذاك ، أية فكرة عن شخصية مؤلفها

(٤)

افريقيا ، الى جزيرة سومطرة . . فللعرب
اذن ماضي حضارى يزدهر في البحرية
لكن عندما طوى هذا الماضي ، صارت
الثقافة العربية تكاد لا تخرج عن كونها
ثقافة بدو رحل في الصحراء ، او هذا هو
ما تصوره احيانا في حين ان المعروف جيدا ،
ان البحارة الاوربيين في القرن الخامس
عشر كانوا تلاميذ للعرب ، وان الملاح
البرتغالي « انريكو » الذي يرتبط باسمه
اشهر الكشوف الجغرافية البرتغالية ، قد
استفاد من تجارب العرب في رحلاتهم
البحرية شرق افريقيا ، واستطاع
البرتغاليون بفضل هذه التجارب والخبرات
ان يبرعوا في صنع الادوات البحرية ورسم
الخرائط وتشكيل هيئة القيادة البحرية
وتصميم انواع جديدة من السفن . ولم
يقصر تأثير العرب في مجال الملاحة البحرية
على البرتغاليين فحسب ، بل امتد الى
الغرب الاوربي حيث نرى المصطلحات
البحرية مأخوذة عن العرب .

« ابا عن مؤلفات ابن ماجد فشرح
رسالة شومونسكي الى ان اولها كتاب
« حاوية الاختصار في اصول علم البحار »
ويرجع الى سنة ٨٦٦ هـ (١٤٦٢ م)
ثم كتاب « الفوائد في اصول علم البحر
والقواعد » ويصفه فيران بأنه أوضح ما
الف ابن ماجد »



ثم لا اعلق على هذا كله بأكثر من كلمة
شكر وعجاب :
أما الشكر فهؤلاء الاساتذة الكرام
الذين تفضلوا فزودوني بجديد من العلم
لم أكن اعرفه ، وأما العجاب فلغوصي العرب
الذين عقوا اباؤهم وجحدوا ماضيهم ،
واعوزهم حتى اليوم ان ينشلوا مركزا
غاليا للتراث العربي ، على غرار كليات
الاستشراف ومعهده في الجامعات الغربية
وكان الامر لا يفتننا من قريب او بعيد ، في
الوقت الذي يشهد مثل هذه الجهود الجادة
الضنية لعلماء الغرب في الكشف عن كنوز
تراثنا ، وترويح رسائلهم ونجى ، ما بين
موسكو وباريس ، سعيا وراء مخطوط
عربي ، واستكمالا لمؤامرات تحقيقه ومعرفة
شخصية مؤلفه . .

الا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد !

غير ان وفاة المستشرق الفرنسي حالت دون
ذلك ، وبقيت الراجز تنتظر الى ان جاء
شومونسكي - احد تلاميذ كراتشكوفسكي
- فتفرغ لتحقيق المخطوط ودرسته ، في
رسالة علمية نال بها درجة الكانديدات عام
١٩٤٨ من كلية الاستشراف ، ثم قام
المجمع العلمي في موسكو بطبع
المخطوط ، بصورا ، ونشر الرسالة ، في
الكتاب الذي قدمته صنعة الادب بالاهرام
الى تراء العربية .

« ورسالة شومونسكي ، تبدأ بمقدمة
كتبها « اولدروج » ، تليها أربعة مصول .
يعرض الاول منها الاصل العربي في
صورته التي اكتشف بها ، ويقدم الثاني
ترجمة روسية للراجز الثلاث ويبحث الثالث
في مؤسستها وقبيلتها ، ويختص الفصل
الرابع ، وهو الاخير ، بلمح الدوح العلمية
وشخصية المؤلف في كتابه ، مع تعليقات
الدارس الروسي .

« وانقل هنا ما جاء في رسالة شومونسكي
من قصة النقاء ناسكو دي جاما ماجد
بن ماجد :

« وهي تبدأ في مدينة بالندي على شاطئ
افريقيا الشرقية ، حيث وصل دي جاما
من جنوب افريقيا . وهناك اشار عليه
احد سلاطين المنطقة ، بابن ماجد ، ربانا
خييرا يمكنه ان يقود السفن البرتغالية
الى الهند ، بما له من خبرة طويلة ببحار

الجنوب . واستطاع البرتغاليون بفضل
ابن ماجد ان يعرفوا الطريق الى الشرق ،
فكان ذلك بداية مأساة حزينة عاشها الشرق ،
لقد استطاعت اسبانيا والبرتغال ، اعظم
دولتين بحريتين في القرن الخامس عشر ،
ان تبدأ نفوذها الاستعماري الى الشرق
وتستعبدا شعوبه وعاشي ابن ماجد ليشهد
ابادة البرتغاليين للسلطين العرب في
افريقيا ، وتدعيم الاستعمار البرتغالي
في الهند وايندونيسيا .

« وفي الوقت الذي وصل فيه فاسكو
دي جاما الى المحيط الهندي ، كانت هناك
مدن مزدهرة وبلاد تجارية على شواطئ
افريقيا الشرقية . ومع ان سفن البحار
الهنود كانت تزور موانئ البحر الاحمر
وشرق افريقيا ، كما وصلت السفن الصينية
الى الجنوب العربي ومقدشو ومالدي ،
الا ان السيطرة على المحيط الهندي كانت
للتجار العرب وكان لهم النفوذ التجاري
على الساحل كله ، من سفالية جنوب



تاريخنا الادبي قد لحقه ما لحق التاريخ السياسي من زيف وتشويه،
والاجيال منا قد قرأتهمسا ، كليهما ، على غير حقيقتهمسا ،
ونحن مع ذلك نحتاج الى كل منهما لهم الآخر وتصحيحه !

لم يغيب عني وانا ادعو الى وضع تراثنا الادبي بين وثائق تاريخنا واسانيده ، ان اكثر
رصيدنا من آثار الشعراء والكتاب ، يعوزه الصدق الفني الذي ترتب به اصلته وقيمته .
ولا أتى بجديد ، حين اذكر ما يعرفه كل واع لتاريخنا الادبي ، من ان اكثر الذين اثبت لهم الشهرة ، كانوا من
هاشية الملوك ودعاة المذاهب والسنة الاحزاب ، وهؤلاء في الغالب ، لا يعبرون عن وجدان حر ، ولا ينطقون الا بما يرضى
سانتهم الذين استأجروا سنتهم وضمائرهم .



الشاعر احمد شوالي



الدكتور محمد مبري

ومن السذاجة التي توشك ان تكون
لطفلة ، ان نلتفت الى هؤلاء المأجورين
ومن لي حكمهم كلمة حق ، وقد طالع
صلوا بمآزفهم يجدون مولاهم او يبررون
سبابة الحزب المتسلط ، فاذا ما سقط
الحزب او هوى الملك من عرشه ، وانتقل
مسلحان السلطة الى غيره ، وانتقلت
معه بناتج خزائن المال وصكوك الغنائم
والانقلاب ، دار الشعراء والكتاب مع
الريح ، وسارحوا الى تغيير اوتار معازفهم
كي تغنى للحاكم الجديد .

واخرون منهم لم يكونوا قط من حاشية
ساحب القناج والصولجان ، او اتباع
الحزب المتسلط ، لكنهم اشتقوا من الجهر
بآرائهم الحرة ، فلادوا بالنقبة والمداواة
او تعلقوا بركب النفاق ، فكانت السنتهم
مع الطفاة والوهم ليست معهم ، بلهم
في ذلك مثل اصحاب «الامام علي» - كرم
الله وجهه - حين انضموا الى الجيوش
التي خضت ساحة العراق والحجاز
والشام بدماء الطالبين ، وتناثروا فيها

الاستاذ الدكتور عبد الشام

(٢)

والثاني . ان الاكاذيب لا يمكن ان نظل ابداً بنسبى عن نور ثاقب يكشف زيفها وبطلانها . والكذب - كما تقول العادة بنظرنا وتجربتها - قصير العمر ، ويكاد المريب يقول : خذولى او اذا كان الزور قد انطلى على كثرة من الغافلين ، فمن المستحيل ان ينطلى على كل ذى بصيرة . . .

والاعتبار الثالث : اننا لا نمتنى ، بل لا ننصّر ، ان نتخذ الآثار الادبية مادة للتاريخ ، بمعزل عن مصادره الاخرى جميعاً : المادية منها والنقلية ، المدون منها في كتب المؤرخين ومذكرات الزعماء واثار العصر وفتونه ، والساائر منها على السنة . الشعب من ايمان وامثال وحكايات ، واقعية واسطورية ، نناقشها الاجيال منا ووعتها ذاكرة الزمان ، دون ان ترجع فيها الى مصدر معين او اثر مكتوب .

ومرض الآثار الادبية على كل هذه المصادر ، كليل بان يهدى الى الزائف منها والمصحح ، وان يصل بالمقابلة الدقيقة الى ما يطعن اليه الراع التاريخي ، مستخلصاً من كل هذه الآثار والاسانيد المختلفة

وبنى استطاع الفحص الدقيق للنصوص الادبية ان يكشف عن كذب فيها ، فان هذا الكذب ذاته ، يضعها بين الوثائق المفسرة للتاريخ ، فمثلاً : قصائد المدح التي تشغل أكبر مكان من ديوان الشاعر العربي ، تعطينا الدلالة الصادقة على شخصية الحاكم في عصور الاستبداد ، وتهدينا الى مواطن التأثير والاستهواء في نفوس الجماهير المحكومة بفرديّة مستبدّة وتلقية مقصّدة ، وتحدد لنا بمنطق التبرير الزائف للاوضاع الفاسدة ، عقلية العصر ومزاج المجتمع ، كما ترسم لنا - بانق التفاصيل - الصورة التي يجب الحاكم ان تراه فيها الجماهير ، ونصوغ المثال المختار للممدوح في بيئة معينة . .

الامام وهم يتولون السيوفنا مع بنى امية - او مع بنى العباس - وقلوبنا مع علي !
فتكيف يمكن ان نعد الآثار الادبية لهؤلاء وامثالهم وثائق تاريخية لعصرها ، والذي لا ريب فيه انه متى كان ولاء الاديب لغير ضميره وفنه وامته ، اضطربت الموازين في ايدينا ، بحيث يشك علينا ان نقبض بها من التاريخ او نهدي منها الى جوهر الحق فيه !

هنا عقدة المؤلف !

فتاريخنا الادبي قد لحقه مالحق تاريخنا السياسي من زيف وتزوير ، والاجيسال منا قد لرايتهما كليهما ، على غير حقيقتيهما ، وما دمننا فحتاج الى كل ملهما في فهم الآخر ونصحيحه ، فالمسألة فيها دور كما يقول اصحاب المنطق :

نحن اصحاب الدرس الادبي ننسكّر على المؤرخين ان يهدروا الدلالة التاريخية للوثائق الادبية ، ونطالبهم بان يستكملوا مادة التاريخ كي يصح فهمه ، وهم بدورهم بحيث ينكرون ان يكون الادب مادة للتاريخ ، وفيه ما فيه من زيف وباطل باعترافنا !

فهل تكفي من المحاولة يائسين ؟
كلا . . بل نستطيع وبسط هذا التيسر الممتد المسالك المختلط الدروب ، ان نتعلق بالابل في جدوى المحاولة ، اذا ما ادخلنا في حسابنا اعتبارات ثلاثة يجب ان نظل نصب عيوننا ونحن نتلمس خطانا الى حيث نستبين حقيقة تاريخنا :

واول هذه الاعتبارات : انه قد كان هناك دائماً في كل عصر وكل مجتمع ، من عسى فهمه على الاغراء والارهاب ، فقال كلمة الحق في فدائية واستبسال ، او عمد الى الرجز والاحتفال الفنى ، خذرا من ان يخرسه طافية او استحياء من الجحود منعمة له عليه وعلى آبائه ، وليس «نوتى» ما بيميد . . .

التاريخ : ٢٢ / ١١ / ١٩٦٣

(٣)

ومن أجل هذا ، لم نذهب مذهب
الداعين الى المساس بالنصوص الادبية
وحذف اى جزء منها ، بدعوى انه مما
تلفته اذواقنا وعقولنا ، او مما لم يثبت
صدقه وامانته . . . ذلك اجراء يمكن ان
نلجأ اليه فيما نقدم الى تلاميذ المدارس
وعامة الجاهل من الادب العربي ، حيث
يجب الا نعرض عليهم الا النماذج الملائمة
لاذواقهم المسيرة لروح عصرهم واوضاع
مجتمعهم ، على ان تبقى النصوص وراء
ذلك ، سليمة لاتمس باى بشر او تعديل
بين ايدي الخاصة من الدارسين ، يستخلصون
منها بالاستقراء الكامل والنظر الناقد ،
اصدق الدلالات المضيئة لعصرها المفسرة
لأحداث تاريخه .



والنتائج التي فديتها تجربة « الدكتور
صبرى » نغرى بالمضى في المحاولة ، وندمو
الى الثقة في جهودها لا على التاريخ الادبي
العام وحده ، بل على التاريخ الادبي
الذي لا يمكن فصله عن الحياة .



المحاولة اذن ممكنة ، بالنسبة الى
العصر الحديث الذي نعيش احداثه ونملك
تراثه الادبي مدونا او محفوظا . . .

ولكن الامر يختلف تماما بالنسبة الى
العصور الماضية وتراثها الذي نحتاج اليه
دعامة لوجودنا ومادة لتاريخنا . فكل
حديث عن هذا التراث وقيمه ، يجب ان
يخضع حتى نخدق اولاً من اننا فرقنا بين
جمعه وحصره ، او على اقل تقدير ،
أعطنا علماً بما ابقى الزمن من ذخائره
الموزعة في شتى أنحاء الدنيا . . .

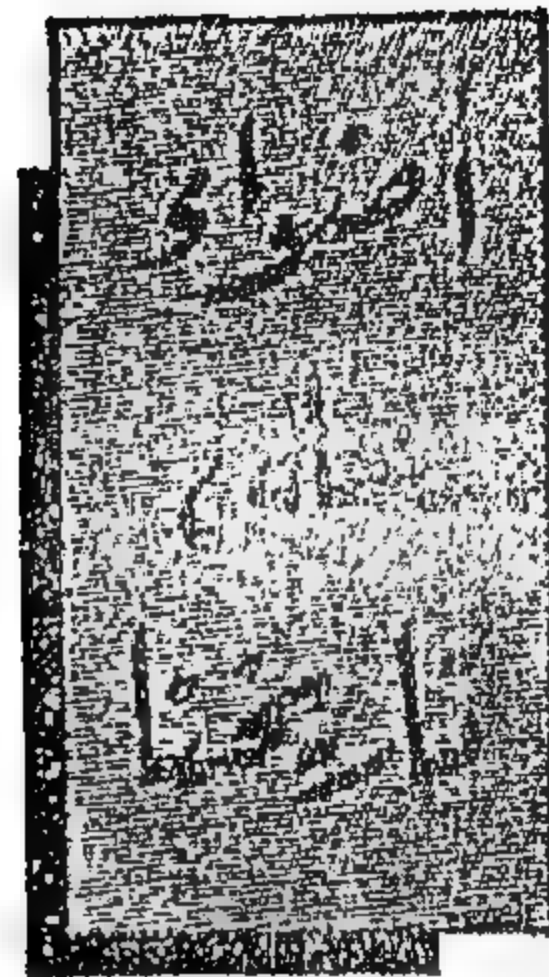
فهل فعلنا ؟

ذلك ما ارجو ان اجيب عنه في مقال

قريب ، والله المستعان . . .

ومحاولة التفسير الادبي لتاريخنا ،
على ما نعرف من صعوبتها وتمتعها ، يمكن
ان تطوع وتلين ، في مجال التاريخ لعصرنا
الحديث ، حيث لا يزال بيننا من عاشروا
احداثه وراقبوا مجرى تياراته الخفية
والظاهرة ، وحيث نجد وثائقه الادبية مسجلة
بحفظة ، في الكتب والصحف والمجلات ،
وفي اصابنا وحكاياتنا وامثالنا الشعبية
التي تملى اصداء وقع الاحداث على
وجدان الجاهل ، وتكشف عن انعكاسها
على نفسية الشعب .

ونحضرني في هذه المناسبة ، تلك التجربة
الجليلة التي قام بها الاستاذ المؤرخ . . .
« الدكتور محمد صبرى » في السفر القيم
الذي نشر فيه « الشوقيات المجهولة »
وقام فيه بالعملية الشاقة المزدوجة المتكاملة :
تفسير الادب بالتاريخ ، وتفسير التاريخ
بالادب .



بعد ليل طويل

كانت حركة احياء التراث
« الميثاق » بأنها : « كانت من احضرت
ليقظة ، تعبيرا عن ارادة الحياة في الفترة التي وصفها
رات في تاريخ مصر ، بحثا في اعماق النفس ، ونجمها
لطاقات الانطلاق من جديد » .

يقام الكونغرس الثاني

اشيرت في مقال الماضي الى امكان محاولة التفسير الادبي لتاريخنا الحديث،
حيث نملك وثائقه : مدونة في الكتب والمجلات والصحف ، او محفوظة في
افانينا وامثالنا وحكاياتنا الشعبية .
لكن المؤلف يختلف بالنسبة الى العصور الماضية ، لان كل حديث عن استكمال
لهم التاريخ بالتراث الادبي ، يجب ان يسجله الاطمئنان الى اننا قد فرغنا من
حصر ما لدينا من هذا التراث ، واجطنا علما بذخائره المبعثرة في شتى انحاء الدنيا .
هل فعلنا ؟

اليوم موعدي لاجيب على هذا السؤال .



(٢)

تعميق مجراء ، وتأمين حيويته وسلامته ،
بصدوره عن منبع أصيل في أرضنا الطيبة .

ولكن الشنور يحتاجنا النجيرية الى
تراثنا الفكري والادبي . جاء بعد فوات
الآوان .

فنى ليلنا الطويل ، تنزيت ذخائره
الى الغرب على مرمى منا ونسمع ، ونحن
في غفلة عن قبية ما نصيحه .

في ليلنا الطويل ، كان الغرب متناهرا
على جمع تلك التراث ، وكان حبلوه
ينتشرون في أنحاء الشرق بحثا عن كل
ما تلمنته من بوائن الفتيان ، بعد الانقصار
التري والغزو الصليبي . ونحن نمج
لحقتهم وغلقتهم ، حين يدفعون شئنا ليشترؤا
اوراقا تالية صفراء خالت فيها الفيران
والحشرات . وكفنها الزمن بالتراب .

يومئذ كان حذبة المساجد - حراس
هذه الكوثر - يرحبون بين يخلصهم منها
نظير قروش متقودات ، وكانوا قبل مجيء
سنانيرة الغرب ، يكتفوننا لباعة الترمس
والفسول والبطاطة ، يكن يغلفوا بها
بضاعتهم قبل ان تظهر الضحن وتحمل
محمل المخطوطات لدى سفار الباعة .
وقد حدثت شامة ميان من اساتذة
الجيل ، انه رأى بغيته خادم (التسجد
المؤيد بالقاهرة) يتلا السلال بها في خزانة
المسجد من مخطوطات ، ويضعها بجانبه
لدى الباب ، يتقروقه للبيع بتأخر
الانسان .

وذكر (الفيكونت يليب دي طرازي)
في كتابه الجليل (خزائن الكتب العربية)
ان خادما يدعى «ابن السليمان» عين
حوالى منتصف القرن الماضي ، خازنا
لثلاث مكتبات كبرى في مجاهد القاهرة ،
وجعل له ديوان الاوقات رابعا شهريا
تديره خمسة وعشرون قرشا ، فكان الرجل
يستعين على رزقه ببيع عيدان قصب
البكر ، حيث اعتاد ان يتفد في زاوية
تحت سلم مدرسة السلطان حسن ، ويضع
بجانب بضاعته من القصب اكواما من
مخطوطات المساجد النائية ، يبيع منها
من يدفع القرش والقرشين !

ولم تقتصر الهوى على مصر بل كنا
في الهم شرقا كتب العلامة السيد (المحمد
كرد علي) في المجلد السادس من (خطوط
الشام) ما نصه :

(ومن المصائب التي أصيبت بها كتب
الشام ، ان بعض دول أوروبا ، ومنها

بدأ الاهتمام عندنا بالتراث ، مع حركة
اليقظة التي لاحت بوادرها في القرن
الثامن عشر ، حيث أدرك روادها ان
ارتباط الحركة بالغرب وحده ، يفقدها
عنصر الاصلة الذي ترتب به صحتها
وسلامتها ، وقرروا عقم الحركة اذا
اقتصرت على جدي مستعمر لا تربطه صلة
بجلورنا الضاربة في أعماق الزمن .
في الوقت الذي قدروا فيه جدوى
اتصالنا بالحضارة الغربية الحديثة ،
وضرورة امداد حياتنا بروافد منها
توجه تيار اليقظة مع ربح العصر ، وتغذى
وجودنا بشار التقدم ، وتسابر به تطور
الزمن .

ومن الواقع التاريخي ، ان مهمة المسمى
لاكتشاف جوهر شخصيتنا والبحث عن
جذورنا ، لم يحمل عنها الامسيون الذين
يعيشون بمقلية الماضي ، وانما تولى
المهمة عصريون مجددون ، ممن اتصلوا
بالغرب الحديث اوثق اتصال ، ونهلوا
من موارد ثقافته :

«الامام» (الشيخ محمد عبده) الذي عاش
في أوروبا زمنا هو نفسه الذي مكث على
القرآن الكريم ينسره بمقلية جديدة ،
ويلتبس منه أصول الدعوة الى تحرير
الفكر الديني ، والامسلاح الاجتماعي
والسياسي .

والشيخ (رفاعة الطهطاوي) امام
الجمعة العلوية في باريس ، نقل اليها ما نقل
من حضارة الغرب ، وحرص في الوقت نفسه
على ان يجمع ما استطاع من مخطوطات
عربية ، هربت بها خزانة كتبه في سوهاج .

(واحمد زكي) عاد من أوروبا بعد ان
تزود بالثقافة الغربية ، ثم لم يلبث ان
قام برحلات عدة الى الخارج باحثا
عن كنوز تراثنا ، وناقلنا اليها ما تيسر
نقله .

(واحمد تيمور) المصري النشأة
والنشأة ، هو الذي انفق ماله بسخاء
في جمع ذخائر المخطوطات العربية ،
ووهب حياته لها : جاها ودارسا .
(الوشوقي) رئيس القصر الذي قلتي
دراسته العليا في باريس ، كان من اجهر
الدعاة صوتا ، وهو يحدو الركب بتدائه
المثير ، برتلا اناشيده في قديم امجادنا
ومسالك حضارتنا .

لم تكن ، اذن حركة احيا تراثنا والدعوة
الى الاتصال بقديمنا ، منخرة رجعية يلقي
بها الامسيون في مجرى تيار التقدم ، وانما
كانت بشهادة الواقع التاريخي . مددا
سخيا لهذا التيار ، اراد به المصريون

وبفضلهم شهدت الفترة التي اعتقت ثورة عرابي حركة احياء للتراث ، اخرجت لنا فيها مطابع بولاق ودار الكتب وبعض دور النشر ، عددا غير قليل من امهات الكتب العربية التي بقيت بصر ، او نقلها الناقلون من تركيا وأوروبا ، وكان للسفر لهم : راحة رافع الطباطبائي ، واحمد زكي ، واحمد نيسور ، فضل كبير في جمع ذخائر عربية ، امتلأت بها خزائن كتبهم .

واعتقد ان هذه الحركة ، كانت من اهم مظاهر التعبير عن ارادة الحياة في الفترة التي وصفها «الميثاق» فقال :

«ان اصدااء المذاهب التي ضربت الاسكندرية واصدااء القتال الباسل الذي طعن من الخلف في النمل الكبير ، لم تكذ تخلف حتى انطلقت اصوات جديدة تعبر عن ارادة الحياة التي لا تموت لهذا الشعب الباسل وعن حركة اليقظة التي لم تظهرها المصائب والمصاعب ..

«ومن عجب ان هذه الفترة التي ظن فيها الاستعمار والمتعاونون معه انها فترة الخمود ، كانت من اخصب الفترات في تاريخ مصر بحثا في اعماق النفس ، ونجيبا لطاقت الانطلاق من جديد .»

وحركة احياء تراثنا ، كانت بحثا في اعماق النفس ، بقدر ما كانت مظهر تعبير عن ارادة الحياة ..

ومنع سريان تيار البتظة في الوطن العربي شاركت الشام والمراق والمغرب في حركة احياء تراثنا المشترك ، كل على قدر طاقته ..



وترك جيل الرواد هذه الامانة في اعنائنا ، نفى بها على المستوى الذي بلغه تضج وعينا ورشد ادراكنا ، وتقدم زماننا ، وعلينا بما وضع المستشرقون من مناهج لتحقيق التراث ونشره .

ولكن السنين مضت ، دون ان تظهر في الافق بادر في تدبير لمسؤوليتنا ، حتى اوشك القرن الحاضر ان يتصف ، وليست لدينا محاولة جادة لحصر الحركة ، اللهم الا محاولة فردية جيلة ، قام بها «النيكونت فيليب دي طرازي» : مؤسس دار الكتب.

فرنسا وجرمانيا وبريطانيا وهولندا وروسيا اخذت تجمع من القرن السابع عشر ، مخطوطات تبتاعها بوساطة وكلائها وقناصلها والاساقفة والمبشرين من رجال الدين . وكان قوما قد بلغ بهم الجهل والزهدي في هذه المخطوطات ، ان يفضلوا درهمي على انفس كتاب . وحدثني الثقة ان احد سماسرة الكتب في القرن الماضي ، كان يغشى منازل بعض ارباب العمائم في دمشق ، ويتردد على من يتولون خزائن الكتب في المدارس والجوامع ، فيبتاع منها ما طاب له باثمان زهيدة . ويغني السمسار هنا بدين بيتاع الاسفار المخطوطة من اطراف الشام ثم رحل الى بلاد فاخذتها منه حكومته وكافاته عليها .»

ومن المغرب العربي ، خيلت مخطوطات بقوتها المد والاحياء ، الى دور الكتب في الدول الاستعمارية . واحرق من بقيتها ما احرق ، في محاركة التحرير .

وعلى هذا النحو ، ضربت ذخائر تراثنا الى الغرب ، وجدت هناك من ينفض عنها غبار الزمن ويحببها من برائن المبيع ، ويقتب منها مع ذلك في الشرق بقايا . لم يلبث سلاطين الدولة العثمانية - في عهد الخلافة - ان نقلوا منها الى تركيا اكداسا لاتحصى ، لالكي تدرس وتضان ، ولكن ليخزنوها في سرايب الجوامع التي بنوها استكمالا لمظهرية الخلافة ، واستهوا للجماهير المتدنية . في الاقطار العربية التي كان آل عثمان يحكمونها باسم الاسلام . وكذلك بقيت بقايا في خزائن الحجاز وكهوف اليمن ، ملكا خاصا للائمة الحكام لا يفتحون فيها بسيرا ولا يعرفون لها قدرا ، ويابون مع ذلك ان يعرضوها للضوء . خشية ان تلحد عقول الجماهير بنور العلم !



وحين بدا لرواد اليقظة ، ان يدعوا

الحركة باصبل تراثنا وجدوة سبغنا في شتى انحاء الدنيا ، او مدفونا في اقبية الجوامع وسرايب القصور .

ولم يفلحهم اذا حالت ظروف زمنهم دون ان يضيخوا خطة منظمة لحصر هذا التراث ، فحسبهم ان بذلوا اقصى جهدهم لاستنقاذ بعض ذخائره ، ونشر ما يصل الى ايديهم منها .

كل ما لم ي عليه المشروع ، الاتجاه الى نشر عدد من كتب التراث ، لا ندري على أى أساس وقع عليها الاختيار ، بل لا يدري واضعو المشروع انفسهم ، ان فى قائمة مخطوطاتهم المختارة ، ما من بشره حديثا على ادق منهج علمى للتحقيق ، وما اجازته المجمع اللغوى والجامعات ، به والمفروض انها جهة اختصاص — وما نشرته وزارة الثقافة ذاتها ، فى طبعة بتقنية محققة !

والغريب العجيب ، ان الذين قاموا بتحقيق هذه النصوص المنشورة ، هم خبرائنا الذين تعترف بهم الدوائر العلمية في مصر والخارج ، وهم هم الذين اختارهم واضعو المشروع ، لعملية تحقيق ما فرغوا من تحقيقه ، وبذلوا له أقصى الجهد من ضبط وأتقان ، مما يؤكد ان الامر لم يخرج عن ارجال ، ولم يزل بعيدا أقصى البعد ، من مجرد التصور لما يعرف بالانخطيط !

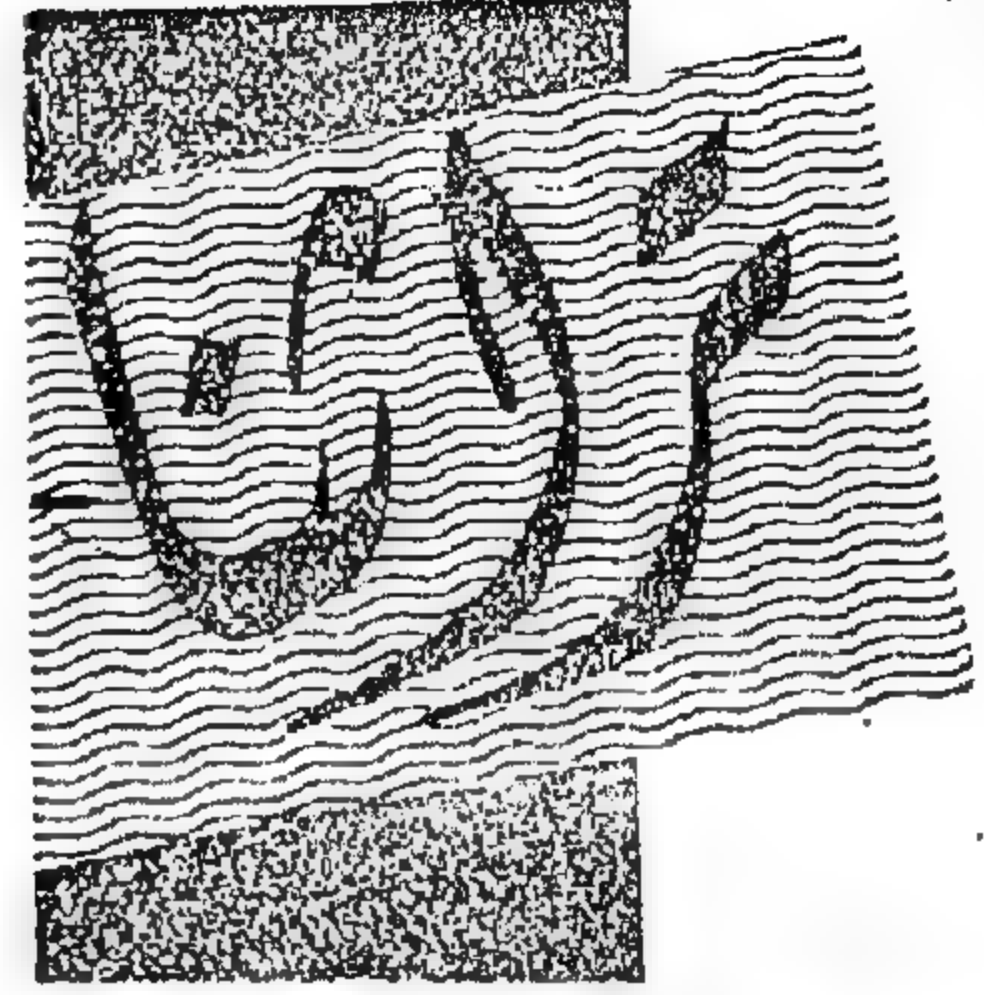
بل أخشى أن المولء أنفا ما تزال أمد
ما تكون من تقدير جاد لأهمية هذا التراث
وحاجتنا الماسة إليه : دعابة لوجوبنا
ومغسرا لغاربنا وكاشفا عن جوهر حقيقنا
مما يقتضى أن نقتل نباح الحديث
في هذا إلى أن تلقى الدعوة مسما !

الليمانية « وأثرت سفرها فيها : في مجلدات
ثلاثة أحصى فيها الأستاذ الكبير ، ما وصل
إلى عليه من « الكتب العربية في
الخالف »
ونا :
بعضه :
الكتاب :
وفائتي معه ، ثم يصل إلى ملين
من خزائن هذا الرصيد الفخم ، الذي
لا يمكن أن تنفى باحسانه جهود قردية مبشرة



ونتف اليوم في اهرات عام ١٩٦٣ ،
لفنظر أين نحن من هذا التراث بعد أن
دخلت ثورتنا عامها الثاني عشر ، فبالتنا
با أعلنت عنه وزارة الثقافة من مشروع
المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب في
«التخطيط الثوري للفكر العربي» حيث
بعدها منه أن الموقف بالنسبة الى تراثنا
لا يزال متعثرا في قيود الارتجال ..

ولا اعيد هنا ما سبق ان ابديته من
بأخذ وسلاخظات على هذا المشروع ، وانها
يكفى ان اقرر اننا به ، ما نزال اسعد
ما نكون عن فكرة واضحة لخصم ذخائر
تراثنا ، حتى الذى نملكه منها ا وعن
خطوة مبدئية أولى في طريق حمايته ،
ومنهم شعلته وخدمته ونشره ..



رحلة مخطوط بين شرق وغرب

أريد أن أقدم هنا مثلاً واحداً، يعطينا فكرة عن مصر تراثنا الذي بقي في أيدينا ، والذي وصل منه إلى أيدي الأجانب الغرباء . والمخطوط الذي اتحدث عنه ، نسخة خطية قديمة من القرآن الكريم في متحف « طشقند » يقال إنها المخطوط الاصلى لمصحف عثمان رضي الله عنه .

خط بيده في رحلته إلى حيث انتهى به المظف في متحف طشقند وان اقبال مصره ، على مصر مخطوطات أخرى يقال إنها كذلك « مصحف عثمان » وقد بقيت في حوزتنا ، نحن العرب المسلمين .

كذلك لا مجال للبحث المقيم من المرحلة المجهولة التي قضىها المخطوط في وطنه العربي ، قبل أن ينتقل إلى « سمرقند » في العصر المغولي . . . وهناك رواية تقول : ان « تيمورلنك » هو الذي نقله إلى سمرقند ، ليبدأ نقل من ذخائر الاسلام . .

فهناك رواية ذكرها المسلم الروسي « م . الرمزي » في كتابه « تلفيق الاخبار وتلقيح الآثار » في وقائع قازان وبلغراد المطبوع في قازان عام ١٩٠٧ ، من « ختة شريفة » أهديت إلى السلطان بركة - من ملوك القنار المسلمين - يذكر أنها بخط الخليفة عثمان ، بخلان اطللس مؤرخي ، ضمن درج احمر من الجلد ، على كرسى من ابنوس وعاج ، مطعم بالفضة . ولا يستبعد المؤلف ان يكون هذا المصحف ، هو الذي حمله تيمورلنك من مدينة مراى إلى سمرقند في حروبه . وهناك رواية أخرى تقول ان طبيباً من

ولا مجال هنا لقول في توثيق هذا المخطوط نقد رأيته في ماينه عام ١٩٥٨ وارتبت في ان يكون هو المصحف الذي كان الخليفة « عثمان » يقرأ فيه عند منظره . وكانت دواعي الارتباب ، ان ورقه - وهو من الكاشد ، لا من الرق كما يقال - ليس من الصنف الذي عرفناه في مخطوطات عصر الخلفاء الراشدين ، كما ان خطه ليس الخط المألوف لنا ، في نصوص مكتوبة صحت نسبتها إلى ذلك العصر ، وانما هو فيما أرجح من الخط الكوفي لاوائل القرن الثاني الهجري .

وغلب الارتباب ، عندما رأيت تنسيق الكتابة في المخطوط ، حيث يتساوى عدد الاسطر في كل صفحة من صفحاته في نظام دقيق يستبعد ان يكون من ذلك العهد المبكر .

لكن مخطوط طشقند . يحمل مع ذلك بهابة القدم وجلال السمعة ، منذ اشتهر منه انه « مصحف عثمان » والمسلمون في آسيا السوفيتية ، لا يشكون في هذا وهم يرون على بعض صفحاته آثاراً من بلع ، يقال إنها من دم « عثمان » ، ونقول أنها قد تكون آثاراً من عرق . . وعلى كل حال ، فالذي يعني اليوم من امر هذا المخطوط الاثرى ، ان تتبع

(٢)

للخطوط ، حيث كان في انتظاره ، مع المخطوطات الاخرى ، بجانب من الخبراء عكفت على ترميمه ، وفحصه ، ودراسته وصيانته .

وكان المخطوط قد وصل من الشرق في حالة مخزنة : فمن بين صفحاته التي يبلغ عددها (٢٥٢ صفحة) لم يبق غير خمس عشرة صفحة سلمت من تحت الحشرات والفاعيل اللبي .

وبقي في « بطرسبورج » مصنونا ، نحو صف قرن . الى ان استجاب « لينين » رغبة المسلمين الروس في ان ينقل المخطوط الثمين الى « طشقند » عاصمة اوزبكستان بعد ان صارت ولاية في الاتحاد السوفيتي رقم النقل عام ١٩٢٢ ، حيث اودع في متحف تاريخ شعوب اوزبكستان ، في علبة من الخشب داخل صندوق حديدى غطاؤه من فولاذ ، والى جانبه وعاء من الزجاج مليء بمسائل كيميائية - اظنه الكافور - لوقاية المخطوط من الحشرات .

ولا يباح للزائرين لمس المخطوط ، كما لا يباح نقله او اعارته وانما اخذت منه صورة (فوتوغرافية) طبع منها عدة نسخ وزعت على المراكز الاسلامية بالاتحاد السوفيتي ، بقصد التبرك ومصورة اخرى - متحف طشقند ، في متناول من يطلبها من الدارسين ام الزائرين .

ولكى تتم الصورة ، اقابل بين المصير الذى لقيه هذا المخطوط منذ وصل الى

اوزبكستان مالح احد السلاطين الترك من برضى ، فلما خيره في الكفاة ، اختار مصحف عثمان ، ومنه صار الى شيخ مسجد سمرقند .

ورواية ثالثة تقول ، ان السلطان التركي شلى ببركة ردعوات ولي الله « حاج احرار قسطنطيني » فاهداه هذا المصحف ، ثم رحل به الى سمرقند حيث مثر عليه في مدفنه هناك .

ولا تزال هذه المرحلة - من رحلة المخطوط - مجهولة المعالم ، وان كان من المرجح ان المخطوط انتقل من وطنه العربى الى سمرقند ، حيث بدأ المعروف من خط سيره :

لغى عام ١٨٦١ فزت قسوات قيصر روسيا اتليم « تركستان » وكان من نتائج الحملة ، ان نقلت ذخائر خطوطاتها الى « بطرسبورج » وفيها هذا المخطوط الاثرى الذى تولى « الجنرال فون كاوفمان » مهمة نقله ، بما يشهد ان المسألة كان لها اعتبار سياسى وعسكرى متصل بما عرف من اصل حركة الاستشراق .

وان كان الجنرال قد برر قل المصحف بانه « ليست لديه قيمة عند اهله » بل هو مجرد وثيقة رسمية تخص امراء بخارى وقد ظل بها مئات السنين ، دون ان يستطيع احد قراءته او الانتفاع به « وهو تبرير ظاهرة حق ، وان اخفى وراءه الهدف السياسى لجمع المخطوطات .

ولى « بطرسبورج » بدأت مرحلة جديدة

اسئلة حائرة ، لاتجد جوابا يكشف عن التسوس مندنا ، فخص المخطوطات .
بصير هذا المخطوط الذي سوه في قلعة ومقابلتها مقالة عليه ، تجيب عليه .
طلب ، حوالي سنة ١٢٢٣ هـ ، ثم لم يجد حاسبة عن الاسئلة الابنية :
نعرف له اثرا ..

على ان الاسئلة الحائرة ، تلقى ضوءا على نوع واحد من الورق ؟
نضية تراثنا ، حين تذكر سلطان تركيا - وخطها ، هل هو بقلم ساسخ واحد ،
وملك الحجاز ، وامبراطور المانيا ، ومعاهدة او اقلام مختلفة ؟

سيئر ..
دون ان تثير فينا ادنى شعور بالاحتمام
او تحيلنا على مجرد التفكير في البدء بمعية
(جرد) بحصى بها ما لانزال نملك من غيبه
تراثنا ، وننقذ ما يمكن انقاذه من ذخائره ..

هل اتول ايضا ان القاهرة مخطوطا
الذي يقال انه « مصحف مبان » حزونا
وركن « المخلقات » بمسجد الامام الحسين
وان مخطوطا راسعا . بهذا المصحف
العثماني ، قرانا في المصحف منذ عام حبر
الاوقاف عليه ، مدفونا في
خزانة بهل ، رواق المغاربة بالازهر
ولا علم لنا بالصير الذي ينتظر هذين
المخطوطين ، والوقا اخرى من قور
اذا ، بخزونة في الزوايا والمساجد
بلقاء مع سقط المتاع في دور العناية
الراجلين حيث تمزق اوراقها لتغلق بها
الاطعمة على نحو ما كانت اسرة امي
رحمها الله - تفعل بما ترك جدها
« الشيخ الدهوجي : شيخ الجامع الازهر »
من مخطوطات مكدسة في مخزن المهملات
بالبيت

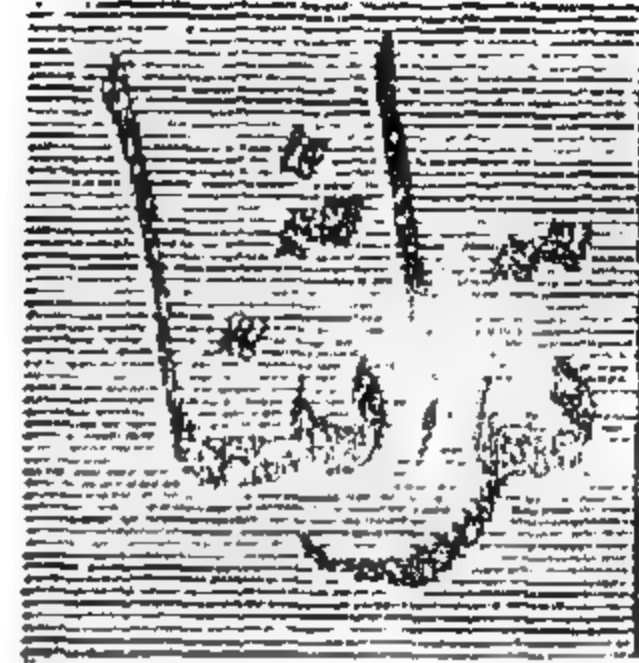
ولست استبعد ان يكون هذه المخطوطات
الثلاثة ، نسخا قديمة بقولة ياشرة من صيف عام ١٩٦٠ ، وكان موضوعه (النوادر
المصحف الامام . وهذا الاحتمال ظل المخطوطات الفراقية من القرن السادس
مجرد فرض ، الى ان يقوم احد فقهاء عشر « وقد استغرق اعداده عشر سنوات
كاملة برعاية « المجمع العلمي للاتحاد
السوفيتي » المشغول بابحاث الفضاء

ابدى الاجانب الغرباء ، وبين المصير
المجهول لمخطوط اخر ، قيل انه كذلك
النسخة الاصلية للمصحف العثماني ، وان
على صفحاته كذلك ، اتارا من يقع دماء
الخليفة المقتول ..
وكان هذا المخطوط في حوزتنا حين
العرب ، الى ما قبل قرن ونصف قرن
من الزمان ، ثم ضاع اثره واختلقت في
بصيره الظنون ، وتعددت الأقوال .
وكنا حيث نجعل ايضا خبر وجوده -
نيل مائة وخمسين عاما - في مسجد قلعة
طلب ، لو لم ننشر « المجمع العلمي
بدونق » بقالا عنه في عدد اكتوبر الماضي
لمناسبة المقال الذي نشرته مجلة سوفيتية
في شهر ابريل ، من « مصحف مبان »
الموجود في طشقند .

وفي مقال مجلة المجمع ، ان « السيد محمد
بن عمر الكيالي » ذكر في كتابه « الحلة
السنينة للرحلة الشامية » - وهو مؤلف
في سنة ١٢٢٣ هـ - انه زار اطلال قلعة
حلب ، وصلى الظهر في مسجدها م
تشرف بمشاهدة المصحف العثماني ذي
النور الساطع ، ورأى في بعض الكلمات
اثر الدم ، التي هي براهين وبيئات على
شهادة عثمان رضي الله عنه .
وفي المثال كذلك ، استفسار من بصير
ذلك المصحف : « الا يزال موجودا ؟ ام
نقل الى الاسكندرية قبل الحروب
الاولى وحفظ في متحف الاوقاف
الاسلامية ؟ ام - على ما يقال - اخذه
امبراطور المانيا يوم زار بلاد الشام
حتى قررت معاهدة سيفر اعادته الى
المسلمين ، وتسلمه الى الملك حسين -
ملك الحجاز ؟ وهل استلمه الملك حسين
او بقي لدى الالمان ؟ »

وابادر فأتقنى - حد الان - ما اتوقه
ان يوجه الى ، من انكار للاثتغال -
يبدو لاكثرنا بعيدا عن روح العصر ، ناذر
هنا ان المستشرق الروسية المعاصره
« السيدة كراتشكوفسكي : زوجة عبيد
المستشرقين الروس » قدمت حنا الى
مؤتمر المستشرقين الذي عقد في موسكو
الثلاثة ، نسخا قديمة بقولة ياشرة من صيف عام ١٩٦٠ ، وكان موضوعه (النوادر
المصحف الامام . وهذا الاحتمال ظل المخطوطات الفراقية من القرن السادس
مجرد فرض ، الى ان يقوم احد فقهاء عشر « وقد استغرق اعداده عشر سنوات
كاملة برعاية « المجمع العلمي للاتحاد
السوفيتي » المشغول بابحاث الفضاء

في اللائحة الجديدة للجامعة ، ما يغرى بالامل في
انشاء معهد عال للتراث ، يلبي حاجة الوطن العربي الى
خبراء في المخطوطات ، ويكون مركزا لبحوث تراثية
رائدة ، تضيء تاريخنا وتغذي وجودنا بقيم أصيلة ،
غير مستوردة ولا مستعارة .



آت الأوقات

منذ أحد عشر عاما ، في صيف عام ١٩٥٢ على التحديد، كنا نزرع المستشرق الدانمركي
(« اندرسين ») في بيته بمدينة كوبنهاجن ، حيث اختار أن يستقبلنا في قاعة كتبه التي
اتخذها مقاما له بعد أن أقعده الشيوخوخة عن الذهاب الى الجامعة .

يقدم الدكتور عبد السلام



د . عبد العزيز السيد

واخذني منظره المهيّب ، وهو
عاكف على مخطوط عربي يدرسه
بشفق وصبر ، ويسألنا الرأي
فيما غمض عليه من الفأظه .
رغم ما يبسود من وهن قواه
الجسدية . وشق علينا أن يجهد
شيوخوخته بمثل هذا العمل
المضني ، فسألناه في انشفاق
وتأثر :

— أما آن لك أن تستريح من
عبء المخطوطات ؟

فاجاب الشيخ من فوره :
— كلا يا ابنتي ، فما يزال
تلاميذتي في حاجة الي ، ولا
استطيع أن اتخلي عن العبء
قبل أن اطمئن الى قدرتهم على
احتماله ، لكي ينزل لوطني وجوده
العلمي في ميدان الاستشراق .

ونفذت كلمته الى اعماق تلي وفكري
ومن يومها وأنا بشغولة السال بهم التفكير
ايها سرور يزول اليه حال ما بقي بأيدينا
من تراثنا ، هديا تضيء الفلة التي لدينا
من الاسلحة المخبية .

(٢)

ويسمعون كل يوم مباحث الاستشكار
للاستفهام بهذا القديم النالي ، ويقرأون ما
يكتب وينشر ، عن رجعية من يحاولون
تجديد تفكيرنا بصناديق الدمن التي تلبس
بها أسلافنا في طور الطفولة الفكرية
والمزاجية الوجدانية ، وعن تخلف الذين
ينشرون أكفان موتى ، بفرد ربحها مناح
العصر .
وعذرهم جميعا . . .

والايام تمضي . . .
واسانذة التراث يمضون معها . . .
وكلمنا ودعنا واحدا منهم ، أحيل الى
المعاشي أو انقل الى جوار الله ، ازداد
شعوري بفداحة الخسارة ، وخوئي على
تراثنا في المستقبل القريب أو البعيد . . .
دون أن أجرؤ على الجهر بما فكرت
فيه من عملية انقاذ ، تواجه نذر الخطر
وتبني تراثنا جيلا بعد جيل ، من الخبراء
المختصين . . .
لعلني أن مثل هذه الدعوة لن تلقى
سبيما ، واقصي ما يرجى لها ، أن تترك
سدى عابرا لا يلبث أن يتوه في الضجيج
الذي يربح دنيا ، بصيصات المنزاحين
في سوق الفكر . . .

الى أن لاح شعاع أمل ليما أعلنه
استاذنا « الدكتور عبد العزيز السيد .
وزير التعليم العالي » ، من تعديل جديد
للائحة الجامعات ، سدر به قرار جمهوري
وكان الذي لفتني من هذا الجديد برجه
خاص ، ما تقرر من انشاء درجة وكيل
لكل جامعة ، يختص بشؤون الدراسات
العلما فيها . كما لفتني ما تحدث به الاستاذ
الوزير عن حق كل جامعة في الاحتفاظ بين
تحتاج اليهم من اساتذتها الذين يبلغون
سن المعاش : اسانذة غير متفرغين ، أو
« اسانذة بحوث » .

اذ ذاك رأيت أن لا مجال للياس من تأبين
مستقبل تراثنا ، مع هذا التقدير لاهية
الدراسات الجامعية العليا
والاعتراف بالليل بحقنا في أن يكون لدينا
اسبانذة بحوث ، وهو ما لم تجرؤ امانينا
على الطروح اليه .
وأدركت أن الاوان قد حان ، لانشاء

مخطوطات وبنهج تحقيق النصوص .
واكثر هؤلاء الاسانذة ، موزعون
على جامعاتنا في مصر والخرطوم
وبهروت ، حيث لانتاح لهم فرصة اعداد
جيل بخلفهم ، نظرا لتقدمهم بالقررات
التي تنص عليها لائحة الجامعة لطلاب
الليسانس ، وليس فيها على الاطلاق مجال
لمثل هذا التخصص الدقيق ، ولا هي
بطبيعتها قادرة على احتياله . . .

وكلهم بلا استثناء ، من الكهول . . .
وسوف يصلون حتيا الى سن الاحالة
الى المعاشي ، واحدا بعد الآخر . دون
أن يخلفوا من بعدهم ، من يتلقى الامانة
الصعبة ويحمل العبء الجليل الباهظ . . .

وكان المفروض ، أن يتجه عدد من طلاب
الدراسات الادبية واللغوية العليا ، الى
ميدان تحقيق النصوص المخطوطة ، في
رسائلهم التي يعدونها لدرجتي الماجستير
والدكتوراه ، حيث ينفقون اصول منهج
التحقيق ، وبطبيعته علما تحت اشراف
الاسانذة المختصين ، ولكن لوحظ بالنسبة
الدقيق ، أن هؤلاء الطلاب يصدون عن
هذا الميدان ، ويؤثرون التخصص في الفروع
الآخري للدراسات الادبية . وهي ظاهرة
تشبه لنا اشد القلق ، لما يمكن أن تؤدي اليه
من فراغ خطير ، لاحت بوادره منذ سنين . . .
وقد حاولت أن استبين موقف الطلاب
من هذا التخصص ، عن طريق مناقشة
نحو مائتي طالب وطالبة ، مقبدين
بالدراسات العليا في اقسام اللغة العربية
بالجامعات ، فافصح لي أن الكثرة
الغالبية منهم ، اجهوا الى موضوعات
في تاريخ الادب أو النقد ، ولما سألتهم
عن زهدهم في تحقيق تراثنا : استخلصت
من أجوبتهم . . . أن ذلك يرجع الى اسباب
ثلاثة :

اولها : اشغافتهم من صعوبة هذا
التخصص ، ومن طول الزمن الذي
يستغرقه تحقيق مخطوط ودرسه .
الثاني : جهلهم بقيمة هذا العمل
وجدواه ، ومن جهل شيئا ماداء
الثالث : ادراكهم لصيق فرص التوظيف
أمام الذين يتخصصون في علم المخطوطات ،
وهم يشهدون مأساة ضياع تراثنا فينا ،

(٣)

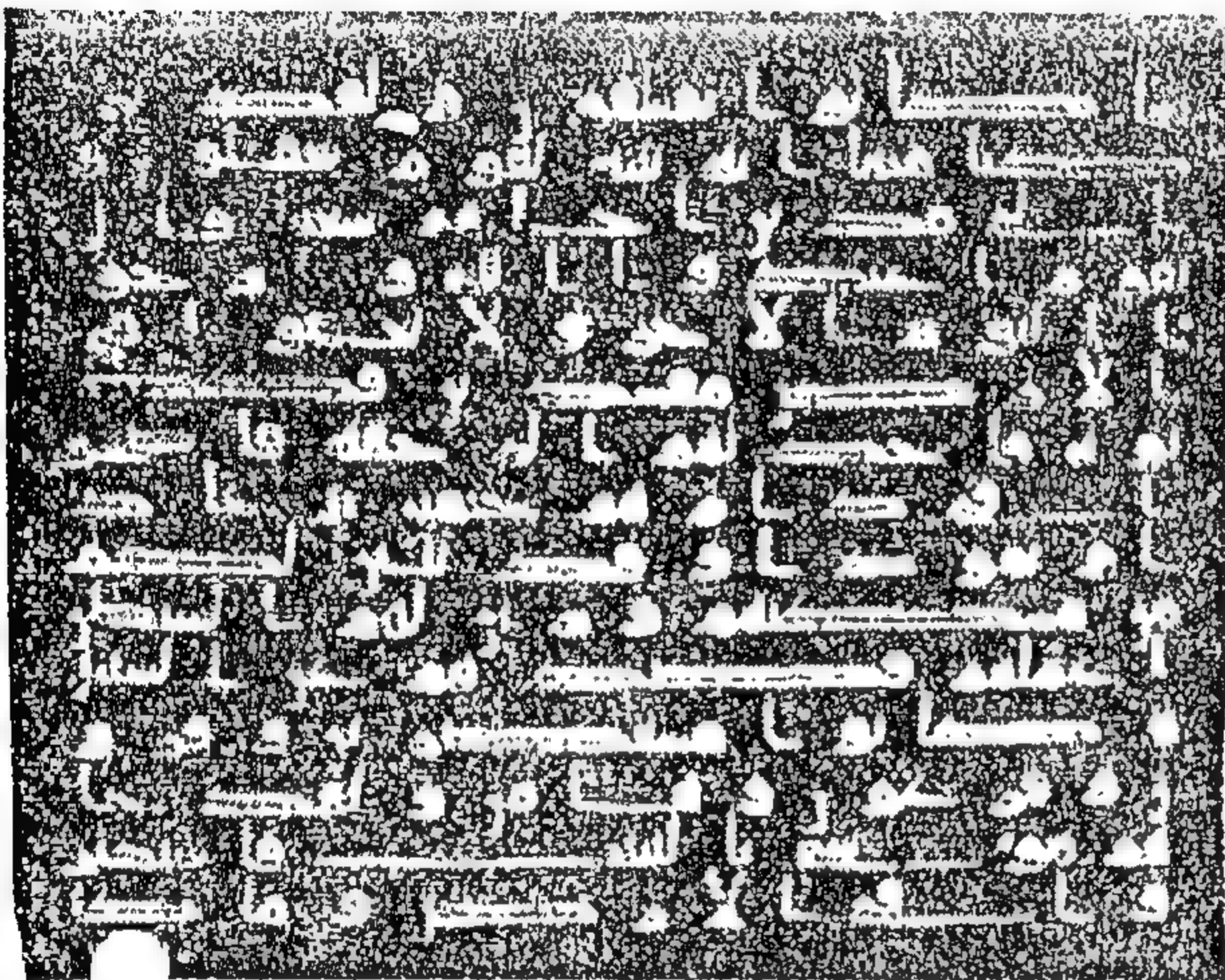
١. معهد عال للتراث « - على غرار معهد الآثار - وذلك لما كنا نعدده أملا هزير المنال وفي هذا المعهد ، يتاح لنا الانفتاح بخبرة «إسنادة التراث إلى أقصى مدى مستطاع» ، ونعبيء كل طاقاتهم ، لاعداد هوج جديد من المتخصصين . وسوف يقتضى الامر ، ان جميع هؤلاء الاساتذة من شتى جامعاتنا ، ولن يشق علينا ان نجد من يشغل اماكنهم في المرحلة الجامعية الاولى ، من زملائهم المتخصصين في فروع الدراسات الادبية ، . قد يقتضى الامر كذلك ، ان نحتفظ بين يلفون من المعاش بن علماء المخطوطات يستغلوا في المعهد اساتذة بحوث تراثية والمعهد المقترح ، لا يمكن ان يلحق بالمرحلة الجامعية الاولى ، فسمما من اقسام كليات الآداب أو دار العلوم أو كلية الدراسات العربية بالازهر ، لأن الدراسة فيه نوع من التخصص العالي الدقيق الذي لا تسمح به طبيعة المرحلة الاولى ، بعبوميتها ومستوى طلابها . وانما يبدأ التخصص لأن انما دراستهم الجامعية العامة لعلوم العربية والاسلام ، ومن تخرجوا كذلك في اقسام التاريخ والفلسفة والمكتبات . وقد يكون من المجدى ، في الفترة الاولى من انشاء المعهد ، ان يعتبر المتحوتون ، طلاب بعثات داخلية على ان يوند المتأزرون منهم - بعد التخرج - في بعثات علمية الى معاهد الاستشراق بأوروبا ، واخص بالذكر منها «اللين» ببولندا ، و «النيجراد» و «لثند» بالاتحاد السوفيتي ، «لوروما» و «صفلية» بإيطاليا ، يعودون بعدما ، أعضاء هيئة التدريس في معهد التراث .

٢. أما بقية المتخرجين ، فيعينون في وظائف امناء المخطوطات بدار الكتب وفروعها وفي مكاتب الأزهر والجامعات التي تلك مصيدا من المخطوطات ، وخزائن الكتب الخطية بالمعاهد الدينية والمساجد النابعة -وزارة الاوقاف، وكذلك الوظائف الخمسة بالتراث في الهيئات والمؤسسات .

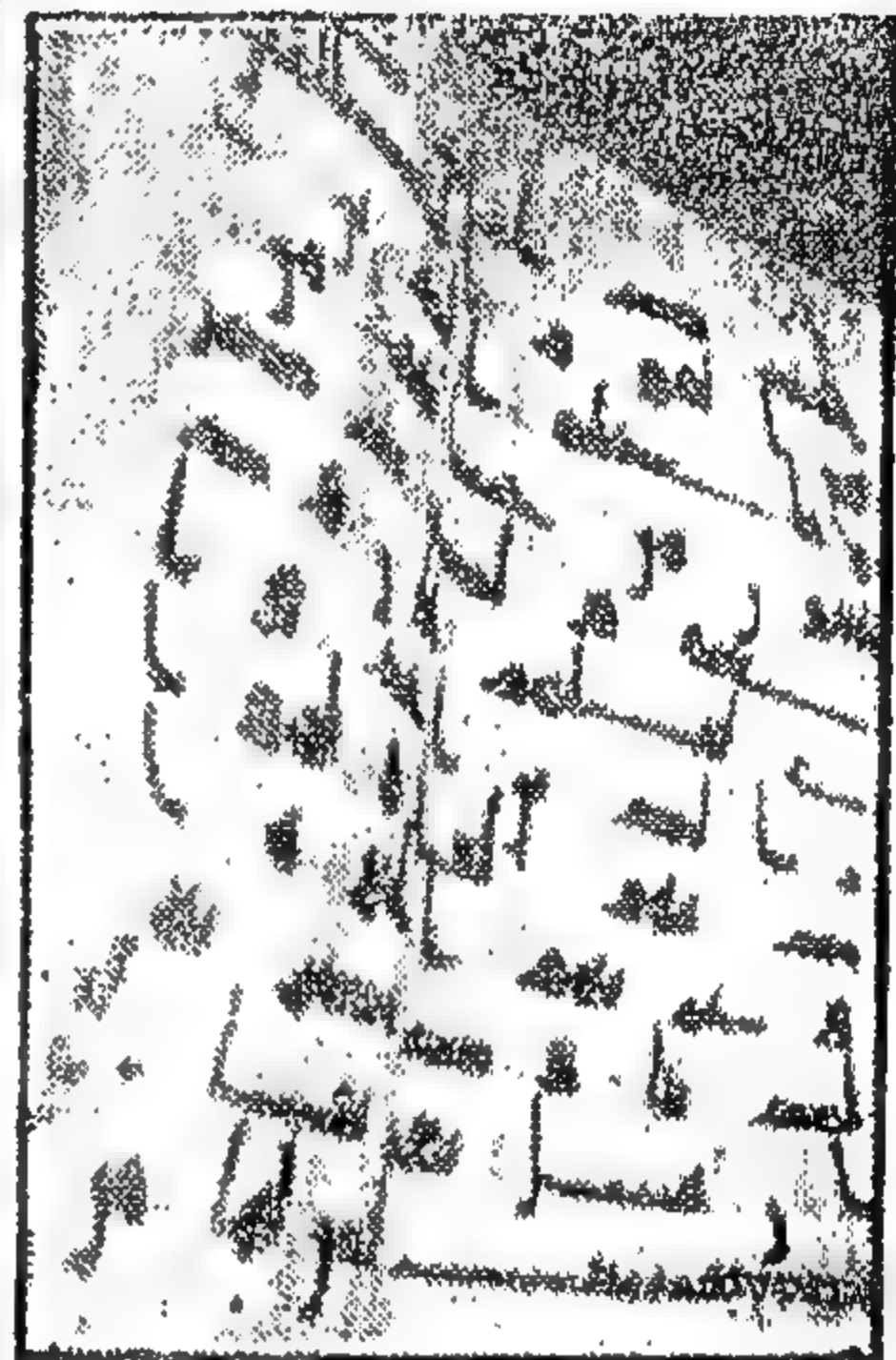
٣. ولا ارتاب في ان هذه الدعوة لن تضيق لدى استاذنا . لدكتور عبد العزيز السيد» . وأنه ليرجو في أن يدرسها مع المجلس الاعلى للجامعات ، ليكون معهد التراث أول ثمرة للأنشطة الجديدة التي توجه عنايتها خاصة ، الى الدراسات الجامعية العليا ، ونقدر حاجتنا الى «إسنادة بحوث» يخصصون جانبنا العملية ولفتحون أهمها ألقا رجة .

٤. ولقد يبدو من المفارقة ، ان ادعو الى انشاء معهد للتراث ، مع صق ادراكي خيبة هذا التراث لنا ، لولا . اننى ارفض ان انخلى عن الأهل في تصحيح وقسمه القمص ، الذى لا يمكن ان تحتله مسئولية وجودنا . ومهما تبلغ حدة الازمة في الوضع الحاضر ، فإن حتمية التطور ستتكلل بحلها ، بما توصل من وعينا لقيمة تراثنا . عندئذ بفدو هذا المعهد مناظ الرجاء للوطن العربى كله ، لا في تزويده بخبراء التراث فحسب ، ولكن باعتباره كذلك ، مركزا عربيا عاليا لبحوث تراثية رائدة : تكشف عن جوهر حقيقتنا ونضى تاريخنا ، وتغذى وجودنا بمدد سخى من قيم أصيلة ، غير مستوردة ولا مستمارة .

صورة... ومفرد



ورقة مصورة من مصحف الفيوان



ورقة مصورة من مصحف طشقند

فوجدته مختلفاً عن الصورة التي
أعطاها معهد التراث .

فالتقسيم من الأقسام الأدبية للمرحلة
الجامعية الأولى . وبعد الدراسة فيه
أربع سنوات ، مقبلة إلى فصول ثمانية
لكل فصل منها أربع وعشرون ساعة في
الأسبوع . والمقررات موزعة بطبيعة
الحال ، على اللغات الثلاث : العربية
والأوربية الأولى ولغة أجنبية ، تضم
البها لغة رابعة - يونانية أو لاتينية -
في السنتين الثالثة والرابعة . ثم
مقررات : المجتمع العرس ، والتاريخ
والجغرافيا ، والإجراءات المكتبية ،
والفهرسة والارشيف والمراجع . .

في رأي عدد من الاساتذة
الزملاء ، ان «تقسيم الوثائق
والمكتبات» في كلية اداب
القاهرة ، يمكن ان يغني عن
المعهد العالي للتراث ، الذي
اقترحت انشاءه في مقبالي
لنشور بآهرام الجامعة الماضي .
والواقع انني ما كنت عن المعهد
المقترح ، الا بعد ان درست الخطة
الدراسية لهذا القسم ، في اللائحة
التنفيذية لقانون الجامعات ،

الكتابة في الساطع

عامين ، يدرسون في أولها تاريخ الكتابة العربية ، وتاريخ حركة التدوين عند العرب ، وما لابسها من ظروف دينية وسياسية وشعبية ، وقواعد المنهج النقلي : القديم والحديث ، كما يدرسون فهارس المكتبة العربية للقرن العشر الأول بعد الهجرة ، وقطب الطبقات ومعاجم اعلام الأشخاص والبلدان . ثم « علم الاستشراق » : تاريخه وأغراضه ، ومراحل تطوره ، ومبادئ نشاطه ، ومراكزه وأعلامه ، وكيفية مجلته ، وما نشر من ذخائر التراث العربي ويتلقون بعد هذا علم توثيق المخطوطات وهو علم بالغ الدقة والصعوبة ، يضع القواعد المنهجية للتحقق من أصالة المخطوط : بفحص ورقه وخطه ومداه ، والتوقيعات التي قد توجد عليه من قراءوا المخطوط أو تملكوها أو وقفوها . ولا يغنى عن هذا المحصن ، أن يحيل المخطوط توقيع مؤلفه أو تاريخ تأليفه ، إذ من المحتمل أن يكون كل هذا منقولاً بنسخ متأخر أو مزوراً بنقله من تلقاء نفسه . ولتقريب الفكرة ، أقول أن صورة من رسم رافيل أو مايكل أنجلو أو رامبرانت لا يمكن أن يكفى فيها بتوقيع للرسم قد يكون مزيفاً بهارة وأنا يفحص الخبراء الخط والألوان والتمشي وأسلوب الرسم قبل أن يطمئنون إلى صحة نسبه . وهذا التوثيق ترهين قيمة اللوحة ، وتفترق الأصيلة عن المقلدة . والامر كذلك بالنسبة إلى المخطوط لا قيمة له بغير التوثيق الذي يجب أن يسبق كل عمل في مقارنة كل النسخ الخطية للكتاب وترتيبها حسب أصالتها وبستواها من الأمانة وال ضبط ، ثم الرجوع بنها

عامين ، يدرسون في أولها تاريخ الكتابة العربية ، وتاريخ حركة التدوين عند العرب ، وما لابسها من ظروف دينية وسياسية وشعبية ، وقواعد المنهج النقلي : القديم والحديث ، كما يدرسون فهارس المكتبة العربية للقرن العشر الأول بعد الهجرة ، وقطب الطبقات ومعاجم اعلام الأشخاص والبلدان . ثم « علم الاستشراق » : تاريخه وأغراضه ، ومراحل تطوره ، ومبادئ نشاطه ، ومراكزه وأعلامه ، وكيفية مجلته ، وما نشر من ذخائر التراث العربي ويتلقون بعد هذا علم توثيق المخطوطات وهو علم بالغ الدقة والصعوبة ، يضع القواعد المنهجية للتحقق من أصالة المخطوط : بفحص ورقه وخطه ومداه ، والتوقيعات التي قد توجد عليه من قراءوا المخطوط أو تملكوها أو وقفوها . ولا يغنى عن هذا المحصن ، أن يحيل المخطوط توقيع مؤلفه أو تاريخ تأليفه ، إذ من المحتمل أن يكون كل هذا منقولاً بنسخ متأخر أو مزوراً بنقله من تلقاء نفسه . ولتقريب الفكرة ، أقول أن صورة من رسم رافيل أو مايكل أنجلو أو رامبرانت لا يمكن أن يكفى فيها بتوقيع للرسم قد يكون مزيفاً بهارة وأنا يفحص الخبراء الخط والألوان والتمشي وأسلوب الرسم قبل أن يطمئنون إلى صحة نسبه . وهذا التوثيق ترهين قيمة اللوحة ، وتفترق الأصيلة عن المقلدة . والامر كذلك بالنسبة إلى المخطوط لا قيمة له بغير التوثيق الذي يجب أن يسبق كل عمل في مقارنة كل النسخ الخطية للكتاب وترتيبها حسب أصالتها وبستواها من الأمانة وال ضبط ، ثم الرجوع بنها

وفي اللوحة : ساعتان في الأسبوع لكل من الوثائق والكتابة العربية ، في فصل دراسي واحد للسنتين الثانية والثالثة . وفيها كذلك ساعة واحدة للنفوس ، وساعتان للمخطوط العربي ، في فصل دراسي واحد ، من المصنوع الثمانية . والدلالة الإحصائية لهذه الأرقام تسجل أن نسبة الساعات المقررة لمواد منسلة بالتراث ، تبلغ نحو (٢٠ : ١) من مجموع الساعات المقررة على طلاب القسم ، فكيف نتصور أننا بهذه النسبة الضئيلة ، يمكن أن نعد الطلاب للعمل الدقيق الصعب ، في ميدان التراث ؟ وأدرك حق الإدراك ، أن الدراسة في هذا القسم لن تجهد على ونسبها الحالي ، بل هي أخذة حتماً بأسباب التطور . ولعلها بدأت فعلاً تمدها . لكنها ستظل أبداً ، في النطاق المحدود بمستوى طلابها الذين اتقوا الدراسة الثانوية ، كما ستظل ذلك مفيدة بطبيعة المرحلة الجامعية الأولى ، التي لا يمكن أن تنسج لتخصص دقيق في علم التراث ، يعتمد أصالة على رصيد من معرفة اللغات ومن الدراسات المنهجية لعلوم العربية والاسلام والفلسفة والتاريخ . وتقسيم الوثائق والمكتبات ، يزود طلابه بالخبرة المكتبية ، من إجراءات ، وتصنيف ونهرسة وأرشيف ، ومراجع . ويديروهم على هذه الشؤون المكتبية ، تدريباً عملياً في دور الكتب ، والمكتبات الجامعية والمدارس ودور الطباعة والنشر والتوزيع حيث الميدان الواسع الذي يعملون فيه بعد تخرجهم ، موظفين فنيين في المكتبات وفروع الأرشيف بدور الصحافة والنشر . أما التخصص في علم التراث ، فيجعله معهد جامعي عال ، يلتحق به من أسوا الدراسة في هذا القسم وفي غيره من أقسام الدراسات العربية والإسلامية . والتاريخ والفلسفة ، بالأزهر وجامعات الوطن العربي . حيث يقضون في المعهد

علمنا بتراثنا الاصيل .

وعلى ذكر المسجد المقترح ، أقدم مع هذا المقال صورتين لمخطوطات قرآنية ، تفضل بارسالها الى مشكوراً ، السيد «الاستاذ محمد ابراهيم» مدير مدرسة تحسين المخطوط ، واستاذ الكتابة العربية بكلية الفنون الجميلة في الاسكندرية «تعبيراً على المقال الذي نشرته هنا منذ اسبوعين من «مصحف طشفند» الذي يقال عنه انه المخطوط الاسلي لمصحف عثمان الامام .

والصورة الاولى ، لورقة من هذا المصحف ، قام بتصويرها خليفة ، السيد مدير الفنون الجميلة بتونس ، في رحلة له الى أوزبكستان .

أما الاخرى ، لمصورها الاستاذ محمد ابراهيم ، من مصحف في مكتبة مسجد عقبة بن نافع بالقيروان . وهو مكتوب بالذهب على رقي أزرق نادر .

ونظرة سريعة الى الصورتين ، تكفي لاعطاء فكرة عن العصر الفادح الذي يجب ان تحتله من اجل تراثنا ، حيث ان

مجرد تلك خطهما ، يحتاج الى خبرة بالكتابة العربية القديمة ، وإلى طاقته من المسبر والاحبال ، لا يوفر لغير المتخصصين الذين يرضيهم ان يهبوا حياتهم العلمية لخدمة هذا التراث .

والابر فيهما مع ذلك ، اهن بكثير مما في مخطوطات اخرى من اصول التراث العربي ، التي دونت في القرون الاربعة الاولى للهجرة ، حيث لا نجد بين ايدينا اصلاً موثقاً تراجع عليه ، كما هو الشأن في المخطوطات القرآنية التي يستعين على ثرائها بالمقابلة على المصحف .

ومصورة القيروان ، فعملينا نموذجاً

للخط العرس في القرن الثاني الهجري . ويرى «الاستاذ محمد ابراهيم» ثباتاً بينها وبين مخطوط طشفند . على حين يبدو لي ان هذا المخطوط ، انشبه بالمصحف الاثري في منحف دار الكتب بالقاهرة . واكاد اطمئن ، الى ان مخطوط طشفند ، يرفى تاريخه الى اخريات القرن الاول ، اذ يشبه خطه خط برديات عربية صحت نسبها الى ذلك العهد . وإلى مثل هذا اطمأن عدد من علماء المخطوطات الروسيين انفسهم ، ومنهم «الاستاذ خاليدوف» مدير معهد الدراسات الشرقية في لينجران

وبرجو الاستاذ محمد ابراهيم الانفا موقفاً سلبياً من هذه المصاحف الاثرية التي تتنازع دعوى الامالة للمصحف الامام ، كمثل موثقنا السلي مندما حضر «المستشرق اتيان بارثلي» الى مصر عام ١٨٥٠ ، وادعى انه اكتشف المخطوط الاصيل للكتاب الذي بعث به النبي - صلى الله عليه وسلم - الى الخوفاق عظيم القبط ، يدعو فيه ، واهل مصر ، الى الاسلام . فلم تحرك دعوى «بارثلي» ساكننا هنا ، ولا اهتم بتحقيقها أحد من علماء الاسلام وثقهاء النصوص .

والذي اراد ، ان قضية «مصحف عثمان» متصلة بالقضية الكبرى لتراثنا . ومن اجلها دعوت وادعو الى انشاء معهد جامعي عال لهذا التراث . ففيه وحده نستطيع ان نمد من يستقيمون احتمال العبء الجليل ، وبه وحده ينام الامل الكبير في ان يكون للوطن العربي وجوده في الميدان الذي حرصت الدول الغربية على ان تحقق وجودها فيه بمليارات الاسفرائ .

وارجو ان اكون قد اوضحت لكم من عن المعهد ، بما يحلو شبهة استفناننا عنه بقسم الوثائق والمكتبات .

تراثنا الحكاية طالت.. فمنى تنترى؟!!



عندنا قانون يحمي الآثار ، الا أن
تسكون مكتوبة على ورق ، فكان
حجرية « حجر رشيد » مثلا ، هي
مناط أثرية ، بحيث لو كنت نقوشه
مخطوطة على ورق ، لأهدر ذلك قيمته
الأثرية ، وحرمة حماية القانون !

بقلم

الكتوب بنت السالم

التاريخ : ٢٥ / ١٠ / ١٩٦٣

القيمة التاريخية للأثار الأدبية

اكتب هذا المقال ، وقد فرغت من قراءة ديوان الشاعر احمد محرم . وكنت ارجو ان اشارك في مهرجانه بدراسه لوجودنا القومي في شعره ، ثم حالت ظروف قاهرة دون هذه المشاركة وان تكن قراءتي لديوانه ، هي التي لفتني الى ان الوقت قد حان ، لنرضي نفسنا ادبي تاريخنا .
وما اكبه اليوم ، ليس لامقدمة لهذه المحاولة التي ارجو ان اتابعها ، بقدر ما تتساح لي الفرصة ونسويح الظروف ..



محمد سعيد شمائل



يوسف التونسي



احمد محرم

حسام الكسوة بنت السامح

مبور اتصل فيها المؤرخون عز الادب ، ولم يمدوا يلقون اليه بالا ، منتثرين في ذلك بفهم قاصر للتخصص التاريخي . ولم يكن الامر كذلك منذ مؤرخي الاسلام الاقدمين ، الذين اعتدوا على النصوص الادبية اعتيادا جوهريا ، وعدوها مادة تاريخية اصيلة لا غني عنها . نحن نقرا مثلا ، تاريخ «السيرة النبوية لابن هشام» او «تاريخ الامم والملوك للطبري» فنرى للنصوص الادبية دورها انهم في تفسير الاحداث وفيهم العسر ، بحيث لا يكاد يمر خبر تاريخي ، دون ان تتشدد له وثائقه ومستنداته ، من نصوص الادب . وتقول لنا ، ايام الدراسة : ان اولئك المؤرخين اعوزهم التخصص ، فخلطوا بين الادب والتاريخ ..

وسدقنا هذا الذي قيل ..

والقضية هنا ، متصلة اوثق اتصال بالدعوة الى اعادة كتابة تاريخنا ، وهي دعوة لم تبق في حاجة الى دفاع او اقناع بعد ان تشغل بها «الميثاق» ونظما من مجال الدعوة الى مجال العمل الملزم .. انها الذي نحتاج اليه ، هو اللغة التي دفقة المفسر وصعوبته ، والنسب الى ما يميزنا فيه من وسائل قد تغيب عن بال الذين يتولون اعادة كتابة تاريخنا



واكبر الخطأ في رأيي ، ان نتصور امكان تنفيذ المشروع بمزمل من التراث الادبي للامة ، او ان نكل المهمة الصعبة الى علماء التاريخ السياسي وحدهم ، وفي حسابنا ان للتاريخ الادبي دائرته المنفصلة بتولاهما علماء الادب المتخصصون . وهذا الخطأ ، هو في الواقع من بركات

(٢)

ومن يسرى
لعل سائلين
له ان يسألني
كذلك عن «المجلس
الاعلى للدراسة
الفنون والآداب» بعد
هذا الذي اعلنه عن
مشروعه النسخ لخطوط الفتح العربي
وفيه عن تراثنا ما فيه
وعلى هذا النحو لن تنتهي من العصة
والحياة من حولنا فلنا في دوامة الشواغل
والمشاغل ، ولا تسرح لنا ان ندفح حدث
نحن نقول ونعد ، خضوعا لنداء : «بحالك
سر !»

المسألة في مسألة ، مسألة تخطيط
وتنسيق ، يقع الحدود والفاصل بين
الهيئات المختلفة للتراث ، ويحدد لكل
منها مجال عملها :

فوزارة الثقافة ، مسئلة عن حماية
تراثنا ، بتعديل « قانون حماية الآثار »
لكي يسرى على المخطوطات كما يسرى على
كل اثر تاريخي .

وقد صدر القانون لأول مرة عام ١٩١٢
وعُدل بقانون صدر سنة ١٩١٨ . ثم
الغايها قانون جديد صدر عام ١٩٥١ .
أي ان القوانين الثلاثة صدرت قبل الثورة
وقد فاتها جميعا أن تحمي الكتاب المخطوط
الا ان يكون مكتوبا على رق أو هجانس
أو بردي ، مهددة بذلك ما هو مكتوب على
ورق ، وكأنه ليس اثرا تاريخيا . ورتبه
خطه وجلدته ، فضلا عن نصه المزيج
لحياتنا العقلية والادبية والروحية
وكان « حجر رشيد » لم يقدم لنا بنصه
مفتاح التاريخ المصري القديم ، ونحن
مع ذلك نعتبر أن مناط اثرينه ، هو
مادته الحجرية ، بحيث لو كان النص
المنقوش عليه مخطوطا على ورق ، لا يدر
ذلك كل قيمة اثرية له ، وحرمة حماية
القانون !

وحدث عام ١٩٦١ - فيها أذكر - ان
عرضت السيدة اجنية كاسا اثريا على
وزارة المعارف ، وولت لنا فاجحنا
له ، فصاحبه الوزير « الاسفاذ على أنوب :

من أجل تاريخنا الذي قال عنه
« الميثاق » ان أجيالا منا قرأته
على غير حقيقته ..

ومن أجل وجودنا الذي لا يمكن
ان يصح ، ما لم نستكمل وعينا
لحقيقتنا واكتشافنا لذاتنا ، ونميز
خطابنا الماضيات على درب الزمن
من أجل هذا كله ، أتابع
الحديث عن تراثنا الذي أضياء
للغرب المستعمر طريقه اليانا ،
بما كشف لنا من سر شخصيتنا
ونوع عقليتنا ومزاجنا ، ومواضع
القوة والضعف فيها .

والحديث اليوم يتصل بمعهد التراث
الذي أوضحت فكرتي عنه في المقال
الماضي ، بما ظننته كافيا لبيان حاجتنا
اليه ، توبها وعلميا ، وجلاء الشبهة في
امكان استغلالنا عنه بتقسيم الوثائق
والمكتبات ..

لكن الرسائل التي طلبتها في بريد
الاسبوع ، أكدت لي ان الموقف لا يزال
في حاجة الى جديد يقال ..
فهناك من يسألون : هل نسبت ان
لدينا « معهد المخطوطات » التابع لجامعة
الدول العربية ؟

وكان في استطاعتي ان افساه ، وقد
لبثت على اتصال به طوال السنوات
الاربع الماضية ، بحكم اشتغالي بتحقيق
المعجم اللغوي الكبير « المحكم لابن سيده »
الذي تنشره جامعة الدول العربية !

والحكاية تطول ، ان انا مضيت افارن
بين معهد التراث كما ينبغي ان يكون ،
وبين معهد المخطوطات في وضعه الحالي
مكتبا ديوانيا تابعا لادارة الثقافة ، يشتغل
فيه بضعة موظفين يرأسهم مدير ترك
منصبه منذ سنوات ، ولم يشغل مكانه
حتى اليوم !

ولعل لو رويت حكاية بمعهد المخطوطات
بكل تفصيلاتها المثيرة - بما يجلو
شبهة استغلالنا به عن المعبد العالي
للتراث ، فلت استعد ان افاجئكم بذلك
بين سائلني عما تفعل دار الكتب وإدارة
التراث بوزارة الثقافة .

(٣)

وحتى اليوم لا تزال حيث كنا ..
حتى اليوم ، لا يزال من حق الأفراد
أن يتصرفوا بملكوتهم فيها لديهم من
مخطوطات : بيما وشراء وتنازلا، وبإدارة،
دون أى تحرج . رادارة الجبارك ، تقوم
وتقدم اذا ضبطت في بناع أحد المسافرين
الى الخارج ، قطعة أثرية من خزف او
حجارة او قبايش ، ولا تبدي أى اكتراث
بعشرات من المخطوطات يحملها المسافرون
فهل نطمح في أن يبادر وزير الثقافة
« الدكتور محمد عبد القادر حاتم » بحسم
هذا الموقف الشاذ ، حماية لتراثنا ،
وتقديرا لحرمة الأثرية ؟



د . حاتم

هندئذ تتولى « دار الكتب » بمحتيا في
تسجيل ما يبصر من مخطوطات بمبشرة ،
ليست لدينا فكرة كاملة او تقريبية عنها .
ثم تبادر بترميم البالي منها ، وتصويرها
كلها تامينا لها من عبث البلى واحتيال
الضياع . ولقد حاولت في هذا الموسم ،
فحص مخطوط من القرن الرابع في خزانة
أحد المعاهد الدينية ، ثم أمسكت من
المحاولة اثباتا على المخطوط الذي لم
يعد يحتل مجرد اللبس الرفيق !

ودار الكتب مسئولة كذلك عن مهمة
حصر ذخائر التراث في فهارس علمية دقيقة
تتبع كل ما تعرف الدنيا من هذه الذخائر ،
وتستكمل بها ما يميزنا من سجل واف
للمخطوطات العربية في الشرق والغرب ..
والمهمة شاقة وصعبة : يكفى لبنان
بشئونها أن نذكر أننا لا نعرف حتى اليوم ،
حقيقة ما نملك هنا من بقية
تراثنا ، ولا ندري تبا ، ماذا في خزائن
تركيا او الحجاز واليمن ، وإن فهارس
المخطوطات العربية في « مكتبة برلين »
وحدها كانت تدل على عشرة مجلدات ضخمة ،
الى ما قبل الحرب العالمية الثانية ، وأن
أحد الاثرياء الامريكيين من طلاب الجامعة
« بونستون » القدامى أهدى الى جامعته
مكتبة فيها ستة آلاف مخطوط عربي ،
استراها من ورثة أحد مستشرقى الانجليز
بل يكفى أن نقرأ ما سجله المستشرق
الالماني « كارل بروكلمان » من مخطوطات
عربية في كتابه المشهور « تاريخ الادب
العربي » لتدرك خطر المهمة الصعبة المنوطة
بدار الكتب ، في حصر التراث العربي

رحمه الله» بمتنقى قانون حماية الآثار
لأن الكتاب كان من البردي !
ومن يومها ونحن ندعو الى تعديل
قانون ١٩٥١ بما يسد هذه الثغرة الخطيرة
ليه . وقد أثبت هذه القضية في عدد
من المؤتمرات الثقافية واللجان الرسمية ،
مرة بعد مرة ، فكان كل الذى وصلنا اليه
« مشروعا بقانون بشأن حماية
المخطوطات » أعدته دار الكتب عام ١٩٦١
وتنص المادة الثانية منه على إلزام الأفراد
والهيئات ، بأن يقدموا ما في حوزتهم من
مخطوطات الى دار الكتب لكي تقوم
بتسجيلها ، وتنص المادة الثالثة على
بطلان كل تصرف يرد على مخطوط ما ،
لم يسجل في دار الكتب . كما تنص
المادة الخامسة على حظر اخراج مخطوط
من الجمهورية العربية المتحدة بغير ترخيص
رسمى . ونصت المادة الثامنة على (مماثلة)
من يخالف أحكام هذا القانون ، بالحبس
مدة لا تزيد عن شهر ، وبغرامة لا تزيد عن
خمسة وعشرين جنيها ، او باحدى
العقوبتين «

ثم لما عرض المشروع على المجلس
الاعلى لدار الكتب ، بدأ لأحد السادة
الاعضاء أن يستأنس فيه بقانون حماية
الآثار ، فانضح أن هذا القانون يفي بكل
اغراض المشروع ، وأن الامر لا يستدعي
أكثر من تعديل المادة الخامسة عشرة منه
لتشمل الحماية القانونية كل المخطوطات
ما كان منها على ورق او قماش أو بردي،
وما كان على ورق ..

بكل ما ينشر من ذخائر العربية على نطاق واسع، وبأدق ما يكون من التتبع والاستقصاء لتكون الدليل لمن يفكرون في نشر شيء من تراثنا، فلا نناجا بمثل (المشروع لتخطيط الفكر العربي) يعلن من نشر مخطوطات سبق نشرها بحققة على أدق منهج، بسعرة خبراء ثقات، ممن اخارهم واضعو المشروع لتحقيق ما في قائمته من ذخائر اتوها تحقيقها ونشرها !

كما أرى معهد المخطوطات مسئولاً عن اعداد مكتبة جامعة لكل ما ينشر من ذخائر العربية في الشرق والغرب، على ان تفتح ابوابها لاستقبال الدارسين والباحثين

من الصباح الى المساء ..

وتبقى مهمة جامعائنا من حيث هي جهة الاختصاص المسؤولة عن اعداد كسل العاملين في ميدان التراث، مثلما تمد اياديهم حيائنا العلمية والنظرية، حاجتها من ذوي الخبرة والتخصص، لانتازمها في ذلك هيئة أخرى، بحكم طبيعة عمل الجامعة وسبب وجودها ..

ولن يتاح لها النهوض بهذه المهمة، الا عن طريق «معهد عال للتراث» يزود الوطن العربي بالخبراء الذين يؤمن بهم مستقبل قرائه ..

المسألة اذن مسألة تخطيط بحسب اختصاص كل هيئة من الهيئات المشغلة بالتراث، وينسق جهودها بما يحميها من حيث الفوضى وعلم الارتجال ..

او هي قبل كل شيء مسألة ايمان بقيمة هذا التراث، وادراك حاجتنا اليه، وتقدير لجدوى عبئه الباهظ الذي يطالبنا وجودنا بحمله، كما نحمل آثارنا التاريخية، دون ان نسمع قاتلاً يقول: لقد احنت الموميات والنماثيل والصخور ظهورنا ويغشى ان نعرق انطلاقي حركتنا، او تلهينا بامجاد ماضى غابر، عن بناء حاضر وصنع مستقبل.

ورصدته في فهارس علمية دقيقة، يجب ان يرجع اليها من يشتغلون بتحقيق المخطوطات، لكن نضع حدا لحفة العبث بفرائنا، حيث تصدر عن مؤسسة رسمية كتب، منه لائتمى حرمة المنهج الذي صدر به قرار للمجلس الاعلى لدار الكتب عام ١٩٥٢. ونس نيه على انه «لا يجوز ان يصدر من الدولة كتاب دون ان تستقصى اصوله بقدر المستطاع وان يحقق على أدق قواعد التحقيق، كما لا يجوز بحال من الاحوال، ان تسمى النصوص القديمة بحذف او نقص او .. والخير الا ينشر الكتاب، فاما نشره مشوها او مبتورا فالحق منظم ! وليس ينبغي ان ينهض الافراد من المستشرقين وغيرهم، ينشر كتب التراث على أدق المناهج، وتكسر الدولة عن ذلك»

ابا «معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية» فهو مسئول قبل كل شيء، عن تنسيق العمل بين دول الوطن العربي لخدمة تراثها المشترك، طبقا لخطا واضحة مرسومة تحبل فيها كل دولة عربية نصيبها من العبء الجليل، على قدر ما تسمح به طاقتها.

هنا يبدو لي ان اسأل السيد «الاستاذ محمد عبد الخالق حسونة، الامين العام للجامعة» عن مصر قرار المجلس الجامعة في دورته الثالثة والعشرين سنة ١٩٥٥، وهذا نصه :

«١ - توصية الحكومات العربية بتسجيل ما في بلادها من المخطوطات التي في دور الكتب العامة والخاصة، تسجيلاً علمياً دقيقاً شاملاً.

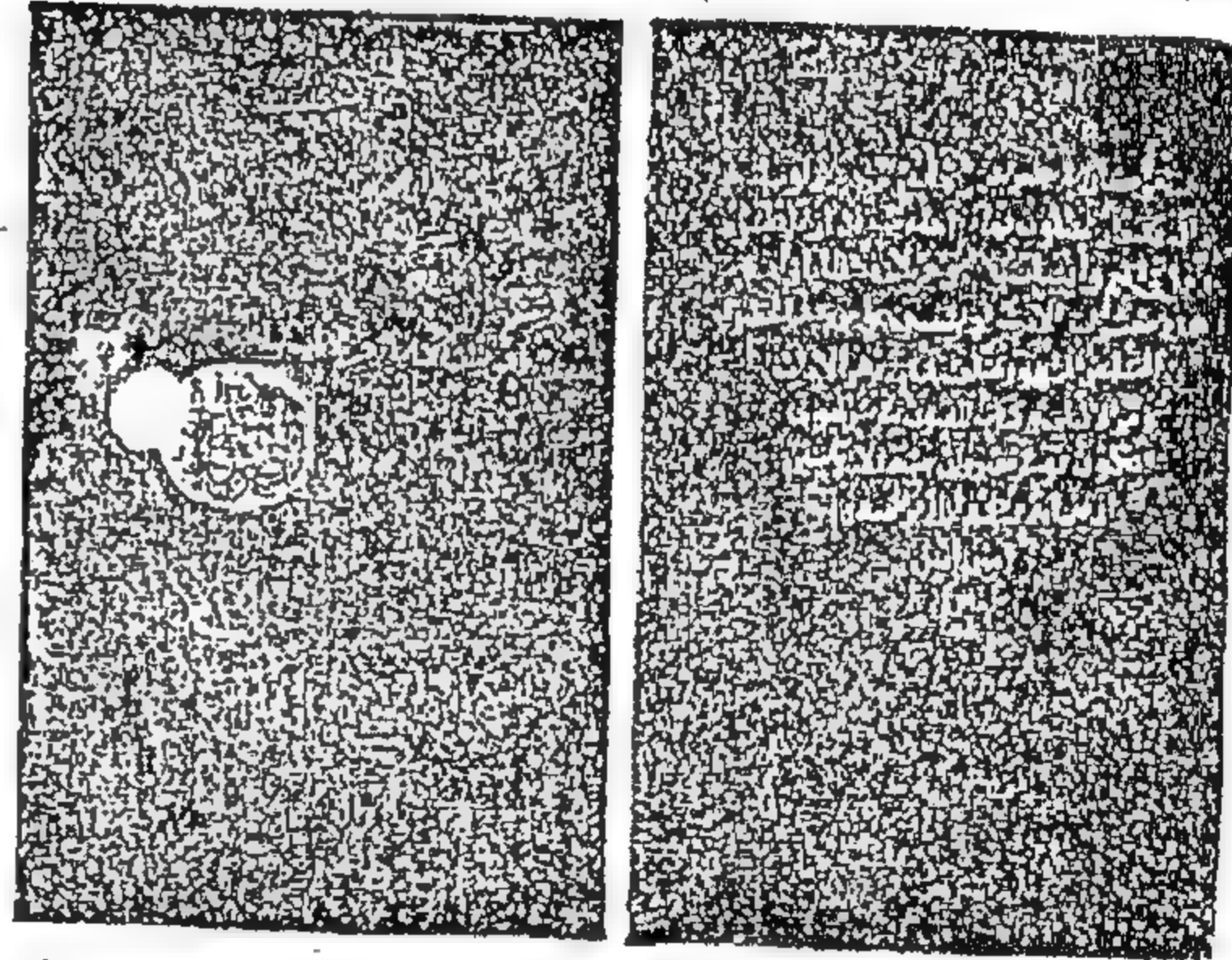
«٢ - ان تصور الجامعة العربية، جميع المخطوطات فسر الصالحة، في المكتبات فسر الفهرسة.

«٣ - العمل على وضع فهرس شامل لجميع المصادر والمراجع المخطوطة للثقافة العربية، تيسيراً على الباحثين والدارسين» والى ان نعرف هذا المسير، أقول ان معهد المخطوطات مسئول كذلك عن ابدال مجلته بنشرة دورية منظمة للتعريف

التاريخ : ٣ / ١ / ١٩٦٤

كتاب من تونس: أبو الحسن الحصري الفتيرواني تقديم الدكتور بنت الساطي

يا ليل الصب متى غده
أقيام الساعة برعده



في مهرجان الحرية بميناء « بنزرت » تلقيت هذا الكتاب
هدية غالية، حملها إلينا من تونس السيد الأستاذ « الجيلاني بن
الحجاج يحيى » رئيس قسم المكتبات « الذي اشترك في تأليف
الكتاب وتحقيقه ، مع السيد الأستاذ « محمد المرزوقي
رئيس قسم الأدب الشعبي » في تونس .
ولست أدري ما إذا كان ظهور الكتاب في هذه المناسبة ، مقصودا
بت أن يكون على موعد مع المهرجان لكنها على كل حال ، مناسبة طيبة
تحيي فيها تونس ذكرى شاعرها الذي ظلت أرجاء الوطن العربي،
ترجع صدى نغمه الساحر الشجي قرابة ألف عام !

فبند شدا « ابو الحسن الحمري
القيرواني » في القرن الخامس الهجري ،
بقيته الفراء :
يا ليل الصب متى غده
اقبام الساعة موعده
ولقد السمار لمارقه
اسف للبين برده
ابكاه النجم ورق له
مما يرعاه ويرصده
... ..
يا من جددت عيناه دمي
وعلى خديه نوره
بالله هب المشناق كرى
فلعل خيالك يسعده
ما ضحك لو داويت ضني
صب يديك وتبعده
لم يبق هواك له رمقا
فلنبيك عليه عبوده
وغدا بقضي ، او بعد غد
هل من نظر يتزوده
بخذ شدا الشاعر القيرواني بهذه
القصيدة ، وشعراء العربية قد سيطر
عليهم نغما ، فواموا بعافتها والنظم
على ايقاعها ، حتى بلغ عدد من عارفوها
فيها احميت - اربعين شاعرا وشاعرة
تواعدت ديارهم واختلفت مصورهم .
ومن الذين عارفوها من الشعراء
القدامى : ابن ابيار القضاي البلسي ،
واسماعيل الزبيدي البهباني ، وشمس
الدين الحمري الدمشقي ، وقاصح
الدين الارجاني ، وابن مليك الحموي .
ومن المحدثين ، من شعراء المشرق
احمد شوقي ، واسماعيل صبري ، وولي
الدين يكن ، ومحمود بيم التونسي ،
ومحمود رمزي نظيم . وجبيل مدني
الزهاوي ، وبشاره الخوري ، ونسيب
ارسلان ، وتبصر وعيسى العلوف ،
وخير الدين الزركلي .
ومن شعراء المغرب العربي الانريفي :
ابو القاسم الشابي ، ومصطفى خريف ،
والبشير العربي التونسي ، وجعفر باجد
ومن الشاعرات :
عائكة الخزرجي (المراق) وابيسة
عباس ، وزيتب عبد السلام (مصر)
وابتد صداها الى الغرب الامريكي
فرجعته معارف عدد من شعرائنا المغتربين
في مهاجرهم ، اذكر منهم :
رشيد ايوب ، ومسمود سماحه ، وفوزي
العلوف .
وهكذا ظل النغم الشعري ملء سمع
الزمان ، لم يقب صده في صجيج الصراع
بين قديم وحديث ، ولا تاه في الميدان الادبي
الصاخب باصوات العصر !
ويبقى الشاعر مع ذلك متهور الشخصية
مبهيم الملاح ، متناثر الاخبار ببعثر
التراث في عشرات من الكتب والدواوين
قليل منها يتداول ، واكثرها ما لا يوجد
الا في دور الكتب وخزائن الخاصة من
علماء الادب العربي .
بل ان امره التمس على كثير من ذوي
الثقافة الادبية ، نخلطوا بينه وبين اديب
آخر من اسره وعصره ، هو « ابو اسحاق
ابراهيم الحمري القيرواني : مؤلف زهر
الادب »
ويبدو ان الالتباس قديم ، فالتسخره
الخطية الوحيدة التي وصلت اليها من
ديوان ابي الحسن « اقتراح الكريج » اقتراح

الصفحة الأخيرة من ديوان

المعشرات والخطب فيها

مع يهوس دار الكتب

«الجريح» موجودة في دار الكتب المصرية برقم (١٣ أدب) ويرجع تاريخ نسخها إلى عام ٦٠٧ هـ وقد كتب على الصفحة الأولى منها تحت اسم أبي الحسن : «وهو مؤلف كتاب زهر الآداب سماحه الله» ونسخة أخرى من ديوانه «المعشرات» في دار الكتب المصرية كتب في آخرها باسمه :

«هذه معشرات الأديب أبي الحسن علي بن عبد الغنى الدمشقي الشاعر المشهور صاحب كتاب زهر الآداب ولحقه الباب ، وكتاب المصون في سر الهوى المكنون ، توفي بقىروان سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ، رحمه الله برحمته ورؤوفاته »

وكان حقاً للشاعر علينا أن يوجد بين دارنسي الأدب العربي ومحققى تراثه من يفرغ لجميع ما تنشر من أخبار أبي الحسن وما تفرق من آثاره ، ليضع في المكتبة

الصفحة الأولى من ديوان

الاقتراح ويرى إلى اليسار

تصحيح لخطب العنوان

العربية كتاباً من ذلك الشاعر الذي رجع وطننا مدى شدة على من القسرون وتناجب الأجيال . وهذا هو الكتاب ، ننشره مكتبة المنار بتونس بعد أن نشره مكتبة الحرة ، وكان الآن قد أن لجيب الزمان من سؤال الشاعر الذي لبثنا نرجعه أكثر من تسعة قرون :

يا ليل الصب متى فده ؟

أقيام المساعة موعده ؟

والكتاب قسماً بتميزان

أولهما ترجمة وافية لأبي الحسن الحصري ، تبدأ بمقدمة تاريخية عن بلد الشاعر وعصره ، ثم تفصل الحديث عن حياته وأسرته وشيوخه وتلاميذه ، ومن لقي من أمراء العصر وحكامه . ومادة الترجمة مأخوذة من أصيل المصادر وثنى المراجع ، مع تضمير الروايات وفحصها ومقارنتها .

أما القسم الثاني من الكتاب ، فيجمع الترات الأدبي للشاعر منسقا في قصول : رسائله ، ديوان المنسوقات ، النص الكامل للقصيدة (يا ليل الصب) ومعارضاتها ديوان المعشرات ، ديوان الاقتراح الجريح ، ذيل الاقتراح .

على أن جهد السيد المصنفين ، لم يقتصر على مجرد الجمع والتنسيق ، وإنما هو جهد تحقيق منهجي وخدمة متقنة وقد تركا بعد ذلك المجال الواسع لدراسات جديدة خصبة ، يتولاها من شاء من الدارسين :

هناك مثلاً ، دراسة البنية في حياة الشاعر ، تركت في أعماقه جرحاً لم يندمل ، إذ هجرته زوجته الشاب وأرغفته على طلاقها ، وهو مولع بها مستهام ، فراح يرحلها بحجر ، بلسان جارح يتم عن قلب مقروح .

ولقد قرأت «ديوان المعشرات» فلمحت طيف هذه الحبيبة الهاجرة ، يسيطر على كل ما فيه من شكوى حب خاب ، وحين إلى حبيب هجر ، وتعلق بذكرات ماضيات تباى أن يفلتها النسيان .

بل أتى لأمح طيفاً كذلك ، يحوم حول الشاعر وهو ينظم ديوانه « اقتراح الجريح واجترح الجريح » في رثاء ولده عبد الغنى الذي مات صبياً في التاسعة من عمره . ولقد كان هذا الصبي ولده الوحيد من زوجته الهاجرة ، تظلت عنه لبيه عندما فارقت ، فأثره على اخوته بكل عواطف الأبوة وحنانها ، وكأنه كان يرى فيه صورة من أحب ، والذكرى الحية لمن خانت وهجرت ، فلما مات الولد أفرغ الشاعر المحزون شحنة مواجهته واشجانه ، في ديوان كامل من الرثاء ، لعلة الديوان الوحيد في المربيتة ، في رثاء ولده !

ولقد تفلن الاب الشاعر في هذا الديوان بنفساً عن مكبوتات شواقه ، ومعتبرنا مذاق أحزانه ، ومصبها على أن يظل جرح قلبه دائماً بالحسرة والعذاب . والكتاب لا يربط بين هذه المسألة وبين الديوانين ، لكن حسناً منه أنه أعطانا

عناصر القصة المثيرة ، وقدم لنا معها تمهيد الديوانين ، وإن شاء أن يجعل من هذا كله مادة لدراسة عن الشاعر ، فنهم تراثه بحياته ، وتلفهس طابع المسألة في شعره ، وتنفض إلى أسبابها الخفية

(٤)

التمسك كلها ، بتبعها حروف الهجاء
بترتيبها المغربي . ولما كانت قصيدة الهزجة
غير مسبوقة ، اكتفى لها بأربعة عشر
بيتا ، ثم عوض هذا النقص العددي في
قصيدة الباء ، فنظمتها لى ستة عشر
بيتا .

واسمته طاقته على تطويع النظم لكل
هذه القيود ، كما سمعته تراوحت اللغوى
على اختيار الالفاظ المناسبة ، فلم يمتثل
الا قليلا ، في سباجة التكلف وقلق الانتشار
والاضطرار . . .

وصياغته الاسلوبية ، متأثرة كذلك
باسلوب ابي العلاء ، لكن اللافت هنا ، ان
ابا الحسن لم يتأثر بشخصية ابي العلاء
وسلوكة ! فيقدر ما كان «ضريير المعرة»
عف النفس واللسان ، حر الطبع والقول
كان «ضريير القبروان» حاد الطبع واللسان
عصبى المزاج مولعا بالهجاء « ينلقت اليه
كما ينلقت الظمان الى الماء » - والعبارة
لابن بسام .

وقد ارتقى بشعره . ولم يتخرج من
طلب العطاء من «المعتمد بن عباد» في
محنه ، حين مر بمدينة «سبقة» وهو في طريقه
الى منفاه باغمات ، فبعث اليه الحصري
مجموع قصائد نظمها في مدحه ، وطلب
عليها الاجر . ولم يكن مع المعتمد الا
سنة وثلاثون مثقالا ، ارسلها الى الحصري
مع أبيات من الشعر ، يعتذر فيها عن قلة
المبدول !

ويطول بي المقال ان انا بصيت اثير
الى ما يفتح الكتاب امامنا من مجال
لدراسات جديدة ، بما قدم لنا من ترجمة
محررة للشاعر وعصره ، وبما جمع لنا
وحقق من بقية آثاره ، وهو ما نذكره
للاستاذين «المرزوقي والجيلاني» بخالص
التقدير ، والاعتراف بما أسديا الى
تاريخنا الادبي من ثمرة جهدهما السخي
الموفق .

وجذورها الغائرة ، تحت الظواهر
السطحية ، التي يبرر فيها الشاعر موقف
زوجته ، بانها ضاقت بفارق السن بينها
وبينه ، او بانها هابت بشباب شفتها حيا .

كذلك يفسح لنا نشر هذا الكتاب ،
فرصة لاضافة جديدة الى ما تعلم من
احترام الصراع المذهبي الذي كان له
هميق الاثر في توجيه أحداث عصر الشاعر
كما كان السبب المباشر لاغتراب ابي
الحسن بعد « الزحفة الهلالية » وخروجه
من القبروان محزونا يحمل معه قبضة من
تراب الارض الفالية : مهد حدائقه ومغنى
صباه ، ومثوى ابيه واجداده . .

وفي الصنعة الشعرية ، يقدم لنا الكتاب
مادة لدراسة جديدة ، تضاف الى ما
نعرفه عن النفوذ الادبي «لابي العلاء
المصري» في المغرب الانريقي ، وتبع اثره
نيهن عصره او جاء بعده من الشعراء
المغاربة ، فابو الحسن الحصري معاصر
لابي العلاء ، وقد كان مثله ضريرا . وكل
شعره في قصائد « المعشرات » وذيل
الاقتراح « متأثر بلزوميات ابي العلاء ، في
التقيد بها لألزم من قيود النظم ، فقصائد
« المعشرات » مرتبة على حروف الهجاء ،
وكل قصيدة منها عشرة أبيات ، تبدأ جميعها
بحرف الهجاء في القافية . فاذا كانت
القصيدة من قافية الهزجة ، او الثاء ، او
الطاء ، جاءت أبياتها العشرة ، بمبدوءة
بالحرف نفسه !

وقصائد « ذيل الاقتراح » عددها تسع
وعشرون ، بعدد حروف الهجاء . كل
قصيدة منها خمسة عشر بيتا ، يلتزم فيها
الحرف الواحد في اوائل الابيات واواخرها .
فالقصيدة الاولى تبدأ أبياتها جميعا
بحرف الهزجة ، كالقافية ، تتلوهها
قصيدة على حرف الباء ، يبدأ البيت الاول
بالهزجة اتباعا لسابقه ، وينتهي بالباء
ثم تنضم القصيدة على الباء بدعا واختلا .
وعلى هذا النسق ينفى الشاعر في

(٥)

وكنيت أولد لو ان الاستاذين احتملا مع هذا الجهد، والنايم يتضح به المنهج العلمي للتحقيق ، من وصف دقيق للمخطوطات التي نقلت عنها . فقد انتهت مثلا : ان يشرى الى ان دار الكتب المصرية ، قد تنبعت الى الخلط بين ابي الحسن وابي اسحاق الحصريين ، في قوستها لديوان « المعشرات » حيث نقلت عبارة الناسخ : « هذه معشرات الاديب ابي الحسن » على بن عبد الفنى الحصرى . . صاحب كتاب زهر الاداب وثمر الالباب ، وكتاب المصون في سر الهوى المكنون - توفي بقيروان سنة ثلاث وخمسين رابعة . .

ومقتبت الدار عليها بنهاية : « والمعروف - كما في وفيات الاعيان وكشف الظنون - ان هذين الكتابين لابي اسحق ابراهيم بن علي بن تميم المعروف بالحصرى القيروانى ، المتوفى بالقيروان سنة ٤٥٢ هـ » - راجع المجلد الثانى من نهرس الدار - ط ١٩٢٧ -

كما انتهت ايضا ، في وصلها لمخطوطة دار الكتب المصرية من ديوان الاقتراح ان يسجل امرين لها اهميتها في توثيق النص :

الاول : ان عبارة «صاحب زهر الاداب» ليست بخط الناسخ الاصلى للديوان ، وانما هي اضافة بخط آخر قديم .

الثانى : ان احد المغيرين - المخرسين - القدامى لدار الكتب : «الشيخ احمد الميهى رحمه الله» كتب بخطه بجانب هذه العبارة « قوله : مؤلف كتاب زهر الاداب ، هذا خطأ والصواب ان مؤلف هذا الكتاب هو ابو الحسن علي بن عبد الفنى . ومؤلف زهر الاداب هو ابو اسحق ابراهيم ابن علي الحصرى » .

ومع المقال ، صفحتان مصورتان نقلتهما من مخطوطتى دار الكتب ، عندما احتجت الى المراجعة واقتدتهما في الكتاب المطبوع .

والاستاذان المرزوقى والجيلانى . مرجوان لان يستدركا ما فاتهما من ذلك كله ، في الطبعة الثانية لهذا السفر الجليل الذى نمده فخريرة من فخرات المكتبة العربية .

كتاب من الجزائر

عجرات البصائر

تأليف الشيخ البشير الإبراهيمي

تقديم الدكتور عبد الشاطي

السلامة من يدور في الله
رسوله الزبى بالحق
السلامة من يدور في الله
الحزام إن شاء الله
عجرات البصائر
دوركم ومضيق
لا تفتوت، فقام عالم
بالحق جعل من دون
ذلك ففهم قسما
والسلام

لقبته في الجزائر ..
وكنّا على موعد أن نلتقى هناك
حين طاف باصدقائه في مصر
مودعا، قبل أن ينوب الى داره
بعد غيبة سنين، أمضاها هنا
بين أهل وعشيرة، ملء القلوب
والابصار مهابة ووقارا ..
ويوم ودعته بمصر الجديدة،
تواعدنا على أن نلتقى في الجزائر
الحرّة، بعد أن طهرت حماها
من دنس الغاصبين ورجس
المستعمرين .

ولم اكن نسيت هذا الموعد، عندما
سمعت في الصيف الماضي اخرج الى ارض
الجزائر، وجاؤني السيد الاخ «الاستاذ
محمد القسيري» رسولا من شيخنا
البشير، يدعو لزيارته في مصيفه
بالشريعة .

واسرعت الي الدعوة، وملء وجداني
شعور شاهر بالرضى والغبطة، ان تحقق
الوعد وصنق الامل .

وبن «البلدية» مدينة الزهور والرياحين
انطلقت السيارة مصعدة بنا على منح
الاطلس البليدي، وسط غابة من اشجار

(٢)

ولكى يستنوا دعاء النور الذي ظل
يحدو أبناء هذا الشعب في مسراهم عبر
الطلبات ، ويذود عنهم في ليلهم الطويل
لعنة الجود وعار الاستكانة والخضوع
ولم اكن ادري ان الشيخ البشير ،
سبقني الى ما فكرت فيه ، فكيف على
جميع مغالائه الثورية التي نشرها في «جريدة
النصار» الناطقة بلسان جمعية العلماء
بالجزائر ، والمؤرخة لمرحلة التعبئة الروحية
بكل تفصيلاتها المثيرة .

وهنا بعد عودتي الى مصر : ، فلتقت
كتابه الجليل «عيون البصائر» مطبوعا في
دار المعارف بالقاهرة

وامضيت الايام والليالي في محبته ،
اطالع صفحاته السبعانية ، باخوذة بسحر
«الكلبة» وسر «القلم» حين يأخذ دوره
النضالي في معركة الوجود الحر ، يوجج
مراياها ويحث لها جنودها النذابين
الأبطال .

وعشت مع الجزائر في ليل بحثها ،
مروعة بانواعيل المستعمرين ، مصفية الى
نداء الحرية يتحدى الاستعمار ويؤرق
القاصيين الدخلاء :

« في هذا الوطن الجزائري شعب مربى
بسلم ، ذو ميراث روحاني عريق وهو
الاسلام ، وذو ميراث مادي شاده اسلافه
وذو منظومة من الفضائل العربية الشرقية
مبتذلة بالارث الطبيعي من اصول السامية
الى الفروع الناجية ، لحفظ خصائصه
الجنسية من التحلل والادغام . وذو لسان
وسع وحى الله وخلد حكمة الفطرة وحوى
سر البيان وجلا مكونات الفكر ، ثم خدم
العلم وسجل التاريخ وثقاد الحضارة .»

« جاء الاستعمار الفرنسي الى هذا
الوطن كما تجيء الامراض الوافدة تحل
الموت . . والاستعمار بل يحارب اسباب
المناعة في الجسم الصحيح ، وهو في هذا
الوطن قد ادار قوانينه على نسخ الاحكام
ومث بحرية المبادئ ، وحارب الايمان
بالاحاد ، والفضائل بحماية الرذائل ،

الارز الباسه ، الى ان بلغت لنا قبة
«الشريعة» حيث تلبننا برمة نبلا عيوننا
من روعة المشهد ، ونطل من ارتفاع
الف وخمسائة متر ، على الوادي الكبير
بمروجه البديعة الخضراء ، وحقله المثلثة
بنسور الحورية وزهر النصر ، المنتشية
بعمودتها الى بنيتها بعد ما طالت بحثها
بالدخلاء . .

وسرنا في خضوع الى مجلس الشيخ
البشير ، فكانت نحية اللقاء بيننا ان تلونا
بما «آية الفتح» :

« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق
لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله
آمنين محلفين رءوسكم ومقصرين لا تخافون
فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك
فتحا قريبيا » .



وكان الحديث كله عن «جمعية العلماء»
ونضالها الطويل لحراسة عروبة الجزائر
من مسخ الاستعمار ، وجهادها المبارك
ليظل الاسلام هناك مرفوع اللواء ، في
ذهب اعصار صليب جاثج . .

وطاب لنا السمر في مجلس العالم
الوقور ، وقد مضى ببتروح عبر ذكرى
رقاته في الجهاد ، وبستيد بشاهد
الصراع العنيف بينهم وبين الاستعمار ،
ويروي قصة التعبئة الثورية التي اعدت
للجولة الفاصلة . .

ومنها ادركت - كما لملي لم ادرك
من قبل - سر البطولة الفذة التي خاضت
بها الجزائر معركتها الظافرة ، وقدمت
لها اكثر من مليون شهيد ، سيظل مجد
استشهادهم آية تنلى وحيثا يروي على
مر الزمان !

يوماوددت لو اتبع لابناء الوطن المربي
ان يسموا ما سمعت في ذلك المجلس ،
ليدركوا ان شملة الحرية لم تتوهج نجاة
عام ١٩٥٤ ، وانما سهرت عليها اجبال
من الجزائريين الكرام ، يغذونها بوتود
من الايمان ، ويلهبون جذوتها في نسيم
الشعب الاصيل الابي . .

(٣)

هي في الحساب الفرنسي من صميم عهد الاستعمار ، لكنها في حساب السواقي التاريخي ، من صميم عصر الثورة على الاستعمار .

والفرق بين الحسابين ، تجلوه لنا ميون البصائر ، بها تكشف من صراع مرير بين باطل وحق ، وزيف وامالة ، ربني واباء . وبها تسجل من صدام عفيف بين ارادة غاصب يمتنع شريعة الغاب ، وارادة شعب عريق يؤمن بالحريية ويتقدس الكرامة والشرف .

وهي تعطينا كذلك وثائق لاحداث المرحلة التي سبقت الثورة المسلحة ومهدت لها ، وفيها تلجح نذر النخس والتجبع للمعركة الحاسمة ، يقابلها من المنبر شطط في العدوان والبنى ، وامعان في التسلط والقهر ، وحقق في محاولة بائسة لاطفاء الوهن الثوري الذي يتروجح في كيان الامة الجزائرية .

ولولا ان اتق على شيخنا البشير ، لرجونه ان يؤودنا بكتاب من ريشته الملمع المجاهد « الشيخ عبد الحيد بن باديس » القائد السابق للتنمية الروحية ، ورسى جيلين من حملوا لواءها في فدائية واستبسال لقد كان اسم « عبد الحيد بن باديس » يتردد في مسمى ، بولاه وحب ، حينما اتجهت واتى اقميت بالجزائر ، وكان طينه الذي يعمير مجالسنا ومساكننا هناك ، في حالة مشرقة من العظمة والجلال ، حتى لقد خيل لي ، اني المحه في مركب النصر واعباد الحربة ، بطل علينا بين الافق الاطلى لبارك بنيه البواسل الذين خاضوا المعركة سبع سنين دابا ، وقدموا مليون شهيد ، فدام لحريية الجزائر وشرف الانسان ثم لما قرأت « ميون البصائر » تبطل للشيخ عبد الحيد مع الشيخ البشير - ببارك الله في عمره - في ميدان الجهاد الامر ، وشاقتني ان يقرأ تولى تمسة « الابوة الروحية للثورة الجزائرية » . استكمالا لكتاب هذه الثورة الباسلة التي ينحني لها التاريخ المعاصر خشوعا واكبارا . .

الاصيل . . ونحية لشيفنا البشير ، في ابوته المهيبة وجهاده المبارك . . وعنايا لدار المعارف ، ان فاتها ان تسجل على كتاب « ميون البصائر » تاريخ طبعه ، مع ما لهذا التاريخ من اهمية باللغة .

والتعليم بافشاء الابهة والبيان العرس بهذه الطلبة التي لا يستقيم معها تفكير ولا تفكير . .

« والاستعمار كله رجس بن عمل الشيطان سياسته الاحتيال على الضعيف ليؤكل ، وقتل متوهمه ليهضم ، والكيد للمستيقظ حتى ينام ، والهددة للنائم حتى لا يستيقظ » وهذا هو معنى السياسة عند الحاكيمين فينا ، غالبا ونازلا . اما عند المحكومين فاعلى معانيها احياء المقومات التي ضعفت او تراخت : من دين ولغة وجنس واخلاق وتاريخ وتقاليد ، وتصحيح ترواحها في النفوس ، ثم المطالبة بالحقوق الضائعة في ايمان ، ثم الاضرار والتسليب في استهانة وتفضية . .

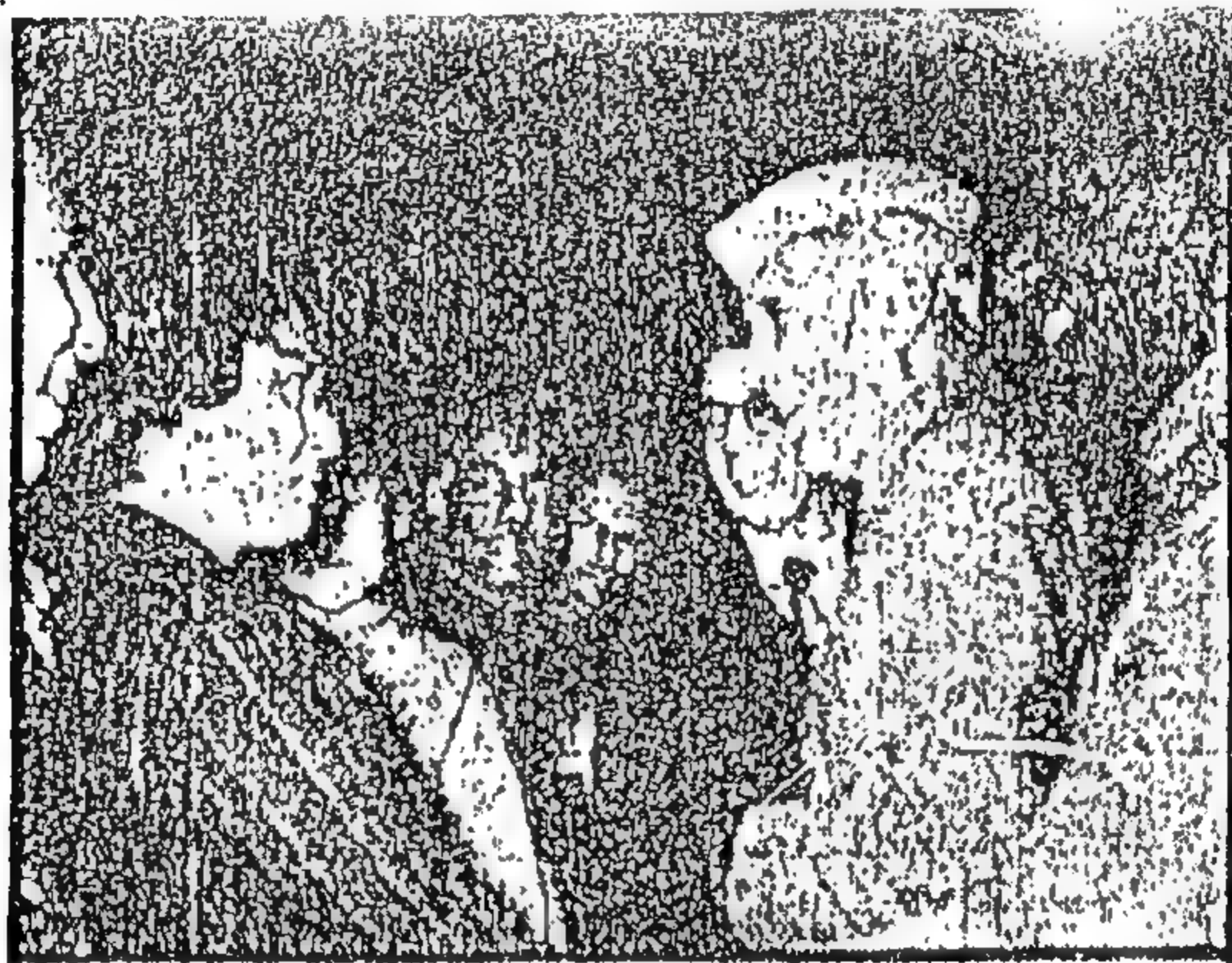
« جاءت فرنسا الى الجزائر بالجندي ففتح بالقوة ومهد بالقوة ، وسجل لها في تاريخ الانسانية محائف لا يدري بها ربها الا اذا قرأنا رسائل سانت ارنو ، وتقرير لجنة البحث البرلمانية سنة ١٨٣٢ ، وكتاب كريسقيان ، وكلام النائب روجي في مجلس الابهة الفرنسي . .

« ثم جاءت بعد الجندي بالمعلم والطبيب والراغب ، بعد ان اجرت لهم عملية التلقيح بمادة الاستعمار ، وهي مادة من خصائصها تعقيم الخصائص ا فطم بين المعلم بعلها عليها ، ولا الطبيب طبعها انسانيا ، ولا الراغب ابا روحيا ، وانما جاعوا في ركاب الاستعمار لبحدهم وبنحوا اركانهم .

« ونظر الناس بعد مرور مائة وعشرين سنة ، الى هذه الرحلات الثلاث المرسله الى الجزائر من سماء فرنسا ، فاذا تسعة وتسعون في المائة من اناء الابهة الجزائرية اميون لم يروا مدرسة ولم يسموا بمعلم فتدوا قديهم ببركة الاستعمار ولم يجدوا الجديد ، واذا الطب الاستعماري لم يقض على المرض وانما قضى على الصحة ، فاربعمائة الف من مجوع الابهة مسلولون والباقي معلولون . . واذا الراغب الجشع ثلب فلاة ، يترىس اليتم لينصر الانشاء والمجاعات ليفتن الابهة . .

في هذا الجزء من « ميون البصائر » افتتاحيات الشيخ البشير للجريدة ، منذ استأنفت الظهور عام ١٩٤٧ بعد ان مظلها الاستعمار في سنوات الحرب العالمية الثانية وما بعدها . وتتوالى المقالات تباعا الى سنة ١٩٥٢ ، مقدمة لنا تاريخ ست سنوات ،

التاريخ : ١٩٦٤/١/٢٠



هبابون كبير وليس مؤتمر المشرقين في الهند يقدم بنت الشاطيء الى نهر
والى جانبها د. رياض العتر مستشارنا اللقبالي في الهند وعقبوا الوداد

عودة بنت الشاطيء بعد محاضراتها في الهند *

عالم بريطاني يحاضر عن المحراب في الاسلام *

مؤتمر المشرقين القادم سيعقد في امريكا *

* د. من الهند : هادت بنت الشاطيء (د. فاشة عبد الرحمن)
الى القاهرة بعد ان املت اسبوعين حيث اشتركت في مؤتمر المشرقين
الدولي الذي جلد في نيويورك وبطل مصر ولد مكن منها ومن : د. عبد الرحمن
بلسوى د. عبد المنعم ابو بكر د.

التاريخ : ٢٠ / ١ / ١٩٦٤

- ٢ -

رياض المعز مستشارنا النقال في الهند
ببقيا كان د. يحيى الخشاب بقتل الجامعة
المربية في المؤتمر غير العلامة البريطانية
المعمر « كريسويل » حجة الألبان

الاسلامية عالميا
وهو المؤتمر الذي اشترك فيه ١٠٠٠
عضو يمثلون ٤٩ دولة وحضره ١٤٤
مراقبا ومنسوبا عن الهيئات الدولية
وليه اللت بنت الشاطيء بحثها عن
« مشكلة اللزائل في ضوء القرآن » . .
ولقد طبعت منه نسخا المسالية مع ترجمة
انجليزية في مكتبنا النقال في نيوليس .
كما للت دعوة من د. عبد السلام رليش
جامعة عليكرة الاسلامية . وفيها حضرت
عن « النتائج الهامة التي هدى اليها
التفسير البياني للقرآن » .

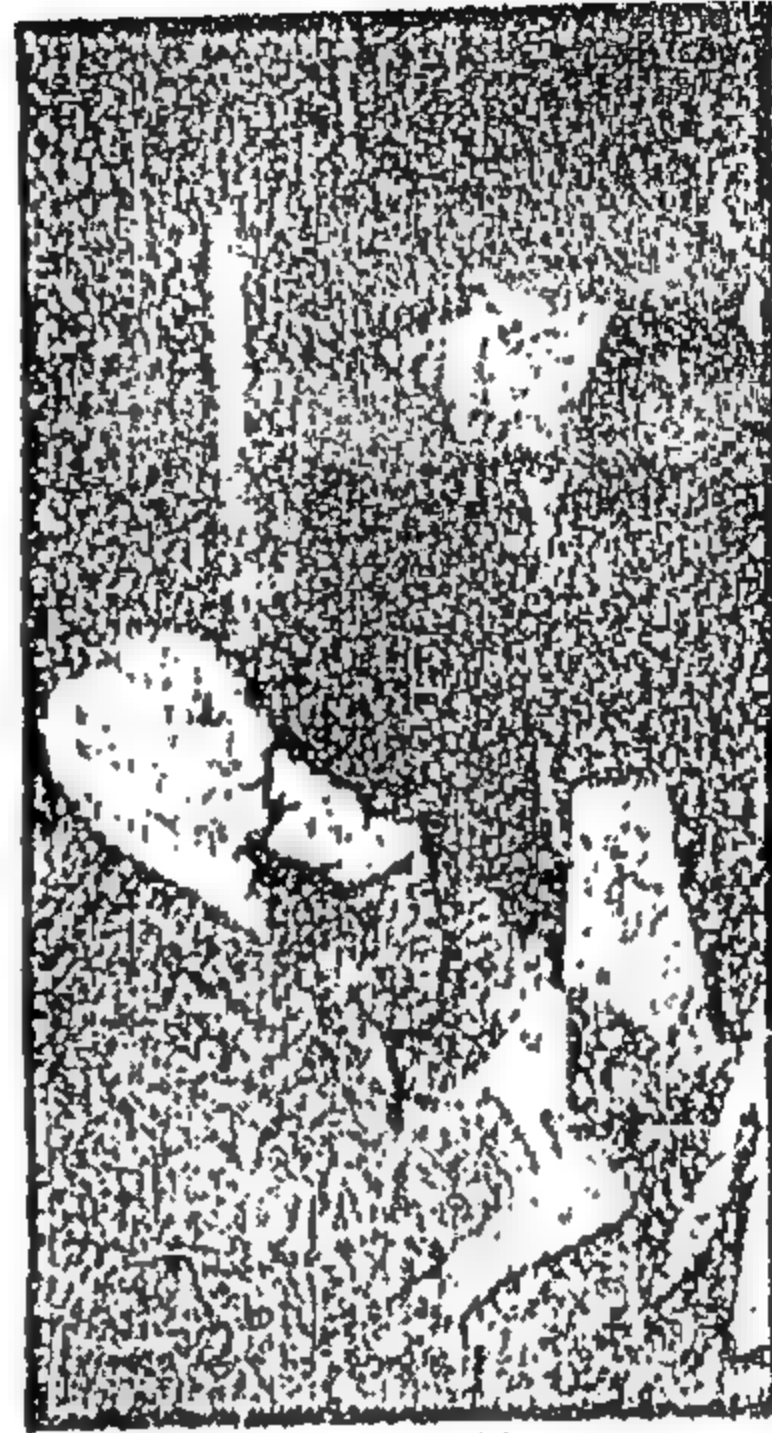
والعروف ان هذه هي الدورة الـ ١٢٦
للمؤتمر المستشرقين الذي يعقد كل
سنوات . وقد انطلق على قبول دعوة
امريكا لانعقاده فيها وعلى أرضها في
١٩٦٦ .

ولقد رجعت بنت الشاطيء وهي تحكي
حفاوة الهند بالمؤتمر حيث دعت اعضاءه
لرحلة لطار خاص الى مدن ماتورا .
واجرا . وفتح بورسكري . استغرقت
٣ ايام في زيارة الدولة . وفي حفل
الافتتاح القيت كلمة رئيس الجمهورية
رادا كريشنان الذي عبر عن شديد
اسفه حيث لم تمكنه حالته الصحية من
شهود المؤتمر .

ودعا اعضاء الوفود الى حفل
استقبال في حدائق القصر الجمهوري
وهناك رحب بهم ذاكر حسين نائب
رئيس الجمهورية .

وشهد الرئيس نهرو جلسة المساء من
اليوم الاول . والتي كلة عن المؤتمر
ومسؤوليته واهدائه . ثم اختار المؤتمر
ممايون كير رئيسا .

كما اقام احمد حسن اللاني سفيرا
في الهند حفل عشاء للوفد المصري في
المؤتمر حضره ذاكر حسين نائب رئيس
الجمهورية الذي اقام حفل عشاء خاصا
في بيته .



كريزويل : حمل شيخوخته وذهب الى
الهند ليلقى مخالفة دراسية عن
(المحراب في الدراسات الاسلامية) . .
ولقد ولدت بنت الشاطيء تحببه .

من البيان
المعجز

الآية الكبرى

"واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا
نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين
قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا
حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم
آياته لعلكم تهتدون" قرآن كريم

سبحان ربى ...
كلنا جد في حياتنا حادث جليل ، الفيت
آية من آيات القرآن الكريم تسيطر على
فكرى ووجدانى ، معبرة عن الموقف الحاضر
المشهود ببيان معجز ، وكأنها من وحى
الساعة !
في الصيف الماضي كنت في الجزائر ،
اشهد : آثار المعركة الطويلة البالية ،
وأرى الدمار الذى اغتصبها المعتلون قد
خلت منهم ، وانقضى مروعهم الاستعمارية
قد تسارت على الارض المباركة تحت
اتهام المجاهدين المؤمنين ، فلا والله ما
اصف به المشهد ، الا ان اظروا آية
الحشر.

بقلم الدكتور بنت الشاطئ

(٢)

سبحان ربي !

لكأن هذه الايات تنزل فينا اليوم وكأنها لا ينفصلنا عن وقت الرحي نحو اربعة عشر قرنا من الزمان ، جد فيها على اذواقنا واساليبنا ما جد ، واستحدثت العربية من فنون القول ما استحدثت ، واتصلنا بروائع البيان من شرق وغرب ، ومن قديم وحديث ، ويبقى هذا القرآن فينا مناط الاعجاز البياني في كل عصر وكل جيل ، يبهنا بصره الاكبر الذي بهر العرب في عز الفصحى ، فاعياهم ان ياتوا بسورة من مثله !

اربعة عشر قرنا من الزمان ، امست فيها دنيانا الى معارف الشعراء واتلام الكتاب على مسار الترون ، وعلى امتداد آفاق الوطن العربي من قلب الشرق الاسيوي الى اقصى المغرب الافريقي ، ثم في مهاجر العرب بالدنيا الجديدة .. واعترفت دنيانا لنز من هؤلاء وارللك بالاسالة الفنية والانتدار البياني ، وشملت بهم لدى طال او قصر ، ويبقى هذا البيان القرآني محتفظا بكل روعته وسحره ، في الذروة العليا التي يقصر دونها كل بيان !

وهذا رميد الادب العربي بين ايدينا حافلا بذخائر تراثنا وروائع الانار لشعرائنا وكتابنا ، فأن لبه ما يمكن ان يعبر عن الموقف الحاضر بكل خطره ومخزاه ؟ او ما يمكن ان يرتقى الى مستواه الذي تعبر عنه آيات من القرآن الكريم ، تلقاها محمد صلى الله عليه وسلم من وحى ربه ، في دار هجرته بالمدينة ، منسذ نحو الف وثلاثمائة عام :

« هو الذي اخرج الذين كلوا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ، ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم ما نعمهم حصونهم من الله فآناهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار ، ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار »

« وامر نكت بالهند ، اتابع في لينة انباء اجتباع التبة ، حيث لبى ملوك العرب ورؤساؤهم دعوة السيد الرئيس جمال عبد الناصر : ان يتناسوا ما بينهم من خصومة وخلاف ، لكي يواجهوا خطرس العدوان الصهيوني القاسم . واذكر اننى سئلت مرة من هذا الحدث الجليل ، في مجلس لنا مع عدد من كبار مسلمي الهند بدار سفيرنا « السيد احمد حسن الخفي » فالفيت البيان عسبا ولم ادر كيف اعبر عن الموقف ، حتى اسفقتى هذه الايات من الكتاب الخالد :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالق بين قلوبكم فاصبحتم بتمعنه اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » الى قوله تعالى :

« لن يضرركم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون »

(٣)

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم فاصبحت بنعمته اخوانا »
وتندبر الآية الكريمة ، فيلفتنا من اسرارها البيانية ، ان جوهر التآلف هو الايمان الصادق ، وان مضاهي القلوب والضمائر نآية الوحدة ، فبدأ بهذا الامر السامى بالاعتصام بحبل الله . واصل العصام في العربية ، الحبل تربط به القرية فيصون بها فيها او هو الحبل تشد به الناقة او الفرس ليمتلق به الراكب والقائد . ومنه جاء الاعتصام بمعنى التماس الازر والحمى والارتباط بها بعصم من الخطر والهلاك والضللال . وليس في القرآن كله اعتصام الا بالله ، ولا عصم الا هو سبحانه .
يطرد ذلك في كل المواضع التي وردت فيها المادة في القرآن الكريم بصيغتها المختلفة ، وعددها ثلاثة عشر موقعا .
وذلك اما بصريح العبارة كما في آيات :
« فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل » .
« ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم »
« واعتصموا بالله هو مولاكم »
« والله يعصمك من الناس »
واما باستبعاد ان يكون هناك عصم من الله ، او عصم غير الله ، كما في آيات :
« والذين كتبوا لغير الله ذنبا سنمؤنة ينفخون فيها نفثا من الله »
« والذين كتبوا لغير الله ذنبا سنمؤنة ينفخون فيها نفثا من الله »
« قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا » .
« قال سآوى الى جبل يعصمني من الماء » قال لعاصم اليوم من امر الله الا من رحم »
« ولا تمسكوا بعصم الكوافر »
فحين يجعل القرآن الكريم تآلف المؤمنين وعدم تفرقهم اعتصاما بحبل الله يسبق على هذا التآلف قوة وسهولة ، اذ يكون الامر فيه مسئولية ضئيلة مؤنة واردة الهبة تلتقي بها القلوب وتتآلف .
« واذكر نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم فاصبحت بنعمته اخوانا »
وبلغتنا هنا كذلك ، ان يعد القرآن لغة التلويح بعد عداوة وتفرق نعمة الله ولاشك ان اضافة النعمة الى الله ، ترتى بها الى اعلى درجات النعم ، وتدخلها في نطاق ما جاء في القرآن الكريم من تذكر بنعمة الله في مثل آيات :
« واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة »
« واذكروا نعمة الله عليكم وبما افاء الله عليكم من نعمه »
« واذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم »
« اذكروا نعمة الله اذ جاءكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها »
كما يحف بنعمة الله ليسا الف من التلويح ، جلال استعمالها القرآني في اكمال الدين وفي النبوة :
« اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي »
« واما بنعمة ربك فحدث »
« يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى الخلق »

النار المبهودة لنا في الدنيا ، قد جاء بها
في سياق تريب من ذلك الإيحاء الرعيب
في مثل آيات :

المائدة ٦٤ : « وقالت اليهود يد الله
مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا
.. والقينا بينهم المداوة والبغضاء
الى يوم القيامة ، كلما أوقدوا نارا للحرب
أطفأها الله ، ويسعون في الأرض
فسادا ، والله لا يحب المفسدين »

البقرة ١٧٤ : « أن الذين يكتبون ما
أنزل الله من الكتاب ويشتررون به ثمنا
قليلًا ، أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا
النار »

النساء ١٠ : « أن الذين يأكلون أموال
اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا
وسيصطون سعيرا »

وباستقراء هذا الاستعمال القرآني
لفظ النار ، يتجسم لنا الخطر الماحق الذي
أوتف القوم على شفا حفرة من نار ،
فأنقذهم الله منها ، حين الفد بين قلوبهم
فأصبحوا بنميتها آخوانا ...

وأمام هذا البيان المعجز ، تتضائل
أفلامنا وتقتصر طاقتنا ، وتخضع بشرتنا
مبهورة بالاية منه تتلى من وحى الساعة ،
وكل ساعة ، فنذكر سرا من أسرار خلود
القرآن : معجزة نبي أمي ، بشفه الله في
الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته
ويزكّيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وأن
كانوا من قبل لفي ضلال مبين .

وآية بشر رسول ، قد خلقت من قبله
الرسول ، وبقيت الآية الكبرى خالدة ،
لا ينال منها كرم الغداة وبر العشي ، ولا
يتعطل سرها الباهر ، على مر الحقب
والدهور .

وتتجلى لنا قبة هذه النعمة الإلهية
بشأن القلوب بعد تفرقة والأخاء بعد
مداوة ، حين تتلجج الآية الكريمة :

« لو كنتم على شفا حفرة من النار ما أنقذكم
منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم
تهتدون » .
والشفا في العربية : حرق كل شيء .
ولم يرد هذا اللفظ في القرآن الكريم
كله غير مرتين :

أولاهما ، آية آل عمران - هذه التي
ندرسها اليوم - وهي ثالث سورة نزلت
بالمدينة .

والأخرى ، آية التوبة ، وقد نزلت في
أواخر العهد المدني ، قبل سورة النمل ،
آخر ما نزل من القرآن الكريم .
ونص آية التوبة :

« ألذين أسس بنيانه على تقوى من الله
ورضوان خير أم من أسس بنيانه على
شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ،
والله لا يهدي القوم الظالمين »
وكلنا اليتين تذكر بالأخرى ، وتلقى
عليها إيحاءها المشير .

والتعبير عن موقف المسلمين في فترتهم
واختلافهم ، بأنه الموتف « على شفا حفرة
من النار » يتلقى كذلك إيحاءه البياني ،
من الاستعمال القرآني للفظ النار ،
حيث يخلب مجيئها فيه عليها على الجحيم ،
واسما من أسائها ، أو وسنا لهول
العذاب فيها . فلقد ورد اللفظ في القرآن
فيها أحميت ، مائة وخمسا وخمسين مرة
منها مائة وثلاثون مرة لشار الأخرة . وهذا
بلا ريب ، مما يثير باللفظ إيحاء الرعب
والهول . ثم أن القرآن في المواضع
القليلة التي استعمل فيها لفظ النار
استعمالا مجازيا ، لغير نار الأخرة أو

من البيان الحجر الإنسان ومسئولية الاجتماعية

بسم
الدكتور عبد الشاطئ

والعصر: إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر

في مجلس لنا بجامعة الجزائر ، في شهر أغسطس الماضي ،
سألني عدد من الشبان المطلقين على حديث النظم الاجتماعية :
.. كيف يمكن أن نلقى مثل أصحاب ماركس ولينين ، بما
نقرا عن اشتراكية الاسلام ، بأن من مبادئ هذه الاشتراكية
في ديننا ، أن يعبر الجار أناة لجاره ، وأن يشترك في صلاة
الجنائزة ، وأن يستوى الناس في الكلا
قلت : ولم لا نلقاهم مثلا ، بما لا تعرف الإنسانية في كل ما
استحدثت من نظم وشرائع ، فمن تقرير الاسلام لمسئولية
الإنسان الاجتماعية على وجه الجسم والالزام ، وعده التخلي
عنها خطيئة واثما وتكذيبا بالدين ؟
ومن يومها وأنا مشتغلة بهذا الموضوع فيما أتناول من تفسير
بياني للقرآن الكريم . وأحاول هنا أن أقدم منه خلاصة موجزة
لتفسير سورة العصر ، يحتملها هذا المجال المحدود .
((والعصر))

(٢)

ونحنكم الى القرآن الكريم ، فنراه لا يستعمل العصر اطلاقاً بهذه الدلالة على الوقت المعين من النهار . بل انه حين ذكر الصلاة المفروضة في هذا الوقت ، سماها « الصلاة الوسطى » لوقوعها وسطاً بين صلاتي الصبح والظهر ، وصالتي المغرب والعشاء .

واستعمل القرآن العصر بدلالته الحسية المألوفة في آية يوسف : « اني اراني اعصر خمرا » كما استعمل المعصرات للسحب المطيرة في آية النبا : « وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا . لتخرج به حبا وثباتا . وجنات الفافا » وكلا الاستعملين من اصيل استعمالات المادة في العربية .

والذي نطمئن اليه في تفسير العصر هنا ، انه الدهر بعمامة . ودلالة العموم تأتيه من سياق الآية التالية ، حيث « الانسان » فيها لعموم الجنس ، لا لفرد معهود منه .

ثم لا نتكلف وجهها لبيان عظمة « العصر » فليس فيه هنا الا قوة اللفظ بهذا الاسلوب البياني ، الى « العصر » بما يلو الانسان ويتقلب به ، وبما تمتحن فيه طاقته على احتمال مسؤوليته ، تمهيدا للايات التالية ، وفيها بيان لابتلاء الانسان في هذه الحياة الدنيا .

((ان الانسان لفي خسر))

والانسان هنا ، كما اشرت آنفا ، مقصود به عموم الجنس . والقرآن الكريم يفرق بين الانسان والبشر ، تفرقة واضحة جاسسة . فمناط الانسانية فيه ، منوبة ذلك الكائن المدرك ، المكلف باحتمال مسؤولية انسانيته . يضطرر ذلك دون استثناء ، في كل المراحل التي ورد فيها اللفظ بالنص القرآني وعددها ٦٥ موضعا :

« الرحمن . خلق الانسان . علمه البيان » .

« علم الانسان ما لم يعلم » .
« انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نثليه فجعلناه سميعا بصيرا . انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا »
« لقد خلقنا الانسان في كبد . احسب

والسورة من اوائل السور المكية »
وبهذا بوار القم . وعند المفسرين واللغويين انها لتعظيم المقسم به . ومن ثم اتجهوا الى بيان وجه العظمة في « العصر » على اختلاف الاقوال في تفسير هذا اللفظ .

والدلالات المعجمية للعصر مديدة ، يمكن ان نردها الى معنيين :
اولهما : العصر بمعنى الضيق ، ومنه استخلاص مصر الفاكية . والعواصر احجار لانة كانت تستخدم في عصر العنب ونحوه . وقريب منه استعماله اللغوي في المطر ، ومنه سميت السحب المطيرة معصرات . والآخر : معنى الزمن ، فالعصر الدهر ، او الوقت المعروف من اصيل النهار الى احمرار الشمس . وجهرة المفسرين على ان العصر - في هذه السورة - بمعناه الزمني . فهو اما الدهر ، ووجه العظمة فيه « ما في مروره من اصناف المعائب » .

واما الوقت المعين من النهار ، ووجه العظمة فيه انه « الوقت الذي تجب فيه الصلاة الوسطى . والتكليف بادائها آتق » لتهاونت الناس في تجارتهم ومكاسبهم آخر النهار » - كما قال الزمخشري في « الكشاف » ونقله عنه ابو حيان في « البحر المحيط » وهذا في رأينا اقرب من تاويل الامام الشيخ محمد عبده حيث قال في تفسيره لسورة العصر : « وكان من عادة العرب ان يجتمعوا وقت العصر ويتحدوا ويتذاكروا في شئونهم . وقد يكون في حديثهم مالا يلقى او ما يؤذي به بعضهم بعضا ، فيثبتهم الناس ان الوقت مدموم ، فاقسم الله به لينبهك الى ان الزمان في نفسه ليس ما يدم وبسبب . . وانما قد يدم ما يقع فيه من الافاعيل الممقوتة » .

وما نعلم ان وقت العصر ، في المألوف والعادة ، وقت اجتماع الناس وتذاكرهم وتحادثهم ، بل لعل وقت المساء اولي بهدا . ثم ان احتمال التحديث بما لا يليق او بما يؤذي ، لا يمكن في تصورنا ان يختص به الحديث وقت العصر دون غيره من الاوقات ، الا هو مما يحتمل وقوعه في اى وقت من نهار او ليل . .

« الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات »

الايمن تقيض الكفر . والصالحات تقيض السيئات . أو الصلاح ضد الفساد بعمامة . واللافت هنا اقتران العمل الصالح بصريح لفظ الايمان . وهو ملحوظ بتكرره في النص القرآني نحو سبعين مرة . كما جاء العمل الصالح معطوفاً عليه النهي عن الاشراك بالله في الآية الاخيرة من سورة الكهف : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً » . وجاء العمل الصالح مقابلاً للكفر في آية الروم : « من كفر فعليه كفره » ومن عمل صالحاً فلانفسهم يهتدون » . ويأتي الخبر في القرآن الكريم عن « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » - وبإلزام ما هم - بأنهم : خير البرية . أصحاب الجنة . طوبى لهم وحسن مآب . لهم حياة طيبة ، ومغفرة ودرق كريم ، وأجر عظيم ، وأجر غير مدان ، وجزاء الحسن . لاخوف عليهم ولا هم يحزنون . سيجمل الرحمن لهم رداً . ليكفرن عنهم سيئاتهم . سيخلفهم في الأرض . ليوفيهم أجورهم . ويزيدهم من فضله . لهم الدرجات العلى . فعمل الصالحات في القرآن الكريم قرين الايمان . وبهما تتحدد مسؤولية الانسان الفردية ، وعليه بعدها ان يعتدل مسؤوليته الاجتماعية المنصوص عليها في الآية : « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » . الحق هنا تقيض الباطل ، وقد ورد بهذا المعنى في القرآن خمس عشرة مرة . والعربية استعملت المادة حسياً في : الطعنة المحققة لأزيغ فيها ، والمحقق من الشياطين المحكم النجس . واستعملتها معنوياً في : الصديق ، والعدل ، وواحد الحقوق . وهي دلالات متقاربة ، يضيف اليها القرآن الكريم ، استعماله الخاص للحق بمعنى الوحي أو متعلقاً به في أكثر

ان لن يقدر عليه احد » . « ان الانسان ليطغى . ان رآه استغنى » . « فقتل الانسان ما اكفره » . « ايحسب الانسان ان يترك سدى » . « بل الانسان على نفسه بصيرة » . « يومئذ يتذكر الانسان واني له الذكري » . يقول ياليتني قدمت لحياتي » . « ووصينا الانسان بوالديه » . « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً » . وللراغب الاصفهاني - في مفردات القرآن - ملحوظ دقيق في اشتقاق لفظ الانسان ، اذ يربطه باجتماعيته التي تجعله ياتى الى الجماعة . وهو ملحوظ يقبله خسر الفرية بلا ريب ، وان كان استقراء الاستعمال القرآني يلفتنا كذلك الى ما يخص به « الانسان » من دلالة على اهليته لاحتمال التكليف والمسئولية ، وبها يفترق افراد الانسان ، وان التقوا جميعاً وبما نالوا في بشرتهم المادة التي ياكلون بها الطعام ويمشون في الاسواق . والخسر في العربية : الفجس . استعماله في التجارة ، ومنه جاء استعماله في الجور والتقصي ثم في الهلاك . واندح الهلاك - بالنسبة الى الانسان - الضلال عن الحق . وهذا هو المعنى الغالب في استعمال القرآن لمادة خسر . اذ وردت في نحو ٦٤ موضعاً ، منها ٦٢ مرة في الكفر والشرك والهلاك عن ضلال . والمرتان الباقيتان في نقص الميزان . يأتى المطففين والرحمن . وجاءت صيغة « خسر » مرتين في القرآن : آية الطلاق : « وكأين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً . فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسراً » . والخسر فيها هلاك ماحق من ضلال وعتو . ومثله الخسر في آية العصر ، للانسان يتلى بالزمن ليطفه الغرور ويضل من الحق ويخون الامانة التي حملها .

المصاب : « .. والصابرين على ما أصابهم ، والمقيمين الصلاة وما رزقناهم يفتنون » .

وفي البأساء والضراء : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل الشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر .. والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس » .

وفي الجهاد ولقاء العدو - وهو أكثر ما يتعلق به صبر المؤمنين ، ومنه الآيات : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

« يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا أن الله مع الصابرين » .

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » . « وان تصبروا وتتقوا لا يفركم كيدهم شيئا » .

« ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ، ثم جاهدوا وصبروا » . « ولنبأونكم حتى تعلم المجاهدين منكم والصابرين » .

وعند ذكر متعلق الصبر في آية المصير ، يعطيه دلالة التعميم في حدود ما جاء في القرآن الكريم من متعلقات الصبر على الابتلاء ، وحين البأس والشدة ، وفي الجهاد ولقاء العدو ، وعلى ما يفتري البطلون ...



وبقي بعد ذلك أن نقف عند هذه المسؤولية الاجتماعية التي يفرضها القرآن على « الانسان » . فبعد أن حدد مسؤوليته الفردية بالإيمان وعمل الصالحات ، ألزمه بواجبه نحو الجماعة في التواصي بالحق والتواصي بالصبر . وبوقف القرآن الكريم من هذه المسؤولية صريح واضح ، يقطع برفض السلبية التي يتصور فيها « الانسان » أنه يكفي لنجاته من الخسر أن يؤمن بالله ويعمل صالحا ، دون أن يقضي حق

من سبعين موضعا . كما استعمله اسما من أسماء الله أو صفة من صفاته تعالى أكثر من عشر مرات ، ووصف به وعدة الحق ، وقوله الحق . وذلك كله مما يضي على كلمة الحق مهابة ، ويؤكد حرمتها في تواصي المؤمنين بالحق .

والتواصي : أن يوصي بعضهم بعضا . جاءت هذه الصيغة في القرآن خمس مرات ، أحداها آية الداريات في سياق التعجب والإنكار لموقف الأقوام من رسل الله :

« كذلك ما أتى الدين من قبلكم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون . اتواصوا به ؟ بل هم قوم طاغون » . والمرات الأربع الباقيات ، في مسئولية الانسان نحو الجماعة :

آية البلد : « لقد خلقنا الانسان في كبد ... فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة . فك رقبة . او اطعام في يوم ذي مسغبة . يتيما ذا مقربة . او مسكينا ذا متربة . ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة » .

وآية المصير : « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

ولم يصرح القرآن هنا بمتعلق الصبر الذي يتواصى به من آمنوا وعملوا الصالحات ، وباستقراء مواضع الصبر في النص القرآني ، نجد الامر بالصبر موجه الى الرسول في ١٩ موضعا ، يتعلق الصبر في أكثرها بما يحتمل الرسول من امباء تبلغ رسالته ، وما يلقي من تكذيب وأذى بالقول او بالفعل وجاء الصبر في القرآن الكريم ، مستندا الى أولى العزم من الرسل

(الاحقاف) ورسول من قبلك (الانعام) وأئمة يهدون بأمرنا (الانعام) والمؤمنين ، والفائزين برضى الله وثواب الآخرة ، كما جاء في سياق التنبيه للمؤمنين في آيتي (ابراهيم ١٢١ ، والطور ١٦) . وما يتعلق به الصبر في القرآن الكريم :

الابتلاء : « ولنبولنكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والشمرات » وبشر الصابرين .

(٥)

الجماعة في التواصي بالحق والتواصي
بالصبر على احتمال أعباء انسانيته
وتكاليها .

وهذه المسئولية تتقرر بصورة حاسمة
في آية العصر ، وفي آيات أخرى كثيرة
منها :

« ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا
بالصبر وتواصوا بالرحمة » .

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
وأولئك هم المفلحون » .

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

« يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون
في الخيرات وأولئك من الصالحين » .

« الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر والحفاظ على حدود الله وبشر
المؤمنين » .

والقرآن الكريم لا يكتفى بتقرير هذه
المسئولية الاجتماعية المفروضة على
« الإنسان » بل يلمن كذلك الذين تخلوا
عنها أو اخلوا بها :

« لعن الذين كفروا من بني إسرائيل
على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا
لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا
يفعلون » .

« المنافقون والنافقات بعضهم من
بعض ، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف
ويقضون أيديهم ، نسوا الله فنسيهم »
كما بعد النكوص من هذه المسئولية
تكليفا بالدين ، بصريح الآية :

« أرايت الذي يكذب بالدين ؟
فذلك الذي يسدع اليتيم
ولا يحض على طعام المسكين »
ومعها آية الفجر :

« كلا بل لا تكرمون اليتيم
ولا تحاضون على طعام المسكين
وتاكلون التراث أكلا لما . وتحبون
المال حبا جما »

مدق الله العظيم

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ

”قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ
إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ“ قَرَأَهُم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

أولها قدمت هنا منذ اسبوع ، من موجز
التفسير البياني لسورة العصر ، حديث
عن المسؤولية الاجتماعية للإنسان ، رجوت
أن تلقى بها استحباب النظم الحديثة ،
ليروا فيها إلى أي مدى تقررت هذه
المسؤولية في شريعتنا ، وعد التخلي عنها
خطيئة راثية وكلاهما بالدين ..
واليوم أتابع الحديث - في ضوء ما
اشتمل به من التفسير البياني للقرآن -
عن قيم إنسانية عليا ، هدى إليها
كتاب الإسلا منذ نحو أربعة عشر قرنا
من الزمان ، وما زال حتى اليوم ، وعد
بقده ، مناظرة اعتزاز البشرية ورجالها ،
في تظلمها الدائب إلى عالم المثل ..

(٢)

« وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاء
الهدى إلا أن قالوا إبعث الله بشرا
رسولا » - الإسراء

وما من رسول أبلغ رسالته ، إلا
كانت بشريته موضع الارتياح في نيوته
والجدل في اصطفاة :

« ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال
يا قوم اعبدوا الله مالم يكن من الله غيره
فقالوا كفروا . فقال الملائكة كذبوا
من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن
يتفضل عليكم ولو شاء الله لآتى ملائكة
مأسمعا بهذا في آياتنا الأولى » - إبراهيم

« ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين .
فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله
مالم يكن من الله غيره فالكفروا . وقال
الملائكة الذين كفروا وكذبوا بلفظ
الآخرة وأنزلناهم في الحياة الدنيا ما هذا
إلا بشر مثلكم باكل مما ناكلون منه وبشر
بما تشربون . ولئن أظفتم بشرا مثلكم
أنكم الآن لخاسرون » - المؤمنون

« ماياتيهم من ذكر من ربهم محدث
إلا استمروا وهم يلعبون . لاهية قلوبهم
واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا
إلا بشر مثلكم » - الأنبياء

« كذبت ثمود بالنذر . فقالوا ابشرا
منا واحدا ننبهنا أنا اذنك في ضلال وسع .
الذي عليه الذكر من بيننا بل هو كذاب
أثر » - القمر

« ألم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم
نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم
إلا الله ، جاءتهم رسلهم بالبينات
فقالوا إن أنتم إلا بشر مثلكم » - إبراهيم .
« واضرب لهم مثلا أصحاب القرية
التي جاءها المرسلون قالوا ما أنتم
إلا بشر مثلكم » - المؤمنون .

ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا
وسلطان فقالوا أنؤمن لبشرين
مثلنا وقومهما لنا عابدون »

أجل كانت بشرية الرسل نعمة للناس
من قديم الزمن ، فما صدقوا أن يكون
بشر مثلهم رسولا ، وهم الذين شعدوا
أن يروا في أبطالهم وملوكهم وحكامهم
عنصرا الهيا يجعلهم فوق البشرية . وجاء
القرآن الكريم ليحسم هذه الفتنة ، ويعلم

وثلاثة في بشرية آدم ، الذي أمر الله
الملائكة أن يسجدوا له . .

وورد لفظ « بشرين » بصيغة المثنى
في آية المؤمنين (٤٧) والمقصود بهما موسى
وهرون . .

واللائق هنا أن القرآن الكريم لم
يستعمل قط لفظ « الإنسان » في سياق
الحديث عن بشرية الرسل ، وكنت قد
أشرت في تفسيرى لمسورة العصر ،
إلى الملاحظ القرآني في « الإنسان » حيث
مناط إنسانيته ، في كل مواضع استعماله
في القرآن ، معنويته التي تحتل أمانة
الإنسانية وأهليتها للمسئولية والتكليف .
على حين يستعمل البشرية بدلالها المادية
الجسدية التي يستوى فيها الناس جميعا .
وهو يوضح مناط هذه البشرية التي يقررها
في الرسل جميعا ، على وجه المائلة
لكل البشر :

فهم ياكلون الطعام : (آيات الفرقان
٢٠ ، ٨ - الأنبياء ٨ ، المائدة ٧٥)
ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما
تشربون (٢٢ المؤمنون) .

وهم يمشون في الأسواق : (الفرقان
٢٠ ، ٧)
وهم يهوتون ككل البشر ، وليس فيهم
من يخلد جسدا :

« وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي
إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم
لاتعلمون . وما جعلناهم جسدا لا ياكلون
الطعام وما كانوا خالدين »

« وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد :
أفئن مات فهم الخالدون » - الأنبياء
« ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد
خلت من قبله الرسل وأمه صديقة ، كانا
ياكلان الطعام » - المائدة

« وما محمد إلا رسول قد خلت من
قبله الرسل ، أفئن مات أو قتل انقلبتم
على أعقابكم » .

وبمثل هذه التفرقة الحاسمة بين
البشرية والإنسانية ، يستوى الناس جميعا
بما هم « بشر » ويتفاوتون بما هم
« إنسان »

ولقد كانت هذه البشرية في الرسل
هي التي فتحت الناس في القرون الخالية
فأنكروا أن يكون نبي بشرا :

« وكيف لا يتخوف الخليل : بشريه الرسل
الذين اصطفاهم الله للرسالات الكبرى
وكانتهم محمدا بن عبد الله الذي تلقى
من وحى ربه : . .

« قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي
أنما ألهم الله . واحد فمن كان يرجو
لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة ربه أحدا . »
وقالها محمد في تواضع . .

« وتلاها من بعده ملايكة البشر على
الدهور » نحن آمنوا برسالته :
« آية من كتاب دينهم يتعبدون بها ،
وعقيدة إسلامية تخطو بالبشرية على
مدارج التطور ، وتمسحها من العزة
والفكر كما تفارق به أى امتهان لها أو
عدوان على كرامتها . . .



والآية مكية ، من سورة الكهف
وقبلها نزلت آية الإسراء :

« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا
من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة
من نخيل وغناب فنفجر الأنهار خلالها
تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا
كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبلا . أو
يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء
ولن نؤمن لربك حتى تنزل علينا كتابا
نقرؤه . قل سبحان ربي هل كنت إلا
بشرا رسولا . »

« وآية فصلت :
« قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي
أنما ألهم الله واحد فاستقيموا إليه
واستغفروه ، وويل للمشركين . »

ثم نتابعت آيات الوحي بمثل هذا
الإصرار على بشرية الرسل جميعا :
« قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر
مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من
عباده وما كان لنا أن ناتيكم بسلطان
إلا بأذن الله » - إبراهيم

« ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب
والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا
لي من دون الله » - آل عمران

فما هذه البشرية التي يقررها القرآن
الكريم في نبي الإسلام ، وفي كل الرسل
والأنبياء ؟

حين ننتبع الاستعمال القرآني للفظ
« بشر » نجده ورد في ستة وثلاثين موضعا
منها ثلاثة وعشرون في بشرية الرسل

ان البشرية قد ان لها ان تبلغ رشدها وتنحصر من عبادة الابطال الذين كانوا في صورتها على غرار الالهة . واصطفى الله نبي الاسلام بشرا سويا ابن امرأة من قريش تاكل القديد . وقد ولد يتيمًا وشب فقيرا وتزوج وولد قبل ان يبعث بالرسالة . ثم كانت معجزته كتابا فيه هذا الاصرار على تقرير بشرية وبشرية الرسل من قبله ، وتؤكد هذه البشرية - صلبا - بما ابتهن الله به الرسول المصطفى بعد بعثته ، من ابتلاء بالاضطهاد ، وبرت الزوجة والعم والهجرة وتجربة الهزيمة في احد وحضرة النكل المتنازع ، وحضرة الافك في زوجته الحبيبة عائشة ، وقسوة الموقف في الحديبية . وكل ذلك لكيلا يلتفتن به اصحابه فيظنوا انه بشر مظلوم ، اوهى اليه انبيا الهنا اله واحد . . .

« قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضررا الا ما شاء الله ، ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » .

وكان القرآن بهذا الاصرار على تقرير بشرية نبي الاسلام ، والرسل من قبله ، يقاوم بقايا ميراث نفسي تلقته البشرية من « عصر عبادة الابطال » ويخلصها من محنة الصراع المرير الذي كابدته من الخلاف المذهبي على طبيعة المسيح بن مريم عليه السلام وكان المسلمون بحيث يطمعون في مثل هذه الفتنة لولا ان همسهم القرآن الكريم منها . وفي الخبر ان «عمر بن الخطاب» انكر قول من قالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد مات ، وهم بهم «عبور» في سورة فضيه ، لو لم يدل عليه « ابو بكر الصديق » آية آل عمران : «وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افئن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين »

وبلغنا كذلك من الملاحظ البيانية في النص ، هذا التعبير بالمثل في آية الكهف : « قل انما انا بشر مظلوم » والقرآن الكريم يؤكد هذه المماثلة ، في بشرية الرسل وبشرية الناس ، ثلاث عشرة مرة ، اما على لسان الرسل انفسهم واما على لسان من يجحدون نبوتهم انكرهم بشرا مظلوم .

واستعمل القرآن المماثلة كذلك في : ١١٨ - الانعام ١٤١ ، الزمر ٢٣ جزاء سينة سينة مثلها : (الانعام ١٠٦) ، ١٦٠ ، يونس ٢٧ قافر ٤٠ ، الشورى ٤٠ وفي العدوان يتبادل بمثله : (البقرة ١٩٤ ، الحج ٦٠) وفي تحذير النصبة الوارثين ، لا ذكر هن ام الكتاب واخر متشابهات فلما الذين مثل حظ الانثيين : (النساء ١١) ١٧٦ ، وفي تكافؤ الحقوق والواجبات : (البقرة ٢٢٨)

وفي العبرة بمثل يوم الاحزاب (صافر ٣٠) والنذير بمثل مسامقة عاد وثمود : بما تحفل من دلالة الاستنباط عن ظن ونخيل او عن وهم والقياس ، مقررًا بذلك ان ونفى ان يكون كنهله - تعالى - شيء بشرية الرسل مثل بشرية الناس جميعا . (الشورى ١١) وفي اعجاز القرآن ، ان يستطاع اعراسها وانما اصطفاها الله رسل الاتيان بمثله : (الاسراء ٨٨ - يونس ٢٨ هود ١٣) وفي كل هذا يستعمل القرآن الكريم صريح « المماثلة » بدلائلها الدقيقة التي تخطئها بعض مما جئنا اللغوية حين نفسر المثل بالشبه - كما في القاموس - ولا يخطئها من يلتبس في القرآن ذوق العربية الاصيل المصفى ، وحسبها البياني المراهف وفي « مفردات الغراني » اوضح « الراغب الاصبهاني » فسروق الدلالات الى عصر الانسان الجدير باحتيال سمعات بين المثل وبين الالفاظ الاخرى الموضوعية انسانيته وحرمة بشريته .

للمماثلة كالتد والشبه والمساوي والتشاكل : فالند يتال فيها بشارك في الجوهر

نفط ، والشبه يتال فيها بشارك في الكيفية فقط ، والمساوي فيها بشارك في الكمية ، والشكل فيها بشارك في القدر والمساواة ، والمثل عام في ذلك كله ، يعني مشاركة المثلين في الجوهر والكيفية والكمية والقدر والمساواة .

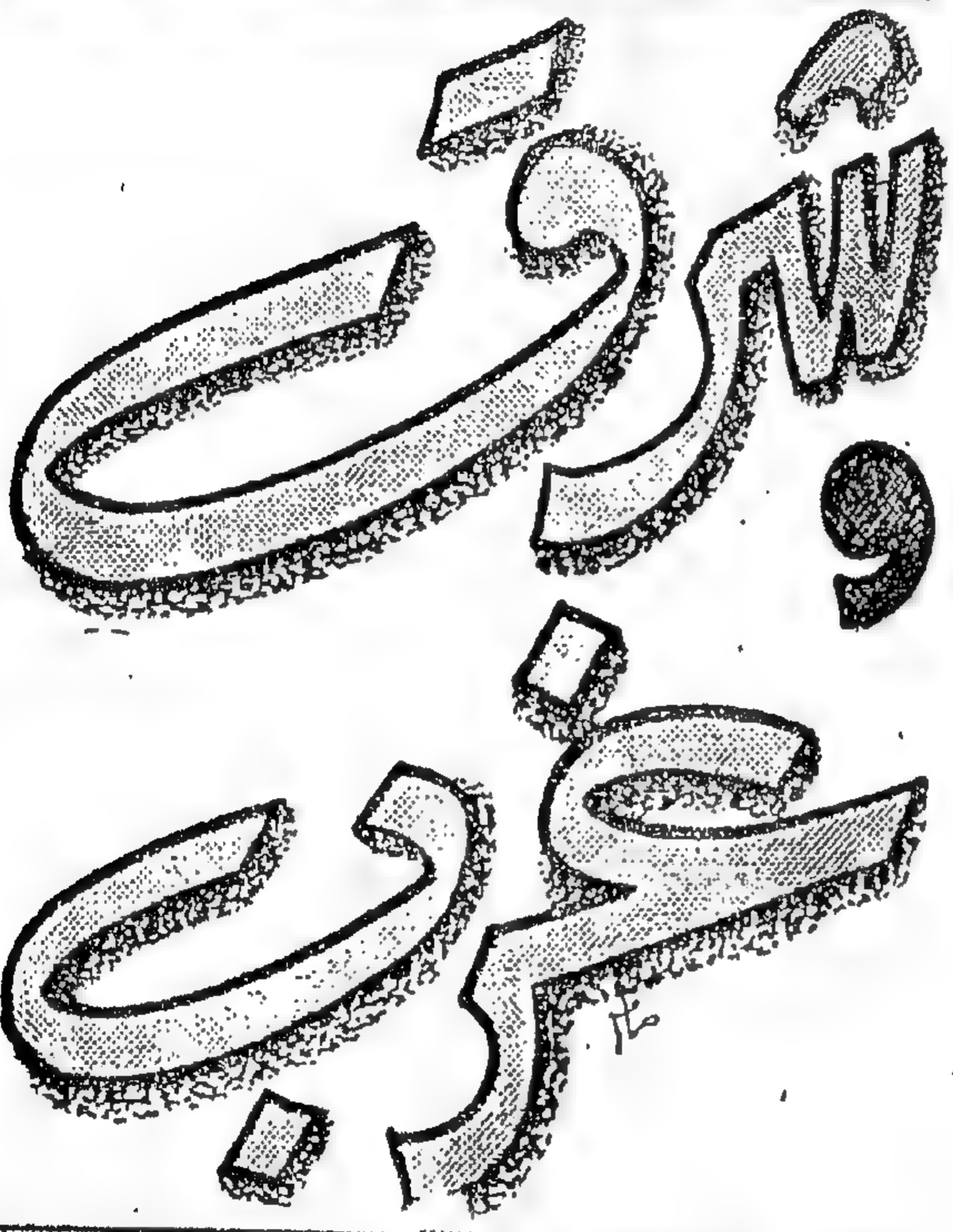
والقرآن يفرق تماما بين هذه المماثلة وبين المشابهة التي قد تجيء في سياق التشابه كما في آيات : (البقرة ٢٥ ، ١١٨ - الانعام ١٤١ ، الزمر ٢٣) كما قد تجيء في سياق الاستنباط بدلالته على التخيل او الالتباس : (البقرة ٢٥ ، ١١٨ - الانعام ١٤١ ، الزمر ٢٣)

« ان البقر تشابه علينا - وما نظنوهما مطبوء ولكن تشبه لهم به منه آيات محكمات وفي تحذير نصبة الوارثين ، لا ذكر هن ام الكتاب واخر متشابهات فلما الذين مثل حظ الانثيين : (النساء ١١) ١٧٦ ، وفي تكافؤ الحقوق والواجبات : (البقرة ٢٢٨)

وهذا الحس القرآني يتلوه دلالاته ، وفي العبرة بمثل يوم الاحزاب (صافر ٣٠) والنذير بمثل مسامقة عاد وثمود : بما تحفل من دلالة الاستنباط عن ظن ونخيل او عن وهم والقياس ، مقررًا بذلك ان ونفى ان يكون كنهله - تعالى - شيء بشرية الرسل مثل بشرية الناس جميعا . (الشورى ١١) وفي اعجاز القرآن ، ان يستطاع اعراسها وانما اصطفاها الله رسل الاتيان بمثله : (الاسراء ٨٨ - يونس ٢٨ هود ١٣) وفي كل هذا يستعمل القرآن الكريم صريح « المماثلة » بدلائلها الدقيقة التي تخطئها بعض مما جئنا اللغوية حين نفسر المثل بالشبه - كما في القاموس - ولا يخطئها من يلتبس في القرآن ذوق العربية الاصيل المصفى ، وحسبها البياني المراهف وفي « مفردات الغراني » اوضح « الراغب الاصبهاني » فسروق الدلالات الى عصر الانسان الجدير باحتيال سمعات بين المثل وبين الالفاظ الاخرى الموضوعية انسانيته وحرمة بشريته .

للمماثلة كالتد والشبه والمساوي والتشاكل : فالند يتال فيها بشارك في الجوهر

١ في مؤتمر المستشرقين



عام ١٩٥٧ ، كانت
الدورة الرابعة
والمشرون المؤتمرون
المستشرقين في فيونيكس .
والتقينا في بهو
الجامعة ، جمعا عجيبا
مختلط الالوان والازياء ،
متفاوت السمات
والملامح ، متعدد
الالسن واللهجات . .
يومها تنبهت لأول مرة ،
الى ان المؤتمر عقد كل
دوراته السابقة في
بلاد اوروبية .
مرة واحدة ، عقد
دورته في تركيا ، وتركيا
قد انسلخت من الشرق
وازدهاها الانتماء الى
اوروبا . .

وخطر لي ان اسال لجنة تنظيم
المؤتمر ، ان تفسر مابدا لي من شذوذ
الموقف : فاختصاص المؤتمر بالدراسات
الشرقية ، يجعل الشرق هو المكان الطبيعي
لانعقاده . كما ان الصفة العلية
لنل هذا المؤتمر الدولي المشرق ، جذيرة
بان تمصيه من جموح التمسب لغرب
على شرق .

وقبل لي ببساطة :

ليس الامر كما تصورين ، ففهوم
الاستشراق هو تخصص علماء غربيين
في الدراسات الشرقية على اختلاف
فروعها ، وفكرة انعقاده ، اتجهت اصلا
الى اجتماع هؤلاء المستشرقين لتبادل

بقلم الدكتور فنت الشاطي

(٢)

وماذا كان في استطاعته ان يقول ؟
ان اى دولة لا يضرها اطلاقا ، ان
تدعو عالما متخصصا في شعبة ما من
شعب المؤتمر ، ليرأس اللجنة الخاصة
بهذه الشعبة ..

ردولية المؤتمر يرتفع به عن هذه
النظرة المحدودة ، الى الافق الرحب
الذى تناثر فيه جهود العلماء على
اختلاف اقطارهم واجناسهم ، لخدمة
البحث العلمى الذى تلمح في هذه
الفوارق ..

والهند قد ضربت المثل الصالح ، على
التسامى بالمؤتمر الى افقها العالى حين
دعت علماء غير هنود ، ليرأسوا لجان
مؤتمر يعقد في ارضها ..

دون ان تجد في هذا المسلك ، ما يمس
قدر رجالها او يجرح سمعتها العلمية
ولقد كان رئيس دورة موسكو ، يمامى
بان رؤساء اللجان المشر للمؤتمر من
الوفد السوفيتى ..

وارى « الهند » قدمت بمسلكها درسا
جديرا بشرقنا العريق ، وشهادة بجدى
ما بلغت من سمة الافق ونضج الشخصية
وعسى للمسئولية بضميها من غرور الادعاء
وسذاجة التعصب ، ويؤكد اصالة الروح
العلمية فيها ، ميراثا عتيذا راسخا تلقته
من ماضى تاريخها الحضارى ..

الرأى في الجديد من بحوث الاستشراق
كان من الطبيعى ان يعقدى اى بلد
اوربى ، له نشاط في هذا الميدان ،
دون الغفلة عن اهمية اشتراك علماء
الشرق من لهم تخصص في الدراسات
التي تهم المشرقين ..

قلت بمراحة :
ذلك لا ينفى شذوذ الوضع ، بل لعله
يؤكد : ان يجعلنا نحن الشرقيين الاصلاء
بالشبه بضيوف مدعويين ، كما انه لا يجيب
عن السؤال : مادامت اعمال المؤتمر
خاصة بالشرق فلماذا لا يجتمع المستشرقون
في بلد شرقي ؟

وكان الجواب :
وجهوا الدعوة الى عتسده في بلدكم
ان تستئم ، ولن نتردد في عرضها على
امضاء المؤتمر ، في جلسته العامة بحد
البحرين ..

واسرعت الى الزملاء المصريين - وكان
يعدنا سبعة اعضاء - اتساورهم في

ولم تشترك الصين الشعبية في المؤتمر
ولم تشترك فيه باكستان ..



وفي هذه الدورة ، تقرر عقد الدورة
التالية بعد ثلاث سنوات ، في الولايات
المتحدة الامريكية ..

دون ان تقحم السياسة باثارة احتمال
عدم اشتراك الدول العربية فيه بخلا
او فرنسا او الصين الشعبية او الاتحاد
السوفييتى !!

والجو السياسى مشحون بنذر مرهصة
بمثل هذا الاحتمال !

فلماذا ساغ اتحام اسرائيل في جسد
المؤتمر ، وليست القضية بينها وبين
العرب قضية سياسية ، بتصدر ما هي
قضية ارض عربية مفتحة بالنار والغدر ؟
الجواب عند من حصلوا اثم هذا
الاتحام ، ماثرين بخدمة مكشوفة ،
محصورين في اتق ضيق ، لا يقدر التهمة
ولا يحسب حسابا لما وراء هذا الاتحام
من دلائل وهواقب خطرة ..

وعلى كل حال ، لم يكن غياب الصين
وباكستان عن المؤتمر مفاجاة لى ، فقد
توقعت - كما قلت - ان يحدث مثل
هذا في اى مؤتمر دولى يعقد باى بلد
من بلاد الدنيا ..

لكن الذى لم اتوقعه ، ان اجسد بين
رؤساء اللجان المشر للمؤتمر ، علماء
من غير الهنود ، ولم اكن نسيت كلمة
« غفوروف » :

قسم الدراسات المصرية ، يرأسه
استاذنا « الدكتور عبد المنعم ابو بكر »
قسم الدراسات الاسلامية يرأسه
« الاستاذ ولغريد سميت » ..

قسم دراسات جنوب آسيا ، يرأسه
« الدكتور فولكنشتاين » ..
قسم الدراسات الايرانية ، يرأسه
« الاستاذ بور داوود » ..

قسم دراسات جنوب آسيا يرأسه
« الاستاذ زوينمولر » ..
قسم الدراسات الافريقية ، يرأسه
« الاستاذ بيتشى » ..

ولما سألت « غفوروف » عن رايه في
هذا بعد ان قال فينا ما قال ، راغ من
الجواب : !

٩ في مؤتمر المستشرقين

نحن... وهم !

من بين ألف وأربعمائة عضو، يمثلون تسعة وأربعين دولة من شتى أنحاء الدنيا، كان هناك تسعة أعضاء يمثلون الوطن العربي بمختلف أقطاره :
عضوان من العراق، ومثلهما من تونس، وواحد من لبنان .
وأربعة من مصر، أحدهم مدعو بصفته الشخصية، والثاني موفد من الجامعة العربية، وعضوان يمثلان جامعة عين شمس .
وبحسبة بسيطة، تقسم عدد الأعضاء على الدول الممثلة في المؤتمر، فيكون المعدل المتوسط لكل دولة نحو ثلاثين عضواً !
والوطن العربي، من الخليج إلى المحيط، ليس له إلا تسعة أعضاء فقط لا غير ...
أي بنسبة عددية أقل من ثلث ما يخص دولة واحدة في المتوسط !
وهذا وحده يكفي لتحديد الحيز الذي قررنا باختيارنا، أن نشغله هناك، وببيان الموضع الذي حددناه لأنفسنا، في مؤتمر دولي خطير، يتغلغل في صميم وجودنا، وينبش عن عميق جسدنا، ويسكتشف ملامح شخصيتنا عبر التاريخ الطويل .

وهو أيضاً يكفى لتعرف به الدنيا جواب السؤال الذي كان يملأ جو المؤتمر، ولو لم ينطق به لسان :
أين نحن، وأين هم ؟
أين نحن من حقبة ذاتنا ومجلى وجودنا، وماضي سمرنا على درب الزمن ؟
وأين هم، من صميم الشرق، وأسرار مزاجه ومغليبه، وجوهر شخصيته ؟
بل أين نحن، مما يقولون عنا، وما يذمون من مطوى تاريخنا وينشرون من تراننا ويحفرون عن آثارنا، وما يرسمون لنا من صور، بعضها صحيح أهوزته الإصالة والمشاركة الفكرية والوجدانية، وأكثرها زائف عبث به الهوى والتعصب، أو مسخه سوء الفهم وقصور الإدراك وخطا التقدير ؟

أنا مرملة جفوني عن شواردها

وليهز الخلق جرها ويختصم !

(هتني).

بقلم الدكتور بنت السالم

في الندوات ، وقد سافر ولاحد منا بدري
ما اذا كان سيشارك فعلا في المؤتمر ؟
وكان في برنامج المؤتمر ندوتان :
أحدها : من دور دراسات الاستشراق
في الانسانيات ، برئاسة الاستاذ همامون
كبير ، رئيس الدورة
ولم يشارك فيها اي عضو عربي
والاخرى : عن التعديلات الحديثة في
تشريع الاحوال الشخصية للمسلمين ،
برئاسة الاستاذ شري شاجلا
اشترك فيها عالمان اسلاميان من الهند
ومضو من وفد ايران ، وآخر من تركيا
والمستشرق اندرسون
وقد تدرت لجنة التنظيم ، أهمية اشتراك
الجمهورية العربية في هذه الندوة ، فدمت
سفيرنا « السيد احمد حسن المظني »
ليتحدث عن تشريع الاحوال الشخصية
للمسلمين بمصر ..
وكان محض اتفاق ، ان يكون السيد
السفير موصلا بهذا الموضوع الدقيق ،
وعلى دراية به ، بحكم نشاطه في بيت دين
وقد كان ابوه من علماء الاسلام ، وكان
خاله من علماء الازهر .. مما اتاح له ان
يشرح تشريع الاحوال الشخصية ، في
نصوصه المعدلة بقانون بعد قانون ..
ولولا هذا الاتفاق المحض ، لما كان من
المستطاع ان تشترك مصر - بسفيرها -
في الندوة ..
ولتركتنا المجال كله ، للهند وايران وتركيا
والمستشرق « اندرسون »

وكان في برنامج المؤتمر ايضا ، اقامة
معرض عام لتواتر المخطوطات ، والكب
المشورة من تراث الشرق والاسلام ،
والمؤلفات المتصلة ببحوث الاستشراق .
اشتركت فيه وفود وهيئات شتى ، من
شرق وغرب ، ولم يشارك فيه اي قطر
عربي ..
من الهند وحدها . اشتركت ثلاث
اكاديميات وسبعة مراكز وهيئات ثقافية
وخمس دور للنشر ..
ومن المانيا ، من الشمال الاوربي ،
جاءت معروضات من « هابزبان » و« برلين »
ومن أقصى الغرب الامريكى ، من
الولايات المتحدة ، جاءت معروضات مركز
البحوث اللغوية في « واشنطن » واتحاد
الدراسات الاسيوية في « مونتيجان »
ولحن .. لسنا هناك !
ما من اثر في المعرض ، ادنى اثر ، يعين
عن وجود الشرق العربي في الميدان !
وكل ما في المعرض ، يتمثل بسجيم
وجودنا ..
ولي هذا ايضا ، سهر الخلق مشغولين
بنا ، ونهنا ملء الجفون ، مخدريين برفقة
نغنا ذلك « المتنبي » في وجداننا من قبل
الف عام !

وكان من الممكن ، ان نجتمع - نحن
الاعضاء العرب - لتسبب وجودنا ، لكننا
وصلنا الى « نيودلهي » ليلة انعقاد المؤتمر
بعد ان تم تسجيل كل منا في القسم الذي
اختاره مفردا ، ودون ان يعرف ، على وجه
التحديد ، اساء زملائه ، واتجاههم ،
وموضوع البحوث التي اعدوها للمؤتمر .
وهنا فرادى ، نبتل مبنات مختلفة ،
و بالصفة الشخصية ، دون ان نتاح لنا
فرصة لقاء او تذاكر او تعاون ، في مرحلة
الاستعداد ..
لان الدولة لم تشترك في مؤتمر
المستشرقين ، بوفد يمثلها على مستوى
الجمهورية ..
وهو الوضع الذي ينسحق الجهود
الفردية وبوجهها ، على النحو الذي شهدته
في كل المؤتمرات التي اشتركت فيها ونحن
اعضاء وفد رسمي للجمهورية ، فلبادنا
هزم مؤتمر المستشرقين مثل هذه السفة
الرسمية ، وليس اقل أهمية وخطرا من
باقى المؤتمرات ؟
سؤال ظك يشغل بالي ، وانا ارقب
وفود الدول الاخرى متآزرة بتناحية ،
ينزل كل وفد منها في مكان واحد ، ويعقد
بين حين وآخر جلسات خاصة ..
والاعضاء العرب ، كل منهم في حاله ،
ولكل منهم برنامج في الرحلة ، مستقلا
عن بقية الزملاء ..
لانتقى الا اللقاء العسائر في لقاعات
فصر المؤتمر ، وفي حفلات الاستقبال ،
وعلى مرائد من تفضلوا بدموتنا الى
غداء او عشاء !

واخرى ، نتحت عن وصولنا ليلة
انعقاد المؤتمر ، بعد ان تم اعداد برنامج
وتشكل هيئات لجاته ، وتحديد الاعضاء
الذين يشتركون في شاطئه العام ، خارج
حدود اللجان !
دون ان نتاح لنا فرصة في هذا كله
لم دون ان تجازف لجنة تنظيم المؤتمر ،
اختيار اي عضو منا في هيئات اللجان
او الندوات الثقافية التي كانت جزءا
جوهريا من برنامج المؤتمر ..
ذلك لانها لم تطلق منا ، حتى اللحظة
الاخيرة ، ما الحث في طلبه من تحديد موعد
وصولنا ، وتأكيد اشتراكنا الفعلي في
المؤتمر ..
وتتألمت رسائلها آتينا ، ونحن لا نملك
ان نجيب ، لان اجراءات سفرنا لم تتم
الا في يوم السفر ذاته !
باستثناء الاستاذ الدكتور عبد المنعم
ابو بكر ، الذي سافر قبل انعقاد المؤتمر
بخمسة ايام ، واخذ مكانه عضوا في
اللجنة الاستشارية للمؤتمر ، ورئيسا
لقسم الدراسات المصرية !
ولم يكن بحيث يستطيع ان يرشح اي
عضو مصري لعضوية اللجان او الاشتراك

لاشيء من هذا عندنا بذى بال !
وبدور الصراع هناك حول اخطر
الفضايا التي تتصل بوجودنا ، وتحتدم
المنافسة حول الفكر الاسلامي ، والعقلية
الشرقية ، والمزاج النفسى الذي تمثله
اثارنا المادية وقرائنا الروحية والفكرى
والادبي ، وما حملته الاجيال المتعاقبة من
ميراث هذا كله الى جيلنا المعاصر ..
بدور الصراع وتحتدم المنافسة ، وقوى
بمعزل عنهما لا يعنيهما الامر في كثير او
قليل ، ولسان حالهم ينطق ببيت لشاعرهم
« المتنبي » تاله قبل الف عام :

انام ملء جفوني عن شواردها
وبسهر الخلق جراها ويختصم
فلبلل المستشرقون لبنا ماشاوا ..
ولنهر الدنيا مشغولة بنا ، في نيودلهي
او موسكو او بيجينج ، في تركيا او امريكا ..
وليختصم لبنا الخلق من فنى الشعوب
والاجناس ، ومن مختلف الملل والاديان ..
ولنم نحن ملء الجفون !
تبلا بقولة شاعر ينثت سحره في
اجيال متتابعة بنا ، ويترك طابعه في ذوتها
وافره في وجدانها !
واعجب العجب ، اننا ندرك هذا الاثر
ونعترف به ، ونجدد مع ذلك كل ميراث
الماضى فينا مفاثرين بمفهوم خاطيء للمصرية
يروجه فينا من بزعمون انها انفصال بات
عن ماضينا ، وانبقار حاسم من اصولنا ،
واقامة سد اسم بيننا وبين قديمنا الذي
مقلل في اعمالنا ، رفضنا او كرهنا ، وتوك
فيذا طابعه المميز لاصلنا : به نفترق عن
شعوب اخرى تعاصرتنا ، وليست لها
شخصيتنا التي تكونت على تماقبات الدهور
وتتابع الاجيال !!

اجل ، نحدد كل ميراث الماضى فينا .
فندع للاجانب ان يشغلوا به ويكتفوا
عنه ، حين اذا ما حاول محاول منا ان
يشارك في شيء من هذا ، بنشر نص من
تراثنا او بحث في قديم المربية والاسلام
الخذته الصبغات من كل جانب ، نفنى
انتباهه الى عصرنا ، وننكر عليه ان يعوق
دفع التطور ، بالاشغال بماضى ولى وراح .

رسائلون : ماذا قالوا عنا في المؤتمر ؟
واجيب : لا ادري !
فيامدا الذي قيل ، في « قسم الدراسات
الاسلامية » - وهو لا يعدو ان يكون احد
اقسام عشرة للمؤتمر ..
لبل يدري سوى ، من الزملاء العرب ،
شيئا سادار في الاقسام التسعة الاخرى !
كلا .. ايضا !
فيما عدا قسم المصريات ، الذي كان
براسه استاذنا « الدكتور عبد المنعم ابو بكر »
ابا بنية الزملاء ، نكثوا ملى ، في
قسم الدراسات الاسلامية . وحتى في
هذا القسم ، كنا قللة بين اعضاء الذين
قاربوا المائة عدا

٣ في مؤتمر المشرقيين

تجربة... وامتحان!

تقابلوا معا ، وتجادثوا معا
ولعل عقولكم تلتقي
في تفاهم وقربى
ولتكن أفكاركم ، وعواطفكم ،
وأمانى قلوبكم
تابعة من ضمير الانسان
ومتجهة الى الخير العام
وعلى الطريق ، سيروا معا
نحو وحدة البشر . . .
رادا كريشنان
من محاضراته في المؤتمر



الكتبة بنت الشاطئ



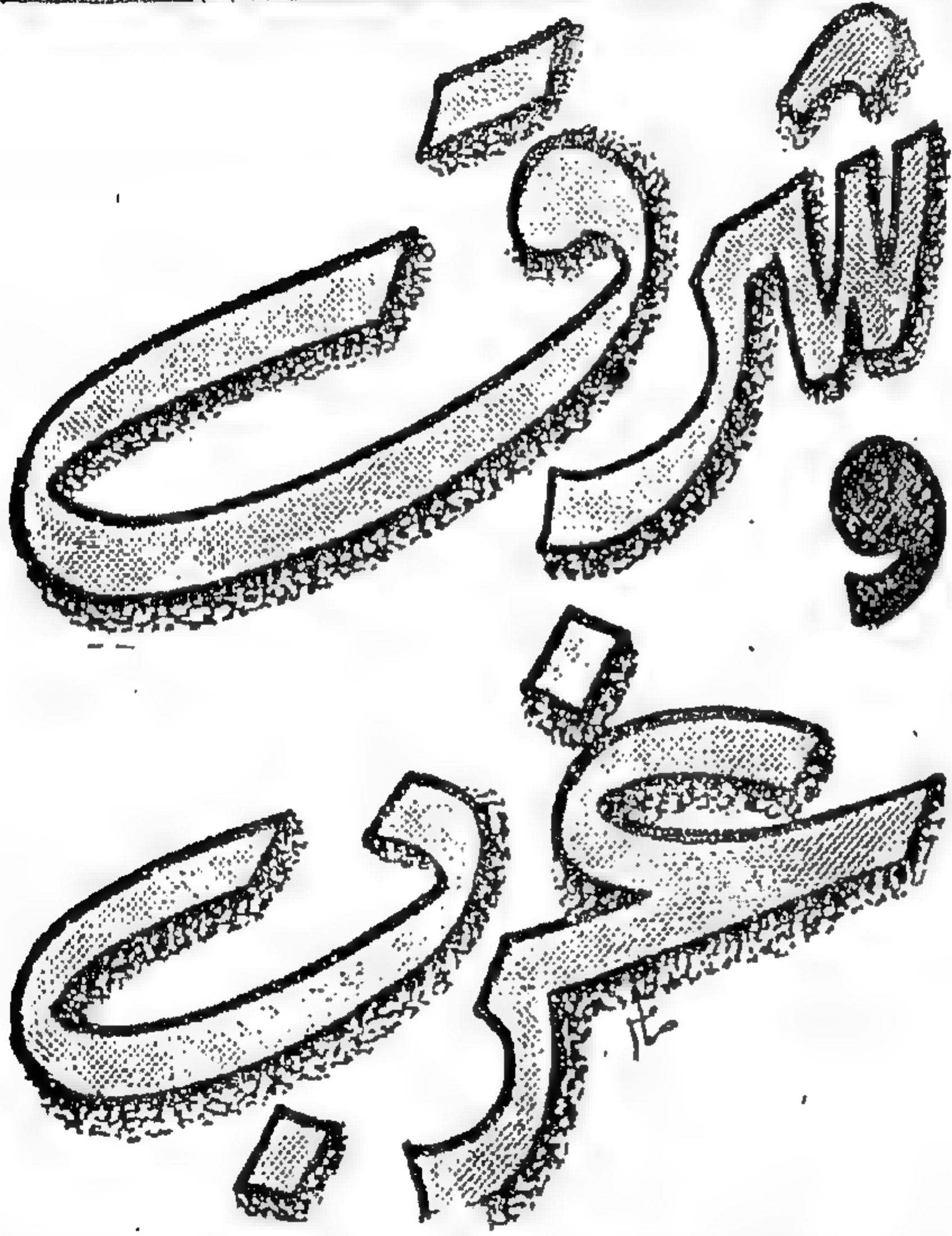
كانت هذه الدورة لمؤتمر
المستشرقين ، اول دورة له تعقد
في بلد شرقي .
تجربة اولى ، واجهتها الهند ،
لتحتل عليها الباهظ ومسئوليتها
الصعبة . .

والمؤتمر قديم وعريق ، يحمل
تاريخه تجارب خمس وعشرين
دورة سابقة ، تنقل فيها بين
عواصم أوروبا ، واغنت رصيده
خبرات وجهود ، لدول تتنافس
على المراكز القيادية ، في عالم
اليوم .

وبهذا الرصيد اتجه المؤتمر
الى الهند وهو يرقب مصير
التجربة بحساسية بالغة ،
واستعداد يقظ لانتقاط اخفى
الماخذ ، وتسجيل أبسط الاخطاء .

ولذهب ممثلو الدول التسع والاربعين
ومعهم مائة واربعه واربعون مائتا
موفدين من شتى هينات الثقافة ومراكز
الاعلام ، ومن هؤلاء كثرة غالبة ، تهرست
بالمؤتمرات الدولية ، وشهدت دورات
سابقة لمؤتمر المستشرقين في دول غربية
عظيمة . .

١ في مؤتمر المشرقين



يقام
الكتابة بنت الساطي

عام ١٩٥٧ ، كانت
الدورة الرابعة
والعشرون لمؤتمر
المشرقين في ميونيخ .
والتفينا في بهو
الجامعة ، جما عجيبا
تختلف الالوان والازياء ،
متفاوت السمات
والملاح ، متعدد
الالسن واللهجات . .
يومها تنبهت لأول مرة ،
الى ان المؤتمر عقد كل
دوراته السابقة في
بلاد اوروبية .
مرة واحدة ، عقد
دورته في تركيا ، وتركيا
قد انسلخت من الشرق
وازدهاها الانتماء الى
اوروبا . .

وخطر لي ان اسال لجنة تنظيم
المؤتمر ، ان نفس مابدا لي من شذوذ
الموقف : لماختصاص المؤتمر بالدراسات
الشرقية ، يجعل الشرق هو المكان الطبيعي
لانعقاده . كما ان الصلة العلية
لمثل هذا المؤتمر الدولي العريق ، جذيرة
بان تعصبه من جموح التعصب لغرب
على شرق .

وقيل لي ببساطة :

ليس الامر كما تتصورين ، ففهوم
الاستشراق هو تخصص علماء قريين
في الدراسات الشرقية على اختلاف
فروعها ، وفكرة انعقاده ، اتجهت املا
الى اجتماع هؤلاء المشرقين لتبادل

وماذا كان في استطاعته ان يقول ؟
ان اى دولة لا يضرها اطلاقا ، ان
تدعو عالما متخصصا في شعبة ما من
شعب المؤتمر ، ليرأس اللجنة الخاصة
بهذه الشعبة ..

وبولية المؤتمر ترتفع به عن هذه
النظرة المحدودة ، الى الافق الرحب
الذى تتأزر فيه جهود العلماء عيسى
اختلاف اقطارهم واجناسهم ، لخدمة
البحث العلمى الذى تتماهى فيه هذه
الفوارق ..

والهند قد ضربت المثل الصالح ، على
التسامى بالمؤتمر الى افقها العالى بمحى
دعت علماء غير هنود ، ليرأسوا لجان
مؤتمر يعقد في ارضها ..

دون ان تجد في هذا المسلك ، ما يحى
قدر رجالها او يجرح سمعتها العلمية
ولقد كان رئيس دورة موسكو ، يباهى
بان رؤساء اللجان العشر للمؤتمر من
الوند السوفيتيين ..

وارى « الهند » قدمت بمسلكها درساً
جديراً بشرفنا العربى ، وشهادة بمدى
ما بلغته من سعة الافق ونضج الشخصية
وعنى للمسئولية بحسبها من غرور الادعاء
وسذاجة التعصب ، وبؤكد اصالة الروح
العلمية فيها ، ميراً عتيداً راسخاً تلقته
من ماضى تاريخها الحضارى ..

والراى فى الجديد من بحوث الاستشراق
لمكان من الطبيعى ان يعتقد بى اى بلد
اوروبى ، له نشاط فى هذا الميدان ،
دون الغفلة من أهمية اشتراك علماء
الشرق بين لهم تخصص فى الدراسات
التي نهم المستشرقين ..

قلت بطراحة :
ذلك لا ينلنى شذوذ الوضع ، بل لعله
يؤكد : ان يجعلنا نحن الشرقيين الاصلاء
الشبه بضيوف مدعوين ، كما انه لا يجيب
عن السؤال : مادامت اعمال المؤتمر
خاصة بالشرق فلماذا لا يجتمع المستشرقون
في بلد شرقي ؟

وكان الجواب :
وجها الدموة الى مقصده فى بلدكم
ان شئتم ، وان نتردد فى مرضها على
اعضاء المؤتمر ، فى جليته العلية بعد
يكون ..
واسرعت الى الزملاء المصريين - وكان
يعتدق سبعة اعضاء - اساورهم فى

ولم تشترك الصين الشعبية فى المؤتمر
ولم تشترك فيه باكستان ..



وفى هذه الدورة ، تقرر عقد الدورة
التالية بعد ثلاث سنوات ، فى الولايات
المتحدة الامريكية ..

دون ان تقحم السياسة بانارة احتمال
هدم اشتراك الدول العربية فيه مثلاً
او فرنسا او الصين الشعبية او الاتحاد
السوفييتى ! !

والجو السياسى مشحون بنذر مرهصة
يمثل هذا الاحتمال ! ..

فلماذا ساغ اتحام اسرائيل فى جو
المؤتمر ، وليست القضية بينها وبين
العرب قضية سياسية ، بقدر ما هى
قضية ارض عربية مفتحة بالتأمر والغدر
الجواب عند من حلوا اثم هذا
الاتحام ، بتأثرين بخدمة مكتسوة ،
وبمحسورين فى افق ضيق ، لا يتدر التوبة
ولا يصيب حساباً لما وراء هذا الاتحام
من دلالات وعواقب خطيرة ..

وعلى كل حال ، لم يكن غياب الصين
وباكستان من المؤتمر مفاجأة لى ، لقد
توقعت - كما قلت - ان يحدث مثل
هذا فى اى مؤتمر دولى يعقد باى بلد
من بلاد الدنيا ..

لكن الذى لم اتوقعه ، ان أجسد بين
رؤساء اللجان العشر للمؤتمر ، علماء
من غير الهنود ، ولم اكن نسيت كلمة
« غفوروف » :

قسم الدراسات المصرية ، يرأسه
استاذنا « الدكتور عبد المنعم ابو بكر »
قسم الدراسات الاسلامية يرأسه
« الاستاذ ولخريد سميت » ..

قسم دراسات جنوب آسيا ، يرأسه
« الدكتور فولكنشتاين » ..
قسم الدراسات الايرانية ، يرأسه
« الاستاذ بور داوود » ..

قسم دراسات جنوب آسيا يرأسه
« الاستاذ زوينبولر » ..
قسم الدراسات الافريقية ، يرأسه
« الاستاذ بيتشى » ..

ولما سألت « غفوروف » عن رايه فى
هذا بعد ان قال فينا مآثال ، راغ من
الجواب : !

التاريخ : ٢١ / ٢ / ١٩٦٤

(٢)

بمصر ، ففوجئت باننا لانملك حق توجيهه عليه دعوات من : مصر ، والعراق ،
امثل هذه الدعوة ، دون تفويض من الدولة والهند ، وامريكا ..
والمستشاراتها على طريق مسافرتنا في ووقف مندوب العراق ، فاعلن نفاذه
عن دعوته تايبدا لمصر ، في بغداد والقاهرة
واليوهان الباتيان ، لومعه الجلسة سواء ..
العامة ، لا يمكن الاتصال بين ، ثم اتصال
بوتن بالقاهرة .
وعرضت على استاذنا الجليل
« السيد حسن حسني » في « الوهاب » ان
يذهب المؤتمر الى عقد دورته التالية في
تونس ، ونحن نؤيد بكل طاقنا
لكن موقفه كان مماثلا لموقفنا
وفاقت الفرصة
وقرر المؤتمر قبول دعوة الوفد
السوفيتي ، للاعتماد في موسكو .

وفي موسكو ، عام ١٩٦٠ ، تكررت
المحاولة ..
بادر الاعضاء المبريون اثر وصولهم
فاتصلوا بالسيد سفيرنا هناك ، واقتنع
بإيادته بالفكرة فكتب الى القاهرة يستأذن
في توجيه الدعوة .
ومضت فترة انتظار ، لم يستطع
اعضاء وفدنا خلالها ، ان يبدلوا جهدا
لكسب التأييد الدعوة لم تتقرر بعد ،
وكل ما استطاعوه هو ان يدعوا الى
عقد المؤتمر في بلد شرقي .
ثم لما تلقوا الاذن بتوجيه الدعوة
في عقد المؤتمر بالقاهرة ، كانت الفرصة
هذه المرة ايضا ، قد افلتت ..
فانثناء فترة الانتظار ، كان بنسور
اسرائيل هناك ، يقصون سياستهم على
المؤتمر ويحذرون من عقده في اي بلد
عربي لكيلا يحال دون اشتراك اسرائيل
فيه .

وفي الجلسة العامة للمؤتمر ، عرضت

واخذت الاسماء على الدعوة الموجهة
من مصر والهند ، فالتفت الهند بالافلبية
وبقدر بالاقبض الاعضاء العرب بنجاح
دعوتهم الى عقد المؤتمر في بلد شرقي ..
وبقدر ما قبلوا كسب الهند للدورة
بشعور الرضى والارتياح ، تقديرا
لمراقة تاريخها واسمالة شرقيتها ،
واستجابة عاطفية لما يربطنا بها من
ود متبادل وصلات مادية ومعنوية على
مسار التاريخ ..
اقول : بقدر ما تلقى العرب هذه
النتيجة بنبطة وارتياح ، فاساقوا
بالتبرير الغريب الذي قدمه « غنوروف »
كما انكروا اتحام السياسة على مؤتمر
على ، فاثرا بالدعاية الاسرائيلية :

وغاب عن المؤتمر وهو يؤخذ بهذه
الخدعة ان وضعها مماثلا قد حدث ويحدث
ان يحدث في اي مؤتمر دولي يعقد في
اي مكان من الدنيا ..
ومؤتمر المشرقين ، عقد في تركيا
عام ١٩٥٤ ولم تشارك فيه مصر لاعتبار
سياسي .
وعقد في ميونخ بالمانيا الغربية عام
١٩٥٧ ولم تشارك فيه ألمانيا الشرقية
لاعضارات سياسية كذلك ..
ولم تتطال هذه الدورة او تلك ، ولا
لنعت ثغرة في كيانه ، فبب منها ربح
السياسة .
وحين تقرر عقده في الهند ، لم يواجه
القرار باحتيال عدم اشتراك الصين
فيه ، ولها من مجدها التاريخي ، والامالة
في موضوع المؤتمر ، ما ليس لاسرائيل .
وهو ما حدث فعلا ..

ذهبت الى الهند ، وقد استنفنا فرحة
اللقاء بشعبها المندوب وزيارتنا للبلد
العربي الذي اهدى الانسانية تراثه
الفكري والروحي من قديم الزمان ،
انصرفت هذه القوحة بمطويتها من لكرتي
الموقف في الدورة الماضية ..
لكن واقع الاحداث ، ذكرنا بها حاولنا
ان ننساه ..
التن الجبع في قصر المؤتمر ببيودلهن
بخطط الالوان والازياء متفاوت المايح
والسبات ، يتعدد اللغات واللهجات ..
الف وبضخ مئات من الاعضاء ، ولدوا
من شتى انحاء الدنيا ، يمثلون شعا
واربعين دولة شرقية وغربية ، عريقة
ومحدثة ..

(٢)

ذهبوا بعبود، مفتوحة، وحسن تقدي
مؤلف، يسيطر عليهم جو النطلع والفرق
وكانهم مدعوون لشهد امتحان مثير، غلبة وتكرير
يؤديه هذا الشرق امام الغرب . وكان هذا الاستعداد وحده، كفيلا
على مرأى ومسمع من ذلك الجمع بان يبعث الطمانينة الى نفوسنا، نحن
الحاشد، لتنازع المراده عاطفتنا الذين نواجه مع الهند، تجربة الامتحان .
مختلفان :
الشرقيون منهم يواجهون التجربة
بوجدان مشترك، يخفق بلهفة الرجاء،
ويتوهج بصرارة التجارب . . .
والغربيون يغلبهم شعور من الزهو،
توازي خلق قنصاع من المداراة وبرود
اللامبالاة .
وبدوا كأنهم جميعا يقومون بدور
المراقبين . . .
وبدونا كأننا جميعا نؤدي الامتحان مع
الهند وان اختلفت وحدها العبد، واختيرت
لتمثل الشرق كله في الموقف الصعب .
وكانت قد استعدت له منذ وقت طويل
ففي منتصف عام ١٩٦٣، قبل انعقاد
المؤتمر بعام ونصف عام، كانت لجنة
التنظيم قد افتت و بدأت تعمل، عن وجودها
على المستوى العالي، بتوجيه الدعوات
الى الهيئات والاشخاص الذين رأت
اشتراكهم في المؤتمر . . .
ومن ذلك الوثق، تضمنت نشرات
اللجنة بنيت بالجهد المبذول استعدادا
للمؤتمر . . .
وقبل ان يحل موعده بنصف عام،
كان كل مدعو منا قد حدد القسم الذي
اختره، وعين البحث الذي يمهده،
وعرف اسم عضو لجنة التنظيم، المشرف
على كتابات القسم .
وحدد منتصف شهر اكتوبر الماضي،
آخر موعد لفتى خلاصات البحوث المدة
للمؤتمر . . .
وفي شهر نوفمبر، كان البرنامج
العام قد وزع على الاعضاء في شتى
انحاء الارض، عرفنا ببيان دقيق عن
القنادق ومستوياتها واسماها، ولائحة
الجوارك الهندية، واسمار المجلات
المخططة في التبادل الرسمي، وجوالهند
في فترة انعقاد المؤتمر، سواء في
بقره بنيودلهي، او في المناطق السياحية
بالشمال والجنوب، ان ينوي القيام
بجولة فيها .

ومع البيان بطاقتان بضمها مضمو
المؤتمر على حقائبه، ليكون بها موضع
غلبة وتكرير
وكان هذا الاستعداد وحده، كفيلا
بان يبعث الطمانينة الى نفوسنا، نحن
الذين نواجه مع الهند، تجربة الامتحان .
مختلفان :
الشرقيون منهم يواجهون التجربة
بوجدان مشترك، يخفق بلهفة الرجاء،
ويتوهج بصرارة التجارب . . .
والغربيون يغلبهم شعور من الزهو،
توازي خلق قنصاع من المداراة وبرود
اللامبالاة .
وبدوا كأنهم جميعا يقومون بدور
المراقبين . . .
وبدونا كأننا جميعا نؤدي الامتحان مع
الهند وان اختلفت وحدها العبد، واختيرت
لتمثل الشرق كله في الموقف الصعب .
وكانت قد استعدت له منذ وقت طويل
ففي منتصف عام ١٩٦٣، قبل انعقاد
المؤتمر بعام ونصف عام، كانت لجنة
التنظيم قد افتت و بدأت تعمل، عن وجودها
على المستوى العالي، بتوجيه الدعوات
الى الهيئات والاشخاص الذين رأت
اشتراكهم في المؤتمر . . .
ومن ذلك الوثق، تضمنت نشرات
اللجنة بنيت بالجهد المبذول استعدادا
للمؤتمر . . .
وقبل ان يحل موعده بنصف عام،
كان كل مدعو منا قد حدد القسم الذي
اختره، وعين البحث الذي يمهده،
وعرف اسم عضو لجنة التنظيم، المشرف
على كتابات القسم .
وحدد منتصف شهر اكتوبر الماضي،
آخر موعد لفتى خلاصات البحوث المدة
للمؤتمر . . .
وفي شهر نوفمبر، كان البرنامج
العام قد وزع على الاعضاء في شتى
انحاء الارض، عرفنا ببيان دقيق عن
القنادق ومستوياتها واسماها، ولائحة
الجوارك الهندية، واسمار المجلات
المخططة في التبادل الرسمي، وجوالهند
في فترة انعقاد المؤتمر، سواء في
بقره بنيودلهي، او في المناطق السياحية
بالشمال والجنوب، ان ينوي القيام
بجولة فيها .

ففي السهو الكبير، امكن منظمة لخدمة
الاعضاء بوزعين حسب ارقام عضويتهم
محيث يعرف كل عضو اين يجد ما يمل
اليه من بريد ودعوات ومطبوعات،
والنشرات الدورية للمؤتمر
وبغض السهو، من الامام، الى التاعة
الكبرى الرئيسية، ومن الجانبين الى
مكاتب البريد والبرق والتلفون، والمصرف
وقاعات الاستراحة، والمكاتب المخصصة
لرؤساء اللجان، وسكرتارية المؤتمر .
وفي الدور الارضي، قاعة للطعام
تتسع لكل هذا الجمع، ويقوم بالخدمة
فيها جهاز مدرب على اعلى مستوى .
اما الدور العلوي فمخصص لمعارض
السكب، والمخطوطات، والانربيات،
والحف الفنية، ونماذج مختارة للصناعات
الهندية .
وهنا هناك، ينتشر الادلاء والتراجية .
يحلون على مدورهم شارة مميزة،
ويؤدون عملهم بروح عالية بقطعة فنية .
ونهم سيدات وانسات، في ربهن
القوى، يفتين على المؤتمر جو الشرق
الاميل، بكل سحره وسره . . .
وعلمت ان هذا الجهاز الاداري كله
جهاز دائم . . . اعني ان الفراده يعملون
في قصر المؤتمرات بصفة مستمرة،
على استعداد مفصل لاستقبال الوفود
لاي مؤتمر يعقد في نيودلهي .

البشرية من مختلف الاجناس وعلى نقاب
المصور ، وتقدو قرأنا انسانيا مشتركا
وحيث نلتقى الروايد ، من شتى
المناطق ، نصب في النبع الكبير خلاصة
تجارب الشعوب المربكة في الحضارة
والجديدة الحديثة .

وكان « الدكتور رادا كريشنان » في
محاضرته ، فيلسوفا معلما ، وشاعرا
ملهما : تجلى فكرته في نبض من نور
الايمان بانسانية البشر وكل البشر وتضاليله
رؤى باهرة ، لمالم جديد تنبأ فيه
الفروق بين الاجناس ليرتل لبنا نشيد
الانسان في بلد الخشوع والجلال :

تقابلوا معاً وتكلموا معاً
ولم يفلحوا في التلقى
في ظاهم وقربى ..
ولسكن الفكركم وعواطفكم واماني
قلوبكم

ناجعة من فحش الانسان
ومتجهة الى الخمر العام
وعلى الطريق ، سبروا معنا
نحو وحدة البشر ..

وفي نشوة الانفعال بالنشيد المؤثر ،
توجهنا الى القصر الجمهوري ، حيث كان
في استقبالنا السيد « الاسفاد ذاكر حسين
نائب رئيس الجمهورية » ليتدارس معنا
قضايا الاستشراف ثم يودعنا على موعد
لللقاء ، في بيته ، وفي دار شاعرنا بالهند
لكي نتحدث معاً موضوع الفكر الاسلامي
المعاصر ، وماذا يستطيع ان يقدمه الى
الانسانية من مثل اسلامية علنا ، في
العدل الاجتماعي والاخوة البشرية .

وعدنا الى قصر المؤتمر ، لنتلقى
في جلسة المساء بالرئيس نهرو .. وكانت
الانباء عن حالته الصحية قد شغلتنا ،
فتوقعنا ان يمتدح .

دون ان يترك الامر للقوى الارتجال
وحيرة البحث عن مزاجين واداء وموظفين
يلتقطون من هنا وهناك ، بصفة عارضة
مؤقتة ، ويكلفون بالعمل الطارئ ، بلا
تدريب او اعداد ، ودون اختبار لدى
صلاحيتهم لاستقبال الوفود ، وكفايتهم
للهمة الخطيرة من حيث هم ممثلون لبلدهم
امناء على سمعتها ، سلوكهم وثقافتهم
وخبرتهم على المستوى الدولي ..
نلك كانت الجولة الاولى ..

وقفت حبالها اسرجع ذكرى مؤتمرات
لنا ، تمقد في اماكن مستعمارة وتقم
على الجامعات او دور الهيئات الثقافية
او قاعات المجالس المحلية ..

ويندب لها موظفون - معارون كذلك -
من شتى الدواوين ، ويجمعون جعما لما
لقضاء المهمة الطارئة على اي وجه كان

وتسامت الجولات ، واحدة في اثر
اخرى ، والهند تواجهها بكل مافي طاقاتها
من جهد بهيئ باذل ، من ادراك حقيق
لاهمية الموقف ، ووعي كامل لمسؤوليته ..

وامبحنا يوم افتتاح المؤتمر ، وكان
المقرر ان يفتحه رئيس الجمهورية
(الدكتور رادا كريشنان)

وتوقعنا ان تكون كلمته ، مجرد تمهية
رمزية تقليدية ، يرحب فيها بضيوف
الهند ، ويرجو لهم النجاح وطيب المقام
وقدرونا لكلمته خمس دقائق ..

لكن الرئيس اشترك في المؤتمر ببحث
خصص ، القاء نائب عنه واستغرق
ساعة كاملة ..

بحث في التاريخ الحضاري والروحي
للهند ، وميراثها منه عبر آلاف من السنين
تفاعل خلالها مع باطرا على الهند من
حضارات وافدة ..

مطلأ بنا ، في محاضرته ، على الافق
الانساني الرهب ، احيث نلتقى جهود

التاريخ : ٦ / ٣ / ١٩٦٤

(٤)

لكنه اصبر على لقائنا ليحاضرنا في
الاحداث الكبرى التي تشغل عالم اليوم
ويبيب بالعلماء ان يجاهدوا لانتقاذ لهذا
العالم بها يكابده من حدة التوتر ، وما
يجهده من قلق ، وما يروعه من ماضي
الفرقة العنصرية والصراع الداس بين
المذاهب والمقائيد ..

ونسى كل شيء ، الا ان يحبل نصيبه
من المعبى الذي اضطلمت به الهند
لبنجج المؤتمر ..

نسى صحته وشواغله ، وجاء يعلن
دعاء السلام ، وينبسط بالعلماء رجاء كبيرا
في تحرير البشرية من شر الاثرتوالتمتصت
والخلف ، ونكبة شنتضير العلم للتفريب
والنسي ..

وقد انفض المؤتمر
واقصى ماوصل اليه من نجاح ، ان
بذل جهد المحاولة في حدود طاقته ..
دون ان يبلغ بها المدى المرجو من
تجرد

ولا ابرى نفسي من قصور
فقد اعياني في الواقع ، ان انسى
انتمائي الى الشرق

ومعذرة الى الدكتور رادا كريشنان
والاستاذ ذاكر حسين والرئيس نهرو

فما لالت حتى اليوم اكتب ما اكتب
عن المؤتمر فاقبول : شرق وغرب ،
ونحن .. وهم .

نسى صحته وشواغله ، وجاء يعلن
دعاء السلام ، وينبسط بالعلماء رجاء كبيرا
في تحرير البشرية من شر الاثرتوالتمتصت
والخلف ، ونكبة شنتضير العلم للتفريب
والنسي ..

وانعكس الوضع :
فلم يعد الشرق يؤدي امتحانا امام
هذا المؤتمر للمبتشرقين ، وانما صار
المؤتمر نفسه موضع امتحان ..

٤ في مؤتمر الدراسات الإسلامية

بعض ما قالوا هناك !

قلت ان تجربة انعقاد المؤتمر للمرة الاولى في بلد شرقي ، قد واجهتها الهند بأقصى ما في طاقتها من جهد سخى باذل ، عن ادراك عميق لاهمية الموقف ، ووعي كامل لمسئولياته .
دون ان اعني - من قريب او بعيد - ان نجاح الدورة من حيث دقة التنظيم وكفاية الاستعداد ، يدخل فيه الحكم بنجاحه من الوجهة العلمية الموضوعية .
فلهذا حديث آخر ...

احاول اليوم ان اعرض لجانب منه ، في نطاق قسم الدراسات الاسلامية الذي اشتركت فيه وشهدت جلساته ، واصفيت الى ما ألقى فيه من كلمات .
راجية مع هذا ، الا يؤخذ حديثي عنه مأخذ التعميم ، وهو لا يعدو ان يكون قسما واحدا من اقسام عشرة للمؤتمر ، لا علم لي بما جرى فيها .

٥ العلم الركيزة بنت السامعي

سجلت قائمة البحوث المقدمة الى قسم الدراسات الاسلامية ، خمسة وتسعين بحثا. وهو اعلى رقم في الاقسام كلها ، باستثناء قسم الدراسات الهندية. ولم ندر في الواقع ، كيف يمكن ان تتسع جلسات عمل ، لعرض خلاصات لخمسة وتسعين بحثا ، مهما تبلغ من تركيز وإيجاز ..

حتى أعلن رئيس لجنة القسم ، المشرق الأمريكي الأستاذ « ويلفريد سبيث » في منتح الجلسة الاولى ، انه لا يجد حيلة امام ضخامة عدد البحوث وضيق الوقت ، الا ان يحدد لكل منا ربع ساعة فقط ، لالقاء خلاصة كلبته ، والمناقشة فيها .
وكان سؤال :

— ماذا لو استنفد المتحدث ، ربع الساعة كله ، في القاء كلبته ؟
واجاب « سبيث » ببساطة :
— اذن لا تكون مناقشة !

(٢)

وقد قرأت ورقته عن فواتح السور ، في
نشرة الاسفراحة التي اخذناها قبل ان
يلقى كلمته ..

وكل ما فيها ، بلدية تقول ان القرآن
يستهل (١١) بحروف « الم » ثم تتابع
سور عددها ٢٩ (١١) بأبجدة هذه
الحروف الاربعة التي اعيا القدامى ان
يلقبوها ، حتى احدى الدكور هاشم الى
حل لهذه المشكلة التي لبثت اربعة عشر
قرنا بغير حل .

ثم تقدم الورقة الحبل فقرة واحدة
تقول ان هذه الفواتح الغامضة جاءت
بملوة سياقي المخاطب في كل السور ولا
استثناء (١١) ومن ثم يمكن فهمها على انها
نداء للنبي ، بحيث لو وضعنا « يا محمد
Muhammed » مكان كل هذه

الفواتح ، لانجلي المواقف وحلت المشكلة .
ويستلزم الدكور هاشم في ورقته
قائلا : ان هذه الفواتح تشترك في ظواهر
معها انها جميعا بلا استثناء في سياق
المخاطب (واثباتها جميعا لا تؤثر على معنى
النص فيها بل فيها ، وان خبسا وعشرين
سورة من السور التسع والمشرين المفتحة
بهذه الحروف الغامضة ، نزلت في العهد
الملكى المتأخر حين كان النبي منبورا
(Ostracised) من قومه ، ول حاجة
شديدة الى التأييد .

واضاف : انه لاجابة بنا الى الوثوق
بندالدلالة الاصليه لهذه الحروف ، مادامت
لا تؤثر على فهمنا لمعانيها ، باحلال
(يا محمد) مكانها ، ولا تعطى اى منزى
آخر وراء ذلك ، والنبي لم يكشف
لاصحابه عن ظها ، ربما عن تواضع .
وبلى ذلك ، ترجمة لآيات الاربعة الاولى
من سورة البقرة ، يستهل هكذا :

1. O MUHAMMED :
2. THAT WHICH HAS
BEEN RECORDED,
THERE IS NO FLAW
THEREIN: GUIDANCE
FOR RIGHTEOUS
3. THOSE WHO BELIEVE
IMPLICITLY - ATTENT -
TO THEIR DUTIES,

ذلك وحده يعطى فكرة با ، عن مستوى
انجاح المؤتمر اذا قدرنا ما للبيانسة من
اهمية حيوية وخطر بالغ ..

وقد رنا بعد ، بالابد ان يكون من تفاوت
المستوى بين البحوث ، وما هي مشكلة
النعرض له من خطأ او قصور او انحراف
في مجال دقيق حساس ، كالدراسات
الاسلامية ..

وادخل في صميم الموضوع ، لاعطى
توسى مثلا لما قالوا هناك ..

مركزة اهتمامي - هذه المرة - حول
موضوع واحد من ذلك الحشد الكائن الذي
تقدم اليها ..

سلانه خاص بالقرآن الكريم - بحجزة
الاسلام الخالدة ، وكتاب العربية الاكبر -
ولانه كذلك مما يتصل بتخصصي في
دراسة النص القرآني ..

وغذيان الموضوع ، فواتح السور .
او بمباراة صاحبه « الدكور هاشم امير
على » :

The Mysterious Letters of the Quran

وقد وزع علينا قبل الجلسة ، مجموعة
من خمس ورقات بالانجليزية ، فلتنقدها
خلاصة للبحث ، لكنى لم اجد بينها غير
ورقة واحدة عن الموضوع ، والباقيات
اعلان عن ترجمة للقرآن بتلم الدكور
هاشم ، مع مقالات منقولة من نويظ
صحف ومجلات ، لهذه الترجمة في الهند
وانجلترا وامريكا .

والورقة المكتوبة من فواتح السور .
المنطع منها هاشم للتعريف بالدكور :
نقرا فيه انه نال درجة الدكتوراه من
جامعة كورنيل ، وحضر حلقة الدراسة
الاسلامية في برنستون عام ١٩٥٤ ، وهو
صاحب ترجمة القرآن التي نشرت في
نيودلهي ولندن ونيويورك بعنوان قرآن
الطالب :

(The Student's Quran)

وعميد معهد الدراسات الاسلامية العليا
للجمعية المالية الاسلامية في نيودلهي ..
وانها انقل كل هذا ، تصدا الى بيان
مركز البحوث ونوع ثقافته ، وبدي شبرته
واهتمام دور النشر به ، لكنى بمرفق توسى
ان ما يقوله بطله ، فتاح له فرصة الذبوع
والانتشار ..

الاول من سور المهد المكي ، بل منها
كذلك سورة القلم ، وانزلت في مكة
بعد سورة الدخان مباشرة ، اول سورة
نزل بها الوحي !!



واستحضرت ان كلمة "سالى" و"بهايات"
لناتشة الدكتور هانس عندنا تمام يمين
كلمته ، ولحسابي انها لن تستغرق خمس
دقائق ، لو قرأ على في ورقته المكتوبة ..
ولكنه امضى عشر دقائق ، بركى ترجمته
للقرآن ، ويحسب ما سبقتها من تراجم
بالانجليزية مؤكدا ان ترجمته لنفسها
جميعا . ثم نفذ الدقائق الباقية ،
في كلمة من فوائض السور ، لم يضل فيها
شيئا الى ما قرأته في ورقته منها ..
وهكذا لم يدع لنا دقيقة واحدة لناقشة
وانظرت حتى انتهت الجلسة ، انتصفت
له بالسؤال عما رآه من ان كل السور
ذات الفوائد ، موجهة في سياق الخطاب
لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فكانت
المفاجأة ان التمس حتى مخاضته بالانجليزية
لانه لا يعرف العربية ! وسأله في دهشة :
- وتقول انك جئت بأفضل ترجمة
للقرآن الكريم ، وانت لا تعرف العربية ؟
لتبسم ساحكا من تولى وهو يسأل :
- وهل القرآن للعرب وحدهم ؟

قلت :
- كلا بالتأكيد ، ولكن ان ترجمته دون
ان نفقه العربية ابر غريب وسير حقا !
فكان جوابه :
- فلنترجل هذه المناقشة ، الى ان
تظلم على الترجمة ، لارى ما اذا كنت
تكرين منها شيئا .
وقلت على الفور :
- قد فعلت ، انتشرت منها "كثير"
فسألني :
- بل ماذا ؟
واجبت :

واعدت رجعتها الى العربية ، بنفس
النسخ :

يا
هذا الذى سجل (وانزل)
ليس فيه ثقرة او صد
هدى للمسلمين
الذين يعدون بلا رب
وبرعون فروسهم .

ثم لم اسرح اليها ، حين قائلها على
النفس القرآني "كريم"
((الم . ذلك الكتاب لا ريب بيدى
المتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون
" ف "

ووثقت عند الدليل الواحد الذى
الدكتور هانس يوضح ان كل السور المدروسة
بالحروف النافضة . هي الايات التالية
المفاتيح بها - بلا - مخافة - في سياق
الخطاب (لمحمد) ثم استرجع ل
ذهني الايات الاولى من سور : العنكبوت ،
الروم ، لقمان ، ص ، طه ، الزخرف ،
الجاثية ، الاحقاف ، في ، يونس . حتى
انهار ذلك الدليل ، لان سياق الايات
النائب للشوايح في هذه السور ليس خطابا
للنبي صلى الله عليه وسلم على الاطلاق .

وما قاله عن نزول خمس
من ذات الفوائد ، في اواخر العهد المكي
والاربعة الباقيات مدني . - ينقض كذلك
من أساسه اذا ذكرنا ان عدد السور
المكية كلها في المصحف ، سبع وثمانون
سورة . فاذا اعتبرنا المتأخر منها ما بعد
السمين ، لم نجد في السور ذات الفوائد
غير اربع نقاط ، مما يمكن عدده من متأخر
السور المكية . وهذه الاربعة هي على
التحديد : ابراهيم ، والسجدة ، والروم ،
والعنكبوت .

اما باقى السور المكية المفتحة بحروف
مقطعة ، فمنها ، يقع ترتيب في

كما أحصى من سورة يونس ، مائتي كلمة
فيها حروف فاتحتها (الر) .
وان المحدثين كانوا اهدى حسا واقرب
الى روح النص وجو الاعجاز ، حين اطمأنوا
في هذه الفواتح ، الى أن القرآن الكريم
يفهم العرب بها شيئا لا عجز : فهو قد
صنع من مثل هذه الحروف المصباح البهاء
(الم ، الر ، حم ، كهيعص ، طسم ، الر ،
حم ، عسق) وهي الحروف التي يؤلف منها
العرب الكلمات ويصوغون العبارات ، فهم
يجحدون معجزة محمد ، وقد جاء بكتاب
مؤلف من هذه الحروف وامثالها مما هو
طوع السامع ، فاعياهم ان يأتوا بسورة
من مثله ؟ !

أجل ، مدت كلمة الدار هاشم ،
واعلمت مسجده ، ولعلها نشرت في الاثني
ولا عيلة لنا في الامر .



أريد . اقول .

ان المؤبر مثل هذا الوضع ، الذي
حشد في جلسات عشر خلاصات لخبيرة
وتسعين بحثا ، اصاع الكثر من جوهر
اهميه باعداد فرصة المناقشة التي
نحس ما يعرف من الفكر ، فلصحيح
منها ما تصحح ونضيف اليها ما تضيف ،
مما لدى بقية الدارسين المخصصين .
والا فليم كل هذا السناء الذي تنجسبه
ونكابه لكي نلتقي ، اذا صار الوضع
الى ان نجلس احبانا مستمعين لما يلقى
علينا ، دون ان نملك سؤالا ولا ردا ؟

مثل ترجمتك للكافرين بذوى الايمان
القليل : (With little Faith)
وترجمتك للاربيب فيه من آية البقرة . لا
صدع او لغرة فيه ، وترجمتك للذين
يؤمنون بالغيب ، بالذين يعتقدون بلاربيب
ولم يبد عليه . بنهني
ولم يبد لي ، ان المضي لي مناشسته
يجدى



وقد نتاح لي فرصة اخرى ، امرفس
فيها بيزيد تفصيل وبيان ، لتلك الترجمة
التي وتسمها الدكتور هاشم ، وانتشرت
على اوسع نطاق ، بنشرها في نيويورك
ولندن ونيويورك .

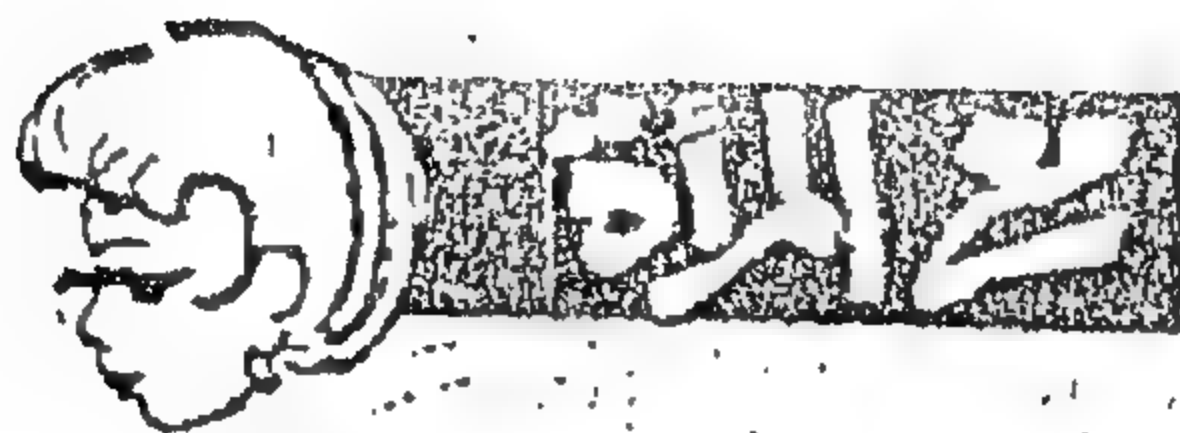
اما اليوم ، نحس ان يعرف توس
ماذا قيل في المؤتمر من نوانح السور ،
على مسمع من سبلى عشرات من الدول ،
شرقية وغربية .

ومر بلا مناقشة !

دون ان نتاح لثلث فرصة تعلن فيها :
ان هذا الباويل لفواتح السور غير منتج
ولا مقبول .

وان الاقدمين كانوا اسلم مذهبا حين
قالوا انها من المتشابه الذي لا يعلم تاريله
الا الله ، او انها كما قال الزركشي في
البرهان : « كل سورة بنيت بحرف من
الحروف المقطعة فان اكثر كلماتها وحروفها
مماثل له » ومثل لذلك ، باحصاء كلمات في
سورتى (ق ، ص) وزد عليها هذان الحرفان ؛

التاريخ : ١٤ / ٣ / ١٩٦٤



مات وقلعه الى جانبه : « بنت الشاطيء »

• منذ مرض الاستاذ الملقب « بنت الشاطيء » من مكنه في كل .
لم تكن الذميمة التي بين وبينه سوى خصوصية فكرية حرمت كل الدرس على
ان لا يتجاوز نطاقها الحدود فتسببنا هذا الكاتب الكبير الى حياتنا الفكرية
والادبية من ثمار دراساته ومطالعاته طوال حياته الخصبة العاملة .

ومات المقاد .
دون ان يكون موله . مفاجأة غير متوقعة لذلك هو المصير المحتوم لكل البشر .
لكن متى كانت هنية المرات تعلينا من الحزن على الراحلين منا ومن كانوا بيتنا
بلد الحياة ؟ .
والمقاد قد عاش عمره بله دنيانا . لمن الحزن حقا ان نتبثله وقد انطفا
لنه الحياة . وهو الذي ظل حتى ايامه الاخيرة يناضل في معركة الوجود بسلاحه
الذي لم يلقه قط : بقلبه الذي عاش به وله ا
وقد خاض بهذا اللطم ما خاض من مبارك . وكلما انتهت واحدة استأنف



بنت الشاطيء



مات

النضال في الحزب « بارادة » باردة . حتى
كانت معركة الاخيرة منع الموت الذي
لاخيب له ولا مفر منه .

ومات المقاد :

وقال له الى جانبه : كبا بروت الجندي

في الميدان .

مات وكتبه من حوله : ما الله منها

وما طالع ودرس ، وقد كانت كل انبياء .

وسيطي منه للتاريخ ما يفي .

وبرهه الله .

٥ في مؤتمر المستشرقين

الموضوع الذي شغلنا!

سئلت مرات ذات عدد ، عن أهم موضوع شغلنا في فترة انعقاد مؤتمر المستشرقين بالهند وأجيب ، في حدود ما أعرف .
هو موضوع القرآن الكريم وقضايا الفكر الاسلامي المعاصر
وقد يكون غيري من الزملاء ، أصحاب الدراسات الاسلامية ، شغلوا بموضوعات أخرى في ندواتهم الخاصة ومحاضراتهم الحرة ، لكني ما شهدت مجلساً خاصاً ، الا كان هذا الموضوع مدار حديثنا ومناط اهتمامنا :
المستشرقون يعنيهم ان يتتبعوا ما يظهر من جديد في مجال تفسير القرآن ، ليعرفوا منه كيف يفهم المسلمون اليوم كتاب دينهم .
والمسلمون ، من غير العرب ، يعنيهم ان يدركوا على وجه الدقة قيمة التراجم القرآنية التي يقرأون فيها كتاب الاسلام ، بغير لفظة التي نزل بها .

بسم الركنة بنت الساطع

بها فريتا من الاعضاء ، حول قضية
تصل بجمال شخصهم .
ومن هنا حرصت وأحرص ، على ان
أفيد ما أكتبه عن المؤتمر ، وما حوله ،
بحدود ما أعرف .

ولقد شاست الظروف ، ان يكون البحثان
المقدمات الى المؤتمر في الدراسات
القرآنية ، على طرفي نقيض .
اولها : من مشكلة التراجم اللغوي
في ضوء التفسير البياني للقرآن الكريم .

والموضوع بهذه الصورة ، لم يكن مع
ذلك من بين البحوث المقدمة الى المؤتمر
لكنه فرض علينا اهميته واستأثر بالقدر
الاكبر من تفكيرنا ومناقشتنا .

واذا كانت الموضوعات الرئيسية ، قد
شغلنا في الجلسات التي عرضت فيها ،
وتد خص كل موضوع منها ربع ساعة
على التحديد ، فقد بقي الوقت الحر
للقضايا الجديدة لم تكن تشغلنا قبل ان
نلتقي ..

وطبيعي ان تغفل هذه القضايا باختلاف
المشتغلين بالدراسات الاسلامية ..
وطبيعي كذلك ، ان تكون حلقات البحث
والدراسة في الوقت الحر ، بجذب كل

(٢)

القرآن . ثم نتاجاً بأنه لا يعرف العربية .
ويا ما أبعد ما بين المؤلفين !
يعينني - والعربية لغتي ، والنص
القرآني موضوع تخصصي - أن المسر
لفظاً منه بآخر من مادته ، أو بمرادف له
في معجم العربية ، لمارفص مثلاً أن المسر

حلف بالقسم !

ويكون على الدكتور هاشم ، أن يترجم
هذا النص إلى الإنجليزية ، ولا دراسة
له بلغة القرآن !

وموقفه ، في ظاهره ، لا يبدو شاذاً :
فليس الدكتور هاشم بأول من نقل
نصاً في لغة لا يعرفها بترجماً إلى لغة
يجيدها . وأكثر مالدنيا من نصوص غريبة
أو هروغليبية ، قد ترجم إلى العربية
من الفرنسية أو الإنجليزية ..

لكن الشذوذ بدأ في أوج حدثه فجاء
الذي عرفته من دراسة لموقف القرآن
من مشكلة الترادف اللغوي .

ومن هذا التناقض بين المؤلفين ، ظهرت
حاجتنا القصوى إلى فقه النص القرآني
قبل أن نترجم منه ما نترجم ، أو نناقش ما
نناقش من قضايا الفكر الاسلامي المعاصر ،
التي لا يمكن تحديد موقف الاسلام منها ،
بعزل عن كتابه الخالد ..

واتنصر اليوم على موضوع الترجمة
فأقول أننا لم نخلف على أن الترجمة لا
يمكن أن تكون إلا لمعاني القرآن .
كما لم نخلف على أي ترجمة لهذه
المعاني ، بها تلغ أعلى مستوى من
الدقة والصحة ، لا يمكن أن تجلو أسرار
اعجازه البياني الذي تحدى طاقة العرب
في عز أصالتهم وذروة اقتدارهم على فن
القول ..

أما الذي أهابنا حتماً ، أن يقوم بالترجمة
من لا يؤمنون عليها من غير المسلمين ، أو
من لا يفقهون نص القرآن من المسلمين !
وشغل بالنا ، أن التراجم القرآنية
العديدة التي نعملها ، ليس فيها ترجمة
لعربي مسلم !

فالمبدأ أن نوسع للمترجمين من مختلف
الملل والأجناس فكانوا أحد رجلين :

مسلم غير عربي ، مثل عبد الحكيم
وميرزا ، ومحمد علي ، وغلان سرور ،
وعبد الله علي ، وهاشم أمير ..

أو غير مسلم ولا عربي ، من أمثال :
الكساندر روس ، وجورج سيل ، ورووديل
وبالمر ، وريتشارد بل ، وأربري ..

ولم يظهر فيه ثالث ، ممن هم أولى به
واقدر على فهمه ، أعني المسلمين من
أصحاب العربية ، لغة القرآن !

وفيه أعلنت أن القرآن بحسب الخلاف
الذي طال واحتدم ، بين من قالوا أن
اللغة العربية تستعمل اللفظاً عدة للمعنى
الواحد ، وهم يحسبون هذا بيزة من
مزاياها ، وظاهرة ثراء في معجمها .

وبين من أنكروا هذا الترادف الذي
لا يسهل دلالات اللفظ ، ودعوا إلى أن
العربية تحدد للمعنى الواحد لفظاً واحداً
والتبعية الدقيق للالفاظ القرآنية في
سياقها ، يرفض الترادف ، حيث ترى اللفظ
يستعمل بدلالة محددة ، لا يمكن معها أن
يقوم لفظ بتمام آخر ، في المعنى الذي
تحشد له المعاجم وكتب التفسير ، عدداً
قل أو كثر من الالفاظ المتول بترادفها .

فالقرآن مثلاً يستعمل مادتي حلف والقسم
وهما بمعنى واحد . هند . جبهة المعجمين
والمفسرين ، لكن استقراء مواضع
استعمالها في القرآن كله ، يمنع هذا
الترادف ، لأن مادة حلف تأتي دائماً ، وبلا
استثناء ، في موضع الحنث باليمين !

والقرآن يستعمل لفظي رقية ، وحنق
مفرداً وجمعاً ، وهما مترادفان في المعاجم
على حين يفرق القرآن بينهما ، فلا يستعمل
الرقية (إطلاقاً بدلالتها الحسية المادية)
وأنما جاءت في دلالتها المعنوية المجازية
على الاسترقاق ، في « تحرير رقية » ، وفك
رقية ، وفي الرقاب »

والمعاجم تقول بترادف (النأي والبعد)
والقرآن يخص (النأي) بدلالة الاعراض
والصد ، ولا يستعمله إطلاقاً في البعد
المكاني الحسي !

ليس هذا فحسب ، بل أن القرآن يفرق
كذلك بين الصيغ المختلفة من أصل لغوي
واحد : من ذلك مثلاً ، أنه يستعمل ثني
في معنى الشروع والاختلاف ، أما اشتات
فإنما في معنى التفرق المقابل للنجيع ،
وكلمتا (النعيم والنعيم) المتول بترادفهما
ليستنا سواء في الاستعمال القرآني ، وإنما
تأتي النعمة مفرداً أو جمعاً ، في نعم الدنيا ،
يطرد ذلك في كل المواضع التي جاءت فيها
ومدها نحو ثلاثة وخمسين موضعاً ، أما
صيغة نعيم فتختص دائماً بنعيم الآخرة ،
يطرد ذلك أيضاً في كل الآيات التي ورد
فيها النعيم ومدها سبع عشرة آية .
وواضح من هذا ، أنني أذهب إلى رأي
في الإعجاز البياني ، يثنى علينا معه أن
نفس اللفظ القرآني بلفظ آخر ، ولو كانا
مترادفين لغة ، أو من مادة لغوية واحدة !

وفي الطرف المقابل ، وقف « الدكتور
هاشم أمير علي » ليلتي كلبته من نواتج
السور فأعلن فيبطته بأن قدم أفضل ترجمة

واقترعت على خيس مشيرة سورة من
جزء عم
ولا ذكر أئى قرأت أو سمعت من مقال
ظهر على ذلك الذى الطويل يتعرض
لاحدى هذه التراجم بنقد أو تقويم ، وكان
الامر لابتعل بنا ولا يميننا من تريب او
بعيد ا

وذكرنا فيما ذكرنا : ونحن ندارس هذه
القضية ان دينا تهتز لخطا في ترجمة
نص الجبران ، او تحريف لعبارة قالها
شكسبير ، وليس العهد بعيد ، من غصبة
نقاد الادب عندنا ، حين عرض مسرحنا
« تاجر البندقية » بنصها المترجم بقلم
« مطران » الذى اخطا في فهم عبارات من
النص ، فكانت خطيئة فنية لا تفتقر
ولا بعد عهدنا ، بما أنكر النقاد على
المنفلوطى من تصديده لترجمة قصص
فرنسية ، وهو لم يكن يعرف لغتها ا

لماذا لم يعننا ان نراجع التراجم
القرآنية ، غير على ديننا ، او أداء لحق
أخواننا المسلمين في افطار الدنيا ، ممن
لا يعرفون القرآن الا في هذه التراجم .
اقول : اذا لم يعننا شيء من هذا ،
فلنكن القضية فيها قضية النص الاكبر
في لغتنا ، نتصدى للدفاع عن حرمة ،
بفحص تراجمه التى قد تخطى فهمه
او تسيء توجيه عباراته او تحرف معانيه .
وليكن لنا من الحية والغيرة ، على امجد
نص للمربية في انقى اصالتها واروع بيانها ،
مثل ما لزملائنا المتخصصين في الاداب
الغربية ، يفضيئون للنص منها يمس في
الترجمة تشويه او تحريف ا

فهل كان احبنا - نحن العرب
المسلمين - لان فينا من راوا في محاولة
ترجمة معانى القرآن ، بدعة مستحدثة لم
نقل بها السلف الصالح ؟
او كان هذا الاحجام ، من تهيب
واشفاق من حمل الامانة الصعبة ؟

ان كانت الاولى بفالسلف الصالح لم
يكونوا في العصور الاسلامية الاولى ،
يواجهون حاجة الى ترجمة معانى القرآن .
اذ يقرر الواقع التاريخي ، ان الشعوب
غير العربية التى دخلت في الاسلام بعد
الفتوح الكبرى ، بادرت الى تعلم لغة
العرب ، كي تفقه كتاب الاسلام الذى
اوتقنه ديننا . . لكننا نواجه اليوم وضعا
شادا من مخلفات الاستعمار الذى سرق
لسان شعوب عربية مسلمة ، كي يعزلها
عن هويتها ودينها . وبمها شعوب
اسلامية اخرى ، السننها غير عربية ، وقد
لرض عليها الاستعمار لفته ، ذريمة قزو
فكرى ووجدانى ، فلا سبيل لها الى قراءة
القرآن الا مترجما الى اللغات الاوربية .
وان كانت الاخرى ، واحبنا عن ترجمة
معانى القرآن تهيبا واشفاقا من حمل امانتها
الصعبة ، نفهم كان مكنونا على ما ظهر
من التراجم القرآنية ، ولماذا لم نهتم
بمراجعتها وفحصها ، لنرى في أى صورة
نقل المترجمون كتاب ديننا ، الى من تقعد
عليهم قراءته في نصه الاصيل ؟

ان اقدم ترجمة قرآنية الى الانجليزية
هى فيما اعلم ترجمة « الكساندر روس »
التي نشرت عام ١٦٤٩ . واحداث ترجمة
لهائيم ابر على ، وقد نشرت عام ١٩٦١ ،

كيف فنشرك الكلمة الأولى للوحى ؟!

لا أريد أن أنهى حديثي عن مؤتمر المستشرقين في الهند دون أن أشير إلى ما أتاحت له لنا فرصة اللقاء هناك ، من اطلاع على جديد من تفسير القرآن باللغة الإنجليزية ، لم تكن فرأناه أو سمعنا به قبل هذه الرحلة .

ولقد عرضت في مقال الأسبوع الماضي ، لما شغلنا من امر الترجمات القرآنية المعقدة التي ظهرت ، وليست بينها أي ترجمة لعربي مسلم ، وإنما تركنا المجال كله لمن لا يؤمنون على هذه الترجمة من غير المسلمين ، أولئك لا يفقهون نص القرآن ، من أخوان لنا في الدين ، لا يعرفون العربية ..

والامر في التفسير ادق من هذا وخطر ، لأنه يحتكم في توجيه النص القرآني ، ويقدم الى مئات الملايين من المسلمين غير العرب ، تأويل كتاب دينهم ، ويحدد فهمهم له ..

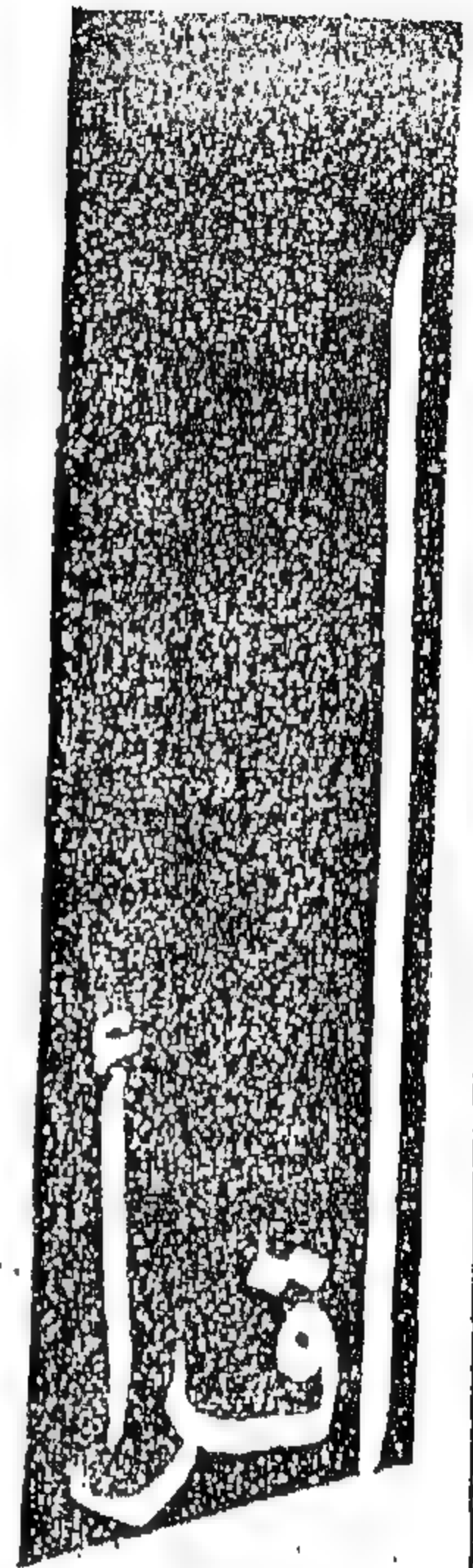
ولكن الامر اقتصر على الترجمة وحدها ، لوسع كل قارىء لها ان يفهم من النص ما تسمح به طاقته ومستواه . وخطؤه في الفهم مقصور عليه لا يتجاوز الى سواء . أما خطأ المفسر فيفسم وينتشر ، ويؤثر في اجيال من القراء ممن يطالعون هذا التفسير ، ويفهمون به او يحكمون ، على كتاب الاسلام ..

الشيخ الدكتور عبد الشاطي

وما امره اليوم ، نموذج من احدث تفسير ظهر باللغة الانجليزية .

ومصاحب هذا التفسير ، هو الدكتور هاشم امير على ، الذي قدمته الى القراء في مقال سابق ، واثرت الى تصديده لترجمة خمس عشرة سورة من (جزء مهم) دون ان يكون له علم بالعربية ..

وقد ارفق الترجمة بتفسير موسع ، وتاب نشر الترجمة والتفسير معاً ، عام ١٩٦١ ، « دار النشر الاسيوية » بفرومها الستة ، في : بومباي وكلكتا ونوبولهي ومدراس ، ولندن ، ونوبورك ..



(٢)

صوتك كبري ، واخبر شعبى بنعمتهم ،
وبيت بعقوب بخطاياهم »

فيما من تمرنون العربية :
هل فيكم من يجد أدنى شبه بين عبارة
المهد القديم ، وبين الآية القرآنية :
« اقرأ باسم ربك الذى خلق » ؟
أو هل فيكم من يدلنى على أى وجه
للتفسير بها فى سفر اشعيا لآية العلق ؟
ناذا سألتهم : وماذا بعد هذا الربط بين
محمد واشعيا ؟ أجبت :

بعده ان الدكتور هاشم استطرد يتحدث
عما كان يشغل محبدا ، لسنوات قبل
المبعث - من تفكير فى حال قومه ، وما
كان يحضر فى ذهنه دائما من قصص قدامى
الرسول ، للعرب واليهود . والمسيحيين ،
وكيف جذبوا اتباعهم من الضلال ، نهل
يتندر له ان يفعل مثل ذلك ، وبسلك فى
صف أولئك الرسل .

أو بنص عبارة الدكتور :

(Ever present in his mind,
the Stories of the old Prophets
among the Arabs, the Jews and
the Christians)

ومن هنا ينجلي وجه الربط بين أول الأصحاح
الثامن والخمسين من سفر اشعيا ،
والآية الأولى من التران الكريم .

ولا احد منا يتكر تطلع محمد صلى الله
عليه وسلم قبل المبعث ، الى هداية قومه
من ضلال ونبذهم . . .

أو يجحد ما نص عليه التران الكريم ،
من أنه جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة
والانجيل ، لكن ليس على هذا النحو من
شطط التأويل واعتساف الملاحظ وتحيل

ولا ينتظر منى القراء ان اعرض هنا لكل
ما جاء فى هذا التفسير ، فأدعى ما يحتله
المجال ، ان أقت عند كلمة واحدة به
لحسب ، هى أول مانسره الدكتور هاشم
فى كتابه الذى يبدأ بسورة العلق .
وهى أيضا ، أول ما نزل من الوحي
أقرا

ونص الآية فى القرآن :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق »

ترجمها الدكتور بلفظ : (Call) فعل

أمر من النداء ، وبمثل هذا أيضا ترجم
الكلمة فى آية : « اقرأ وربك الاكرم » .
ثم لما مضى يفسر الكلمة ، قال ما ترجمته :
« أن فعل الأمر اقرا ، يجانس من قرب ،
الكلمة الانجليزية : Cry - أمر

بالصياح - وهى هنا كأنها قرع الطبل ،
وتحبل أيضا معانى الأمر : بالدعاء والاعلان
والاشهار ، والاعلام والتعليم ، والتبشير
وعجبت كيف لم يجد المفسر وهو يسوق
كل هذا الحشد من التأويلات لكلمة اقرا
مكانا لما يقابلها بالانجليزية Read وهى

أول ما يخطر بالبال فى ترجمة اقرا

غير أن عجبى زال ، حين مضيت اطالع
ما جاء به الدكتور من تأويل للآية ، وتوجيه
لكلمة الوحي الأولى .

ففى الفترة التالية مباشرة ، ذكر ان
هذا الأمر بالصياح (Cry) موجود فى

« المهد القديم » خطابا « للنبي اشعيا »
قبل التران بثخو ثلاثة عشر قرنا .

واستشهد لهذا ، بترجمة لآية من سفر
اشعيا . ترجمت الى المهد القديم ،
فناذا نصها فى أول الأصحاح الثامن
والخمسين من هذا السفر :

« ناد بصوت عال ، لانهمسك ، ارفع

()

يعلن جبهة Cried out أم لم تكن ،
فهي هنا الاعلان الشديدي والاذاعة ،
والخطاب او الموعظة sermon
تنشر بكلمة قم ا

« وعلى هذا يكون معنى فعل الامر .
أقرأ ، بشخصا لسياسة الدعوة ومنضمنا
خطة تبليغها : فقوم محمد كانوا متفرقين
ببعثين وأمين . والكلمة المكتوبة
التي خدمت الدعوات في شعوب أكثر
تقدما ، لا يمكن ان تصل الى الطبقات النخلة
والعبد في المدن ، والبدو الضاربين في
المحاري والواجات والكهوف . وانما
تصل الى هؤلاء الكلمة المنطوقة وحدها .
« وفي مثل هذه الظروف ، يكون على
الهادي الجديد ان يبلغ رسالته شفويا .
والكلمات ذات اجنحة ، والذي علمه الله
بالقلم للتلة (المنعمية) التي تجدي معها
قوة التلم ، صار الان بحيث يذاع وينشر
ويوصل الى الكثرة من الجاهل ، عن
طريق الكلمة المنطوقة وحدها ، بكل ما لها
من سحر ، وسلطان عليهم .

« والراجح ان هذا كان في اصل البيانات
القديمة كلها - مزامير داود ، ووصايا
زراعت ، واناثيد ريج . فيدا البرهية -
وكل ما في الامر ١١٧ ان طبيعة القوم
الذين كان على محمد ان ينشر رسالته
فيهم ، جعلت مهتة اشق واصعب ان تلت
كانوا اكثر بدائية (١٢) واشد انفعالا وتأثرا
بالشعر منهم بالنثر المرسل . وبالرغم
من كون موضوع الرسالة الجديدة يختلف
تماما عما ألفوه في موضوعات الشعر من
حب وحرب ونهب - Plunder

١٢ (١٢) كان من الضروري تبليغها بلغة
القوم المنزلة فيهم ، وبمصطلحها في التعبير
وأسلوبها في البيان (ليكون لها من قوة
التأثير ما تنتشر به انتشار الشمس
والرياح في الصحراء) »

اللفظ القرآني (اقرأ) بالا يحتله ، من
قرع الطبول لكي يرتبط بصوت كالبلوق ،
في آية من سفر اشعيا ، وليس بينها أدنى
شبه لفظا أو سياقا .

والقول « بان محمدا كان يستحضر في
ذهنه دائما قصص الرسل القدما الى
العرب واليهود والمسيحيين » هذا القول
يوهم أنه صلى الله عليه وسلم ، قد تأثر
بهذه القصص فيما ابلغ من رسالة ربه .
وهذا ما ينفيه القرآن نفيا صريحا ، لان
تلك القصص اما ان تكون مما هو مدون في
الكتب الدينية السابقة ، والقرآن يقول
لمحمد صلى الله عليه وسلم :

« وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا
تخطه بيمينك ، اذن لارتاب المبطلون » .
واما ان تكون من القصص الاسطورية
للأولين ، والقرآن يقول فيها :

« وقال الذين كفروا ان هذا الا ملك
الغتره واعانه عليه قوم آخرون ، فقد
جاءوا ظلما وزورا . وقالوا اساطير
الاولين اكتتبا فهي تولى عليه بكرة وأصيلا »
ويتابع الدكتور هاشم ، تأويله لكلمة
اقرأ ، فيوجهها في ضوء ترجمته لها ، بما
يجعلها سياسة للدعوة الاسلامية وخطة
تبليغها ..

فلقد تحدث عن نزول الوحي على محمد
صلى الله عليه وسلم في (افكار خراء)
فذكر ان الملك امره قائلا : اقرأ - وترجمتها
هنا : Read - فسأله محمد : ماذا

اقرأ ؟ وتكرر الامر والسؤال ثلاث مرات .
وتجاوز هنا ، عن مخالفة هذا لما جاء
في المصادر العربية للسيرة وتاريخ القرآن
من ان محمدا صلى الله عليه وسلم قال
منذما سمع الوحي : ماأنا بقاري ..
لنمضي مع الدكتور هاشم ، اذ يقول
بيانا لتأويله :

« وكلمتا اقرأ والقرآن ، متجانستان .
فالاولى فعل امر ، والثانية اسم عام .
وسواء اكانت القراءة مستعملة اذالك فيها

ونحن نجاهد منذ سنين ، لنؤصل منهاجا في التفسير لا يجوز أن يهجم على النص ولا يحتج به حس العربية أولا قبله الاستعمال القرآني . ورفض هذا المنهج أن يفسر لفظا قرآنيا دون استقرار كل مواضع استعماله في القرآن ، لنحذر فهنا لهذا النص الجليل مما في بعض كتب التفسير من مقدمات اسرائيلية وشوائب مذهبية وأذواق اعجية ..

وقبل أن نختم مع الدكتور هاشم امير ، الى الاصول المنهجية لدراسة النصوص ..
وقبل أن نسأله :

هل يسمح أي منهج ، بمثل هذه التاويلات في فهم أي نص من النصوص ؟
علينا أن نسأل أنفسنا :
— كيف تسمح بان تنشر تفاسير محدثة للقرآن الكريم ، دون أن نهتم بمطالعتها ، فضلا عن فحصها ونقوبها ؟
وأي ما يلزمنا به حرمة هذا النص من مسئولية التبعية لكل ما يكتب عنه ، واخضاعه لرقابة نقدية ، دقيقة وصارمة ترد عنه تسطط المتأولين ؟

وما قلته عن الترجمة في المقال الماضي ، إتوليه اليوم عن التفسير :
إذا لم يعننا أمر هذه التفاسير ، من حيث الجريمة الدينية لكتاب الإسلام ، فلا أقل من أن نتصدى لحماية هذا النص الجليل الاصل للفننا ، وأن نراقب ما ينشر عنه من شروح وتاويلات ، ولو بالقدر الذي نراقب به ما ينشر هنا من شروح لنصوص من الاداب الغربية ، تجدها نقادا يسهرون على حمايتها من عبث المترجمين وخطا الشراح وعدوان المقتبسين .
والقياس مع الخارق البعيد !

ابن هذا كله من كلمة اقرا في دلالتها العربية واستعمالها القرآني ؟
الذي تعرفه لغتنا — لغة القرآن — ان القراءة تلاوة لنص مكتوب او غير مكتوب . والمادة دلالات معجبية اخرى ، ليس بينها ما جاء به الدكتور هاشم في ترجمته وتفسيره ، من فرع للطبول ، وصباح وتبشير !

فإذا احتكنا الى القرآن ، نجده استعمال مادة اقرا ، في سنفونماتين موضعين لا تحمل اطلاقا ما جاء في هذا التأويل ، بل ان منها ما ينبغي نفيها بآنا ، كآيات :
« لا تحرك به لسانك لتعجل به » ان علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » — القيامة .

« فاقرا ما نسر من القرآن ، علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يكاثلون في سبيل الله فاقرا ما نسر منه » — المزمل

ومنها ما ينسب بان العرب ، في زمن النوح ، كانت تعرف القراءة بدلالاتها المألوفة على التلاوة من كتاب كآيات :
الاسراء ٩٢ : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا .. او ترقى في السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا »

يونس ٩٤ : « فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك »
الاسراء ٧١ : « فلو انك يقرأون كتابهم »
ومعها آيات الاسراء : ١٤ ، والحاقة ١٩ ، والحجر : (٨٧) والنبل : ١٢ ، والواقعة ٧٧ ..
وفيها جميعا تقتون القراءة او القرآن او التلاوة ، بالكتاب .
واطلق لفظ الكتاب على القرآن الكريم او مقتربا به في نحو سبعين آية .
« كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون »



بعد عام

أحمد لطفى السيد باين الوفناء والعمق

الكريرة بنت الشاطئ



سعت مع الساعين الى
مهرجان لكرهه
في أرض مولده ومهد نشأته
وربوع صباه .

وامسكت دمعى لا أبكيه .

ألا لان حولا كاسلا قد انقضى

ومن بيك حولا كاملا فقد اعتذر

ولسكن لاني لزمته في اباه

الاخيرة ، وايقنت انه مل البقاء

وتعيب من الدنيا .

وقد شفى جسمه ووهن وعاد

بيننا اشبه بطيف لطيف رقيق ،

تحقق فيه الروح تواقه الى الافلات

من سجن المادة ، والانطلاق من

أسر الارض .

ومن البر به الا أبكيه ، بعدما

أفلت وانطلق . .

وكنيت بحيث أبكى على نفسي

فقد كان الفقد لي ابا .

لكن محنة اليتيم لامثالا لا يطول

معها البكاء . .

وانما بوغل الحزن في أعماقنا

شجنا مكتسوما مطويا ، يداريه

التصبر والتجلد ، ويرهفه العجز

والكتمان .

كان الاسى فرضا لو ان الردى

قال لنا : اعدوه ، فلم نلده

وقد مضى به الردى دون ان

يسألنا فيه فداء . .

وصحبناه في رحلته الاخيرة الى

مقابر الفقير .
وبأيدينا ، أسلمناه الى من
شديوه تحت الثرى .
وخلقناه وهذه . . ومضينا :

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا
انس ، ولم يسور بمسكة سامر
وفي المنصورة . .
تمهلت لي سري ، احاول ان التمس
على ارضها النار خطوات لي ، بعد المهين
وطواها الزمان . .

ثم لاحت لي من اعناق الماضي ، تذكرني
بانها كانت خطواتي الاولى ، في الطريق
الى لطفى السيد !

فلى المنصورة التقيت به فكربا على
البعد ، حين نزحت اليها من ديباط ، اول
عهدى بالعمل ، معلقة بدرجة البنات الملحقة
بمهمات المنصورة ، وفي جولتي الاولى
بالمدينة ، قدمت الى « مكتبة السروي »
ابتقى شراء كتاب أو كتابين ، على قدر
ما تسمح به ميزانيتي ، وتوايها أربعة
جنيهات وعشرة قروش ، مرتبا شهريا انفق
منه على غذاء الجسم والعقل .

وقدم لي صاحب المكتبة كتاب « حياة
محمد » لهيكل ، فتلقت على شرائه ، لكني
رددته في حيرة ، حين لم اجد معنى ما يكفى
ثمنه . ولم اصدق معنى ، حين مرض على ،
صاحب المكتبة ان استعير ما شئت من
كتب ، اطالعها واردها ، نظير اجر زجه .
ولم يدر « السيد السروي » انه بذلك العرض

الملاحي ، وضع نقطة تحول في مجرى
حياتي بما اناح لي من مطالعة كتب حديثة ،
لم يكن لي عهد ببنلها قط ، في مكتبة بيتنا
التي لا مكان فيها لغير كتب الشريعة والتفسير
والصوف ، وقديم علوم العربية وتاريخ
الاسلام .

وتلنحت امامي افاق جديدة للمعرفة
والنفت باحمد لطفى السيد وآخرين من
مكثرى العصر وادبائه . وعند مكثري
الطرق حولت اتجاهي من طريق التعليم
الاولى ، الى طريق الجامعة .

وكان على ، لى ابلغها ، ان اتقدم من
المنزل لامتحان لشهادات الابتدائية والثفافة
الثانوية واليكالوريا .

ثم لما قطعت الشوط الطويل المجهد ،
ووصلت الى الجامعة وانا الهث من مشقة
المسعى ووعورة الطريق ، الفت بابها
امامى مؤصدا .

والى الاساذ الجليل « محمد حسن
العشماوى » ادين - فيما ادين - بفضله
لتأني الاول سيعلم الجيل ، مدير الجامعة
فقد كان هو الذى تحدث اليه في امرى ،
واستأذن لي في ان الفاه ، حيث أمضيت معه
ساعة واحدة ، خرجت بعدها ولى أب
روحي ، ليس في الناس مثله !
وكتبت اشفق ان اشق على ذلك الاب
الكريم بيتاعبي ، حتى قال لي كلمة لا
انسها :

« كاتك ظفنت ان بنوك عبء على ا
فماذا لو علمت اننى اخرج اليها منك ؟ »

التاريخ : ٣ / ٤ / ١٩٦٤

(٣)

● تشترى المحافظة مكتبة الفقيد ،
وتنقلها الى المنصورة لتكون مركزا ثقافيا .
● انشاء متحف في « برفين » يضم
مؤلفاته ومخططاته .

● تنشيء المحافظة جوائز سنوية
باسم الفقيد للمفوقين من طلاب الجامعات ،
في الدراسات التي كانت موضع عنايته .
● وتقدم منحة دراسية سنوية ،
للمتفوقين من أبناء الدقهلية .

● ونقدم تمثالا له ، في احد ميادين
المنصورة .

وعجبت للمفارقة :

محافظة الدقهلية ، وهي جهة ادارية ،
تأبى ان ينقض الحفل ، ولم تخرج منه الا
بخطب تلقى وكلمات نعال وقصائد تنشد .
وننجه الى مثل ذلك الاسلوب العبلى
المجدي ، في التكريم والتخليد . .

والجامعة وهي المركز العلمي الاعلى ،
قد اكففت في تحسبه ب تعطيل الدراسة بزم
وفاته للتشجيع جنازته ، ولو كان بحيث
يسنشر في هذا البعطل ، لانكره واباه ا
ثم انفضى موكب الجنازة . .

وطويت الذكرى . . .

ومضى حول كامل ، لم نسمع فيه ان
الجامعة فكرت في اطلاق اسم ابيها على
قاعاتها الكبرى ، كما اطلقت جامعة الازهر
اسم « الامام الشيخ محمد عبده » على
أكبر قاعة بها .

ولاسمينا انها انشأت ، او فكرت في
انشاء كرسي باسمه ، في احد اقسام
الفلسفة او الصحافة او القانون او
الفكر السياسي .

نشدتني اليه هذه الكلمة المثيرة بأولئك
رياء ، وفتحت لي من مفايق عالمه الخاص ،
با اخصب وجودي الانساني ببدد سخي
متصل ، من الشعور المرهف والذنب العميق
لبطولة الانسان العظيم في احتبال الألم .
ومار بيته بيتا لي ، اغدو اليه واروح
فأجد فيه الاب والمعلم والصديق . .

وفي حفل الذكرى ، كان مكاني بين
الخطباء والشعراء كان بنت للفقيد ،
اصفى في زهو وشجو الى ما تحدث به
المتكلمون عن مجد ابي الراحل وعظمته ،
استادا للجيل ومعلما للامة . .

وتراءى لنا طيفه المائل ، وهو يخرج
من بلديه « برفين » في ريف الدقهلية ، ليقود
امسه في معركة وجودها الفكرى ، ويحدو
مسراها في ليل مخننها الطويل ، بدماه
الحرية ، ونداء : مصر للمصريين . .

ولنؤجج فينا ضرام الثورة ، بما حرر
من عقولنا وضمائرنا ، وبما اثار في اعماقنا
من شوق الى الحرية ، وطموح الى
التقدم ووعي للذات ، وابهان بمصر ،
وادراك لاحتمية التطور والارتفاع . .

وكان من بين الذين تكلموا في الحفل ،
ثمانية من الاساتذة الجامعيين ، ثلاثة
منهم شغلوا منصب مدير الجامعة ، وقد
تماذبوا على المنبر يذكرون ما صنع الفقيد
للجامعة ، ويتحدثون عما تدين له بوجودها
المادى والمعنوى .

ثم لما دعانا السيد « اسماعيل فريد »
محاوفا الدقهلية « لتندارس موضوع احياه
ذكراه ، عرض علينا فيها عرض من
متمرحات الحائضلة .

(٤)

ومحاضرة الدقهلية ، احترمت نشر كتاب
يضم الكلمات والقصائد التي التفت في حفل
الذكرى ..

ولم نسمع ان الاساتذة الجامعيين ،
من تلاميذ الفريد واصدقائه ، اجتمعوا على
مشروع علمي بذكرى للرجل الذي علمهم
وقاد خطاهم على الطريق حتى اوصلهم
الى مناصبهم العالية !

وكان « محافظة الدقهلية » اولى من
الجامعة بتكريم ذلك المعلم العظيم ، الذي
لا اذكر انه زار بلدته في الربع القرن الاخير
من حياته ، ولا اتجه بوجدانه اليها .
وانما الذي اذكره انه ظل ما عاش يقنس
الجامعة التي صنعها على عينيه ، لتكون
منارا فكريا للامة ، ومركز تعبئة لطاقتها
المقلية ، وحراسة لوجودها المعنوي .

الذي اذكره ، انه ظل الى آخر لحظة
من عمره ، خافق القلب بحب الجامعة ،
يرنو اليها بكل وجدانه ، ويسمىها « مقصد
الفكر » !



وكدت اسأل :

هل فبين اطلقت الجامعات المصرية
اسماهم على مدرجاتها ، من صنع للجامعة
ما صنع ابوها لطفى السيد ؟

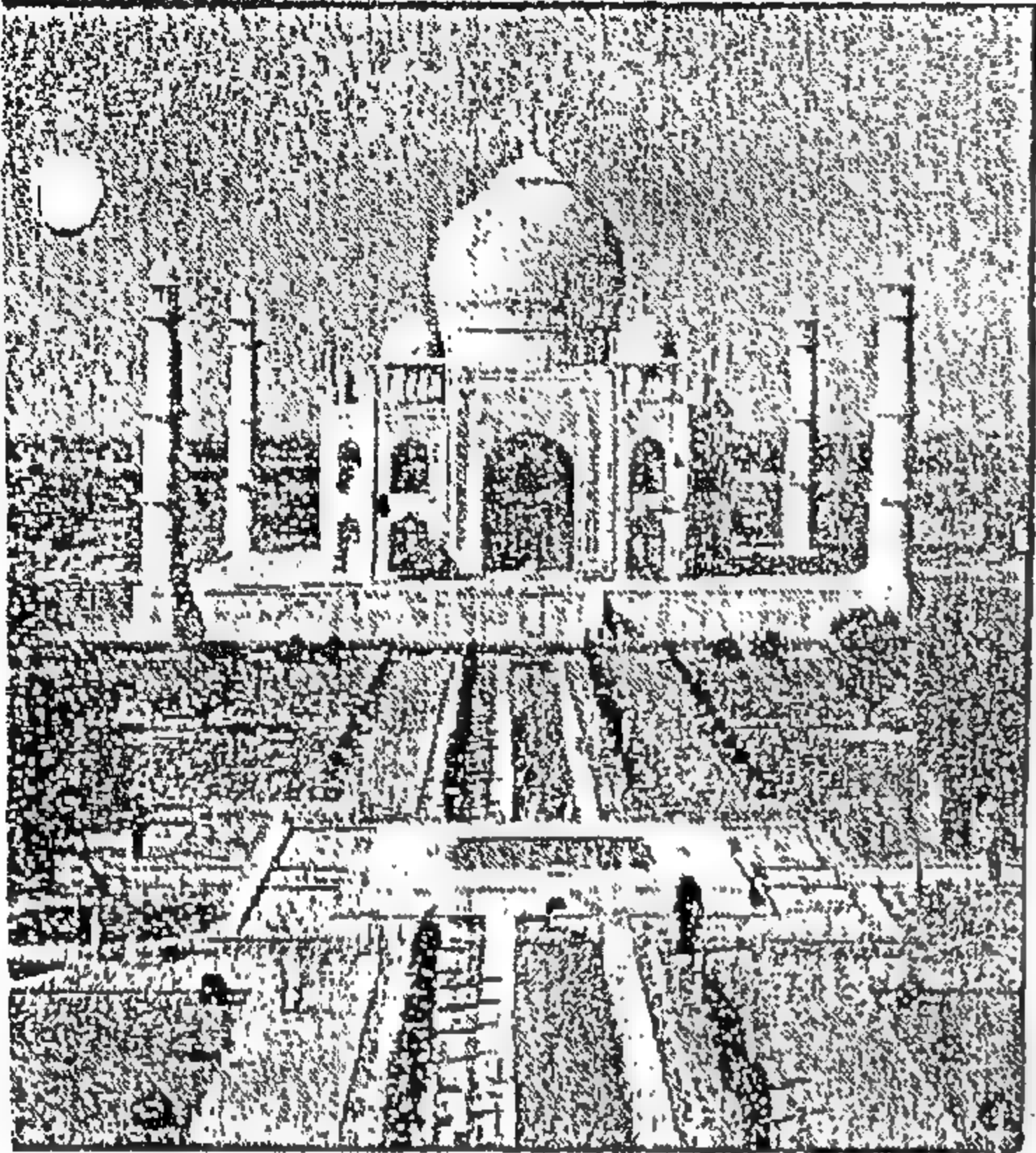
او فبين سوف تطلق اسماءهم على
قاعاتها او تنشئ منحا وجوائز دراسية
لذكراهم ، من تدن له الجامعة بمنزل ما يدين
به للطفى السيد ؟

لكني ذكرت معنى ما ملئني لطفى
السيد ، فلم اجد جدوى من مثل هذا
السؤال او ذاك ..

وانى لانه الان ، بصلى الى شكواي
من ذاك المعقوق والجحود والكران ،
فيبتسم ضاحكا من سذاجتي ، كما كان
يفعل كلما شكوت اليه ما يصدنا من
اختلال القيم في حياتنا الفكرية ، واضطراب
الموازن ، وضلال المقاييس !

وما احسبه كان يعلق على مثل ذاك
المعقوق ، الا بكلمته التي كان يعلق بها على
الايذاء والازمات : هذه طبيعة البشر !

وليرحم الله معلبي ..
وليرحمنا من بعده !



خاتمة المطاف

عندما التقينا.. في رحاب الحب!

في المؤتمرات الدولية ، تحضر الدولة الداعية - عادة - على أن يشاهد الضيوف نموذجاً يمثل حضارتها ويعبر عن شخصيتها . وقد اختارت الهند ، أن ندعو ضيوفها - أعضاء مؤتمر المسنشرين - إلى منطقة « أجرا » ، وفاتح بورسيكري « لبروا » ما بها من آثار تعبر عن روح الشرق ، وتعلن عن سره ، وترمز إلى حضارته . . .

والرحلة من نيودلهي إلى أجرا طويلة ، تستغرق يومين كاملين . مشحونين ببرنامج حافل .

وقد توقع أكثرنا أن تجهدهم بعد العمل الشاق في أيام المؤتمر ، وكرهوا مع ذلك أن نفونهم ، فلبوا الدعوة وهم مشفقون من مشقة الرحلة .

لكن الهند استطاعت بالتنظيم الدقيق والضيافة السكرية والاستعداد الممتاز ، أن تجعل منها رحلة حافلة مثيرة ، توفقت بنا في صميم روح الشرق ، ونقلتنا شبه مسحورين إلى دنيا العجائب

الرحلة التي كانت تسفله

الرحلة التي كانت تسفله الحضارة فيها تشبع من هذا الشرق ، لتضيء ظلمات العصور الوسطى في أوربا .

وجمالها العبقري ، يرمز إلى سر الروح ، يسرى في الأثر المادي الجامد الأصم ، فينبض بالحياة ويتوهج بحرارتها ودفئها . . .

وذلك هو طابع شرقنا العريق ، في كل ما خلف من تراث فكري وعظمتها المادية ، ترمز إلى

وكل الآثار في منطقة « أجرا » وفاتح بورسيكري « إسلامية . . . وتاريخها يرجع إلى العصر المغولي ، وهو يلتقي زمناً ، مع العصور الأوروبية الوسطى .

وإسلامية هذه الآثار ، ترمز إلى الطابع الديني المميز لحضاره هذا الشرق ، مهده العقائد والاديان ، ومنزل الرسالات الروحية من قديم الآباد .

وعظمتها المادية ، ترمز إلى



(٢)

منزق النبال ونقد النشوة وظلني بهم
ومحب اعصار خالص، يستند كل طاقهم
المادية ، ولا يدق منهم الا وهج الروح ،
وذكرى حب ابدى منتصر !
وعشت تصنهم بكل قلبي ، وكان لم
نكر عليها الايام والليالي ، ولا يسج الزمان
يسى وبينها حجابا كثيفا ، بداه اربعمالة
عام !

عشتها ، منذ جاءت الى قصر اجرا ،
الشابة « البيجوم باتو بنت الوزير يمين
الدولة » عروسا رائعة الجبال باهجرة
الحسن ندية الصبا في ربيعها التاسع
عشر ، لتزف الى ابن عمتها الامبراطورة
نورجيهان : « الامير خورام ولي عهد
الامبراطور جاهانجير » وحفيد السلطان
أكبر مؤسس الدولة المغولية بالهند .

ومنحها الامبراطور لقب « مهناز محل »
وعاشت ستة عشر عاما مع زوجها الامير ،
ينهلان من نبع الحب السانى ، لاتمكره
بمسؤوليات الحتم واعضاء الداح ..

حتى مات الامبراطور الاب « جاهانجير »
في لاهور عام ١٦٢٧ ، وفي العام التالي
اتيم حفل التويج في قصر قلعة اجرا ،
واعلى الامير خورام العرش باسم
« الامبراطور شاه جهان »

وزوجته الحبيبة « ممتاز محل » الى
جانبه تحية وترعاه ، وتشاركه امباء
منصه : حاملة لخاتم الدولة ، ومستشارة
اولى لكل شئونها .

ولا احد يدري ، اكان حبها النادر
لزوجها ، هو الذى اغراها بحب رعبته
من اجله ، ام كان قلبها الكبير الرحيم ،
قد اتسع لحب الزوج والشعب ؟

كل الذى يذكرونه ، انها امضت شاما
على العرش ، ملء القلوب محبة واجلالا
وقد استطاعت ان تطف بجبها من فراوة
السلطان ، وان تجمع قلوب الشعب حول
زوجها الامبراطور ، بجاذبيتها الاسرة ،

وما اريد هنا ان اتحدث عما شاعده
من عجائب اثار المنطقة ، ونحن ننقل من
قلعة اجرا الى تاج محل وسيكاندرا ، ومن
بوابة النصر في بولاند داروزه الى مسجد
« الشيخ سليم شيسقى » وقصر فاتح بور
سيكرى ..

كلا .. وانما يكفي ان اقف عند « تاج
محل » اعجوبة الدنيا ..

لاصف روعة صرحه الشامخ ، وعبقري
هندسته ، ولا لانقل ما سمعت من تفاصيل
البناء ، ومراده ، وابماده ، ونقائنه
وعدد المهندسين والوف العمال الذين
تفرغوا لتشييده ، مدى سبعة عشر عاما .

فالواقع انى كنت الذى ظاهر سمعى الى
ما يذكره لنا الدليل من كل هذا وانا
مشفولة البال عنها ، فى تأمل مستغرق
بشدنى بعيدا عن الزملاء الذين امسكوا
باقلامهم ومفكراتهم ، وراحوا يدنونون فى
حرص وتتبع ، ما يملئ الدليل من شروح
وارقام ..

كنت بينهم حاضرة غائبة ..
اصفى الى احياء هذا الصرح العجيب ،
بنقلنى عبر مئات السنين الى مسرح الاحداث
للصبة حب خالد قهر الزمان وتحدى الفناء
وفرض سلطانه على التاريخ ..

وتراعت لى اطياف ابطالها الثلاثة الذين
رحلوا من الدنيا ، وبلبت منهم الاجساد .
وبقيت ذكرى الحب الذى خاض معركة
مع شهوة السلطان وجبروت المادة ،
وانتصر عليها ..

انتصر على القوة التى تسحق عواطف
الانسان ..

كما انتصر على الزمان الذى يلى البشر
وعلى الموت الذى يسلم الاجساد لعيث
البلى والفناء ..

تراعت لى اطيافهم تنهادى فى نيش من
نشوة الحب ، ثم تتد اليها يد النوى

(٣)

بنفلة سحر من روح الشرق ..
تجلو عن جوهر الانسان فينا ، ما
تراكم فوقه من احقاد البقرة وانفال
الملل واعباء الصراع وكثافة المادة ..
وتسرى في كياننا روحا عطوية منالفة
بنور الايمان وحرارة الحب ..
كما سرت في المرمر الاصم ، والهيكل
المادي الجامد للصرح الشامخ ، فبنت فيه
معنى الوجود وسر الحياة ..

وفي راحة الصمت الخائض ،
نظامي الى مسمى من بعيد
صدى من دفء «الدكتور رادكريشنان»
يوم افتتاح المؤتمر :
نقابلوا معا ، وتحدثوا معا
ولعل عقولكم تذلل
في تفاهم وقربى ..
ولكن افكاركم وعواطفكم
واماني قلوبكم
ناجعة من ضمير الانسان
ومتجهة الى الخير العام
وعلى الطريق ، سبروا معا

نحو وحدة البشر ..
فهل كان هذا اللقاء بين افراد الجيع
الحاشد المختلط ، مقصودا لذاته من رحلة
اجرا ، التي ختم بها برنامج المؤتمر ؟
هل اريد بها ان تكون تجربة استجابة
لدعاء الانسان ؟
من يدري ..

ولقد كانت رحلتنا هذه ، خاتمة المطاف
لمؤتمر المستشرقين بالهند ، وارجو بعدها
ان ادع الحديث عن المؤتمر الى حين ،
لعل افرغ الرد على ما تلقيت وتلقى
يرد الاهرام من رسائل ، حول الذي
كتبته عن القرآن الكريم في ترجماته
وتأسيه الاجنبية ..
فالى لقاء ..

وقد تم تشييد «تاج محل» عام ١٦٤٨ ،
وان لشاء جاهد ان يعود الى شواغل
الدنيا ، ولكنه لم يعد ينتهي الى هذه
الدنيا منذ رحلت عنها ممتاز محل ..
بل لم يعد يعنيه ان ينفذ مير انه
«اورانج زيب» فيقب على العرش بعد
عشر سنوات ، ويسجنه في قاعة ضيقة
بقلعة اجرا ..

كل ما عناء ، ان يجد في جدار محبسه
كرة صغيرة يطل منها على برقد «ممتاز
محل» وان يخلو الى طيفها في وحدته ،
يناجيها الى ان يحين اللقاء ..
وقد كان اللقاء بعد سبع سنين ،
فانجمعه ولده الى جوارها جنبا الى
جنب ، في المئوي الخالد الذي ظل على مر
السنين وتتابع القرون ، مزارا للاحياء
من كل جنس ودين ..
يشهدون فيه اعجب صرح شيدده الحب
ويخونون رموسهم خاشعين امام مغزى
الرمز ..

ويستردون به ايمانهم بسر الحياة ..
ويحيون لحظة في معبد الروح ، قبل ان
يشدهم الدنيا بانفقالها ، وتلفهم دواية
الوجود المادي بدوارها المنيف وهديرها
الصاخب ..

وهناك التقينا
نحن الذين جئنا من شتى اقطار الارض ،
جما مختلطا ، متفاوت الازياء والالوان ،
مختلف الملامح والسمات ، متفاير المذاهب
والمقائد ..
هناك التقينا ..

بعد ثمانية ايام تضيئها في المؤتمر ،
لم نستطع خلالها ان ننسى لحظة ، اننا
ننتهي الى شرق او غرب ، وانا من
المسلمون ومننا المسيحيون واليهوديون
ومن لادين لهم ..
ولا انلنا في تجاهل ما بيننا من نروق
وفرامل ..
حتى التقينا في المعبد
فتباحث كل الفواصل ، ونوارت كل
النروق

ونبل شمائلها ، وتصديها لحماية المظلومين
ورعاية البؤساء ..
عاما واحدا ، ماتت بعده
وقدمت حياها هبة للحب ..
محدث زوجها - وهي مثقلة بالحمل -
حين توجه لاجساد ثورة حاكم لاحدى
المتناطعات ، وهناك في مدينة «بورهاربر»
بالهند الوسطى ، اغتالها الموت وهي
تضع طفلها «جوهرة» ..

ومن قبلها ، كانت قد ولدت ثمانية بنين
وخمسة بنات ، اختطف الموت سبعة منهم
في حبانها ..
واودع الملك المحزون جنتها قصر «امانة»
بعد اثنى زفافها ، ثم عاد بعد سنة اشهر
انحيل رفاتنا الى مدفن مؤتمت في «اجرا»
ليانس بقربها ، ريشا ينس لها «تاج محل»
وعبث به الحزن ، فرفض ان يتقبل
في فديته اى عزاء ، وانصرف عن شئون
الدولة ، واعلن الحداد العام في كل انحاء
المملكة فحظر سماع الموسيقى ، واستعمال
المطور ، ولبس الحلى ، والثياب الزاهية
رمشت تسعة اعوام ، ثم خلاها تشييد
المدن في تاج محل ، ونقل رفات الحبيبة
الى مثواها الاخير
وواصل الوفاء المبال صلبهم ، ثمانى
سنوات اخرى ، لاتبام تشييد الصرح
العجيب ..

وشحنات المرمر الابيض تحمل من جاوره ،
والجواهر والاحجار الشينة تجلب من بتاع
الهند وفارس وعبر جبال همالايا وخزانة
الدولة مفتوحة الابواب ، تجبى اليها
ملايين الروبيات ، لتندفق سيليا يصب في
تاج محل

والملك سادر في حزنه ، لم يعد يعنيه
من الدنيا الا ان يتم تشييد البناء ، ليرقد
الى جانب الحبيبة الراحلة ..
وطالت سنوات الانتظار ، وهو يهض
لناله الطوال أشبه بروح هائمة ، تطف
بهموى الرائدة الغالية ، وتتجول في حديقة
النجاح ، حيث حفرت بحيرة تحف بها اشجار
الحور الحزينة ، بصفى الملك الى نواحيها
كلها هبت ربح ، وبحلق في مياه البحيرة
وهي تبدو لعينيه بحرا من الدموع ..

مقال في المنهج

في تفسير القرآن

فيما كتبت هنا عن الترجمات والتفسير الاجنبية للقرآن الكريم، عجبت لمن يتصدون لمثل هذه المسئولية الصعبة دون ان يكونوا اهلها ، وانكرت على الدكتور هاشم امير على « ان يجرؤ على ترجمة القرآن وتفسيره ، وهو يجهل العربية ، على حين يعينى بالعربية لغلى والنص القرآني، موضوع تخصصي — ان افسر لفظا منه باخر ، وار كان مرادفاله في المعاجم ، او من نفس مادته اللغوية . وضربت لذلك مثلا فقلت انى لا يستطيع ان افسر حلفى باقيسم سوها مرادفان في المعاجم وكتب التفسير — لان القرآن يستعمل (حلفى) دائما وبلا استثناء في اليمين الكاذبة ، كما لا يستطيع ان افسر رقية يعنى ، والقرآن يستعمل رقية دائما وبلا استثناء، بدلالة مجازية، لا بدالاتها الاصلية الحقيقية، بل لا يستطيع ان افسر النعمة بالنعيم — وهما من مادة واحدة — والقرآن اما لم يستعمل النعمة قط الا في نعم الدنيا ، كما لم يستعمل النعيم الا بدلالة خاصة ، على نعيم الآخرة .

دون ان اقصد الى عرض قضية الترادف اللغوى وموقف القرآن منه ، لعلنى ان الموضوع ادق من ان يعرض في مثل هذا المجال ، وانما تكفى الاشارة اللفظة والشاهد الموضع .

بسم الله الرحمن الرحيم
الدكتور عبد السلام

غير انى لما قرأت هاتين من ردود المعلقين على ما كتبت ، وجدت ان الموقف يحتاج الى مزيد تفصيل وبيان ، لان القضية فيه تتعلق بالقرآن الكريم ، ولى اشتداد فيها او ليس ، يجب ان يلقى كل العناية وعناية لحرمة النص الجليل . .

والامر يتصل قتل كل شئ منهج تفسير القرآن ، من حيث هو كتاب المعوية الاكبر ومعجزتها الباهرة . .

(٢)

واذا كان من الاتدين من نهوا آية
«الرجال قوامون على النساء» على أن
القوامة حق للرجل بما هو مطلق ذكر ،
على المرأة بما هي مطلق أنثى ، متأثرين
في هذا النهم بعقلية زمانهم وأوضاع
اجتماعهم ، فمن حقنا أن نفهم الآية فيها
جديدا ، يتبع استعمال القرآن الكريم
للناظر رجل وذكر ، وامرأة وأنثى ، لنحدد
مناط القومية : أهى الذكورة أم الرجولة ؟

واذا كان الاتدين فهموا من بلاغة
القرآن ، أنها جارية على أحكام الصنعة
البلاغية وقواعد علمائها في التشبيه
والاستعارة والمجاز والسكاية والزخرف
البديعي ، متأثرين في ذلك بمفهومهم
للبلغة ومستجيبين لذوق عصرهم ، فلنا
أن نحرر من أغلال هذه الصنعة الذهنية ،
لنلمح أسرار الإعجاز البياني للقرآن الكريم
بن حيث هي قضايا غنية وظواهر اسلوبية ،
يجلوها ما جد على ذوقنا من عقل فنى ،
وما هدت اليه البحوث من خفايا عالم
النفوس واسرار القيم الجمالية !

ذلك كله من حقنا ، بل من واجبنا !

لكن ليس من حق أى انسان أن يقول في
القرآن الكريم برأيه ، وأنما يستنبط فقهاء
النص دلالاته ، يحتكين دائما اليه ، وناكرين
لمة القول الفصل ليسا بهتدون اليه من قبح
واحكام ..

كمثل ما يفعل فقهاء القانون فيبادرون
من أسرار تغيب عن سواهم ، فيكون
اتصى جهدهم أن يأخذوا من النص ما يؤيد
دعواهم ويفصل في قضاياهم ..

ولا أحد منا يتصور أن يترك أى قانون
لاهواء الشراح ، ولا أن يتصدى لشرحه -
لفاعا أو انتهايا أو قضاء وحكما - غير
ذوى الدراية والاختصاص ..

ويشقى على أكثرنا مع ذلك ، أن يقدروا
حرمة النص القرآنى ، فيحسبوا أن القول
فيه مباح لكل من هب ودب ، وأن من حق
أى انسان أن يفسره كما شاء ، ولو لم يكن
له علم بالعربية ، وفقه لنص الكتاب المعجز !



وهو ملهج ذوق صارم ، لا يدع للرأى
مجالا في تفسير أى لفظ من القرآن ، لأنه
يحتكم دائما الى استعمال القرآن لهذا
اللفظ ، باستقراء كل المواضع التى جاء
فيها ، وتحديد دلالتها من سياقها ..
كيلا نقحم عليه ما لا يقبله من دلالات
خفية ومفاهيم طارئة ..
ولكى نحس النص من مغتربات التأويل
وشطط الهوى ..

ولكى نتخلص في فهمنا لكتاب العربية
والاسلام ، من المفاهيم الاسرائيلية
والشوائب المذهبية والاذواق الاعجمية ..



ويقول قائل :

«ليس القرآن كتاب المسلمين جميعا ، فمن
حق كل مسلم أن يفهمه كما يشاء ؟
ونقول : بلى ..

لكل من شاء أن يفهمه على قدر طاقته
ومستواه ..

ولكل مصر أن يطبل التأمل في هذا النص
الخالد ، ليعرف موقفه من قضايا العصر
ومشكلات المجتمع ، ولتصنع تصور اطلاتا ،
أن نجد فهمنا لكتاب ديننا عند مجرود
القدامى دون أن نستشرب لافاق أرحب ،
ولا أن نستحضر قوتهم ومخيلتهم ..
عاشوا في زمان غير زماننا ، ولم يواجهوا
ما نواجه ، من عقد وازمات ومعاصرة
كتصادم المذاهب وصراع القوى ، والغزو
العطنى الظانر لنهايات المجهول وأفاق
الفناء واسرار الكون ..

مثلا ، أتى على قومنا حين من الدهر ،
فهموا فيه من «التواصى بالمسير» في
القرآن الكريم ، أنه مطلق العبر ، بحيث
يدخل فيه المسير على عكس الطمأنينة
وجبروت المستبدين ، والرضى بها سامتهم
مصور الفساد والانتطاع من شروبا البشى
والهوان ، ومن حقنا أن نفهمه فهما جديدا
في ضوء ما وصلنا اليه من رقى عقلى ودقة
منهجية ، فننتبع كل آيات المصير في كتاب
ديننا ، لنحدد ما يتعلق به ، ونذكر على
وجه اليقين ما يعنى القرآن بالصير الذى
هو قرن الايمان ، وبالصابرين الذين يحبهم
الله

في بلادنا ، حيث نفتى بها الشمس ، يتقابلها
«الطوية» في لغات بلاد لا تستعملها إلا
لتناء المطر .

وعبارة «في الحراسة» لها اليوم معبر
يختلف تماما عن مفهومها قبل الاجراءات
الثورية والقوانين الاشتراكية ، وقد كان
السامي يدعو لن يحب بالحراسة ،
فأصبحت دعاء عليه !



ونضل ضللا بعيدا ، اذا نحن فحسنا
من كون القرآن يصلح لكل زمان ومكان ،
انه يعني فحسنا يعني ان نحمل الفاظه
مفاهيم طارئة على العربية بعد عصره ،
أودالات لم تعرفها لغته في بيتها الاصيلة ،
كان نفس القرية والقرى فيه ، بمفهومها
في عصرنا ، وهو يختلف تماما عن دلالة في
عصر القرآن الكريم ، حيث كانت «القرى»
في الجزيرة العربية ، هي الحواضر الكبرى
كمكة ويثرب والطائف ، وسبت « مكة »
أم القرى ، بهذه الدلالة ، وهي متعينة
في مثل آيات :

«ولتذكر أم القرى ومن حولها ، والذين
يؤمنون بالآخرة يؤمنون به» - الانعام ٩٢

«وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر
أم القرى ومن حولها ، وتنذر يوم الجبع
لأريب فيه» - الشورى ٧
«وكاين من قرية هي أشد قوة من قريتك
التي أخرجتك أهلكتهم فلا ناصر لهم»
- محمد ١٣

ويسأل سائل :
اليس القرآن كتابا عربيا ، فلنا ان نفسر
الفاظه بمعجم العربية ؟

واقول : بلى ، ذلك هو الاصل الاول
من اصول المنهج ، اذ لا سبيل لنا الى
فهم أي لفظ من القرآن ما لم ننته الحس
الاصيل له في لغته العربية ، ونذكر الملحظ
الذي راعته في استعمالها لمختلف صيغه
واشتقاقه . . .

لكن دون ان يغوتنا ان للكلمة في أي
نص بليغ ، ابحاثها الخاص ودلالاتها التي
تفوت الدلالة المعجمية ، فالكلية الواحدة
تستعمل في موقفين ، فيكون لها في كل منهما
وقتها واحدا . والعبرة الواحدة
تستعمل في مقامين ، وقفا عنه في
مقام آخر . وعلى سبيل المثال ، انكر
ان السواد يأتي وصفا للعين او الشعر ،
كما يأتي وصفا للقلب او الضمير ، فهل
يستويان ؟ وعبرة «الطال علينا الوقت»
نقولها شكوى من حنة فراق ، ونقولها
تعبيرا عن الضيق بمجلس أو الملل من
اجتماع ، فهل تستويان ؟

ثم ان دلالات الالفاظ والعبارات تختلف
باختلاف البيئات وتتغير مع الزمن : فالامهات
في الاستعمال المطلق ، تدل على الوالدات
وهي في الدراسات العلمية تمنى اصول
المراجع والمصادر ، وكبرى الكتب المؤلفة
في ميدان الدرس . وما نسبته «الشمسية»

والكتاب ؟ انهم في القرآن الكريم بدلالته في البيئة النحوية على « كتاب سيوييه » أو بدلالته اللغوية العامة على مطلق جنس الكتاب ؟

أم نحتكم الى استعمال القرآن ، لثراء قديم استعمال « الكتاب » - بمعرفنا بال - بدلالة خاصة من المصطلح الديني والشرعي واضطرر ذلك الاستعمال في كل المواضع التي ورد فيها « الكتاب » وعددها نحو ١٧٥ موضعا ، منها ١٧١ للكتب السماوية المنزلة ، وثلاث مرات لصحيفة الاحمال يوم الحساب ، ومرة واحدة نبيا فرض الاسلام من الاجل المقرر شرعا للمعدة في الطلاق ، فهي جميعا من الاستعمال « اصلي » في السياق الديني والشرعي ..

ليس امامنا إذن ، الا أن نحتكم الى القرآن الكريم في بيان دلالاته على وجه الاستقراء المنهجي الدقيق للاخاطة ، وتحديد معانيها بالسياق

دون أن ندع ثغرة ينفذ منها أي تاويل مبتدع أو قول مرتجل أو هوى غالب أو تعصب جهامح ..

فيهذا وحده نصون حرمة النص الذي يقدم لنا العربية في أصلى ذوقها وأعلى بيانها ، بقدر ما يقدم لنا الفهم الحقيقي للإسلام في جوهره الاصيل ..

وأرجو أن تتاح لي في فرص أخرى ، أن أشير الى ما هدى اليه هذا المنهج من حاسمة لقضايا ادبية ولغوية واجتماعية مما يشغلنا في هذا العصر .

ومعها آيات تشهد بأن القرية في القرآن الكريم ، تنسج دلالتها فتطلق على البلد والاقليم ، وعلى الامة والقوم ، مثل آيات : النبيل ٢٤ : « قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة أهلها أذلة ، وكذلك يفعلون »

الاسراء ١٦ : « واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفوها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »

سبا ٣٤ : « لوما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون . وقالوا نحن اكثر أموالا واولادا وما نحن بمعذبين »

الطلاق ٨ : « لو كان من قرية عتت من أمر ربها أرسلناه لاجلها حسابا شديدا ومذبذبا عذابا نكرا »

الشعراء ٢٠٨ : « وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون . ذكرى وما كنا ظالمين » هود ١١٧ : « لوما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون »

فهل نفسر القرية والتري في هذه الآيات وامثالها ، بما نفهمه من دلالة مستحدثة ، في التقسيم الاداري والمسطح العام ؟

أو هل نفسر « الساعة » في القرآن الكريم بما نفهمه اليوم من الالة الضابطة لسير الوقت ، أو الجزء من الزمن مقداره ستون دقيقة ، والعربية لم تكن قد عرفت هذا الاستعمال في عصر القرآن ، والساعة في الكتاب الكريم تأتي بمعنى « بال للمبد » أربعين مرة ، كلها بلا استثناء ، في ساعة البغت والنشور ، على التخصيص والتمييز

العربية
والقرآن

كتابنا الأكبر

القرآن كتاب الإسلام ، لكنه في الوقت نفسه كتاب عربيية الأكبر . وقد تم تدوينه في عهد نزوله ، ولم يترك الأمر فيه لذاكرة الحفاظ وإمانه الصحابة ، فوضعه ذلك بمنأى عن أي شك ، وصار لنا منه وثيقة لا تصل نص للعربية ، في أنقى حسنها وأصلى ذوقها وأعلى بيانها .

بقلم الدكتور بن الساطي

ترددت طويلا قبل أن أحاول عرض القضايا القرآنية هنا ، نظيرا لدقتها وصعوبتها . غير أنني عدت فرايت من حق قرائنا أن يتصلوا بجديد الدراسات في كتاب العربية والإسلام ، على نحو ما يتصلون بالمستحدثات من المذاهب السياسية والاجتماعية والفنية ، حيث يتناول الكتاب منها ما شاءوا من دقيق الموضوعات ، دون أن يعترض معترض بأن المجال العام لا يصلح لعرض مثل هذه القضايا .

وقد آن لنا أن ندرك أن حياتنا الفكرية يجب أن تسير التطور الثوري الذي جد على حياتنا العامة ، فنقدر حق الجماهير في الاتصال بكل ما يتصل بصميم وجودنا القومي . ولا أتصور أن أحدا منا يرتاب في حيوية القضايا اللغوية والأدبية ، لكنني أعلم أن بيننا من يظنون أن « القرآن الكريم » لا يعني إلا أصحابه المسلمين ، فيخطئون بذلك أن يدركوا أنه كتاب العربية الأكبر ، في أصلى بيانها وأصل معجمها ، وأن يلمحوا احتمية صلته بمشكلات وجودنا اللغوي والأدبي .

النسيان وغوائل الضياع ، وهذا القليل تعرض لموايل التغير والتحريف ، ولحققت ببعضه نهاية الوضع والانتحال بفعل دواع سياسية ومذهبية واجتماعية ، وهي نهاية تفخيت في ماضينا القريب حتى التفت ظلال من الشك على أدب العصر الجاهلي كله ، لم يتخلص منه ميدان الدرس الأدبي إلا منذ عهد قريب ، وبمسد جهود مغربية حصرت الشك في نطاقه المحدود ، وأن لم تمنع أن يكون من هذا الشعر الذي نطمئن إليه ، ما زيف بهارة نفوت خبرة علماء الشعر العربي .

أما القرآن الكريم ، فقد تم تدوينه في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، حيث كانت هناك هيئة متخصصة من كتاب

وإذا كان لكل لغة في الدنيا نصومها الأصلية العالية ، التي يرجع إليها أصحابها في فقه أسرارها وكسب ذوقها فلسفنا نعرف في تراث العربية كله ، نصا يداني القرآن أصالة ونقاء :

وكان المفروض أن نلتصق بالعربية الأصلية في كل تراث العصر الجاهلي ومصدر الإسلام ، قبل أن تخرج اللغة من بيتها الخالصة أو تشوبها شائبة من عجمة . لكن الذي بين أيدينا من النصوص الجاهلية ظل يروي شفاها وينقل على السنية الرواة جيلا بعد جيل ولم يبدأ تدوينه إلا في وقت متأخر ، وقد بعد العهد بتدوينه وضاع لكثيره ، فلم يبق إلا القليل الذي وعته ذاكرة الزمن وحفظته من متاهة

(٢)

الوحي ، يدونون ما يملئه الرسول مما أنزل عليه من القرآن الكريم ، تحت إشرافه ورقابته ، فوفاه ذلك مما تعرضت له النصوص الأخرى من شوائب الرواية الشفهية ، التي لا تسلم — مع كل الأمانة والحرص والتحرر — من أداء لفظ بآخر في معناه ، وهو ما يعسرف في مصطلح الحديث بالرواية بالمعنى .

معنى هذا ، أن لدينا من عصر أصالة العربية قبل أن تخرج من بيتها وتشوبها عجمة ، نصا عربيا تم تدوينه منذ نحو أربعة عشر قرنا ، بإشراف النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يترك الأمر فيه لذاكرة الحفاظ وأمانة الصحابة ، كما كان الشأن مع الأحاديث النبوية .

وقد أودع القرآن ، بدونا في صحائفه لدى أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر ابن الخطاب ، ثم لما اتسعت الدولة بعد حركة الفتوح الكبرى واقتضى الأمر إرسال نسخ من المصحف إلى الأقطار ، كان الخليفة عثمان بن عفان هو الذي أشرف على كتابة المصحف بالإمام ، ونسخ صوراً منه وزعت على الأقطار الإسلامية وأحرقت ما عداها من مصاحف كان فيها أحرف من لغات القبائل العربية ، متحدة المعنى مختلفة اللفظ ، ورأى الخليفة أن يوحد على حرف واحد ، يقرأ به المسلمون جميعاً ، حسباً لكل شبة أو خلاف .

وهذا المصحف الإمام هو الأصل الذي نقلت منه كل المصاحف على تتابع القرون ، فإذا تدربنا مع ذلك ، أن هذا القرآن هو النص المعجز الذي بهر العرب فأعيانهم أن يأتوا بصورة من مثله ، والعربية في عز مجدها وذروة نقائها ، أدركنا ما لهذا النص من خجل وجلال ، من حيث هو النموذج الأعلى والأصيل للغة العربية .

وكان عذرنا في هذا الارتباب تمسورا في معاجمنا اللغوية ، وسقم أكثر النصوص التي اختارها لنا نقاد الأدب العربي ومؤرخوه ، بأذواق عصورهم وأوضاع مجتمعاتهم .

وكان الخطأ الأكبر ، تنحية القرآن الكريم عن ميدان الدرس الأدبي ومشكلات وجودنا اللغوي ، بدعوى أن لا شأن به إلا بقضايا الشرع ولا مكان له إلا في الدراسات الإسلامية !

وفاتنا أنه النص الأصيل الذي يجب أن نحتكم إليه في إدراك جوهر العربية وتحديد طاقاتها البيانية .

فإننا أنه ليس من حق أي دارس ، أن يقضي في العربية الأصيلية بحكم لغوي أو أدبي ، دون أن يكون كتابها الأكبر حجة ومرجعاً .

ولست أتدبر في أن أعلن هنا ، أنني ما عرفت لغتي قط ، كما عرفتها في هذا الكتاب . ولا وجدت مجالاً للبحر أسرارها وفقه بيانها ، فرحب وأخصب من مجال المكوف على دراسة النص القرآني في أعلى مراحل التخصص !

ثم أننا في حاجة إلى أن نقدر ما للقرآن الكريم من أثر بالغ في ذوق الملايين من أبناء العربية على تتابع الأجيال والمصور وهو أثر لا يجيز لنا العلم أن نهمله أو نتجاهله ، فيما يفرضه علينا العصر من جدية النظر في قضية اللغة والحياة ، لأن تجاهل هذا الأثر ، يعزل القضية عن وجودنا ، ويعطل ما قد نصل إليه من حلول لم تحسب حساباً لها في تكويننا الذوقي واللغوي من تآثر بالكتاب الذي يسيطر على وجداننا ونصفي إليه ، بله أسماؤنا وقلوبنا ، صباح مساء !

وأرجو أن أكون بهذا المقال ، قد جلوت شبهة من ضاقوا بها التفتل به من دراسة للنص القرآني وما أنشرونها ، من هذا المنبر العام ، متوهمين أنني انفصلت بها عن روح عصرنا !

وأدركنا به أن كل دراسة أدبية أو لغوية للنص القرآني ، لانعنى المسلمين وحدهم ، بقدر ما تعنى أصحاب العربية جميعاً ، ممن يريدون أن يتصلوا بلغتهم في ذوقها المصنوع وجوهرها النقي وبيانها العالي .



والعربية تواجه اليوم مشكلات كبرى ، بحكم ما جد على حياة أهلها من تطور وما تفضج به الدنيا حولهم من أحداث العصر . ومن هذه المشكلات ما ينصل أقوى اتصال بواقعنا الثوري الذي يعنيه أن تكون اللغة في خدمة الحياة ، لا أن تنزل بعزل عنها . ويكفي لبيان حقيقة صلة اللغة بالحياة ، أن نذكر كنتاج الاستعمار لكى يسرق السنة الشعوب التي ابتغضت به ، بسخا لتربتها وذريعة لغزوها روحياً وفكرياً . وحين أعياء أن يسرق لسان شعب منا ، عيا ثواء لتدمير حيوية لغتنا ، لنظل كما أراد لها : لغة أوراد قديمة وممتون صفراء وبقياء أثرية .

من مخلفات الموتى . . . وراجت لنا أنوال شائعة ودعماوى برسلة ، طح على عقلنا ووجداننا بتقرير أن العربية لاتصلح أن تكون لغة علم ، لمجزأها من تحديد دلالات الالفاظ ونسبها بناهيها ، ولاتصلح أن تكون لغة العصر لأنها ترفض الاستجابة للتطور وتتكسر الجديد خرساً على الحرية الدينية للغة القرآن والحديث كما لاتصلح أن تكون لغة فن أدبي معاصر ، لتصور بيتها من التوغل في أعماق الوجود ، ولح أسرار الحياة ورؤى الجبال ، وأنها تصارى جبهتها البياني أن يعنى بالشكل ويحتفل بالصورة وأن يقف عند الظواهر البادية ويلبح السطوح القريبة !

وكنا نسمع هذا ومثله ، فبدأنا نربح في طاقة لغتنا على مجازاة روح العصر ، وبالجنة قضايا العلية والفكرية والاستشراف لما يخلق فيه من أفاق فنية .

العربية

والفصحى

أحاول منذ اليوم ، أن أعرض بين حين وآخر ، إحدى القضايا اللغوية أو الأدبية التي تشغلنا ، محكمة فيها إلى كتاب العربية الأكبر الذي يقدمها إلينا في ذروة نقائها وأصالتها ..

ومن مشكلات حياتنا اللغوية اليوم ، البحث في مدى طاقة العربية على مجاراة أسلوب العصر ، في دقة تعبيره ووضوح معناه وضبط دلالاته ، مع ما شاع فينا وذاع ، من أن العربية تستعمل عددا من الألفاظ للمعنى الواحد ، وهو ما يعرف بالترادف

دلالات الألفاظ

الكتوف بنت الساطع



والمشكلة قديمة ترجع فيها اعلم إلى عصر التدوين والتأليف في القرن الثاني الهجري ، حيث ظهر الخلاف حول وجود المترادفات في اللغة العربية . ولا خلاف بين علماء اللغة في وجود الترادف . إذا كان تعدد الألفاظ راجعا إلى اختلاف

لغات القبائل العربية . كذلك لا يختلف المترادف ، إذا كان بين الألفاظ المتول بترادفها قرابة صوتية ، إما أن تعتمد الألفاظ في اللغة الواحدة ، دون قرابة صوتية ، لذلك يوضح الخلاف من قديم : الأصمعي كان يباهي بأنه يعرف للحجر مثلا ، سبعين اسما ، على حين أنكر « ابن الأعرابي » - وهو كالأصمعي من لغويي القرن الثاني - وجود الترادف في العربية فقال : « كل حرفين - لفظين - أو لفظين - العرب على معنى واحد ، في كل منهما معنى ليس في صاحبه ، ربما عرفناه فإخبرنا به ، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله »
« وأنكره كذلك » نعلب والمسرود « من الهمة العربية في القرن الثالث وقد ظهرت في الميدان من عصر مبكر كتب تنفي وجود الترادف ، وتقطع بأن «اختلاف المعاني يوجب اختلاف الألفاظ»

أذكر منها كتاب «فقه اللغة» لأبي منصور الثعالبي ، و «الصاحبي» لابن فارس ، و «الفروق اللغوية» لأبي هلال العسكري من القرن الرابع الهجري .
والى جانب هؤلاء ، وجد عدد من اللغويين القدامى ، يقول بوجود الترادف ويعده فضيلة في اللغة العربية دون سائر اللغات (!!) ويراد ظاهرة نراه في معجمها وسعة في قدرتها على التصرف ونقلتنا إلينا أقوال لأصحاب هذا المذهب يباهون فيها بما يعرفون للشئ الواحد من عشرات الألفاظ ومئاتها .
وهذا المذهب هو الذي كتب له الذبوع والرواج ، فبال أكثر مصنفى المعاجم اللغوية إلى حشد الألفاظ المتعددة في المعنى الواحد ، ومنهم « الفيروز آبادي » - صاحب القاموس المحيط - وقد ذكروا في فهرست مصنفاته كتابا في الترادف عنوانه : « الروض الميسر » ، ليما له اسماء إلى الوف

(٣)

نشرت هنا - في شهر رمضان - من
موجز التفسير البياني لسورة العصر ،
ان القرآن يفرق بين بشر وانسان ليستعمل
الانسان بدلالته على الرشد واحتمال
التكليف ، لا بدلالته على البشرية التي تاكل
الطعام وتبشى في الاسواق . ولا وجه
للاعتراض بان كل انسان بشر فيها مترادفان
بل ينتفى الترادف باختصاص احد اللفظين
بدلالة لا يشاركه فيها سواء .

وبمثل هذا النهم للفردى قلت واقول
ان القرآن يفرق بين حلف واقسم ، او
رقية وعنفق ، او نعمة ونعيم . وهي
جبهتا من الالفاظ المترادفة في المعاجم
وهند كجبهة المفسرين .

وانها خصصت هذه الالفاظ هنا بالذكر
لارد على من أنكروا استشهادي بها لنفي
الترادف ، دون ان يقدروا اننى ماكنت
لاجرو على تقرير مثل هذا لولم استقرى
كل مواضع استعمال القرآن لهذه الالفاظ

لفي حلف ، واقسم :

استعمل القرآن مادة حلف ، بصيغ
مختلفة ، في ١٢ موضعا كلها بلا استثناء
في البين الكاذبة ، منها خمس آيات من
سورة التوبة :

« ويخلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم »

٥٦

« .. والذين يؤثون رسول الله لهم
عذاب اليم . يخلفون بالله لكم ليرضوكم ،
والله ورسوله احق ان يرضوه » ٦٢
« يخلفون بالله ما قالوا ، ولقد قالوا
كلمة الكفر » ٧٤

« يخلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا
منهم فان الله لا يرضى عن القسم
الفاستين » ٩٦

« وليخلفن ان اردنا الا الحسنى ،
والله يشهد انهم لكاذبون » ومعها آيات
النساء ٦٢ : « واذا قيل لهم تعالوا
الى ما انزل الله والى الرسول ، رايت
النافقين يصدون عنك صدودا . فكيف
اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم
جاءوك يخلفون بالله ان اردنا الا احسانا
وتوفيقا »

المائدة ٩٢ : « كفارة ايمانكم اذا خلفتم »
المجادلة ١٤ ، ٢٨ : « ويخلفون على
الكذب وهم يعلمون » « يوم يبعثهم الله
جميعا فيخلفون له كما يخلفون لكم ..
الا انهم هم الكاذبون »

وجاء مصرنا فورث هذه المشكلة ، بعد
ان جاوزنا مرحلة المفاضلة الساذجة بين
اللفة العربية وغيرها من اللغات ، واتجهنا
الى البحث المنهجي في خصائص لغتنا
منفتحين بما هدت اليه البحوث الحديثة في
اللغويات والصوتيات وعلم الاجتماع
اللغوى ، فلم تعد كثرة الالفاظ الدالة
على المعنى الواحد مدعاة لفخر ومباهاة
بقدر ما أصبحت مشكلة تلتمس حلا .

ويبدو ان أكثر الدارسين المعاصرين
من تعرضوا للقضية بداوا من نقطة
التسليم بوجود الترادف . فمضوا بعالجون
هذه الظاهرة اللغوية بتفسيرها والنظر
في استنباطها وانواعها (١) نقطة المجمع اللغوى
بالقاهرة - المجلد ٨ (٢) أو اقترح حل
يضمن من حيثها الباعظ الخليل .

وذلك « باستبعاد كثير من المترادفات
التي لا حاجة اليها » وهو اقتراح تقدم
به المرحوم الاستاذ احمد امين الى
مجمعنا اللغوى ، وانتهت لجنة الاصول
الى رفضه في تقريرها الذى عرض
على مؤتمر المجمع في دورته الحالية
(فبراير ١٩٦٤) مرفقا بثلاثة بحوث
في الترادف .

وقبل ان تعرض القضية على القرآن
الكريم ، يجب ان نتفق على معنى
الترادف مبدا للتناول وتحديد الدلالات .
والعربية قد استعملت الردف في الراكب
مع راكب آخر ، واردفته اركبته معه
والردف ايضا ، جليس الملك عن يمينه
يخلفه اذا غزا ، ومن هذا الملحظ في
قيام الردف مقام اخر ، جاء الترادف
اللغوى في « تعدد الالفاظ الدالة على
شيء واحد » - كعبارة القاموس ، او
هو في المصطلح : « الالفاظ المفردة الدالة
على شيء واحد ، باعتبار واحد »
كما في كتاب الزهر .

وبهذا لا يكون من الترادف ان يكون
بين اللفظين ملحظ مشترك في الدلالة ،
لكن لا على وجه التعادل التام الذى يقوم
به احدهما مقام الآخر ، فلا يتغير المعنى .
فتولنا مثلا : محمد بشر ، لايمنى ترادف
اللفظين لجرد ان بينهما ملحظا مشتركا
في الدلالة .

ولعل القراء يذكرون انى بينت فيما

العلم ١٠ : « ولا تطع كل خلاف مهين »
أهماء مشاء بنميم . مناع للخير معتد التيم
وليس فيها على الاطلاق ، الا اليمين
الكاذبة ..
ولا يجوز القول بترادف حلف واقسم
الا اذا كان القرار يستعمل القسم ، دائما
وبلا استثناء في اليمين الكاذبة ، مثل حلف
لكننا نراه استعمال المصدر في آية
الواقعة مؤكداً عظيماً « وانه لقسم لو
تعلجون عظيم » واستعمل الفعل المضاف
« اقسم » مسنداً الى الله تعالى في آيات
ثمان ، حيث لا مجال للشبهة في صدق
اليمين ١٠
وجاء الفعل مسنداً الى غير الله تعالى
في مواضع اخرى لا تحتل كذلك اي ريب
في صدق اليمين مثل آيات :
الروم ٥٥ : « ويوم تقوم الساعة يقسم
المجرمون ما لبثوا غير ساعة »
النحل ٢٨ : « واقسموا بالله جهد
ايمانهم لا يبعث الله من يموت » وكانوا في
قسمهم صادقين لانهم لو امنوا بالبعث
لما اقبوا ان الله لا يبعث من يموت .
ويسكني ان ياتي القسم في اليمين
المصادقة ولو مرة ، لينفي الترادف
مع حلف التي تاتي دائماً وبلا استثناء
في اليمين الكاذبة .
وانتقل الى رقبة وعق : فقرر ان
استقصاء مواضع استعمالها في القرآن
كله ينفي ترادفها باستعمال رقبة دائماً
وبلا استثناء بدلالة مجازية .
فقد جاءت رقبة - بصيغة المرد -
في ستة مواضع : ثلاث منها في آية
النساء ٩٢ : « فتحرير رقبة مؤمنة »
وآية المائدة ٨٩ : « او تحرير رقبة »
« المجادلة ٣ : فتحرير رقبة من قبل
ان يتامسا »
« البلد ١٢ : فلا اتحمم العقبة »
وما ادراك ما العقبة . فك رقبة »
وكلها بلا استثناء مع الفك والتحرير
من الرق .

وجاءت رقاب - جميعاً - في ٢ آيات
انتقل منها بهذه الدلالة في آية البقرة
١٧٧ والتوبة ٦٠ . وثبتت آية القتال :
« فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب
حتى اذا اتخفتهم فتصدوا الوثاق ، فاما
منا بعد واما وءاء »
وقد قال فيها « ابو حيان » في « البحر
الحيط » ماتمه :
« ولا يراد خصوصية الرقاب ، فانه لا يكاد
تتأني حالة الحرب ان تضرب الرقاب
وانما يتأني القتل في اي موضع كان من
الاعضاء . »
واذن نهى مستعملة هنا بدلالة مجازية
من اطلاق الجزء على الكل ، فتزيد الملاحظ
القرآني في استعماله الرقبة والرقاب
في كل الآيات الثماني الاخرى بدلالتهما
على مقتل الانسان معنوياً بالرق والاستعباد
اما « عق » فيكفي لنفي الترادف بينها
وبين رقبة ان تاتي مستعملة بدلالتهما
الحقيقية الاصلية في مثل آيات :
سبا ٢٢ : « واسروا الندامة لما راوا
العذاب وجعلنا الافلال في اعناق الذين
كفروا »
يس ٨ : « انا جعلنا في اعناقهم
افلالاً فهي الى الاذقان فهم مقمحون » .
ص ٢٢ : « فطفق مسحاً بالسوق
والاعناق »
فاقر ٧١ : « اذ الافلال في اعناقهم
والسلاسل يسحبون . في الحميم ثم في
النار يسحبون »
وماذا عن النعمة والنعيم ؟
الكلمتان صيغتان من مادة واحدة ،
والمعجم وكتب التفسير لا تفرق بين احدهما
والاخرى ، فهل كذلك صنيع القرآن في
دقة حسه وعالي بيانه ؟
اعترف بانني لم التفت الى اي فرق
بينهما ، قبل ان اشتغل بالتفسير البياني
لسورة التكاثر ، التي نختمن بالآية : « ثم
لنسالن يومئذ عن النعيم »

(٤)

وامام اطراد استعماله للنعم بهذه
الدلالة الخاصة دون ان يتخلف عنها في
اي موضع ، لم يبق الا النزول على حكم
القرآن ، فلنا مخرين في تاويل لنظ
النعم بما يحمله لغة او مجازا ، والنس
القرآني اباينا لم يستعمله قط في وصف
نعمه من نعم الدنيا ، وانما هو فيه دائما
وبلا استثناء نعم الآخرة ..

وسر البيان فيه ، ان هؤلاء الذين
الههم النكاث في متاع الدنيا الغائبة عن
التزود لأخرتهم ، سيسألون يوم يعلمون
علم اليقين ، ويرون الجحيم عين اليقين
عن النعم الحق ماهو ؟

وعجيب حقا ان يعترض معترض : هؤلاء
لن يدخلوا الجنة فكيف يسألون عن نعم
لا يعرفونه ؟

وكان الذي يصلى نار الجحيم في حاجة
الى ان يدرك حق اليقين ان النجاة من
عذاب النار ، نعم مايمده نعم

الى هذا المدى من دقة الحس وروعة
البيان يفرق القرآن بين صيغتين من مادة
لغوية واحدة .. فهل لي ان اتول :
ان العربية في كتابها الاصيل الاكبر
تحسم هذا الخلاف الذي احتدم وطال
حول القرائن ، وتنفي الشك في دقة
حسها وقدرتها على ضبط الدلالات ، والزعم
بانها وضعت للمعنى الواحد عشرات
ومئات من الالفاظ ؟



وبعد فلست استبعد - وما يزال امامي
عمل طويل في دراسة النص القرآني ،
يستغرق العمر كله - ان نواجهنا منه
الفاظ تبدو لنا مترادفة وينيب هنا الملحظ
الدقيق للقرآن في استعمالها ..
حينئذ اتول فيها ماقاله «ابن الامرابي»
منذ اثني عشر قرنا .

« كل حرفين - لفظين - او لفظين -
العرب على معنى واحد ، في كل منهما
معنى ليس في صاحبه ، ربما عرفناه
فاخبرنا به ، وربما قمض غلبنا فلم
نلزم للعرب جهله »

وباستقراء مواضع استعمال المسادة
في القرآن ، وجدته استعمال نعمة به
مفردة ٤٧ مرة ، كلها بلا استثناء
في نعم الدنيا .

وكذلك اطرد استعماله لصيغ نعماء
(هود ١٠) ونعم وانعم به جميع نعمة به
(لقمان ١١) ، النحل ١١٢ ، (١٢) في
الحديث عن نعم الدنيا .

اما صيغة النعم ، فانفردت بدلالاتها
الخاصة على نعم الآخرة ، في كل
مواضع استعمالها في القرآن الكريم
اعنى آيات :

التوبة ٢١ : « ييشركم ربهم برحمة
منه ورضوان وجنات لهم فيها نعم
مقيم »

الطور ١٧ : « ان المتقين في جنات
ونعيم »

المارج ٣٨ : « ايطمع كل امرئ منهم
ان يدخل جنة نعيم »

الواقعة ٨٩ : « لهما ان كان من
المقربين ، هودج وريحان وجنة نعيم »
الواقعة ١٢ : « اولئك المقربون في
جنات النعيم »

الانطار ١٣ : « ان الابرار لفي نعيم
وان الجار لفي جحيم »

الطعن ٢٢ : « ان الابرار لفي نعيم
على الارائك ينظرون . تصرف في
وجوههم نقرة النعيم »

الانسان ٢٠ : « واذا رايت ثم رايت
نعما وملكا كبيرا .. ان هذا كان لكم
جزاء وكان سميعا مشكورا »

المائدة ٦٥ : « اولادخلناهم جنات النعيم »
يونس ٩ : « تجري من تحتهم الانهار
في جنات النعيم »

الحج ٥٦ : « الملك يومئذ لله ، فالذين
امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم »
الصافات ٤٣ : « اولئك لهم رزق معلوم
في جنات النعيم »

لقمان ٨ : « ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم جنات النعيم »

الشعراء ٨٥ : « واجعلنى من ورثة
جنة النعيم »

ن ٢٤ : « ان للمتقين عند ربهم جنات
النعيم »



دائرة المعارف

ادب

رسالة الغفران

حوالي ١٠٢٢ (سنة ٤٢٢ هـ) تلقى « أبو الملاء » وهو معزول في داره بعمرة النعمان رسالة ادبية اخوانية من اديب حلب معاصر هو « ابن القارح » : أبو الحسن علي بن منصور . ولم يكن بينهما تعارف سابق ، الا كان ابن القارح منتظما لخدمة آل « الوزير المغربي » في مصر ، ثم تنكر لهم بعد نكبتهم ، فلما قدم « حلب » في شيخوخته ، كتب رسالة الى شيخ المعرة ، يعرفه بنفسه ، ويلتبس بزدقة ويرد مسلكه من آل المغربي ، ويمرض بضاعته من العلم والادب .

واملى « أبو الملاء » رده على ابن القارح في رسالة مطولة تحرى بحرى الكتب المصنفة وسماها « رسالة الغفران » .

والرسالة تبدأ بتمدية يعرب فيها « أبو الملاء » مما يشهر فله « ابن القارح » من بودة ، بمطما أسلوب اللفاز : يلغز فيه عن التقلب بعدة اساء ، ثم ينسر اللغز مع شروح لغوية

وتانى الرسالة بعد هذه التمدية في فصلين اولهما : رحلة خيالية طويلة الى العالم الآخر ، استطرد اليها عندما ذكر وصول رسالة ابن القارح اليه ، فلما قاما مفتحة بتجديد الله ، وفي قدرته تعالى ان يجعل الفانها اشباح نور تخرج بكاتها الى السماء ، وتفرس له بركتها اشجارا في الجنة ، يحلب ابن القارح في ظلها ان شاء الله ، وقد اصطنى له من نداس الفردوس عددا مزانة اللغة المتقدمين ، ويدور الحديث بينهم من اخبار الشعراء فاذا جاء فكر « الاعشى » وثبوا ان يكون بينهم يشدهم تصالده ، وجدوه اياهم شابا احور العينين . فيحبون لوجودة في الجنة وتلد بات كافرا . ويساله ابن القارح : بم فخر له ! ليجيب بان تمسده الدالية التي نظمها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم قد شفعت له ! وحينئذ يلغ « ابن القارح » ومن معه من نداس الفردوس ، في ان يحظى بالمغفرة كثير من شعراء الجاهلية والاسلام .

وبتوم « ابن القارح » برحلة في أرجاء الجنة ، حيث يلتقي عددا من مشهورى الشعراء ويتفنن في وصف بانفس به ادباء الجنة ، بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . ويعقد المجالس الادبية واللغوية ثم يبدو لابن القارح ان يطلق على النار ليلتقي من فيها من الشعراء ، وهناك يدور بينه وبينهم واحدا بعد الآخر ، حوار ادبي حول المروى من اشعارهم . لماذا يلتقى بين ذلك نوبة عاد الى محله المشيد في الجنة وتستغرق هذه الرحلة نحو نصف الرسالة . وبعدها يبدأ الفصل الثالث منها وفيه يرد « أبو الملاء » على باجاه في رسالة « ابن القارح » فقرة فقرة ، بحيث ينفذ بنامة حديث أبي الملاء ، بالم نكن رسالة « ابن القارح » بين ايدينا .

والرحلة الى العالم الآخر ، هي التي اكتسبت « رسالة الغفران » شهرتها في العالم الغربي وبخاصة بعد ان شاعت فكرة قائمة بنظر « فابتي » بها في الكوميديا الالية ، لم تلبث ان دخلت ميدان الدراسة الجادة ، منذ نشر المستشرق الاساني « بيجويل اسير بلاسيوس » كتابه المشهور « الاسلام والكوميديا الالية » وتقرر فيه ان اصولا اسلامية من بينها رسالة الغفران كانت منبع للموميديا الالية . وايد رايه بنموس بترجمة من الغفران ، قابلها على تصومر بشابة من الكوميديا . واحداث كتابه ثورة في الدوائر الادبية ماوروما ،

واذا كانت القضية لاتزال موضع بحث ومناقشة ، فالذي لا شك فيه ان لرحلة اس الملاء في رسالة الغفران ، اهميتها الخاصة من حيث كونها تصويرا فنيا نريدا للعالم الآخر كما تمثله اديب فريير محروم ، عاش سيرة واربعين عاما حبس بينه بعمرة النعمان . فان « الملاء الاديب » لا يجعل في عالمه الآخر مكانا لغير الشعراء والية اللغة ومن هؤلاء الشعراء من غفر له بتمسده كالاغشى ، او ببيت واحد من الشعر كالحطبة . وهور الجنة ترقص على ايقاع الشعر ، والقيان يغني بقتائد للشعراء ، وحديث اهل الجنة حوار ادبي ومناقشة لمسائل لغوية . والامر كذلك

في جهنم : كل الذين لديهم هناك ، شعراء مشهورون . والحديث معهم عن الرواية والنسر .

وابو الملاء المحروم الحبيس ، يتفنن في عرض الشهوات والملذات المادية الحسية ، وبلا عالمه الآخر حركة وانفعالا ، من ضيد ورحمة ورتن وغناء ، وغضب وسخط وشجار وبنافرة ومن هنا تضى لنا الرسالة نفسية ساحبا وتصحح بانساع لبنا عن كراهته للذات وزده في بلاذها ، وتظهر لاهواء بشرية . كما تجلو لنا موقفه من عصره ، اذ ترى في رحلته انسحبا من عالم فحج خالفساد والنفاق ، الى عالم اخر يتسلط بسرا من السياسة ، لا تلذ فيه احدا من احباب الا المعذنين والمخسرين .

اما القسم الثاني ، فترجع اهميته الى ما تقدم من اخبار الزناوة ، وما روى من اشعارهم وما حفل به من امل لغوية وآراء نقدية في الادب والمجتمع .

ولم تنشر « رسالة الغفران » في الغرب كائنا ، وانما نشر المستشرق الانجليزي « بيكسور » فسرلا منها في المجلة الاسيرية المكية سنة عام ١٨٨٩ ، ١٩٠٢ . كما ترجم « بلاسيوس » قطعا منها الى الاسانية ، في كتابه عن « الاسلام والكوميديا الالية » الذي نشر بيدريد سنة ١٩١٩ وترجم بعد ذلك الى الانجليزية وغيرها . على ان لمكة الاستشراق ، عددا كثيرا من البحوث والدراسات الخاصة برسالة الغفران .

وفي المسكة العربية ، نشر نفس رسالة الغفران محققا لأول مرة ، في سلسلة ذخائر العرب ، عام ١٩٥٠ ثم اعيد نشره عام ١٩٥٧ مع نص محقق لرسالة ابن القارح ونشرت طبعة ثالثة عام ١٩٦٢ . وقد ختمت « بنت النساطرة » وتدمت كذلك دراسة نقدية له بعنوان « الغفران » - لدرجة الدكتوراه في الاداب - وطبعت هذه الدراسة في دار المعارف برتين ١٩٥١ - ١٩٦٢ . كما نشر الدكتور اجد الطرابلسي كتابا من « النقد واللغة في رسالة الغفران » طبع في دمشق سنة ١٩٥٠ .

د. بنت النساطرة
جامعة عين شمس

أمير البيان شكيب أرسلان



شكيب أرسلان

الشيخ محمد الشرباصي
الكتبة بنت كمال

كنت أوثق أن أرى الاستقبال بهذه
الافضة حتى أفرغ لها بعد حين . فبر
اني شهدت عددا من المجالس الادبية ،
كان كل الخليل فيها عن الامير شكيب
ارسلان ، وكنابه الذي الفه فضيلة
الشيخ احمد الشرباصي . وقد تعارضت
فيه وجهات النظر واختلفت الآراء ،
فلم انا ان اظل بمعدل عن القضية بعد
كل الذي سمعته .
ويعني قبل كل شيء ، ان الفت الى
ان موضوع الكتاب محدد بعنوانه : «امير
البيان : شكيب أرسلان» وهذا التحديد
يعني الدارس من واجب الاستيعاب
لتاريخ شكيب . الحافل ، او جوانب
شخصية . الرخبة . وان لم يفقه من
الاتصال بكل اناره ، والاطلاع على ماوعى
العصر من اخبار وسرويات عنه .

وقد ولد شكيب أرسلان عام ١٨٦٦
وابند به . الفهر نعتي سيما وسبعين
سنة مليحة . خصبة ، شارك فيها في حياة
تومه ، وخاض معاركهم الكبرى ، وشهد
احداث حترين من عصور التحول والانقلاب
في تاريخهم : اولها العصر العثماني في
مرحلة انحطاطه التي حسمتها الحرب
العالمية الأولى . والآخر عصر التمار دول
الاستعمار الغربي على انتهاب ما حباه
« تركه الرجل المريض » التي تقاسوها
فيها بينهم الجاهلية والانداب والاحلال
وكان الشعوب ثورث ، والاولان تدخ
في نفاق التركات . وقد بدأ هذا العصر
ينحسر اينما امام موجات اليقظة وثورات
الحرية التي تاجبت في الوطن العربي
في اعقاب الحرب العالمية الثانية .

وشكيب أرسلان قد عاش تلك الاحداث
ولم يكف عن الاتصال حتى اب من غربته
عام ١٩٤٦ متخفا بجراح المعركة ، لينفن
في ثرى ارضه وارضى قومه واجداده .
ونرك . ميراثا ضخما من انار قلعه ،
ملات نحو اربعين كتابا مطبوعا ، ومئات
من المقالات . معترة في شلى الصحف
والمجلات ، فضلا عن الرسائل المخطوطة
التي يحتفظ بها اهله واصدقاره .
وفد جمع الشيخ الشرباصي من ذلك
كله ما جمع ، محبلا في سبيل ذلك ، مشقة
مشفية ليعرفها الا بن يكابدعا ، ثم عكى
عليه طويلا ، فاحصا بتاملا ، يستجلي
ملاحح شخصية شكيب أرسلان وعصره ،

ودون أن انصدي الآن للحكم على مدى توفيقه فيها حاول ، أرى أننا في حاجة الى أن نعيد النظر في موقفنا من قضية الحياء العلمي في الدراسة الادبية ، حيث تعوزنا - فيما اقدر - شجاعة الاقرار بعجز بشرتنا عن النجود المطلق والحياد التام . وانما أقصى ما نستطيعه هو جهد المحاولة المخلصة . وهذا النقص لصعوبة الحياء المطلق، سيجعل التعاطف الوجداني والفكري بين الدارس والدروس ، أمراً طبيعياً نقبله بالفهم والتسامح لا بالتجريح والأزدراء .

واذن فلا لوم على الشيخ الشريامي فيها يبدو من تعامله أحياناً مع الأمير شكيب ، بل يكفيناه أنه اعترف بأذى ذي بدء بأعجابه بالرجل ، ثم حاول التجرد والحياد قدر طاقته فنقل اليك من أقوال خصوم شكيب أرسلان ما نقل (ص ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٩٠) وأثبت من المأخذ النقدية عليه ما أثبت (ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٨٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨) والنكت الى ما كان من تكسبه الادبي بالشعر بجمال به كبار الكتاب ويتقرب الى اعلام الجيل (ص ٣٠١) ورقض اعتذاره عن توارد الخواطر (٢٩٨) وأطال السؤال عن رأي شكيب في السلوك الخلقي الذي يدعو اليه « ابن المقفع » في رسالة « الدرة البهية » التي نشرها شكيب أرسلان كما سجل من موافقه ، ونصوص أقواله ما هو هزلة للوم والمواخذة والتجريح مثل رسائله الى صديقه على الغياثي التي برر فيها استرضاءه للسفاح جمال باشا ، خوفاً على الأهل والجماعة (ص ٢٤٤) ونص اللوحة التي نافس بها مندوب الانحلال الفرنسي في سورية (ص ٩٧) ومتابله لموسوليني معياً وراء حل سلمي للقضية الطرابلسية (ص ١٠٧) ومابداً من موافقه من الثورة العربية ضد الترك العثمانيين (ص ٦٦)

واذا كان الشيخ الشريامي ، قد حاول تبرير بعض هذه المواقف بفهم الظروف المحيطة بها والدافعة اليها ، فلا بأس على الحق التاريخي من مثل هذا ، لأنه لا بد أن يكون كلمة دفاع وليست ملزمة ولن تكون الكلمة الاولى ولا الاخيرة في الموضوع .

وشكيب أرسلان كان ملء الحياة العامة لقومه ، فطبعي أن يكون له خصوم وأعداء . ثم انه قد عاش في عهود تحول حرجة تنسدم فيها التيارات وتعارض المبادئ

وأصغى الى ما وصل الى مسامعه من اصدااء باقية ، للممارك التي خافها غير انه لما فرغ للكتابة عن « أمير البيان » اكتفى بالملم سريع بعصره وبيئته ، ليفرغ للجانب الادبي من شخصيته ، غير أن كثير بحشد كل ما نرا وجيع ، على نحو ما يعمل اكثير الدارسين ، من لا يطيقون أن يتخلوا من كلمة واحدة مما قرأوا حول الموضوع الذي يدرسونه .

ونقول مع ذلك ، أن الفصل بين الاديب والسياسي ، امر بالغ الصعوبة في شخصية الأمير شكيب أرسلان الذي كانت السياسة محور حياته ، بحيث يشق علينا أن نفهم شخصيته الادبية بمعزل عن حياته السياسية . ولعل حرص الشيخ الشريامي على الانحصار على الجانب الادبي من شخصية شكيب ، هو المسئول عن قصور تناوله الجانب السياسي منها ، خلال نظرت الى « عصر شكيب » بهذا الباب يأخذ صورة العرض التاريخي السريع للعصر ، شبه بمنفل مما نقرأ بعده من ابواب خاصة بأدب شكيب وتموزة هنا أحياناً دقة المؤرخ وإسالة المصائر : فكتاب « شعراء الحماسة والعسوية في التسمام للدكتور امجد الطرابلسي » ليس مصدراً تاريخياً لأحداث بشانق جمال باشا في الشام في ايار ١٩١٦ أو ولاية نيسل لعرض سورية سنة ١٩٢٠ (ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨)

وكتاب « الوحدة في الشرق : للاعظمي وعبد الكريم » لا كان له بين المصادر الاصلية لأحداث الثورة السورية عام ١٩٤٥ ، أو اعلان ميثاق الدول العربية (ص ٥٦ ، ٥٢)

وكتاب « الانجاهات الادبية في العالم العربي الحديث لانيس الخوري » لا كان له ايضاً بين المصادر التاريخية للحرب البلقانية ، وفقد الدولة العثمانية لجزيرة كريت (ص ٢٧)

والقضية النقدية الهامة التي يثيرها الكتاب ، هي قضية الحياء العلمي للدروس فالشيخ الشريامي يقدم اليها كتابه ، مصدراً باعتراف صريح بما يحمل للأمير شكيب من حب واعجاب . منذ كان يقرأ له فتبهذه قوة بيباك وروحه الاسلابة العربية . وبعد ان ابرا ذهنه بهذا الاعتراف ، قرر انه حاول قدر استطاعته ان يتجرد للبحث في نزاهة علمية ، متحرراً من سحر الاعجاب بصاحبه .

(٣)

تورية ، واخران فيجها تقسيم وازدواج
 وهذا فيما ارى نساول سريع ،
 يلتقط شاعدا من هنا واخر من هناك ،
 على ظواهر قل ان يخلو منها اى ديوان
 لاي شاعر ليكن عددا من الخصائص
 الاسلوبية لشعر شكيب او غيره !
 وبمثل هذا التناول السريع للظواهر
 نرى الدارس بنهم موسيقا الشعر ،
 في نطاق سعة العروض وحروف القافية
 (ص ٢١٦) دون ان يصل بها الى
 بعد فني ، يربطها بموضوع القصيدة
 ويلمح الصلة بين ايقاعها وبين النغم
 الداخلى في وجدان الشاعر .

ومضمون الشعر عنده ليس الا اغراض
 الشعر من مدح وثناء وشكوى ومواعظ
 (ص ٢١٢) والثناء في رايه لون من
 المدح (ص ٢١١) كما كان راي نقاد سلخوا
 ذاقوا الشعر بمزاج عصورهم وبيئاتهم
 وقصيدة شكيب ارسلان في «مفاخر
 العرب بالاندلس» تدخل عنده في «محاولة
 صنع الملحمة الشعرية» - ص ٢٩٠ -
 دون ان يسكون فيها ادنى اثر للطابع
 الملحمي .

ولعل الاستاذ الشرباصى ، لونتاول
 ادب شكيب في مراحل تسائر مراحل
 حياته ، وتستجيب لواقع الاحداث على
 وجدانه ، لكان في رايه جديرا بان يفتح
 موضوعه مزيدا من الخصب والحيوية
 والعمق ، الى جانب ما انتج له من سخاء
 الجهد وخصب المادة ، ونزاهة البحث ،
 ونقاء العبارة ووضوح الاداء .



اما الجزء الثانى من الكتاب ، فقد افرد
 الدارس للحديث عن اثار شكيب المطبوعة
 والتعريف باختارات من اثاره المخطوطة .
 وما بذله الشيخ الشرباصى من الجهد الموفق
 المضنى ، في استقصاء هذه الآثار ، يجعلنا
 لانعني من واجب التفرغ ، لتحقيق ما لم ينشر
 من اثار شكيب ارسلان ، ونشر نصوصها
 الكاملة ، على نحو ما فعل الاستاذ «الدكتور
 محمد صبرى» في نشر «الشوقيات المجهولة» .

وقد وعد الشيخ الشرباصى ان يتابع
 دراسته للامير شكيب ارسلان ، وكل
 رجائى ان يبدأ اولا بتحقيق هذه الآثار
 المطوية ونشرها . واؤكد لفضيلته
 ان هذا العمل ، هو اجل خدمة يسديها
 الى الامر شكيب والى تاريخنا الابى
 بوجه عام . وما كنت لاشق عليه بمثل
 ذلك ، لو لم يكن اهلا للنهوض بالمعب
 الجليل وحمل امانته الصعبة !

ولا تؤمن المعثرات والزلات . واذا
 كنا نرفض ان تعرض علينا شخصيات
 الاعلام الراحلين في سير منقبة تجردهم
 من ضعف بشرتهم واهوائها واخطائهم ،
 فنحن جذبرون بان نرفض معها ، ان يقف
 الدارس من احدهم موقف الخصم الذى
 ياد له ان يتصيد المعثرات ويضخم الاخطاء
 ثم لا يثبت ان يقف موقف الحكم ومن اخذه
 خصما ! .

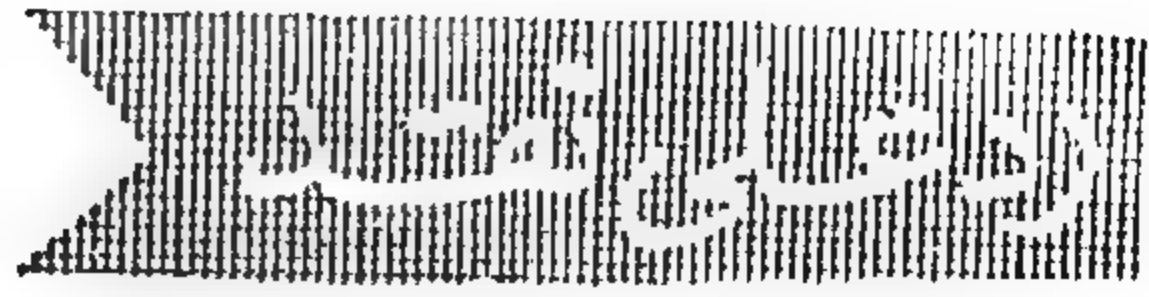
واذكر للشيخ الشرباصى بكل التقدير
 انه لم يرض لنفسه ان يقف من شكيب
 ارسلان موقف الخصم والحكم ولم يتخذ
 من المعثرات والاطفاء التى ذكرها ،
 فرصة للاعلان عن نفسه وللزهو ببيئته
 على حساب الفقيه الراحل . .



وننظر في الكتاب من حيث هو دراسة
 لادب شكيب ارسلان ، فنرى الدارس لم
 يمثل موضوعه على النحو المنتظر من
 مثله في سعة اتفه وخصب مادته .
 فالمفروض ان تكون القضية الاولى في
 الكتاب هذه الامارة البيانية التى تحدد
 بها موضوع البحث ، لكنه اكتفى بالحديث
 من لقب امير البيان ، في ذيل الباب
 الثالث من الكتاب ، وكان كل مه ان
 يبحث في تاريخ اطلاق هذا اللقب على
 شكيب ومن الذى اطلقه عليه . وجاء
 الحديث من اللقب بمعزل تماما عن الشخصية
 الادبية للرجل .

ثم انه في عرضه لهذه الشخصية
 تحدث عن شكيب النائر والشاعر والنائد
 واللغوى ، في توالى تقليدية تستقوى
 الظواهر وتاتي لها بالشواهد ، دون ان
 تمتد بها الى ابعاد فنية نحس فيها نبض
 وجدان الاذيق وتستجلى اسرار ما يبدو
 من ظواهر اسلوبه ، وتلمح المؤثرات
 الخفية التى صنعت ادبه واحتكت في
 توجيئه ، فهناك مثلا ، في باب «شكيب
 النائر» فصل من «السجع» يتتبع هذه
 الظاهرة في دقة واستقراء ، ويقدم نماذج
 من نثره شاعدا عليها ، لكن دون ان
 يكشف لنا عن سر الظاهرة الاسلوبية ،
 وهو سر لا يجلو ان يقال ان المعصر ولما
 بالسجع ، وشكيب حريص على اثبات
 اقتداره عليه . لان مثل هذا من تفسير

الظاهرة بنفسها ! فوقع المعصر بالسجع
 - ان كان - يحتاج ايضا الى تفسير ! .
 وفي باب «شكيب الشاعر» نقرأ فصلا
 في «الحسنات البيعية» كل ما فيه بضعة
 ابيات من ديوان شكيب ، فيها جناس
 وثلاثة ابيات فيها مطابقة ، وبيتان فيهما



أمير البيان شكيب أرسلان

ادب شكيب وكتاباته ، وقد أثبت ذلك بوضوح في صدر الكتاب . وفي موطئ آخر قلت : أنني ساعني في الكتاب بالنواحي الأدبية أكثر من غيرها « ص ٢١ » وكلمة « أمير البيان » التي تأسست بجيئها في عنوان رسالتي عن شكيب بعد أن صارت الرسالة كتاباً يسعى إلى الناس لا تمني أبداً أنني سأسفل نفسي بهذه الكلمة خلال الرسالة أكثر مما تستحق ، فأنبا الكلمة لقب أطلقوه على شكيب حتى صار كالعلم بالعلية عليه .

وقد عادت الناقدة الفاضلة تذكرت أن « الإهارة البيانية » يجب أن تكون القضية الأولى في الكتاب ، وأقول : أنه إذا كان المقصود بالإهارة هنا هو لقب « أمير البيان » فأنى أخالف رأيها ، لأن هذا اللقب لم أبخسه حينئذ ، بل وفئته ذلك الحق اللائم له من البحث ، حيث استغرق ثباتي صفحات من الكتاب « ص ٢٢٢ - ٢٢٩ » . وذكرت أن هذا اللقب كان نوعاً من التقدير الأدبي لشكيب ، وأن الألقاب قد أخذت تزول بعده من « دنيا الأدب والأدباء » .

وإذا كان المقصود بالإهارة البيانية المكانة الأدبية لشكيب فالواقع أنني تحدثت عن هذه المكانة في أغلب فصول الكتاب فحينما تحدثت عن شكيب الناثر ، والشاعر واللفوي ، والمؤلف ، والناقد ، كنت أدور حول هذه المكانة ، لأنني لم ألتزم بها وباعليها قدر طائتي .

تفضلت الناقدة الجليلة الدكتورة بنت الشاطي ، فخصصت مقالها في جريدة « الإهرام » يوم الجمعة الثامن من مايو الحالي لتقد كتابي « أمير البيان شكيب أرسلان » ، وصدرته بأنها شهدت عدداً من المجالس الأدبية كان كل الحديث فيها عن شكيب أرسلان وعن كتابي فيه ، وأن الآراء قد اختلفت في هذا المجال ، والاختلاف هنا لا يفسر ، بل لعله بما يذكر للكتاب - لا عليه - أنه أثار وجهات النظر المختلفة فيما عرضه من موضوعات ومسائل .

وواجب العرفان يقتضي أن أقر وأشكر ما تفضلت به الناقدة من كلمات فنوبه بالكتاب وصاحبه ، حيث وصفتهما بالنزاهة العلمية ، والحياد قدر الطاقة والتحرر من سحر الإعجاب بالشخصية المدرسة ، وحيث ذكرت أن المؤلف قد أتبع له « سخاء الجهد » و« حصب المادة » ونزاهة البحث ، وثناء العبارة ، ووضوح الأداء .

ثم استميت الناقدة عفواً إذا راجعتها في بعض ما ذكرت من نقود ، فهي أولاً قد ذكرت أن الكتاب محدد بمنوانه : « أمير البيان شكيب أرسلان » ومعنى هذا أن يكون بحثه في هذا اللقب ، ولكني أقول أن موضوع الكتاب في الحقيقة هو

(٢)

وذكرت الناقدة ان البحث اعوزه اصالة المصادر احيانا ، واستشهدت على ذلك ببعض كتب لم اخذ منها اراء ولا افكارا ولا معاني ، بل اخذت عن كل منها حادثة من الحوادث او واقعة من الوقائع مما هو قريب العهد بنا ، وهذه الوقائع من الشهرة بحيث تستغنى عن كثرة المصادر واصالتها ، وانما ذكرتها توثيقا وخشية من الاعتماد على الذاكرة . وليت الناقدة حين عنيت بالتماس شواهد على ما اسسته « عدم اصالة المصادر » عنيت بالتوثيق بكثرة المصادر التي تسلم باصالتها كتكتب شكيب نفسه ، وتاريخ الاستاذ الامام وصحيفة لسان الحال ، ومجلة المنار ، ومجلة منبر الشرق ، وكتاب نقطة العرب ، وكتاب عبرة وذكرى ، ورسائل شكيب الخطية .

وقالت الناقدة ان هناك قصورا في تناول الجانب السياسى ، لاننى حرصت على الانتصار على الجانب الادبى من حياة شكيب ، ومع تسليمى بان الجانب الادبى كان اهم ، لم اقتصر عليه ، ولم افصل بينه وبين الجانب السياسى كما ذكرت فقد قلت الكثير من الجانب السياسى في البابين السابق ذكرهما هنا ، وحينما تحدثت عن شعر شكيب جاء ذكر متكرر للجانب السياسى مثل ما جاء في حديثى عن مدالحه للسلطان والدولة ومن تكسبه الادبى بالشعر ومن يرانى شكيب ، اذ فيها ظلال سياسية لان كثيرين ممن رثاهم لهم صلاتهم بالسياسة « ص ٢٦٢ » . وفوق هذا احب ان اذكر باننى توسعت في الحديث عن جانب شكيب السياسى في كتابى الاخر منه وعنوانه « شكيب ارسلان داعية العروبة والاسلام » الذى صدر ضمن سلسلة « اعلام العرب » وهو غير الرسالة التى حرصتها الدكتور .

وقد تمت الناقدة الفاضلة ان اتعرض لروحان شكيب ، واسرار ما يدور من ظواهر أسلوبه كالسجع ، والمؤثرات الخفية التى صنعت ادبه . والواقع اننى حققت امنية الدكتور حيث تعرضت لهذه الامور فى اكثر من موطن : تعرضت لها حينما تكلمت عن الرجال الذين اثروا فى أسلوبه ، وعن مصادر ثقافته ، وعن اسباب مقابته للجملة القرآنية « ص ١٧٨ » .

والتشابه في هذا بينه وبين الرافعى « ص ١٨١ - ١٨٧ » . وقد ذكرت الناقدة اننى اوردت تشبيها فقط لسجع شكيب بها ولوع المعصر بالسجع ، وحرصت شكيب على اظهار اقتداره ، والواقع اننى اضلت الى مؤيدى السنين اسبابا اخرى بينها انه شاعر تؤثر فيه اوزان الشعر وتوافيه حين ينتقل الى النثر - وقد حدث مثل هذا لاحد شوقى - وان امير البيان ادمن النظر والحفظ في المقامات الملتزمة للسجع وانه تاجر بابى اسحاق المصاوى الذى اكثر من السجع احيانا ، وانه يولع بتقليد القدماء . ثم عدت في موطن قال فاضلت الى ما سبق ان « حب الزخرفة » كان يسوق امير البيان في بعض الاحيان الى هذه المنفعة البيانية والمصغى البديعى ، وكذلك كان يدفعه الحنين الى ما فيه الادبى حيث كان السجع يلا عليه دنياه ، فهو يستروح ذكرى ذلك الماضى الادبى العزيز ، وقلت ان بعض ما يكتبه شكيب من هذا اللون يمكن حذف نصفه دون ان يضعف المعنى الاساسى الذى يريد « ص ٢٢٨ » . وكذلك نلقت سجعهم في اكثر من موطن .

وطالبتنى الناقدة الفاضلة بتقديم الصورة النفسية والملاحج الشخصية والسبات العاطفية لشكيب ، وذكرت انها افندتها في كتاب « امير البيان شكيب ارسلان » واحب ان اذكر اننى قد عرضت لهذه الامور في كتابى السابق عن شكيب : « شكيب ارسلان داعية العروبة والاسلام » الذى صدر في سبتمبر ١٩٦٣ ، وخاصة في الصفحات « ٥٦ - ٥٩ » . وفي باب « اخلاق شكيب » « ص ٢٣٥ - ٢٨٠ » . وقالت الناقدة الفاضلة اننى اكتفيت بالتناول السريع للحجبات البديعية في شعر شكيب ، واكتفيت بذكر شاهد من هنا وشاهد من هناك . والواقع اننى ذكرت اربعة عشر شاهدا على هذه المحسنات في شعر شكيب الذى لا يجاوز ديوانا صغيرا ، ومع هذا قلت ان هذه المحسنات احدى جملة ظواهر نراها في شعره ، وذكرت معها هذه الظواهر كتقليده للسابقين والمعاصرين ، واتتبعه من القرآن ، ومحاولته صنع الملحة ، ومداخلة السلطان والدولة ، والتكسب الادبى بالشعر . الخ ، وقلت ان هذه « ظواهر » ولم اقل انها « لوازم » .

(٣)



وددت لو اعلمني فضيلة الشيخ احمد الشرياني من مثل هذا الرد ، فما اراه هنا لفتني الى شيء غاب عني حين كتبت ما كتبت ، او جاء بما يقتضيه بالمدول عن رأي لي في الكتاب ، واجدني بعد هذا مضطرة الى مناقشته في جديد كلامه . واقتصر من ذلك الجديد على مسالتين : اولاهما : فهذه لاصالة المصادر ؛ حيث يقول انه لم ياخذ من المصادر - التي لبنت على عدم اصلتها - اراء ولا افكارا ولا معاني ، بل اخذ « حادثة من الحوادث او واقعة من الوقائع » .

والقول للفضيلة :

ان اي كتاب يصح ان يكون مصدرا لراي او فكرة او معنى فيه ، اما الحوادث والوقائع فلا يجوز بحال ما ، ان تؤخذ من غير مصادرها الاولى وثانيتها الاصيلية ومن هذا لم يصح عندي ان تكون مؤلفات حديثة في الدراسات الادبية ، مصدرا لوقائع تاريخية وحوادث سياسية مضي زمنها . والامر في هذا مما لا مجال للخلاف عليه ، لانه من مبادئ المنهج التي لا تحتل مناقشة ولا تقبل وجهات نظر .

والمسألة الاخرى : قوله فيما انتقدت في كتابه « امير البيان شكيب ارسلان » من ملامح نفسية واجواء وجدانية : « احب ان اذكر انني عرضت لهذه الامور في كتابي السابق عن شكيب ارسلان داعية العروبة والاسلام الذي صدر في سبتمبر ١٩٦٣ اربخامة في صفحات ١٠٠٠ . واقول : ان المآخذ القلدي كان على كتاب امير البيان وليس على اي كتاب آخر سواء .

ولسنا ببحث نلتزم في كتاب عن شكيب ارسلان داعية للعروبة والاسلام ، ما ننفذه في كتاب عنه امير البيان ، من ملامح نفسية وعوالم وجدانية .

والامر في هذا ايضا ، ليس في حاجة الى مزيد بيان او مناقشة ، فعمل الفضيلة الاستاذ بتقبل كلمتي بما اعهد فيه من رحابة صدر وسماحة خلق ، وله بني تحية الصديق الصادق .

بنات الشاطئ

وكانت الناقدة تتوقع ان يتسع حديثي من اغراض شعر شكيب وموسيقاه ، وما عبرت عنه بالخصائص الاسلوبية والابعاد الفنية ، والنفخ الداخلي في وجدان الشاعر ، ولكن ما ذهبي اذا كنت لم اجد - او لم ار في شعر شكيب - غير ما ذكرت .

حسبي اني « قويت » ما وجدت ، وتلت ماله وما عليه حسبما قدرت ، ولقد ابنت في باب « طريقته في نظم الشعر » الصنعة التي كان يهرما شكيب في نظمه وقلت : « الظاهر ان شكيب كان يقول الشعر بعقله اكثر مما يندفع اليه بعاطفته ، وكان يحبل نفسه على نظمه حبلا في كثير من الاحيان ، راودت شواهد على ذلك » من ٢١٩ - ٢٢٢ .

وقد ذكرت الدكتور انني اعتبرت قصيدة شكيب من « بفاخر العرب بالاندلس » محاولة صنع بها الملحة الشعرية ، وحكيت الدكتور بانه لاراحة في التسبده للملحة واحب ان اذكر هنا نص عبارتي التي قلنها عن القصيدة وهي : « من الطوامر التي نلاحظها في ديوان شكيب انه حاول ان يشبه بشعراء الملاحم » من ٢٨٨ . فاحتطت في عبارتي كما ترى ، فوصفت ميل شكيب بانه « محاولة » وبانه « محاولة للنشبه » ومع هذا فالباحث الامير مارون عبود قال - كما ذكرت - عن هذه القصيدة انها رائعة « وهي بالملاحم اشبه » . وفوق هذا اخذت امير البيان على تناقضه في تحديد الملاحم « من ٢٩٢ » ومع هذا فالناقدة الجلييلة الدكتور بنت الشاطئ مشكورة على منايتها بالكتاب والحديث عنه ، واذا كانت قد ابتغت بها كتيب وجه الحق فارجو الا اكون بكلماتي هذه بعيدا من ميقاما ، وعلى الله قصد السبيل .

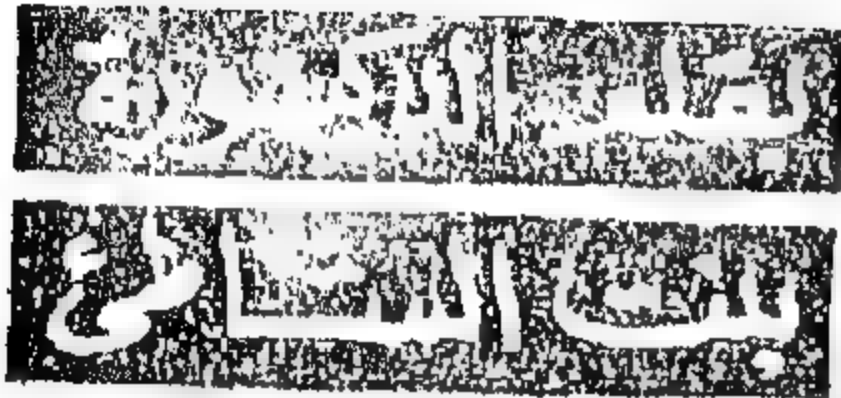
احمد الشرياني



شكيب ارسلان

التاريخ : ٥ / ٦ / ١٩٦٤

على المعبر الجديد



وتعلو مسووس النيل ، ما بين راس
البحر ودمياط
وتجهدنا حرقه وظما
بعد ان اجهدنا الفيضان قلعا ودعرا
في دورة موسمية منتظمة ..
لم تتخلف عن موعدنا ، على مر الحقب
وتعاقب الازمان ..

ثم كان للباساة آخر ..
وحان الموعد في اسوان
وتدفقت اليها الجموع ساعية من ثمتي
ارجاء الدنيا ..

في ارتقاب لحظة التحول الحاسمة .
وانا على الشاطئ في اقصى الشمال
في رحلتى السنوية الى بلدتى دمياط
التي اشاركها افراح عيدها القومي
واتابع الجديد من معالم نهضتها
ومشروعات عمراتها ..

واطوف برزوها الفسالية التي كانت
لطفولتى بهذا ، ولصباى بلعيا ..
والتمس نفسى التائهة في الزحام
واعيشى لكريات عهد لى هناك ، على
دراج ..

واسلمنى من بعده الى نواحة الزمن
بدوارها العنيف القاسى واعبائها الفادحة
النقال ..

وعند راس البحر
وقلت ارنو الى مصب النهر
حيث يتجلى سر التحول التاريخى
بالسد العالى
وتتضح الرؤية باجلى ملامحها وكل
ابعادها ..

ولفت خاشعة على شاطئ النيل
عند مصبه في اقصى الشمال
حيث يلتقى بالبحر المتوسط
على حافة الرادى ، عند راس البحر
ولم اشعر انى بعيدة عن اسوان ..
فلقد تدانست الابعاد النائية
وطويت المسافات التباسية
رانا اصفى الى خلق امواه النهر
ابنة من اقصى الصعيد
موجة نض الحساسة الجديدة التي
صنعتها ابناء بلدى هناك ..
ومسلطة في سمى ووجدانى بهدير
صاحب ..

طاما ارقنا في صبانا
وشرد احلامنا ومزق رانا
نحن الذين عشنا على حافة النهر
نظل كل عام في موسم الفيضان
على مشهد دماء النيل في غفلوان حيوتها
تندفع مكدورة نحو مصيرها
فيلفها موج البحر العاتى
وطربها في اكلان بيضاء
بعد ان يمسكها غلوتها ، وسهرتها
الدمراء ..

ويبقى اسمائها الملح الاجاج
فنوناب مدعورة في انتفاضة احتضار
ثم يلفظها الموج على الساحل
ركاما من جنك هامدة
قد اختللت فيها الحياة ..
ويظل النهر ينزف مائه
الى ان تنهى دورة الفيضان
فبروعنا مشهد آخر
حي بهط منسوب النهر عن مستوى
سطح البحر .. فتطوى المياه الملحة على
لجرى

(٢)

ويبلغ التجارب غايته القصوى
بين ذلك الصرح الشامخ في اعالي
المتنوع
ويزين مصب النيل على حافة البحر
في الموقع الذي كان على مدار الزمن
وسرعا المساة المصير ..
في درونها الفاجعة وبشهادتها الختامى
وفي اللحظة الحاسمة التي شهدت
تحويل مجرى النيل ..
وسجلت انقصار ارادة الانسان
المصرى الذي صنع الحضارة من جسر
التساروخ ، وفرض خلوده على الدنيا
والزمان ..
تناهى الى مسمى وقع الخطرات
الاولى على الممر الجديد ، الى حيث
يلتقى النهر مرة اخرى بينه
لما حسست ملء وجداني انها لحظة
تجول تاريخي في صلتنا ببنينا الخالد :
عبده اجدادنا في قديم الحقب وغابر
الزمان ..
وقدموا له القرابين استجداء لخير
وخوفا من جبروت نكته وغضبه
وتناحيت محاولاتهم لطويحه واستوفائه
واجهدهم السعى وراء المكنون من سره
وعبرنا اليه متحذرين من كل اثر
لخوف او رهبة او استجداء ..
لنتلقى هبته السخية في فيض من
الحب الغامر ..
وهزجناه بعرق كدحنا وذوب قلوبنا ..
لتفدى كل قطرة منه عطاء الحب
ورمى الاندجاج ..
ومنحناه اقصى ما في طاقنا من ارادة
وولاء ..
كيلا تفسخ آيته بفيضان مغرق او
جفاف مغرق
ولم نكن في هذا كله جبابرة تخضع
النهر ونكبله بالفيود ..
ولا كنا ضالعين ننقى غضبه ونحنى منه
بالسيود

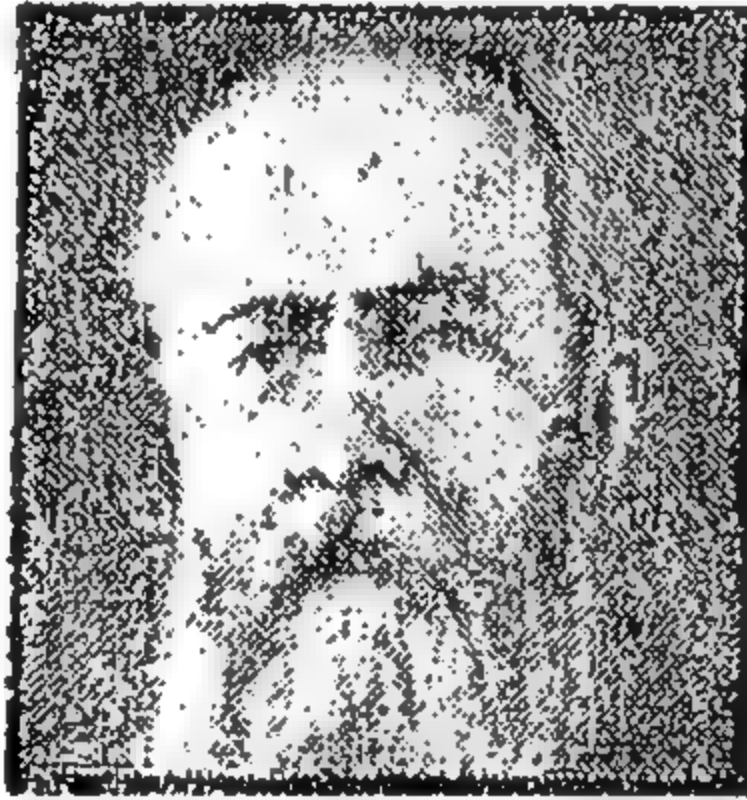
وانما اسرناه بالحجب والعرفان
فهدمنا ما قام بيننا من حواجز العزلة
والجود ..
وحولنا مجراه بسواعدنا الى صميم
وجودنا
فما بيناهم المباركة على التصديع
والاهدار
ولنتيح له ان يهب مزيدا من الخصب
والنماء
ويحمي واديه من العقم والجذب
وعلى الممر الجديد
كانت خطورتنا الاولى نحو الملتقى الجديد
متحذرين بالحجب من العبودية والخوف
ومن هناك تعالى هفاف النصر
فخفقت له امواه النهر في اقصى الشمال
على حافة البحر عند راس البر
حيث يتجلى سر التجول
وتتضح الرؤية بكل ابعادها
في الموقع الذي اطل منذ كان
على مشهد إختناق الحياة بالملح الاجاج
وروعه هدير ارتطام المياه الخطوة
السمرى بالامواج الباطشة ..
وتعطل فيه سر النيل فتاب شمسية
ممسوحة من البحر الملح
وعلى مد البصر الى بعيد الافاق
ومن وراء الحجب تلوح لي رؤيا الخد
فاجتلى مشهد اتصال نهرنا المليون
يبحرنا الكبير حين يلتقيان على سلام
فيشق كلاهما مجراه محققا سر وجوده
واية عظمته ..
احدهما يصنع الحياة الطيبة في واديه ،
ويسخر بالمطاء على احبابه ..
والاخر ينقل حضارة الانسان بين
شرق وغرب ، ويصل جديدها المستحدثت
بقديمها العريق ..

التاريخ : ١٩ / ٦ / ١٩٦٤

تاريخ الادب الجغرافي العربي

كتاب من موسكو

تأليف: المستشرق الروسي كراتشكوفسكي
ترجمة: الدكتور صلاح الدين هاشم
تقديم: الدكتورة بنت الشاطئ



كراتشكوفسكي

رحلة مثيرة في أعماق
تاريخنا الجغرافي على
مسار الزمن ، يرويها لنا
شيخ المستشرقين الروس
بكل عجائبها وغرائبها ،
ويضع بين أيدينا في كل
مرحلة من مراحلها ، دليلا
غنيا بالمصادر والمراجع
التي كشفت له عن معالم
الطريق الطويل ، وأضاءت
دروبه ومسالكه ...

هذا كتاب يحمل آثار جهد ثبات صابر ،
وهمل مخلص دائب استغرق ثلث قرن من
الزمن ، اخصسه المستشرق الروسي
(كراتشكوفسكي) في جميع مآلاته الخصبة
من تاريخ الادب الجغرافي عند العرب ،
من الابواب الاولى في قديم ما وصل
اليها من الثمر الجاهلي ، الى قديم من
العصر الحديث .

رباخذني العجب ، وانا اتمثل هذا العالم
الكبير ، يستقرى مئات المصادر الادبية
والعلمية ، ويراجع دواوين التسميات
واساطير العرب ، ويطلع في القرآن
الكريم ، والاحاديث النبوية ، ويتتبع قصص
الرحلات والاسفار وكتب البلدان ومؤلفات
العرب في الجغرافيا الوصفية والرياضية
والاقلية ، ليستخلص منها جميعا معالم
تاريخنا الجغرافي على امتداد سيرة الطويل
وليسجل ما رمى الزمان من خيالاتنا
الاسطورية وتصوراتنا الادبية وبحوثنا
العلمية وكشوفنا الجغرافية ، متبعا مجرى
التبار على درب الزمن ، ليرقب روافده
الاصيلة التي انطلقت الى الخارج تحمل
الى الدنيا ثقافة العرب ومعارفهم
الجغرافية ، ويبرز في الوقت نفسه ، ما تلقى
التبار من روافد خارجية ، على مر العصور
والادوار .

وبالها من رحلة حافلة مثيرة ، يرويها
لنا شيخ المستشرقين الروس بكل ما حوت
من عجائب وغرائب . ويضع بين أيدينا
بعد كل مرحلة من مراحلها ، حشدا من
المصادر والمراجع التي كشفت له عن معالم
لطريق وافسات مسالكه ، ووجهت خطوات
السير فيه فباتت الرحلة الا وقد اجتبع
نا المهرست الجامع لمراجع البحث في
تاريخ الجغرافيا عند العرب ، دليلا مرشدا
لشخصين في الدراسات العربية
الاسلامية ، ومؤرخي الحضارة الانسانية
وجم عام .

(٢)

ومات «كراتشكوفسكى» في يناير سنة ١٩٥١ ، وهذا الكتاب ، مخطوط ، مودع في خزائنه ، مع أبحاث أخرى في العربية ، مخطوطة لم تنشر . فلم توضع على وزانه بضعة أشهر ، حتى أصدر المجمع العلمي للاقتصاد السوفييتي قرارا بنشر آثار المستشرق الكبير ، تألفت بهتتساء هيئة علمية من زملاء كراتشكوفسكى وزلا ، هذه ، عكنت على اعداد آثاره للنشر ، واستطاعت ان تصدر منتخبات منها في سنة مجلدات ، فيها بين عامى ١٩٥٥ ، ١٩٦٠ .

وكتاب «تاريخ الادب الجغرافى العربى» هو المجلد الرابع من هذه المنتخبات ، وقد أعدته للنشر لجنة رباعية من علماء الاستشراق الروس ، من بينهم المستشرق «كراتشكوفسكيا» أرملة المؤلف .

وظهر الكتاب في موسكو عام ١٩٥٧ بعد أن طال ترقب الدوائر العلمية له . وكان الزميل السودانى «الدكتور صلاح الدين عثمان هاشم» هناك ينتظر ظهوره في لهفة ، لطول ما حدثه عنه كبرسار المستشرقين الروس الذين لديهم أثناء بقائه في الاتحاد السوفييتى ، ثم خلا بالدراسة والبحث الى جانب عمله في (السلك الدبلوماسى) ولم يلبث أن اشتغل بترجمته الى العربية ، وقام المستعرب الروسى «إيفغور بيلنايف» بمراجعة الترجمة والكتاب يبدأ بهدخل عام في الدور الحضارى للعرب وأثرهم في النهضة الاوربية الحديثة بوجه عام ، وفي العلم الجغرافى بوجه خاص . وتأتى مصادته بعد ذلك منسقة في ستة عشر فصلا ، أولها في الجغرافيا عند العرب قبل ظهور المصنفات الجغرافية الاولى ، وهو مذبذبت للمراجع ، وعددها ١٥٧ مرجعا . والفصل الثانى خاص ببداية الجغرافيا عند العرب ، وعددها مراجعه ١٧٤ مرجعا يخلوه الفصل الثالث عن جغرافى المدرسة اليونانية والزيجات الفكرية الكبرى ، مذيلا بنحو ١٢٠ مرجعا ، والفصل الرابع ، خاص بالجغرافيين اللغويين ورحالة القرن التاسع الميلادى (٥٣٠هـ) وقائمة مراجعه تضم ٢١٥ مرجعا . ثم تتابع الفصول بعد ذلك على الترتيب الزمنى ، الى القرن السادس عشر ، مؤرخة لتطور الجغرافيا العربية ومدارسها وروادها وأعمالها . . على ذلك المدى الطويل .

ولقد صدحبت اول الاسر لاهتمام كراتشكوفسكى بهذه الرحلة الجغرافية عبر تاريخنا ، وهو الذى تخصص في دراسة الادب العربى وتاريخه ، غير انى جالبت ان أشرت انه اتجه الى هذا الميدان الذى قد يبدو في ظاهره بعيدا عن مادة تخصصه . وهو يقدر حق التقدير ان الادب خيط من نسيج الحياة ، ويمى اتم الروى ، مدى ارتباطه الوثيق بحضارة الامة في مختلف فروعها وشمى - انواع نشاطها .

ومن هنا لم يجر عنده ان يتخصص في دراسة الادب العربى بمعزل عن تاريخنا الحضارى . وكانت عنايته بالتاريخ الجغرافى للعرب ، ضرورة لاغنى عنها لفهم عقائدهم ووجدانهم ولصوراتهم لكنى يصح لهمه لادبهم .

واذا كان «كراتشكوفسكى» قد سحرت روح الشرق من عهد طفولته في (طشكند) حيث كانت ترعاه حاضنة من اوزبكستان ، فيما شرب من الطوى حتى اتجه بكل فكره وعاطفته الى دراسة الشرقيات ، ثم تخصص في اللغة العربية وآدابها الفصحى والشعبية ، فكذلك كان اهتمامه بالجغرافيا عند العرب ، وبكروا يساير هذا التخصص من اول عهده بالحياة العلمية : ففي عام ١٩٠٧ اقترحه جامعة بطرسبورج في رحلة دراسية الى اقطار الشرق العربى ، حيث أمضى سنتين في ربوع مصر والشام ، يلتقى العلماء العرب ويوزور دور الكتب والمعاهد والجامعات ، ويوغل في مسهم الاحياء الشعبية ودروب الصحراء . فلما عاد من رحلته بدأ من عام ١٩١٠ ، يحاضر طلاب جامعة عن «الادب الجغرافى عند العرب» وبشت الاعوام وهو يواصل دراسته للموضوع في مجال تخصصه ، فسكانت محاضراته في العام الجامعى ١٩٣٥ : ١٩٣٦ من «التاريخ والجغرافيا عند العرب» ايذانا باكتمال ذلك البحث الطويل ، في تاريخ الثقافة العربية والحضارة الاسلامية وانتخب «كراتشكوفسكى» سنة ١٩٠٩ عضوا في الجمعية الجغرافية الروسية ، ثم عين نائبا لرئيسها من سنة ١٩٢٩ ،

الى جانب عضويته العاملة للمجمع العلمى السوفييتى ، ومنصبه الجامعى استاذا اول للدراسات العربية في لينينجراد . وخلال هذه السنين الطويلة الخصبة ، جبع مادة كتابه من تاريخ الجغرافيا عند العرب ، ثم اشتغل بتنسيقها وتدوينها من سنة ١٩٣٨ الى سنة ١٩٤٥ مع فترة توقف أثناء حصار الالماني لمدينة لينينجراد .

التاريخ : ١٩ / ٦ / ١٩٦٤

(٣)



وانظمت اربحية « الدكتور صلاح الدين
حاتم » اذا شكرت له نقل هذا الاثر
العلمي الهام الى مكتبنا ، فمثلته من لا ينظر
شكرا على اداء واجيب بفروض ، تهيات
له وسائل النهوض به ، بامانة والهدار .
وكنيت بحيث اتنى على ما بذل من جهد
في ترجمة الكتاب ومراجعة ما فيه من
بصوص على مساندها العربية ، لولا
ما اشعر به من خجل ، حين اذكر ذلك
المعبء الفادح الذي احتمله ذلك المستشرق
الروسي ، واذكر معه ما قدم الى مكتبة
الاستشراف من رصد فخيم ، يربو على
مائتي كتاب ويبحث في دراسة تراث العرب
ونحن هنا نستنقل عبء تراثنا ، ونرى في
الاشتغال به عزلة عن الحياة والفصلا
عن العصر ومجاهلة لروح التقدم واتجاهها
بمهادا لحركة التطور ..



واذا لم يتسع المجال اليوم لنقديم
دراسة نقدية لكتاب « كراتشكولسكي »
فحسبي ان الفت قومي مرة اخرى ، الى
ما سبق لي لفظهم اليه عنديما قدمت هنا
كتاب اراجيز احمد بن ماجد في علم البحار ،
الذي بشره المجمع العلمي للاتحاد السوفيتي
فيما نشر من ذخائر تراثنا ، دون ان تزهد
فيها قضايا العصر او تشغله عنها اعباء
غزو الفضاء ، ودون ان يتصدى له من
ينكر مثل هذا البحث عن تراث العرب
الماضين ، او يسأل عن جدوى الاستغفال
بمخلفات القرون الخالية !

١- كتاب الجزائر

للأستاذ توفيق المدني

٢- تاريخ المغرب الكبير

لمحمد علي دويو

تقدمها
الدكتور

بنت الشاطئ

البلد الطيب الذي احبناه ،
وعشنا معه معركته الباسلة ،
وشدت اليه قلوبنا وضمائرنا
وهو يقدم على أغلى فدية لشرف
الإنسان وجهلناه مع ذلك .
فلم نعرف من تاريخه وطبيعته
أرضه ، وحياة شعبه ، شيئاً
ذا بال .
لطول ما عزله الاستعمار عنا ،
ليحول دون تبادل الأفكار وامتزاج
الثقافات ، بين أبناء الأمة
الواحدة .

وكتاب الجزائر «السيد» الاستاذ
أحمد توفيق المدني عام ١٩٦١ ابن
الأخرى من حيث النسبة العددية ، والوضع
الاقتصادي ، والنشاط الاقتصادي .
ويستغرق الحديث عن هذا ، أبواباً
خمس من الكتاب ، تلتها أبواب تسمي
عن الجغرافية الطبيعية لتعليم الجزائر ،
وتقسيمه الإداري ، وكبريات مدنه وقراء
ونظم الحكم فيه ، والتعليم العام ، وأحوال
المسلمين الاجتماعية والاقتصادية .

والكتاب على هذا النحو ، دليل مرجع
أمين للقطر الجزائري وتاريخ شعبه
وطبيعته أقليميه . وهو غني المادة ، دقيق
القول ، مع بساطة العرض ووضوح
الاداء وبسر الأسلوب . وقد استطاع
استاذنا «السيد» أحمد توفيق المدني
أن يرسم صورة بلده وأهله ، ببلادها
الاصيلة وسماها المير . متخففاً من عبء
الاطالة والقال التزيد والحشو ، وليس في

الكتاب «السيد» الاستاذ
أحمد توفيق المدني عام ١٩٦١ ابن
الأخرى من حيث النسبة العددية ، والوضع
الاقتصادي ، والنشاط الاقتصادي .
ويستغرق الحديث عن هذا ، أبواباً
خمس من الكتاب ، تلتها أبواب تسمي
عن الجغرافية الطبيعية لتعليم الجزائر ،
وتقسيمه الإداري ، وكبريات مدنه وقراء
ونظم الحكم فيه ، والتعليم العام ، وأحوال
المسلمين الاجتماعية والاقتصادية .
والكتاب على هذا النحو ، دليل مرجع
أمين للقطر الجزائري وتاريخ شعبه
وطبيعته أقليميه . وهو غني المادة ، دقيق
القول ، مع بساطة العرض ووضوح
الاداء وبسر الأسلوب . وقد استطاع
استاذنا «السيد» أحمد توفيق المدني
أن يرسم صورة بلده وأهله ، ببلادها
الاصيلة وسماها المير . متخففاً من عبء
الاطالة والقال التزيد والحشو ، وليس في

الكتاب «السيد» الاستاذ
أحمد توفيق المدني عام ١٩٦١ ابن
الأخرى من حيث النسبة العددية ، والوضع
الاقتصادي ، والنشاط الاقتصادي .
ويستغرق الحديث عن هذا ، أبواباً
خمس من الكتاب ، تلتها أبواب تسمي
عن الجغرافية الطبيعية لتعليم الجزائر ،
وتقسيمه الإداري ، وكبريات مدنه وقراء
ونظم الحكم فيه ، والتعليم العام ، وأحوال
المسلمين الاجتماعية والاقتصادية .
والكتاب على هذا النحو ، دليل مرجع
أمين للقطر الجزائري وتاريخ شعبه
وطبيعته أقليميه . وهو غني المادة ، دقيق
القول ، مع بساطة العرض ووضوح
الاداء وبسر الأسلوب . وقد استطاع
استاذنا «السيد» أحمد توفيق المدني
أن يرسم صورة بلده وأهله ، ببلادها
الاصيلة وسماها المير . متخففاً من عبء
الاطالة والقال التزيد والحشو ، وليس في

ولقد كان يخلني ، وأنا احيا في رحاب
الجزائر ، عمق شعوري بالانفصام نحو
أهلي الكرام بها ، واحساسني ان ما غاب
عني من تاريخها واحوالها ، يوشك ان
يردني غريبة في بلدي ، وبين قومي
وعائرتي .
حتى تلقيت هدية غالية من جديس
مطبوعات الجزائر العربية ، تحدثني عن
باضها العريق وخاضرها المرجو ، وتصلني
بحدورها في اعماق الزمن ، وترتاد لها
بمعالم طريقها على مسار التاريخ .
ثمرة مباركة من ثمار المعركة الجيدة
التي لم تظهر الحمى من نسي الغاصبين
فحسب ، بل خطمت كذلك اسوار المذلة
الفكرة بنينا ، وردت الى الكتاب العربي
اعتباره المهر ، فبدأ يأخذ مكانه الطبيعي
في البلد الطيب الذي لبث لدى قرن ونصف
قرن من الزمان ، مستباح الحمى للبشاعة
الاجنبية ، مادية وفكرية .

الكتاب كله ، اثر لحباسة خطابية او انشائية ، استهوائية ، فاستاذنا المدنى المغرب الكبير» للاستاذ «محمّد علي ديوز بطبيعته ، مهذب القلم واللسان ، يترن استاذ العربية والاسلام بمعهد الحياة الراي والكلية ، رصين التفكير والتعبير في الجزائر» وقد صدر منه جزوان طبعيا ولم اره حاول ان يتكلف الحباسة او في القاهرة باشراف الاستاذ المؤلف الذي بفنعمل الاثارة ، وانما ترك للحق التاريخي اقام هنا علما كاملا بعد استقلال بلاده ،

والتواضع المشهور والارقام ذات الدلالة المعبرة ، مهبة الاثارة والافئاع . وقدم ماله في رقاد الباحث وامانة الدارس وانقا انها لغنيه عن اي جهد خطابي لاجتذاب قارئه ، فلا عجب ان اضطرر انكتاب من الاستعمار الباغي ، واوسدت امامه سبل الذبوع والانتشار ، فبضى على ظهور الكتاب في طبعته الاولى ثلث قرن من الزمان ، والبقية الغشيلة من نسخة ، مطوية في خزائن الكتب . الى ان انجلي الليل الطويل ، فبادرت «دار الكتاب في البليدة بالجزائر» الى نشره في طبعة جديدة معتقة ، لتتيح لابناء العربية ان يتسروا «كتاب الجزائر» ويعلموا ماغاب من تاريخها وجغرافيتها وحياتها اهلها .

وهذه الطبعة الثانية للكتاب ، طبق الاصل من طبعته الاولى . وكنت اتبني لواناف اليه الاستاذ الجليل ، فصلا جديدا يصل به ما بين الجزائر عام ١٩٢١ ، والجزائر اليوم ، ويسجل احداث الصراع مع الاستعمار في منقوان ضراوته ، واسداء الجهاد الباسل في معركة التحرير الطائفة . لكني نهيت من السيد الاستاذ - عندها التفتنا في الجزائر - ان نسوا غلب سمبه وزيراً للاوقاف وجنديا هابلا في معركة السمير والبنساء ، تجعله يترك لغيره من ابناء هذا الجيل والاجيال المتقاربة ، مهبة استكمال الفصول الجديدة من «كتاب الجزائر» وتال فيها قبال .

«اننا جديرون باحياء التقليد العلمي لسلفنا الصالح ، ومن تتابعوا على التأليف في الموضوع الواحد : يبذل المؤلف منهم جهد طاقته ، ثم يعقبه آخر من بعد آخر فيستكمل ما فات الاول : تذييل او تكملة او استدراك» .

وتذاكرنا يومئذ ، ماني رصيد تراثنا النكري والادبي والتاريخي ، من كتب تحمل عناوين «النكبة» ، والصلة ، والحوادث والذيل ، والمستدرک ، ...» شاهدة بتمتات الاجيال من فلياننا على حمل الامانة والوفاء بالنكبة ، كالتنا الشملة المضينة تتلقاها يد عن يد ، جيلا بعد جيل .



كما سمعت منه انه سوف يجعل كذلك بطبع الجزء التاسع ، وهو خاص بالحقبة المجهولة من تاريخ الجزائر ، من منتصف القرن التاسع عشر الى قيام الثورة . لان هذا الجزء يؤرخ لمرحلة التعمية الثورية التي سهر عليها ابطال كرام من العلماء والمجاهدين ، وهي لم تدون بعد لكن مصادرنا لاتزال باقية لدى الاحياء من شيوخ الجزائر الذين ادركوا تلك المرحلة ووعوا اخبارها ، وعرفوا قادتها وشاركوا فيها .

وقرات مع كتاب الجزائر ، «تاريخ المغرب الكبير» للاستاذ «محمّد علي ديوز بطبيعته ، مهذب القلم واللسان ، يترن استاذ العربية والاسلام بمعهد الحياة الراي والكلية ، رصين التفكير والتعبير في الجزائر» وقد صدر منه جزوان طبعيا ولم اره حاول ان يتكلف الحباسة او في القاهرة باشراف الاستاذ المؤلف الذي بفنعمل الاثارة ، وانما ترك للحق التاريخي اقام هنا علما كاملا بعد استقلال بلاده ،

بتصل بالحياة الفكرية والادبية في هذه المنطقة من قلب الشرق العربي ، وملتى عليها وادبائها بعد طول لراقي ، ويجده هذه بيمر بذكران يطلب العلم فيها الى عام ١٩٢٨ . وقد اتجهت فكرته الى كتابة تاريخ المغرب الكبير في مختلف العصور ، لما راي من عبث المستعمرين بهذا التاريخ وتجريدهم دور الكتب الجزائرية من كنوزها الغنية ، فلم ينج منها الا بعض خزائن الخامة من العلماء ، الذين حبوا من المدوان الناشم ، في مخاض بعيدة بجنوب الجزائر .

وبدا الاستاذ ديوز من عام ١٩٥١ ، بطون هذه الخزائن ويجمع منها مادة كتابه ، فله اتم اعداده في مسيرته الاولى ، تبهل حتى رار تونس صيف عام ١٩٥٨ ، فاطلع على ماني خزائنها من تاريخ المغرب الكبير ثم سعى الى القاهرة استكمال مادته من ذخائر مخطوطاتها ، ومن بينها مخطوط الجزء الثاني والمشرين من «نهاية الارب للسير» وفيه من تاريخ المغرب القديم مالم يجده الباحث في كتاب غيره . ويتبع «تاريخ المغرب الكبير» في عشرة مجلدات كبار ، اتم الاستاذ المصنف طبع الثاني والثالث بنهبا ، لاختصاصهما بتاريخ المغرب الاسلامي من الفتح الى القرن الثالث الهجري ، مرجنا لشر الجزء الاول الذي يؤرخ للمغرب قبل الاسلام . . .

وسمعت من سيادته ، انه انبا عجل بنشر التاريخ المغربي الاسلامي ، لحاجة بلاده اليه في معركتها الجديدة ضد رواسب الاستعمار ، حيث لحق تاريخها الاسلامي مالم يلحق سواء من تشويه وبتر وتحريف ، لما عرف الاستعمار من رسوخ العقيدة الاسلامية في اهل المغرب .

العرب ، حيث كانوا يمدون النصوص الأدبية وثائق لفهم التاريخ وتفسيره ، ويسجلون منها نبض الوجدان الشعبي ، وماكان هذا بمسير على مثل الأستاذ ، في أحاطته بالتاريخ الأدبي للمغرب ، ولكنه فيها أرى ، ركز جهده على التاريخ السياسي وتتابع الولاة والحكام ، بمنزلة عن الحياة الأدبية ، فلم ينقل البنا من اصداء وقع الاحداث التاريخية على الوجدان الأدبي ، أو من تأثير هذا الوجدان في توجيه الاحداث ، الا بضعة نصوص ضئيلة ليست بذات حال : ففي الجزء الثاني بعض أبيات بن شمر «(الأحوص)» و«(الفلسد الزماني)» مما غنته «حباية» ليزيد بن عبيد الملك من ١١٧ وأبيات أخرى من شمر «(عمرو بن الأطنابة)» تمثلها «مهاوية» في صلبين يوم السريير (٢٢٤) . وفي الجزء الثالث ، اهتم الأستاذ بنقل أبيات لابن حماد القاهري ، من كتاب المسك والبالك (ص ٢٧٣) مع انها لا تبدو ذات صلة واضحة بالحدث التاريخي ، ولعلنا ارتاب في ان المؤلف فيها طالع من تاريخ المغرب الكبير ، برزت به بوائل شارك فيها الادب مشاركة حاسمة ، وأنه ليرجو عندنا الا يظن علينا في الاجزاء الباقية من تاريخه الكبير ، بتقديم النصوص الأدبية التي نستكمل بها فهم تاريخ المغرب ، افساء وتفسيرا ..

وانته بالحدث الى قومي في مختلف اقطار وطننا العربي فاقول : هذا تاريخنا فاقرووه ، واذا كان احدنا يستحي من الجهل بتاريخ المغرب ، فانه لمار علينا ان نجهل تاريخ بلادنا ، ونعيش غرباء عن آباء لنا راجداد ، تجري دماؤهم في عروقنا ، ونجد ميراثهم في كياننا مهما تقدم بهم العهد وتصلنا عنهم آحاد وآحاد ..

واذا كان الأستاذ المدني في كتابه الجرائر ، وجه اكثر عنايته الى العصر الحديث ، فان كتاب الأستاذ دبور ، يضيء لنا ماضي تاريخها بتفصيل واستيعاب ، فيؤرخ في الجزء الثاني لسرعة النهج الإسلامي والعهد الأموي في المغرب ، ثم يؤرخ في الجزء الثالث العصر العباسي وعصر الدول الإسلامية المستقلة في القرنين الثاني والثالث للهجرة ، وهي الدول الرستمية والادريسية ، وبني واسول جنوب المغرب الأقصى والدولة الأغلبية ، و«الأستاذ دبور» في موسوعته التاريخية

يذكرنا باعلام الأخباريين والمؤرخين الماسيين ممن تضاوا اعمارهم في جبع مادة تاريخنا وتدوينها ، بصبر عجيب وفان مخلص . وان كان يحصر اهتمامه في التاريخ السياسي ، على حين عهدنا الاتميين يذهبون معه التاريخ الأدبي باعتباره مادة من مواد التاريخ العام لانه ، على نحو ما فعل «المترى» في نفع الطيب ، الذي ارخ فيه للاندلس سياسيا وادبيا واجتماعيا ووافح ان الأستاذ دبور ، امر ان يأخذ بمنهج المؤرخين المحدثين ، في تناول التاريخ السياسي على وجه التخصيص وهو المنهج المتبع في الدراسة التاريخية الحديثة . وفي الحق ان الأستاذ استطاع ان يجلو لنا هذا الجانب باوفى ما يكون من ايفساح وتفصيل ، وجبع لنا الحشد الكاثر من أخبار وبرويات ، بعمثرة في ثبات من المصادر ، قليل منها معروف بتداول ، واكثرها مما لا سبيل اليه الا بمنسقة لا يحتملها سوى الخاصة من الباحثين واقول مع هذا انني كنت اوش ان ياخذ الأستاذ دبور بمنهج التداين من المؤرخين

الأدب المغربي الحديث

الأدب المغربي الحديث
الأدب المغربي الحديث

كتاب
من المغرب
العربي

أوشك الموسم الأدبي
أن ينقضي ، ولا تزال
أمامي بقية عشرات من
كتب جديدة ، ليبت
طوال الشهور الماضية
الشمس فرصة تقديمها
إلى قراء الأهرام ، فعال
دون مارجو ، عبء فادح
من الشواغل والهموم ،
لم تدع وقتي مائكا لي .

وقد أثرت أن أقصر على تقديم الكتب
التي بلغتها من أقطار الشرق العربي .
لأبني بضرورة الاتصال الفكري بيننا وبين
أخواننا في الشرق والمغرب ، وحسرتي
على أن نعوض ما فاتنا في كلنا الطويل .
وإلائي المؤلفون المصريون ، أهل لأن
يقفروا لي هذا الموقف ، فهم بيننا تتابع
نشاطهم الفكري والأدبي ، ونقرأ ما ينشر
عنه في الصحف والمجلات ، ونسقى إلى
ما يداع فيه من مناقشات . وليس الأمر
كذلك مع أخواننا كتاب الأقطار العربية
الأخرى ، إذ قل قننا من سجع نشاطهم .
بل أخشى أن أقول أن الجبهة منا فلما
سمعوا عنهم أو عرفوا أسماءهم . وأنها
لها أرى لخطنة كبرى ، أن نظل معزلة
عن أخوان لنا ، وكان لم تكف تلك العزلة
الطويلة التي فرضتها الاستعمار علينا
نمينا لوحدها رهولة دون تجاوزنا
والعائنا عبر الحواجز والحدود .

ويذكر المسراء أني قدمت لهم
في الأسبوع الماضي كتابين من
الجزائر ، واليوم يسرنى هنا أن أدم لهم
« أحاديث عن الأدب المغربي الحديث »
وهي مجموعة محاضرات ألقاها السيد
الاستاذ عبد الله كنون : عضو المجمع
اللغوي بالجامعة على طلاب معهد الدراسات
العربية العالية ، وأضاف بها حلقة جديدة
في سلسلة « أحاديث عن الأدب المغربي »
وقد نشر منها ثلاثة أجزاء ، سدت في
مكتبتنا فراغا كبيرا ، يكفي لبيان أن نذكر
أن المصنفات الحديثة في الأدب العربي
وتاريخها أغلقت ذكر أدب المغرب ، وكأنه
ليس من الأدب العربي !!

وإذا كان جيع مادة التاريخ الأدبي
لأدب المغرب هبلا شائنا ، فإن دراسته
أدب الحديث أشق وأعسر . فلما هذا
الأدب غير مدون ، وعلى من يصدر
لدرسه أن يسعى إلى لقاء الأدباء الأحياء
من لم تطبع أعمالهم بعد ، وأن يرجع إلى
آلاف من الصحف والمجلات التي نشرت
بموصفا من هذا الأدب ، في زمن يستغرق
ثلاثة أرباع قرن . ولا سبيل إلى درس
الأدب المغربي الحديث ، قبل أن تتم حركة
الجمع والتدوين .

وهذا الوضع الذي جعل « الاستاذ
كنون » يتردد طويلا قبل أن يقبل المحاضرة
في الأدب المغربي الحديث ، هو نفس
الذي حسم تردده ، وفرض عليه ألا يتخلل
عن مسئولية التعريف بأدب بلد المظفر
عنا والمضيغ فينا .

وعلى الرغم من ضيق المجال المحدد
لمحاضراته ، استطاع أن يقدم لنا صورة
واضحة المعالم لأدب المغرب من أخريات
القرن الماضي إلى وقتنا الحاضر ، مع

عرض موجز للعوامل السياسية والدينية
والاجتماعية التي أثرت فيه وتأثرت به .
وهذا الإيجاز فرضته طبيعة الموقف ، حيث
كان من المجدي أن يوجه أكثر اهتمامه
إلى عرض نماذج كائنية من الأدب المغربي ،
الحديث والمعاصر ، في مختلف فنونه وشتى
أنواعه : خطابة ومقالة وقصة ومسرحية
نثرا وشعرا .

ولم يكن اختيار النماذج هينا لا لتشتت
النصوص في نحو عشرة آلاف مجلة وسحيفة
لحسب ، ولكن لأن الاستاذ الباحث ،
حرص كذلك على أن يكون ما يختاره منها ،
مثلا لاختلاف التيارات والاتجاهات الأدبية ،
وأن يصنفها بحيث تطلو التطور الأدبي من
جيل الطليعة إلى الجيل المعاصر .

والكتاب يقدم لنا أدباء مغاربة كنا جملهم
ويصح لنا القليل الذي عرفناه عن الحياة
الأدبية في القطر المغربي الشقيق .
من ذلك مثلا ، أننا كنا ننسور أن
النهضة الأدبية الحديثة في المغرب ،
ارتبطت بأدب الفرنجة وتأثرت به إلى
حد بعيد ، بحكم عزلتها عن الشرق ،
لكن « الاستاذ كنون » يؤكد لنا أن السياسة
الاستعمارية التي مزلت المغرب من
الشرق ، واجهت في الوقت نفسه مقابلة
من قادة الفكر ورواد الأدب « جعلت
المغرب يقدم الحذر في علاقاته بها ، وبتعد
عن طريق اللقاء معها ما أمكن . . وهكذا
وجد المغرب في عصر الاحتلال منعزلا عن
اصدقائه في الشرق ، وعن جيرانه في
المغرب » فلم يجد أمامه في مطلع العصر
الحديث إلا أرائه القديم الذي أعز به
أباؤنا حفاظا على قديسهم في جيب الريح
الاستعمارية ، « ومن ثم فإن الحياة الفكرية
والادبية بقيت على حالها من نمل الماضي »

(٢)

وان جسرک البساتین الهواء حسینه
مسکک رب البيت یغنی کسرا البيت
وان جسدی یوما صمدی بزورنی
فلست اناجیه بغیر کسرا البيت

هنیئسا لیسکم یا مساکنین بلا کرا
فقلبی لفقری قد کسواء کرا البيت
ولو ان یتسوا فی الجحیم بلا کرا
لنطابت به المسکنی لاجل کرا البيت
ولو رات المصلوب عینای فی الهواء
لقلت لهم هذا نجسا من کرا البيت

اقول وعنسی من کرا البيت لوعة
وقلبی جسدی مویج من کرا البيت
کرا البيت واغنی الی کل بلدة
فما لی وربی مهرب من کرا البيت
وخمس دجاجة ویدسکان بهم
وامهم الصفرا لاجل کرا البيت
قلعت بساط الدار ایضا وبعته
فلم یبق للجاسی سواى مع البيت
ومن قصیده « المطعم البلیدی » لجمد
ابن ابراهیم :

ان کان فی کل ارض ما تشسان به
فان طنجة فدها المطعم البلیدی
تبت روحک بالاحسان فی رعب
ان نمت فوق فراشی المطعم البلیدی
اما الطیب فحجل بالذهب له
اذا اكلت طعام المطعم البلیدی
وليلة زارنی فی الفجر صاحبه
فقلت من ؟ قال رب المطعم البلیدی
وکالمذموم خلق الباب سفلته
بهتز منها جدار المطعم البلیدی
وکم تقبل رات عینی فما بصرت
فهم مشلا رب المطعم البلیدی
وقلت خرا فکال : الخیر اعرفه
وتعرف الناس خمر المطعم البلیدی
ان کان عندک قل لی من ملاحظة
تزد حسن نکام المطعم البلیدی

فقلت ما لی اری هذا الذباب غدا
مثل السحاب بالحق المطعم البلیدی
فلاسال ان فضول الناس یفلقی
هذا الذباب ذباب المطعم البلیدی
فقلت والبقي ؟ قال البقي لیس به
ساسا اذا کان بقی المطعم البلیدی
فلالت هدی السراغیت الی کبریت
ما بالها کشرت بالمطعم البلیدی
فهمزنی کصمدی لی یداعنی
وقال تلك جیوشی المطعم البلیدی

وماذا عن الادب المغربی المعاصر ؟
النصوص الی اختارها لنا « الاسناد
کثون » تهتل فیها اری تبارا واحدا جو
الشیار العرس فی الشکل والمضمون ، سواء
منها ما کان جاریا علی النسق التقليدی
الموروث ، وما جرى علی النمط الجدید
المستحدث : فالقصائد الثوبیة للحجوى
والجنیدی والنوسی والدکالی والناصری
والخلوی ، تذکرتنا بوطنیات شوقی وحافظ
وبحریم والرسمانی وشفیق جبري .
والشعر الاجتماعی وبخاصة ما حمل منه
لواء الدعوة الی تحریر المرأة ، بذکرتنا
بمثله عند كبار شعراء المشرق . والشعر
الوجدانی لیس بعيدا عن شعر ناجی
والشابی وعلى محمود طه ، وشعر
الطبعة بذکرتنا بشعر الهیثری والتبجانی
وعتیق . ، ولشعراء الجدید فی المغرب
انصار ذوو عدد ، والنماذج الی اختارها
یماؤلف من الشعر المعاصر : نعيم العرسي -
الجای ومصطفى العدوی والهوری
والسیحی ، یخ انداد لهم نظراء من
اصحاب الشعر الحر فی العراق والشیم
ومصر . وقصة « کعب بن مالک » لعلال
الناسی ، وهن شعرية تاريخية ، تذکرتنا
من قرب ، بالسلامیات شوقی وعمرية
حافظ والیاذة محرم . اما المسرحية
الشعرية ، فالذی تراناد منها یدو اقرب
الی مسرحیات « پاکیر وعبد الرحمن
الشرقاوی » منه الی مسرحیات « شوقی »
واتباع مدرسته .

لیس هذا لحسب ، بل ان شعر
الخضرة من الجبل المسامی والجبل
المعاصر ، لا یدو كذلك بعيدا عن ادب
المشرق روحا واسلوبا . فلشاعر
« التباغ » وهو من اواخر الجبل الماضي ،
وللشاعر « محمد بن ابراهیم » وهو اقرب
الی المدرسة المعاصرة ، شعر فکاهی
ساخر ظریف ، یذکرتنا ببنیفا « بسم
الزوسی » وشعراء النکامة المصرية وانتقل
هنا - لناسبة اربة المساکن - من قصیده
« کرا البيت » للشاعر التباغ :

الی الله تشککو ما الاقی من الاسی
ومن فزع قد حسل یس من کرا البيت
کرا البيت مثل الموت باتی الی الفتی
ویذکره یوم الحساب کرا البيت
اذا قبل هذا آخر الشعر قد انی
ترانی ماسرنا لاجل کرا البيت

وکنا ننصیر ان الطباعة - بمالها من
دور خطر لی النهضة - دخلت المغرب مع
المستعمرین الفرنسيین ، دون ان یخطر
بأفاننا ان المغرب عرفها اول ما عرفها من
طریق مصر الشائیفة فان السيد الطیب
الرودانی قاضی بارودانت ، رآها بمصر
فأعجبته ، وكان ذهب الی الحجج .
فأفنى آلتها وتعاقد مع فنی مصری للعمل
فها فصحه الی المغرب . ولما رای ان
الدولة احق بها ، اهداها للسلطان محمد
الرابع فقبلها واکرمه بان ولاء عليها .
وتشرع فی طبع کتب المهمة وخاصة کتب
الدراسة مما یمتثل فی جامعة الترویج
وفروعها . وكان یعتنى بالنصحیح وینقح
الخطوط الجميلة - اذ كانت مطبعة حجرية
فانتسبت مطبوعاته سمعة طيبة واشتهرت
باسم السلطان فكان یقال لها مطبوعات
المطبعة المحمدية . وانتشر فن الطباعة
بعد ذلك وصار من عمل الافراد ، وکثرت
المطبوعات المغربية المعروفة بالفاسية لان
مطابعها کان مقرها فی فاس . واشتهرت
على جمیع الفنون من عربية وفلانة وادب
وتاريخ وعلوم ، وكانت حافظا لکثیر من
اهل العلم على التألیف والنشر « - ١١ »
والذین ارخوا للصحافة العربية .
ذکرتنا نشاط اللبنایین فی الصحافة بمصر
والشام ، دون ان یشرروا من قریب او
بعید الی نشاطهم الصحافی فی المغرب
الاقصى . ویقول الاسناد کثون :

« على ان مطابع اخرى من ذوات
الحروف المركبة ، مالبثت ان عززت المطابع
الحجرية فی فاس وغیرها . واهم ما یلفت
الانظار فی نتائجها ، هو ظهور اول جريدة
عربية تحمل اسم المغرب ، فی طنجة سنة
١٨٨٩ ، وهی جريدة اسبوعية أصدرها
بعض اللبنایین ولم یمصر طویلا .
ثم صدرت بعدها فی طنجة ایضا جريدة
المغرب الاقصى سنة ١٩٠٠ فجريدة
السعادة سنة ١٩٠٥ ، فججلة الصباح سنة
١٩٠٦ ، فجريدة لسان المغرب سنة ١٩٠٧
رکلتها لصحافیین لبنانیین نزحوا الی المغرب
فی هذا العهد ، ولم یبق منها الا السعادة
التي أصبحت فیها بعد لسان حکومته
الاحتلال « - ١٥ ص



(٣)

وترانا كلمة الأديب « محمد نسيب » فيها
يكابد بن محنة التمزق ..

« اشعر كائنني بنفسي داخل الفلسفة
الفرنسية » ناين ، ايشال (حداد وديب ،
وكاتب يس ومولود معمرى واسما جبار
واسما جبار « في الادب المغربي »

ان كتاب الاستاذ كنون ، لايشير من
ترب ولا من بعد ، الى ادب هذه النشئة
المعدية التي برهقتها ان تعبر عن وجدانها
بلسان ، مسمار .

★

يا من همدا ينتسوي لطنجة سافرا
اساك اساك قرب المطعم البسدي
نفسى النفسى كل مقسود يلم به
الا مبيت النفسى بالمطعم البسدي

وابادر فاستدرك تائلة : ان وضوح
التبار العربى والروح المصرية في شعر
المغرب الحديث ، لايعنى القول بالنقل
والاتباع ، فالقبايح مثلا اسبق زما من
بيرم ، وما اظن محمد بن ابراهيم قد قرأ
ديوان شاعرنا « البهاء زهير » مع ما في
قصيدته من روح البهاء وخفة ظله .
ومسرحية الشاعر « البقالى » في احداث
ثورة المغرب ملكا وشعبا على الاستعمار
عام ١٩٥٣ ، اسبق زما من ماساة جبيلة
للشرفاوى ، على قرب ما بينهما . وذاتية
ادباء المغرب تبدو واضحة متميزة .
فالفنسية هنا ليست قضية تقليد ومحاكاة
وانما هي قضية وحدة وجدانية يلقي
عندها ابناء الوطن العربى ، مشارقة
ومغاربة .



وننتقد في الكتاب النماذج المبهلة للتبار
الاجنبى الواحد ، دون ان يفسر لنا الاستاذ
الجليل سر هذه الظاهرة . لقد اشهر في
الفصل الاول الى مقاومة الجيل المانى
للغزو الرومى والفكرى ، لكنا هنا امام
الجيل المعاصر الذى فرض عليه الاستعمار
ثقافته ولسانه ، وعزله عن بقية اخوانه
العرب ، فكيف استطاع تحت ضغط
السيطرة الثقافية للمستعمر ان يقاوم
ويتحدى ويغلب ، مع أننا وجدنا اخواننا
ادباء الجزائر المعاصرين ، يجسرون
بالشكوى من غريبتهم المعنوية ، وسعيا
الشاعر « مالك حداد » يقول بما ترجمته :

لا تلهنى ياخى
اذا لم يطربك غنائى
انا لاغنى
لقد سرقوا لسانى
لانا اصرخ واصيح ..

واعلم ظنى ان الاستاذ تجاهلها عن
عود لسبب او لآخر . فالذى اعرفه ان
هناك معركة عنيفة ، حول الغزو الفكرى
والادبى الذى تعرض له الشباب المغربى
في عهد الاحتلال . ويصنف « الدكتور محمد
عزبل الحبابى » رئيس اتحاد كتاب العرب
في مجلة آفاق ، بأنه « غزو منظم لم تقف
اخطاره عند الحدود التى اشرفنا اليها ، حيث
وجد اللغة القومية تعيش على هامش
الحياة في وطنها .. وفي بلد ، هذا وضع
لغته الوطنية فيه ، يكون من السخف
والسخرية ان نتحدث عن ازدهار ثقافة
وطنية به ، او ان نتساءل عن اسباب
ركودها الادبى والفكرى ، مالم تنجح مباشرة
لنصحيح الوضع الخطير الذى تعانيه هذه
اللغة اولا . وعندما نرغم امة على ترك
لغتها القومية الى لغة اجنبية فان هذا
يعنى ان جدارا يقام بينها وبين ماضيها
لفصلها عن جذورها الفكرية والثقافية
والروحية ، ويعنى ان تصدعا هائلا اخذ
يزلزل كيانه وبنسائها الاجتماعى كامة
موحدة ، ويعنى انها تواجه عملية تحويل
خطيرة ، تهدف لمسخ وتنشويه ما تملكه من
مقومات وقرات وقيم وتقاليد واخلاق ،
ويعنى ان تزييفا وتمزيقا يعصف بالشخصية
الوطنية لابنائها ، ويعنى اخيرا تكوين عقدة
نقص لدى الامة كلها تجاه تاريخها وحضارتها
وثقافتها التقليدية ، هذه العقدة النفسية
لعلها اخطر عقبة تقف دون تقدم وازدهار
المجتمع في سائر الميادين .

والاستاذ كنون ، فيما اعلم ، يعيش في
صميم المعركة ، فليس بحيث تغيب عنه
آثار الغزو الفكرى في ادب المغرب المعاصر
فهو كان موقفا السلبى منها ، تهوينا من
شأنها واطمئنانا الى المستقبل ؟ او كان
لانه لا يريد ان يعترف بغیر المنصر العربى
الاصيل في هذا الادب ؟

ابا ما كان الامر ، فانى مع احترامى
لموقف الاستاذ الجليل ، اخالفه عليه بحق
ما يجب للتاريخ الادبى من استيفاء ، وبحق
ما يطالبنا به وجودنا من الحاج في تعليب
آثار هذا الغزو ، ونعينة قوانا لمقاومته
والفتشاء عليه .



كذلك لم يتعرض « الاستاذ كنون » للادب
الشعبى وكنا نود لو انه اعطانا فكرة
عنه ، تصلنا بوجودان الجاهل ، وان كنت
في الوقت نفسه ، التمس له كل العذر في
التصاير على ادب المصحى ، مناظ وحدتنا
الذرقية والفكرية ، واللغة المشتركة التى
يلتقى عندها ابناء العرب على اختلاف
اقطارهم وتعدد لهجاتهم .

في قمتنا

سبيل على الله

وقد قرأت قصته المثيرة ، في الوثائق والسجلات التي تحتفظ بها ((قاعة البرتينا)) في مكتبة
فينا ، حيث توجد أكبر مجموعة من ذخائر هذا الكنز !
الوفى لا تحصى من أوراق البردى التي تسجل حياة اجدادنا ، وتضيء للإنسانية تاريخ مرحلة
طويلة من ماضى حضارتها ، وتعطى التاريخ وثائق مادية ، كاشفة لما فيه من غموض ،
ومصححة لكثير مما شابه من أخطاء ، ومكملة لقصور المرويات النقلية التي تتسع للزيف والعبث ،
وتعرض للتجريح والاثام
ومعها ذخائر نادرة من مخطوطات على الرق والخشب والطوب والقماش : ودائع تركها
الماضون من أهلنا ، وطوتها ارض الوادى واطلال مبانيه القديمة ، لدى قرون ودهور .
ثم لما بدأت تكشف عنها في القرن التاسع عشر ، ازدهر ما قومنا فلم يجدوا فيها سوى خرق
رثة وأوراق بالية ونفايات رخيصة ، ورأبهم ما عليها من نقوش وكتابات ، لاحتمال ان
تكون من ((الكفريات)) التي لا تحل مطالعتها في ديار الاسلام !
ولم تكن ذخائر هذا الكنز في مكان واحد ، بل كانت موزعة في مواضع شتى من المدن والقرى
والنجسوغ ، مدفونة في المقابر القديمة او مودعة في الاطلال والخرائب ، على ان القدر الاكبر
منها كان في الفيوم والصعيد ، بحكم جفاف المنطقة وقدرتها على الاحتفاظ بمثل هذه الودائع .

(٣)

البردية بكت الشاطئ



البرديات الإيطالية تمثل في المنطقة من سنة ١٩٠٢ إلى ١٩٢٧ وظفرت نتائج باهرة ، واتجهت بعثات أخرى ، ألمانية ونمساوية وإنجليزية وفرنسية وبلجيكية ، إلى اطلال مشاب ، والانسونين ، وأغابسا ، وأخميم ، وأسيوط ، وأدفو ، وطيا والنوبة ، وإلى النسطاط والدلتا وكوم القلزم قسرب السويس . وإلى جانب البعثات - مذكرت منها ومالم أذكر كان هناك التجار والسامسة والطباء وحواء الإنصار يشتركون في السيان ويجربون أنحاء الوادئ بحثا عن لفائف البردى عند التجار والنلاحين ، وكانوا يشترونها في بادئ الأمر بأسعار رخيصة رهبة ، لكن الزمن ظل يرتفع إلى أن بلغ قيمة جنبيات ، لبشر اللفائف التي كانت لدى تجار طيا والانسور وأخميم .

ونسأل عن دورنا في هذا السيان ، نجيب عالم البردى المشهور « أدولف جروهمان » في كتاب له من قصة البردية - نشر هنا عام ١٩٥٤ ولم يصل إلى القاهرة حتى اليوم فيها أعلم . بأن تاجرا غربيا اسمه الشيخ حسن قام بحفريات خفية للسرقة (١) في اطلال مدينة قديمة ومقبرة مبحرود على شاطئ النيل في مراحبة النش ، فيها بين عامي ١٨٩٥ ، ١٨٩٦ ولم يذكر لنا جروهمان النسبة التي ظفر بها هذا اللص الذي اشتراك مع الأجانب في البحث عن ودائع أهله وكنول وطنه

لما رسبنا من ذخائر البردى ، فلا يتجاوز ألفي بردية ، ويكنى لبيان مسألة عددها ، أن نذكر أن مجموعة الارشيدوق رايفر في ليبيا ، تنرب من نحو مائة ألف بردية . ويسجل جروهمان في كتابه ، أن الفضل الأكبر في ظفرنا بهذا القدر الضئيل من كنزنا الضائع ، يرجع إلى « الاستاذ موريتز » B. MURITZ الذي كان مديرا للمكتبة الخديوية بالقاهرة ، من سنة ١٨٩٦ : ١٩١١ ، وتفصل ناستري مكتبة العاصمة قدرا من لفائف البردى المكتشف في معبد مصر ، إلى جانب ما كان يشتريه لمجموعته الخاصة وللحديث بقية تطول ، نالي لقاء .

الدور بمنطقة ستارة عام ١٨٢٤ ، في ابريق من الخزف ، كانت به برديات عربيتان مئزر سبها لتصل فرنسا في القاهرة ، وسارع ، بتقديمها إلى المستشرق (البارون دي ساسي) الذي كان يشتغل في ذلك الحين ، بدراسة برديات عربية أخرى ، أعداها للتوصل « هنري سولت » إلى الملك « لويس الثامن عشر » . وقد ملأت ست وأربعون سنة بحدية ، قبل أن يذاع نيا العثور على مجموعة دباط وأحراقها ، فكان ذلك الحدث الذي هز الدوائر العلمية في أوروبا ، إذ أنما بيده السباق الدولي على ما تطوى بحر من ذخائر البردى . وكانت الجولة الأولى ليه لالميا ، حيث استطاع لتصل الرايح الألماني بالقاهرة « ج - ترافرس » أن ينلنر بمجموعة نادرة من البردى عثر عليها في الفيوم صيف عام ١٨٧٧ ، وبعث بها إلى المتحف المصري في « برلين » الذي اشاف إليها بعد أربع سنوات مجموعة أخرى قيمة . اشتراها له « شتون » وسجل رسيده المتحف عام ١٨٨٥ رقم ٢٦٢٦ بردية ، منها ستينائة عربية ، وثلاثمائة قبطية ، وألفان وخمسمائة بردية يونانية مصرية . ثم نل رقم الرسيده يرتفع ، بألفتي المتحف من برديات عثرت عليها البعثة الألمانية . إلى جانب ما تلقته جامعا « هامبورج » وهاميلبرج . من لفائف البردى التي عثر عليها المالم الأثريان « هانت وجرينفل » عام ١٨٩٤ .

وكانت التمساة دخلت الممدان ، فظفرت بالقدر الأكبر من ذخائر الكنز . ويسجل رسيدها من البردى ، عام ١٨٨٥ في ليبيا وحدها ، ٢١٠٠٤ برديات ، ارتفع في عام ١٩٢٢ إلى ٧٠٠٦٣ بردية ، منها نحو ٤٦ ألفا باللغة العربية . ثم تابعت البعثات من شتى أقطار أوروبا ، تنبش قبور بوفانا ، وتفحص مقايا الاطلال الدارسة ، وتفتش في أكرام القبالة بالخرائب المهجورة بعيدا عن الأحياء المسكونة ، فانجبت بعثات شتاينفورت ، وهانت ، وجرينفل « إلى الفيوم واستخلصت من خرائبها ومقابرها ذخائر لاتحصى ، وعثرت البعثة الألمانية برياسة « شوارت وفسوكر » عام ١٩١٠ على مجموعة من البردى هناك ، ترجع إلى القرن الرابع المسيحي ، بينما ظلت

وكان تسفط الحاجة ، هو الذي دنع الللاحين اللتراة إلى التقيب نيبا حول أرواحهم من خرائب واطلال ، التماسا لبعض التمساة أو بغيره العثور على ما يمكن أن يرحى منه أي نفع . وبين - وآخر . كانت تنزع لاحدهم سلال أو تدور تدبية ، مليئة باللفائف من البردى أو الرق ، مثقلة بالطين ، فيندب - له العائر طرهمالين مينا ، إذا لم يحددها سالحة لأن ينخذ منها سمادا للأرض أو حطبيا للنار .

ولادري أحد على وجه التحقيق ، كم من هذه الرذائع تلف وتضاعف قبل أن تلبثت إليه بعض الغسريين ممن كانوا يجوبون أنحاء الديار ، بحثا عما تطوى من كنوز أثرية . ومن ذلك نين ، بدا سببا عجيب على هذه الذخائر ، اشتراك فيه بلوك وإبراء وفناصل ونجار ، وعلماء وسالكون ، من ألمانيا والنمسا وانجلترا وإيطاليا وفرنسا والنرويج وبولندا وتشيكوسلوفاكيا وروسيا ، ثم تسامع الأمريكان بهذا السيان فتدخلوا الميدان وجالوا فيه جولة ظافرة .

وقلنا نحن نتفجر على هؤلاء الحقلي الذين نهافتوا على الظل بمثل تلك الأوراق الملوثة بالطين ، والخرق البالية من أكفان بوفانا ! ثم لما رأيناهم يسارمون على لرائها بالمال ، انتهرنا فرصة غيائهم وغفلتهم ، فاقبل تجار النار ، وكان أكثرهم من الأجانب أو المتصرين - على جمع أوراق البردى من الفلاحين ، وعرضوها للبيع مغالين في ثمنها ، وأسعفم الفلاحين ذكازهم الفطري ، فآثر بعضهم أن يحفظ بالبضاعة ليبيعها للأجانب بون بسيط . ومنهم من كان يترق البردية الواحدة إلى فطمين ، كي يبيعها مرتين ! فحدث في كثير من الأحيان أن بيعت نصف بردية إلى مشتر ألماني ، وبيع نصفها الآخر إلى مشتر من الإنجليز أو الأمريكيين !

وأخرون ممن عثروا على ذخائر من هذا الكنز الغالي ، تخرجوا من المال الحرام الذي يائهم من بيع « الكفريات » فأثروا أن يحرقوها بالنار تقربا إلى الله تعالى ، والتماسا لثواب الآخرة ! كما فعل أهل بلدني « دباط » ، في مجموعة من البردى ، مقدارها مائة بردية ، عثروا عليها في خرائب المدينة سنة ١٨٧٧ ، وألقوا بها في النار بأمر من شيخو القاهرة ، قبل أن تقرا كلمة واحدة من النصوص المدونة فيها !

وعلى وهج النيران التي التهمت مجموعة دباط ، تلقت هيون الأوربيين الذين لبثوا قبل ذلك عشرات من السنين ، في انتظار ظهور برديات بعد التي عثر عليها أحد

المصدر المجهول

ليس الذي يحزننى ان ودائع اجدادنا من ذخائر البردى ، تسربت الى الخارج ففجرت من التلغى والضياح . وانتقلت في حال يرثى لها ، من اكوام السباح والخرائب المهجورة والاطلال الدارسة ، الى قصور الملوك والامراء ومكتبات الجامعات ومناحق العواصم الغربية ، حيث كان في انتظارها من بذلوا اعمارهم في اصلاحها وصيانتها ودراستها ، ولقد هوانها الى تاريخ الحضارة الانسانية ما يخصبه ويثريه . ولكن الذي يحزننى حقا ، اننا حتى اليوم لم نكتف بقتل مصيرها ومعرفه مواضعها في شتى انحاء الدنيا ، ولا عنا ان نتصل بما نشر من نصوصها ، وكأنها لا تمت الينا بسبب قريب او بعيد . .

وما كان ذلك ليكلفنا اكثر من القضاء نسخة من السجلات والوثائق التي نشرت هنا ، وبادرت الهيئات العلمية بالقتال ، فهددت نسخ الكثير منها قبل ان تصل الى عاصمة مصر ، صاحبة الكثر ووارثته . وكنت بحيث ارجو ان نستدرك ما فاتنا في تصوير هذه المطبوعات والمنشورات كلها وجدت ، لكن اتفق على قوس بمثل هذا ، حين التي هنا جديدا . من كتب عليها البردى ، تكشف عن مصير المجهول لنا ، ولا اعلم ان في بلادى نسخة منها وتترك هذه الكتب الجديدة ان تنفذ ايضا ، قبل ان يخطر ببالنا انها مما لا يجوز ان نخلو منه المكتبة المصرية .

اذكر منها على سبيل المثال ، كتابا جديدا لعالم البردى المشهور « الدكتور ادولف جروهيان » طبع في « براج » سنة ١٩٥٥ وعنوانه - مدخل وبختارات ، في علم البردى العربي - وهو يسجل في الباب الثاني ، خطوات الكشف عن وثائق الردى من اوائل القرن الماضي الى سنة ١٩٢٧ ، واماكن العثور عليها في خرائب وادي ، والمصورات التي خلفتها ، واللغات التي كتبت بها في العربية ، واسماء النجار والفنانين والعلماء الاوربيين الذين حملوها من مسروقات الحفر التي تخست في البحث عنها لدى نصف قرن ، والدول التي تملكها ، والاماكن التي استقرت فيها .

ومنه نعرف القصة المثيرة للجمعية الكبرى التي تفرقت بها بيننا ، وماتلكه المانيا في متحف المسميات ببرلين وجامعات هامبورج وهاميلبرج وليبزيك والمكتبة البانارية ببرونك . وما تملكه فرنسا في متحف اللوفر والمكتبة الاممية بباريس وجامعة ستراسبورج . وماتلكه ايطاليا في ميلانو وبعده البردى بجامعة فلورنسا ، وانجلترا في المتحف البريطاني بلندن ومكتبة جون رايلاند بمانشستر ومكتبة بودليانا في اكسفورد . وما اقتنته هولندا في جامعتي واريمر وبريسلاو ، وجمعية المعهد الشرقي في براج بتشيكوسلوفاكيا ، وجمعية المجمع العلمي في لينينجراد ومتحف الفنون الجميلة بموسكو في روسيا ، وما اشترته جامعة متشجان والمعهد الشرقي في شيكاغو بامريكا ، وما تملك مصر في دار السكيب ومناحف الآثار بالقاهرة . وقد سمعت من احد خبراء البردى هنا ، ان من الخائف البردى في متاحفنا ، ما لا يزال على حاله البائسة التي وصل بها ، مما يعرضه حتا للتلغى وطمس نصوصه .

ونعرف منه ، ثمة كل مجموعة ، وعدد قلمها بالتحديد او التقريب ، واهم النصوص التي نشرت منها ، والنقائ التي وصل اليها دارسوها . ويستغرق هذا البيان الحافل ، بابا واحدا من اربعة عشر بابا في الكتاب ، بشرح فيب-

بقلم الدكتور بنت الساطي

« جروهمان » بمصطلحات علم البردي
المعربي ، وإشاراته ورموزه ، وبجال
العمل فيه ، وأنواع البردي ، وحواد
الكتابة وأدواتها ونسقتها ، والمداد والخط
فلسلا عن الفهارس العلمية والملاحظات
الهامة ..

و « جروهمان » مع ذلك غير مجهول لنا

نقد ظل يتردد على مسر منذ عشرات السنين بحثا عن البردي لمجموعة الخاصة واللبنيات والمساخذ العلمية التي يتصر
بها ، وبدأ من عام ١٩٢٥ بهم بدراسة مجموعة دار الكتب بالقاهرة ، وقد اتم اعداد عشرة مجلدات عنها ، نشرت منها
الدار سبعة مجلدات ، ابتداء من سنة ١٩٣٤ ..
واترا هنا مع كتاب جروهمان ، كتابا جديدا « من تاريخ مجموعة البردي ومكتبة النمسا الاهلية » ولا اعلم ان
مسر نسخة منه . وقد نشر هذا الكتاب في فيينا سنة ١٩٦٢ بقلم « الدكتور هريوت هونجر » المدير السابق لمجموعة
البردي في البريتينا .

وفيه نصوص الرسائل التي تبوئت في اواخريات القرن الماضي واولال القرن الحالي ، بين رجال ثلاثة - عالم وامير
وتاجر - تدين لهم النمسا بالنظر باكترواغني مجموعة من البردي المصري في العالم كله ، وهي المجموعة التي لا زال
افرا هنا تفاصيل رحلتها من خرائب النجوم واطلال المسيد ، الى القصر الامبراطوري فيينا ، ومنه انتقلت الى
المكتبة الاهلية .

ثم اني لا ادري ، ماذا كانت مسر تفتني شيئا من بحوث العالم النمساوي « كرايانسك » التي نشرت ما بين عامي ١٨٨٢ :
١٩١٧ عن مجموعة الارشيدوق واينر بفيينا : ما نشره المستشرق الانجليزي « برجليث » في اكسفورد سنة ١٩٠٩
عن المجموعة الثمينة التي اشتراها « ايرل كراوفورد » من مسر عام ١٨٩٩ وحملها الى قصره في اسكتلندا ، ثم
اشترتها مكتبة « جون رايلاند » بمانشستر سنة ١٩٠١ ، او ما نشره « بكر » من نصوص عربية المرقية ، من مجموعة
مستراسبورج ، وهي نصوص من بردي « كوم اشقوة » كانت في حوزة تاجر للآثار في القاهرة اسمه « ميخائيل
كازيرا » او ما نشره « جروهمان » من مجموعة « فيسلي » وعددها ٨١٨٢ بردية ، اشتراها من تاجر ارميني
بباريس سنة ١٩٠٤ ، وألت بومية منه الى الاستاذ « هوفنور » الذي باعها الى المعهد الشرقي في « براج »
واغلبها من بردي النجوم والاشبوتين ، ومنها اختار جروهمان ٩٦ نسا ، نشرها فيما بين عامي ١٩٢٨ : ١٩٢٣ .
كما لا ادري ، ماذا كانت لدينا نسخة من بحوث « مؤتمر علماء البردي » الذي انعقد في اكسفورد ، في سبتمبر ١٩٢٧ ؟

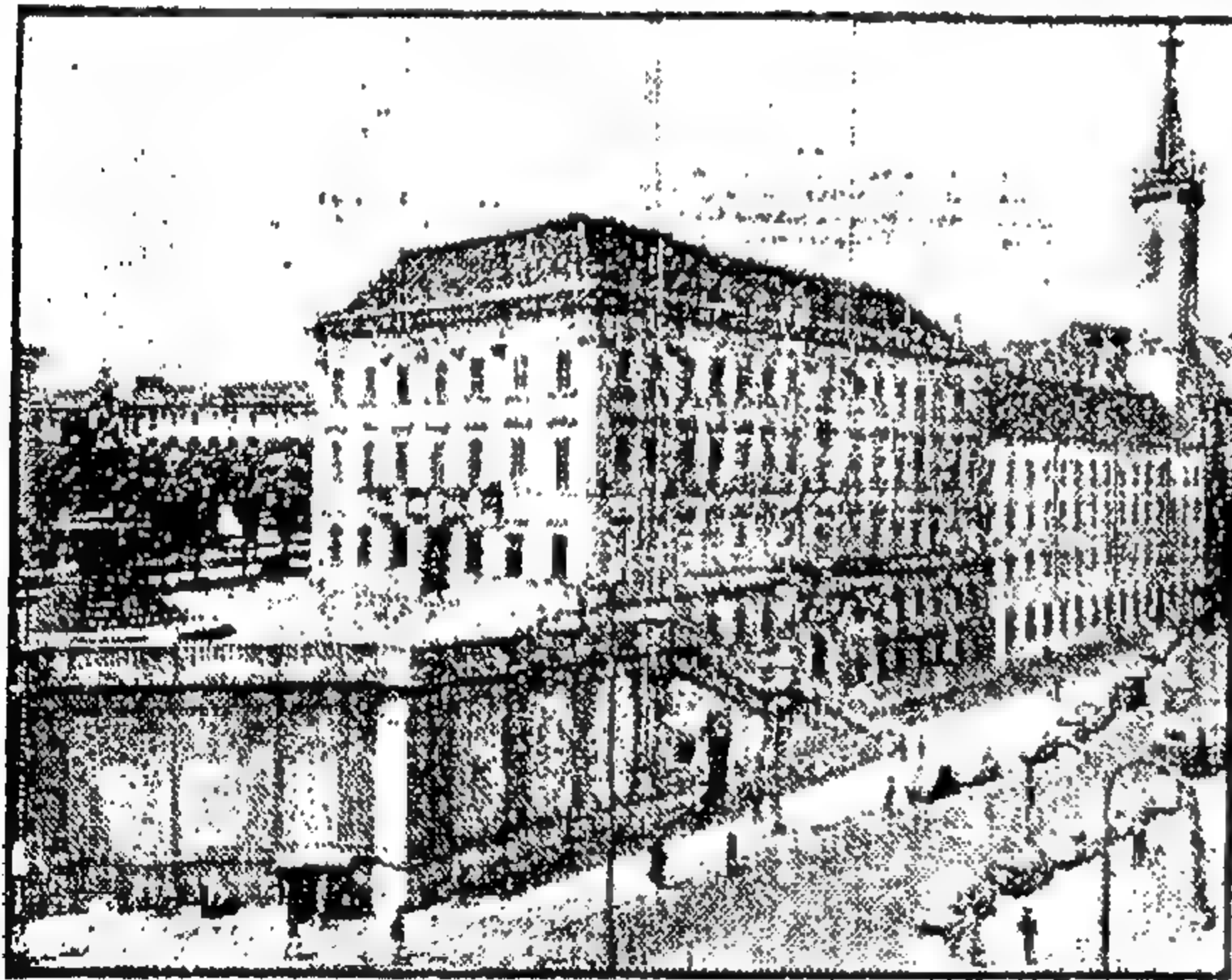
لكن .. فيم كل هذا التساؤل وليس بمستغرب ان تشارك ودائع ابا نسا من البردي ، مصر تراثهم الفكري
والادبي من المخطوطات التي هانت علينا وتسابق دول الغرب الحديث على اقتنائها وصنائها وخدمتها ، دون ان
نبدل محاولة جادة لتتبع مصيرها ونقصي اثباتها ، او نحرض على تزويد مكتبتنا العربية بنسخة واحدة مما نشره علماء
الاستشراف من ذخائر هذا التراث .

٣ من فيينا

القصة من أولها !

من خلال دراسة الوثائق والسجلات الخاصة بمجموعة بردي فيينا - أكبر وأغنى مجموعة في العالم - نستطيع أن نتتبع القصة من أولها ، حيث يتكرر المشهد بصورة أو بأخرى ، فيها آل إلى بقية الدول الغربية التي اشتركت في السياق على الظفر بدائع هانت علينا من تراث أجدادنا .

بقلم الدكتور بنت الساطح



« البولينا » بقو المجموعة الكبرى من البردي المصري

ومن الغريب أن النيسا لم تتجه إلى الاشتراك في السباق على البردي منذ بدا في أوائل القرن الماضي . وحتى حين بلغ ذروته في الربع الأخير من ذلك القرن كانت لاتزال زاهدة فيه بمنصرفه عنه ! وفي الوقت الذي تنافس فيه قناصل ألمانيا وفرنسا وإنجلترا وإيطاليا على شراء ما يعرض من البضاعة في أسواق القاهرة والصعيد ، وقف قنصل النيسا بمعزل عن السباق ، وترك زملاؤه الآخرين يتنافسونه الغنيمة !

بل أن العالم النيسوي المستشرق (كروبانسك) والناجر (تيودور جرائ) اللذين كسبا للنيسا محبوبتها الكبرى ، لم يهتما بالبردي في بادئ الأمر ، وإنما كان أولهما مشغولاً بهوائيه لفن النسيج الشرقي وكان الآخر منصرفاً لتجارة السجاجيد ، يحمل منها إلى فيينا روائع الفطخ الأثرية النادرة في رحلاته التجارية إلى مصر . حيث أقام سنوات طويلة مستشاراً لبيت تجاري كبير في الإسكندرية . ومن هنا نشأت الصلة الوثيقة بين ناظر السجاجيد وبين المستشرق الهاوي للمنسوجات الأثرية فكان (جرائ) يربط كل رحلة تجارية له إلى مصر بالفرس العظمى الذي بهم صاحبه . واستطاع قبل النورة المراهبة أن يرسل إلى فيينا مجموعة نادرة من السجاجيد الشرقية ، لم تساعد الماسية لها مثيلاً من قبل .

وبلغ من اهتمام « كراباتشك » بهذه البضاعة الاثرية ، ان أغرى « جراف » بالحفر في المناطق الجافة بالصعيد من مقابر العصور التي تلت عصر الفراعنة بمصر ، أملا في العثور على خرقى من النسيج من عهد الاغريق والرومان ، وكانت مفاجأة كراباتشك ، ان يعث على صاحبه ، في هاسي ١٨٨١ ، ١٨٨٢ بعض خرقى البردى ، فمن مجموعة من قطع النسيج القديمة ، ومن هنا بدأ اهتمام « كراباتشك » بالبردى المصرى ، وبدأت في الوقت نفسه قصة المجموعة الثمينة التي تعدها النسا اليوم ، من أجد مأثرها على تاريخ الحضارة ذلك ان العالم المستشرق ، لفت صديقه التاجر الى أهمية هذه الخرقى ، والتج عليه في بذل أقصى الجهد للظفر بأكثر قدرتها . ولم يكن للقناصل الاوربيين الذين جندتهم دولهم للسباق على الكنز قبل تنظيم السمات الحفرية - من الخبرة بالسوق والصلة بأبناء البلد ، مثل ما لهذا التاجر الخبير الذي لم يكد يدخل الميدان ، حتى خرج من الجولة بالأولى بمجموعة من لفائف بردى - الفيوم واهناسيا مقدارها عشرة آلاف بردية . ظهر بعد الفحص انها مكتوبة بست لفات ، ومنها ثلاثة آلاف بردية عربية ، وعرفت برديات هذه الصفقة في الدوائر العلمية بأوروبا ، بمجموعة جراف ، او مجموعة الفيوم الأولى .

وتلقى « كراباتشك » هذه البضاعة وهو لا يكاد يصدق انها صارت اليه . لكنه حين حاول فحص نصوصها ، ألقي البرديات في حالة تمسك : فالى جانب ما تآكل منها وعيث به الدود ، كانت هناك ألوف من اللفائف المتحجرة لطول المدى على طيها مع ما تراكم فوقها من الطين الجاف . ومنها ما كان مربوطا بخيوط من الصوف او مخيطا من أحد جوانبه على هيئة كراسيات . وكانت محاولة فكها بعرضها للتمزق والطق ، مالم تبذل أقصى العناية لازالة الطين عنها وتطريتها ، كي يمكن فردها وفحصها .

وكان المعروف ان قدرا هائلا مما عثر عليه البدو والفلاحون في خرائب الصعيد قد تلف تماما عندما حاولوا فك اللفائف بفهرها في الماء ! ومن هنا اتجهت محاولة « كراباتشك » أول الامر ، الى نظرية اللفائف شبه المتحجرة ، بتعريضها لبخار الماء الساخن ، لكنه مالبث ان عدل عن هذه الطريقة التي طمست بعض النصوص الى طريقة التطرية الباردة التي جربها الالمان بنجاح ، في صفقة « القنصل ترافوس » سنة ١٨٧٧ . وبعد عمل شاق ، متواصل ، وجهود مضنية ، أمكن فك اللفائف الملتوية ، وفتح الكراسيات المتصقة .

وكشف الفحص السريع لما تم تنظيفه وتطريته ، عن وجود نصوص ذات أهمية لا تقدر ! فكانت الخطوة الثانية ، تسنيف برديات المجموعة ، في فئات متجانسة لينة او متقاربة زمنا ، او متكاملة قطعا ونصا وانتشى تعدد لفاتها ، الاستماعة بعلماء في اللغات العربية والسامية والفارسية البهلوية والتبعية واليونانية . وكلها لم

(٣)

تجهيز احدى البرديات . وضعت بعناية في اطار بين لوحين من الزجاج ، برقم مسلسل . وتقدم العمل بفضل الجهود المتآزرة مع الخبرة الفنية والعلمية ، بحيث يمكن اعداد مئات من البرديات التي تم فحصها وتنسيقها ، واتيم لها معرض في السليبيات والمعرضين من مارس سنة ١٩٨٢ . بالمتحف النمساوي للفنون . والتقى « كراباتشك » في حفل الافتتاح بحاضرة من تيبة هذه الوثائق واهميتها ، والنتائج الاولى لبحوثه وبحوث زملائه من العلماء . كما تقدم برة العمل في دليل مفصل بعنوان

تجهيز احدى البرديات . وضعت بعناية في اطار بين لوحين من الزجاج ، برقم مسلسل . وتقدم العمل بفضل الجهود المتآزرة مع الخبرة الفنية والعلمية ، بحيث يمكن اعداد مئات من البرديات التي تم فحصها وتنسيقها ، واتيم لها معرض في السليبيات والمعرضين من مارس سنة ١٩٨٢ . بالمتحف النمساوي للفنون . والتقى « كراباتشك » في حفل الافتتاح بحاضرة من تيبة هذه الوثائق واهميتها ، والنتائج الاولى لبحوثه وبحوث زملائه من العلماء . كما تقدم برة العمل في دليل مفصل بعنوان



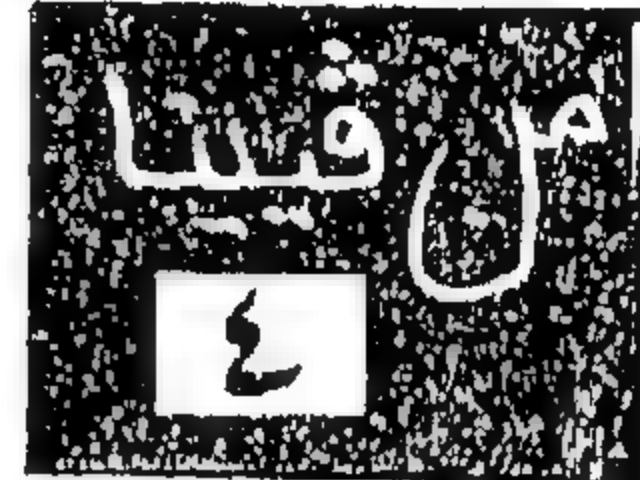
لكن المتحف النمساوي لم يبد مع ذلك رغبة ما في شراء هذه المجموعة الثمينة والقتالها . وعيناً حاول « كراباتشك » أن يقنعه بضرورة شرائها ، وبخاصة بعد أن تخرج الموقف : « فالتاجر » جراف » قد دفع ثمنها من ماله الخاص ، وقد طال انتظاره للبت في موضوع شراء النمسا لها ، في الوقت الذي تعرض فيه لضغط الحاج شديد ومساومة مرهقة ، من بعض الدول الاوربية ، وبخاصة ألمانيا التي أبدت استعدادها لشراء المجموعة بالثمن الذي يرضيه .

وبدا كان النمسا توشك أن تفقد ما وصل إلى عاصمتها من كنز البردي ، لولا أن سعى « كراباتشك » لدى الارشيدوق « راينر : راعي المجمع العلمي » في ذلك الوقت ونجح . المسمى لدفع الامير ثمن المجموعة كلها . وابتاعها باسمه في متحف فيينا ، ثم انضاف اليها المجموعة التي اقتناها كراي : اثناء مقاسمه بمصر سنة ١٨٨٢ . كما آل الى راينر بعد ذلك ، مجموعة المسالم الاثرى « شتايندورف » التي مرضها للبيسغ في سوق القاهرة سنة ١٨٨٦ ، ونجح التاجر

وقد تم في هذا العام شراء آلاف من بردي الاشموين ، تمتاز بدقتها ونعومتها ولونها البني الغريد . وكانت كل هذه المشتريات تتم لحساب « الارشيدوق راينر » وتضاف الى مجموعته التي بقيت في متحف الفنون بين ايدي الخبراء والدراسين .

وقبل أن تفلت مصر الى تسرب هذا الكنز من أرضها كانت مجموعة راينر قد بلغت نحو سبعمائة ألف بردية . وفي اغسطس سنة ١٨٩٩ قدمها الامير الى « مكتبة البلاط الامبراطوري » هدية عيد الميلاد للقصر « فرانزوا يوسف » وكان « كراباتشك » قد عين مديراً للمكتبة قبيل ذلك ، حيث عاش مابقي من عمره متفرغاً للمجموعة ، ينيها ويرعاها يلحسها ويدرسها بمعونة عدد من العلماء والخبراء الى أن مات في التاسع من شهر اكتوبر سنة ١٩١٨ . وبقيت المجموعة من بعده في قاعة البريتينا بمكتبة فيينا : ذخيرة قومية عالمية ، ومزاراً للعلماء والباحثين من انحاء العالم الغربي المعاصر .

السرايا



لا شيء مما كتبت عن مجموعة البردي الكبرى في فيينا ، كان مجهولا للمستشرقين وعلماء المصريات ومؤرخي الحضارة من الغربيين ، فمذ عام ١٨٨٣ اتتبع المتشورات من البحوث والوثائق ، كاشفة عن قيمة هذا الكنز ، ومحسنة ذخائره ، ومعلنة عن أشخاص الأبطال الثلاثة الذين كسبوا للنمسا اكبر جولة في السباق ، وجعلوا من فيينا ، العاصمة الاولى لدراسة البردي .

لكن بقي وراء هذا المعلوم من القصة ، اسرار خفية لم يكن احد يدري بها سوى اولئك الثلاثة ، وكان الظن أنها طويت بموتهم ، حتى ظهر كتاب « الدكتور هربرت هونجر : H Hunger » في فيينا سنة ١٩٦٢ ، فاذاع كل الاسرار المطوية ، بنشر نصوص الرسائل التي تبودلت بين تاجر السحاجيد « تيودور جراف » والمستشرق « يوسف كراباتشك » والارشيدوق « راينر » .

قلم الكتبة بنت الساطع

وانقل الى قلمي ترجمة امينة لمختارات من هذه الرسائل ، لا لكي نتحسر على ماضع منا ، او نغضب لما كان من غفلتنا ، فلا الحسرة تجدي في استرداد ما ضاع ، ولا الغضب يشفع لنا لدى الوطن العربي الذي ابنا حياه ، او التاريخ الحضاري الذي رانا نلقى بمعزل عن الجهود المبذولة للكشف عن معالنه ، ونحن ورثة مفاثحه ومصابحه !

وانما انشر ما انشر منها ، مدفوعة بأمل سمعت في أن نبتلي منها درساً ينفعنا في حباية ما بقي لدينا من مخطوطات تراثنا الفكري والادبي ، وهي معرفة حتى الساعة ، لفل ما تعرضت له وثائق البردي من قبل . واعلم أن قانون حباية الاثار قد تكفل - بعد فوات الاوان بحراسة ما بقي في بلادنا من البردي ، أن كان قد بقي منه شيء . لكن القانون نحن بهذه الحماية على النصوص المدونة على الورق وكان النية الاثرية للمخطوطات في صنف المادة المدون عليها ، لافي النصوص ذاتها ، او كما قلت مرة من قبل : كان مناظ الاثرية في مثل حجر رشيد ، هي مابته الحجرية ، لا بطوشت المدونة عليه !

ولا اريد أن استطرد هنا الى حديث لي تكرره ومجاد ، عن مأساة مخطوطات تراثنا المضيعة فينا ، فالجمال اليوم

للمراسل التي اذاعت المطوى من اسرار كنزنا الضائع !

وتبدأ الرسائل من عام ١٨٨١ ، حيث بدأ « كراباتشك » بحث سديقه العزيز « تيودور جراف » على البحث عن البردي في خرائب السعيد واطلال الفيوم ، دون أن يكون للتاجر ادنى خبرة بتيبة البضاعة المطلوبة ، والذين الذي يجوز لمثله أن يدله ، ومن القاهرة ، بعث جراف الى سديقه الاستاذ المحترم ، خطاباً مؤرخاً في ٧ - ٣ - ١٨٨١ جاء فيه :

« .. بعد رسالتي الاخيرة التي طلبت فيها نصيحتكم بخصوص شراء السجادة الدمشقية القديمة ، يسرنى أن ابلغكم اليوم . ان بحثي عن قطع البردي انتهى بنجاح ، وان تكون قطعاً صغيرة فقط . ولعل لقيمتها في انها مكتوبة بعدة لغات من القدم العصور ، ومن الصعب على اي حال ، العثور على برديات كبيرة سالمة من الضرر . وانا اتابع حالياً ، البحث بحماس مع الامل في النجاح . وقد ارسلت اليكم هذه

(٢)

الاثريه التي بعثت بها اليك ، هانت لاتتصور مبلغ لهفتى على وصولها ومعرفة رايتك فيها بالامس كنت في طنطا ، وعدت الى هنا في المساء . ونحن نعيش في وقت عصيب بسبب الاحداث السياسية . وقد اكتشفت مؤامرة على حياة «عرايى باشا» - البطل الاسطوري . في اليوم الحادى عشر ، ولا يدري احد ما تاتى به الايام القادمة وان شاء الله ساسافر اليوم الى الاسكندرية ، ومنها ابهر الى تريسنا حيث ارجو ان اكون عندك بفيينا ، في آخر الشهر» ووصل «جراف» الى فيينا ، فلم يجد مدينته «كراباتشك» هناك . فبعث اليه رسالة مؤرخة في ٨ - ٥ - ١٨٨٢ ، يقول فيها :

«الصديق العزيز .. وصلنى في بريد اليوم من مصر نيا سار الذ تم شراء مقدار جديد من الاقمشة القديمة قد تصل الى فيينا في الاسبوع القادم . وكتب ابى وكيل اعمالى في القاهرة . ان من بينها قطعة طولها نصف متر وعرضها نحو ٢٠ سم ، مطرزة بنقوش رائعة ، ويمكن ان تعد اجمل القطع التي اشترت الى الان على الاطلاق الاطلاق . وسوف يسرنى ان تكون هذه القطعة ، من الصناعة الساسانية ، حتى تتزى مجموعتنا . وقد يواتينا الحظ فنعثر على روائع اخرى رومانية او افريقية قديمة ، فالذى لاشك فيه ، ان كثيرا منها مدفون في رمال مصر»

وظل جراف في فيينا ، ينتظر الاتباء عن مجرى الاحداث في مصر ، وهو مطمئن الى ان رجاله هناك يواصلون البحث عن الكنز وفي رسالة منه الى «كراباتشك» مرسلة من فيينا بتاريخ ٢٠ - ٩ - ١٨٨٢ يقول : «الصديق العزيز .. يبدو ان الامور في مصر ، تسمح لى - لحسن الحظ - باستئناف نشاطى هناك عن قريب . بعد غد يستمر تشييد ترنتى : Trenti تريسنا الى الاسكندرية والقاهرة ، وانا والى تمنا ، من ان رجالى العرب ، قد جمعوا في الشهور الاخيرة ، كثيرا من التحف والبردى والمنسوجات ، ولهذا فانى انتظر ان اتلقى قريبا طرودا كبيرة من القاهرة .. والى اللقاء»

خطابه رتم ١١ الى تيودور جراف ، من الكلام في مصر من وصول بردى الى فيينا - والرسائل التي بعثها جراف من مصر في عام ١٨٨٢ ، تم من قلقه البالغ بسبب احداث الثورة العربية وما يمكن ان تسبب من تعطل التجارة ، بعد ان تقدم العمل بسرعة مذهلة ونجاح باهر . لكنه استطاع ان ينظم العمل بفضل رجاله من الاعراب الذين كانوا يجوسون خلال الديار ويحصلون البضاعة اليه - حيثما كان - في حرص وامان ، فنقرأ في رسالة منه ، الى كراباتشك ، بتاريخ ١١ - ٤ - ١٨٨٢ . «.. رجالى العرب Meine Araber

.. قد تعلموا الان جيدا ، وحتى في حالة اضطرارى الى الغياب عن مصر ، فانهم سوف يحفظون لى كل ما يعثرون عليه من البردى . ومنذ ثمانية ايام وهم قائمون عن القاهرة لجمع البضاعة ، وانتظر عودتهم بصبر نافذ ، واطمع في ان يحضروا لى هذه المرة شيئا رائعا ..»

ثم كتب من القاهرة ، بعد خمسة ايام : «.. وقد تسلمت خطابك اللطيف ، ويؤلمنى حقا ان الطرد الذى بعثته اليك ، رفيع اقمشة قديمة وبردى ومعلات ذهبية ، لم يكن قد وصل الى فيينا حتى اليوم الخامس من ابريل . ولابد ان رحلة الباخرة كانت سيئة فتأخر وصولها الى تريسنا . وانتم ترون اننى اسير في الطريق السليم وارجو ان اوافيك قريبا باشياء هامة مما نعثر عليه . وقد احضر لى رجالى العرب تحفا مصرية اثرية ستأخذ طريقها الى فيينا ، ثم عادوا الى الصعيد يستأنفون بحثهم . وقد انتظم العمل بحيث يجد ما يعثرون عليه ، طريقه المأمون الى ، ولولم اكن موجودا بمصر .. وقد زرت الكفصل العام بالاسكندرية «البارون كوزييك» ولم تقح لى فرصة لقائه ، لكن البارونة استقبلتنى بلطف زائد ، ولما كانت مهتمة بالسجاد القديم ، اهديت اليها نسخة من كتابك .. وارجو ان يصلنى يوم الخميس خطاب منك عن الاقمشة والبردى والنقود

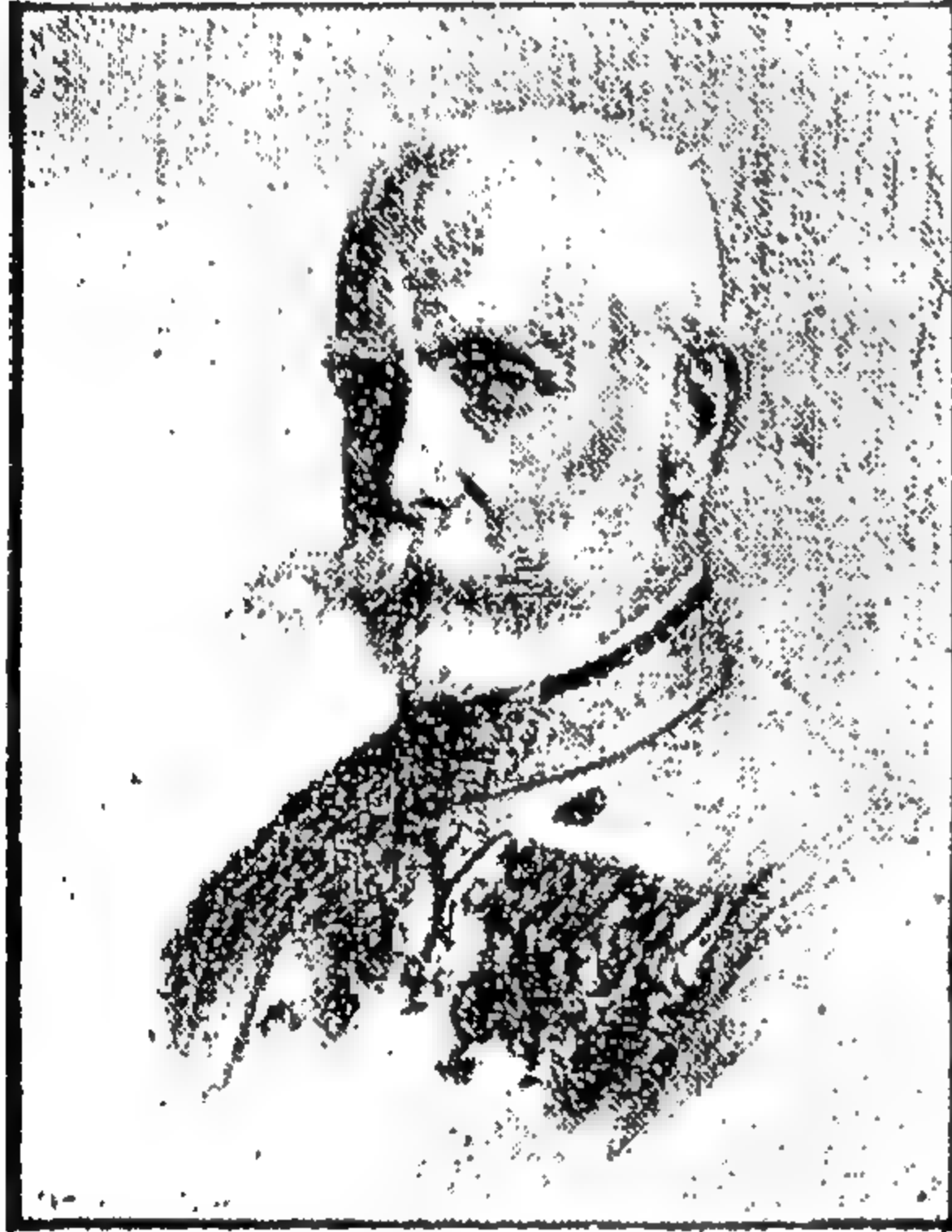
القطع في البريد المسجل ، وامل ان تخبرنى قريبا عما اذا كانت لها قيمة ؟ وما قيمتها . وهل استمر في ارسال القطع الصغيرة اذا لم اوفق في العثور على البردى الكبير ؟ والواقع اننى لا ادري هل تستحق القطع المرسلة اليك . التمن الذى تلمعته فيها . اوسوف اسافر الى اسبوط بعد ثلاثة ايام او اربعة ، ولعلنى اعود من رحلتى بنتائج طيبة ..»

ومن فيينا ، جاء رد «كراباتشك» مؤرخا في ٩ - ٤ - ١٨٨١ . «.. والان الى البردى ! كنت على حق في ارسال هذه القطع الصغيرة ، فغيرها قطع جبيلة لايزال خطها واضحا جديدا . وبعض القطع كاملة ، ومنها بردية مؤرخة في عام ١٦٢ هـ ٧٧٩ م - وهى صك جزية وفي الجزء الاخير منها صيغة كاملة ، وردت مبتورة في بردية اخرى بتاريخ ١٨٠ هـ ، ولم يكن من المستطاع اكمالها لولا النظر بالصيغة نفسها ، تامة ، في هذه القطعة . ومع سرورى البالغ بجمال هذه القطع وقيمتها ، لازال الح في طلب مزيد منها ، فان قطعة صغيرة من صك ما ، يمكن ان تضى لنا مائل غامضا علينا لدى طويل . واكتب لى في خطابك التالى ، بيانا عن حالة الاختام على البرديات ومقدار سلامتها . وعثرون فركنا للقطعة ، قد تبدو غالية ، لكن سوف نرى ، وعلى اى الاحوال ، لن تصاب بخسارة ما اولى رجاء : تجد على زاوية الصفحة الاخيرة من خطابى هذا ثلاث عبارات عربية ، لها دلالة خاصة في العربية القديمة ، وتستطيع ان تستفسر لى من بعض اصحابك العرب ، عما اذا كانت لاتزال مستعملة حتى اليوم بدلالاتها القديمة ؟ وثق اننى سوف ادين لك بكثير ، اذا ما قيمت لى بهذه المهمة ، لكن يجب ألا تذكر اطلاقا ان هذه العبارات من نصوص البردى ، بل يكفى القول بانها وردت في مخطوط قديم»

.. يملق ناشر الرسائل «الدكتور اهورجر» على هذه الفترة بقوله : كل ما يتعلق بالبردى ، كان يتم في الخفاء بصورة او باخرى ، وقد حذر «كراباتشك» في

من قسطنطين

ثمن الصفقة



الارشيدوق راينر
(من مخطوطات مكتبة فيينا)

كم دفعت فيينا ثمنًا لجموعتها الكبرى
من ذخائر البردي المصري ؟ أو بتميز أدق ؟
كم دفع « الارشيدوق راينر » للاجر
«لنودور جراف» في الصفقة التاريخية التي
لا يعرف المصري لها مثيلاً ؟

لم يكن الثمن بمروناً على وجه التحديد،
حتى كشفت عنه الرسائل التي نشرها
«الدكتور هونجر» في فيينا عام ١٩٦٢ ،
وكشفت معه عن الظروف التي تمت فيها
الصفقة ، والمساومات التي جرت بشأنها ،
والمكائبات التي تبودلت حولها ، ما بين
القاهرة وفيينا وبرلين !

لقد كان جراف يطلب لجموعة بردي
القبوم الأولى - وتبلغ عشرة آلاف بردية
بست لغات ، وبمها مجموعة من الأقمشة
الاثريّة - ثمانين ألف جولدن ، ثم تنازل
عن هذا الثمن الأول ، وقبل من
«الارشيدوق راينر» خمسين ألف جولدن
لفقط . والجولدن عملة هولندية ، لا يعرف
كم كانت تساوي في زمن الصفقة ، ولقد
تساوى اليوم شلّين انجليزيين ، فيها
أخبرني به مدير البنك الأعلى هنا . أي
أن الصفقة بيعت بخمسة آلاف جنيهه
انجليزي تقريباً ، بالسعر الحاضر .

والرقم هنا لا يعطي دلالة كاملة ، إلا
إذا رجعنا إلى سجلات وزارة المعارف
المصرية حوالي عام ١٩٥٠ ، لعلها تكون
قد حفظت المكائبات التي دارت بين الوزير
وبين سيده اجنبيّة بن هواة الانار ، حول
كتاب واحد من البردي المصري كان في
حوزتها ، وعرضته على وزارة المعارف ، وطلبت
ثمنه عشرة آلاف جنيه ، فيها اذكر . وكنت
لقد سمعت بقصة هذا الكتاب بن الاسناد
الوزير « علي أبوب » رحمه الله ثم
شلّسني الشواغل فلم أعلم ماذا تم فيها .

الشيخ

بقلم الدكتور بنت السالم

التاريخ : ٢٥ / ٩ / ١٩٦٤

(٢)

الى « كراباشك » في ١٦/٦/١٨٨٤ ،
ما تجمته :

« الاستاذ العزيز ... الايام القليلة
التي امضيتها في ههنا لم تنس على فريضة زيارتك
في مكان عملك . وامسك بالعلم الاي ،
لا عبر لك عن جيل شكوى على النشرات
الاخيرة والصور التي تفضلت بارسالها الي .
ويسعدني جدا العثور على برديات جديدة ،
باللغة الاغريقية ، او الرومانية او العربية ،
مما يقدم دليلا جديدا على اهتمامنا بهذا
المعمل الجليل . واتمنى ان يتم بنجاح ملك
اوراق كتاب البردي الذي حثنتني منه ،
كي نتاح لنا قراءته كله ، وما اشك في انه
سوف يعطينا مادة تاريخية هامة . واذا
اكرر لك شكوى ، اتمنى لعملك الجليل
احسن النتائج . وسابقى المخلص : راينر »



واتابع قراءة الرسائل ، فاجد بينها
رسالة من « جراف » في القاهرة ، بتاريخ
١٩ - ١ - ١٨٨٥ ، تنس : ان الطشان
الكبير للبردي في مصر قد انحصر ، وترك
لدى التجار بقايا ، يود جراف ان يمدد بها
الى وطنه ، لكنهم يمانون في ثمنها ، فيطلبون
ثلاثين فرنكا ، لثلاث او اربع اوان - جمع
اناء - مليئة بلغائف البردي !! ويستطرد
جراف قائلا : « وقد رفضت لروحات اثرية
من الخزف عليها كتابات الهروغليفية وقبطية ،
وديموقراطية وهيرغليفية ، عرضت في السوق
بمصر سبعين فرنكا (!!) وهي الان في
طريقها الى متحف اللوفر بباريس . ونقص
المال الذي مانيه حكومتنا اصبح معروفا هنا ،
وتفوذنا يتقهقر بسرعة الى الزوال . وقد
سمعت هنا قصصا مثيرة ومع ذلك يقولون :
ان الشرق لنا ! »

تسا اجد بعدما رسالة كتبها جراف -
وهو بنينا - الى صديقه المستشرق ،
تاريخ ١٥ - ١٢ - ١٨٨٥ ، وفيها يقول :
« الصديق العزيز ... علمت مما كتب
في نائبي بالقاهرة ، ان الاهتمام بالبردي
ثار من جديد . وقد انتشرت هناك شائعة
تقول انه تكونت في برلين جمعية برئاسة
هانريش شليمان ، رصيت نصف مليون
مارك ، لاقتلاب البردي من مصر ... »



وبعد ، فعمل هذه الوثائق التي تلقينا
هنا ، شجع لي لدى نفر من قومي ، بجحدرن ،
كل قيمة لثروات ماضينا ، ويتسائلون عما
يفرنا بالاهتمام به ، وانا هنا في « البرنينا »
انساعل معهم : ليس من المحزن والمخجل ،
ان يكون هذا صنيع الغرب الحديث بقرائنا ،
ونحن ننتكز ان يكون من سننا من يعبئه
ابر هذا التراث !

— برلين في ١٢ - ٦ - ١٨٨٢ .

السيد المحترم : تلقيت من ادارة صحيفة
برلين اليومية ، التي انتشر بالعمل فيها ،
خطابك الكريم المؤرخ في الثالث من هذا
الشهر . وكانت دعشتى ودهشة رملاني
كبيرة ، حين علمنا منه انه لم يتم اي اجراء
في ههنا لشراء المجموعة الهامة التي جئت
بها من البردي ، لحساب الدولة . وارجو
ان تاذن لي في ان اتقدم اليك بتسبحة ، وهي
ان تتوجه الى الادارة العامة للمتاحف في
برلين وتعرض عليها شراء البردي ، وانا
واثق تماما ، ان عرضك سوف يقبل على
الفور ، وسأكون مدينا لك بالشكر اذا
الفتني تراك في هذا الامر .

« وواضح من هذا المرض باسديلي ،
انهم في برلين مهتمون بمجموعتي من البردي ،
بحساس شديد . على انني لن اعرض هذا
البردي للبيع خارج النمسا ، الا اذا طال
الوقت ولم يتم هذا شيء ، وعندئذ ارسلكم
الى برلين ، واطلب ثمانين الف جولدن ثمنا
له ، وهو ثمن ليس مرتفعا بحال ما ، اذا
قدرنا لشحابة المجموعة ، وما فيها من قطع
قيمة . ولك تحيات قلبية من صديقك :
جراف »

ولم تمنى سوى ايام معدودات ، حتى
اتبع « جراف » خطابه هذا ، بالخطاب
النالي ، المؤرخ في ٢٦ - ٦ - ١٨٨٣ :

« صديقي العزيز : السيد فون ايتلبرجر
مستشار البلاط ، ارسل اليوم الي ، برجو
ان اتوجه لمقابلته في المسحف هذا الصباح
وقد اخبرني ان سمو الارشيدوق راينر ، قد
كتب اليه لكي يتولى عنه المفاوضة في
شراء مجموعتي من البردي والنسيج ،
وعلمت ان السيد فون ايتلبرجر والاساذ
فون هارزل ، كتب اليك بهذا الشأن
وسئلت ان اقبال الاساذ لميسلي بعد ظهر
اليوم ، وابلفه قراي التهانى عن الموقف ،
والثمن الذي اطلبه على وجه التحديد .
وقد ابدت للسيد المستشار الامبراطوري ،
استعدادى لقبول ثلاثين الف جولدن لمجموعة
البردي ، وعشرين الف جولدن لمجموعة
الانكشة ، اي خمسين الفا لمجموعتي ... »

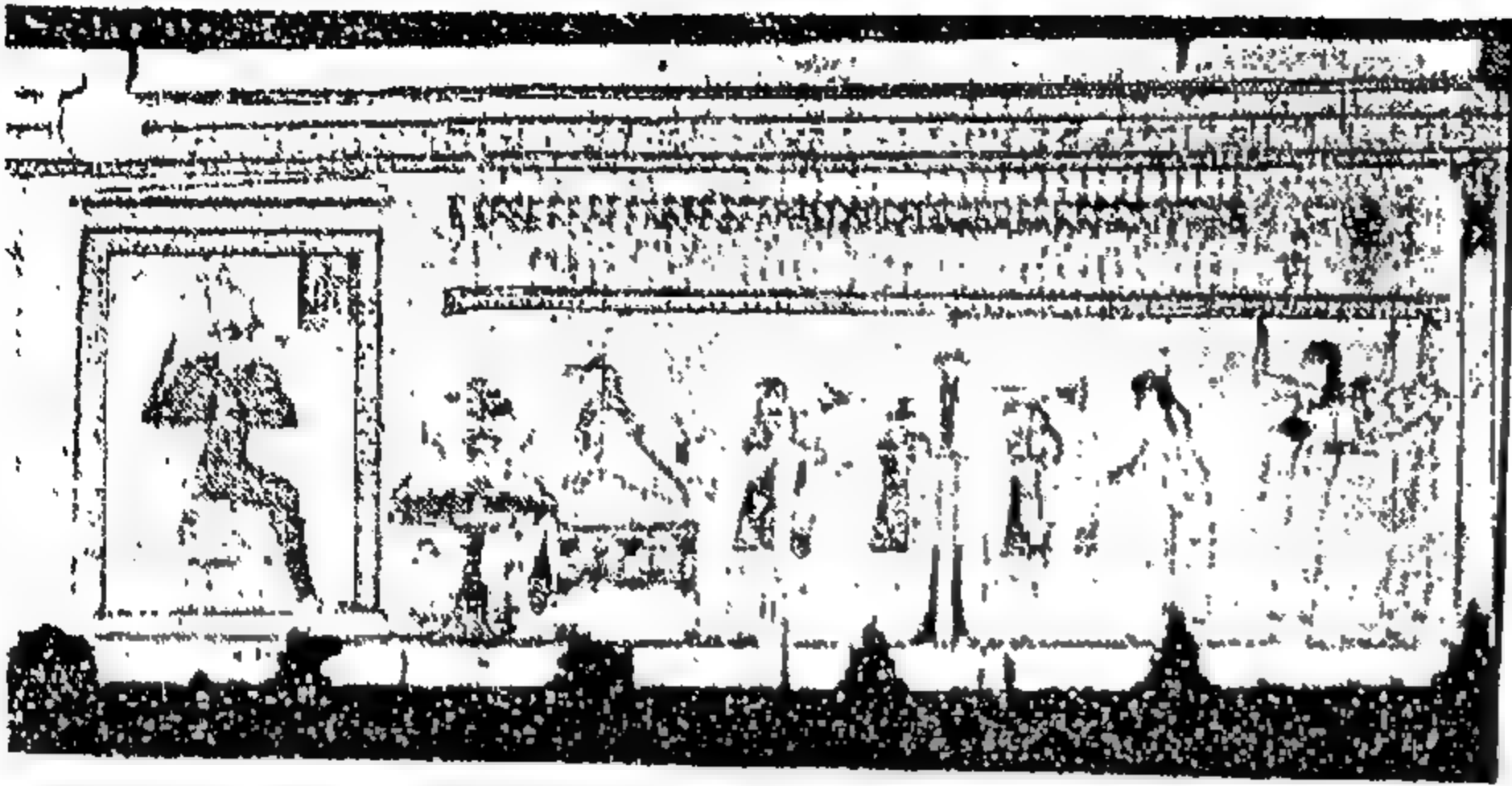
على هذا النحو ، تبت الصفقة الكبرى
ودفع « الارشيدوق راينر » ثمنها ، وبذلك
الحين ، بدأ حرمه على ثمنها ورعايتها ،
ومتابعة دراسة العلماء لنموسها . فنقرأ
في خطاب له ، ارسله من قصره الصغرى

وصلة مجموعة بردي ههنا ، ليست
بذات اهمية للنمسا البسيم ، الا
قدر ماضى ، لنمسا ظروف الجولة
الكبرى في السباق الدولي على كثرنا
المستباح ، وتزد الاعتبار الى « اكسفان
موتانا » ومخلفات اباثنا ، لدى الجليل
المعاصر من ابنائهم ، وفيهم من ينكر كل
قديم لنا ، ولا يجد فيه الا رائحة البلى
المفسدة لمناخ العصر الذي نعيش فيه . .

كما علم من هذه الرسائل ، انه حتى عام
١٨٨٢ ، لم يكن « الارشيدوق راينر » ظهر
على المسرح ، ولا عرف له اي دور في
القصة التي بدأت أحداثها تدور ما بين
الفيوم واهناسيا والقاهرة ولبينا ، من
عام ١٨٨١ ، وانا كان الدور كله للمستشرق
« يوسف كراباشك » وتاجر المجاجيش
الشرقية « تيودور جراف » الذي جازف بدفع
الوف من الجنيهات في البضاعة ، وطال
علاه المدى في انتظار استرداد هذا المال
المعطل . .

وكان الامر - كما اشرنا في المثل
المانى - يتم في الذفاء ملتنا لتعطيات
كراباشك ، لكن صفقة جراف كانت من
الشحابة بحيث لا يسهل ان تظل لدى ملوبن
على الكيمان ، فلانذهب الفلنون كل مذهب ،
في الهيئة التي تتوارى خلف التاجر
النمساوى ، وشامت شائعة في الانق الدولي ،
تقول ان « جراف » لا يهتم بجمع البردي
لحسابه الخاص ، وانا يعمل لحساب
متحف ههنا ، والرسالة التالية - وقد
بعث بها جراف الى كراباشك في ١٤ - ٦ -
١٨٨٣ - تجل مدى باشاع من امر
الصفقة ، في اكبر العواصم الاوربية
حينذاك :

« الصديق العزيز ... منذ فترة قصيرة
تلقت من اخي الدكتور برنارد جراف ،
هذا المقال المنشور في صحيفة برلين السومية
بتاريخ ٢١ مايو ، عن مجموعة البردي
الكبيرة التي عندي . وحين قرات فيه انني
جهمت هذا الكثر لحساب المتحف النمساوى ،
وجدت من مصلضى ان اكتب الى الصحيفة ،
مطالبيا بصحيح هذا الخطا ، ومؤكدا
انني جمعت هذا البردي لنفسى ، لا
للمتحف النمساوى . والنوم صباحا ،
للبيت من برلين خطابا بعث به السيد جورج
بررس ، وسأفقه لك هنا :



من هيلينا سهرت الرنا وناع الرنا

الهم تفكر حكومة مصر - حين كانت غارقة في مخلفات (اسماعيل) من الديون الباهظة ، في ان يكون لها نصيب من الغنيمة التي نهبا
تجار الآثار من ثمن البردي ؟
سؤال خاطئ ببالي مرة بعد مرة ، منذ اشتغلت بمجموعة بردي فيينا . ولم يتجه ذهني بطبيعة الحال ، الى القيمة
التاريخية لهذه الوثائق الاثرية ، فذلك مالا مجال لاحتمال دخوله في حساب حكام مصر لذلك العهد ! ولكن البضاعة - بصرف
النظر عن قيمتها العلمية التي لا تقدر بمال - كانت لها سوق رائجة ، وقد غالى التجار - من متصدين واجانب - في ثمنها ،
مما كان جديرا بان يثير اهتمام الحكومة ، الا ان تكون قد بلغت من السفه ما يزهدا في هذا المورد السخي للعال ، في عهد
شحت فيه السوارد بفضل صنوق الدين المشوم !

بقلم الدكتور بنت الساطح

جواسيس الحكومة المصرية ينتشرون في
كل مكان ، يحاولون ان يعرفوا اين عثر
على البردي ومن الذي عثر عليه . ولهذا
فان مصادر البردي لابد ان تتوقف وتسكرت
لفترة طويلة ، واعتقد انه بمجرد نشرها
اعدت عن مجموعتنا من البردي - وفيها
وثائق بالغة الاهمية عن غزو المسلمين
لمصر ! - فسيكون من الخطر المخارفة
بالسؤال عن البردي في مصر - فما بالك
بمحاولة تصديره !

((وعلى اى الاحوال ، لنا ان نعد
انفسنا سعداء ، لاننا استطعنا لحسن
الحظ ان ننقل الى فيينا في الوقت المناسب
هذه الكمية الضخمة من وثائق البردي
الموجودة لدى سمو ((الارشيدوق رانتر))
وتنجمع الان في مصر سحب العاصفة ،
انية هذه المرة من السودان . متى ندمت
بالهدوء في هذا البلد ، كي تسير الامور
النجارية ، على الاقل ، سيرا حسنا ؟

وان لى اخيرا ، ان اجد الجواب مما
نلنا تسالت عنه ، فاعلم ان الحكومة
ثقلت في غفلة من الامر ، الى ان ذاعت
اخبار سوق البردي ، وانتشرت قصص
مثيرة عن المسابقات التي كانت تجرى فيها
والهدايا التي كانت تحصل منها الى الملوك
والقياصرة ، فبدأت الحكومة ان تفرض رقابة
على السوق ، لكي تحتكر البضاعة
ونسائل باليمن الجلوب .

ويبدو ان عزم الحكومة على التدخل في
الموقف ، قد ازعج الاوربيين الذين حسوا
ان الرقابة الحكومية جد لاهزل فيه ، فتوقف
نشاطهم نشرة ، خوفا من العقاب الصارم
كما يظهر ذلك بوضوح ، في رسالة بعثت
بها ((تودور جراف)) الى ((كراباشك))
في منتصف ديسمبر عام ١٨٨٥ وقال فيها :
((... وكنيتي نائبى في القاهرة ،
انه قد بلغه ان الاستاذ ادولف ارمان -
من علماء المصريين المشهورين - يبحث
الان في كل مكان عن البردي ، ويسأل عنه
كل من يلقى ، لكن دون ان ينجح الى الان
في الوصول الى شيء منه ، وليس هذا
بمستغرب ، فالبردي اولا لايعوم بالقاهرة
في الهواء ، وثانيا : معروف هنسا ان

ونستطيع أن نتصور مدى علم الرقابة وغفلة الحراس ، إذا علمنا أن جراف لم يشعر بأذى خوف أو حذر ، من القيام برحلة معلقة الى مناطق الكشوف عسك البردي في الصعيد ، بعد عابدين اثنين من غنيي البيت - التي حسبها اول الاسد ، تجعل مجرد السؤال عن البردي في مصر بجازفة خطيرة ! وهو يبدو في عام ١٨٨٧ أقوى تفاؤلا وأرهبا أملا ، في العثور على بقايا ما سماه « الكنز الراقد تحت الارض » ومن الغيوم بعث الى فيينا هذه الرسالة المؤرخة في ١٩ - ١١ - ١٨٨٧ :

« الصديق العزيز .. اليوم ابعث اليك تحية قلبية من الغيوم ، مكان العثور على بردينا ! - Unsere Papyri - فلقد قمت أمس بزيارة مناطق الكشوف عنه في كوم فارس ، تل من أطلال ارسنوخسي العاصمة القديمة للغيوم ، وتبعد عنها نحو ربع ساعة . ولست أشك في أنه اذا أتيت لنا البحث الجاد في الاكوام والاطلال الدارسة ، فسوف نعثر على بقايا ممتازة من

اثار العصور القديمة . فهنا يرقد الكنز تحت الارض ، ولا نحتاج الا الى المال فقط لنخرجه ! والبردي في السوق قليل ، لكن العظ حالفني فاستطعت الظفر بكسه منه كادت تغلت من ايدينا ، اذ من المنتظر ان ياتي الاستاذ « اولريش فيلسكن » Ulrich Wilcken قريبا لزيارة المنطقة فلولا سبقي الى هذه البرديات ، لكنت فيها أعقد ستأخذ طريقها الى برلين وقد وصلت الى هنا يوم الخميس ، وسأبكر عصر اليوم عائدا الى القاهرة ولعلني استطيع الوصول الى فيينا في اوائل ديسمبر ، حيث يسعدني ان أتعرف الى الجديد من كنوز البردي ... »

ثم أتبع هذه الرسالة بأخرى بعد يومين قال فيها لصاحبه :

« ... من الغيوم أرسلت اليك أمس الاول تحية ، الحقها اليوم ببضعة أسطر : نكر لي رجالى العرب ، أنه قد عثر في خرائب منزل قديم بأخميم ، على نحو مائتي لفافة مرفولة من البردي ، ونزل الكتابة المقروءة بوضوح على الاجزاء الخارجية منها ، على أنها ترجع الى عصور قديمة . وأبادر فأرسل اليك اليوم ، في طرد بالبريد المسجل ، أربع لفائف منها لكي تفحصها وتحكم عليها . وهي تبدو صعبة الفتح ، ولا أهد ببرى شيئا عن النصوص المدونة

لكن فترة التوقف لم تطل ، الا ربثا كتبت الايام من عقم هذه الرقابة ، وغفلة الحراس الاداريين الذين نام منهم من نام التماسا للراحة واينارا للعافية ، وآخرون منهم اغضبوا عيونهم وقد اعشاهها بربق المال ، نصدق فيهم المثل : حاميه حراميه ودب النشاط من جديد في السوق ، بعد ان أدرك المتعاملون فيها عبث الرقابة الحكومية ، واطمأنوا الى أنهم يستطيعون استئناف نشاطهم في البحث عن بقايا الكنز في غفلة من الخفراء الحراس او بالتواطؤ بسهم ! وعاد البردي يتدفق من مصر الى أوروبا . وحقق التاجر المحنك « ثيودور جراف » جولات جديدة ظائرة في الميدان ، فنلتنا في رسالة منه الى صاحبه . بتاريخ ١١ - ٢ - ١٨٨٧ خبرا عن مجموعة جديدة من البردي ، حبلها بنفسه من مصر الى فيينا ، وطلب من صديقه المستشرق عرضها على الارشيدوق راينر ثم التنفس بانافته من رأى سموه فيها . وخنم خطابه قائلا :

« ... ولن يسعدني فقط ، في هذه الاحوال التجارية السيئة ، ان تتم الصفقة بل انى أرحب كل الترحيب باتسابها في اقرب فرصة ، ذلك لاني اود ان اسافر خلال هذا الشهر الى القاهرة ، وارى من الضروري تأجيل سفرى الى ان ينجلي الموقف بالنسبة الى هذه المجموعة الجديدة من البردي والرق . ولو ساورنى اننى ريب في تردد

سمو الارشيدوق راينر في شرائها ، لكنت قد عرضتها - مضطرا - للبيع في مكان آخر ، لاني دفعت فيها من رأسمالى مالا استطيع الاستغناء عنه طويلا في مثل هذه الظروف ... »

وقد تم بالفعل شراء هذه البضاعة الجديدة لحساب راينر الذي ضمها الى مجموعته ، وكتب الى « كرايانشك » بتاريخ ١٢ - ٤ - ١٨٨٧ ما ترجمته :

« الاستاذ العزيز .. ويسعدني كذلك ان اسمع عما في هذه المجموعة الجديدة ، وان أعلم ان العمل فيها يتقدم بنجاح ، بفضل جهدك وجهود السادة زملائك المشتغلين بها . وأنا مقدر بطبيعة الحال ان العبء تضاعف بالزيادة المطردة في مجموعتنا التي ترجع الوثائق الاخرى منها الى عام ٨١٨ م ، ولاشك ان ترقيم هذه المجموعة وتصنيفها ، يحتاج وحده الى جهد شاق .. وأحييك الى اللقاء : راينر »

(٣)

ونسابقوا على شراء ما فيها من البردي
حتى وصل سعر بعض القطع الى سبعة
جنيهاً ، وأخيراً وصلت الاخبار الى مجلس
الاثار في ابيدوس فاستعان بماور المركز
الذي ذهب الى القرية مع جنوده
وراحوا يفتشون دور القرية بحثاً
عن البردي فلم يفتشوا على شيء
منه ، اذ كان الفلاحون قد خبأوا
ما بقى لديهم او احرقوه خوفاً من الحكومة
ورابطت قوة بوليسية لحراسة المنطقة
حيث استؤنف الحفر لحساب الحكومة
بإشراف « كويسل : Y. L. Quibell »
فلم يسفر بعد ثمانية عشر يوماً الا عن
ثلاث قطع من البردي ، وقطع أخرى من
الرق القبطي والاعرقى ، ثم مضت عدة
اسباع ، ظهر بعدها لدى تاجر بالقاهرة
لخائف افرقية جيدة من البردي المختفي ،
كما اشترى « الاستاذ موريتس » الخائف
عربية منه ، قدم بعضها لدار الكتب
الخطوية - وكان مديراً لها - واحتفظ
بالباقى لمجموعته الخاصة . وبعد فترة من
الزمن ، أعلن عن وصول كميات من بردي
كوم الشقوة ، الى برلين وهامبورج ولندن
وشتراسبورج وموسكو ، الى جانب القطع
الرائعة التي اشترها من تجار القاهرة
الاستاذان ايشر وتاشنر .

وأرائي قد اطلت ، لكنني استحي مع
ذلك من الاعتذار عن الاطالة ، فليس بالكثير
ان نتجمل قراءة قصة كنز لنا نام عنه
الحراس ، فلم يبق لنا منه الا ذكريات
تروى وحديث ذو شجون !

فيها ، لكن من السهل عليك فتحها وقراءة
نصوصها . فاذا بدت لك ذات قبلة ،
فاني استطيع ان اوافيك بالكثير منها ،
وهو من نفس الحجم والصنف تقريباً .
والعرب هنا نعت امرى الى ان اتلقى
برقية منك . . .

أجل . . . كان العرب هنا تحت امر
« حرا » ورملائه رغم الرقابة المنروسة ،
ومثل المرعى مباحا ، والحكومة عاجزة عن
الوصول الى سر الكنز وكان يحدث احبائنا
ان سميع مؤلفوها المكثرون بالحراسة ،
بنوا العنبر على بردي في جهة ما ، فيجرون
الى هناك لتتبعهم لا يكادون يصلون حتى يكون
قد اذلت منهم ا ويروى « الدكتور أدولف

جروهمان » في كتابه الجديد من البردي
العربي - براف ١٩٥٥ - حادثة طريفة
من هذا النوع ، لعلها كانت اكامة الموسم :
« ففي بداية عام ١٩٥١ ، اصطحب سكان
قرية كوم الشقوة ، مركز طما ، بكية من
البردي في احدى المقابر الاسلامية ، قرب
الجانب الايمن من كنيسة القرية . ولم
يكنوا يقدرون قبته فاحرقوا بعضه
وتركوا الباقي مدفوناً في مكانه . لكن عمدة
القرية كان قد سمع ببعض التجار يلحون
في السؤال عن البردي ، فنقل الى داره
قدراً كبيراً منه ، وترك للخفير بعض القطع
وعندئذ طالب الفلاحون بنصيبهم مما عثروا
عليه ، ولم يسكنوا حتى كان كل من سكن
القرية تقريباً ، يمتلك لفافة او اكثر من
هذا البردي ، وتسامع تجار طما والاقصر
وأخميم بالحادث ، فتوافدوا على البلدة

دائرة المعارف

خديجة بنت خويلد أمر المؤمنين الأولى

« والله ما أبدلني الله خيرا منها : آمنت بنى حين كفر الناس ، وصدقني إذ كذبني الناس ، وواسعني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء » .
حديث شريف

وقد هذه الدار ، نعماء بحياة زوجية هائلة مستقرة ، وارضى لها الزمن فيها خمسة عشر عاماً ، وولدت خلالها بالبنتين والبنت : القاسم ، وفيد الله ، وزينب ووتبة وأم كلثوم ونماطية . وقد امتحنت بالمثل في الولدين المزيزين ، فكان لهما من نعمة الحب وأنس العشرة ، ما أعانها على التمسك والاحتفال ، وقد كان هم كل منهما أن يخفف عن صاحبه وطأة المصائب ، وأن يعزبه من فقد . . .

ثم كان الحادث الجليل الخطير ، لا في حياة هذه الأسرة السعيدة فحسب ، ولا في حياة تربية والمرب وحدهم ، بل في حياة الإنسانية كلها : تلقى محمد رسالة السماء ، وجاءه الوحي بأمر ربه أن يقوم في الناس بشيراً ونذيراً . وكانت ساعرة تنكر فيه ، حين عاد إليها بن «غار حراء» في غبن الفجر خائفاً شامخاً ، فيما بلغ مأمنه حتى حدث زوجته بما رأى وما سمع ، نهضت في حنان وإيمان :

« الله برعانا يا أبا القاسم . أبشر يا ابن عم وأخت ، هو الذي نفس خديجة بيده ، اني لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة . والله لا يخزيك الله أبداً . . . انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتبشئ المسكين ، وتمنح على أموالك الحق » .

واشرفت أسارير محمد وزايله روعه ، تأوى الى فراشه مجهداً ، وهضت خديجة الى ابن عمها «ورقة بن نوفل» - وكان متحناً يقرأ في الكتب - فحدثته بأمر محمد ، فهتفت قائلاً : « فدوس قدوس . . . لقد جاءه الناموس الذي كان يأتي موسى وهنسي ، وأنه لنبي هذه

أبوها : خويلد بن أسد بن عبدالمزى بن قصي . ولدت في مكة قبل الإسلام ببضع وخمسين سنة ، من أسرة قريشية عريقة . وتزوجت في شبابها الباكر من اثنين من سادة العرب واشترافهم : فلها تولفها منها ردت الخطاب من سراة مكة ، واستثمرت أموالها في التجارة . . .

وسميت بما اشتهر به محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، من أمانة وصديق وعفة ، وأحببت أن يخرج بمالها الى الشام ، وتحدثت في ذلك الى ممة «أبي طالب» على أن تعطي محمداً فعمل ما كانت تعطي سواء .

وسافر «محمد» في قافلة تربيش الى الشام ، بصحبه «بيسرة» تابع السيدة خديجة ، ثم لما آتت القافلة ، استقبلت السيدة محمداً ، وصفت الى حديثه عن نجاح الرحلة ورجح التجارة ، بأخوذة بخوايل عظيمة ونبيل ثمنائه . ثم انطلقت بعد انصرانه ، تصفى الى تابعها بيسرة ، وهو يحدثها عن محمد حديثاً عجيباً .

ومن اللقاء الاول ، عرفت خديجة اني محمد ، نموذجاً فذاً من الرجال لم تلق بمثله من قبل . براحتنحوه شعوراً فياضاً من إعجاب وتقدير ، فتفتح له قلبها المذلل ، وثبتت لو انها ظفرت به زوجاً .

وسرعان ما تلقى دعوتها ، فذهب اليها ما يبداً ، وفي صحبته عماء أبو طالب وحيزة .

وتم الزواج في احتفال مشهود ، انصرفت الذبايح ، ودقت الدفوف ، وفنحت دار خديجة للبهنين من الامل والامدانة .

(٢)

الامة ، فتقول له فليثبت ا »

وعادت الى زوجها فرجة مستنيرة ، وجاءه
الروح بامر ربه ان يبلغ رسالته ، فكانت خديجة
اول من آمن برسالة .
وبدا الرسول نفسه من اجل الدعوة ، محتيلا
في سبيلها أفدح مشقة ، الأذى والإضطهاد ، وزوجته
المخلصة المؤمنة الى جانبه ، تشد أزرها ، وتعينه
على احتمال ما يلقى من قريش ، حتى بلغ الإضطهاد
أنه في ذروته ، حين أعلنت قريش على محمد وبنى
هاشم حرباً مدنية لا تحرم ، وتعاقبت على مخالفتهم
في صحيفة علفت في جوف الكعبة ، فخرج محمد -
سلم - ومن تبعه من أهله وسنحائه الى شبيب
ابن طالب ، بظاهر مكة ، وخرجت خديجة معه
حيث أمشوا بالشعب نحو ثلاث سنين في حصار
بشك ، ثم فشل الحصار أمام الإيمان الراسخ
الصالح ، وبذلت صحيفة المقاطعة ، وعادت

السيدة خديجة الى بيتها ، وقد نال منها الإعياء ،
في عاها الخامس والستين .

ومرست أباها ، وزوجها الرسول الى جانبها
بهرتها وبرعاها . ومن حولها بناتها الأربع :
« زينب » وقد تزوجت من ابن خالتها هالة ، ابني
العامي بن الربيع ، و « رقية » وقد تزوجت من
عثمان بن عفان بعد طلاقها من ابن أبي لهب ،
وكانت قد هاجرت مع عثمان الى « الحبشة » ثم
عادا حين قلب الظن ان قريشا قد نسيت من
جذرى اضطهاد المسلمين . و « أم كلثوم » وكانت
تزوجت أبشاً من ابن لاسي لهب ، ثم طلقها بعد
البعث ، و « فاطمة » في ربيعها الخامس عشر ،
لم تتزوج بعد .

وفي رمضان ، قبل الهجرة بثلاث سنين ، أسلمت

أم المؤمنين الأولى الروح بين يدي زوجها
الذي أحسنه منذ رآته ، وأمنت به نبيا قبل أن
يؤمن به أي فرد آخر ، رجلا أو امرأة .
واوحيتم دنياه بنها ، وسمى عام موتها
« عام الحزن » .

وظل يذكرها معاشي . .
وظل مكانها في قلبه وفي دنياه عابرا بذكرها ،
حتى لقد ضاقت زوجته « السيدة عائشة » بفرط
تعلقه بهذه الراحلة ، فما ملكت نفسها أن قالت
له مرة : « كأن لم تكن في الدنيا امرأة إلا خديجة »
فرد عليها وقد رق قلبه : أنها كانت وكانت
... فتناول عائشة :

« ما حسدت امرأة ما حسدت خديجة . . »

« وما غرت من امرأة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ما غرت من خديجة ، لما كنت أسمع
من ذكره لها ، وما تزوجني إلا بعد موتها ثلاث
سنين »

ودخلت خديجة تاريخ الإسلام : أم المؤمنين
الأولى ، والزوجة التي جاهدت مع الرسول في
اشق مراحل الدعوة ، وكانت له ما عاشت ،
ملاذا وسكنا . .

ولا يخلو مصدر لميرة الرسول وتاريخ البعث ،
من ذكر السيدة خديجة . ولها ترجمة مفصلة
في كتب طبقات الصحابة (طبقات ابن سعد ،
والإسابة ، والإستيعاب) وتشمل المكان الأول ،
من الكتب التي ألقت عن نساء النبي ، أمهات
المؤمنين .

د. بنت الشاطئ

جامعة عين شمس

من قلوبنا

أكلنا



خير البردي انطون فاكلان مع الجثث والاكفان

كنت اسعى الى مكتبة « البريتينا » كل صباح من هذا الصيف، فلا يفوتني قبل ان ابدأ عملي في دراسة مجموعة البردي، ان اتأمل بضلع دقائق لا تفرج على الأستاذ « انطون فاكلان » وهو عاكف في معمله على تلك لفائف البردي وخرق النسيج الأثرية، ممنا اضيف الى المجموعة بعسد وفاة « كراباتشك » او مما ضاق عمر المستشرق الراحل عن العمل فيه



وكنت أجلس هذه الدقائق، مشددة العين الى الاصابع الماهرة وهي تصالج الملفات الحجرية فلا تلبث ان تلين لها، مستجيبة لخبرة أصيله، كسبها فاكلان عن أجيال من الاساتذة، في أكبر مركز عالمي لبحوث البردي.

وربما طالت وتفتى أحيانا لاتسع مهلة لجميع القطع المتعددة للبردية الواحدة، وهي مهلة شهدتها تجرى في برديات مكتوبة باللغة اليونانية التي أحلها، دون ان نشاح لي مساعدة بنائها في البرديات العربية التي كان عمل « فاكلان » فيها، وهو مجهول لها، بل عند نظيره اللغائي ولقها

الكتبة بنت السامح

والصاقها على ورق بقوى، دون متابعة الفحص والجمع. ركت أعرضان اثينا واكسفرود وعواصم عربية أخرى، دعت هذا الأخير النيساوي لتسعين بخبرته في فك ماكتش من لفائف البردي، وعذا بالمعز فبه سر، صاحبة الناز ووارثه، ولدها منه مقابا ألفت من الذين لا يدرى ولا لارال دار، التي

التي جاء بها من الخرائب والتسور المجهزة، بمرسا للطيس والبلر... وقلبان بدور بينا حديث يخرج خنوع السموت وحرمة الهدوء في معمل البحث، وانها كانت فرصة الكلام ساج لنا هندا بترك « فاكلان » بميله ويبر بالداريس في ذاعة السجلات والوثائق، لسان أحدهم

وبفرض على الدولة في مرحلة التطور الثوري ، أن تخطط لمعرفة تراث الأمة وحمايته وإحيائه ، من حيث هو جوهر الكيان العربي ، والجذر الاصيل لحاضره ومستقبله ..

ويدفع المجلس الاعلى للجامعات ، الى المبادرة بإنشاء معهد عال للبحوث التراثية ، يمد أجيالا من المتخصصين فيها ، على غرار المعاهد التي نجدها في روما وصقلية وموسكو ولينينجراد ، ولا نجدها في القاهرة ودمشق وبغداد وتونس والرباط ، أو أية عاصمة أخرى من عواصم الوطن العربي ..

والى ان يتحقق لنا مثل ذلك الوعي القوي العام ، سيظل كل جهد فردي عتيا أو بكاد ، وكل محاولة لنا في هذا المجال محدودة قاصرة ...

فلك ما هميت بقوله للسيد السفي ، لكن استحييت أن ارد بمثل هذا الكلام على هرسه الكريم ..



وبدا لي حين أصبحت ، أن اتسلى في فترة استراحة من العمل ، بترادة سجل الزائرين لمكتبة البرنيان ، حيث توجد أكبر وأغنى مجموعة في العالم ، من البردي المصري باللغات المصرية والتبيلية والهيروغليفية والفارسية واليونانية واللاتينية والديبتراطية . وتنشلت السيدة « الدكتور لوبنشتاين » مديرة المجموعة « نجاعتى بسجلات زائريها من عام ١٩٥٠ ، فلم أجد بين الزائرين من شتى انظار الارض ، سوى أربعة من العرب ، فقط لا غير ، على مدى أربعة عشر عاما !

واكاد اتأمل الان من ميزون رؤوسهم استخفافا أثناء قراءة هذا الكلام ، وهم يعجبون كيف تبلغ بنا الترجمة والتخلف ، أن نفكر فيما تضم سرايب البرنيان من آثار عصورنا الحوالى ، ونحن على بعد امتار من معرض لبنا الدولى ، ودار الاوبرا الشهيرة ، وملهى مكسيم ، ومناجرا الشوارع هراين ، الزاخرة بمعروضات تخطف الابصار بانافتها لا والله في خلقه تسون !

الاصيلة المنسوس عليها في وثيقة انشاء الجامعة ، فرسدت مارسدت من الوف الجنيبات لنعيد لنا ما سبق ترجمته من انار الادب الاوربي ، في المنصور الخوالى وسالغ في منطلقنا أن يكون الاشتغال بالتراث العربى وصبة رجعية جاهدة قابها روح التطور ويرفضها مناخ العصر ، أما الاشتغال بتراث اليونان ومخلفات الموتى من ادباء الغرب ، فمسايرة لنوى العصر ، ونقدم ما بعده من تقدم !

في الوقت الذى تحتز فيه دول الغرب الحديث بالنشر من ذخائر مخطوطاتها ، وما تفتنى من تراث اجدانها واكلمان موقنا ، وليس ما ينشره المجمع العلمى السوفيتى من هذا التراث عنا ببعيد ، ولا ما يرصد له من جهود سخية بجهول لنا ، مع ما يشغله من جبروت المسباق على غزو الفضاء ! أجل ، ماتت دراسة البردى العربى في فيينا ، لان الوطن العربى من الخليج الى المحيط ، هزعليه أن يقدم الى مركز البحوث هناك ، عالما واحدا متخصصا يتابع الجهد المنسنى الذى بذله كراباتشك وجروهمان وزملاؤهما

ولم تمت دراسة البردى الاغريقى واليونانى ، لان في الميدان جنودا من العلماء الخبراء ، يتتبعون على حبل العبد جيلا بعد جيل ..



وفي مجلس لنا بدار سفارتنا في فيينا ، تنفصل السيد السفير « حسن المهامى » فأتدى ولحنه الصادقة في أن يتطوع بذل جهد ، لمصحيح هذا الوضع الشاذ . وهمت بأن اتول لسيادته :

« لا نقعب نفسك ، فلانمر في تراثنا لا تنهض به جهود فردية مهما تبلغ من كفاية واخلاص ، وانما يحتاج اول ما يحتاج الى وعى قومى عام لاهمية هذا التراث الكاشف عن حقيقة ذاتنا وجذور اصالتنا ، المضى لماضى خطواننا على درب الوجود الحضارى ..

وعى يشعر المثقفين منا بالخزى والعار ، لجهلهم بتاريخ وطنهم والعناصر الجوهرية المكونة لشخصيتهم القومية ..

وما أكثر ما كنت أحتاج اليه في استجلاء فوايس الرموز والاشارات المدونة على وثائق البردى العربى ، أما التعليقات والشروح التى كتبها « كراباتشك » على ما أتم فحصه منها ، فقد أعرب « فاكلهان » من شديد أسفه لعجزه عن مساعدتى فيها اعوزنى أحيانا من فهم الصلة بين النص وبين الشرح والتعليق .

والألم لبنا قال : ان لمعنى نصوى البرديات العربى في المجموعه ، وقف عند الفكر الذى هام به كراباتشك وجروهمان من بعده ، بحيث يمكن القول ان دراسة البردى العربى لاديات أو بنس عبارت Ist Schou Tol على حين استمرت دراسة البردى اليونانى واللاتينى حية ، لوجود علماء متخصصين براصلون فحوصها واستقراء نصوصها . ثم سألنى : « لماذا لا يهتم قومك العرب بالمشاركة في هذا الميدان واللغة لغتهم والتاريخ تاريخهم ؟ وهلا يوجد من علماء التراث العربى من يندب لهذه المسئلة الجيلة ؟ »

ونحاولت حتى رقت من الجواب من سؤاله . وفي مسمى سدى بما أملا به افقنا حديثا ، من سبحات الانكار للاشتغال بتراث باضينا ، والخوف من أن يفسد عبنا باعظا يعوق انطلاقتنا ويحد من استجابتنا لدعاء التطور وينتقنا انماينا للعصر الحديث . وقد ظل ذلك الصدى يلاحتنى عبر الابواب الموصدة والجدران المازلة ، مخططا في مسمى بصوت « الدكتور لوبنشتاين » ومن طوف بين بين قاعات الكثر وخزائن ودائمه ، ويشرح لى نظام نسبها ونوسها ، ووسائل حراستها من ابدى العائين ، وحمايتها من عدوان البلى وأثر الرطوبة وتسلل الحشرات ..

ورددت فيها بينى وبين نفسى كلمات تراثنا في كتب مطبوعة وسحف منشورة ، سخر بين يمسوى بانقار الموتى ويمسسون مع سكان النور ، في الوقت الذى يحنا به حائزة الدولة لرحمة لردليج ودراسة في تراث اليونان ، كأنهم ليسوا من مكان القبور !

ونذكرت مسرودعوى لانشاء معهد جامعى على التراث العربى بعد ان نحت إدارة الثقافة بجامعة الدول العربى عن ميسنها

أصنوا على تاريخنا

بعد كل الذي كنت هنا عن ذخائر تراثنا من البردي في فيينا وغيرها من عواصم الغرب الكبرى بقيت كرامة لا بد ان تقال ، خاتمة لتلك الجولة التي طالت ، ورداعلى ما تلقيت من رسائل ، يسألني فيها كاتبوها : وماذا فيها طالعت من هذا البردي ، من جديد تحتاج اليه في حاضرنا ؟ والسؤال على هذا النحو ، قد يحمل ظل الارتياح في جدوى مخلفات عصورنا الخوالي ، لكنه قد يحمل كذلك قصد الاستفهام البريء وطلب الايضاح المقنع . وعلى الحالين ، ارى من حق السائل ان يتلقى الجواب ، مادامنا قد فرضنا الموضوع على مثل هذا المنبر العام ، وشغلنا به الميدان الفكري في مرحلة ثورية ، يجب ان تعبى طاقاتها لبناء الحاضر والتخطيط للمستقبل .

هنا الدكتور بنت الساطع

كما لم يكونوا بحاجة الى تدوير الجهد المبذول لهذا التراث ، بما يكشف لهم عن سر وجودنا وطبيعة مزاجنا وملامح عقليتنا ، ومن قبلهم سمعت رسل الغرب الى افطار الشرق ، باحثين عن كنوز مخطوطاته ، وجاء «نابليون» معه بجنود من العلماء لدراسة احوال الشعب المصري والكشف عن اسرار تاريخه القديم

فكيف بنا ، والوراثة والتاريخ تاريخنا؟ السفا في حاجة الى ان تكلف عن حذرة ذاتنا ، ونهتدي الى معالم وجودنا منذ نشيدنا التاريخ نقود البشرية على درب الحضارة والسند ؟

ابستغنى حاضرا من نجارب ماضينا ، وعن الفحص الدقيق لارثنا الى نفوس علمها البناء الجديد ؟

ما سمعنا في الاولين ولا في الآخرين ، بأمة ذات تاريخ عميق ، تتميز قديما بشواغل المعسر وسراخ الوجود ، وسرى في الالفاظ الى ماضيها ، بما يمتدنا مثل خطاها !

بل الذي سمعناه وعرفناه ، ان الامم الحديثة في الحضارة - كأمريكا - نحاول بكل ماوسعها من جهد ان نصطنع لها ماضيا

وليس السؤال جديدا على اى حال ، فلم تكن الدول الغربية الحديثة التي اشتركت في السباق على الكثر ، لتتلق ما انقثت من احوال خزائنها وجهود علمائها وخبرائها دون ان تواجه بادية ذي بدء بسؤال مستفسر او برتاب . والسجلات التاريخية للبردي تشير الى محاولات شائعة ، بذلها الرواد من العلماء كن بطرا امام الراي العام ، التنبه المادية والادبية لهذه اللغات المتحجرة والخرق البالية ، ولكي يبرروا امام الشعوب والحكومات ، ما ينفذون من احوال عابرة لا يجوز ان ينفق فلس واحد منها عبثا .

وكان يكتفيهم لهذا السبيل ، ان يشهدوا بما في ورائق البردي من جديد ما يضيء التاريخ الحضاري للانسانية بوجه عام ، وما يفسد لغرات فيه ظلت خافية متبها ، دون ان يتكفوا امام شعوبهم المتحضرة ، جهد الانتعاش بان كل خطوة خطاها اى شعب على درب الوجود الحضاري ، انها هي في الواقع مرحلة من مراحل السير الانساني العام ، وعلقة لا تنفصل عن حلقات التطور للامم ، قديمة او حديثة ، شرقية او غربية ، وتراث تاريخي مشترك لا يسع ان سخلى دولة منحضرة عن مسئوليتها في الكشف به عن معالم التطور البشري مابين ماض وحاضر .



« ان الحديث عن فلسفة
ثورة ٢٢ يوليو ، يلزمه اساندة
بمحققون في البحث عن جذورها
المضاربة في اعماق تاريخ شعبنا »
فلسفة الثورة



صورة للخليفة الموحل في عامه السادس
والثلاثين « من مجموعة بردي فيينا »

من اسباب اسرو حكام تناسروا على العروش ،
وسردا مفصلا لاعمالهم ومعاركهم الحربية
والمذهبية . كما جاء تاريخنا الادبي ديوانا
جانبيا لما قاله المرتزقة من شعراء المدح في
نحيد اصحاب التيجان ، وتبرير افعالهم
طفياهم ايام الجماهير الحكومة حكمها فرديا
ممسدا .

ولقد استطاع المستشرق النمسوي
(دوسيف كراباشك) ان يفتش بنسمة لاف
من البرديات العربية في (مجموعة راينر)
من بداية الفتح العربي لمصر ، الى عصر
المماليك .

وقدم في اول كتاب نشره عن البردي
طبع فيينا ١٨٩٤ - لنا واربعمائة بردية
عربية ، تعطى مادة تاريخية لحياة هذا
النسب الاجتماعية والاقتصادية :

رسائل افراد من عامة الشعب ، عن
مخاضاتهم وشكاواهم ، وعن عواطفهم
واذواتهم ، وبنواهم المادي والمعنوي .
ونذاكر طبية ، نحدد اصنافا من الدواء
ومطرق العلاج ، في نوارين بعينة ، من
العصر الاسلامي .

ومطالبات سلع ومنتجات ، من الاهالي
والجارية حبلها البريدي من اشهر الى الغريم ،
ومن ديباط الى الصعيد ، وشراء انسانين
الاطعمة والملابس والحلي والمعمورة ، يتخللها
البسوق او يحتاج اليها بيت او تجهز بها
عروس .

وحجج لوفاء الثيل ، في سنوات بعينها
من عصر الولاة .

في التاريخ ، تتوهم او توهم به ، انها ليست
طارلة محنته !



و « فلسفة الثورة » قد سجلت من
الفتريات الاولى ، الحاجتنا الى اساندة علماء
يبحثون عن جذورنا المضاربة في اعماق الزمن ،
واكدت ان « قصص كفاح الشعوب ليس
فيها فجوات بللها الهباء ، كذلك ليس فيها
مفاجآت تفقر الى الوجود دون مقدمات »
ثم جاء « الميثاق » فسي في ضرورة الثورة ،
بمسئولية القيادات الشعبية التي تليها
« بان نامل في تاريخها ، وان ننظر الى
واحد عالمها ، ثم تقدم على صنع مستقبلها
وافقة في لبات على ارضها »
كما اشار « في درس النكسة » الى ان
اجبالا مضاربة من شباب مصر ، قرأت تاريخها
الوطنى على غير حقيقته .

ونراث البردي في جلسته ، يسطر وثائق
مادية لهذا التاريخ الذي نحتاج الى اسجلاء
اسراره في مرحلة اكتشاف الذات .
وفيها فاسية لكتيرها غاب عن ملك الاسرار ،
واضاعة لدور الشعب في صنع حياته ، وهو
الدور الذي اغفله اغلب مؤرخينا ، من داروا

في تلك التصر وشدت ميونهم الى البلاط
برسودن حركات الملوك والسلاطين ومن
حراهم من حاشية وجند ووزراء وشعراء
وندهاء نجا تاريخنا السياسي حلتات سلسلة

التاريخ : ١٦ / ١٠ / ١٩٦٤

(٣)

واحصاء لعدد السكان بمصر ، من عهد عمرو بن العاص ، وهشام بن عبد الملك . وعنفود زواج وإيجار ، ومكوك بحاملات أرسية وأهلية ، بين الشعب ومندوبي بيت المال ، أو بين الناس بعضهم وبعض . وشكاوى من أزمات القحط والحش القلاء ، ومنشورات ثورية ، تتهدد على جور الحياة وعسف الولاة . . . وكل هذا مما يحتاج اليه تاريخنا تصحيحا لخطأ ، أو اكتمالا لنقص ، أو كشفا عن تزييف وتزوير . . .

الى جانب ما تقدمه هذه الآثار المادية الى التاريخ الحضارى ، العام والخاص ، من انصاف لتطور المواد المستعملة في الكتابة ، وأنواع المداد ونسق الخط ، وأشكال الزخارف والرسوم ، وطرق اللق والتجليد . ويقول كرايتشك في مقدمته لهذا البردى العربى ، بعد اشارة الى ما كانت مصر تمنى تحت حكم الرومان من عسك وانسطهاد :

« كلما اقترب بردينا الاغريقى من العصر البيزنطى ، تغير ما يظهر لنا منه عن تاريخ مصر ، وانضح لنا الى اى مدى كان هذا البلد العريق الذى جمع من اقدم العصور بين اخصب الاراضى وازهى العمران والتفوق التجارى ، كان به شعب يتحمل المصاعب بصبر ، كما ترىنا صكوك البردى كيف شغل الفقر الطبقة الشعبية ، وكيف خلق الضغط الضريبى أزمات عميقة . . . »

وهى نفس لنا ، كنف وقع أكثر بلد على الارض بركة ، كالثمرة الخصبة بين ابدى الفاضل العرب ، وبمعتبر نجاح الفتح فى تلك الفترة القصيرة ، من اغرب الاحداث فى التاريخ العام . وقد جاءنا البردى العربى بمعلومات قيمة فريدة عن مصر ، ونقل اليها صورة للحياة فيها بطريقة دقيقة ، نشعر معها كأننا نعيش فيها ! ومن نصوص البردى لذلك العهد ، نظهر لنا ان فكرة غزو العرب لمصر ، كانت تحل طابعا آخر غير ما نعلم ، وان الكتابة الحديثة لتاريخ تلك الفترة ، وقعت فى اخطاء جسيمة ومتمردة . . .

« كم يظهر لنا فانحو مصر - بفحص هذه الوثائق - فى صورة جد مخابرة الصورة المعروفة انهم لم يكونوا مجرد غزاة جبابرة ، ولا كانوا جماعة ملأهم من البدو راكبي الجمال ، بل كانوا محاربين منظمين اقوياء ، يحملون أسلحة من الحديد والرصاص ، وبحاربون ببسالة فى سبيل عقيدة اعتنقوها باخلاص ، وقد تحررت مصر بهم من الضغط البيزنطى ، ورحبت ببناء الصحراء الذين نادوا فيها بحرية العقيدة ، كما تشهد بذلك وثائق من البردى ، تحل احداها تاريخ ٨ يناير سنة ٦٤٢ م . وتشهد نصوص اخرى ، من عصر الفتح ، بان العرب الفاضل حموا ادماء المصريين واملاكهم ، واحترموا شخصية البلد والعريفة النابعة من حضارة قديمة . وفى كتابة للاسقف يوحنا - المعاصر لتاريخ الفتح - اعتراف بان عمرو بن العاص ، لم ينزع شيئا من املك الكنيسة »

واقدم الوثائق المرسلة بما فحصه كرايتشك من البردى العربى ، يرجع الى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وبه البردية رقم ٥٥٨ ، نقرأ عليها بوشوح ، انها كتبت « فى شهر جمادى الاولى من سنة اثنى عشر وعشرين » هجرية . واحدها من عصر المماليك ، ومنها البردية رقم ١٤٠٠ المؤرخة فى سنة ٧٨٠ هـ ، من عهد السلطان الملك المنصور على .

وندعى مع ذلك ، اننا عرفنا تاريخنا واحطنا بأسراره علميا ، ولا احد منا قد اطلع على ما كشف الاجانب الغرباء من وثائق مادية لها مثل تلك الاهمية ، الى جانب الوف غيرها من اللغائف التى لاتزال مطوية هناك ، فى انتظار خبير عربى يفحص نصرصها ويكشف عن أسرارها المخلفة ، ويجلو بها ظلمات ليل التاريخ !

ولست ادري كم يمتد بها الانتظار ، وان كنت أخشى ان يطول عليها الليل ، فاننا اردد قول شاعرنا القيروانى الضريف ، ابنى الحسن الحصرى :

باليل الصب متى غده ؟
افهام الساعة موعده !

تبارات الانحياز لا تتصارع في
الميدان السياسي المكتشف
حسب ، ولكنها تتصارع بأشد
سراوة وأقوى أثرا وأعمق نفاذا
في المجال الفكري . ومن هنا كان
مستقبل الدعوة لعدم الانحياز ،
بل مستقبلنا كله : معركة فكرية !

الانحياز الفكري
مما يأتى الخلل

الكتوة بنت الساطع

النجاح المشهود للجهود المخلصة التي بذلها
لادة عدم الانحياز ، لا تمنى بحال بما أن
المهمة قد انتهت !
بل انى لاجرو على القول بأن قرار المؤتمر
مع المأمول من تحقيقه ، لن يسهل لنا
النجاح والامان ..

بل منزل هناك لغرة مأكرة ، ينفذ منها الخطر من حيث ندرى ولا ندرى ! مهذا كل ما نبدل من جهد لانقاذ العالم الحمر ، وموقفا خطوانا نحو النجاح المأمول والهدف المرجو .

ولقد كان من الطبيعي ، في هذه المرحلة التاريخية ، ان يتجه اهتمام المؤتمر الى انقاذ البشرية من مخلة الميزق بين شدة وجذب ، ونحريها من دوار الصراع الذهبي والسياسي بين شرق وغرب .

ولن يجحد التاريخ المسامر ، مؤلف هؤلاء الذين احتفظوا برؤسهم في دوامة الصراع ، متحررين من جموح المصعب وهوى الانحياز ، ومنعاهدين على نصرة الشعوب في كفاحها للتحرر من بهانة الرق وعار التفريقة ، ومتواصين بالحق والعدل بعد ما طال ليل العدوان والظلم ، وانتهاب ثروات الشعوب المستضعفة ، وانتهاك حرمة الادمية فيها ، وكرامة الانسان .

وليس قليلا ان يلقي على هذا المهده قادة امم ورؤساء دول ، قارب عددها مئتين ، يمثلون قوة لها حساب في السياسة الدولية لعالم اليوم . فمن اين اين ياتي الخطر ؟

قبارات الانحياز لا تتسارع في المجال السياسي او الحربي او الاقتصادي بحسب ولكنها تتسارع باكثر حدة واغوى اترا واعنى نظاما ، في المجال الفكري .

وكما حققت دعوة مدم الانحياز نجاحا سياسيا ، انتسب الخطر من هذا الميدان المعاري المكشوف ، لبارس لمبته الخبيثة في ميدان غير مكشوف ، وعبا قراء لبطل الى عقولنا ووجداننا ، ونحن في غفلة منه ، مشغولين ببقايا جولات معركة التحرير ، لنطير الارض نفس الاستعمار ، وتحليم مايتي له عليها من قواعد حربية ، ومناطق سيطرة ونفوذ .

واكثر الشعوب غير المتعازة ممرضة لهذا السلل الخطر ، يشدها بالرغم منها الرابين او يسار ، ويسلط عليها بالفكر الذي هو ذريعة الاستعمار الجديد .

ومن هنا كان مستقبل دعوة عدم الانحياز ، بل مستقبلنا كله ، معركة نكرية !

نسر النيب ، لا نملك ان نكتن به : لانه نحن بددي ادراكنا لخطر الميزق الميزق ، ووعينا لاسلحة واسلحة . وطاقتنا على مقاومته . والمردان ، كما قلت ، غير مكشوف . واسلوب المعركة مبدع وغامض . ينتسب في سميم وجودنا كاذرع الاختلاط بدعاء وخيب يفلان المشهور من لكاننا ، والمعروف من وعينا ، وبدو هملنا هبالها قرة ساذجة .

في هذا الميدان الخفي ، تصادم المذاهب وتتسارع السيارات بخارة بنا الى شرق او الى غرب . ونحن نذبح ابوابنا لها ، دون ادنى حرس او حذر ، محكومين بمقدرة نفس نسر ممنا ان وجودنا المعري يتطلب ان نستعير كل ثقافتنا ونكرنا وادبنا ، من الغرب القوي الغالب .

مقدرة ادركها فنا ، مؤرخنا الاجتماعي « ابن خلدون » حى سجل في (مقدمته) نغمة المملوك بالغال ، ووليه بنطيد في كل اتمك واقواله وعادته واساليب حياته ، ثلنا به بان في هذا الذي يناديه ويحايه ، سر القوة والمعية !

والغرب في ليل الاستعمار الطويل ، قد عزلنا عن باضنا وبترنا من جذورنا ، لكي تتوه عنا حقيقة ذاتنا وجوهر اصلنا وسر وجودنا وبقاينا ، فلما صحونا مع انحسار الليل ، الفنا فراغا رهيبا لا يملؤه في تصورنا الا المستحدث المستعار ، واعين ان شرقنا علة تاخرنا ، وان تراث المائس لينا ، سبة تخلف وظاهرة رجعية وجمودة .

وباسم التزود من ثقافة العصر ، ومجاراة الامم القوية الغالبة ، ابنا الحمى لدعاة كل الانحياز وعلاء الاستعمار الجديد ، وقد جاءوا هذه المرة مستعدين . استنبطوا بالزى العسكري الثلاث الجارح المهن ، اقنعة خدام علم ورسيل ثقافة ، ومبشرين بالثقافة المتسرك والتفسار بين شعوبهم وبنينا !

وزيفوا للأشعار !

هنادوا بالنسبانية نمطي الاواسل الافليمية والحدود الطبيعية ، ونلسنى المعصيات القومية ويساى على فوارق الاجناس والعناصر والاديان والالوان . ولو انهم كانوا صادقين ، لبداءوا جهادهم الشريف النبيل هناك : في انجولا وروديسيا والكونجو وفلسطين والجنوب العربى . حيث تمتحن الانسانية بانثع صنوف المسخ والاضطهاد ، وتسرق الاوطان وبرنزق لاينام !

جنود بقتل اخونهم من بنى البشر ! او هناك في امريكا وجنوب افريقيا ، حيث نغترف جرائم الشرقة العنصرية لنصمم العصر كله بوحشة عار !

وباسم القارب الفكرى والمفاهيم المتسرك ، غزينا مؤسسات مغالبة قوية النفوذ ، بعنفسها يعتمد على لكاء الحيلة وبراعة الخبيرة ، واخرى شاحشة السراء تعتمد على كرم البذل وسخاء المطاء والافئدة على وسائل النشر والمائين الدعابة والاعلان .

ويقال : اننا ابنا المجال الفكرى للصبح على سواء . فلسنا متحازين نيه الى شرق او غرب .

واقول : كيف نتصور ان نتجو بين الانحياز ، والريح تهب علينا من كل جانب دون ان يكون لنا من اصل فكرنا مايعمينا من الحيرة والصباع ، وبضن لنا الرشد والازمان في مهب الريح ؟ !

واذا كان لنا شيء منه ، فان فرص الكافل بينه وبين البساعة الاجنبية الواحدة ، بغزو اسوانا ببراعة وافئدة ، فنقد لها طبول الدعابة واجراس الاعلان ، وتنالق في طبعانها الاتيقة الفاخرة ومظهرها الاسر الخلاب ، معروضة للبيع بابخس الاسعار ، او موزعة هدايا بلائمن ، لانها تصدر عن « مؤسسات غير تجارية » مهمتها ان تنفق وتروج وتنشر وتغزو ، وليس من مهمتها ان تحقق اى ربح ، او تسترد شيئا مما انفقت ؟

ولعلنا لانسى هنا ، ان شعوبا بلنا ذات عدد سرق الاستعمار لسان قومها وفرض عليها لسانه وثقافته لدى اجبال ، ثم لما ان استعمرتها من قبل ، استعمرتها من بعد في الوجود الغريم ، شق عنها مع ذلك ان تسترد لسانها القومى الضائع ، نسا حاد في وسع الجبهة من مثليها الا ان يفاهموا طغة المستعمر ، وينسلوا من طريقها بالان والحر ، والا ان يلمسوا لعيها زاد عقولهم ووجدانهم ، بنسابت بالرغم منهم الى مائكره من انحياز !

على ان اخطر باقى هذه المعركة الفكرية غير المكافئة ، ان نفل عن الخطر ، وان نستعمرى نشوة انتصارنا في معارك التحرير ، والعدو يقظ لا يغفل ، ساهرو لاينام !

الانحياز الفكري

لَسْنَا شَعْرًا وَلَا!

بقلم الدكتور بنت الساطي

وسأل سائل :
أما تحرص دول الغرب الكبري على
الاتصال بثقافات غيرها من الشعوب ،
وتترجم آدابهم ، دون أن يشبهوا أحد
بالمثلة ، أو سلبها بالماله والاسلاف
الفكري ؟
وتحرب هنا أن يكون لدينا من يتصور
إمكان العزلة الفكرية ، ونحن نعيش في
عصر (الترانزستور) الذي يسهل أسمع
الحدود ويمحو كل الاسوار . مع أن هذه
العزلة الموهومة لم تتحقق تباعا في عصر
النقل والسفن الشراعية . ودارس
الحضارة يملكون كيف كانت الشطة تنضج
في منطقة ما ، فيشع شعورها بعيدا عبر
بحار الظلمة ومقامات الصحارى ، لانتجبه
موانع ومخاطر ، ولا تعوقه عزلة ما بين
الشعوب ، والفكر اليوناني قد استمد
عناصر جوهريه من تراث قديم للفرس

المقال الذي كتبتة هنا في الاسبوع
الماضي عن الانحياز الفكري ، يحتاج الى
مزيد ايضاح وبيان ، ثم الى اضافة
ضرورة لابد منها .
لبن القراء من لا يزالون يتصورون أن
مقاومتنا لخطر الاستعمار الفكري يقتضي
بالضرورة العزلة عن الفكر الخارجي .
وهذا التصور نفسه ، ليس الا اثرا من
اثار العقدة التي نعانيها ، وبغية لدينا من
رواسب الاحتلال الاجنبي .
بحيث لم نعد نفرق بين روافد تاتيها من
الخارج فتخصب وجوينا الفكري وتزود
ثقافتنا رحابة واتساعا ، وبين أن تطفئ
هذه الروافد على المجرى الحيوي الاصيل
فتدفعه او تبدده !
او بمباراة اخرى : لم نعد نميز بين
المخصبات المستوردة ، وبين الثبت المزروع
في ارضنا ، من بذرة تستمد مقومات حياتها
من عناصر التربة المحلية .

دول الامتياز الكبري
تمارس نشاطها الفكري
لبننا ، وتسمح لنا باقامة
مراكز ثقافية على ارضها ،
بمبنى نظام المستعارة
بالمثل ، المشرق في الوقت
الدولي ، فهل نخل سواء ؟

(٢)

بما مالنا ننسب أن هذه الدول قد حرمنا في المراحل الأولى للسراخ المذهب ، على أن ندم الاسوار الحديدية في وجه البشر المعارض . وناريخ العصر يشهد أن كتب دعاة الشيوعية كانت مخرمة في المنطقة الراسبالية ، كما كان الانسبال بالفسر الراسبالي بعد جوية في المنطقة الشيوعية ولم تخذ قيود العزلة والحدود الفكرية الا بعد أن اطلعت هذه الدولة أو تلك الى وعى ابنائها لذكورهم القومي ، والى ان يبادىء المذهب قد أخذت فرصتها من الحماية ريثما أثبتت على أرضها ، محبت يستطيع المواطن أن يعى ما بدور حوله من صراع !

وهي ثانيا ، تلك من وسائل الدعاية والنشر لبضاعتها واساليب غزو الاسواق بها بالانكسار ، وتستطيع ان تنفق على ترويج افكارها وبيادتها ما تعجز عن بعض خزائن الدول غير المنحازة ، والكثرة الفالية منها لم تنج الا حديثا من براثن الاحتلال ، وهي جيمعا مشغولة بمعارك تصفية الاستعمار العسكري والقرصنة الدولية والفرقة العنصرية ، مثقلة بما تحيل وتواجه من تبعات الحرية واعباء التنمية ، ونعامل دول الانحياز الكبرى بالمثل ، في التبادل الفكرى كأننا سواء !

ماخوذ من بديق الممانعة يخطئ ابصارنا فبمشيها عن زيفه وخداعه ، ومن ثم يخطئها ان تدرك فقدان التكافؤ بيننا وبين تلك الدول ، في معركة الثقافة والفكر ، وصراع المبادئ والقيم !



وحرية الفكر هي جوهر انسانية الانسان وأدنى مساس بها ، عدوان على كرامة بشرية !

ومن مظاهر هذه الحرية ، أن ندع الانتثار المخلفة تنصارع وتلاش على أرضنا ، وأن نفتح الابواب لكل تيار فكرى سواء كان انيا من يمين أم من يسار ! لكن بشرط ان نتحقق من صلاحية كياننا المعنوى ورشد وعينا الثقافى وصحة تمثلا لفكرنا القومى ، كعلا نقره في ضجيج

والهنود والمصريين ، والفكر الاسلامى قد ترجم تراث اليونان وعربه واعطاه الروح الاسلامية ، والفكر الاوروبى الحديث قام اساسا على ما نقل اليه من علوم العرب وثقافتهم ، أيام كانوا حيلة منار المعرفة الذى اضاء لاروبا نالبات مصورها الوسطى ، والفكر الشرقى المعاصر ، قد استمد بلا ريب زادا خصبا من الحضارة الغربية . وكل هذا التبادل كان وسيل المواصلات لم تذلل ، وطرق الانتقال وعرة برهوبة ، فكيف ينخيل واعم اتنا نشادى بعزلة فكرية ، وسفن الفضاة نطاع رحلتها حول الارض في دقائق معدودات ، والرسائل تأتينا عبر المسافات الشاسعة بأسرع من لمح البصر ويجرى الخيال !

وأغرب منه ، أن يتشابه الامر علينا ، فيسئول عندنا أن يكون لدولة كيان فكرى مميز واضح لا نمسكه الطوارئ ولا نزلله التنازلات الوافدة ، وان يعنى اخرى في مهب الريح قبل ان تحقق وجودها الفكرى ونرسخه في عقول ابنائها وضمائرهم . وكان الاولى ، قبل المقارنة بيننا وبين دولة اخرى من كل اليمين أو اليسار ، ان نستيقن أولا من ان شبابنا لديهم مفهوم

واضح للفكر القومى ، وولاء لاصيلهم منه كفيما كان ، لتتجه حركة الاخذ والاعتباس والاستيراد الى تقوية هذا الصيقل ، وتطويره لروح المضمر وتثاقف التطور ، لا الى مسخه وتبديده واضاعته !

وابعد في الغرابة ، أن يذكرنى بعضهم بأن دول الانحياز الكبرى ، تسبح لنا او لغربنا باقامة مراكز ثقافية علم أرضها ، نمارس عن طريقها ما شئنا من دعاية لبيادتنا ونشر لفكرنا وثقافتنا ، مقتنضين نظام الممانعة بالمثل ، المنزلة في العرف الدولي !

وما نسيت هذا قط !

غير انى لم انس كذلك ، ان الممانعة بيننا وبين هذه الدول معدومة في الواقع . فهي أولا : ذات وجود فكرى بسيط ان يصيد لاي تيار واند ، ويميز منه ما يأنف ويختار ويضيف ، عن وعى وبصيرة . ثم

إنساناً وتسمائهم لكل زاد مستورد ، ولو
كان فيه السهم المذاب .

واننا نلبي عزلة فكرية عن الإح
والشقيق ، والجار التريب أو السعيد .

لقد التقى في مصر زعماء العرب
رؤساء حكوماتهم . ويسأل كبير من شعرائنا
في محفل أدبي بإحدى العواصم العربية
عن رأيه في « تارك الملاكمة » فيسألهم هناك
من تكون ؟ وإلى أي قطر تنتمي ، وهل
نشرت عملاً أدبياً ، قصة أو مسرحية ؟

ويسأل استاذ كبير ، في مجلس علمي ،
عن « مالك بن نبي » فيبرز رأسه لايحبر
جواباً ، ويتطوع آخر — لم يوجه إليه
السؤال — فيقول : أه الامام مالك .
صاحب المذهب المالكي !

ومكتباتنا الخاصة ، تباهى بما تقتني من
بضاعة أجنبية ، وليس فيها كتاب واحد
لفكر عربي من قطر شقيق ، أو من حي
محاور قريب !

وتتابع الدوريات الثنائية الغربية
وتتصدق في مجالسنا بها التقطنا منها
وبعد فينا من يقرأ نشرات الموسوعات
الأوروبية التي تصدر « أمراً » بل قل فينا
من يسمع مجلة أسبوعية البعثة تصدر في
المغرب العربي ، أو الفكر الإسلامي تصدر
في الجزائر بعد انقراضها ، أو مجلة أسبوعية
« الفكر » التونسية !

ذلك لأن مثل هذه البضاعة الغربية ،
ليس وراءها مؤسسات فاحشة الثراء ،
تسقط بمالها النسخ الذي لا ينفد ، وأن
تغمر السوق بحطبوعانها وترجماتها ، وأن
تأج علسنا بالاعلان عنها والدعاية لها سبح
ومساء ، بل أنها القادرة على أن تجند ما
لخدمتها من لائهم وطنهم ..

من حيث ندري ولا ندري !
ولهذا حديث بطول ، فإلى لقاء ..

المعترك ، وبأخذنا الدوار في دوامه
الصراع ..

وبن مظاهر حرية الفكر أيضاً ، أن يكون
لإنسان هذا العصر ، حق الانحياز الفكري
إلى هذا الجانب أو ذاك !

لكن هذه الحرية تغدو زيفا وفللاً
وتسحقها أغلال الرق ، إذا لم تكن له
أهلية الاختيار الحر الرشيد ،
وهي أهلية لا يمكن أن يدعيها من يجهل
الشخصية المعنوية لأمته . ويعوزه فهم
فكرها القومي بكل ماله من خصائص وسمات
وكل ما فيه من ميراث قهري تلقاه من آباء
له واجداد ، منذ خطوتهم الأولى على درب
الوجود .

ذلك لأنه بهذا الجهل ، يكون عرضة
للسواية والنضلل ، والاسهوا
والاستغناء لما يتسلط على عقله ووجدانه
من غزو ، دون حصة أو رشد !

وبخاصة بعد أن انحرفت المعركة
الفكرية عن صراع قيم ومبادئ إلى سباق
على استعمار جديد ، وتنازع على مناطق
النفوذ ، العقلية فيه لا تروى بتروية الفكر
أو نسبة المدا ، وإنما تروى بغير الدماء
ودعاء الأسلوب ، أو براعة الدعاية وبغناء
الانفاق !

ومن هنا لم يصح لدينا ، أن كان عدم
الانحياز الفكري ، أو الانحياز الحر الواعي
ما لم يكن الصراع الدائر صراع مبادئ
وقيم وافكار ، وبالم نطعن إلى أن شا
نكرا قوباً يصعد لمنافسة حرة في السوق

وبأخذ فرصته المتكافئة في النضال !

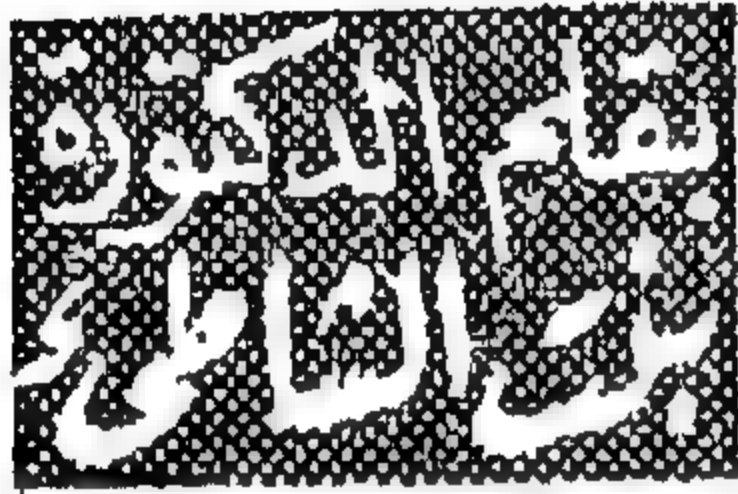


وماذا عن التقارب الفكري ؟

مطلوب منا أن نتصل بكل ما تلفظ مطابع
الغرب من جد وهزل ، وأن نفتح قلوب

هدية من الجزائر

الفكر الإسلامي



في تصوري ، أن مجال النضال الجديد ، تحرير الفكر الإسلامي من رواسب الاستعمار وشوائب الرجعية معا : أغنى مخلفات الغزو المعنوي الضاري لعصر الاحتلال ، ومخلفات ما قبله من عصور تخلف ، سلبت الفكر الإسلامي حيويته ، وجمدته بأغلال تعوق انطلاقه في فسيح الآفاق ، وعطلت فيه طاقته المبدعة على النماء والازدهار ، وأفقدته مرونته العجيبة التي تطوعه للتطور ، وتجعله صالحا للبقاء على مسار الزمان .

لافتوها ، ان تصلنا بكل جديد عربي . وتتابع صدور الأعداد الشهرية للمجلة خلال شهور أربعة كانت بحيث تطول وتمتد ولا علم لنا بها لو لم يتفضل « الاستاذ مجيد علي بوزو » صاحب كتاب تاريخ المغرب الكبير » فيحمل المجلة إلى ، هدية من « دار الفكر الإسلامي » التي قامت منذ عام ، وبدأت تمارس نشاطها على الأرض الحرة ، في ميدان الطباعة والنشر . ولاحس عنها هنا ، ولا خير

وشجيج الإعلان عن المؤسسات الأجنبية الثقافية ، يدوي في آذاننا فيخطف سمعنا ويريقها الساطع يبهز عيوننا . ومجلة الفكر الإسلامي ، صدرت والافق حولنا يتجاوب بانباء مؤتمر القمة العربي وتوصياته ، ولاحد منا يعنيه في كثير أو قليل ، أن يتصل بجديد التيارات الفكرية على الصعيد العربي . ثم تجاوب الانقيا العالمي بانباء مؤتمر عدم الإنحياز ، وما فيها من خطر على « بانه » أن يسال : أين الفكر الإسلامي في الصراع الفكري المذهبي لعالم اليوم ؟

سمعت مرتين إلى الجزائر الباسلة المنتصرة ، حيث عشت على أرض المعركة الحيدة أياما تعد بالمر كنه ، فلمحت سرها في الروجدان الشعبي النابض بالآيمان وفهمت كيف تضحي أمة بالملايين من أبنائها نضالا عن عقيدة .

وعدت من هناك لا تتبع جهاد الجزائر الحرة في معركتها الفكرية ، ونضالها الشاق من أجل التحرر مما يسهونه « سجن مالك حداد » بشيرون به إلى الصيحة المؤثرة للأييب الجزائري الذي سرق المستعمر لسانه ، وكبل إنطلاقه الحر بحصره في سجن الفرنسية ، فهو عاجز عن أن يشدو لقومه بلغتهم الأم ، مفلول عن ترجيع نبض وجدانهم الأصيل ، محروم من الاتصال بالنبع الصافي لكل ما صنع شخصية أمته وتاريخها . . .

وبلذ أيام ، طقت المدة الأول من « مجلة الفكر الإسلامي » لامضى فيها إلى أصداء الجهاد الجديد . وقد ظهر هذا العدد في شهر ربيع الأول ١٣٨٤ هـ - أغسطس الماضي - فلم تسبح به هنا ، ولا قرأنا عنه أي خبر ، في صحافتنا التي

معركة الامس لا تزال ممتدة ، تطهرا للبخاخ من انفس الغزو الروحي الذي تسلط على الجزائر قرناؤثت قرن من الزمان وكان الظن ان دور النضال عن العقيدة قد انقضى ، ليبدأ دور النضال عن الكيان الفكري للجزائر الحرة المسلمة ، ناصيلا لدعائيه وقرسيها لاسوله وتجديدا لرحابه وتمكينها لحبوبيته من مسابرة التطور .

وفي الحق ان المجلة الجزائرية الجديدة فيها محاولة واضحة مخلصه من هذا كله او بعضه ولكنها فيما ترى تدور محدودة الزطاق تتصل بتقديم الجهود لتجديد الفكر الاسلامي منتبهة بها عند اقبال والشيخ محمد عبده وعذرها في ذلك ان الجزائر المعاصرة عزلت منذ قرن عن المحاولات الجديدة في الفكر الاسلامي ، فلم تكن تعرف عنها الا المحاوله الاصيله للفكر الجزائري الكبير «مالك بن نبي» الذي عاش خسين عاما في سجن مالك حداد ، ثم اُفليت منه وانطلق لياخذ مكانه في القيادة الفكرية لامته العربية ، وكانت كتبه في «مشكلات الحضارة» و «انكسار الانثوية الاسيوية والظاهرة القرآنية» تصل الى قرائه في المسجن الكبير ، لانها كتبت بالفرنسية ، لغتهم المستعمارة الطارئة ، التي اُغتصبت مكان لسانهم القوي .

واقول مع هذا ، ان المحاولة مهما تبد في اول الطريق محدودة الطاقة ، فانها لمن ظلت ان تنطلق لفراتنا امانا جديدة رغبة للفكر الاسلامي ، معتمدة على حوز تراثها منه ، ومزودة برصيد الجهود المخلصة للفكر الاسلامي على امتداد الزمان والمكان ، ومضيئة اليها روافد سخية من الفكر الانساني يتمثلها اميلنا دون ان

يتمسك بها او يقو فيها .
والخطوة الاولى واعده
والرجاء فيما بعدها كبير .

معركة التحرير الظاهرة ، وليس القل من الدور السابق ولا اخف تبعة وعيها .
ومجالها فيه ، مجال تحرير للفكر الاسلامي من رواسب الاستعمار وشوائب الرجعية معا .

اعني مخلفات الغزو المعنوي الفساري لمصر الاحتلال ، ومخلفات ما قبله من عصور التخلف التي سلبت الفكر الاسلامي حيويته وجميحه باغلال تشل انطلاقه في نسيج الافاق ، وعطلت فيه طاقته المبدعة على النماء والازدهار ، وافقدته مرونته العجيبة التي نظره للتطور ، وتجعله صالحا للبقاء على مسار الزمان .

والعبء باهظ ، والامانة صعبة ، لكن اخواننا مفكري الجزائر اهل لاحتسابها لكي يجلوا ملامح الفكر الاسلامي الاصيل في نسيم هذا الجيل ، غدي البطولة ووارث مجد مليون ونصف مليون شهيد بذلوا الحياة فضلا عن عقيدة ، ودفنوا اعلى هدية عرفها التاريخ لشرف الانسان هذا مائدرته وتصويرته ، مجالا لجهاد الفكر الاسلامي في الجزائر .

لكن يبدو لي من مطالعة العدد الاول ان الميدان لا يزال في حاجة ماسة الى متابعة النضال الذي جعلت «البصائر» لواءه من قبل . فمنذ قرات مقالات «هذه سبيلتي» للاستاذ محمد الحاج حسين «ومن يتبع غير الاسلام ديننا» لسباحة الشيخ بيومى ابراهيم ، و «الفكر الاسلامي» لسباحة الشيخ ابراهيم ابن اليتان ، و «الحجة وسلاما للفكر الاسلامي» لسباحة الشيخ عبد الرحمن بن عمر ، عندما قراتها استرجعت بها فكري ما كان يكتبه سباحة «الشيخ عبد الحميد بن باني» - رغبه

ينجلي فجر الحرية وتنسخ اية النور ظلمات الليل اذلهم ، ودلالة هذا عندي ، ان

واقول : «الفكر الاسلامي» وانا لا اخص به تعاليم الشريعة الاسلامية كما يتشابه الامر على كثير منا . فالشرع الاسلامي بها هو اصول عقيدة ودين ، خاص بالمسلمين منا . اما الفكر الاسلامي فاعم واشمل ، بما يمثل من العقلية الاسلامية ومنهج تفكيرها وطابع منطقها وجوهر نظرتها الى الكون والحياة ، وبما تمثل وهضم من ثقافات قديمة وحديثة ، نقلتها اليه الترجمة والتعريب ، اوجاءت بها الشعوب التي دخلت في الاسلام ، بكل تراثها الفكري والحضاري . ويشترك في هذا الفكر الاسلامي ، من عاشوا ويعيشون في رحاب العالم الاسلامي على اختلاف عقائدهم ومن ذلك الانثى الرعب ، نظرت في العدد الاول من «مجلة الفكر الاسلامي» وانا اتدبر انما تنفخ في الجوف الحر ، وتخلو الى اليبس على ارض كريمة طهرتها دماء الشهداء من دنس الاستعمار واتدر معه انها جاءت بعد ان سبقتها اختها الكبرى «البصائر» فسهرت على الوجود المعنوي للشعب الجزائري في ليل المحنة ، وحملت اليه دعاء قائدته الروحانيين من جماعة علماء الجزائر .

اريد ان اقول : اننى قدرت ان لمجلة الفكر الاسلامي وهي تتقدم الى مراكز القيادة الفكرية في الجزائر الحرة ، مهمة اخرى غير مهمة «البصائر» التي حدث الركبة الساري في ظلمات ليله الطويل لقد كان على «البصائر» ان تجاهد لتدفع عن الجزائر المحتلة ، سطوة مستعمر اجيبت يحاول ان يمسح شخصيتها كان عليها ان تعيد قوى الشعب المعنوية وطاقاته الروحية ، لمعركة جهاد مستبسل يحيها به كريما او يموت كريما .

اما مجلة الفكر الاسلامي ، فعليها - وعلى زميلتها مجلة المعرفة - دور ما بعد

التاريخ : ٢٠ / ١١ / ١٩٦٤

« .. ان الديمقراطية ليست
ان ينفس الشعب عن نفسه
بالشكوى ، ولما كان يستطيع
بارادته تغيير الظروف التي تجعله
يشكو .. »

من حديث الرئيس جمال
في مجلس الامة

سبل الأسس واليورو إرادة الحياة .. بمنطق الثورة ؟

قبل الثورة بأكثر من عشر سنين ، في عام ١٩٤٠ على التحديد ، اذاعت مصلحة الآثار المصرية نفا اكتشاف مقبرة الفرعون
« بسوسنس » في صالحجر ، بمصر القديمة الاثرى الفرنسى « مونتني » وبعد ايام من اذاعة النبا ، نشرت المصلحة في المصحف
انهم ارادوا نقل المومياء الفرعونية الى متحف الآثار ، فما كانوا يلمسونها حتى وجدوها قد تحللت وصارت بين ايديهم هباء

يقام الكسوة بنت الساطي

ومن ثم اتجه تفكيرى وجهة اخرى الريف المصرى وقضية الفلاح فلم يكن
لا تتصل بالعلم التجريبي المصلى من قريب
او بعيد .. فلهذا قرأت الخبر ، سيطرت
على بالى فكرة رفض هذا الفرعون للبقاء
الذى طرح اليه ، وحين يتصل الامر برفض
الحياة فلن يكون السر عند علماء الاحياء
والتشريح وطبقات الارض ، وانما يجب ان
يلتمس من ظروف الحياة التي رفضت
المومياء ان تعود اليها ..

وشددت رحلى الى المنهد ، حيث
التيح لى ان التي (مونتني) في مبدد الاصر
وان اسبح منه كل ظروف الضر عن المقبرة
واكتشافها ، ووقع مفاجاة القتل على
نفسه . ثم اتيت جولتى في الصعيد اطوف
بأثار الماضي واعيش في جوى التاريخى
المريق ، ومعى زاد من كتب التاريخ المصرى
القديم اجتلى منها ملامح الشخصية المصرية
وامسى الى نبيى وجدائها واتلمس روح
مقيدتها

ومن ثم اتجه تفكيرى وجهة اخرى الريف المصرى وقضية الفلاح فلم يكن
لا تتصل بالعلم التجريبي المصلى من قريب
او بعيد .. فلهذا قرأت الخبر ، سيطرت
على بالى فكرة رفض هذا الفرعون للبقاء
الذى طرح اليه ، وحين يتصل الامر برفض
الحياة فلن يكون السر عند علماء الاحياء
والتشريح وطبقات الارض ، وانما يجب ان
يلتمس من ظروف الحياة التي رفضت
المومياء ان تعود اليها ..

في ذلك الحين ، كنت مشغولة بقضية
الفلاح اكتب فيها على صفحات الاهرام
يوما بعد يوم . وقد فرغت من قبل اكتشاف
مقبرة « بسوسنس » من نشر كتابين لى عن

بومبا فكرت طويلا في هذه الظاهرة غير
المألوفة ، احاول ان اهدى الى سر المومياء
التي تحللت ، ومهدنا بمخيلاتها من قبل ، ان
تقاوم انقراض البلى وموادى الزمن وتسمى
على الغناء ، الوقت من السنين ذات عدد
رلى سبل الاعتداء الى هذا السر ، لم
الذهب الى علماء (البيولوجيا والفسيولوجيا
والجيولوجيا) اسألهم عن التفسير العلمى
الذى يتدبه لحسن طبيعة التربة في صالحجر
ورقات المومياء ، وعملية التحنيط ، واسبح
كلهم في تحليل الظاهرة التي كانت تبدو
لنا شاذة ، بخروجها على المألوف من
تحدى اجساد الفراعنة للبلى في انتظار
البعث ، ونشبتها بالبقاء على صورتها
الاولى حين دفنت ، كيلا تفصل الروح طريقتها
اليها .

لم افكر في هذا ، لاني كنت بحكم ثنائى
في بيئة دينية ، من ابعاد الناس من الجو
العلمى . وقد اجيزت برحلة الدراسة
الثانوية دون ان ادخل ممبلا او ارى اى
جهاز من الاجهزة الطبية التي يمرقها كل
طالب المدارس الثانوية .

التاريخ : ٢٠ / ١١ / ١٩٦٤

(٢)

ولكن منطلق مرحلة الانطلاق ، لم يكن
يصح في عام ١٩٤٠ ، حين كانت الطائفة
الثورية في عصر الامة ، لاتزال تحتل
مرحلة التجميع والتخلف ..
ومنطلق المرحلة ، كان : رفض الحياة
احتجاجا على فسادها وتعفننها .



لم .. من قبل ان ارادة الحياة لاتنصر
الا بالبقاء .

كلا ..

انها لاتنصر كذلك بالموت !
لان الموت في سبيل الوجود الكريم
حياة وانتصار وكان يجب قبل الثورة ،
ان تعلم كيف نموت لنحيا ..

كما مات شهيدنا لنا على مر المعمور
وتماثل الاجيال ، لمعاشت بهم مصر حية
لاتموت



وبعد للتد خسر بيالي وانا اسلمى الى
كلية الرئيس جمال ، ان قمة وجمعة
فرعون لم يتم فصولا على صورتها التي
رويت بها منذ بضعة وعشرين عاما ، بل
انها في حاجة الى ان تستكمل بلصل جديد
يتجمع فيه رفات المصري الذي تحتل جسده :
ذرة ذرة ، حتى يتجسم كيانا واضح المعالم
جلي السمات ، تهتدي اليه الروح دون ان
تضل او تتوه ..

وانى لارجو ان افعل ..

تعبيرا عن انتصار ارادة الحياة لمصر
الخالدة .

اجل ، قد يبدو هذا هينا ،
وقائد الامة يرفض لها منطق
الشكوى وهي تملك ارادة
التغيير !

ل مسجيج الجديد بالميدان الادبي !
كلية سمعتها وانا اسلمى الى الرئيس
جمال ، لحدثه الى الامة من مجلس الامة
« ان الديمقراطية ليست ان
ينفك الشعب عن نفسه
بالشكوى ، ولكن ان يستطيع
بارادته تغيير الظروف التي
تجعله يشكو »

لقد انطلقت من هذه الكلمة بعيدا ،
ورفضت عبر المنين الى الامس الذي
بغى وراح ..
حتى خشيت ان اقبل بها عن متابعة
الرئيس ..
وبصعوبة ومشقة ثابتة حتى اتم حديثه
لم اسلمت نفسي الى التامل
ومضيت مع الذكريات ..

ومن عام ١٩٦٤ ، الذي احيا فيه ،
وقفت اطل على عام ١٩٤٠ كما يكونه
وصورته ورويت قصته :
والح سؤال على :

اكان ينبغي في ذلك العهد الماضي ، ان
ادع ارادة الحياة هي التي تغلب وتنصر ؟
لقد يبدو هذا هو الحق والواجب ،
بنطق اليوم ، ورئيس الدولة يثيري الشعب
ارادة التغيير لما يشكو منه ، ويجدد طاقته
الثورية بهذا الحزب الدافع على فرض
ارادته والاحتكام في صنع حياته وتوجيهها
ويبدو سهلا ، ونحن نلتقي بالرئيس جمال
لقاء اهل وصحة ، فنلجج وراء ما ياخذنا
من الله ، فخمسة الشائر الذي يلعب
في الشعب ارادة النفال لتغيير ما يشكو
منه او يكره ، او يستقبل شعلة الثورة
بمتوهجة مبالغة ان نطعن انفس النفاق
بما تفتح فيها من روح الاسلام ،
وحماية لها من تهدد طاقتها بالشكوى
المقيم

وعنت من جولتي لكتب قصة :
رجعة فرعون

المعنى القديم الذي كانت فكرة البعث
محور تاريخه ، وقد امضى عمره كله يدبر
له ، ويلتفت كل الوسائل لحفظ جسده
من البلى بعد الموت ، لكي تهتدي اليه روحه
عندما ينفى الى حياته الاخرى ..
وكانت ارادة الحياة هي التي مكنته من
تحدي عوامل الفناء خمسة آلاف سنة ، ثم
لما اكتشفوا قبره عام ١٩٤٠ ، طافت
روحه بالوادي الطيب ، لماكرته واحسنت
فيه بالغربة ..
وعينا ، حاولت ان تهتدي الى معالم
دنياهما في الامس البعيد ، فقد تفكرت المعلم
كلها ومسخت الوجوه ، وامست الارض
غير الارض ، والناس غير الناس !
وقامت الروح في جولتها ..

حامت حول التصور تفنن الاصل
والاحباب ، فما وجدت فيها من بيت اليها
باوهى سبب او انفى صلة ..
وحلقت فوق ارض الوادي من ادفاء
الى اقصاه ، حيث الشعب الذي صنع
الحضارة وعلم البشرية ، فما وجدت في
الارض الطيبة غير مآبر الاحياء ، يخيم
عليها البؤس والشتاء ..
هناك احسنت بالاختناق في الجو الخريب
ولم تحتل فكرة العودة الى مثل هذه
الدنيا ..

وتحطت المومياء ..
عندما اصاعت الروح ارادة الحياة .
وسجلت بتخللها موقف الاحتجاج على
فساد العصر ! وتركزت الهباء ..
لعل لراته تنتشر في الافق ، فتظهر
الجو العفن ، وتهينه لبعث جديد ، يعيد
الحياة الى هذه الارض التي طمحت الى
الخلود من قبل ان يولد التاريخ ..



تلك كانت القصة ، في جوهرها ، كما
كتبها في ذلك الحين ..
ولكن نيم هذا الاسترجاع لذكرى ظاهرة
حدثت عنها الصحف عام ١٩٤٠ !
ونيم العودة الى رجعة فرعون التي
نشرتها دار المعارف عام ١٩٤٤ ، لم طويت
لها طوي من حديث ما قبل الثورة ، وقامت

التاريخ : ١٩٦٤ / ١٢ / ١



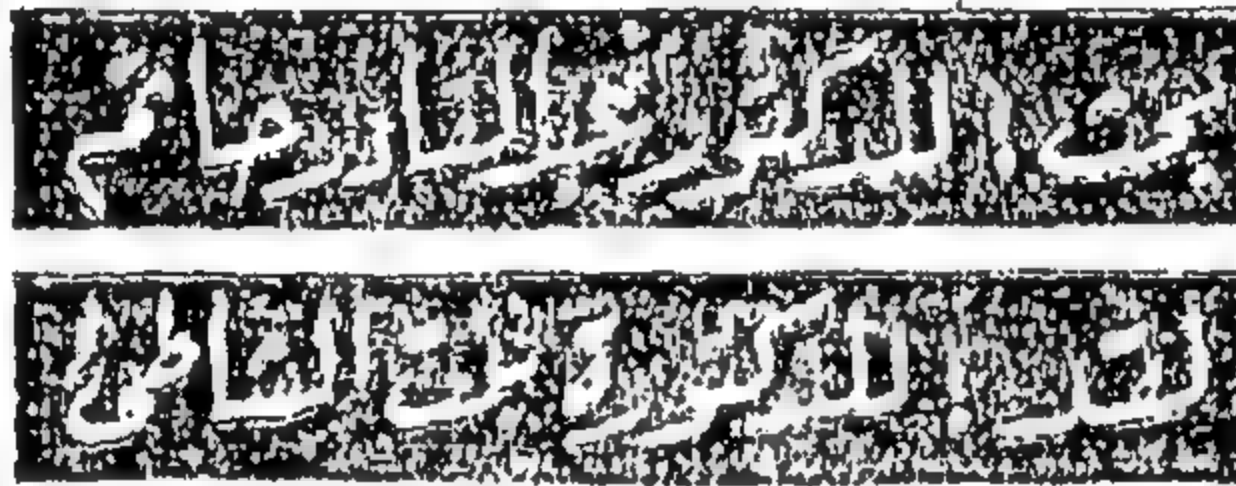
تعليق من بنت الشاطئ حول الانتخابات

« قالت د. بنت الشاطئ تعليقا على انتخابات المجمع ان كان يسودها بلا و ب ان تكون على اعتبار ان ذلك شرف كبير يزوج لها العلم الطويل ل مسدان الدراسات القومية والاسلامية ، لكن نتيجة الانتخابات : « وان لم نسمع لكن قد ارسى الاصوات العشرة التي قلنا بها اسمى بين المرشحين الى اخر جولة من جولات الانتخاب « لم استغربت ؛ بل اني اعتبر مجرد ترحيبي كان معنا اماننا نحن السيدات ؛ والواقع اني كنت اطلع من لحن الى مكان لنا في المجمع . »

عالم ثورتنا الثقافية في مجتمعاتنا الاشتراكية

« ان العمل الديمقراطي سوف يفتح الفرصة لثقافة نابضة بالقيم الجديدة ، صبيقة في احساسها بالانسان ، صادقة في تعبيرها عنه ، قادرة بعد ذلك على اضاءة جوانب اثاره وحسه وتحريك طاقات كامنة في اعماقه ، خلاقة ومبدعة ، ينعكس اثرها بدورها على مجتمعاته الديمقراطية وفهمه لاصولها ، وكشفه لجوهرها الصافي النقي »

الميثاق



ياخذ هذا البحث قيمته واهميته ، من خطر موضوعه ، ومن مكانة الباحث في القيادة الثقافية للامة ، في هذه المرحلة الحاسمة من تطورها .
والسيد الرئيس جمال عبد الناصر ، قد وضع تقليدا ديمقراطيا أصيلا ، حين قدم «الميثاق» مشروعا للمناقشة الحرة . وبهذا التقليد أخذ نفسي فيما اتصدى له من مناقشة ذلك البحث الهام ، اداء لمانة التدبر ، والتزاما بالمسئولية التي تفرضها علينا ضمائرنا ووجودنا الثوري .

كان المتوقع ان يعالج هذا البحث قضية ثورية الثقافة ، وان يعبر عما

تنطلق اليه المرحلة من قيادة فكرية لاتقنع بالحاضر ولا تلقى عبده ، وانما تنافس دائما من اجل غد افضل . لكن الدكتور حاتم هـ فيما ارى - وجه اكثر اهتمامه الى عرض ما تقوم به « وزارة الثقافة والاعلام » من نشاط لا تخفى على وهرته وسخاله ، وان كنا نخشى على (تقييمه) بالاعتماد على ثورية المرحلة ومبادئ التطور .
وقد بدأ السيد الدكتور فافترض ان كثيرا من الناس جروا « على تصور الثورة من خلال مفهوم ضيق يتصرها على المجال السياسي وحده . وجرى اخذون على توسيع هذا المفهوم قليلا ، ليشمل التغيير الجذري في العلاقات الاقتصادية .

« ومن اجل ذلك فاننا نحن العرب ، لنا في الانسان تصورا الخاص ، نؤمن معه بان لهذا الانسان الى جانب المشاكل والاحتياجات الاقتصادية - على اهميتها الكبرى - احتياجات اخرى نفسية وروحية وفكرية . ونعتقد كما قال السيد المسيح عليه السلام : ليس بالخبز وحده يحيا الانسان . »

قيمة للفكر ، وان يتعلموا بهم خاطيء في اماكن اللحاق بالدول العظمى ، التي يظن بعضنا انها جردت ثوراتها من سلاح الفكر واعيدت الحاجات النفسية للانسان .
والدكتور حاتم نفسه ، في مستقبل بحثه ، قد ذكر ثورة غير عربية ، شاحدة على صلة الثقافة بالثورة فقال :
« والذا كنا للربس الرابطة القوية بين ثقافة الانسان كغرد وكعضو في مجتمع وبين اسلوبه في الحياة فان هذه الرابطة تبدو اوضح ما تكون في المجتمعات التي تجتاز مرحلة التحول الثوري . ونستطيع ان نفهم مثلا بسيطا على ذلك بمرحلة ظهور الاسلام في تاريخ الامة العربية ومرحلة الثورة الفرنسية في التاريخ الاوربي »

وانتقل الدكتور حاتم الى الحديث عن التخطيط الثوري فذكر وسائله واهدافه وكان المقام يقتضي ان يجلو مفهوم ثورية

ولست مع الدكتور في ان تقدير حاجات الانسان المعنوية ، خصوصية لنا نحن العرب . وشعبنا يشهد ما تصفقه ثورات غير عربية من تطور ظاهري وانتصار حاسم وتقدم علمي وباهر . وهو يتطلع بهالة من ميرات عرب في السبق الحضاري الى ان ياخذ مكانه الى جانب الدول العظمى التي تفرض وجودها على الدنيا والتاريخ . وربما لا يجدي ان نقول لهذا الشعب اننا نحن العرب - وجدنا - لنا في الانسان تصورا الخاص نؤمن معه باحتياجات له نفسية وروحية وفكرية ، وانما يجدي ان نكشف له عما قدرته الثورات الكبرى من هذه الحاجات ، وان تكون ثورتنا الثقافية قائمة على تاصيل الفهم العميق للنور الجوهري للفكر والعقيدة - ما كانت - في تحقيق التطور الحاسم للشعوب الصاعدة لحضارة العصر .
والذي اخشاه ، ان نحن تجاهلنا اهتمام الثورات في العروبة باحتياجات الانسان المعنوية ، وسهرنا على الثورة الفكرية وقتلنا ان هذا الاهتمام خاسرنا نحن العرب . الذي اخشاه ان يجعل الجاحدون منا كل

(٢)

الثقافة قبل ذكر وسيلتها واهدافها .
لان مرحلة التحول بطبيعتها ، في اشد الحاجة - لكي تستوضح الرؤية وتستبين الهدف - الى ضبط الدلالات وتحديث المناهيم لما استحدثت الثورة من جديد النظرة الى الحياة ، والى تبنيها وتحويلها وكتيها ونسبا يخلطون بين الثقافة والفكر والاعلام ، كجسا يخلطون بين التصوير والنهضة ، وبين النمو والتطور .
وفي بيان التخطيط يقول سيادته :
« نتجه ثورتنا الثقافية الى تحقيق هدفين كبيرين هما : توسيع قاعدة الثقافة الشعبية من ناحية ، وتمييق خطوط الثقافة ورفع مستواها من ناحية اخرى . »
ونحن نؤيده فيها ذهب اليه من ان « الاستفادة بالنتيجة الثقافية حق اصيل للجباهير لايجوز حرمانها منه واستئثار فئة قليلة من اصحاب المقتدره العاليه به .
فان احتكار فئة محدودة من المواطنين للثروة الثقافية يعتبر عملا وموتفا يناهضها للاستراكية وينتارضا مع مبادئها الثقافية كما ان الثقافة هي المدخل الطبيعي الوحيد لاستقبله ونجاح التنظيمات السياسية والاقتصادية . »
ذلك حق لا نختلف عليه .
لكن الدكتور حاتم استطرد فاشار الى قضية « العزلة الملققة » دون ان يعطينا حقا من البيان والايضاح . قال :
« اننا نريد ان يدرك المثقفون جيما ان المثقف المتمزل لا يخدم وطنه ، وان الخروج من العزلة لا يعني ان يلتقي المثقف بحله الى الجباهير وهو بعيد عنها ، واننا نريدهم ان يدركوا تباها ، ان صورة المجتمع قد تغيرت ، وان الشعب الذي يجب ان يتصلوا به ويكتبوا له ويتحدثوا عن مشاكله ليس هو شعب القاهرة او المدن الكبرى وبيناتها الاجتماعية ذات الطابع الخاص انما هو الشعب الذي يتكون منه جمهور هذه الامة ، هو مجتمع القرية ، مجتمع الحقل ، مجتمع المصنع . . »
وربط عزلة المثقف بالاتصال المباشر بالجباهير واداء حثها من الزاد الثقافي يخشى معه ان ينسابه الامر على بعضنا فيبعد من ظواهر العزلة الثقافية ، عدم الاتصال المباشر بجموع القرية والحقل

والمصنع . مع ان المثقف منا قد يؤدي (ضريبة العلم والثقافة) دون ان يفصل هذه المجتمعات اتصالا مباترا ، ودون ان يشارك كذلك في « اشاعة الثقافة » التي هي من اختصاص دور التعليم والعبادة ومراكز الثقافة واجهزة الاعلام على اختلاف انواعها .
ويصل السيد الدكتور قضية العزلة ، بقضية الادب للادب ، وصلا سريما يحتاج كذلك الى مزيد بيان ووضوح . يقول :
« ومن نتائج هذا ايضا ان فكرة الادب للادب والثقافة للثقافة لايجوز بحال من الاحوال ان تنقل حائلا دون وصول هذا الزاد الثقافي الى جوع الشعب . وليذكر الذين يسمعون بنا هذا القول اننا لانريد ان نقيد ارادة الكاتب او نقنم عليه مواهبه وملكانه واننا نريد ان يؤدي ضريبة هذه المواهب وان يصلها بالبادي والمثل التي يؤمن بها ، وان يلى بها على اخوانه المواطنين . خاصة وان الثورة قد اوجدت حثلا خصبا للادب البناء ، بتطبيقاتها العملية في مراحل الاشتراكية والحياة السياسية فضلا من القاعدة الكبرى التي اوجدتها الثورة الثقافية في وسائل الثقافة من الاذاعة المسرمة والرئية والنهضة المسرحية وغزارة الكتب الامر الذي ادى الى خلق سوق ادبية صاعدة الادب على الانتاج المتواصل ، رغم ميل الادب بطبيعته الى الفاني والتفكير . . »
ووجه الدقة في القضية ، انه ما من ادب لا يحرص تلقائيا على ان يصل اليه بما يؤمن به من مبادئ ومثل ، ويسعى تلقائيا كذلك ، الى ان يلى على قرائه بها . فاذا احجم الاديب عن نشر مبادئه - وقد اتبعت له وسائله - فان الموقف يحتاج الى تفسير اكثر مما يحتاج الى ان نحث الاديب على اداء ضريبة لم يؤدها من تلقاء نفسه عن طواعية واختيار .
ومن اهم ما تعرض له البحث في مجال ثورتنا الثقافية ، موتفا من تيارات الفكر والثقافة الاجنبية . والذي نبيته ان الدكتور حاتم يآخذ في التخطيط لثورة الثقافة بذهب فتح الابواب لكل التيارات . « واية ذلك ان سلاسل الكتب العاليية - التي

نشرها وزارة الثقافة - تضم مؤلفات وآراء لكتاب اشتراكيين وفلاسفة عاشوا في مجتمعات راسيالية ، كما تعرض نظما سياسية واقتصادية بمتارسة ، وهدنها من وراء ذلك ان تطلق لفكر المواطن العربي عنانه ، حتى يكون التكوين الثقافي تكوينا حرا اصيلا ، وحتى تتبلور معالمنا الفكرية والثقافية من تجربة ودراسة بعيدا من اخطار العزلة والانغلاق الفكري وبعبدا من خطر التوجيه الثقافي الذي يصل الى حد التسلط الفكري . »
وكنت ارجو لو ان الدكتور حاتم، حدد هنا موقفنا القيادية الثقافية من المؤسسات الاجنبية التي تغزو اسواقنا ببضاعتها الفكرية ، وتنطق بسخا على ترويجها والدعاية لها . ويشترك في هذا النشاط عدد من ذوي المناصب الرسمية للفكر والتعليم ، بتكليف من المؤسسات نفسها وباجر مدفوع من خزائنها .
وما يقوله الدكتور حاتم بحق ، من « تمييق خطوط الثقافة على محاور ثلاثة : الانتان وجدية العمل ، والدراسة المقارنة والثقافة العاليية ، والشخصية العربية التي يجب ان تكون محور ثقتنا الخاصة » يحتاج الى دراسة حق الفكر القومي الاصيل في ان يآخذ مكانه مع هذه البضاعة الاجنبية ، وليس له مثل فرصتها في النشر والترويج ، والنشر والاعلان .

وبقى ان اقول : اننى في هذه المناقشة لمآلم ثورتنا الثقافية ، كنت متائرة بقبية البحث واهميته من ناحية ، ومن ناحية اخرى بكلمة (الميناق) من الديمقراطية السلبية « ان العمل الديمقراطي في هذه المجالات سوف يفتح الفرصة لتنمية ثقافة نابضة بالغيم الجديدة ، عبيقة في احساسها بالانسان ، صادقة في تعبيرها عنه ، قادرة بعد ذلك على اضاءة جوانب فكره وحسه وتحريك طاقات كامنة في اعماقه ، خلقة ومبدعة ، يتمكنس اثرها بدورها على مجايسه للديمقراطية ولهمه لاصولها ، وكشفه لجوهرها الصافي النقي . »

التاريخ : ١٨ / ١٢ / ١٩٦٤

قضايا

فكرية

الأستاذ الدكتور عبد السلام

شعرنا المعاصر ومنطق التطور

التطور في جوهره ليس الا تدرج الكائن
الحى في الصعود الى افق كماله ، وسـ
الدائب نحو تحقيق وجوده الاسمى بكل أصالته
والفن تعبير عن وجدان الامة ...
فاذا ابينا بمنطق التطور ان نعيش بمزاج
عضور خلت ، فنحن نرفض بالمنطق نفسه ،
ان نستعير مزاجا أجنبيا ، لان الامة لا يمكن
ان تحيا بوجدان مجلوب مستعار !

كشفت الخصومة حول
الشعر الجديد عن اخطاء
جوهرية في فهمنا للقضية
من حيث هي قضية تطور
محتوم ، يعوزنا فيه ان
نضبط مفهومه ودلالته ،
حسما لخصومة ماكان
يجوز ان تقع بيننا و اننا
فهمنا القضية على وجهها
الصحيح .

خسرت كثيرا وتكدت تشحيات باهظة...
ومع ايماننا الراسخ بأن الوتوف في
وجه التطور ثناء طبيعة الحياة ، وان
كل محاولة لتجميد حركة الكائن الحي لابد
ان تنسخها اية الكون ، فالذي لاشك فيه
ايضا ، ان مثل تلك المحاولة — على عقمها —
تسوق خلطانا ، وتبدد طاقات ليس من حق
اي جيل ان يضيعها على الالة عبثا .



ووعى التطور هو الذي يمنح الصفة
من ادباء القبة ، سدود سواهم — خفهم
في ارتداد افاق من عالم الفن لم يستشرب
لها قدسنا . واذا كان في القضية الزام
فهو الزام بالقيادة الوجدانية نحو شوط
جديد يبدأ من حيث انتهى شوط سابق ،
وليس لزاما بأن يسيرا ينسا حيث
سار رواد مرحلة منتهت ، اتبوا رسلهم
في كشف اسرارها وانساء معالمها ،
والاستشراق بها الى الافق المسابر...
التدرج الانساني في عصورهم .

وماتخلف ادبنا في عصور خلّت ، الا
لانه وقف بجزر قديمه ويحاول ان ينسج على
منواله دون دراية بأسراره ، وبرى فيه
قناة المسمى وقبة الطموح وذروة الكمال
والجمال. ذلك حين كان مجد الاديب يقاس
بمداد ما يلقفه من شوط اتمه فحول الماضين ،
وحين كانت غاية مناه ان يقال انه «(مثنبي)»
زمانه او «(جاحظ)» او «(ابو نواسه)»
او «(ابو تمامه)» او «(وليد بن المغيرة)»...
دون ان يبد الادب تطلعه الى من بعد
هؤلاء الذين لبوا حاجة بيئاتهم وارضوا
مزاج عصرهم وسايروا موقفه على مدرجة
التطور ..

اجل ، تلك كانت حلة التخلف الفني ،
نجد صداها وتفسرها فيما غش حياتنا
في تلك العصور من انحطاط عام وجهود
مبطل ، لطول ما افتاتت من مجد غابر لم
تنبه من وجودها نبض حياة او حس
حركة !

وكانت العبرة الكبرى ان سنة الحياة
استطاعت بمدحجين ان تنسج تلك المعوقات ،
وان قانون التطور غلب منطق الجود
المعظم ، لكن بعد ان تكدت الالة خسائر
فادحة ، وفاتتها مراحل من التثاقف جاهد رواد
البتلة في تمويشها بجديد من حيويتهم ،

لنتمثل حركة التطور ريثما تسترد الحياة
من قوى الصحة ما نساوم به عوادي
المرض ، ثم تسنّف السر بعد ان تكون قد
والخطا الاول في تدبيري ، ان لنا من
لا يزال يجحد حق الشعر المعاصر في ان
يضيف جديدا مبتكرا الى رصيده من عصور
خلّت ، وهو حق بقررب يقتضي قانون التطور
الذي يسرى على الانب كما يسرى على
كل كائن حي . وعندما يقف الادب عند
مرحلة التقليد والمتابعة دون ان يتجاوزها
الى الابتداع والابتكار فانه يفضي على
نفسه بالجهود والعقم ، لا يعصمه منهما
ان تصطب حركته المغلوطة ببناء «الحللك
سر» وان يتضخم افناجه مادام قد اعوزه
الابتكار الاصيل الذي يخصب الوجود
الفني للامة ، وينقلها خطوة على مدارج
التطور !

والتطور ليس من اختصاص الكثرة التي
تلتحم الميذان بموهبة هزيلة اوبوهم الموهبة ،
فظل في المرتبة الدنيا تسنّف طاقنها في
التقليد والمحاكاة ، وتبلا الساحة الهابطة
بركام من محاولات فجّة متعثرة ، وانما
هو من عمل قلة من المصنفوة ، عرجت
على السفح الى القمة العالية ، مستشرقة
بالانسانية الى افاق لم يرتدها احد من
قبل ، وملبية هيامها الدائم الى الكمال ،
وسعيها الدائب نحو عالم المثل ...

وليس من طبيعة الاشياء ولا من سنة
الحياة ، ان تقف الانسانية عند مرحلة
بعميقا تعدها غاية المسمى ونهاية المنطلق ،
بل انها ما تكاد تصل الى ما تنطلقه وسمت
اليه ، حتى يلوح لها افق ابعد لم تكن تستشرب
له نيبا قطعت من مراحل الطريق ، واذا
ذاك تدرك ان ما حصبته بالابس مثلا أعلى
للحق والخير والجمال ، لا يعدو ان يكون
تبلا مرحليا يرتقى بها درجة الى حيث
تميز غاية ابعد ، وتستجلي من رحاب الكون
ما لم يكن يبدو لها في مرحلة مضت !

ولا يمكن ان تخطو البشرية خطوة في
مراقي تدرجها دون ان يساير هذا التدرج
تطور في ادراكها وغاياتها ومثلها ، ومن
هنا كان تطور الفن سنة الحياة وقانونها
الطبيعي . ولكن الذي يحدث احسانا ان نقوم
معوقات في وجه التطور ، نحاول ان نرده
عن مساعده او نضلله عن مساره الصحيح .

مهما يقطع مقلدوهم انفسهم ، في تكرار
النشوط الذي قطعه كل واحد من اولئك
العظام ، وبلغوا به أقصى مداه ..
ودعاة التقليد يحسبون انهم بمحاكاة
الخالد من شعرائنا ، يفضون حدهم علينا
من الوفاء والاكبار !

ونعيب عنهم أن ((اعادة النشوط)) تعنى
الافرار بأن المائس من شعراء القيم ،
فسرت بهم شاعريتهم عن بلوغ قساية
النشوط ، بحيث نحتاج الى مسن يسكر
المحاولة !

وذلك مايتماق به وعم المقلدين الذين
لا يرى فيهم الحساسة غير نسخ ميسوعة
شهداء ، موزعاً الاسئلة ، وطريها التقليد
مكتنفا في ادنى السلف ، حيث الكثرة من
حكاية السدى ، والتاسجين على مثال
غير مبتدع ..

بهذا من القبة الذي استطاع ان يوا السلف
المهنة بالطورة الفادرة على الانطلاق نحو

أفاق جديدة لم تكن باروح لعصر سلف !

وبعدى هنا على الشعراء الصقوة ، ما
يصدر على الانطلاق من صناع التاريخ واداة
التطور ، ولان أدب منهم كان نسخة بكرة
من سلف ، ولا عاد فنتكر في لاحق !
ونحن هنا نأمله واعية للرئيس جهل
عد الناس نحن بآله محاذية امريكة
عن ان نسخية في الساريه تستأثر
باعجابه واعجابه ، فكان جرابه :

ووساوا بنا الى حيث ينبغي ان نملأ
مع التطور ، بأقصى ما استطاع من طاقته ..

ونفلة الانطلاق يجب أن تبدأ بالتسليم
بان أدبنا المعاصر يجب أن يضيف جديدا
الى قديمنا ، وان يرتاد لنا أفاقا لم يستشرف
لها أمسنا ، خضوعا لقانون التطور .
واذا اعتبرنا ((احمد شوقي)) قمة المرحلة
السابقة ، فليس الذى يعنىنا ان نحاول
هنا ان نكرره — وهيهات — وانما
الذى يعنىنا ان ننقلنا الشعر المعاصر الى
مابعد شوقي !

وشاعرنا العظيم لم يدخل تاريخنا
الادبي بقتلده الذى قفى بها على آثار
الاقدمين ، ولا استحق تجميعنا بان كان
امتدادا للبارودى ، وانما ارتقى قمة
المرحلة ، بما اضاف الى رصيد الشعر
العريق من جديد لم يسبق اليه ، وما ارتاد
له من أفق لم يشارفه شاعر قبله ، فاستطاع
بذلك ان يهب بنا شوطا على مدارج
التطور .

ونحن وجودنا كله ، اذا نحن كررنا
مايساة عصور التخلف وعشينا بمنتطقها
في (نفيهم) الشعراء بما تصل اليه محاولاتهم
من تقليد الكبار السالفين وعبت مابعد
عبث ، أن نعد قمة في الشعر المعاصر ،
من كل هبه ان يخلد شوقي وبحاكيه ،
وينسخ على منواله كقولهم المشهورة .
ان شوقي لن يكرر أبدا ..

ولن يكرر البارودى ، وابن الفارض ،
وابو الملاء ، وابو تمام ...

(٤)

« ان الرجال لا يكررون انفسهم في التاريخ ! »



وعلا ل كذلك ، ان يتصور بعضنا ان التطور يمكن ان يعنى ان نبتقر من اصولنا وننفصل على ماضينا ونهدد تراثنا ..

ويخطئهم ان يدركوا ، ان جديدا لا يمكن ان يتوهم على عباء ، كما لا يمكن ان تستعمار له جذور اجنبية عن ارضه غريبة على مناخه !

والفن تعبير عن مزاج الامة ووجداتها ومن المستحيل ان تحيا امة بمزاج مجلوب ، او تذوق الوجود بوجدان مستعار !

ومثل الذين يسلهم الوهم ، فيتصورون ان تطورتنا الفنى يمكن ان يبدأ منطلقه بيمزل من تراث ماضيه ، وان يخطو في فراغ تائه ليس فيه اشارة الى معالم خطراتنا السابقة على درب الوجود ، مثل هؤلاء كمثل من يتصور ان البشرية اليوم تتطور منطلقا من مرحلة بدائية ، ضاربة في فراغ لا اثر فيه من تجارب ماضيتها الطويل ، او انها تحاول اليوم ان تتطور الى عصر الذرة ، بيمزل من معالم المراحل السابقة في تطورها من عصر البخار الى عصر الكهرباء !

والزعم بان تراث ماضينا رجمية تمرق تطورتنا وتشل انطلاقتنا ، كالزعم بان تراث البشرية من امسها الذى طقت فيه بالطائرة فوق السحب ، يشل انطلاقتها الى مجهول الفضاء !

والدعوة الى ملء الفراغ بتقليد النماذج الفنية للامم التى سبقتنا على مرقاة التطور ، المدح شرا وتكرا من الدعوة الى تقليد قديمنا ! فلئن وقف بنا هذا التقليد عند مرحلة مضت من وجودنا ، فان تقليد النماذج الاجنبية يمسحنا مسحا ، بما يفرض

علينا ان نستعير للامة مزاجا غريبا طارئا ، لا يمت الى وجدانها الاصيل بسبب من الاسباب !

والتطور يفقد كل معناه ، اذا اهدر منصر المكان ، كما يفقد طاقته باهدار منصر الزمان . وذلك ما التفت اليه « الرئيس جمال » فى فلسفة الثورة :

« نحن الان لانستطيع ان نمود الى القرن العاشر ، فرقدي ملابسه التى تبدو لعبونا غريبة مضحكة ، ونقوده فى افكاره ... » وكذلك نحن الان لانستطيع ان نتصرف على اننا قطعة من الاسكا المتعلقة باقى اصقاع الشمال ، او على اننا جزيرة ويك النائية فى تيه الباسفيك

« الزمان يفرض علينا نظوره

« والمكان ايضا يفرض علينا حقيقته »



خلاصة ما اريد ان اقرله اليوم ، هو ان وجودنا يفرض علينا ان نصيف جديدا مبتكرا الى تراثنا الشعبى ، فنك هي سنة التطور ...

ومن هذا التراث — لاي سواه — يكون منطلقنا الى مرحلة تبتدا من حيث انتهى امسها ، لتتقدم بنا خطوة نحو عالم المثل الذى يمتد كلما نقونا منه .

واذا كان الوقوف عندما انتهى اليه قديمنا خروجا على قانون التطور ، فان بقر ذلك القديم لا يعنى الا الضياع فى مناهة عباء ، والا المسخ لفكرة التطور

بما هي — فى جوهرها — تدرج الكائن الحى فى الصعود الى افق كماله ، وسمى دائب نحو تحقيق وجوده الاسمى بكل اصالته !

أدبنا والحياة من الثورة... إلى المعركة!

بقلم الدكتور بنت الساطي

والادب تانع بكانه وراء الاحداث ؛
نفى اثر كل اجراء ثوري ، اغنية فرح
ونشيد معاك وتميذتهجيد ودعاء ملو قمص
تجتر صورا شاحبة لاوضاع الماضي ،
وتستبسل في طعن جنته المينة ، مفتقرة الى
حرارة الانفعال وصديق المعاناة .
مستجيبا في ذلك لانفعال الجباهير الحباسي
بكل اجراء ثوري ..
ومتخلبا في الوقت نفسه ، من مكانه
في الطليعة قائدا وجدانيا لامة

والجباهير يخطئها احسانا ان تستبين
رؤية ماني امياتها من خفي الاسرار
وبهم الرزي وآباد الطيرج . وقد حدث
لها هذا في ليل المحنة تحت ضغط راقعها
الشقي ، وبثاثير عملية التخدير التي سلطت
على وجدانها بالتضليل ، ونسجت باقلام
الماجورين والسنة الخائنين ، قشاه كثيفا
على وعيها الكامن ، وجنست الرجمية
الفكرية والادبية لواد طبووحها ، فكانت
رسالة الادب الحر في مثل ذلك الوضع
ان يمزق عن وعي الجباهير غشاوة الوهم
وان يكشف عن بصيرتها حجاب الزيف ،
وان يسهر على حراسة وجودها المعنوي
ولكنها كذلك ، قد تعرض لما يشبه التحذير
الحائل دون وضوح الرؤية ، في نشوة

كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ حاسية في
تاريخنا القومي ، بما نفتت من ارادة
التغيير التي كانت تزرق الامة ونهدر في
امالها ، منذ التمر القصر والاستعمار
على هركتها الوطنية في الثورة العربية
وبها انتهت في تاريخنا الادبي مرحلة
الارهاص الثوري التي سهر فيها الادب
الحر على بقلة وجدان الامة ، وحدا
بضراها في ظلمة الليل بدعاء الفجر الجديد

وبدأت مرحلة جديدة ، لم تكن الطليعة
الثورية في انقضاها الظاهر على صروح
الفساد ، قد استوفحت بعد رؤية
طريقها الثوري ، ولا اجتلت ابعاده المتراصة
وكان على الادب ان ياخذ دوره القيادي
الاصيل ، طليعة ترداد الطريق المرحم
باتفااض العهد البائد ، وتنفذ الى اعماق
وجدان الامة ، كاشفة لها عن خفي هجوعها
واسرار ذاتها واباد تطلعا وطبووحها ..
لكن الظاهرة التي سادت مرحلة ما بعد
الثورة ، ان الادب في جملة ترك المصير
كله لقائد الثورة ، واكتفى بالوقوف خلفه
وهو يضطلع بمخاطر التحول الثوري ،
يستلهم روح امته ، وواعيا لسر وجودها
على مسار تاريخها الطويل

وسبقت الثورة الادب
وعاشي هو في ظلالها

فكان جهد الكثرة من انباء المرحلة
ان يعلنوا النظام الملكي بعد اعلان الجمهورية
وان يسفروا باصحاب الدولة والرفعة
بعد ان دالت دولتهم وسقطت رفعتهم
وان يرجعوا الاقطاع بالاحجار بعد ان
تلفوا وانهار .
والثورة منطلقة بنا ..

(٢)

ارضك الحرة فطامها الهوان
وطغى الظلم عليها وعليك
فاحترم بالنار فكري شهدائك
بذلوا ارواحهم بذل السخى
وانتقم ، ان هنا ازكى تماثك
وهنا امي ، واخوتي ، واخى ...
وق هذا القليل ، اسغيا الى لبس
وجداننا الاصيل ، الذى كاد ينيب في
فسجج الكثرة الواقعة وراء الاحداث ،
تفتينا وتطربنا وترتصنا .

وانطلقت الثورة ، مستجيبة لواء الامة
فاجلت الممر من ارضنا .
وانسحب جيش الاحتلال من القتال بسلام
دون ان يؤدى حسابا مما كان ..
ووقف الادب وراء الحدث ، يخشى للنصر
الابيض ويهتف بالجلاد بعد ان تحقق ، ويغنى
للحرية وقد وهم انها فكت له بابها بيد
بيضاء ، على غير ما توقع « شوقي »
حين قال :

وللحرية الجهاد باب
بكل يد مختصة تدق !

ولى الملقى الفاتر من ضمير الامة ،
بقي ثار سبعين عاما لم يتصف ، وظلت
ارضنا الطيبة ظامئة الى مياه تطهرها
من النسي الذى تركه عليها بصمة الاحتلال
وتعطى حريتنا قيمتها وجلالها .

فى العبق الغائر من وعينا ، بقي
الجرح يقات الشجن من قصص شهداء
ثورة عرابي وثورة ١٩١٩ وناجفة دنشواي
بحانت السردار ، ومصارع الفدائيين
لذين تمساقطوا على الساحة وكانوا وقود
النضال القوي فى الفترة ما بين معاهدة
الاستقلال المذيف سنة ١٩٢٦ وحريق
القاهرة سنة ١٩٥٢ ..

وطال عليه الابد ، وهو يلحق المر من
اشعارنا واقايننا التي رجعت لندى نصف
قرن من الزمان ، نوح هياجة دنشواي ،
وعطشان ياصبايا ، وانقى صبغت مزاج
الامة بصبغة من الحزن والشجن ، فاب من
الاكثرين ادراك مرها .

يوم تسقى زهران
كسان صعب وثقاته
وابوه مماء
وقت الشنى لم فاته
وامه على السطح
نيسكى مع اخوانه

ويعيدا ، وراء الحدود
كان المدو ياتر بعجربتنا الثورية

الفرح بتحقيق بعض احلامها وامانيها
حيث يخشى عليها ان تطيل استواء لذة
الظفر ، لظهور مما لا يزال فى اعقابها من
خلى اليوم والامال ، ويكون على الادب
حينئذ ان يسهر على نقطة طموحها ...
والى ما قبل عام ١٩٥٦ ، كانت الثورة
قد حققت للامة امالا كبارا ، بالتضاء
على الوضع الملى الفاسد الدخيل ، ودك
حصون الانقطاع ، واجتثاك جذور الرجعية
وبقى الهم الاكبر مستقرا فى ضمير
الامة ، شغل منه ادباء المرحلة بمن عاشوا
« فى ظلال الثورة » لاهابها ، لاهين مما
كان يشغلها ويشغل الامة من وجود بقايا
جيش الاحتلال رايضا على سفاف القتال ،
وفانلين من الجرح الضائل فى الوجدان
الشعبي المؤرق بثار الشهداء .

وكررت اعيادنا بما تم من اجراءات
ثورية ، وفى وعينا الكامن ، مدى من
سوت « شوقي » وهو يحدو بسرائنا فى
اعتاب ثورة ١٩١٩ :

والله ما دون الجلاء ويومه
يوم تسميه السككافة ميذا

وكانت الثورة قد ارجأت مواجهة الاحتلال
ريثما فرغت من دك ركائزه على ارضنا ،
ومقدت معه عام ١٩٥٤ اتفاقية لم تحتق
امل الامة بمآباء المرحلة قد حال موقفهم
وراء الاصب سبكات دون تظلمهم الى
مزامينها ، فراحوا قبل الجلاء ينسرون
للشعب :

★ بنى مصر قد راح ليل المبيد ★
ويطربونه بهزات النشوة :
يا حبيبي ثامت الشمس وراء الهرم
ونهادى القبر النشوان بين الظلم
ملكنا يخال تيبها فوق فرش الانجم
وينادى كل لهفان الى الحب ظمى
وسنا البدر على الوادى يميل
والها يلعب فى شمر النخل
راقصا فى مسرح الموج الجميل
بشماع شاعري ملهم
فتمتع بلبالى الهرم !

وقليل من شعراء المرحلة ، من وقع
على الورق الخفى فى وجدان الامة ،
فمثلها « شوق زهران » او متف بالشعب
المخدر بالنشوة :

كنت فى صحنك مرغم
كنت فى صبرك مكروه
فتكلم ، وتالم
وتعلم كيف تكروه

هرضك الغلى على الظالم هان
ومشى العار اليه واليك ..

التاريخ : ٢٥ / ١٢ / ١٩٦٤

(٣)

★ الله اكبر فوق كيد المغدري ★
ربضت « الى المعركة » بمجسلة ومله

وادبنا رجع النداء :
منمضي جميعا الى المعركة
وصوت المدافع ملء الفضاء
ونرجع والنصر يشعنا
واعلمنا قبلتها السماء ..

وبع دوى القنابل في ساحة القتلة !
كان دوى النذير يرج الفضاء :

دع سمائي فسمائي محرقه
دع قنساتي فقنساتي مفارقة
واهذر الارض فارضي صاهقه
هذه ارضي انا
وابي ضحي هنا
وابي قال لنا
مزقوا اعدائنا

ليجابه هدير راهد ؟
انا النيل مقبرة للفرقة
انا الشعب ناري تبعد الطفلة
انا الموت في كل شبر اذا
مدوك يابصر لاحت خطاه
يد الله في بنا اجمعين
فصبوا الهلاك على المعتدين
سنمضي لهم في لهيب الشر
ونرحل للنصر زحف القدر
سنمضي رعدا ونمضي اسودا
نردد انشودة الظافرين

وظاهرة التحول هنا ، ان الاسباب لشعر
والاقتبة - ولها فرصة المبادرة اثر
لسرعة الاحداث - لم يقف وراء المعركة
يتتبع خطواتها ويلهث على اثرها ..
ولم ينتظر نهايتها ليحيي الظاهر ويغني
للمنتصر

وانما سبق الحدث ، فنلذ الى المبعث
الوجداني للامة فسير قوره وليس جرحه
واكتشف المشجون من طاقته بولج مصر
المعركة من اللحظة الاولى للتحدى والعداوة
حتى اذا تم النصر ، لم يقف الاديب
ليجتر ذكريات باهتة وينكف لها صورا
مخيلة ، بل اعطته المعاناة حرارة الانفعال
ومدق التجربة ، فكانت تبع الهام شعر
لاعمال ادبية نابضة بالحياة والاصالة ..
ومن يومها ، بدأ الادب الحر منطلقا
وعرف طريقه ، ولا يزال عليه ان يكافح
طويلا ليخلص حياته الادبية من بقايا « ظاهري »
الاجترار « العقيد وجواذب الوقوف وراء
الاحداث ويضطلع بعيب القيادة الوجداني
للمرحلة الحاضرة ، ويكتشف ابصارها
المرامية ، ويبد نطمعها الى جديد من
الافاق .

الرائدة ، ويستجمع قواه للوثوب على
استقلالنا ، فما مضى شهر واحد على
اتفاقية الجلاء الابيض ، حتى ظهرت
بوانر الشر في نكوص البنك الدولي من
تمويل بناء السد العالي ..

وقبل ان يتحرك الادب ليلجح ما وراء
البوانر ، كان قائد الثورة قد التقط
القفاز ، فاعلن نعيم شركة قناة السويس
في عيد الثورة يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ .
ولزم الادب مكانه وراء الحدث فاستلا
انقنا باناسيد « الفلذة المقتطعة من حشا
الوطن » وراحت نينا قصص مريمة ،
تجتر ذكريات لعبة « ديلسبي » الماكرو
على غفلة « سعيد » وصرح مائة الف من
ابناء البلد الذين سيقوا بسخرين لحفرها
وحفلات « اسما عيل » الباذخة التي كبلنا
بالديون والنهت لصيننا من اسم القناة
وشدنا الى لير الاحتلال ..

دون ان يسبق الادب الحدث القومي ،
فيروي لصول الماساة

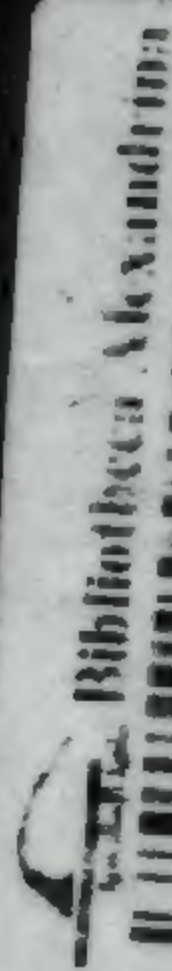
ودون ان يمد تطلعه فيلمح نذر العاصفة
بل دون ان ينفذ الى اعماق الامة ،
فيحس فيها الشحنة الثورية التي لم ينج
لها الجلاء الابيض ان تنفجر ..
وكان الادب لا يزال مذهلا بمرصتنا بيم
القناة ، مشغولا باجترار قصة حفرها
لم يبق منها الا على زلزال طائرات النصر
نقتحم حسانا ، وثقلنا بالقنابل ..

وتلاحقت الاحداث ، فاذا بنا نواجه بين
يوم وليلة ، عدوانا ثلاثيا من القامدة
الاستعمارية في اسرائيل ..
وفي اسرع من لمح البصر ، كان الشعب
قد ناهب لخوض معركته ..

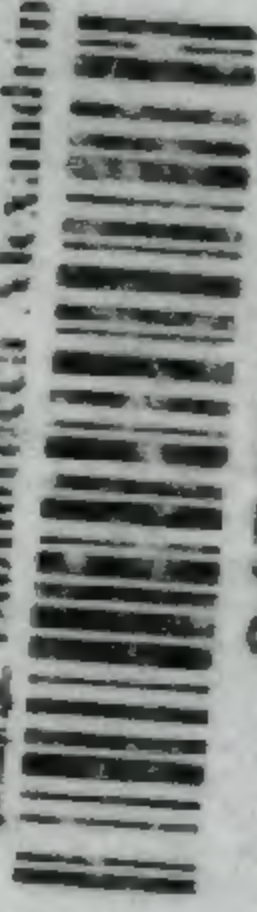
وتمت التنمية الثورية ، وقرر الشعب
بصره وعرف طريقه ، وصمم على ان
يبلغه او يموت دونه ..
استنار النحدي كامن غضبه وصرات ناره
لنفجرت الشحنة التي ليثت لدى سمين
هاما تنتظر هذا اليوم المشهود .



وبقوة الانتفاضة الثورية ، تحرك الادب
من موقفه وراء الاحداث ، الى مكانه في
الطلبة ، معبرا من الطاقة الكامنة في
وجدان الامة ، وملها لضراها ..
وعلى ايقاع النغم :
والله زمان ياسلاحي
اشتقت لك في جراحي
انطقوقول انا صاحي
ياحرب والله زمان
زحفت جواهر الشعب للقاء الحق
مشوقة الى رى ظمئها ، مسلحة بايمانها



Bibliotheca Alexandrina



0470899